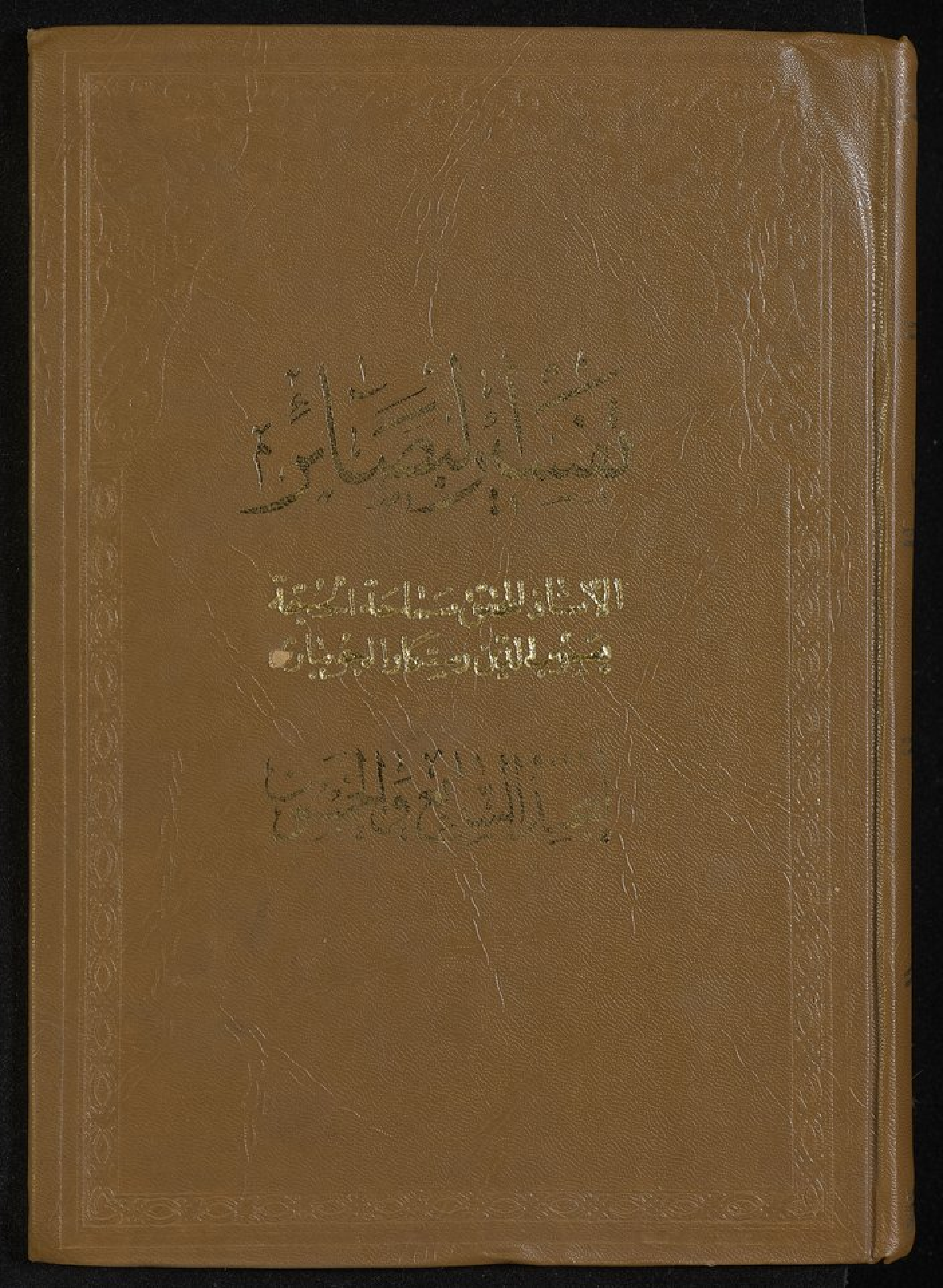
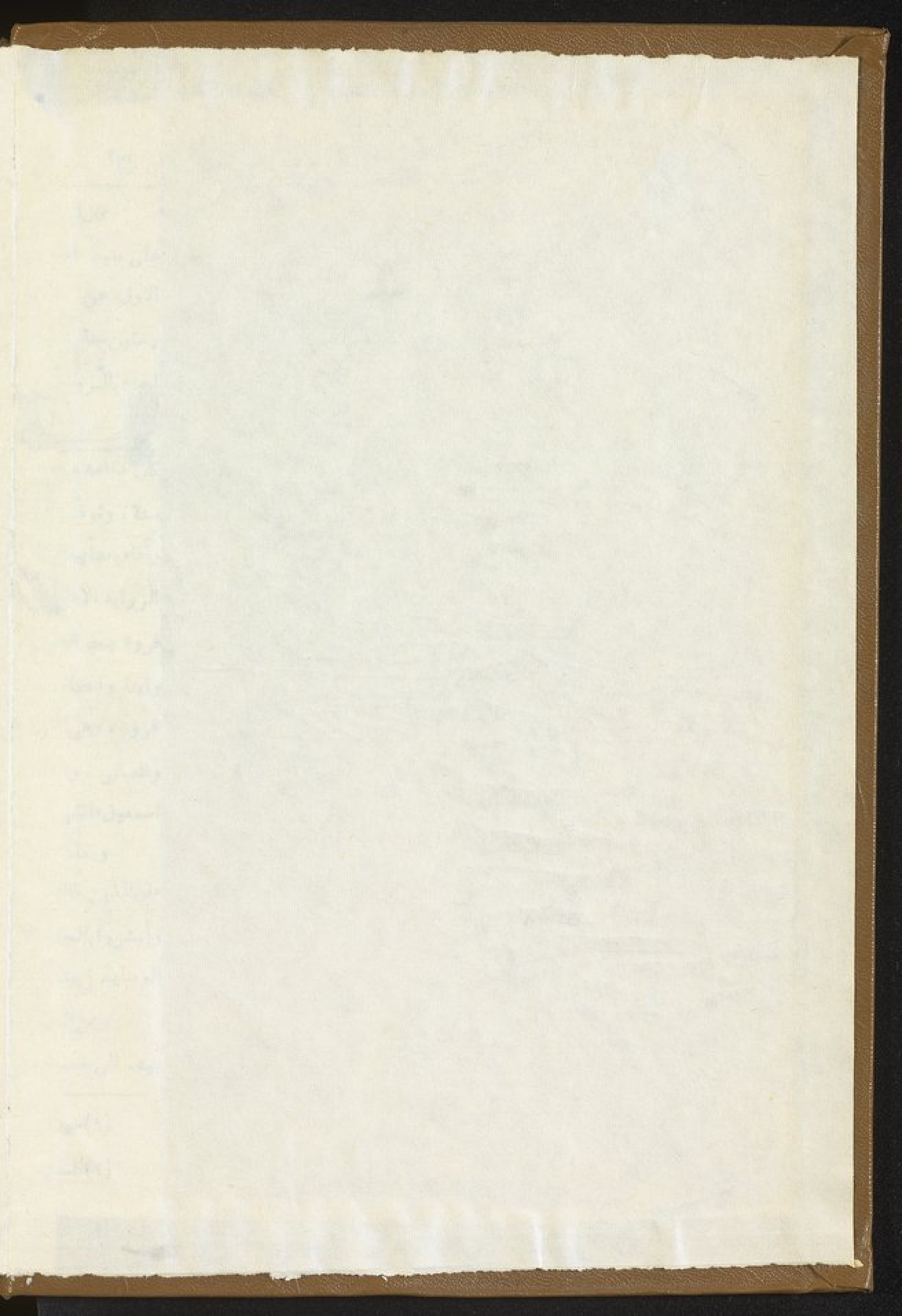
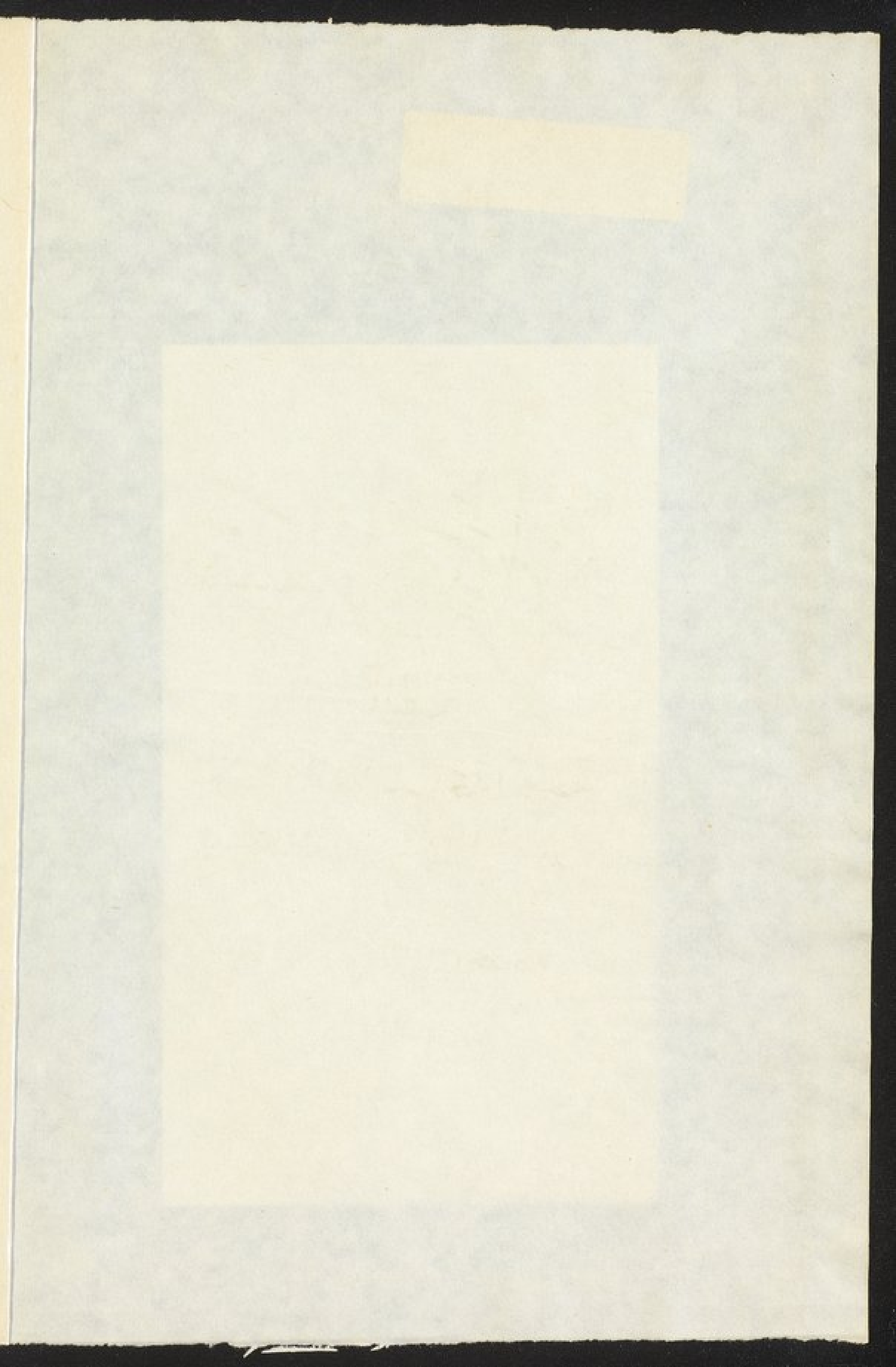

مختصر البصائر







Juybari

المجلد السابع والخمسون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

الأستاذ المحقق سماحة الحجة
يعسوب الدين رستگار الجويباري

ايران - قم

١٤٠٦ هـ ق = ١٣٦٤ هـ ش

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون ١ وطور سينين ٢ وهذا
البلد الأمين ٣ لقد خلقنا الإنسان في
أحسن تقويم ٤ ثم رددناه أسفل سافلين ٥
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر
غير ممنون ٦ فما يكذبك بعد بالدين ٧
أليس الله بأحكم الحاكمين ٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جاءكم بصائر من ربكم
فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها
الانعام : ١٠٤

كتاب علمي ، فني ، أدبي ، فقهي ، ديني ،
تاريخي ، أخلاقي ، اجتماعي ، سياسي
روائي حديث يفسر القرآن بالقرآن مبتكر
في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه ،
وأسراره الكونية والتشريعية ، وفريد
في بابه ، يبحث فيه عن العقل والنقل

﴿فضلها وخواصها﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الأعمال باسناده عن شعيب العقرقوفي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ «والتين» في فرائضه و نوافله اعطى من الجنة حيث يرضى (حتى يرضى خ) إن شاء الله.

أقول: رواه الطبرسي في المجمع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نورالثقلين، والمجلسي في البحار، ولكن في البحار: «من قرأ سورة والتين» بدل: «من قرأ والتين» و«حتى» بدل «حيث» في غيره.

وذلك ان من قرأها متدبراً فيها، فآمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبكتابه وعمل عملاً صالحاً، فله أجر غير ممنون كما أشار إليه فيها بقوله جل وعلا: «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فله أجر غير ممنون» التين: ٦)

وقال: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم و رضوا عنه ذلك لمن خشي ربه» البينة: ٧-٨)

وقال: «وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنة عالية لاتسمع فيها لاغية» الغاشية: ٨-١١)

وقال: «يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي» الفجر: ٢٧-٣٠)

وقال: «فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية» القارعة: ٦-٧)

و في الدر المنثور: عن البراء بن عازب قال :كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فصلّى العشاء فقرأ في إحدى الركعتين بالتين والزيتون ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً ولاقراءة منه .

وفي صحيح مسلم: عن البراء بن عازب قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في المغرب « والتين والزيتون » فما رأيت إنساناً أحسن قراءة منه .

رواه الطبرسي في المجمع والحويزي في نورالثقلين .

وفي المجمع : عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأها أعطاه الله خصلتين : العافية واليقين مادام في دارالدنيا ، فاذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم .

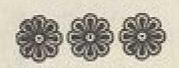
و في البرهان: وقال الصادق عليه السلام : إذا كتبت وقرأت على شيء من الطعام صرف الله عنه ما يضرّه وكان فيه الشفاء بقدرة الله تعالى .

أقول: ولايخفى على من له الدراية ما في سندالروايتين الأخيرتين ،ولكن من غيربعيد أن يكون من خواص السورة ما جاء فيهما لمن آمن وعمل صالحاً .

قال الله عزوجل : « قل هوللذين آمنوا هدي وشفاء » فصلت : ٤٤)

وقال : « وننزّل من القرآن ماهوشفاء و رحمةللمؤمنين ولايزيدالظالمين إلّاخساراً » الاسراء : ٨٢)

وقال : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » الحجر: ٩٩)



﴿الغرض﴾

غرض السورة إشارة إلى تكوين الانسان في أحسن التقويم ، وأتمه بما أودعه الله جل وعلا فيه من القوى والمواهب العلية التي يمتاز بها من غيره على سبيل الايجاز والاجمال ، وتنبيه على ما في إمكانه أن يتردى بسبب إنحرافه عن فطرته ،فيظهر منه الكفر والطغيان ، والجور والعصيان . . . فيتعقب عليها الانحطاط والدرك الأسفل والدمار والنار . . .

وأن يتصعد إلى ما فيه من الكمال والسعادة ، ومن الفلاح والنجاة بسبب بقاءه على الفطرة ، فيظهر منه الايمان والطاعة ، والعدل والعبادة فيتبعها الثواب الجزيل والجزاء الجميل .

مختتمة بسؤال إستنكاري عن السبب الذي يحثه على التكذيب بالدين والجزاء . و بجواب رباني على اسلوب السؤال بأن الله تعالى يحكم على من سلك الطريقين : طريق الحق والهدى ، و طريق الباطل والضلالة ، طريق الرقى والسعادة ، وطريق الانحطاط والشقاوة ، سبيل الفلاح والصلاح ، وسبيل الخسران والفساد ، وسبيل النجاة والجنة ، وسبيل الهلاكة والنار، فكل على تطرّقه إن كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر، فان الله عزوجل على صفة تقتضي الجزاء في يومه ، وهي كونه تعالى أحكم الحاكمين .

﴿النزول﴾

سورة «التين» مكية نزلت بعد سورة «البروج» و قبل سورة «قريش» و هي السورة الثامنة والعشرون نزولاً، والخامسة والتسعون مصحفاً، و تشتمل على ثمان آيات، سبقت عليها ر ۴۸۱ آية نزولاً، و ر ۶۰۹۸ آية مصحفاً على التحقيق.

و مشتملة على ر ۳۴ كلمة، و ر ۱۰۵ حرفاً، و قيل: ر ۱۵۰ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

فى شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن أنس قال: لما نزل على رسول الله سورة «والتين» فرح لها فرحاً شديداً حتى بان لنا شدة فرحه، فسئلت إبن عباس بعد ذلك عن تفسيرها فقال: أما قول الله: «والتين» فبلاد الشام «و الزيتون» فبلاد فلسطين «وطور سنين» طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى «و هذا البلد الأمين» فبلد مكة «لقد خلقنا الانسان» محمد صلى الله عليه وآله وسلم و هو «في أحسن تقويم» «ثم رددناه أسفل سافلين» عبدة اللات والعزى «إلاّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين» علي بن أبيطالب «أليس الله بأحكم الحاكمين» بعثك فيهم نبياً.

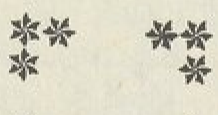
وفيه: باسناده عن محمد بن الفضيل ابن يسار قال: سئلت أبا الحسن عن قول الله تعالى: «والتين» قال: الحسن، «والزيتون»: الحسين، «وطور سينين» قال: إنما هو طور سيناء و ذلك أمير المؤمنين «و هذا البلد الأمين» قال: ذاك رسول

الله « إلاّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات » قال : ذلك أمير المؤمنين-و شيعتهم كلهم « فلهم أجر غير ممنون » .

وفيه: باسناده عن محمد بن الفضل الصيرفي قال : سئلت موسى بن جعفر أبا الحسن عليه السلام عن قول الله : « والتين والزيتون » قال : التين : الحسن ، والزيتون : الحسين فقلت له : « و طور سينين » قال : إنما هو طور سيناء قلت : فما يعني بقوله: « طور سيناء » ؟ قال : ذاك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قلت : « وهذا البلد الأمين » ؟ قال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو سبلنا آمن الله به الخلق في سبيلهم ومن النار إذا أطاعوه ، قلت: قوله: « إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات » ؟ قال : ذاك أمير المؤمنين و شيعته « فلهم أجر غير ممنون » الخبر .

وفى المناقب : لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه - بعد أن نقل قوله تعالى : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا و ذرياتنا قرة أعين » و انها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام خاصة ، و ان الأزواج : فاطمة ، و ذرياتنا : الحسن والحسين قال : و قد روي : ان « والتين والزيتون » نزلت فيهما .

و **فى أسباب النزول** للسيوطي عن إبن عباس في قوله : « ثم رددناه أسفل سافلين » قال: هم نفر ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسئل عنهم حين سفهت عقولهم فأنزل الله عذرهم أن لهم أجرهم الذي عملوا قبل أن تذهب عقولهم .



﴿القراءة﴾

قرأ عبدالله « سيناء » بكسر السين ، و قرأ عمر بن الخطاب « سيناء » بكسر السين ، بدل « سنين » .

أقول: وهذا خلاف ما في أيدي المسلمين قديماً وحديثاً من المصاحف كلها ، و لم يقرأ بهذا الوجه أحد من القرّاء ، مضافاً إلى خلاف الاسلوب .

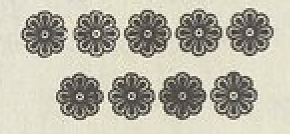
و قرأ عبدالله « أسفل السافلين » باللام ، و قرأ القرّاء كلهم بدونها كما انه كذلك جميع المصاحف فلا وجه لقراءة عبدالله الّذي لم أعرف من هذا ؟

****

﴿الوقف والوصل﴾

« الزيتون لا » للعطف التالي ، و « سنين لا » كالمتقدم ، و « الأمين لا » لجواب القسم التالي ، و« تقويم ز » لتمام الكلام بالجواب ، وللعطف التالي ، فيجوز فيه الوقف والوصل ولكن الوصل أولي .

« سافلين لا » بناء علي أن المراد بالردّ هو الخذلان إلي الكفر، ولو حمل الردّ إلى أرذل العمر لجاز الوقف عند قوم لان الاستثناء منقطع ، و « ممنون ط» لتمام الكلام ، و « بالدين ط » للاستفهام التالي .



﴿ اللغة ﴾

٢١ - التين - ١٩٢

التين : شجر له ثمر حلو أجوده الأبيض ثم الأحمر ثم الأسود واحدته:التينة وقد يطلق التين على فاكهة معروفة نفسها من شجرة التين .

قال الله تعالى : « والتين والزيتون » التين : ١)

وقد يسمى بالتين بعض الجبال وغيرها . والتيّان - فعّال للمبالغة - :بائع التين ومجففه . والمتانة : الموضع الذي يعرش فيه كثيرمن شجر التين يقال :أرض متانة أي كثيرة التين ، وتيان - ككتان - : ماء في ديار هوازن .

في المفردات : « والتين والزيتون» قيل:هما جبلان.وقيل:هماالمأكولان.

وفي مجمع البحرين : قيل : هماجبلان بالشام ينبتان تيناً وزيتوناً يقال لهما : طورتيناء وطورزيتاءبالسريانية . وقيل : التين : الذي يؤكل ، والزيتون: الذي يعصر.

وفي القاموس وشرحه: التين : بالكسرمعروف يطلق على الشجرالمعروف وعلي ثمره ورطبه النضيج أحمد الفاكهة و أكثرها غذاء وأقلها نفخاً ، جاذب محلل مفتح سدد الكبد والطحال ملين والاكثارمنه مقمل ، والتينان - بالكسر - مثني التين : جبلان بنجد في ديار بني أسد لبني نعامة بينهما واديقال له : خوّ ، وتين - بالكسر - : شعب بمكة شرفها الله يفرغ مسيله في تلوح ، وبراق التين : موضع قال الحذلمي : ترعي إلي جدّ لها مكين - أكناف خوّ فبراق التين .

وفي اللسان: التين : الذي يؤكل ، والتين : شجر البلس ، و في المحكم :

هو البلس نفسه وله أجناس كثيرة : برية وريفيّة وسهليّة وجبليّة و هوفي أرض العرب كثير. وقال رجل من أهل تين : ان التين بالسراة كثيرجداً مباح يؤكل رطباً ويزبّب ويدّخر ، وقيل : التين : جبل بالشام وقيل : هو جبل في بلادغطفان، وأنكرذلك أبوحنيفة فقال : ليس بالشام جبل يقال له : التين ولافي الشام بلد يقال له : غطفان . والتينان : الذئب .

٣٨- الزيتون - ٦٥٥

زات فلان طعامه و زات رأسه ويزيته زيتاً - من باب ضرب نحو باع - : جعل فيه الزيت ودهنه به ، وزات القوم : أطعمهم الزيت ، وزات السويق : لتّه بالزيت ، وازدات : إدّهن ويستزيتون : يستوهبون الزيت .

الزيت : عصارة الزيتون ودهنه ، وهوالمراد عند الاطلاق ، فان اريد غيره قيّد بالاضافة كزيت الخروع أوبالوصف كالزيت الحارأي زيت الكتان ، جمع الزيت : زيوت .

قال الله تعالى : « يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء » النور: ٣٥) زيتونة بدل من شجرة .

والزيتون : شجرمعروف جليل القدر، عظيم النفع ، طويل البقاءفي الأرض حتي يتجاوزألف سنة وهويحيي ويثمر. والزيتون : شجرثمرتؤكل ثماره بعد تهيئتها ويستخرج منها الزيت واحدته زيتونة ، وثمره أيضاً يقال له : زيتون .

قال الله تعالى : « والتين والزيتون »التين : ١) يصح أن يكون القسم بالشجر المعروف أوثمره للفت النظرإلى نعمة الله تعالى فيه ،وأن يكون قسماً بمكانين مباركين نزل فيهما الوحي على بعض الأنبياء كما نزل في طورسنين وفي مكة البلد الأمين .

وزيّت القوم : جعل زادهم الزيت ، وزيّت الرجل السراج : وضع فيه

زيتاً ، وزيّت فلان الشيء : طلاه بالزيت ، ويقال لمن يبيع الزيت ويعتصره : زيّات ، والمزيت والمزيوت : ما جعل فيه الزيت ، سويق مزيوت : ملتوت بالزيت، وأحجار الزيت : موضع في خارج المدينة المنورة إستشهد به محمد المهدي بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبيطالب في وقعة مشهورة ويقال له : قتيل أحجار الزيت . وقصر الزيت بالبصرة .

زيتون بني إسرائيل : حجر يشبه ثمر الزيتون يكتحل به أو هو متحجر منه، الزيتوني : ماكان بلون الزيتون من أولاد الخيل : مالقحت به امه في الخريف الذي هو وقت إدراك الزيتون . والزيتونة : موضع ببادية الشام كان ينزله هشام بن عبدالملك .

وفى اللسان: قال الفراء : يقال : انهما ـ التين والزيتون ـ مسجدان بالشام أحدهما الذي كلّم الله تعالى عنده موسى عليه السلام وقيل : الزيتون : جبال الشام ،و يقال للشجرة نفسها : زيتونة ولثمرتها : زيتونة ، والجمع : الزيتون ، و للدهن الذي يستخرج منه : زيت .

وقال الأصمعي : حدثني عبدالملك بن صالح بن علي قال : تبقي الزيتونة ثلاثة آلاف سنة .

٧٨- القيام - ١٢٧٠

قام يقوم قوماً وقومة وقياماً ـ من باب نصر نحو قال ـ : عزم وانتصب ضدّ قعد وقد لوحظ معني العزم في القيام.

وقد جائت لهذه المادة في القرآن الكريم معان تدور حول النهوض أو إنتصاب القامة أو الاعتدال مع العزم بمعانيها المادية أو المعنوية .

ولما جائت هذه المادة في القرآن الكريم على صيغ مختلفة نشير إلى معانيها المختلفة الواردة في الكتاب والروايات وكلمات العرب لما فيها من الفوائد الجمة :

١- قام : نهض منتصباً دون عوج أو إلتواء ، فيقال: قام للصلاة أو قام يصلّي أو قام يدعو الله جل و علا .

قال الله تعالى : « و انه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً » الجن : ١٩) أى نهض يدعو الله تعالى .

٢ ـ قام إلى الشيء : عزم عليه أو أسرع إلى تناوله ، يقال : قام فلان إلى الصلاة : قصدها .

قال الله تعالى : « و إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى » النساء : ١٤٢) أي عزموا على أدائها . و قال : « إذاقمتم إلى الصلاة » المائدة : ٦) ولايخفى ان قيام الصلاة على قسمين : قيام الدخول فيها ، و قيام التهيّىء لها ، والمراد هنا الثاني و إلّا لزم تأخير الوضوء عن الصلاة وهو باطل إجماعاً، فلذلك قيل : معناه : إذا أردتم القيام كقوله جل وعلا: « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله » النحل : ٩٨) عبّر عن إرادة الفعل بالفعل المسبب عنها ، فهو من باب إطلاق المسبب على السبب كقوله ﷺ : « كما تدين تدان » و قيل : المراد إذا قصدتم الصلاة لأن القيام إلى الشيء والتوجه إليه يستلزم القصد إليه فيكون من قبيل إطلاق الملزوم على اللازم . و منه ما يقال في الاقامة : « قد قامت الصلاة » أى قام أهلها أوحان قيامهم لها .

٣ ـ قام الماء : وقف محبوساً لا يجد منفذاً أو جمد و منه : قام الرجل : إذا توقّف عن السير .

قال الله تعالى: « كلما أضاءلهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا » البقرة : ٢٠) أى توقفوا عن السير في مكانهم غير متقدمين ولامتأخرين ، ومنه التوقف في الامر و هو الوقوف عنده من غيرمجاوزة . و قال : « إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض » الكهف : ١٤) أى وقفوا أمام ملكهم . و قال تعالى : « و لا تقم على قبره » التوبة : ٨٤) أى لا تقف عند قبره عند دفنه أو لزيارته .

و قام على الماءِ الدابة: كلّت فلم تبرح مكانها. وفي الحديث« حين قام قائم الظهيرة » أى قيام الشمس وقت الزوال من قولهم : « قامت به دابته » أى وقفت ، والمعنى : ان الشمس إذا بلغت وسط السماءِ أبطأت حركة الظل إلى أن تزول فيحسب الناظر المتأمل انها قد وقفت و هى سائرة ولكن سيراً لا يظهر له أثر سريع كما يظهر قبل الزوال وبعده ، فيقال لذلك الوقوف المشاهد : قام قائم الظهيرة . وهو إستواء حال الشمس ، سمي قائماً لان الظل لا يظهر حينئذ فكأنه قائم واقف ، و يقال : فلان قام على بابه : أى توقف .

٤ ـ قام الحق : ظهر و ثبت ، و قام فلان على شيء : إذا ثبت عليه وتمسك به ، و منه الحديث : « استقيموا لقريش ما استقاموا لكم فان لم يفعلوا فضعوا سيوفكم على عواتقكم فأبيدوا خضراءهم » أى دوموا لهم على الطاعة و اثبتوا عليها ما داموا على الدين و ثبتوا على الاسلام . ومنه الحديث : « لولم تكله لقام لكم » أى دام و ثبت و قام على الأمر : دام و ثبت . والاقامة في المكان : الثبات فيه و في الحديث: « أسئلك باسمك الذي قام به العرش والكرسي » أى ثبت واستقر ومثله: « ما قامت للمؤمنين سوق » و في خبر آخر : « ما قامت للمسلمين سوق » و يقال : قام عند هم الحق : ثبت و لم يبرح ، والقائم بالدين : المتمسك به ، الثابت عليه . ومنه الحديث: « العلم ثلاثة . آية محكمة أو سنة قائمة أوفريضة عادلة » القائمة : الدائمة المستمرة التي العمل بها متصل لا يترك .

٥ ـ قام الشيء : تحقق أووقع ومنه يقال : قامت الساعة . قال الله عزوجل: « ويوم تقوم الساعة » الروم :١٢) أى تتحقق أوتقع ويحلّ موعدها . وقام ميزان النهار : إذا إنتصف ، واعتدل . ويقال : قم : إعتدل ، وقام المتاع بكذا : تعدّلت قيمته به .

٦ـ قام بالامر: تولاه ونهض بأعبائه كاملة يقال : قام بالعدل : راعاه في سلوكه وفي معامله الناس . قال الله تعالى : « وأن تقوموا لليتامى بالقسط »

النساء : ١٢٧) أن تتبعوا العدل وتراعوه في معاملة الناس .

٧ـ قام فلان مقام غيره : حلّ محله في القيام بواجباته وغير ذلك قال الله جل وعلا : « فآخران يقومان مقامهما » المائدة : ١٠٧) أي يحلان محلهما في أداء الشهادة . ويقال : قام فلان مقام فلان : إذا ناب عنه . ويقال : فلان قام فلاناً : ضادّه وفي المصارعة وغيرها : قام أحدهما للآخر .

٨ـ قام على أهله أو نحوهم : رعاهم وتولّى الانفاق عليهم ، ويقال : قام على الأمر : إستمر في طلبه أو المطالبة به ، وقام عليه : خرج عليه وراقبه ، وقام على غريمه : طالبه .

٢ـ القيام :

١ـ قيام : مصدر قام كقوله تعالى : « فما استطاعوا من قيام » الذاريات : ٤٥)

٢ـ قيام : جمع قائم كقوله عز وجل : « فاذاهم قيام ينظرون » الزمر : ٦٨) أي قائمون .

٣ـ قيام : إسم لما يقوم به الشيء أي يبقى متماسكاً محتفظاً بكيانه كالعماد لما يعمد عليه ، والسناد لما يسند به . وفي الدعاء : «أنت قيام السموات والارض» قال الله تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » النساء : ٥) أي أمراً تقوم به حياتكم لانه مناط معاشكم فجعلها مما يمسككم ، وقال : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس» المائدة: ٩٧) أي سبباً لاصلاح امورهم الدينية و كذلك الدنيوية لأنه كان مأمناً لهم ومجمعاً لتجارتهم يأتون إليه من كل فج عميق . والمعنى : ان الله تعالى جعل الكعبة ليقوم الناس بالتوجه إليها في متعبداتهم ومعاشهم ، أما متعبداتهم فواضح ، وأما في معاشهم فلأ منهم عندها من المخاوف و أذى الظالمين ، وتحصيل الرزق عندها بالمعاش والاجتماع العام عندها بجملة الخلق الذي هو أحد أسباب إنتظام معاشهم إلى غير ذلك .

قيام الأمر : قوامه وهو قيام أهل بيته أي الذي يقيم شأنهم .

٤ـ القيام : الاقامة أى الموطن .

٥ـ القيام : التهجد . وفي الحديث : « من ختم له بقيام الليل ثم مات فله الجنة » يريدبذلك التهجد وعبادة الله تعالى ومنه الدعاء : « طال هجوعي » :نومي « وقل قيامي » أى طاعتي لك وعبادتى إياك، وأصل القيام : القوام ، فقلبت الواو ياء جوازاً مع الكسرة .

٣ـ المقام :

١ـ مقام ـ بفتح الميم ـ : مكان القيام ، والمقام : الاقامة نفسها ، وقد يطلق المقام على المجلس ، وعلى المكانة أوالمنزلة الأدبية ، وان المقام : المقعد ، فهذاإن أراد أن المقام والمقعد بالذات شيء واحد ، و إنما يختلفان بنسبته إلى الفاعل كالصعود والحدور فصحيح ، وإن أراد ان معنى المقام معنى المقعد فذلك بعيد فانه يسمى المكان الواحد مرة مقاماً إذا اعتبر بقيامه ، ومقعداً إذا اعتبر بقعوده .

قال الله تعالى : « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » البقرة : ١٢٥) أىمكان خاص في البيت الحرام بمكة وهوالحجر الذي فيه أثر قدميه في الكعبة . و في الحديث : « ما بين الركن والمقام مشحون من قبور الانبياء وان آدم عليه السلام لفي حرم الله تعالى » .

وقال تعالى : « ومقام كريم » الشعراء : ٥٨) أى موطن .

وقال : « ومامنا إلا له مقام معلوم » الصافات : ١٦٤) أى منزلة معروفة عندالله تعالى .

وقال : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » الرحمن : ٤٦) أى منزلته في الربوبية والسيطرة على جميع الكائنات .

وقال : « ذلك لمن خاف مقامي » ابراهيم : ١٤) أى منزلتي في الربوبية والسيطرة على جميع الخلق .

وقال: « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » الاسراء : ٧٩) أى منزلة رفيعة .

وقال: « أىّ الفريقين خير مقاماً » مريم : ٧٣) أى أفضل مكاناً أو موطناً .

و قال : « أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » النمل : ٣٩) أى المكان الذى أنت مستقر فيه والمراد : مجلسك .

و قال : « ان المتقين في مقام أمين » الدخان : ٥١) أى في مكان تدوم إقامتهم فيه .

وقال : « فآخران يقومان مقامهما » المائدة : ١٠٧) أى يحلّان محلهما في الشهادة .

و قال : « إن كان كبر عليكم مقامي » يونس : ٧١) أى إقامتي بينكم .

والمقام ـ بالفتح : موضع القدمين ، والمقام أيضاً : مصدر و إسم مكان القيام و زمانه . و جمع المقام : مقامات ، و قد تطلق المقامات على خطب من منظوم و منثور كمقامات الحريري تسمية للكلام بالموضع الذي يقال فيه .

٢ ـ مقام ـ بضم الميم ـ : الاقامة ، مصدر ميمي من أقام ، والمقام : محل الاقامة ، إسم مكان من أقام ، والمقام يقال للمصدر والمكان والزمان والمفعول ولكن الوارد في القرآن الكريم هو المصدر .

قال الله تعالى : « يا أهل يثرب لامقام لكم » الاحزاب : ١٣) أى لا إقامة أولامكان لاقامتكم . وقال: « خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً » الفرقان : ٧٦) أى موطناً أو محلاً للاقامة .

٣ ـ مقامة ـ بالضم ـ : الجماعة ، والمقامة : الاقامة قال الله تعالى : « الذي أحلنا دار المقامة من فضله » فاطر : ٣٥) أي الاقامة ، و قال الشاعر : و فيهم مقامات حسان وجوههم. وإنما ذلك في الحقيقة إسم للمكان وإن جعل إسماً لأصحابه .

٤ـ القائم :

قائم : إسم فاعل من مقام ، جمعه : قائمون و قيام بكسر القاف ـ و قوّم وقيّم و قوّام و قيّام بضمّ الميم و فتح الياء ـ في الأربعة الأخيرة . و لقائم معان

١- قائم : واقف قال الله تعالى: « فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب » آل عمران : ٣٩) أي واقف أو مشمّر يؤدّي الصلاة . وقال: « و إذا مس الانسان ضرّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً » يونس : ١٢) أي ناهضاً منتصباً .

٢ ـ قائم : حفيظ أو رقيب قال الله تعالى : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » الرعد : ٣٣) أي حفيظ لها أو رقيب عليها .

٣ ـ قائم : راع . قال الله عزوجل : « شهد الله أنه لا إله إلاّ هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط » آل عمران : ١٨) أي مراعياً للعدل على أكمل وجه . و قال : « ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤدّه إليك إلاّ ما دمت عليه قائماً » آل عمران : ٧٥) أي إلاّ ما دمت ملازماً له مستمراً في مطالبته .

٤ ـ قائم : مـؤدّ . قال الله عزوجل : « والذين هم بشهاداتهم قائمـون » المعارج : ٣٣) أي مؤدّون لها كاملة صادقة .

٥ ـ قائم : مطيع. قال الله تعالى: «من أهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله» آل عمران : ١١٣) أي قائمة بأمر الله جل و علا مطيعة لشرعه متبعة نبي الله فهي قائمة بمعنى مستقيمة. وقال: « أم من هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً » الزمر: ٩) هو قيام بالاختيار .

٦ـ قائم واقع . قال الله عزوجل : « وما أظن الساعة قائمة » الكهف: ٣٦) أي واقعة تتحقق و يحين موعدها .

٧ ـ قائم : مستو ـ يقـال : دينار قائم : سواء لا يرجح . يقـال : عين قائمة و هي التي ذهب بصرهـا وضوئهـا و لم تنخسف ، بل الحدقة صحيحة على حالها . سنة قائمة : ثابتة مستمرة معمول بها لم تنسخ من قولهم : قـام فلان على الشيء إذا ثبت ، والقائمة : الورقة من الكتاب وقدتطلق على مجموع البرنامج ، والقائمة من السيف : مقبضه كقائمه . و قائمة العرش هي كالعمود للعرش . وقائم الظهيرة : نصف النهار وهو إستواء حال الشمس سمّي قائماً لان الظل لايظهر حينئذ فكأنه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله (ص):
«انی تارک فیکم الثقلین کتاب الله وعترتی ما ان تمسکتم بهما لن تضلوا بعدی أبدا»
حدیث متواتراز دوطریق شیعه وسنی

(تفسیر البصائر)

«تفسیر البصائر مبین: «بیان کنندهٔ» مفاهیم دو ثقلی است که رسول خدا (ص) دربین مسلمین بودیعه گذارده است» ازمراجع عظام

تفسیر البصائر تفسیریست درشصت (۶۰) جلد باضافهٔ یك جلد بنام: «مفتاح البصائر» ودوجلد بنام: «تبصرة البصائر» که مجموع آن بیش ازپنجاه هزار (۵۰۰۰۰) صفحه میباشد

درپیرامون این تفسیر نظرات فراوان ازمراجع عظام وعلماء أعلام ومحققین والامقام وصاحبان أدیان و مذاهب مختلفه ازداخل و خارج از کشور آمده است که إن شاء الله تعالی تمامی آنها بصورت کتاب مستقلی بنام: (حماسه‌ائی از تفسیر البصائر) چاپ ومنتشرخواهد شد.

این تفسیر درسال (۱۳۵۶ ش) دردومطبعه شروع بچاپ شد ازجلد أوّل وازجلد چهل ویکم، ولکن برأثر سرعت‌کار وتقیّد مؤلّف درنظارت برچاپ ونیاز بوقت بیش ازحدّ معین، مقررشد که قسمت دوم آن بحول وقوّهٔ الهی‌چاپ سپس بطبع قسمت‌أوّل آن إقدام‌شود وهم اکنون: سال(۱۳۶۳ ش) نوزده (۱۹) جلدآن‌چاپ ومنتشر گردید که عبارت است از:

۱ -	جلد أوّل	:	مشتمل	بر ۱ سورهٔ	(فاتحة الکتاب)	در ۴۹۱ صفحه
۲ -	« چهل ویکم	:	«	« ۲ سورهٔ	(الذاریات والطور)	« ۴۶۲ «
۳ -	« چهل ودوم	:	«	« « «	(النجم و القمر)	« ۴۵۴ «
۴ -	« چهل وسوم	:	«	« « «	(الرحمن والواقعة)	« ۴۶۰ «
۵ -	« چهل‌وچهارم	:	«	« « «	(الحدید والمجادلة)	« ۵۰۳ «
۶ -	« چهل وپنجم	:	«	« « «	(الحشر والممتحنة)	« ۴۶۴ «
۷ -	« چهل وششم	:	«	« ۳ سورهٔ	(الصف والجمعة والمنافقون)	« ۵۷۱ «
۸ -	« چهل‌وهفتم	:	«	« « «	(التغابن والطلاق والتحریم)	« ۵۹۲ «
۹ -	« چهل‌وهشتم	:	«	« « «	(الملك والقلم والحاقة)	« ۵۹۱ «
۱۰ -	« چهل ونهم	:	«	« « «	(المعارج ونوح والجن)	« ۵۷۶ «
۱۱ -	« پنجاه	:	«	« « «	(المزمل والمدثر والقیامة)	« ۶۲۴ «
۱۲ -	« پنجاه ویکم	:	«	« « «	(الانسان والمرسلات والنبأ)	« ۶۲۹ «
۱۳ -	« پنجاه ودوم	:	«	« « «	(النازعات وعبس والتکویر)	« ۶۰۳ «
۱۴ -	« پنجاه وسوم	:	«	« « «	(الانفطار والمطففین والانشقاق)	« ۶۵۹ «
۱۵ -	« پنجاه‌وچهارم	:	«	« « «	(البروج والطارق والاعلی)	« ۶۴۰ «
۱۶ -	« پنجاه‌وپنجم	:	«	« « «	(الغاشیة والفجر والبلد)	« ۷۲۵ «
۱۷ -	« پنجاه وششم	:	«	« ۴ سورهٔ	(الشمس واللیل والضحی والانشراح)	« ۷۶۳ «

وأخیراً برأثر تأکید بسیاری از صاحب نظران فوق الذکر دریك مطبعه دیگر ده جلد این تفسیر: از جلد سی ویکم - إلی چهلم قرار داد بسته شد که دو جلدآن نیزچاپ ومنتشرشد:

۱۸ -	جلد سی ویکم	:	مشتمل بردو سورهٔ	(لقمان وسجدة)	در ۵۱۹ صفحه
۱۹ -	« سی ودوم	:	« « «	(الاحزاب وسباء)	« ۱۰۴۴ «

ومجلدات دیگر آن زیر چاپ که بتوفیق خداوند قادر متعال یکی پس از دیگری طبع ومنتشر خواهد شد.
هزینهٔ چاپ این تفسیر هم اکنون به بیش از صد میلیون ریال بر آورد شده است که حدود ده میلیون ریال آن
از طرف أفراد خیّر ونیکوکار که خدای متعال خیرشان دهد رسید، وپولیکه از فروش این تفسیر گرفته میشود
نذر بناء مدرسه ایست بنام مبارك حضرت **(قائم)** ولی عصر امام زمان أرواحنا له الفداء که مؤلف در آغاز أمر
بدان متعهد شده است، علاقه مندان بقرآن کریم وعترت رسول خدا ﷺ میتوانند جهت کمك بچاپ این
تفسیر که پس از إتمام آن در بناء مدرسه فوق الذکر صرف میشود بشماره حساب (٤٣٩) بانك صادرات شعبه
(١٢٣٩) شهرستان قم واریز نموده و رسید بانکی آنرا به آدرس ذیل إرسال ومؤلف را با شماره تلفن ذیل
آگاه سازند وجهت إظهار نظر ورفع إبهام میتوانند بشماره تلفن ٣١٩٧٢ شهرستان قم مستقیماً با مؤلف تماس
بگیرند و یا با نامه بآدرس: قم کوی بیمارستان فاطمی کوچه حکیم زاده منزل مؤلف نظرات و یا ابهام
را مطرح نمایند.

قائم واقف ، و في حديث حكيم بن حزام : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لا أخر إلّا قائماً » أي لا أموت إلّا ثابتاً على الاسلام والتمسك به .

٨ ـ القائم : يكنى به عن صاحب الأمر محمد بن الحسن العسكري عجل الله فرجه الشريف و جعلنا من أعوانه و أنصاره و هو عليه السلام الذي يملأ الارض قسطاً و عدلاً بعد ما ملئت ظلماً و جوراً فهو يقوم بأمر الله تعالى .

وقال الامام الصادق عليه السلام : « إن منا إماماً مستتراً فاذا أراد الله إظهار أمره نكت في قلبه فظهر فقام بأمر الله تعالى » .

وقامة الانسان : حسن طوله ، جمعها : قامات و قيم ـ كعنب ـ والقامة : جبل بنجد والقامة واحدة قوائم الدابة و هي أربعها و قد يستعار ذلك للانسان .

٥ ـ القوم :

قوم ـ بفتح القاف و سكون الواو ـ في الأصل مصدر قام فوصف به ثم غلب على جماعة الرجال دون النساء ولذلك قابلهن به ، فحقيقة القوم للرجال لمانبه عليه قوله تعالى: « الرجال قوّامون على النساء » النساء : ٣٤) سمّوا بذلك لانهن قوّامون على النساء بالامور التي ليس للنساء أن يقمن بها . و قد سمّي الرجال بالقوم لقيامهم بالعظائم والمهمات وجمعه : أقوام وأُقاوم وأقاويم وأقائم .

قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم و لا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن » الحجرات : ١١) فلو كانت النساء من القوم لم يقل : و لا نساء من نساء .

ويراد بالقوم في القرآن الكريم ـ فيما عدا الآيتين السابقتين ـ : جماعة من الرجال والنساء معاً أو الجماعة من النساء يربط بعضهم ببعض روابط دم أو نسب أو إجتماع .

و قال زهير الشاعر :

و ما أدري و سوف أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

فيشمل القوم للنساء على سبيل التبعية لان قوم كل نبى رجال ونساء .وقوم النبي : عشيرته ومن تربطهم به رابطة الوطن وغيرها من الروابط الاجتماعية ، و قوم الملك ونحوه : رعيته الذين يحكمهم ويرعاهم ويدبّر شئوونهم . وقوم الرجل: أقربائه والذين يجتمعون معه في جدّ واحد وقد يعم الرجل من الأجانب فيسمّيه قومه توسعاً للمجاورة .

القوم :جمع لاواحد له من لفظه كالرهط والنفر.

القوم ـ بضم القاف ـ : القصد .

القومة : المرة واحدة ومابين الركعتين قومة ، وقومة الانسان : قامته ، و قويمة من نهارأوليل أي ساعة .

٦ـ أقوم :

أقوم : إسم تفضيل من قام ومعناه : أفضل أوأعدل أوأقرب إلى الصواب .

قال الله جل وعلا : « ذلكم أقسط عندالله وأقوم للشهادة » البقرة : ٢٨٢) أى أدعى إلى القيام بها وأدائها على الوجه الأكمل ، وقال : « وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم » النساء : ٤٦) أى أعدل وأقرب إلى الصواب . وقال : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » الاسراء : ٩) أي إلى السبيل التي هي أعدل و أكثر إفضاء إلي الحق والخيروالهدي والصواب ، وقيل : هي الحالة التي هي أقوم الحالات وهي توحيدالله وشهادة أن لاإله إلاّ الله والايمان برسله والعمل بطاعته .

٧ـ قوام :

قوام ـ بفتح القاف كسحاب : العدل والاعتدال وما يعاش به ، وقوام الرجل: قامته وحسن طوله. وفي حديث المسئلة : « أولذي فقرمدقع حتى يصيب قواماً من عيش » أي ما يقوم بحاجته الضرورية .

قال الله تعالى : «وكان بين ذلك قواماً » الفرقان : ٦٧) أي إعتدالاً .

قوام ـ بكسر القاف ـ الأمر: نظامه ، وقوام الشيء : عماده وملاكه الذي

يقوم به ، والقوام : ما يقيم الانسان من القوت ، و يقال : فلان قوام أهـل بيته و قيامهم وهو الذى يقيم شأنهم .

قوام ـ بضم القاف ـ : داء يأخذ في قوائم الدابة تقوم منه فلاتنبعث .

٨ـ قوام :

قوّام ـ كشداد ـ : صيغة مبالغه في قائم ، يقال : هوقوّام على أهله : دائم القيام بشؤونهم والسهرعلى مصالحهم ، وقوّام : الحسن القيام بالامـر والحسن القامة ، جمعه : قوّامون .

قال الله جل وعلا : « الرجال قوّامون على النساء » النساء : ٣٤) أي لهـم عليهن قيام الولاية والسياسة ، فيرعونهن ويقومون بمصالحهن .

وعلل ذلك بأمرين :

أحدهما ـ موهبيّ من الله عزوجل ، وهوأن الله عزوجل فضّل الـرجال عليهن بامور كثيرة من كمال العقل وحسـن التدبيروتزائد القـوة في الأعمـال والطاعات، ولذلك خصّوا بالنبوة والامامة والولاية والقضاءوإقامة الشعائروالجهاد وقبول شهادتهم في كل الامور ومزيد النصيب في الارث وغيرذلك من التمايز . . .

ثانيهما ـ كسبيّ وهوانهم ينفقون عليهن ويعطونهـن المهور مـع أن فائدة النكاح مشتركة بينهما، والباء في قوله : « بما » وفي قوله : « وبما أنفقوا » للسببية، وما مصدرية أي بسبب تفضيل الله جل وعلا ، وبسبب إنفاقهم ، وإنما لم يقل : بمـا فضل عليهن لانه لم يفضّل كل واحد من الرجال على كل واحدة واحدة من النساء لانه كم إمرأة أفضل من كثيرمن الرجال و إن لم تقم مقام الرجل فيما خصّ به .

وقال تعالى : « ياأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط » النساء : ١٣٥) أي مواظبين على إقامة العدل في جميع الامورمجتهدين فيه كل الاجتهاد .

٩ـ القيوم :

القيّوم : من أسماء الله تعالى لايوصف به سواه ، و هوصيغة مبالغة في قائم ،

ومعناه : الشديد القيام على الأشياء والحفاظ عليها ، والقيوم : الذي لابدله من أسمائه تعالى . قال الله عزوجل: « الله لاإله إلا هو الحي القيوم لاتأخذه سنة ولانوم» البقرة : ٢٥٥) أي القائم الحافظ لكل شيء ، والمعطي له مابه قوامه .

القيوم : هوالقائم بتدبيرأمر خلقه في إنشائهم ورزقهم ، وعمله بأمكنتهم قال الله عزوجل : « ومامن دابة في الارض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرّها و مستودعها » هود : ٦)

القيوم : هوالذي يقوم بحفظ السموات والارض وما فيهما ومراعاتهما ،و يؤتي كل شيء ما به قوامه ويقوم على كل شيء بما يراه من تدبيره في خلقه .

القيوم : : هوالقائم الدائم الذي لايزول،والذي به قيام كل موجود،والقيّم على كل شيء بمراعاة حاله ودرجة كماله .

١٠-القيم :

القيّم : الثابت المستقيم لاعوج فيه والمقوّم للامور ، والقيّم على أمر : متوليه ومنه يقال : قيّم الوقف وقيّم المدرسة وقيّم الحمام . . . : المستولي عليها والقيّم : السيد وسائس الأمر: وقيّم القوم : الذي يقومهم و يسوس أمرهم ،وفي الحديث : « ما أفلح قوم قيمتهم إمرأة » وقيّم المرأة : زوجها و من يقوم أمرها . ومنه : « أنت قيّم السموات والارض ومن فيهن » أي تقوم بحفظها و مراعاتها و حفظ من أحاطت به واشتملت عليه .

قال الله تعالى : «ذلك الدين القيّم» التوبة : ٣٦) أي الثابت المستقيم لاعوج فيه ولاإكراه ولاإجبار أوالمقوّم لامور الناس : معادهم ومعاشهم . . . والقيم-بالكسر والفتح - : القيّم .

قال : « قل انني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً » الانعام : ١٦١) أي ثابتاً مستقيماً لازيغ فيه ولا ميل عن الحق أو ثابتاً مقوّماً لامور دنيا الناس وآخرتهم .

القيمة : ذات القيمة الرفيعة ، والقيّمة : الديانة المستقيمة ، والقيّمة : التي تسلك سبيل العدل والاستقامة .

قال الله عزوجل : « فيها كتب قيمة » البينة : ٣) أي ذات قيمة رفيعة لانها جامعة لما ذكر في كتب الله جميعها . و قيل : أى مستقيمة بين الحق من الباطل على إستواء و برهان .

وقال : « و ذلك دين القيمة » البينة : ٥) أي دين الامة التى تسلك سبيل العدل والاستقامة . و قيل : أي الامة القيمة أو دين الملة القيمة . و قيل : القيمة هيهنا إسم للامة القائمة بالقسط المشار إليهم بقوله : « كنتم خير امة » و قوله : « كونوا قوّامين بالقسط » والملة القيمة : المعتدلة ، والامة القيمة كذلك والهاء في القيّمة للمبالغة .

١١ ـ القيمة :

القيمة : السعر والنوع والثمن الذي يقاوم المتاع أي يقوم مقامه جمعها : قيم ـ بكسر القاف و فتح الياء ـ و في الحديث : « قالوا : يا رسول الله لوقوّمت لنا فقال : الله هو المقوّم » أي لو سعّرت لنا و هو من قيمة الشيء : أي حدّدت لنا قيمتها . و قوّمته فتقوم : عدلته فتعدل وقوّمت المتاع : جعلت له قيمة . ومنه الحديث : « قيمة المرء ما يحسنه » و المراد محلّه عند الناس والغرض منه : الترغيب في إعلاء ما يكتسب من الكمالات . . .

١٢ ـ القيامة :

القيامة : عبارة عن قيام الساعة المذكور في قوله تعالى: « ويوم تقوم الساعة ـ يوم يقوم الناس لرب العالمين ـ وما أظن الساعة قائمة » يوم يقوم الناس من قبورهم و يحشرون فيه للحساب والجزاء .

والقيامة : أصلها ما يكون من الانسان من القيام دفعة واحدة ادخل فيها الهاء تنبيهاً على وقوعها دفعة .

قال الله عزوجل : « إن كانت صيحة واحدة فاذاهم خامدون - و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلّا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون - إن كانت إلّا صيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون » يس : ٢٩-٤٨-٥٣) .

١٣ - أقام :

١ - أقام بالمكان : إستقرّ فيه و جعله وطناً له ، و يقال : أقاموا حروف الكتاب : أثبتوها و صدقوا بها ، و أقام البلد إقامة : إتخذه وطناً فهو مقيم .

٢ - أقام الشيء : عدّله و أزال عوجه ، يقال : أقام البناء و أقام الجدار و أقام الصلاة : أدّاها كاملة .

قال الله تعالى: « فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه » الكهف: ٧٧) أي عدّله .

وقال : « وأقاموا الصلاة و آتوا الزكاة » البقرة : ٢٧٧) أي أدّوها كاملة وهي تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في أفعالها من أقام العود إذا قومه .

و في الحديث : « تسوية الصف من إقامة الصلاة » أي من تمامها و كمالها .

٣ - أقام دين الله تعالى أو كتاب الله : أظهره و عمل بتعاليمه . . .

قال الله عزوجل : « و لو أنهم أقاموا التوراة والانجيل » المائدة ٦٦) أي أذاعوهما و اتبعوا تعاليمهما . . .

٤ - أقام الوزن : وفّاه حقه . و إقامة الشيء : توفية حقه .

قال الله تعالى : « و أقيموا الوزن بالقسط » الرحمن : ٩) أى اعطوا الوزن حقه كاملاً متبعين العدل . وقال: « وأن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه » الشورى:١٣) أي أذيعوه و اعملوا بتعاليمه و وفّوا حقوقه بالعلم والعمل .

وقال: « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » المائدة : ٦٨) أي توفون حقوقهما بالعلم والعمل .

و لم يأمر عزوجل بالصلاة حيثما امر و لا مدح به حيثما مدح إلّا بلفظ

الاقامة تنبيهاً على أن المقصود منها توفية شرائطها لا الاتيان بهيئاتها نحو: « أقيموا الصلاة » في غير موضع ...

٥ - أقام حدود الله جل و علا : حافظ عليها و لم يجاوزها .

قال الله تعالى : « إلّا أن يخافا ألّا يقيما حدود الله » البقرة : ٢٢٩) أى ألّا يحافظا عليها و يتبعاها .

٦- أقام لفلان وزناً : إعتدّ به ورفع منزلته .

قال الله عز وجل: «فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً» الكهف:١٠٥) أي لا نعتدّ بهم .

٧ - أقام وجهه للشيء : إهتمّ به و أقبل عليه بنشاط .

قال الله عزوجل : « و أن أقم وجهك للدين حنيفاً » يونس : ١٠٥) .

٨ - إقام : مصدر أقام ، يقال: إقام الصلاة : إقامتها، والتاء في الاقامة عوض عن العين الساقطة ، إذ الأصل : إقوام ، فلما أضيفت التاء اقيمت الاضافة مقام حرف التعويض و اسقطت .

قال الله تعالى: « و أوحينا إليهم فعل الخيرات و إقام الصلاة » الانبياء : ٧٣) أي إقامتها و أدائها كاملة .

والاقامة : الاستقرار فهي مصدر أقام بالمكان أي إستقرّ فيه .

قال الله تعالى: « ويوم إقامتكم » النحل : ٨٠) أي يوم حلكم وإستقرار كم بمكان ما .

المقيم : الدائم أو الباقي ، إسم فاعل من أقام ، والجمع : مقيمون . و قد يعبّر عن الدوام بالاقامة .

قال الله تعالى: « و لهم عذاب مقيم » المائدة : ٣٧) أى دائم . و قال: « وانها لبسبيل مقيم » الحجر : ٧٦) أى باق لا يزال ماثلاً للعيان . و قال حكاية عن إبراهيم عليه السلام : « رب اجعلني مقيم الصلاة » إبراهيم : ٤٠) أي مؤدّياً لها كاملة ، و وفقني لتوفية شرائطها ...

المقوم: الخشبة التي يمسكها الحرّاث .

١٤ ـ قاوم :

قاومه : فاعله من القيام أى إذا قام معه ليقضي حاجته صبر عليه إلى أن يقضيها . وفي الحديث : « من جالسه أوقاومه في حاجته صابره »

١٥ـ التقويم :

التقويم ـ تفعيل ـ : التعديل ، فهومصدر قوّم الشيء بمعنى عدّله وأزال مافيه من عوج أو إلتواء ، ومنه تقويم البلدان : لبيان طولها وعرضها ، وربما سمي حساب الأوقات بالتقويم ، وقوّم المتاع : جعل له قيمة معلومة ، جمعه : تقاويم . وتقويم السلعة : بيان قيمتها .

تقويم الشيء : تثقيفه ، قال الله تعالى: « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم» التين : ٤) أى في حالة أحسن حالات التعديل والتهذيب ، فقد خصّه الله عزوجل بانتصاب القامة ومتانة الأعصاب وجودة التفكير وحسن البيان ، وقوّة الارادة وغير ذلك من صفات الانسان المحمودة . . . وقيل : ذلك إشارة إلى ماخصّ به الانسان من بين الحيوان من العقل والفهم، وإنتصاب القامة الدالة على إستيلائه على كل مافي هذا العالم . وقيل : أى منتصب القامة وسائر الحيوان مكبّ على وجهه أو أراد انه خلقهم على كمال في أنفسهم و إعتدال في جوارحهم وميّزهم عن غيرهم بالنطق والتميز والتدبير إلى غيرذلك مما يختص به الانسان .

١٦ـ الاستقامة :

١ـ إستقام الشيء : خلا من العوج . قال الله عزوجل : « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله » الانعام : ١٥٣)الاستقامة يقال : في الطريق الذي يكون على خط مستو، وبه شبّه طريق المحق ، وإستقامة الانسان : لزومه المنهج المستقيم . وفي الحديث : « قل آمنت بالله ثم استقم » أى أشهد بوحدانيته وصدقه بجميع ما اخبرعنه وأمربه ونهى عنه ، ثم ألزم القيام

بحقيقة قولك ، وإستقامة الانسان : ملازمته للمنهج . قال تعالى : « فاستقم كما امرت » هود : ١١٢)إستقام الشخص :سلك الطريق القويم : طريق الحق والخير. قال جل وعلا : « فما استقاموا لكم واستقيموا لهم » التوبة : ٧)أى اسلكوا معهم طريق الحق والخيرماداموا يتبعون ذلك معكم .

إستقام : تمّ .

٣ـ إستقام فلان بفلان : مدحه وأثنى عليه .

المستقيم :المستوي القويم الذي لاإعوجاج فيه، ولاإلتواء يقال:طريق مستقيم. قال الله تعالى : « إهدنا الصراط المستقيم » الفاتحة : ٦) أى الطريق المستوي الذي لاإعوجاج فيه والمراد طريق الحق والخير.

والمستقيم : العادل الذي لاميل فيه عن الحق يقال : ميزان مستقيم .

قال الله عزوجل : « وزنوا بالقسطاس المستقيم » الاسراء : ٣٥)أى بالميزان العادل الذي لايميل عن الحق .

٢٧ - الرد - ٥٥٥

ردّ الشيء يردّه ردّاً ومردّاً من المصادر القياسية ، ومردوداً من المصادر الواردة على مفعول كمحلوف ومعقول ـ من باب نصر نحومدّ ـ : رجعه وصرفه ، وردّه عن وجهه : صرفه .

وردّه إلى منزله : ارجعه ، وردّ إليه جواباً : أرسله ، وردّ التحية : أجاب بمثلها ، وردّ البحر: كثرت أمواجه وهاج ، وردّ الرجل : إنتفخ غضباً ، وردّه:خطّاه وردّ عليه الشيء : لم يقبله ، وردّ الباب : أصفقه وأطبقه . وردّه عن الأمر ولدّه : صرفه عنه برفق .

الردّ: صرف الشيء بذاته أوبحالة من أحواله ، وردّ الشيء : حوّله من صفة إلى صفة كقوله : « فردّ شعورهن السود بيضاً » وردّه على عقبيه : رجعه إلى

ماكان عليه ، ويستعمل هذا في الشر والذم .

قال الله تعالى : « ثم رددناه أسفل سافلين » التين : ٥) أى صيرّناه . وقال : « وردّ الله الذين كفروا بغيظهم » الاحزاب : ٢٥) أى صرفهم . وقال : « وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله » يونس : ١٠٧) أى فلاصارف ولادافع ولامانع له . وقال: «ولو ردّوه إلى الرسول وإلى اولي الأمر منهم » النساء : ٨٣) أى رجعوه . وقال : «ان الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد » القصص : ٨٥) أى راجعك .

وقال : « وإذا حييتم بتحية فحيّوا بأحسن منها أوردّوها » النساء : ٨٦) أى أجيبوا بمثلها .

وقال : « وان مردّنا إلى الله » غافر : ٤٣) أى مصيرنا إليه .

وقال : « وانهم آتيهم عذاب غير مردود » هود : ٧٦) أى غير مصروف .

وفي الحديث : «لايردّ القضاء إلاّ الدعاء » أى لايصرفه ولايدفعه ولا يهونه إلاّ الدعاء .

وفي الخبر: « لاتردّ السائل ولو بظلف محرق » أى لاتردّوه ردّ حرمان بلا شيء ولو أنه ظلف. وفي الحديث : «أسئلك ايماناً لايرتد» أى لايرجع . والمردودة : المطلقة من زوجها ، سميت بها لانها تردّ إلى بيت أبيها بعد الطلاق .

الردّ ـ بكسر الراء ـ : عماد الشيء ، و ـ بفتحها ـ : الكهف والعطفة والرغبة ، والردّ : الظهر والحمولة من الابل . وردّ القول: كرّره و منه حديث الفطرة « يعطي بعض عياله ثم يعطي الآخر عن نفسه يرددونها بينهم » أى يكررونها على هذه الصفة . وفي الحديث : « يردّد عليه قل هو الله أحد » أى يكررها .

الردد ـ كعنق ـ: القباح من الناس جمعه: ردّ. والرادة : خشبة في مقدم العجلة تعرّض بين النبعين. الرديد: السحاب اريق ماؤه . والمرد ـ بضمّ الميم و كسر الراء : الغضبان ، و طويل العزوبة ، فترادّ الماء في ظهره ، وطويل الغربة ، والجمل الذي أكثر من شرب الماء ، والشاة التي انتفخ ضرعها لبروكها على ندى ، جمعها :

مراد . و رجل مرد ـ بكسر الميم و فتح الراء ـ : كثير الرد والكر ، والمردة ـ بالفتحتين ـ: الفائدة، ومنه: «لا مردّة فيه» أى لا فائدة والمردة: الأتباع بلا تعقل في إتباعهم.

إرتدّ يرتدّ إرتداداً : رجع وعاد وتحوّل . والردّة ـ بكسر الراء ـ : إسم منه ، وتختص بالكفر بعد الاسلام ، والارتداد يستعمل في الكفر و غيره ، و ارتد على دبره : رجع إلى ما كان عليه و يستعمل في الشر .

قال الله تعالى: « فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتدّ بصيراً » يوسف:٩٦) أى رجع و عاد . و قال : « ان الذين ارتدّوا على أدبارهم » محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم : ٢٥) أى رجعوا من الاسلام إلى ما كانوا عليه من الشرك والطغيان والكفر والعصيان .

و قال : « من يرتدّ منكم عن دينه » المائدة : ٥٤) أى يتحوّل عن دينه .

و ردّدة الابل : أن تتردّد إلى الماء ، و قد أردّت الناقة و استردّ المتاع : إسترجعه ، إستردّ الشيء : طلبه ، واستردّ الهبة : إسترجعها ، و ارتدّ عن هبته : إرتجعها. ترادّا البيع : تراضيا على فسخه ، ترادّ الماء : إرتد عن مجراه لحاجز .

الردة ـ بالفتح ـ : القبح من شيء من الجمال ، و ـ بالكسر ـ : إمتلاء الضرع من اللبن قبل النتاج .

تردّد يتردّد تردّداً : تراجع، وفي الخبر: « البيّعان يترادّان» أى يردّ كل واحد منهما ما أخذ وهو الاقالة . والتردّد : الذهاب والمجيء ، ويراد به التحيّر كناية أو مجازاً لأن المتحيّر لا يقرّ في مكان .

قال الله تعالى : « و ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يتردّدون » التوبة:٤٥) .

وفي حديث القيامة والحوض : « فيقال لهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم » و أصحاب الردة على ما نقل كانوا صنفين : صنف إرتدّوا عن الدين الاسلامي وهم كانوا على طائفتين : طائفة هم أصحاب مسيلمة الكذاب ، وطائفة اخرى : ارتدوا عن الاسلام وعادوا إلى ما كانوا عليه من الجاهلية . و صنف لم يرتدوا عن الدين بل أنكروا فرض الزكاة و زعموا أن قوله تعالى: « خذ من أموالهم صدقة » خطاب

خاص بزمان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

و ان ردّ يتعدى إلى المفعول الثاني تارة بحرف « إلى » عند إرادة الاكرام كقوله تعالى : « فرددناه إلى امه » القصص : ١٣) و بحرف « على » تارة للاهانة كقوله جل و علا : « يردوكم على أعقابكم » آل عمران : ١٤٩) .

والردّ في اللسان : الحبسة و عدم الانطلاق . و هذا مردود القول : غير مقبول. وتردّد : رجع مرّة بعد اخرى . وبحر مردّ - بضم الميم و كسر الراء - : كثير الموج وهاج ، رجل مردّ : شبق ، و كل حامل دنت ولادتها فعظم بطنها وضرعها فهو مردّ . والردّة : البقيّة وهذا الأمر أردّ عليه : أنفع له . وجاء فلان مردّ الوجه : غضبان . والردّة : تقاعس في الذقن إذا كان في الوجه بعض القباحة و يعتريه شيء من الجمال .

وفي صفة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد » أي المتناهي في القصر كأنه تردّد بعض خلقه على بعض و تداخلت أجزائه .

٥٣ - السفل - ٧١٢

سفل يسفل سفالاً وسفلاً وسفولاً - من باب نصر - : حدر و إنحطّ وسقط و نزل ، نقيض علا و صعد فهو سافل و هم سافلون ، و سفل فلان في خلقه وعلمه و نسبه : نزل من أعلاه إلى أسفله .

و يستعمل في الانحطاط الحسّي والمعنوي :

قال الله تعالى: « وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم » الانفال: ٤٢).

و قال : « ثم رددناه أسفل سافلين » التين : ٥) أى ثم صيّرناه بسبب سوء إختياره و تصرفاته وبعده عن الفطرة السليمة البشرية أرذل المنحطين من أنواع الحيوان . . .

و أفضل التفضيل منه : أسفل و جمعه : الأسفلون ، و مؤنثه : السفلى .

قال الله عزوجل : « و جعل كلمة الذين كفروا السفلى » التوبة : ٤٠).

و قد قوبل بفوق في قوله عزوجل : « إذ جاؤكم من فوقكم و من أسفل منكم » الاحزاب : ١٠) السفلة ـ بكسرالسين ـ : نقيض العلوة ، وسفلةالناس : النذل نحو الدون و أمرهم في سفال ، و سفلتهم : أسافلتهم و غوغاهم و سقّاطهم و أراذلهم مستعار من سفلة الدابة و هي قوائمها .

و في الحديث : « إياك ومخالطة السفلة فانه لا يؤل إلى خير » وفي حديث صلاة العيد : « فقالت إمرأة من سفلة النساء »

و في الفقيه : جائت الأخبار في السفلة على وجوه : فمنها : ان السفلة هو الذي لايبال بما قال ولا ما قيل له . ومنها : انالسفلة : من يضرب بالطنبور . و منها : ان السفلة من لم يسرّه الاحسان و لم تسوؤه الاساءة . و منها : السفلة : من ادعى الامامة و ليس لها بأهل ثم قال : و هذه كلها أوصاف السفلة من إجتمع فيه بعضها أو جميعها وجب إجتناب مخالطته .

والسفلة ـ بفتح السين و كسر الفاء ـ : السقاط من الناس .

يقال : « سفلت منزلته عند الأمير و أمره كل يوم إلى سفال » وفي الحديث: « من صلى بقوم و فيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم إلى سفال يوم القيامة » و سفالة الريح : حيث تمرّ الريح والعلاوة : ضدّها ، والسفالة : النذالة والبذاذة ، وسفالة كل شيء : أسفله ، و علاته : أعلاه . و سفّله : أنزله من أعلى إلى أسفل .

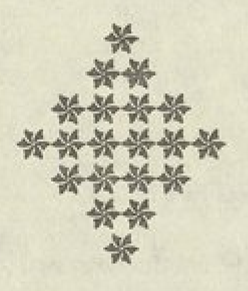
سافله : باداه في أفعال السفلة ، والسافلة : نقيض العالية في الرمح والنهر و غيره .

السافلة : المقعدة والدبر و منه حديث الميت : « يبتدىء بغسل سفليه » يعني العورتين . السافل الابل: صغارها ، وقليل الأسافل : قليل الأولاد ، والأسافل: صغار الابل . والسفلة ـ بكسر الفاء ـ : قوائم البعير لأنها أسفل . وسافلة النهر : أسفله ، يقال : مررت بعالية النهر و سافلته .

تسفّل: تصوّب ، و إستفل : نزل ، واستفل : خسّ حظّه فيه .

الحروف المستفلة هي : « ا ب ت ث ج ح د ذ ر ز س ش ع ف ل ك م ن و ى »

والمسفلة : محلة بأسفل مكة شرفها الله تعالى ، والمعلاة : محلة أعلاها و أسافل الأودية : ضدّ أعاليها .



﴿ النحو ﴾

١- (والتين والزيتون)

الواو الاولى للقسم ، و « التين » مجرور بها ، متعلق بمحذوف ، فتقديره : اقسم بالتين ، والواو الثانية للعطف ، و« الزيتون » عطف على « التين ».

٢- (وطور سينين)

الواو للعطف ، و « طور» مجرور بالعطف على « التين » اضيف إلى «سينين» ولم ينصرف « سينين » كما لا ينصرف « سيناء » لانه معرفة إسماً لبقعة أو أرض، ولو جعل إسماً للمكان أو للمنزل أو إسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكّراً بمذكّر، وهو فعليل كرّرت فيه اللام كـ« خنديد » ولا يجوز أن يكون وزنه : فعلين كـ « غسلين » لأن الأخفش وغيره حكوا ان واحد « سينين » سينية ، ولا يجوز مثل هذا التأويل فى « غسلين » لان « غسلين » لم يسمع فيه غسلينة . وقيل: «سينين» لغة من سيناء .

٣- (وهذا البلد الأمين)

الواو للعطف ، و« هذا » في موضع جرّ ، عطفاً على « التين » ولا يخفى على الأديب الأريب ان الاسم من « هذا » عند البصريين « ذا » و«ها» للتنبيه ، والذال وحدها بغير ألف هو الاسم عند الكوفيين ، و« ذا » إسم مبهم مبنيّ ، وإنما بني لانه لا يخص مسمّى بعينه ، بل ينتقل إلى كل مشار إليه : مما يعقل ومما لا يعقل ، فلا يستقر لشيء بعينه ، فخالف الأسماء ، فدخل بمخالفته الأسماء في مشابهة الحروف

لان الحروف مخالفة للأسماء ، فبني كما تبنى الحروف .

وقال الفرّاء : إنما لم يعرب « ذا » لأن آخره ألف ، والألف لاتتحرك ، و هذا قول ضعيف يلزم منه بناء : موسى وعصى وعيسى ومثنى وشبهها . . .

و« البلد » عطف بيان أوبدل من « هذا » على إختلاف فيهما ، و«الأمين » صفة لـ« البلد » والمراد بالبلد مكة المشرفة ، وصفت بالأمين لان من دخلها كان آمناً .

وفي « الأمين » وجهان : أحدهما ـ من الأمن فيكون فعيلاً بمعنى فاعلاً كعليم بمعنى عالم .

ثانيهما ـ أن يكون الأمين بمعنى المؤمن أي يؤمن من يدخله على ماقال الله تعالى : « ومن دخله كان آمناً » آل عمران : ٩٧) فيكون فعيل بمعنى مفعل كحكيم بمعنى محكم وسميع بمعنى مسمع .

٤ـ (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)

اللام للتأكيد ، جواب القسم ، و« قد » حرف تحقيق إذا دخل على الفعل الماضي ، و« خلقنا » فعل ماض للتكلم مع الغير ، وفاعل الفعل ضمير التكلم ، وقدجاء بالجمع للتعظيم ، و«الانسان » مفعول به والمراد بالانسان جنسه وهو آدم عليه السلام و ذريته أجمعون و« في أحسن تقويم » في موضع حال من الانسان . و« أحسن» أفعل تفضيل ، غيرمنصرف للوصف و وزن الفعل . وقد جرّ هنا بـ« في » لاضافته إلى « تقويم » وان كل مالاينصرف اذا دخلت عليه الألف واللام ، أواضيف إنصرف ، و اريد بالتقويم القوام لان التقويم فعل ، وذاك وصف للخالق لاللمخلوق ، ويجوز أن يكون التقدير في أحسن قوام التقويم ، فحذف المضاف ، ويجوز أن تكون «في» زائدة أي قومناه أحسن تقويم .

٥ـ (ثم رددناه أسفل سافلين)

« ثم » حرف عطف ، و « رددنا » فعل ماض للتكلم مع الغير ، وجمعه لماتقدم

« خلقنا » وضمير الغائب المتصل في موضع نصب ، مفعول به ، وفي « أسفل » وجوه : أحدها ـ مفعول ثان . ثانيها ـ منصوب بنزع الخافض: على تقدير : بأسفل سافلين. ثالثها ـ هو حال من المفعول : رابعها ـ نعت لمكان محذوف . خامسها ـ ظرف معناه في أسفل سافلين . فمفعول فيه للفعل ، اضيف إلى « سافلين ».

وقال تعالى : « أسفل سافلين » على الجمع لأن الانسان في معنى الجمع ولو قال : أسفل سافل لجاز لأن لفظ الانسان واحد ، وتقول : هذا أفضل قائم ، ولا تقول : أفضل قائمين لأن تضمر لواحد ، فان كان الواحد غير مضمون له رجع إسمه بالتوحيد والجمع كقوله عزوجل : « والذي جاء بالصدق و صدّق به اولئك هم المتقون » الزمر : ٣٣)

٦ـ (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون)

« إلاّ » حرف إستثناء ، والاستثناء هنا متصل إذا اريد بالانسان الجنس فيشمل للكافر والمؤمن، والطاغي والعاصي ، ومنقطع بمعنى لكن إذا اريد به الكافر دون المؤمن واريد بالردّ : « رددناه » ردّه إلى جهنم أو إلى نكس الخلق .

و« الذين » موصولة في موضع نصب بالاستثناء من الانسان ، و « آمنوا » فعل ماض لجمع المذكر الغائب من باب الافعال ، وهو صلة الموصول ، والواو في « عملوا » للعطف، و« عملوا » فعل ماض لجمع المذكر الغائب ، عطف على « آمنوا » و« الصالحات » جمع صالحة ، مفعول بها ا « عملوا » و كسرت التاء لأنها غير أصلية ، والفاء للنتيجة و« لهم » متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و « أجر » مبتداء مؤخر على تقدير: فلهم أجر ثابت أو فأجر ثابت لهم . و« غير » اضيف إلى «ممنون» نعت من « أجر » و « ممنون » إسم مفعول من المنّ.

٧ـ (فما يكذبك بعد بالدين)

الفاء للتعليل ، و«ما » إستفهام إنكاري للتوبيخ ، في موضع رفع على الابتداء، و« يكذّب » فعل مضارع للمفرد المذكر الغائب ، و كاف المتصل : «ك» في موضع

مفعول به ، والجملة في موضع رفع ، خبر المبتداء ، وفي الخطاب وجوه : أحدها ـ خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى : فمن يكذبك أيها الرسول بعد هذاالبيان بالدين . ثانيها ـ خطاب للكافر توبيخاً وإلزاماً للحجة . ثالثها ـ خطاب للانسان باعتبارالجنس أي ما الذي يحملك أيها الانسان على التكذيب بالحساب والجزاء.

و « بعد » مبنيّ على الضمّ لانه غاية كقوله تعالى : « لله الامرمن قبل ومن بعد » وفي « بالدين » وجهان : أحدهما ـ ان الباء زائدة . ثانيهما ـ متعلق ب « يكذبك ».

٨ـ (أليس الله بأحكم الحاكمين)

الهمزة للاستفهام الانكاري على سبيل التقرير، و« ليس » فعل ناقص ،و« الله» إسمه ، والباء في « بأحكم » زائدة ، جيئت للتأكيد على تقدير-أليس الله هوأحكم الحاكمين . و«أحكم » أفعل تفضيل ، اضيف إلى « الحاكمين » خبر لفعل الناقص. وان « أحكم » غيرمنصرف للوصفية ووزن الفعل ، وقدانصرف هنا للاضافة ، فانه إذا اضيف خرج من شبه الفعل ، حيث لا تضاف الأفعال ، فانصرف إلى الخفض بالاضافة .



﴿ البيان ﴾

١ـ (والتين والزيتون)

قسم رباني بالتين والزيتون ، في تخصيصهما بالاقسام من بين الثمار والفواكه لمنافعهما الكثيرة ، ولما في التين من جميل المنظر، طيّب المخبر، نشر الرائحة ، سهل الجنى على قدر المضغة ، ولما في الزيتون من تمثيل به إبراهيم الخليل عليه السلام في قوله عزوجل : « يوقد من شجرة مباركة زيتونة » النور: ٣٥) و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «كلوا الزيت و ادهنوا به فانه من شجرة مباركة »

ولاختصاصهما بخواص جليلة ، فان التين فاكهة طيبة ، وغذاء لطيف، سريع الهضم ودواء كثير النفع ، يلين الطبع ويحلل البلغم ، ويطهر الكليتين ، ويزيل ما في المثانة من الرمل ، ويسمن البدن، ويفتح سدد الكبد والطحال كما أن للزيتون فوائد كثيرة وخواص عديدة نافعة على ما ذكره الباحثون .

وقد روي انه اهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طبق من طين، فأكل منه، وقال لأصحابه : «كلوا فلو قلت :ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت : هذه لان فاكهة الجنة بلاعجم ـ نوى ـ فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس »والزيتون شجرته شجرة مباركة يكاد زيتها يضيىء ، ولو لم تمسسه نار نور على نور ، و شجرتهما عجيبتان من بين أصناف الأشجار المثمرة ، فأقسم الله عزوجل بهما أو بشجرتهما للفت النظر إلى نعمة الله تعالى فيهما .

و من المحتمل أن يكون قسماً بمكانين مباركين نزل فيهما الوحي

على بعض الأنبياءِ كما نزل في طورسنين وفي مكة المشرفة البلد الأمين .

٢- (وطورسينين)

قسم ثالث رباني بطورسينين، وايثارالطورمنكراً لتعريفه بالاضافة ،والمراد به هوالجبل الذى كلم الله تعالى فيه موسى بن عمران عليه السلام ويسمّى أيضاً طور سيناء هوفي شبه جزيرة سيناء ، ولم يقل : سيناء لرعاية الفواصل . .

وفيه تذكيربماكان عند ذلك الجبلمن الايات الباهرات التي ظهرت لموسى عليه السلام وقومه ، وماكان بعد ذلك من إنزال التوراة عليه ، وظهور نور التوحيد بعد أن تدنست جوانب الارض بالوثنية ، ومازال الأنبياء بعده يدعون أقوامهم إلى التمسك بهذه الشريعة ، ثم عرضت لها البدع ، فجاء عيسى عليه السلام مخلّصاً لهامما أصابها ثم أصاب قومه ما أصاب الامم قبلهم من الاختلاف في الدين حتّى منّ الله عزوجل على الناس بعهد النورالعام المحمدي صلى الله عليه وآله وإليه تشيرالآية التالية

ففي الآية الكريمة إشارة إلى الفصل الثالث من حياة الانسان وهوظهور الشريعة الموسوية ، وقدكانت تلك الشريعة دعوة لكثيرمن أنبياءِ الله تعالى ورسله إلى عهد المسيح عليه السلام الذيكان خاتمة هذه الشريعة .

٣- (وهذا البلد الأمين)

قسم رابع رباني بمكة المكرمة بالاشارة القريبة لتثبيت التشريف عليها بالتشخيص ، وفي توصيفه بالأمين إما لكونه فعيلاً بمعنى الفاعل كما في دعاء إبراهيم عليه السلام : « رب اجعل هذا البلد آمناً » إبراهيم : ٣٥) فيفيد معنى النسبة ، والمعنى ذي الأمن كاللابن ، وإما لكونه فعيلاً بمعنى المفعول ، فالمراد هوالبلد الذي يؤمن فيه الناس ، فلايخاف فيه من غوائلهم ففي نسبة الأمن إلى البلد نوع تجوّز .

وعلى أيّ التقديرففي الوصف إشارة إلى تحريم سفك الدم فيه ، وكون كل من يدخل فيه آمناً ، وان الأمن خاصة مشرّعة للحرم وهومطلع الرسالة

الخاتمة لما شرع الله عزوجل للناس ، وبها يختتم الفصل الأخير من حياة الانسان على هذه الارض ، فلا أمين تكوينياً وتشريعياً كمكة المكرمة .

والمعنى : واقسم بمكة المشرفة البلد الحرام يأمن فيه الخائف في الجاهلية والاسلام ، لكونه مأمناً يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه .

٤ ـ (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم)

جواب للأقسام الأربعة ، تقرير لتعديل الانسان في شخصه و شخصيته ، و إستوائه في صورته و سيرته ، فان قامته منتصبة ، وصورته حسنة ، وخواص الكائنات فيه مستجمعة ، و قواه الباطنة تامة ، و حواسّه كافية ، و أعضاء بطنه و عمله بما يحتاج إليه في شئون حياته و في معاشه و معاده قائمة .

و فيه قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام :

أتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

و ذلك لان كل ما في المخلوقات جمع فيه .

و في ايثار الفعل : « خلقنا » على التكلم مع الغير من التعظيم ، وفي تنكير « تقويم » من التنويع ما لا يخفى على القارىء الخبير فتأمل جيداً .

و في توكيد هذا الخبر ، و هو خلق الانسان في أحسن تقويم إشارة إلى كثير ممن تشهد عليهم أفعالهم بأنهم ينكرون خلقهم القويم هذا ، و لا يعرفون قدره فينزلون إلى مرتبة الحيوان ، ويسلمون قياد وجودهم إلى شهواتهم البهيمية ، غير ملتفتين إلى ما أودع الخالق فيهم من عقل حمل أمانة أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، فضيع الانسان هذه الأمانة ولاكها في فمه كما تلوك البهيمة العشب . . . و هذا ما يشير إليه قوله تعالى :

٥ ـ (ثم رددناه أسفل سافلين)

في ايثار العطف بكلمة « ثم » للانباء بالتراخي بين تقويم الانسان و ردّه أسفل سافلين بسبب سوء إختياره ما يوجب ذلك ، و فيه تنبيه إلى ما يمكن أن

يتردى إليه الانسان من الانحطاط بالانحراف عن الفطرة المعتدلة المستقيمة، والاعراض عن الايمان و صالح العمل. فالآية الكريمة و ما قبلها تعبير اسلوبي إذ فيهما بيان لخلق الانسان في أحسن تقويم، وما أودع فيه من القوى والمواهب من شأنه أن يجعله يختار الهدى، فيسعد فاذا ما جانب الهدى فيكون قد ارتد إلى أحط الدركات...

فقد ردّ الانسان بهذه الغفلة عن وجوده الحقيقي إلى الوراء، منكّساً في خلقه وخلقه حتى بلغ أدنى مراتب الحيوانية، و صار و راء الحيوان الذي تسيره طبيعته التي ركبت فيه، على خلاف هذا الانسان الذي غيّر فطرته، و إنتقل من عالم الانسان إلى عام الحيوان، فلم يصبح حيواناً و لم يعدّ إنساناً!

وفي تلخيص البيان للسيد الرضي رضوان الله تعالى عليه في الآيتين الكريمتين قال: «وهذه إستعارة والمراد بها إنعكاس صحة أحوال الناس (الانسان) و رجوعه بعد الشباب إلى الهرم، و بعد الصحة إلى السقم، وبعدالحفظ إلى النسيان، و بعد الزيادة إلى النقصان، فكأنه قد حط عال (قد حط من عال) إلى سافل ورد من منصات (منصات الصفرخ) إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً» إنتهى كلامه و رفع مقامه الشريف. و في ايثار الفعل على التكلم مع الغير للتفخيم، و في تنكير «سافلين» للتنويع ما لا يخفى.

٦- (الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون)

إستثناء متصل من ضمير «رددناه» فانه راجع إلى «الانسان» و هو في معنى الجمع، فيعم الذكر والانثى، والكافر والمؤمن، أو من «الانسان» على شموله الجنسي للكافر والمؤمن بناء على أن المراد بأسفل سافلين ردّه إلى الشقاء والعذاب. فيكون قوله عزوجل: «فلهم أجر غيرممنون» قام مقام قوله تعالى: «فلا نردّهم أسفل سافلين» و أما القول بكون «أسفل سافلين» ردّ الانسان إلى الهرم والضعف الحاصل من الكبر و إلى الزمن والأطفال الضعفاء، فالاستثناء

منقطع و « إلاّ » بمعنى لكن .

و معنى قوله عزوجل : « فلهم أجر غير ممنون » أي غير مقطوع بالهرم والضعف الحاصل من كبر السن . والمعنى : إلاّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات في حال شبابهم وقوتهم ، فانهم إذا عجزوا عن العمل كتب لهم ثواب ما كانوا يعملونه من الطاعات والحسنات إلى وقت موتهم .

و هذا معنى قول إبن عباس : « من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر » و قال بعض المفسرين ـ متمسكاً بقول إبن عباس ـ : ان معنى الآية الكريمة : الذين آمنوا و عملوا الصالحات في شبابهم و قوتهم فانهم لا يردون إلى الخرف و أرذل العمر و إن عمروا طويلاً .

و في ايثار المستثنى بالموصول ، وتوصيفه على وصفي الايمان وصالح العمل ، والتفريع بالفاء من إشعار تعليق الحكم على الوصف ، والتوكيد بالجزاء الاخروي و في تنكير الأجر: « أجر » وتوصيفه بكلمة « غير » منكر اضيف إلى « ممنون » منكر من التعظيم والتنويع باعتبارين ما لا يخفى .

٧ ـ (فما يكذبك بعد بالدين)

توبيخ و تنديد بالمكذب على تكذيبه بالجزاء بعد ظهور الدليل القاطع عليه ، على طريق السؤال الاستنكاري عن السبب الذي يحمله على التكذيب بالجزاء الاخروي ، إنكار يكشف عن حال كل مكذب خرج عن إنسانيته ، و تحوّل إلى عالم الحيوان بلاعقل ولالب، وتحوّل إلى سيرة الحيوان وإن كان بصورة الانسان .

والمعنى : أيّ شيء يحملك على التكذيب بالدين بعد ظهور تلك الدلائل الواضحة والحجج الباهرة ، والبراهين القاطعة عليه ، و ان الخطاب للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ولكن المراد غيره . و قيل : خطاب للانسان على طريق الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت . والمعنى : فمن يحملك و يحثّك على التكذيب بالدين بعد تلك الدلائل فمن يضطرك بعدها إلى أن تكون كاذباً مكذّباً بالدين. فالفاء للتفريع

من قبيل تفريع النتيجة على الحجة .

٨ - (أليس الله بأحكم الحاكمين)

جواب رباني باسلوب السؤال التقريري بأن الله عزوجل هو أحكم الحاكمين و ان صفته هذه تقتضي ذلك الجزاء . فأمر الحساب والجزاء بالنظر إلى القدرة ممكن الوقوع ، و بالنظر إلى الحكمة والعدل واجب الوقوع ، والاية الكريمة تثبت الأمرين فتدبر جيداً و اغتنم جداً إذ فيها توكيد لما سلف وتقرير لعدل الله جل و علا و حكمته .

ولايخفى ان ألف الاستفهام إذا دخلت على النفي ، و في الكلام معنى التوفيق صار ايجاباً كقول إبن جرير :

ألستم خير من ركب الخطايا و أندى العالمين بطون راح

ففي الاية تقرير للانسان على الاعتراف بأن الله جل وعلا أحكم الحاكمين في صنعه و قضائه و تدبيره ، و انه لا خلل في شيء منها و لا إضطراب ، فكيف يترك هذه الخلائق و يهملهم فلا يجازيهم .

ففيها بيان لحاكمية مطلقة ، متقنة حقة نافذة ثابتة لله عزوجل من غير إضطراب و وهن ، فيحكم على الناس في الآخرة باختلاف الجزاء لاختلافهم في العقائد والأعمال في الحياة الدنيا ، و فيها تتميم للحجة المشار إليها بما يتوقف عليه تمامها .

وقيل: هو إنكار بعد إنكار لمن زهدوا فيما زهدوا فيما أودع الخالق المتعال فيهم من آياته فردّوها وعرّوا أنفسهم منها، كأنهم لا يرضون بما زيّنهم الله جل وعلا به ، و كأنهم يرون أن ما صنع الله تعالى بهم ليس على التمام والكمال ، فهم يزهدون فيه و يطلبون لأنفسهم ما هو أحكم و أكمل . . . فالتكذيب بالدين لا يكون من إنسان عاقل رشيد ، و إنما يكون ممن سفه نفسه و جهل قدره !

﴿الاعجاز﴾

ولعمري إذا تدبّرنا في اسلوب هذه السورة ونظم آيها ، وتفكّرنا في علوّ مضامينها ، و رفيع مبانيها نجدها وحدها على قصرها على ماليس في وسع الانس ولاإستطاعة الجن على أن يأتوا بمثلها لفظاً ومعنى، وإن كان بعضهم لبعض ظهيراً .

أما اللفظ : فلا يستطيع أحد بأداء ما اريد منها بأيّ عبارة من العبارات ، وبأيّ اسلوب من الأساليب غيرما هي عليه !

وأما المعنى ـ فباضافة الاخبار بالغيب فيها من بقاء الأمن والأمان للبد الأمين ، و أهله وغيرهم من المؤمنين ، و ان ما أراد أحد ولايريد بايذائه وايذاء أهله إلّا وهو ينكبّ على وجهه بقريب ـ : ففيها بيان تكوين الانسان في أحسن تقويم ، وقدكانت البشرية غافلة عن ذلك ، فانظر إلى النبات فلماكان أخسّ نفساً، كيف كان مَنكوس الرأس وهوأصله الذي في الأرض فاذا قطع بطلت قواه ،وإلى الحيوان غيرالناطق ، فلماكان أتم من النبات ، صاررأسه من التنكس إلى التوسط، ولكنه ما استقام ، ثم انظرإلى الانسان وتفكرفيه، فانه لما فضّل عليهما بالنفس، صاررأسه إلى السماء وإنتصب قامته فقال الله جل وعلا مقسماً بأربعة امورعظيمة: «لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » التين : ٤) من أمرنفسه ، وإعتدال بدنه ، وتناسب صورته ، وإستواء سيرته . . .

كما قال : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحرورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرممن خلقنا تفضيلاً » الاسراء : ٧٠)

وقال: «ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السموات وما في الارض و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» لقمان: ٢٠)

مع الاشارة إلى تطرق الانسان في الحياة الدنيا على طريقين: طريق الكفر والطغيان، طريق الاستكبار والعصيان، وطريق الفساد والخسران فمآل أمره إلى الانحطاط والهلاك والنار . . .

وسبيل الايمان والطاعة، سبيل الهدى والرقى، وسبيل الصلاح والفلاح، فعاقبة أمره إلى النجاة والسعادة والجنة ونعيمها، وما كان الانسان يومئذ أن يجول في فكرته ذلك .

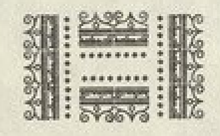
فمن كان له قلب سليم فلينظر إلى ما في هذه السورة الكريمة ويتلوها حق تلاوته فيرى العجب العجاب، فهل بعد هذا كله يستطيع العقل أن يسلم بأن غريباً بعيداً عن مظان العلم والحكمة، غريباً عن معاهد الشرائع والقوانين . . . في وسط امة جاهلية لاعهد لها بكتاب سماوي ولابنظام وضعي، يأتي بمثل هذه الاصول التي تفوق في جلالتها وفخامتها ما يفخر به العلم والعلماء وتتيه به الحكمة والحكماء من محصول العقل والنظر والتأملات والعلوم في القرن العشرين !

فأيّ دليل أبلغ من هذا الكتاب وحي إلهي ؟ و أيّ حجة يريدها من يريد الحجة أقطع منها على صدور هذا الكتاب من علام الغيوب ؟

ان هذا القرآن الكريم خلق شريف في أحسن تقويم كخلق الانسان له أجزاء وأعضاء، فكله معجزة كما أن كل جزء منه معجزة لن يقدر أحد أن يخلق مثله، فالعين عضو، والأنف عضو، واللسان عضو، والاذن عضو، والأنامل عضو. . .

فلو اجتمع الجن والانس على أن يخلقوا عيناً ولساناً واذناً وأنفاً وأنامل مثل عين الانسان ولسانه واذنه وأنفه وأنامله لن يقدروا كما انهم لن يستطيعوا على خلق الانسان وإن كان بعضهم لبعض ظهيراً فكذلك القرآن الكريم . . .

فهذه السورة معجزة كنفس القرآن كله ، ولاشك انها خالدة تشهد على صدق رسالة محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أنه واحد من هؤلاء الذين أرسلهم الله عزوجل للامم بالهدى ودين الحق ، بل بأنه أكبرهم شأناً وأجلّهم قدراً صلوات الله عليهم أجمعين .



﴿التكرار﴾

واعلم أن في المقام بيان أربعة امور :

أحدها ـ ان السور التي افتتحت بالأقسام الربانية على الذوات والصفات، وعلى الأزمان والأماكن ، من السماوية والأرضية خمس عشرة سورة على الترتيب التالي :

١ـ سورة الصافات. ٢ـ سورة الذاريات . ٣ـ سورة الطور. ٤ـ سورة النجم ٥ـ سورة المرسلات ـ ٦ـ سورة النازعات . ٧ـ سورة البروج . ٨ـ سورة الطارق. ٩ـ سورة الفجر. ١٠ـ سورة الشمس. ١١ـ سورة الليل . ١٢ـ سورة الضحى . ١٣ـ سورة التين . ١٤ـ سورة العاديات . ١٥ـ سورة العصر كلها بواو القسم .

مضافاً إلى سور : يس ، وص ، وحاميمين : الزخرف والدخان ، وق ، ون. ولااقسم بيوم القيامة ، ولا اقسم بهذا البلد .

ثانيها ـ ان السور التي يشتمل كل واحد منها على ثمان آيات خمس:

١ـ سورة الانشراح . ٢ـ سورة التين. ٣ـ سورة البينة . ٤ـ سورة الزلزال. ٥ـ سورة التكاثر.

ثالثها ـ ان الله تعالى قال في هذه السورة : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » التين : ٤) وقال في سورة البلد : « لقد خلقنا الانسان في كبد » : ٤) كلاًّ لما يقتضيه المقام ويدور عليه الغرض مع رعاية الفواصل في السورة فلا مناقضة بينهما كما توهم بعض المتفسّرين ، فتأمل جيداً .

رابعها - نحن نشير في المقام إلى صيغ خمس لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - الصيغ التي جائت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية :

١- جاءت كلمة (التين) في القرآن الكريم مرة واحدة وهي في سورة التين:١)

٢- » » (الزيتون) » » على صيغها سبع مرات :)

١و٢- سورة النور : ٣٥) ٣- سورة عبس : ٢٩) ٤- سورة التين : ١) ٥- سورة النحل : ١١) ٦و٧ - سورة الانعام : ٩٩ و١٤١)

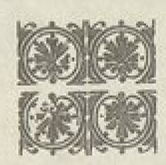
٣- » » (القيام) » » نحو : ٦٦٠ مرة :)

وأكثر صور هذه المادة : « قوم » إذ ذكرت /٣٨٣ مرة ، وقد اضيف سبع وسبعون منها إلى الضمائر المتصلة المختلفة ، و/٢٠٦ منها الاخرى جائت منكرة ، ومضافة إلى إسم الظاهر، ومعرّفاً باللام .

٤- » » (الردّ) » » نحو : ٦٢ مرة)

٥- » » (السفل) » » : ١٠ مرات :)

١و٢- سورة التين : ٥) ٣- سورة الأحزاب : ١٠) ٤- سورة الأنفال :٤٢) ٥- سورة النساء : ١٤٥) ٦- سورة الصافات : ٩٨) ٧- سورة فصلت : ٢٩) ٨- سورة التوبة : ٤٠) ٩- سورة الحجر: ٧٤) ١٠- سورة هود : ٨٢)



﴿التناسب﴾

واعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث :

احدها : التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة « البروج » فلما مضت فيهاقصة الطائفتين المختلفتين: طائفةالكفر والطغيان،وطائفة أهل الطاعةوالايمان، وذكر فيهابالاجمال مآل أمر الأولين بالهلاك والدمار ، وعاقبة أمر الآخرين بالنجاة والفلاح في الحياة الدنيا مستشهداًبقصة فرعون وثمود ، وبالناروالعذاب ، وبالجنة ونعيمها في الدار الآخرة ، اشيرفي هذهالسورةإلى تكوين الانسان في أحسن تقويم ،وما أودعهالله عزوجل فيه..فاستعدبه للكفر والمعصيةفاختارهمابسوءإختياره والانحراف عن فطرته ، وللايمان والطاعة بحسن إختياره والبقاء على فطرته فهوفي خيار بينهما.

وإنما النجاة لمن آمن وعمل صالحاً ، والانحطاط والدرك الاسفل على من كفر وعمل فاسداً ، فاختلاف الجزاء بسبب إختلاف الاختيار، وبه تختلف العقائد والأعمال ، فالله جل وعلا يحكم بالحق بين الناس وهوأحكم الحاكمين .

وأما الثانية : فالتناسب بينها وبين ما قبلها مصحفاً فبامور :

الاول :ان سورة«الانشراح»لمّا بدئت بالدعوةإلى الكدّ والنصب في الحياةالدنيا ليبنى الانسان بذلك دارمقامه في الآخرة ، ويعمرها بمايساق إليه فيها من نعيم الله

تعالى و رضوانه ، بدئت سورة «التين» بهذه الأقسام الربانية لتقرير حقيقة الانسان وتذكيره بوجوده ، و أن الله عزوجل خلقه في أحسن تقـويم ، و أودع فيه القوى التي تمكّن له من الاحتفاظ بهذه الصورة الكريمة ، و أن يبلـغ أعلى المنـازل عند الله جل وعلا، ولكن ميل الانسان إلى حبّ العاجلة قد أغراه باقتطاف اللذات الدانية له من زخارف دنياه دون أن يلتفت إلى درجات آخرته فيعمل لها فردّ إلى أسفل سافلين . . . وقليل هم اولئك الذين عرفوا قدرأنفسهم ، فعلوا بها عن هذا الافق الضيق ، ونظروا إلى ماوراء هذه الدنيا .

الثاني : لما بيّن في سورة «الانشراح» ما يتعلق بالرسالة السماوية، والدعوة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم أخذ في هذه السورة بذكر حقيقة الانسان و إستعداده لتلبية هذه الدعوة وتكذيبها ،فيؤمن بها بحسن إختياره ، ويكذّبها بسوء إختياره ، ولذلك تختلف العقائد والاعمال ، فالله عزوجل هو الحاكم بين أهلها بعد لـه ، فيجزي كلاً على ما يستحقه إن خيراً فخيراً ، و إن شراً فشراً .

الثالث : ان الله تعالى لما ذكر في السورة السابقة حـال أكمل خلـق الله عزوجل ذكر في هذه السورة حال النوع الانساني ،وما ينتهي إليه أمره ، وماأعدّ سبحانه لمن آمن برسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعمل عملاً صالحاً .

الرابع : ان الله عزوجل لما أمر في ختام السورة السابقة بالرغبة إليه تعالى، إفتتح هذه السورة بذكر انه الخالق الذي يليق للعبادة دون ماسواه بعدأن اقسم عليه.

وأما الثالثة: فلما اقسم الله تعالى بشجرتين أو بثمرتهما، وهما أكثر خواصاً وأنفع ثماراً للانسان من بين الثمار، ثـم أقسم بمكانين هما أشرف الأمكنة مـن بين الأماكن . . . أخذ ببيان حقيقة أشرف المخلوقات وهو الانسان الذي يكـون نموّ جسمه بالأول ، ونموّ روحه وكماله بالثاني ، وهو الذي أودع الله جل وعلا فيه من القوى والمواهب التي يمتازبها من غيره من الحيوان والنبات والجماد... فبه صار مختاراً في تطرّقه إلى كماله .

فهو في خياربين الانحطاط والدرك الأسفل بالكفر والجناية ، بـالاستبداد

والخيانة ، بالاستكبار والغواية ، وبالظلم والمعصية ، وبين الكمال والتنعم من نعيم الجنة بالايمان والطاعة ، بالعدل والأمانة ، وبالتقوى والولاية لأهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين .

فباختلاف الاختيار يختلف المآل والجزاء والله جل و علا هو الحاكم بين عباده . . . وقد قدّم الله تعالى أهل الكفر والطغيان في الذكر لعدم إحتياجهم إلى مؤنة إلّا الانحراف عن الفطرة ، ولكثرة السبيل وعدم الحصر لهما ، ولتقدم الخوف على الرجاء ، والوعيد على الوعد في الذكر ،فأخّر الله عز وجل أهل الايمان والطاعة تنبيهاً على أن فيهما النجاة والكمال ، والجنة ونعيمها ، ولصاحبهما الأجر من الله تعالى بغير منّ ، وفيما سواهما إنحطاط وهلاك ودمار ونار وعذاب .

فاتصل قوله عزوجل : « أليس الله بأحكم الحاكمين » بما قبله من ذكر الدين والجزاء على سبيل التنبيه على الاعادة ، فان الحكيم إذا كلف وأمر ونهى ، وخلى بين الظالم والمظلوم ، فلابد من المجازاة والانصاف والانتصاف ، فاذا لم يكن ذلك في الحياة الدنيا فلابد من البعث فان أحكم الحاكمين صفة تقتضي ما ذكرناه .

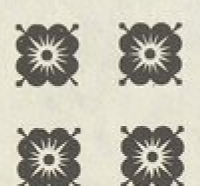


﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

قيل: إن قوله تعالى: « فما يكذبك بعد بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين » التين : ٧ ـ ٨) منسوخ بآية السيف ، و هي قوله عزوجل : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . . . » التوبة : ٥) .

أقول: لاوجه له ، لان الحكم في المقام ثابت فلاتنافى بينهما ، إذ في آيتي التين تهديد ، و إشارة إلى عدل الله عزوجل الثابت مع الأبدية .

فلا ناسخ ولامنسوخ ولامتشابه في هذه السورة ، فآيها محكمة والله جل وعلا هو أعلم .



﴿تحقيق في الاقوال﴾

١ - (والتين والزيتون)

في التين والزيتون أقوال : ١ - عن إبن عباس والحسن و مجاهد وعكرمة و إبراهيم النخعي و عطاء بن أبي رباح و جابر بن زيد و قتادة و مقاتل والكلبي : التين : الفاكهة التي يأكلها الانسان من شجرة التين ، والزيتون : الزيت الذي يعصره الانسان من الزيتون . و قالوا : هو تينكم الذي تأكلون ، و زيتونكم الذي تعصرون منه الزيت .

قيل : وهذا أصحّ الأقوال لانه الحقيقة ، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلاّ بدليل .

و قيل : إذا أخذنا بالقول بأن التين والزيتون هما هاتان الثمرتان لانجد جامعة بين التين والزيتون ، وبين طور سينين والبلد الأمين ، و عادة القرآن الكريم انه لايجمع بين الأقسام إلاّ إذا كانت بينها علاقة تشابه أو تضادّ ، وهنا لانجد علاقة واضحة بين هاتين الفاكهتين ، و بين طور سينين والبلد الأمين ، اللهم إلاّ إذا قلنا: ان طور سيناء ينبت فيه التين والزيتون ، و يطيب ثمره فتكون العلاقة بينهما علاقة نسبة إلى المكان ، و يقوّى هذه النسبة ان القرآن الكريم أشار في موضع آخر إلى منبت شجرة الزيتون ، و ان طور سيناء هو أطيب منبت لها إذ قال الله تعالى: «وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين» المؤمنون :٢٠).

وقيل: ومما لابد منه هو تناسق الاطار في أقسام القرآن مع الحقيقة التي

تعرض فيها و هنا نجد تناسقاً دقيقاً أنيقاً بينهما ، فلكي يثبت أن الانسان مخلوق بجزأيه : الجسم والروح في أحسن تقويم ، يقسم بالتين والزيتون كامل الفواكه لعرض الكمال الجسماني للانسان ، و بطور سينين و هذا البلد الأمين كأفضل البلاد الموحى فيها على أعظم رجالات الوحي لعرض الكمال والاستعداد الروحي للانسان، ولكي يثبت سفال الانسان لو تخلف عن المقام العال يشير إلى سفال الفاكهتين بعد إنهضامهما و سفال البلدين لو تخلفا عما أوحى فيهما ، فليس العلو العال للانسان لزاماً له لأنه خلق في أحسن تقويم ، وإنما هو بحاجة إلى تقدمة زاد الايمان والعمل الصالح ، ولكي يفلح ويمضي سليماً في هذه العقبات والعرقلات التي تتربص به دوائر الضلال والسفال .

فهما فاكهتان معروفتان مع ما يحملان من رمز الكمال فيهما ، وفي البلاد التي تنبتهما، فالتين شجرة عطوفة أليفة تفي قبل الوعد بخلاف الخلاف التي تعدو تخلف إذ تورق ولا تثمر و كذلك ذوات الأثمار التي تعد ثم توفى ، فالتين شجرة تظهر المعنى قبل الدعوى ، وهي تهتم بغيرها في ثمرها قبل أن تهتم بنفسها في ورقها، تثمر ثم تورق ، فكما أن هاتين الفاكهتين من أقوم الفواكه و أتمها كذلك بدن الانسان فانه خلق في أحسن تقويم .

٢ ـ عن إبن عباس أيضاً : التين : مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي والزيتون : مسجد بيت المقدس . وقيل : التين : الجبل الذي إستوت عليه سفينة نوح عليه السلام وكان منبت التين والزيتون : غصن الزيتون الذي عادت به الحمامة التي أطلقها نوح عليه السلام من السفينة لترتاد حالة الطوفان ، فلما عادت و معها هذا الغصن عرف ان الارض إنكشفت و أنبتت .

٣ـ قيل: التين: منبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم عليه السلام ومولد عيسى عليه السلام ومنشأته . ٤ـ قيل: هما مسجدان بالشام . ٥ـ قيل: هما بلدان . ٦ـ عن الضحاك : التين : المسجد الحرام ، والزيتون : المسجد الأقصى .

٧- عن إبن زيد و كعب الأحبار وعبد الرحمن بن غنيم : التين : مسجد دمشق، والزيتون : مسجد بيت المقدس . ٨- عن قتادة : التين : الجبل الذي عليه دمشق ، والزيتون : الجبل الذي ببيت المقدس ولعل إطلاق إسم الفاكهتين على الجبلين لكونهما منبتيهما . ولعل الاقسام بهما لكونهما مبعثي جمّ غفير من الأنبياء عليهم السلام.

٩- عن محمد بن كعب : التين : مسجد أصحاب الكهف ، والزيتون : مسجد ايلياء .

١٠- عن كعب الأحبار وقتادة وعكرمة وإبن زيد أيضاً : التين : دمشق ،والزيتون: بيت المقدس .

١١- عن الفراء انه قال : سمعت رجلاً من أهل الشام يقول : التين : جبال مابين حلوان إلى همدان والزيتون: جبال الشام . ١٢- قيل : التين والزيتون هما جبلان بالشام يقال لهما : طور زيتا وطور تينا بالسريانية ، وقد سميا بذلك لأنهما ينبتانهما باعتبار الحال والمحل. وقيل : التين : إشارة إلى طور تيناء بجوار دمشق، والزيتون إشارة إلى طور زيتاء ببيت المقدس .

١٣- قيل : التين إشارة إلى شجرة التين التي راح آدم وزوجه يخصفان من ورقها على سوآتهما في الجنة التي كانا فيها قبل هبوطهما إلى الأرض والزيتون إشارة إلى بيت المقدس نفسه . ١٤- عن عكرمة أيضاً : التين والزيتون جبلان بالشام وقال النابغة :

صهب الظلال أتين التين في عرض يزجين غيماً قليلاً ماؤه شبما

والصهب والصهبة : الحمرة . والعرض : الاعتراض أو الجانب ، ويزجين : يسقن والشبم : بارد . والبيت في وصف سحائب لاماء فيها . وسمّي الجبلان بهما لأنهما ينبتانهما .

١٥- قيل : أي واقسم بمنابت التين والزيتون . على حذف المضاف . ١٦- قيل : إن التين والزيتون فاكهتان ، ولكنّ الله جل وعلا لم يقسم بهما هاهنا لفوائدهما بل لما يذكّران به من الحوادث العظيمة التي لها آثارها الباقية ، و ذلك ان الله

سبحانه أراد أن يذكّرنا بأربعة فصول من كتاب الانسان الطويل من أول نشأته إلى مبعث النبي الكريم ﷺ فالتين إشارة إلى عهد الانسان الأوّل فان آدم عليه السلام كما تقول التوراة - كان يستظل في الجنة بشجر التين ، وعندما بدت له و لزوجه سوء آتهما طفقا يخصفان عليهما من ورق التين . . . فهذا أوّل فصل من فصول حياة الانسان .

وإن الزيتون يشير إلى الفصل الثاني وهوعهد نوح عليه السلام وذلك انه بعد أن فسد البشر وأهلك الله تعالى من أهلك بالطوفان ، ونجّى نوحاً ومن معه في السفينة واستقرّت السفينة على اليابسة - نظر نوح - كما تقول التوراة - إلى ما حوله فرآى الحياة لاتزال تغطى وجه الارض ، فأرسل حمامة تأتي له بدليل على إنحسار المياه عن وجه الأرض ، فجائت إليه ، وفي فمها وريقات من شجر الزيتون ، فعرف أن المياه بدأت تظهر على وجه الارض من جديد .

فالتين والزيتون يذكران بهذين العصرين : عصر آدم أبي البشر الأوّل ، و عصر نوح أبي البشر الثاني .

١٦- قيل : ان التين والزيتون هما مكانان مباركان نزل فيهما الوحي على بعض الأنبياء كما نزل في طور سينين ، وفي مكة البلد الأمين . ١٧- قيل : التين هو شجرة التين يأكل منها الانسان ثمارها ، والزيتون هو شجرة الزيتون يعتصر منه الانسان الزيت فاقسم الله تعالى بهما لما من الخواص والفوائد الكثيرة ومالهما من شأن في تنمية الجسم الانساني ولذلك كان جديراً أن يقسم بهما في المقام المناسب .

١٨- قيل : اريد بالتين والزيتون فلسطين التي كانت منذ القديم مشهورة بكروم التين والزيتون ، وكان هذا مما يعرفه السامعون أيضاً - والتي بعث فيها عيسى عليه السلام وأنبياء عديدون قبله ، وانه بذلك يتم التساوق في أعلام القسم الرباني حيث يكون الله عزوجل ، قد اقسم بالأماكن الثلاثة التي شرفها برسالاته ، و وحيه وهي مكة وفلسطين وطور سيناء .

١٩ـ قيل: اريد بهما الجبلان على أن التين هو جبل تكثر فيه شجرة التين من جبال القدس و حبرون ـ وهو إسم قرية فيها قبر إبراهيم عليه السلام بالبيت المقدس و قد غلب على إسمها الخليل و يقال لها : حبرى أيضاً ـ الذى تجلّى عليه الله تعالى لابراهيم الخليل عليه السلام ، و على أن الزيتون جبل الزيتا الذى تجلّى فيه الرب عزوجل لاسرائيل يعقوب أبي الأسباط و للمسيح عليه السلام فيه مواقف كثيرة فالاقسام بهما فواضح . كما ان طور سنين هو الجبل الذى تجلى فيه الله تعالى لموسى عليه السلام و ان البلد الامين هو جبل حراء الذى تجلّى فيه الحق لحبيبه محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فالجبال الاربعة هي مظاهر الانوار الالهية ، والتجليات الربوبية على الارواح النبوية والهيا كل البشرية الكاملة ، فهل شيء أحق منها أن يقسم بها .

أقول: والسابع عشر هو الظاهر من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الاخر .

٢ ـ (و طور سينين)

في الآية الكريمة أقوال : ١ ـ عن إبن عباس والحسن : هو طور سيناء من أرض الشام و هو الجبل الذي كلّم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام . و عن إبن عباس وقتادة: معنى «سينين» : الحسن بالأشجار المثمرة . ويلزم على هذا التأويل أن ينوّن الطور على النعت أو يكون من باب إضافة الموصوف إلى الصفة . وعن مقاتل: كل جبل يحمل الثمار فهو سيناء وسينين أي حسن بلغة النبط . وعن عكرمة: سينين: حسن بلغة الحبشة يقولون للشيء الحسن سيناء و سينين . والمعنى: الجبل الحسن لحسن منظرته للنبات والشجر .

٢ ـ عن إبن زيد : هو جبل بيت المقدس ، ممدود من مصر إلى أيلة . وأيلة تعرف اليوم باسم العقبة . ٣ ـ عن مجاهد : « سينين » : مبارك بالسريانية . كأنه قيل: جبل الخير الكثير المبارك لانه إضافة تعريف . و عن عكرمة : أي كثير النبات والشجر . وقيل: سينين إسم للمكان الذي فيه الطور، سمّي بذلك لحسنه وبركته . و عن الأخفش : «طور» جبل و «سينين» : شجر. فيلزم على هذا أن ينوّن الطور .

٤ ـ عن مجاهد أيضاً : سينين : حجر بعينه ، اضيف إليه الجبل لوجوده عنده . ٥ ـ قيل : طور سينين يشير إلى الفصل الثالث من حياة الانسان وهوظهور الشريعة الموسوية ، وقدكانت تلك الشريعة دعوة لكثير من أنبياء الله و رسله إلى عهد المسيح عليه السلام الذي كان خاتمة هذه الشريعة . ٦ـ عن قتادة أيضاً : طورسينين: مسجد موسى عليه السلام . و عن إبن زيد : طور سينين هو الطور .

أقول: و على الاول جمهور المفسرين و في معناه بعض الاقوال الآخر .

٣ ـ (و هذا البلد الأمين)

في « البلد الأمين » أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و مجاهد و عكرمة والحسن والفراء و إبراهيم النخعي و إبن زيد و كعب الاخبار و قتادة : البلد هو مكة المكرمة . و لعلهم أرادوا بمكة المسجد الحرام فقط أو الحرم بحدوده لا كل بلادها . و سمّاها أميناً لكونها آمنة . فالأمين بمعنى الآمن . قال الشاعر :

ألم تعلمي يا إسم ويحك انني حلفت يميناً لا أخون أميني

يعني آمني .

و بهذا احتجّ من قال : انه أراد بالتين دمشق ، و بالزيتون بيت المقدس . فأقسم الله تعالى بجبل دمشق لانه مأوى عيسى بن مريم عليه السلام و بجبل بيت المقدس لأنه مقام الأنبياء عليهم السلام ، وبمكة المكرمة لأنها أثر إبراهيم عليه السلام ودار محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٢ ـ قيل : البلد الأمين هو المسجد الحرام فقط ، وفيه يأمن الخائف في الجاهلية و في الاسلام ، فالأمين يعني المؤمن يؤمن من يدخله .

قيل : ان هذه محال ثلاثة بعث الله تعالى في كل واحد منها نبياً مرسلاً من اولي العزم أصحاب الشرائع الكبار :

الاولى : محلة التين والزيتون و هي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام .

الثانية : طورسينين وهو طورسيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام .

الثالثة: مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً وهو الذي أرسل الله تعالى فيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً للعالمين.

قيل: وقد ذكر في آخر التوراة هذه الأماكن الثلاثة: جاء الله من طور سيناء ـ يعني الذي كلّم الله عليه موسى بن عمران، و أشرق من ساعير ـ يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى ـ و استعلن من جبال فاران يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فذكرهم مخبراً عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتبهم في الزمان، ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم بالأشرف منهما.

٣ ـ قيل: البلد الأمين هو الحرم بحدوده، حيث ان توصيف الحرم بالأمن في قوله تعالى: «أو لم يروا إنا جعلنا حرماً آمناً» العنكبوت: ٦٧) و إطلاق البلد على الحرم بحدوده ممالا يمكن الانكار، كما يستفاد من سياق دعاء إبراهيم عليه السلام و طلبه الأمن للبلد على ما حكاه الله عزوجل عنه في قوله: «رب اجعل هذا بلداً آمناً» البقرة: ١٢٦) وفي قوله تعالى: «رب اجعل هذا البلد آمناً» إبراهيم: ٣٥) هو الحرم بحدوده بناء على شمول مكة الحرم بحدوده و غيره من بلادها على ما قيل، و إلّا فالبلد هو مكرمة المكرمة.

أقول: ان وصف البلد بالأمن يؤيد الثاني و إن كان الثالث غير بعيد.

٤ ـ (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم)

في «الانسان» أقوال: ١ ـ عن مجاهد و قتادة و إبراهيم: اريد بالانسان آدم و ذريته. فاريد به الجنس الذي يشمل للمؤمن والكافر، والمذكر والمؤنث.

٢ ـ قيل: اريد بالانسان الكافر. ٣ ـ قيل: هو الوليد بن المغيرة. ٤ ـ قيل: هو كلدة بن أسيد. فعلى هذا نزلت في منكري البعث والجزاء. ٥ ـ قيل: الانسان هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أقول: وعلى الأول جمهور المفسرين و ذلك لأن المقام بصدد بيان تكوين الانسان بما هو إنسان في أحسن تقويم.

وفي « أحسن تقويم » أقوال :١- عن إبن عباس وعكرمة : هو إعتداله وإستواء شبابه وتعديل لصورته ، حيث إن التقويم : جعل الشيء على ماينبغي أن يكون عليه في التأليف والتعديل . والمعنى : لقد خلقنا الانسان في أحسن تعديل لشكله و صورته وتسوية لأعضائه .

٢- قيل : أي الشباب القوي الجلد ، فاستوى شبابه وجلده وقوته ، وهو أحسن مايكون وأعدل وأقوم . والمعنى : لقد خلقنا الانسان فبلغنا به إستواء شبابه وجلده وقوته وهو أحسن ماينبغي أن يكون عليه .

٣- عن قتادة ومجاهد وإبراهيم وأبي العالية والكلبي : أي خلقنا آدم عليه السلام و ذريته في أحسن صورة وأعدل خلق . ٤- عن إبن عباس أيضاً : أي منتصب القامة، لانه ليس شيء من الحيوان إلّا وهو مكبّ على وجهه غير الانسان وهو مستوي القامة سوي حسن أعضائها ، فله بالاستواء إستيلاء على غيره .

والمعني : لقد خلقنا الانسان في أحسن صورة ، إذ جعلناه مديد القامة ، حسن الهزة يتناول مايريد بيده لا كسائر الحيوان، يتناول مايريد بفيه ، إلى أنه خصّه بالعقل والتمييز والاستعداد لقبول العلوم والمعارف ، وإستنباط الحيل التي بها يستطيع أن يكون له السلطان على جميع الكائنات ، وله من الحول والطول مايمتدّ إلى كل شيء .

٥- قيل : ليس معنى : « أحسن تقويم » : أنه فاق الخلق كله ، وإنما :ليس في الخلق أقوم منه ، ومنه من هو مثله في القوام : « وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » الاسراء : ٧٠) فمن هذا القبيل الذي يشبه الانسان في القوام ؟ قال القائل: أنا لاأدري ! وعلّه من إنسان السماء الذي تشير إليه بعض الآيات . . . كقوله تعالى: « ومن آياته خلق السموات والارض ومابث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير » الشورى : ٢٩) أم هو وسواه ممن لانعرف !

ثم قال : إن الأصل في خلق الانسان - إلهياً - هو أحسن تقويم ، لودام في

المشي على قوامه كما هداه الله تعالى في التكوين والتشريع: تكوينه الفطري والعقلي، وتشريعه الالهي الواصب غير الخليط، وفيما إذا سلك سبيل التخلف، فجزاؤه أن يردّ إلى أسفل سافلين، لحدّ لاأسفل منه في الخلق، رغم انه ماكان أقوم منه في الخلق إذاً فهو هو النازل من العلوّ العال إلى أسفل السفال، وليس إلّا بفعاله هو، والله يتركه - إذاً - ثم يعبر عن تركه له أنه ردّه إلى أسفل سافلين.

ان جانب الخير في الانسان أقوى من جانب الشر إذ خلق في أحسن تقويم، فهو مهيّىء لأن يبلغ من الرفعة مدى يفوق أكرم الملائكة جبرائيل، إذ وقف وسط الطريق، وارتفع محمد صلى الله عليه وآله وسلم الانسان إلى المقام الأسنى.

٦- قيل: أي ان الله تعالى خلق الانسان على كمال في نفسه، و إعتدال في جوارحه وأعضائه، وإبانة عن غيره بالنطق والتمييز والفكر والتدبير، و غير ذلك مما يختصّ به الانسان، وفي ذلك إشارة إلى حال الشباب.

٧- قيل: أى في أجمل شكل، وأشرف عقل، وأحسن قوام، وأحكم نظام، فالأليق به أن يعمل ماينسجم مع عقله وشكله. ٨- عن الأصم: أى في أكمل عقل وفهم وبيان. وقيل: ان الله تعالى اعطى الانسان في الأولى أحسن الأشكال، وفي الآخرة أحسن الخصال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب.

أقول: والسادس هو الأنسب بظاهر السياق، وفي معناه بعض الأقوال الآخر.

٥- (ثم رددناه أسفل سافلين)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عباس وقتادة والضحاك و عكرمة والكلبي وإبراهيم: أى رددنا الانسان إلى أرذل العمر وهو الهرم والخرف ونقصان العقل بعد الشباب و كمال العقل، والضعف بعد القوّة حتى يصير كالصبي في الحال الأول، فالسافلون هم الضعفاء والزمنى والأطفال والشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعاً.

وقال عكرمة: من جمع القرآن لم يرد إلى أرذل العمر. قيل: لو كان هذا هو المراد لما حسن إستثناء المؤمنين من ذلك لان الهرم قد يصيب بعضهم.

٢- عن قتادة أيضاً ومجاهد وأبي العالية والحسن وإبن زيد والجبائي: أي

ثم رددنا الكافر في صورة الشر والخنزير إلى نارجهنم . والمعنى : رددنا الكافر إلى أسفل الأسفلين لأن جهنم بعضها أسفل من بعض . وعلى هذا فالمراد بالانسان الكفار. وقيل : ان المعنى : خلقناهم في أحسن خلقة أحراراً عقلاء مكلفين فكفروا فرددناهم إلى النار في أقبح صورة ، فبعد هذا الحسن والنضارة مصيرهم إلى النار لأنهم ما آمنوا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أطاعوه .

٣- قيل : إن الله تعالى لما وصف الانسان بتلك الصفات الجليلة التي ركب عليها الانسان طغى وعلا حتى قال : « أنا ربكم الأعلى » النازعات : ٢٤) وحين علم الله عزوجل هذا من عبده وقضاؤه صادر من عنده ردّه أسفل سافلين بأن جعله مملوءاً قذراً مشحوناً نجاسة ، وأخرجها على ظاهره إخراجاً منكراً على وجه الاختيار تارة ، وعلى وجه الغلبة اخرى حتى إذا شاهد ذلك من أمره رجع إلى قدره.

٤- قيل : أي رددناه إلى الضلال كقوله تعالى : « ان الانسان لفي خسر إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات » أي إلاّ هؤلاء فلا يردّون إلى ذلك . وقيل : أي ينتكس الكافر ويرتكس إلى الدرك الذي لا يتنزل إليه مخلوق قط . ٥- قيل : اريد بأسفل سافلين مقام منحطّ هو أسفل من سفل من أهل الشقوة والخسران .

والمعنى: ثم رددنا الانسان إلى أسفل من سفل من أهل العذاب. ٦-قيل: اريد بالردّ الجعل والمعنى: جعلناه أسفل سافلين.٧- قيل : اريد بالرد التغيير والمعنى: ثم غيّرناه حال كونه أسفل جمع سافلين . والمراد بالسفالة على أيّ حال الشقاء والعذاب . وقيل : أي ثم رددنا بعض أفراد الانسان إلى الهرم بتضعيف قواه الظاهرة والباطنة ونكس خلقته ، فتكون الاية الكريمة في معنى قوله عزوجل : « و من نعمّره ننكّسه في الخلق » يس : ٦٨) قيل : انه لا يلائمه ما في قوله عزوجل : « إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات » من الاستثناء الظاهر في الاتصال ، فان حكم الخلق عام في المؤمن والكافر والصالح والطالح ، و دعوي أن المؤمن الصالح مصون من ذلك مجازفة . و كذا القول بأن المراد بالانسان هو الكافر والمراد بالردّ ردّه

إلى جهنم أو إلى نكس الخلق والاستثناء منقطع .

وقيل : أي رددناه إلى النقص في خلقه وخلقه ، ففي جسمه بالهرم وفي عقله بالخرف وقد يكون في عقيدته بالكفر وفي عمله بالطغيان ، فالانسان يعتريه نقص مادي ومعنوي ، فننكّس خلقه ، ونقوّس ظهره بعد إعتداله ونبيض شعره بعد إسواده ونغيّر جلده بالانكماش ، و سمعه وبصره بالضعف ، ويمشي دلفاً وهو ضعيف القوة خافت الصوت ، حتى يتمنى لنفسه الموت ويرجّح موته على حياته وعدمه على وجوده وإما بضعف قواه العقلية بالخرف وقت الهرم . وإما أن نحول بينه وبين قلبه فيعتقد إعتقاداً يضرّه في دنياه وآخرته ، فندخله جهنم فهذا قوله تعالى : « ثم رددناه » بعد ذلك الكمال الجسمي والعقلي أسفل من سفلوا بتشويه صورة أوعقل أودخول جهنم ذليلاً .

والمعنى : ان الانسان الضال المنحرف ، والجائر المستبد ، والظالم المستكبر ، والفاجر العاصي أسوأ حالاً وعاقبة من الحيوان لان الحيوان غير محاسب ولا معاقب حتى ولو قتل أوافترس لانه لايصدر عن حقد وتجاوز الحد كالانسان ، بل عن طبعه وفطرته التي فطره الله تعالى عليها . وهذا هو المراد برد الانسان الفاسد المعاند إلى أسفل سافلين أي إلى نار جهنم . ٨- قيل : أي رددناه إلى التلف .

أقول: وعلى الخامس أكثر المحققين وهو الأنسب بظاهر السياق من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر.

٦- (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون)

في «الذين آمنوا وعملوا الصالحات » أقوال : ١- قيل : هم الذين آمنوا بالله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به وباليوم الآخر، و واصلوا في سبيل الاستكمال على ضوء أحسن تقويم ، مشياً على الفطرة التي فطر الناس عليها. ٢- عن إبن عباس هم الذين أدركهم الكبر لايؤاخذون بما عملوه في كبرهم و تكتب لهم حسناتهم وتمحى عنهم سيئاتهم . وقال : إذا كان العبد في شبابه كثير الصلاة ، كثير الصيام

والصدقة ثم ضعف عما كان يعمل في شبابه أجري الله تعالى له ما كان يعمل في شبابه .

٣- قيل : هم الذين لايخرفون ولايهرمون ولاتذهب عقولهم لانهم الذين كانوا عالمين بالقرآن الكريم وعاملين به ، ومن قرأ القرآن وعمل به لم يردّ إلى أرذل العمر.

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السياق .

وفي قوله تعالى : « فلهم أجر غير ممنون » أقوال : ١- عن إبن عباس : أى غير منقوص . ٢- قيل : أى من غير منّ . ٣- عن أبي مسلم : أى غير مقطوع .

٤- عن مجاهد وإبراهيم :أى غير محسوب . ٥ - عن الجبائي : أي غير مكدّر بما يؤذى ويغمّ . ٦- عن الضحاك : أي أجر بغير عمل .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها .

٧- (فما يكذبك بعد بالدين)

في الخطاب أقوال : ١- عن الحسن وعكرمة وأبى مسلم : خطاب للكافر الذي سلك أسفل سافلين ، توبيخاً وإلزاماً للحجة . أى إذا عرفت أيها الكافر ان الله تعالى خلقك في أحسن تقويم ، وانه يردّك إلى أرذل العمر، وينقلك من الصبا إلى الشباب ، ومن الشباب إلى الهرم . . . كل ذلك يدل على القدرة على البعث ، فما يحملك على أن تكذّب بالبعث والجزاء وقد أخبرك محمد صلى الله عليه وآله وسلم به .

والمعنى : أيّ شيء يحثك على تكذيب المعاد والجزاء بعد هذه الحجج ؟ و ما يحملك على أن لاتتفكر في صورتك وهرمك ، فتعتبر وتقول : ان الذي فعل ذلك فهو قادر على أن يبعثني و يحاسبني ويجازيني بعملي فيكون قوله : فما يكذبك يعني به ما الذي يجعلك تكذيب الجزاء . فالدين بمعنى الجزاء فيشمل البعث والحساب والجزاء .

٢- عن قتادة : خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي استيقن مع ما جاءك من الله عز وجل انه أحكم الحاكمين . والدين هنا هو ما يدين به الانسان لخالقه الذي خلقه في

أحسن تقويم ، وهو الاحتفاظ بهذه المنزلة الرفيعة التي له في عالم المخلوقات بما له من عقل مبصر ونظرة سليمة . وقيل : اريد بالتكذيب إنكار هذا العقل و عدم الاصغاء إليه والتخلي عن هذه الفطرة وتعطيل وظيفتها .

٣- عن قتادة أيضاً ومجاهد والفراء : أي فمن الذي يكذبك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا البيان وتلك الحجج بالدين الذى هو الاسلام . فكأنه قال : فمن يقدر على ذلك أي على تكذيبك بما جئت بعد ما ظهر من قدرتنا على خلق الانسان. والمعنى : لايقدر أحد على ذلك ولا شيء يكذبك . وقيل : الدين هو الجزاء .

قال الشاعر:

دنّى تميماً كما كانت أوائلنا دنت أوائلهم في سالف الزمن

٤- عن مجاهد وعكرمة أيضاً والكلبي: أي فما يكذبك يا ابن آدم بعد بالجزاء في المعاد ، ولقد علمت البداءة وعرفت أن من قدر على البداءة فهو قادر على الرجعة بطريق الاولى ؟ فأيّ شيء يحملك أيها الانسان على التكذيب بالمعاد و قد عرفت هذا ؟ عن منصور قال : قلت لمجاهد : فما يكذّبك بعد بالدين عنى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : معاذ الله عنى به الانسان . فالخطاب للانسان باعتبار الجنس.

٥- قيل : أى فما هذا الذي يدفعك أيها المكذّب إلى تكذيب الدين : طاعة لله في الحياة الدنيا ، و الجزاء عليها في الدار الآخرة أبعد توفر البراهين الدافعة إلى الدين ؟ ! أبعد إدراك القيم الانسانية .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين .

٨- (أليس الله بأحكم الحاكمين)

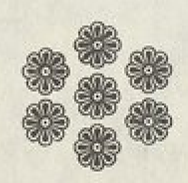
في الآية الكريمة أقوال : ١- قيل : أى ان الله تعالى أتقن الحاكمين صنعاً وتدبيراً في كل ما خلق ، ومن ثم وضع الجزاء لهذا النوع الانساني ليحفظ له منزلته من الكرامة التى أعدها له بأصل فطرته ، ثم انحدر منها إلى المنازل السفلى بجهله وسوء تدبيره ، ولهذا أرسل له الرسل مبشرين ومنذرين ، وأنزل

معهم الشرائع ليبينوها له ويدعوه إليها رحمة به.

٢- قيل: أي هو جل وعلا أحكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلاً بين الخلق وفيه تقدير لمن اعترف من الكفار بصانع قديم. فالتكذيب بالدين لايكون من إنسان عاقل رشيد، وإنما يكون ممن سفه نفسه وجهل قدره. ٣- قيل: أي هو أقضي القاضين وحكمه بالجزاء من ذلك. ومن حكمه تعالى بالحق والعدل أن يبعث الخلق غداً ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ومن الجهل والاغترار أن يسيىء الانسان، ويظن انه معفو عنه ومغفور له. والمعنى: أليس الله يا محمد بأحكم من حكم في أحكامه وفصل قضائه بين عباده.

٤- قيل: انه تعالى أحكم الحاكمين في صنائعه وأفعاله، وانه لا خلل في شيء منها ولا إضطراب، فكيف يترك هذه الخلائق ويهملهم فلايجازيهم. ٥- عن مقاتل: أي أليس الله بأقضى القضاة، فيحكم بينك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم و بين أهل التكذيب به. ٦- قيل: أي بأحكم الحاكمين حكماً عدلاً كأعدل وأفضل مايمكن ومن عدله الجزاء الوفاق للظالمين، ومنه ومن فضله رحمة بلاحساب للذين عدلوا، فلايجورولا يظلم أحد ومن عدله أن يقيم القيامة، فينتصف للمظلوم في الدنيا ممن ظلمه.

أقول: والثاني هو الأنسب بظاهر السياق، وإن كان التعميم غير بعيد.



﴿التفسير والتأويل﴾

١ - (والتين والزيتون)

قال الله تعالى اقسم بالتين ، و هو شجرة يأكل الانسان ثمرتها وهي فاكهة مخلصة من شائب التنغيص، وفيها عبرة عظيمة إذ جعلها الله عز وجل على مقدار اللقمة و هيّأها على تلك الصفة إنعاماً على عباده بها ، و اقسم بالزيتون و هو شجرة يعتصر الانسان من ثمرها الزيت و هو الدهن الذي يدور في أكثر الأطعمة وهو أدام كما أن ثمر التين طعام وفيهما خواصّ و منافع كثيرة . . .

ولا تقصر المنافع والخواص والفوائد في ثمار التين والزيتون، بل في نفس هاتين الشجرتين عجائب و آيات عظيمة و بركات وخير كثير ، و انهما خير شجر من بين الأشجار كما أن ثمارها خير ثمرة من بين الثمار . . .

ان الله عزوجل أقسم بالتين لما تقدم ، و لأن ورقه كان ستر آدم و زوجته حواء في الجنة لقوله تعالى: « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » الاعراف: ٢٢).

و قد أقسم بالزيتون لعظيم منافعه في أرض الشام والحجاز و غيرهما من البلاد ولقلة تعاهد شجرته بالسقى والحفر وغير ذلك من المراعاة في سائر الأشجار قال الله تعالى : « و شجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين » المؤمنون : ٢٠) ولأنها مثّل بها إبراهيم خليل الرحمن في قوله عزوجل : « يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيىء » النور : ٣٥) .

والزيت هو أكثر أدم أهل الشام والمغرب يصطبغونه ويستعملونه في طبيخهم

و يستصبحون به ، و يداوي به أدواء الجوف والقروح والجراحات ، و فيه منافع كثيرة و خواصّ عديدة يأتي ذكرها عن قريب إن شاء الله تعالى .

و ما ورد في المقام فمن باب التأويل و هو اللب .

٢ ـ (و طور سينين)

يقول الله عزوجل : و اقسم بهذا الجبل لما ظهر عنده لموسى بن عمران وقومه من الآيات الباهرات الدالة على توحيد الربوبية، والقدرة المطلقة، والحكمة البالغة ، والعلم الشامل ، و على تمام التدبير .

ان الله تعالى أقسم بطور سينين ، و هو إسم الجبل الكائن في شبه جزيرة سيناء كما تقول : جبل أحد . وهذا الجبل هو طور سيناء الذي بالشام والارض المقدسة لما بارك الله جل و علا فيهما إذ كان هذا الجبل مبدأ رسالة موسى بن عمران عليه السلام وهو الطور الذي رفعه الله تعالى فوق بني إسرائيل ، و أخذ عنده منهم الميثاق ، و عنده ينادي عبده موسى عليه السلام و هو يناجيه و يتكلم معه ، وتخرج منه شجرة مباركة ، و ينزل على بني إسرائيل المن والسلوى . . .

قال الله عزوجل: « و هل أتاك حديث موسى إذ رآ ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى و أنا اخترتك فاستمع لما يوحى » طه : ٩ ـ ١٣) .

و قال : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » الاسراء : ١) .

و قال : « و إذ أخذنا ميثاقكم و رفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة و اذكروا ما فيه لعلكم تتقون » البقرة : ٦٣) .

و قال : « و إذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلّة و ظنّوا أنه واقع بهم » الاعراف : ١٧١) .

و قال : « و اذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً و كان رسولاً نبياً و ناديناه من جانب الطور الأيمن وقرّبناه نجياً و وهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً » مريم : ٥١ ـ ٥٣) .

و قال : « يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوّكم و واعدناكم جانب الطور الأيمن و نزلنا المنّ والسلوى » طه : ٨٠) .

و قال : « فلما قضى موسى الأجل و سار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما آتاها نودي من شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى اني أنا الله رب العالمين و أن ألق عصاك فلما رآها تهتزّ كأنها جانّ ولّى مدبراً و لم يعقّب يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون و ملائه انهم كانوا قوماً فاسقين » القصص : ٢٩ ـ ٣٢) .

و قال : « و شجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن و صبغ للآكلين » المؤمنون : ٢٠) و ما ورد في المقام فمن باب التأويل .

٣ ـ (و هذا البلد الأمين)

ويقول الله عزوجل: اقسم بهذا البلد الأمين الذي هو مهبط الوحي السماوي الأخير للرسالة الخاتمة ، و مولد خاتم رسله محمد صلى الله عليه وآله وسلم و مبعثه .

ان البلد الأمين هو الحرم بمكة المكرمة التي كرّمها الله عزوجل بالبيت العتيق الذي هو أوّل بيت وضع للناس، وشرّفها بميلاد خاتم أنبياءه محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين ، و جعلها مطلع ختم الرسالة ، و بها يختتم الفصل الأخير من حياة الانسان على وجه هذه الارض ، و انها أم القرى طول التاريخ و عرضه ، فرسولها إمام الرسل كالنواة بالنفس إلى نفس الشجرة ، وإن كانت رسالتها خاتمة الرسالات ، كما أنها أوّل بيت وضع للناس ، و إن كان آخرها وحياً .

وقد جعلها الله تعالى في أمانه بدعاء إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام من الغوائل والاعداء والفساد والقحط والكساد، حيث يهوي إليها الناس وتأتي إليها الثمرات من البلاد النائية و غيرها مما يحتاج إليه أهله، والحجّاج في مواسم الحج، و عندها يضعون السلاح والخصومات والعداوات، فيلتقون فيها سالمين، وأنها تحفظ من دخلها كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه، وقد كانت هي مأمناً للناس في الجاهلية و في الاسلام، و يحرم فيها سفك الدماء . . .

قال الله تعالى: « إنّ أوّل بيت وضع للناس للذى ببكّة مباركاً و هدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً » آل عمران: ٩٦ـ٩٧).

وقال: « إنما امرت أن أعبد رب هذه البلدة التي حرّمها » النمل: ٩١) .

و قال: « أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً و يتخطّف الناس من حولهم » العنكبوت: ٦٧) .

و قال: « و إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً » ابراهيم: ٣٥) .

و قال: « وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكّن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لايعلمون » القصص: ٥٧) .

و قال: « ربنا إنّي أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم و ارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » إبراهيم: ٣٧) .

وقال: « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمناً ـ وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر » البقرة: ١٢٥ ـ ١٢٦) .

٤ ـ (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم)

لقد خلقنا الانسان بما أنه إنسان من آدم عليه السلام و ذريته في أحسن تكوين

وأتمه وأقومه صورة وسيرة ، إذجعلنـاه منتصب القامة ، وميّزناه به عن غيره في صورته ، وأودعنا فيه من القوي والمواهب . . مامن شأنه أن يجعله يختارالهدى ويسعد فميّزناه بها عن غيره في سيرته فاذا ماجانب الهدى فيكون قد إرتد إلى أحط الدركات . . .

فالمراد بالانسان جنسه يشمل للمؤمن والكافر، والمذكر والمؤنث في كل وقت ومكان ، كما اشيرإليه بهذا الاعتبارقبـل خلقه و خلقه مـن طين ، ونطفة و تعليم العلم ، والبيان وعداوة الشيطان له ، وبصيرته على نفسه وسعيه له . . .

قال الله عزوجل : « هل أتى على الانسـان حين من الدهرلم يكـن شيئاً مذكوراً » الانسان : ١)

وقال : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » المؤمنون : ١٢)

وقال : « فلينظر الانسان ممّ خلق خلق من ماء دافق » الطارق : ٥ ـ ٦)

وقال : « علّم الانسان مالم يعلم » العلق : ٥)

وقال : « خلق الانسان علّمه البيان » الرحمن : ٣ ـ ٤)

وقال : « ان الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً » الاسراء : ٥٣)

وقال : « بل الانسان على نفسه بصيرة » القيامة : ١٤)

وقال : « وأن ليس للانسان إلاّ ماسعى » النجم : ٣٩)

فقامة هذاالانسان منتصبة ، وصورته حسنة ، وقوى الكائنات فيه مستجمعة، وقواه الباطنة تامة ،وحواسّ هذا الانسان كافية ، وأعضاء بطنه و عمله بما يحتاج إليه قائمة . . فمن كان مخلوقاً في أحسن صورة وسيرة مستجمعاً مـن كل عـالم نظيره لابد أن يكون تركيبه في غاية الدقة واللطافة والنظام حتى يحفظ تلك العجائب فيه .

قال الله عزوجل : « وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين » غافر : ٦٤)

وقال : « ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها » الشمس : ٧ ـ ١٠)

ومن ثم قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام:

أتزعم أنك جرم صغير　　وفيك انطوى العالم الاكبر

وقال بعض أصحاب التأويل: من المعلوم أن الاقسام ينبغي في باب البلاغة أن يكون مناسباً ، وكذا القسم والمقسم عليه ، وكان الله سبحانه أقسم المراتب الأربع التي للنفس الانسانية من العقل الهيولاني ، والعقل بالملكة ، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد ان الانسان خلق في أحسن تقويم ، وهو كونه مستعداً للوصول إلى المرتبة الرابعة في العلم والعمل ، ثم إذا لم يجتهد في الوصول إلى كماله اللائق به ، فكأنه ردّ إلى أسفل سافلين الطبيعة ، وإنما عبّر عن العقل الهيولاني بالتين لضعف شجرته ، ولأنه زمان الصبا واللهو والالتذاذ والاشتغال بالامور التي لاطائل تحتها ، ولادرك فيها بخلاف زمان العقل بالملكة لقوة المعقولات فيها لكونه بحيث يطلب للأشياء حقائق ومعاني ، وهي بمنزلة الزيت ، وفي زمان العقل بالفعل يكون قد ازدادت المعاني رسوخاً حتى صارت كالجبل المبارك ، وفي آخر المراتب إجتمعت عنده صور الحقائق دفعة بمنزلة المدينة الفاضلة .

٥- (ثم رددناه أسفل سافلين)

ثم رددنا هذا الانسان القويم إذا لم ينتفع عن حسن قوامه بالانحراف عن فطرته التي فطره الله تعالى عليها رددناه إلى الانحطاط غايته ، والخسران نهايته في الحياة الدنيا ، وإلى النار والعذاب في الدار الآخرة .

وذلك ان من لم ينتفع بما أودع الله عزوجل فيه من القوى والمواهب العلية بل لم يؤدّ حقها وضاعها ـ وقد كان يستطيع بها أن يختار طريق الهدى والسعادة والفلاح والسيادة ، وأن يختار سبيل الكمال والعزة ، والصلاح والجنة ـ وقع في الظلمة والضلالة ، وفي الجناية والمعصية لارجعة له عنها ، بل خرج عن الدائرة الانسانية وإن يقال له الانسان ظاهراً ، ولكنه كالانعام بل هو أضل وهو غافل عن ذلك.

إذ انهمك في القوى الشهوانية والعلائق الجسمانية والزخارف الدنياوية ، وقد كان روحه من عالم القدس ، فلما ابتلى بعد التعلق بالبدن بالصفات البهيمية والعلائق الدنيّة فقد تنزّل من أعلى عليين إلى أسفل سافلين ، فاذا اشتدت تلك العلائق ينهمك في تلك التعلقات ويبقى في تلك الدركات إلى أن يقع في الدرك الأسفل من النار .

قال الله تعالى : « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً أضائت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون صم بكم عمى فهم لايرجعون » البقرة : ١٦-١٨) .

و قال : « لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم أعين لا يبصرون بها و لهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضلّ اولئك هم الغافلون » الاعراف: ١٧٩) .

فقوله عزوجل : « فرددناه أسفل سافلين » يحكم على الانسان في أفراده لا في نوعه ، فالانسان ـ كفرد ـ يولد ـ في أيّ زمن من أزمان الحياة الانسانية « في أحسن تقويم » بما أودع الله عزوجل فيه من عقل مبصر و فطرة سليمة ، ولكن كثيراً من الناس يطفئون نور عقولهم بأيديهم ، ويغتالون فطرتهم بشهواتهم ، فيفسدون وجودهم الانساني و ينزلون عن قدرهم الشريف و يردّون إلى عالم الحيوان: « يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم :١٢) و هل للأنعام إلّا أن تسمن و تذبح ثم تكون و قوداً للبطون الجائعة ؟

٦ - (الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون)

إلّا الذين بقوا على فطرتهم ، و انتفعوا عما أودع الله جل و علا فيهم من القوى والمواهب العلية ، فتلبّوا نداء الفطرة و استجابوا دعوة الرحمن ، فآمنوا بالله جل وعلا و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و باليوم الآخر وعملوا الصالحات وأخلصوا العبادة لله تعالى وحده و تركوا طاعة الشيطان و نفضوا عن أذيالهم أدناس تلك النشأة الفانية، فاختاروا الدرجة العالية ، وتعلقت أرواحهم بالملأ الأعلى فربحت تجارتهم

و لهم جنات المأوى ، فيسكنون في غرفات الجنان آمنين ، و في روضة الجنات يحبرون و في رحمة الله تعالى داخلون ، و لهم عندالله تعالى أجر دائم : غير مكدّر و لا منقوص و لا منّ .

و هؤلاء المؤمنون الذين اشربت قلوبهم عقيدة الايمان و عرفوا أن لهذا الكون موجداً دبّر أمره و وضع لخلقه شرائع يسيرون على نهجها و أيقنوا أن للشر جزاء و للخير مثله ، وهم الذين احتفظوا بوجودهم الانساني ـ عقلاً وفطرة فكانوا شاهدين قائمين على أن الانسان ـ في كل زمن هو خليفةالله تعالى في هذه الارض و هو سيّد ما عليها من مخلوقات . . .

فالانسان الطيب الذى إحتفظ بانسانيته و شكر نعمة الله تعالى عليه و قدر الكرامة التي خصّه بها حق قدرها ونزهها عما يشين ، فهو عندالله تعالى في أعلى عليين ، فهو يتناول من ربه أجره الانسان كاملاً في الدنيا والآخرة ، و انه لأجر يتكافأ مع هذا الخلق العظيم الذي خلق عليه في أحسن تقويم لايناله غيره من عالم الأحياء انه أجر مقدر بقدر محسوب بشرف خلقه .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم و اخرى تحبونها نصر من الله و فتح قريب و بشّر المؤمنين » الصف : ١٠ ـ ١٣) .

و قال : « أما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزولاً بما كانوا يعملون » السجدة : ٢٠) .

و قال : « فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون » الروم : ٥) .

و قال : « فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته

ذلك هو الفوز المبين » الجاثية : ٣٠) .

و قال : « و يبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » الاسراء : ٩) .

٧ ـ (فما يكذبك بعد بالدين)

فأيّ سبب يحملك أيها المنحرف المنحط على تكذيب البعث والدار الآخرة؟ فما الذي يحثك أيها الكنود العنود على الحساب والجزاء بعد تلك البراهين القاطعة، والحجج البالغة، والأدلة الواضحة على قدرة الله تعالى على البعث والحساب؟ فمن خلقك في أحسن تقويم فهو قادر على أن يبعثك للحساب والجزاء في الدار الآخرة ، وقد عرفت إن كان لك عقل و قلب سليم انه عزوجل خلقك بشراً سوياً و كرمك بخير الصفات و أحسنها ؟

قال الله تعالى: « يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم الذي خلقك فسوّاك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك كلا بل تكذبون بالدين » الانفطار: ٦ـ٩) .

و قال : « إنما توعدون لواقع ـ ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين » المرسلات : ٧ ـ ٢٤) .

و قال : « أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وماخلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون » الاعراف: ١٨٥).

٨ ـ (أليس الله بأحكم الحاكمين)

أليس الله جل وعلا بأحكم الحاكمين في خلقه و صنعه والتدبير في أمرهم ، فلم يترك الانسان سدى بعد الاتقان والتقويم في خلقه ، فأرسل إليهم رسلاً معهم الكتب السماوية ، فدعوا الناس إلى ما فيه سعادتهم و فلاحهم ، و نجاتهم وعيشهم الهنييء في الحياة الدنيا ، وتنعمهم من نعيم الجنة في الدار الآخرة ، ونهاهم عما فيه شقوتهم و دمارهم و خزيهم في الدنيا ، و عذابهم في الآخرة .

ولكنهم تحزّبوا تجاه تلك الدعوة السماوية بحزبين : حزب الرحمن ، وهم أهل الطاعة والايمان و هم أهل السعادة والرضوان، وحزب الشيطان ، وهم أصحاب الكفر والعصيان ، و أصحاب الشقاوة والنيران .

فأحكم الله عزوجل بالنجاة والغلبة ، والفلاح والعزة ، والظفر والجنة لأهل الحق والهدى ، وبالهلاك والهزيمة ، والخسران والذلة ، والخزي والنار الموقدة لأهل الباطل والضلالة ، فيجزي كلاً حسب عقائدهم و أعمالهم إن كان خيراً فخيراً و إن كان شراً فشراً .

فالله تعالى وحده فوق كل حاكم في إتقان الحكم و حقيّته و إنفاذه من غير إضطراب ، و لا توان و لا وهن و بطلان ، فالله جل و علا يحكم في خلقه و تدبيره بما من الواجب في الحكمة أن يحكم به من حيث الاتقان والجنة والنفوذ ، و إذا كان الله تعالى أحكم الحاكمين والناس طائفتان مختلفتان إعتقاداً و عملاً فمن الواجب في الحكمة أن يميّز بينهم بالجزاء في حياتهم الباقية وهو البعث .

قال الله جل و علا : « إن الحكم إلاّ لله » الانعام : ٥٧) .

و قال : « ألا له الخلق والأمر » الاعراف : ٥٤) .

و قال : « و لا يشرك في حكمه أحداً » الكهف : ٢٦) .

و قال : « كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » البقرة : ٢١٣) .

و قال : « الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا و عملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا و كذّبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ـ الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » الحج : ٥٦ ـ ٦٩) .

و قال : « والله يحكم لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب » الرعد : ٤١) .

و قال حكاية عن نوح عليه السلام : « و إن وعدك الحق و أنت أحكم الحاكمين » هود : ٤٥) .

﴿جملة المعانى﴾

٦٠٩٩ ـ (والتين والزيتون)

قال الله عز وجل : اقسم بالتين ، و هو شجرة يأكل الانسان فاكهتها ، و بالزيتون ، و هو شجرة يعتصر الانسان من ثمرتها الزيت .

٦١٠٠ ـ (و طور سينين)

و اقسم بطور سيناء وهو الجبل الذي بالشام والأرض المقدسة كلّم الله تعالى عنده موسى بن عمران عليه السلام و هو يناجيه .

٦١٠١ ـ (و هذا البلد الأمين)

و اقسم بهذا البلد الأمين و هو الحرم بمكة المكرمة ، و هو مهبط الوحي السماوي الأخير لخاتم الأنبياء والمرسلين محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ومولده ومبعثه صلى الله عليه وآله وسلم .

٦١٠٢ ـ (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم)

لقد خلقنا الانسان بما هو إنسان من آدم و ذريته في أحسن تكوين وأتمه و أقومه صورة و سيرة و له بهما ميزة من غيره .

٦١٠٣ ـ (ثم رددناه أسفل سافلين)

ثم رددنا من هذا الانسان القويم إلى الانحطاط غايته والخسران نهايته ، وإلى الدرك الأسفل من نارجهنم بسبب إنحرافه عما تقتضيه فطرته بسوء إختياره .

٦١٠٤ ـ (الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلم أجر غير ممنون)

لكن الذين بقوا على فطرتهم وآمنوا بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وباليوم

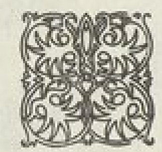
الآخر ، و عملوا الصالحات في الحياة الدنيا ، فلهم في الدار الآخرة عندالله تعالى أجر غير مكدّر بالمن والتنقيص والقطع .

٦١٠٥ ـ (فما يكذبك بعد بالدين)

فما يحملك أيها المنحرف المنحط على أن تكذّب بالمعاد والحساب والجزاء بعد الأدلة القاطعة على وقوع البعث والجزاء .

٦١٠٦ ـ (أليس الله بأحكم الحاكمين)

أليس الله عزوجل بأحكم الحاكمين تكويناً و تشريعاً و جزاء .



﴿ بحث روائي ﴾

في معاني الأخبار : باسناده عن موسى بن بكر عن أبي الحسن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله اختار من البلدان أربعة ، فقال عزوجل: « والتين والزيتون وطورسينين و هذا البلد الأمين » التين: المدينة، والزيتون: بيت المقدس، وطورسينين: الكوفة، وهذا البلد الأمين : مكة.

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى: « والتين والزيتون وطورسينين وهذا البلد الأمين » قال : التين : المدينة ، والزيتون : بيت المقدس ، و طور سينين : الكوفة ، و هذا البلد الأمين : مكة .

وفي الدر المنثور : عن جابر بن عبدالله ان خزيمة بن ثابت، وليس بالأنصاري سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن البلد الأمين فقال : مكة .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « والتين والزيتون وطورسينين وهذا البلد الأمين » قال : التين : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والزيتون : أمير المؤمنين عليه السلام وطور سينين : الحسنين و هذا البلد الأمين : الأئمة عليهم السلام .

و في كنز الفوائد للكراجكي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن إبن برّاج قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : قوله تعالى : « والتين والزيتون » : التين : الحسن ، والزيتون : الحسين صلوات الله عليهما .

وفيه: باسناده عن أبي الربيع الشامي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: « والتين والزيتون وطورسينين » قال: التين والزيتون : الحسن والحسين ، وطور

سينين : علي بن أبيطالب عليه السلام قال: قوله: « فما يكذبك بعد بالدين » قال: الدين: ولاية علي بن أبيطالب عليه السلام .

وفيه: باسناده عن محمد بن الفضيل قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : أخبرني عن قول الله عزوجل: «والتين والزيتون» إلى آخر السورة ، فقال: «التين والزيتون» : الحسن والحسين عليهما السلام قلت : « وطور سينين » قال : ليس هو طور سينين ولكنه طور سيناء قال : فقلت : « و طور سيناء » فقال : نعم هو أمير المؤمنين عليه السلام قلت : « و هذا البلد الأمين » قال : هو رسول الله صلى الله عليه وآله أمن الناس به من النار إذا أطاعوه قلت : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » قال : ذاك أبو فصيل حين أخذ الله ميثاقه له بالربوبية ، ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة و لأوصيائه بالولاية فأقرّ و قال : نعم ألا ترى انه قال : « ثم رددناه أسفل سافلين » يعني الدرك الأسفل حين نكص و فعل بآل محمد ما فعل قال: قلت : « إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات » قال : والله هو أمير المؤمنين عليه السلام و شيعته « فلهم أجر غير ممنون » قال : قلت : « فما يكذبك بعد بالدين » قال: مهلاً مهلاً لاتقل هكذا هذا هو الكفر بالله لا والله ما كذّب رسول الله صلى الله عليه وآله بالله طرفة عين ، قال : قلت : فكيف هي ؟ قال: « أفمن يكذبك بعد بالدين » والدين: أمير المؤمنين عليه السلام « أليس الله بأحكم الحاكمين » .

و في المناقب لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه عن مرازم عن موسى بن جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «والتين والزيتون» قال : الحسن والحسين « وطور سينين » قال : علي بن أبيطالب عليه السلام « و هذا البلد الأمين » قال : محمد صلى الله عليه وآله « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » قال : الأوّل « ثم رددناه أسفل سافلين » ببغضه أمير المؤمنين عليه السلام « إلّا الذين آمنوا و عملوا الصالحات » علي بن أبيطالب عليه السلام « فما يكذبك بعد بالدين » يا محمد ولاية علي بن أبيطالب عليه السلام .

و في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في خطبة ـ : « و آخر قد تسمّى عالماً و ليس به . . . فالصورة

صورة إنسان والقلب قلب حيوان » .

وفى الخصال: عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام قال : قوام الانسان و بقاؤه بأربعة : بالنار والنور والريح والماء ، فبالنار يأكل و يشرب ، و بالنور يبصر و يعقل ، و بالريح يسمع و يشم ، و بالماء يجد لـذة الطعام ، و لو لا أن النار في مقعدته لما هضمت الطعام والشراب . و لولا أن النور في بصره لما أبصر ولاعقل ، و لولا الريح لما التهب نار المعدة ، و لولا الماء لما وجد لذة الطعام .

و فى رواية : عن الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : بنى الجسد على أربعة أشياء على الروح والعقل والدم والنفس ، فاذا خرجت الروح تبعها العقل ، و إذا رآى الروح شيئاً حفظه عليه العقل ، و تبقى الروح والنفس .

و فى رواية : قال الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض و يبدأ بالأسفل فيملأ » .

و فى البحار : عن العياشي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » قال : خلق كل شيء منكباً غير الانسان فانه خلق منتصباً .

و فى حديث : « إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجزه عن العمل كتب له ما كان يعمل » .

و فى تفسير القمى : في قوله تعالى : « فلهم أجر غير ممنون » أى لا يمن عليهم به .

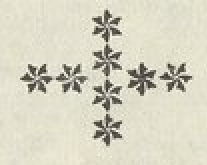
و فى الدرالمنثور : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرأ : « أليس الله بأحكم الحاكمين » قال : سبحانك اللهم فبلى .

وفى المجمع : و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ختم هذه قال : بلى و أنا على ذلك من الشاهدين .

و فى عيون الاخبار ـ في باب ذكر أخلاق الامام على بن موسى الرضا عليه السلام

و وصف عبادته ـ : « و **إذا قرأ** « والتين والزيتون » قال عند الفراغ منها : بلى و أنا على ذلك من الشاهدين .

وفى الخصال : ـ فيما علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه من الأربعمأة باب مما يصلح للمسلم في دينه و دنياه ـ : **إذا قرأتم** : « والتين » فقولوا في آخرها : و نحن على ذلك من الشاهدين .



﴿ بحث فقهي ﴾

قال إبن العربي : ولامتنان الباريء سبحانه وتعظيم المنّة في التين ، و انه مقتات مدّخر فلذلك قلنا بوجوب الزكاة فيه ، وإنّما فرّ كثير من العلماء من التصريح بوجوب الزكاة فيه تقيّة جور الولاة ،فانهم يتحاملون في الأموال الزكائيّة، فيأخذونها مغرماً حسب ما انذربه الصادق عليه السلام فكره العلماء أن يجعلوا لهم سبيلاً إلى مال أحد يتشطّطون فيه ، ولكن ينبغي للمرء أن يخرج عن نعمة ربه بأداء حقه . وقال الشافعة : لهذه العلة وغيرها لازكاة في الزيتون . و قال القرطبي في (الجامع لأحكام القرآن) : والصحيح وجوب الزكاة فيهما .

أقول : إنّما وجوب الزكاة عندنا الشيعة الامامية الاثنى عشرية في الغلات في أربعة أشياء : الحنطة ، والشعير، والتمر، والزبيب .

في وسائل الشيعة : بالاسناد عن زرارة وبكير عن أبي جعفر عليه السلام قال : «« أما ما أنبتت الارض من شيء من الأشياء فليس فيه زكاة إلاّ في أربعة أشياء :البرّ والشعير والتمر والزبيب . . . » الحديث .

نعم تستحب الزكاة في غيرها من الحبوب التي تنبت من الارض مما يكال أو يوزن كالارز والذرة والماش والسمسم والدخن والحمص والعدس وغيرها ، ولاتستحب في الخضروات مثل البقل والقثاء والبطيخ والخيار ونحوها . . . ولنابحث مستقصى حول الزكاة في هذا التفسير فان شئت فراجع إلى بابها .

وقد استدل بعض الفقهاء من المفسرين بقوله تعالى : «وهذا البلد الأمين »

(التين:٣) على حرمة سفك الدماء في المسجد الحرام إطلاقاً ، وقال : لولم نقل بها في الحرم على حدوده ولذلك سمّي بالأمين لأن من كان دخله قبل الأسلام كان آمناً، وأما في الاسلام فمن أصاب حداً ثم آوى إلى الحرم يقام عليه الحدّ إن كان من أهله ، وإن لم يكن من أهله فلا يشار إليه ولا يباع وضيّق عليه حتّى يخرج من الحرم ثم يقام عليه الحد .

أقول : وعند أصحابنا الشيعة الامامية الاثنى عشرية : ان من أحدث ما يوجب حداً أو تعزيراً أو قصاصاً ، ولجأ إلى الحرم يحرم إخراجه منه ولا يقاوم عليه فيه ، بل يضيّق عليه في المطعم والمشرب بأن لا يزاد منهما على ما يسدّ الرمق ببيع ولاغيره ، ولا يمكّن من ماله بزيادة على ذلك حتّى يخرج فيستوفى منه ولو أحدث في الحرم قوبل بما تقتضيه جنايته لانتهاكه حرمة الحرم فلاحرمة له .

وقد وردت في المقام روايات كثيرة منها :

فى وسائل الشيعة: بالاسناد عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن قول الله عزوجل : « ومن دخله كان آمناً » قال . إذا أحدث العبد في غير الحرم جناية ثم فرّ إلى الحرم لم يسع لأحد أن يأخذه في الحرم ، ولكن يمنع من السوق ولا يبايع ولا يطعم ولا يسقى ولا يكلّم فانه اذا فعل ذلك يوشك أن يخرج فيوخذ، واذا جنى في الحرم جناية اقيم عليه الحدّ في الحرم لأنه لم يرع للحرم حرمة .

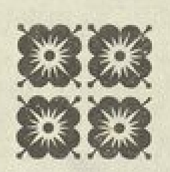
وفى تفسير النيسابورى: في قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » قال : « ثم ان أكثر المفسرين قالوا معنى : « في أحسن تقويم » في أحسن تعديل شكلاً وإنتصاباً ، وقال الأصم في أكمل عقل وفهم وبيان ، والأوّلون قالوا: لوحلف إنسان : أن زوجته أحسن من القمر لم يحنث لانه أعلم بخلقه : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم »

وفى الجامع لاحكام القرآن للقرطبي قال : وقد أخبرنا المبارك بن الجبار الأزدي قال : أخبرنا القاضي أبو القاسم على بن أبي علي القاضي المحسن عن أبيه

قال : كان عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجته حباً شديداً فقال لها يوماً : أنت طالق ثلاثاً إن لم تكوني أحسن من القمر، فنهضت وإحتجبت عنه وقالت: طلّقتني! وبات بليلة عظيمة ، فلما أصبح غداً إلى دار المنصور فأخبره الخبر وأظهر للمنصور جزعاً عظيماً ، فاستحضر الفقهاء واستفتاهم ، فقال جميع من حضر : قد طلّقت إلّا رجلاً واحداً من أصحاب أبي حنيفة فانه كان ساكتاً فقال له المنصور :مالك لا تتكلّم ؟ فقال له الرجل :

بسم الله الرحمن الرحيم : « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » يا أمير المؤمنين فالانسان أحسن الأشياء ولا شيء أحسن منه ، فقال المنصور لعيسى بن موسى : الأمر كما قال الرجل فأقبل على زوجتك ، وأرسل أبو جعفر المنصور إلى زوجة الرجل : أن أطيعي زوجك ولا تعصيه فما طلّقك .

أقول : ان الطلاق المعلّق باطل عند أصحابنا كالطلاق في طهر المواقعة والحيض وبغير الشاهدين والطلاق ثلاثاً في مجلس واحد .



﴿ بحث مذهبي ﴾

وقد تثبّث أهل الجبر من الأشاعرة بقوله تعالى: «ثم رددناه أسفل سافلين» التين:٥) على سلب إختيار الانسان في ضلالته، فلاسبيل للعبد إلى إختيار طريق الهداية أو الضلالة إطلاقاً، وإنّماهي إرادة الله عزو جل يهدي من يشاء بلا سبب ذاتي، ويضلّ من يشاء بلا إستحقاق موجب لأنه تعالى يفعل ما يريد، ولا يسئل عمايفعل وهم يسئلون، وان الله هدى البعض إلى الايمان ولطف به وأصلحه فكان مؤمناً، وأضلّ البعض ولم يلطف به ولم يصلحه فكان كافراً، ولوأصلحه و لطف به لكان مؤمناً، ولكنّ الله أراد أن يكون هذاكافراً ومن ثم خذله وطبع على قلبه وردّه أسفل سافلين.

أقول: وهذا مردود بما قبل هذه الآية الكريمة: «لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم» التين: ٤) من غير فرق بين إنسان وإنسان في تكوينه في أحسن تقويم، وبالآية الكريمة نفسها إذ عطفت على ماقبلها بكلمة «ثم» تدل على الفصل بين كونه في أحسن تقويم، وبين ردّه أسفل سافلين، وفي هذا الفصل تنبيه إلى مايمكن أن يتردّى إليه الانسان بمخالفته لنظام الفطرة والشريعة من التسافل والانحطاط عن منزلة الانسان الكريمة ومن ثم قال الله جل وعلا على طريق الاستثناء: «إلّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات» التين: ٦)

وأما الاسناد إلى الله عزوجل فمن جهة انه تعالى أقدر الانسان على إختيار السوء والفساد كما اقدره على إختيار الحسن والصلاح بما أودع فيه من القوى

والمواهب العلية التي إمتاز بها من غيره .

وقيل : ان قوله تعالى: « في أحسن تقويم » يدلّ على أن الله سبحانه لا يفعل القبيح ولا يفعل أفعال العباد مع ما فيها من السفه والظلم ، ولو خلق ذلك لكان هو أولى بأن يدعى سفهاً وظالماً ، لان خلق السفيه نفسه نوع سفه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ويستدل بقوله تعالى: « أليس الله بأحكم الحاكمين » التين : ٨) على وقوع البعث والجزاء بكلا طريقي الامكان والوجوب :

وذلك ان أمر المعاد بالنظر إلى القدرة ممكن الوقوع ، فمن خلق الانسان في أحسن تقويم وأتقن خلقه وأودع فيه ما يليق به أن يكلّف بتكاليف ، فأرسل إليهم رسلاً لبيانها ، وجعله مختاراً في الكفر والايمان ، وفي الطاعة والعصيان فهو قادر على أن يبعثه بعد موته للحساب والجزاء .

وبالنظر إلى الحكمة والعدل واجب الوقوع لان ايصال الجزاء إلى المؤمن والكافر، إلى المحسن والمسيىء ، إلى المصلح والمفسد ، إلى العابد والطاغي ، إلى المتقي والفاجر، إلى العادل والجائر ، وإلى المطيع والمستكبر... والفرق بين الصنفين واجب كما قال الله عز وجل : « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » ص : ٢٨)

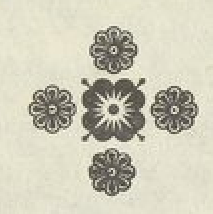
وقال : « أم حسب الذين اجترحوا السيئآت أن نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون » الجاثية : ٢١)

فكما أن الله عز وجل حكيم في صنعه ، وخلقه ، حكيم في تدبير أمره وإرسال الرسل وإنزال الكتب ، وحكيم في أمر معاش الانسان ، كذلك حكيم في معاده فلن يتركه سدي ، وإنما يجزى كلاً حسب عقيدته وعمله إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

قال الله تعالى : « أيحسب الانسان ألّن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوّى بنانه » القيامة : ٣ ـ ٤)

وقال : « إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون » يونس : ٤)

وقال : « ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى » النجم : ٣١)



«التين و منافعه و خواصه»

قال الله عزوجل : « والتين والزيتون » التين : ١) .

ان الله جل وعلا أقسم بالتين ليبيّن وجه المنّة العظمى فيه فانه جميل المنظر، طيب المخبر ، نشر الرائحة ، سهل الجنى على قدر المضغة ، وقد أحسن القائل فيه :

انظر إلى التين في الغصون ضحى ممزّق الجلد مائل العنق
كأنه رب نعمة سلبت فعاد بعد الجديد في الخلق
أصغر ما في النهود أكبره لكن ينادى عليه في الطرق

و قال آخر :

التين يعدل عندي كل فاكهة إذا انثنى مائلاً في غصنه الزاهي
مخمّش الوجه قدسالت حلاوته كأنه راكع من خشية الله

ان التين غذاء وفاكهة وحلوى رطبة نافع و جافة أنفع وهو غذاء و دواء و انه طعام و أدام ، لطيف سريع الهضم ، ملين الطبع ، و يخرج بطريق الرشح ، و يقلل البلغم و يطهر الكليتين و يزيل ما في المثانة من الرمل و يسمن البدن ، و يفتح مسام الكبد والطحال ، و فيه فوائد كثيرة و خواصّ عديدة . . .

و قد ذكر الأطباء للتين منافع و خواصاً في كتبهم :

منها : يذهب بالبخر و يشدّ العظم و ينبت الشعر ، و ينفع من القولنج و رياحه ، و يلين الصدر و يذهب بالداء ، ولايحتاج معه إلى دواء وهوأشبه شيء بنبات الجنة و يحسن الاكثار منها بالنهار دون الليل .

و قد وردت في التين روايات كثيرة نشير إلى ما يسعه المقام :

في الكافي : باسناده عن أحمدبن محمدبن أبي نصر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: التين يذهب بالبخر ، و يشد الفم والعظم ، و ينبت الشعر و يذهب بالداء ، ولايحتاج معه إلى دواء وقال عليه السلام : التين أشبه شيء بنبات الجنة وهو يذهب بالبخر .

و في رواية : عن الامام الثامن على بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء انه قال : التين يزيل نكهة الفم ، و يطول الشعر و هو أمان من الفالج .

و في رواية : قال أبو ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه: اهدي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم سل (طبق خ) من تين فقال لأصحابه : كلوا و أكل منه ، ثم قال : لوقلت : ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت : هذه لانه فاكهة بلا عجم ـ نوى ـ فكلوها فانها تقطع البواسير و تنفع من النقرس .

و من خواص التين : ان ظاهره كباطنه ، ما له قشر و لا نواة له ، ويقال : انه شجرة تظهر المعنى قبل الدعوى تأتي بالثمرة ثم بالنور خلاف المشمش واللوز و نحوهما ، و سائر الأشجار كأرباب المعاملات في قول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « إبدأ بنفسك ثم بمن تعول » .

و ان الأشجار تلبس نفسها أولاً بورد أو ورق ثم تظهر ثمرتها ، و أما شجرة التين كالمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كان يبدأ بغيره ثم يبدأ بنفسه كما قال الله عزوجل : « و يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة » الحشر : ٩) .

و أنها تعود ثمرتها في العام مرة اخرى ، و انها في المنام رجل خير و غنى فمن رآها نال خيراً وسعة ، و من أكلها رزقه الله تعالى أولاداً . . .

و في رواية : ان آدم عليه السلام تستر بورق التين حين نزع عنه ثيابه ، فلما نزل و كان مستوراً بورق التين إستوحش فطاف الظباء حوله فاستأنس بها فأطعمها بعض ورق التين ، فرزقها الله الجمال والملاحة صورة والمسك وطيبه معنى ، وحين تفرقت الظباء و رآى غيرهن منها ما أعجبها جائت من الغد على أثرهن فأطعمها

من الورق فغير الله تعالى حالهـا إلى الجمال والملاحة دون طيب المسك ، و ذلك ان الطائفة الاولى جائت إلى آدم لا لأجل الطمع ، والطائفة الثانية جائت للطمع سراً و إلى آدم عليه السلام ظاهراً فلا جرم غيّر ظاهرها دون باطنها .

و في وسائل الشيعة : بالاسناد عن بكر بن صالح قال : سمعت أبا الحسن الأوّل عليه السلام يقول : من الريح الشابكة والحام والابردة في المفاصل تأخـذ كفّ حلبة و كفّ تين يابس تغمرهما بالماء و تطبخهما في قدر نظيفة ثم تصفّى ثم تبرد ثم تشربه يوماً و تغبّ يوماً حتّى تشرب منه تمام أيامك قدر قدح رويّ .

قوله عليه السلام : « الشابكة » من شبك : انشب بعضه في بعض ، و « الحام » : الحرارة الشديدة و « الابردة » : شدة البرد في الجوف لمن به وجع المفاصل ، و « الحلبة » : نبت يقال له بالفارسية : شنبليله والمراد هنا : ورقه أو بذره .

و في رواية : « من أراد أن يرقّ قلبه فليد من أكل البلس وهو التين » .

وفي الحديث : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : كلوا التين فان على كل ناحية منه « بسم الله القويّ » .

وفي طب الأئمة : عن محمد بن عرفة قال : كنت بخراسان أيام الرضا عليه السلام والمأمون فقلت للرضا عليه السلام : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تقول في أكل التين ؟ فقال: هو جيّد للقولنج فكلوه .

و في رواية : قال مولـى الموحديـن إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : أكل التين يليـّن السدد و هو نافع لرياح القولنج ، فاكثروا منه بالنهار و كلوه بالليل و لا تكثروا منه .

وفي المحاسن : عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما خرج ملك القبط يريد هدم بيت المقدس إجتمع الناس إلى حزقيل النبي عليه السلام فشكوا ذلك إليـه : فقال: لعلّي اناجي ربي الليلة ، فلما جنّه الليل ناجى ربه ، فأوحى الله إليه : اني قد كفيتكم وكانوا قد مضوا ، فأوحى الله إلى ملك الهواء أن أمسك عليهم أنفاسهم ،

فما تواكلهم و أصبح حز قيل النبي ﷺ وأخبر قومه بذلك ، فخرجوا فوجدوهم قد ماتوا ودخل حزقيل النبى عليه السلام العجب ، فقال: في نفسه مافضل سليمان النبى عليه السلام عليّ و قد اعطيت مثل هذا ؟ قال : فخرجت على كبده قرحة فآذته فخشع لله و تذلّل ، و قعد على الرماد فأوحى الله إليه أن خـذ لبن التين فحكّه على صدرك من خارج ، ففعل فسكن عنه ذلك . و كافيك في أهميّة التين عندالله عزوجل لما فيه من المنافع والخواص والفوائد والحكم والأسرار التى ما نال بها العلم إلى اليوم أن يسمى الله جل و علا سورة قرآنية باسمه .



﴿ الزيتون وخواص الزيت ﴾

قال الله تعالى مقسماً بالتين والزيتون : « والتين والزيتون » التين : ١)

ان الزيتون شجرة مباركة كثير المنافع ، وانها تنبت في الارض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين ، وبارك فيها سبعون نبياً منهم إبراهيم خليل الرحمن ﷺ وان منبتها في أكثر الشام و زيتونها أجود الزيتون .

وان الزيتون أشرف وألطف وأعظم بركة ونفعاً بنفس شجرته و باعتبار زيته وهو دهنه الذي لاتعدّ ولا تحصى منافعه وخيراته وخواصه وآثاره ، وهو فاكهة من وجه و دواء من وجه ، وهو مع أنه من أحسن الادام والصبغ للآكلين فيه منافع كثيرة وخواص بليغة في المعالجات . . .

قال الله عزوجل : « و شجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن و صبغ للآكلين » المؤمنون : ٢٠)

وقال : « يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضيىء » النور : ٣٥)

وقد حكى : ان مريضاً قال لابن سيرين : رأيت في المنام كأنه قيل لي : كل اللائين تشفى ، فقال : كل الزيتون فانه لاشرقية ولاغربية .

وقيل : من أخذ ورق الزيتون في منامه فقد استمسك بالعروة الوثقى .

وقد ذكر الباحثون للزيتون والزيت منافع كثيرة : منها : ان الزيت يكشف المرة ويذهب بالبلغم ويشد بالضنا ويحسن الخلق ويطيب النفس ، ويذهب بالغمّ

ومن أكله وأدهن به لم يقربه الشيطان أربعين يوماً . ولتلك المنافع و الخواص وما لم ينل العلم بعد إليه اقسم الله تعالى به .

وفي تفسير روح البيان: ان شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة ، و من خواصّها انها تصبر عن الماء طويلاً كالنخل ، وإذا لقط ثمرتها جنب فسدت و ألقت حملها ، وانتشر ورقها ، و ورقها ينفع كحلاً ويقوم مقام التوتيا .

وقد وردت روايات كثيرة في الزيتون والزيت نشير إلى ما يسعه المقام :

١ـ في الكافي باسناده عن خالد بن نجيح قال : كنت أفطر مع أبي عبدالله عليه السلام ومع أبي الحسن الأوّل عليه السلام في شهر رمضان فكان أوّل مايؤتى به قصعة من ثريد خلّ وزيت فكان أوّل ما يتناول منها ثلاث لقم ثم يؤتى بالجفنة .

٢ـ وفيه : باسناده عن إبن القدّاح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كلوا الزيت و ادهنوا بالزيت فانه من شجرة مباركة .

٣ـ وفيه باسناده عن إبراهيم بن عبدالحميد عن أبي الحسن عليه السلام قال : كان مما أوصى به آدم إلى هبة الله إبنه : أن كل الزيتون فانه من شجرة مباركة .

٤ـ وفيه باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان أحبّ الأصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخلّ والزيت ، وقال : هو طعام الأنبياء عليهم السلام .

٥ ـ في محاسن البرقي قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : ما افتقر (ما أفقرخ) أهل بيت يأتدمون بالخلّ و الزيت و ذلك أدم الانبياء عليهم السلام .

٦ـ في الكافي باسناده عن أبي داود النخعي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إدّهنوا بالزيت وأتدموا به فانه دهنة الاخيار وأدام المصطفين مسحت (سبّحت خ) بالقدس مرتين بوركت مقبلة وبوركت مدبرة لا يضرّ معها داء .

قيل : اريد بالقدس : دعاء الانبياء عليهم السلام فيه بمرتين ، واريد باقبالها و إدبارها : وفورها وقلتها لان ثمرة الزيتون تكون سنة قليلة وسنة كثيرة .

٧ـ وفيه باسناده عن عبدالمؤمن الأنصاري عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الزيت دهن الابرار وأدام الاخيار بورك فيه مقبلاً وبورك فيه مدبراً إنغمس بالقدس مرتين .

٨ـ في المحاسن عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الزيت طعام الاتقياء .

٩ـ وفيه باسناده عن محمد بن حمران قال: قال أبو عبدالله عليه السلام : ماكان دهن الأوّلين إلاّ الزيت .

١٠ـ وفيه عن خالد بن نجيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الخلّ والزيت من طعام المسلمين . وفي نسخة : « من طعام المرسلين » .

١١ـ وفيه باسناده عن عبدالأعلى قال : أكلت مع أبي عبدالله عليه السلام فقال : يا جارية إيتينا بطعامنا المعروف ، فأتي بقصعة فيها خلّ وزيت فأكلنا .

١٢ـ في وسائل الشيعة بالاسناد عن عجلان قال : تعشّيت مع أبي عبدالله عليه السلام بعد عتمة وكان يتعشّى بعد عتمة فاتي بخلّ وزيت ولحم بارد فجعل ينتف اللحم ويطعمنيه ، ويأكل هو الخلّ والزيت ويدع اللحم فقال : إن هذا طعامنا وطعام الأنبياء عليهم السلام .

١٣ـ في الكافي باسناده عن سلامة القلانسي قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فلما تكلّمت (فلما أكلت خ) قال لي : مالي أسمع كلامك قد ضعف ؟ قلت : قد سقط فمي ، قال : فكأنه شقّ عليه ذلك (ذلك عليه خ) ثم قال : فأيّ شيء تأكل؟ قلت : آكل ماكان في البيت ، فقال : عليك بالثريد فان فيه بركة ، فان لم يكن لحم فالخلّ والزيت .

قوله : « قد سقط فمي » : أراد بسقوط الفم سقوط الأسنان .

١٤ـ وفيه باسناده عن محمد بن علي الحلبي قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن الطعام فقال : عليك بالخلّ والزيت فانه مرىء فان علياً عليه السلام كان يكثر أكله واني أكثر أكله وانه مرىء .

١٥- وفيه عن رجل قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : انهم يقولون : الزيتون يهيّج الرياح فقال : ان الزيتون يطرد الرياح .

١٦- وفيه: عن الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال : الزيتون يزيد في الماء .

١٧- في عيون الأخبار باسناده عن الامام الرضا عن آبائه عن علي عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عليك بالزيت، فكله وادّهن فانّ من أكله وادّهن به لم يقربه الشيطان أربعين يوماً .

١٨- وفيه عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عليكم بالزيت فانه يكشف المرّة ويذهب البلغم ويشدّ العصب ويحسّن الخلق ويطيّب النفس ويذهب بالغم .

١٩- وفيه باسناده عن يعقوب بن سالم قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : كان أمير المؤمنين عليه السلام يأكل الخلّ والزيت ويجعل نفقته تحت طنفسته .

الطنفسة : البساط .

٢٠ - في وسائل الشيعة بالاسناد عن عبدالملك الأنصاري عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الزيت دهن الأبرار و إدام الأخيار بورك فيه مقبلاً و بورك فيه مدبراً ، إنغمس في القدس مرتين .

٢١- في مكارم الأخلاق روى الطبرسي عن الرضا عليه السلام قال: نعم الطعام الزيت: يطيّب النكهة و يذهب بالبلغم ، و يصفّي اللون ويشدّ العصب ، و يذهب بالوصب ويطفيء الغضب . ٢٢- في رواية : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : عليكم بهذه الشجرة : زيت الزيتون فتداووا به فانها مصحة من الباسور .

وفي البحار : قال إسحق بن عمران : الزيتون الأخضر بارد يابس عاقل للطبيعة دابغ للمعدة مولّد لشهوتها بطيىء للانهضام رديّ الغذاء ، و إذا ربّي في الخلّ كان أسرع إنهضاماً و أكثر عقلاً للبطن ، و إذا عمل بالملح اكتسب منه حرارة و كان ألطف من المنقّع في الماء :

و قال البغدادي : الزيت إسم المدهن المعتصر من الزيتـون ، و يعتصر من نضيجه ويسمّى زيتاً عذباً ومن خامه ، ويسمّى زيت إنفاق و زيت ركابى والأوّل حارّ باعتدال ، والثاني بارد يابس فيه قبض ظاهر، والثاني أوفق للأصحّاء وجيّد للمعدة ويشدّ اللثة ، و يقوّى الأسنان إذا امسك في الفم ، ويمنع من درود العرق والعتيق من الزيت العذب صالح للأدوية ، وحينئذ يكون فيه حرارة ظاهرة يحلّل و يليّن البشرة ، و يمنع من الجمود و يليّـن الطبيعة ، و يضعّف قوة الأدوية و يكتحل بالعتيق منه لحدّة البصر والكحل بالمغسول المبيض يزيل بياض العين الرقيق ، و هو دواء شريف للعين إذا اديم إستعماله حتّى أنه يقوم مقام القدح في العين عند نزول الماء خصوصاً إذا قطر في العين وحكت العين بطرف الميل . إنتهى .

و قال في بحر الجواهر: الزيت بارد في الدرجة الاولى . وقيل: فيه رطوبة يقوّى الاعضاء و يعين على جبر ما انكسر منها حتّى قيل : انه مثل دهن الورد في كثير من أفعاله و يقاوم السموم ، و يقتل الديدان و يقوّى الأسنان والمعدة ، و يحفظ الشعر و يمنع سرعة الشيب ، و ينفع من الجرب والقروح كلها واللثة الدامية ويشدّ الأسنان والزيت المغسول هو الذي يضرب في الماء العذب و يؤخذ عنه.

أقول: وقد ذكر الاطباء للزيتون فوائد كثيرة في كتبهم نشير إلى معظمها :

١ ـ ان ورق الزيتون إذا حرق من غصنه الغض في كوز جديد ثم سقحت و عجنت بماء و اعيد حرقها كانت أجود من التوتيا في جميع أفعالها في العين .

٢ ـ ان مضغ ورق الزيتون اذهب فساد اللثة والقلاع و أورام الحلق .

٣ ـ ان دق ورقته و ضمد به أو بعصارته منع الجمرة والنملة والقروح والأورام وختم الجراح ومنع الدم حيث كان . و إن ضمدت به السبرة قطع الاسهال و رماده بماء ثمره والعسل يذهب داء الثعلب والحبة والابرية والسعفة .

٤ ـ ان دقت أوراق الزيتون والأطراف الغضة ، و وضعت فوق العرقوب بأربعة أصابع من الجانب الوحشي حتّى يقرح جذب ما في عرق النساء و ابرأه .

٥ ـ ان طبخ ورق الزيتون بماء الحصرم حتّى يصير كالمرهم قلع الاسنان طلاء بلاآلة و عصارته إذا حقن بها اذهبت قروح الأمعاء والمعدة ، و إن احتملت قطعت السيلان والرطوبات ، و إن طبخت أجزاؤه كلها بماء الكراث والصبر حتى تمتزج كانت دواء مجرباً لأمراض المعدة خصوصاً الباسور والاسترخاء .

٦ ـ صمغ ورقه أجود من الكندر (اللبان الذكر) يحد الذهن و يلصق الجراح و يصلح الأسنان المتأكلة ويقطع السعال المزمن والخراج البلغمى كيف استعمل .

٧ ـ إن اخذت ثمرة الزيتون فجّة و رضت و غيّر عليها الماء حتى تحلو و استعملت بالملح والحوامض مع الأطعمة جودت الشهوة و قوة المعدة و فتحت السدد و حسنت الألوان ، و هذا هو الزيتون الأخضر .

٨ ـ إن أخذت ثمرته بلادق و وضعت في ماء طبخ فيه الجير ذهبت مرارتها في يومها ، و هذا هو الزيتون المكلس و لا شيء مثله في الهضم والتسمين و تقوية الأعضاء إلّا أن الأخضر السابق أبطأ منه إنحداراً .

٩ ـ إن نضجت فأجود ما أكلت بأن تبقى في زيتها و قد يصلق حتّى تذهب مرارته و يملح فيرفع ، و هذان صالحان للبلغميين والمرطوبين ، و مع الامراق الدهنة والحلاوات والاكثار منهما يولد السوداء و يهزل البدن ، و ربما ولد الحكة والجرب .

١٠ ـ إن بخر بنوى الزيتون قطع الربو والسعال و لب النوى إذا ضمدت به الأظفار البرصة قطع برصها و أصلحها صلاحاً قوياً .

١١ ـ ان الرطوبة السائلة من قضبان الزيتون عندحرقه كحل جيّد للدمعة والسبل والرخاوة في الأجفان ، و أيّ جزء منه إذا طبخ و طلى به نفع الصداع المزمن والشقيقة والدوار .

و غير ذلك من المنافع والخواص التي ذكرها الباحثون في كتبهم فمن أرادها فليراجع إليها .

﴿الزيتون والسواك﴾

في تفسير روح البيان: مرّ معاذ بن جبل بشجرة الزيتون، فأخذ منها قضيباً واستاك به، وقال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: نعم سواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفر -: صفر تعلو الأسنان - هو سواكي وسواك الانبياء من قبلي.

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: مازال جبرئيل يوصيني بالسّواك حتّى خفت أن أحفي أو أدرد.

وفيه: باسناده عن أبي اسامة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من سنن المرسلين السّواك.

وفيه: باسناده عن إسحق بن عمار قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: من أخلاق الأنبياء السّواك.

وفي الفقيه: باسناده عن أبي جميلة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسّواك والخلال والحجامة.

وفي محاسن البرقي: باسناده عن إبن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: في السواك إثنتا عشرة خصلة: هو من السنّة، ومطهّرة للفم، ومَجلاة للبصر، و يرضى الرب، ويذهب بالغم (بالبلغم خ) ويزيد في الحفظ، ويبيّض الأسنان، و يضاعف الحسنات، ويذهب بالحفر، ويشدّ اللثة، ويشهّي الطعام، ويفرح بالملائكة.

وفيه: باسناده عن حماد بن عيسى عن أبي عبدالله عليه السلام: السّواك يذهب

بالدمعة ويجلو البصر.

وفي الخصال: باسناده عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام - في وصيّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام - قال: يا علي ثلاثة يزدن في الحفظ، ويذهب البلغم: اللبان، والسواك وقراءة القرآن... الحديث.

وفيه: باسناده عن الحسن بن الجهم قال: قال أبو الحسن موسى عليه السلام: خمس من السنن في الرأس، وخمس في الجسد فأما التي في الرأس فالسّواك وأخذ الشارب، وفرق الشعر والمضمضة والاستنشاق، وأما التي في الجسد فالختان وحلق العانة ونتف الابطين وتقليم الأظفار والاستنجاء.

وفي ثواب الاعمال: باسناده عن إبراهيم بن أبي البلاد عن أبي جعفر عليه السلام قال: السّواك يذهب بالبلغم ويزيد في العقل.

وفي الكافي: باسناده عن معاوية بن عمار قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: كان في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام أن قال: ياعلي اوصيك في نفسك بخصال فاحفظها عنّي ثم قال: اللهم أعنه - وعليك بالسّواك عند كل وضوء.

وفي الفقيه: وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لولا أن أشق على امّتي لأمرتهم بالسواك عند وضوء كل صلاة.

وفيه: باسناده عن عبدالله بن ميمون القدّاح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بغير السواك.

وفي المحاسن: باسناده عن إبن القدّاح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا توضّأ الرجل وسوّك ثم قام فصلّى وضع الملك فاه على فيه فلم يلفظ شيئاً إلّا إلتقمه.

وفي العلل: باسناده عن أبي بكر بن أبي سمّال قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا قمت بالليل فاستك فان الملك يأتيك فيضع فاه على فيك، فليس من حرف تتلوه وتنطق به إلّا صعد به إلى السماء فليكن فوك طيب الريح.

و في الفقيه : عن محمد بن علي بن الحسين عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا قمت من فراشك فانظر في افق السماء وقل : الحمد لله - إلى أن قال - : وعليك بالسواك فان السواك في السحر قبل الوضوء من السنة ثم توضأ .

وفي المحاسن : باسناده عن إسمعيل بن أبان الخياط عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : نظفوا طريق القرآن قيل : يا رسول الله وما طريق القرآن؟ قال : أفواهكم ، قيل : بماذا ؟ قال : بالسواك .

وفيه: : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :أفواهكم طريق من طرق ربكم فأحبها إلى الله أطيبها ريحاً فطيبوها بما قدرتم عليه .

وفي الفقيه: محمد بن علي بن الحسين قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إكتحلوا وتراً واستاكوا عرضاً .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ثلاثة تزدن في الحفظ : السواك، والصوم، وقراءة القرآن »

وفي رواية : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أربع من سنن المرسلين : العطر والنساء والسواك والحنا »

وفي رواية: عن أبي الحسن موسى عليه السلام انه قال : لا يخلو المؤمن من خمسة: مسواك ومشط وسجادة وسبحة فيها أربع وثلاثون حبة وخاتم عقيق .

وفي رواية: عن أبي يحيى الواسطى قيل : لأبي عبدالله عليه السلام : أترى هذا الخلق كلهم من الناس ؟ فقال : ألق منهم التارك للسواك ، والمتربع في موضع الضيق ، والداخل فيما لا يعنيه ، والممارى فيما لا علم له ، والمستمرض من غير علة، والمتسق من غير مصيبة ، والمخالف على أصحابه في الحق وقد اتفقوا عليه، والمفتخر الذي يفتخر بآبائه وهو خلع من صالح أعمالهم . فهو بمنزلة الخليج يقشر لحاءه حتى توصل على جوهريته ، وهو كما قال الله تعالى : « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً » .

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليكم بالسّواك فان فيه عشر خصال: يطهر الفم، ويرضي الرب، ويسخط الشيطان، ويحبّه الحفظة، ويشدّ اللثة، و يقطع البلغم، ويطيب النكهة، ويطفيء المرّة، و يجلى البصر، و يذهب الصفرة من السّنّ.

وفي بعض النسخ ويذهب الحفرة وهو من السنة.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عشر مما علّمهن أبو كم إبراهيم: خمس في الرأس. وخمس في الجسد، فأما اللواتي في الرأس: فالسّواك والمضمضة والاستنشاق وقصّ الشارب واعفاء اللحية، والخمسة التي في الجسد: فالختان والاستحداد والاستنجاء ونتف الابط وقصّ الأظفار.

وفي رواية: قال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: عشرة أشياء تورث الفرح والنجاة من الغمّ: قراءة يس، وتقليم الأظفار، وحلق العانة، والاغتسال، والركوب على الفرس، والسواك، ومؤنة الاخوان، وتمشيط اللحية عند الغسل، والوضوء.

وفي رواية: عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: النشرة على عشرة أجزاء: في المشي والركوب، والارتماس في الماء، والنظر في الخضرة، والأكل والشرب، والنظر إلى المرأة الحسناء، والجماع والسّواك ومحادثة الرجال.

أقول: إنما المراد بالنظر إلى المرأة الحسناء أي التي يجوز النظر إليها كنظر الزوج إلى زوجته الحسناء.

وفي رواية: : قال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: في السواك إثنى عشر خصلة: مطهّرة للفم، ومرضاة للرب، ويبيض الأسنان، ويذهب بالحفر، ويقلّ البلغم، و يشهى الطعام، ويضاعف الحسنات، وتصاب به السنة، وتحضره الملائكة، ويشدّ اللثة، و هو يمر بطريقة القرآن وركعتين بسواك أحب إلى الله عزوجل من سبعين ركعة بغير سواك.

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن أفواهكم طرق للقرآن فطيّبوها بالسواك.

﴿تركب الانسان وقواه وحقيقته﴾

قال الله جل وعلا : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » التين : ٤)

يدور البحث في المقام حول الانسان على جهات ثلاث : تركّبه وقواه وحقيقته كل ذلك على طريق الاختصار :

أما الأول : فان الانسان باعتبار مركب من جسد وروح يشترك به غيره من سائر الحيوان ، وباعتبار آخر مركب من إعتدال وإنحراف ، وعبودية وطغيان ، و تقوى وفجور، وصلاح وفساد ، وما أشبه ذلك ، ومن حيّز الجور هو الانحراف ، والفضائل كلها من حيّز الاعتدال ، وبه يمتاز عن غيره كله حتى الملائكة .

قال الله عزوجل : « ونفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسّاها » الشمس : ٧ ـ ١٠)

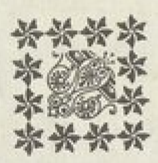
وأما الثاني: فمن الحكمة البالغة الربوبية ،والنعمة السابغة الالهية ان الله تعالى قد أودع في الانسان من القوى والمواهب ما أفرد به الملائكة المقربين ، وما افرد به الحيوانات المبعدين، إذ أفرد الملك بروح علوي ، وأفرد الحيوانات بروح سفلي ، وخصّ الانسان بمعجون مركب من الروحين : ملكي علوي ، و حيواني سفلي ، وبالأوّل كمال الانسان المعنوي وبالثاني كماله المادي ، بالأول معاده وله مقام عند مليك مقتدر، وبالثاني معاشه عيشاً هنيئاً إذا اعتدل وبالأوّل تتغذى روحه، وبالثاني يتغذى جسمه، وبالأوّل حياة القلب وبالثاني حياة الجسم ، وبالأوّل يؤمن ويطيع ، وبالثاني يكفر ويطغى ، وبالأوّل يتلقى النور الالهي ويتجوهر به، وبالثاني

يقع في الظلمات والضلالة ، فالانسان السعيد من سلك إلى صراط الله المستقيم، والشقي من إتبع الهوى والشهوة .

ولكل من الروحين جنود مجنّدة أوردناها في محلها المناسب في هذا التفسير فان شئت فراجع .

وأما الثالث: فان الانسان الكلي هو الذي إشتمل إسمه على هذا النوع من الحيوان بأسره وهو باق ببقاء فرده ، والانسان الجزئي هو الذي يولد و يموت بشخصه .

فالانسان هو المعروف بحقيقة الانسانية بغير الشخص ، والشخص صورة جسد وقع عليه إسم الانسانية بالمجاز والاستعارة، حيث ان الانسانية هي : إجتماع النفس الناطقة والجسد ، فباجتماعهما يستحق الانسانية لا صورة الجسد .



﴿الانسان والحياة﴾

و من المعلوم أن الانسان شديد الحرص على حياته ، كبير الكلف بذاته ، لا يقنعه غير أن يكون مخلداً لايموت ، و مدركاً لا يعتريه الخمود ، وهو شعور فطري غرزه الخالق في طبيعة الانسان كما غرز فيه سائر العواطف الاخرى لاتمحوه من جوهره شدائد الشيخوخة ، ولاتؤثر عليه تارات المحن ، بل ربما زادته شرهاً على شره و أكسبته نهماً على نهم ، طلباً للعوض في المستقبل عما فقده في الماضي ، و يفقده في زمانه الحاضر من مال و ولد ، أو صحة و شرف .

يرى الانسان نفسه حياً مدركاً ، تتلألأ في معناه الانساني أشعة الشعور والحياة ، و تسطع في وجدانه أنوار المدركات والأفكار ، وهو بهذه الصفة سلطان الطبيعة يصرفها بفكره وقائد الخليقة يقودها إلى مصالحها ، ثم تحين منه التفاتة ، فيرى سكان المقابر في سكوت و بهوت ، قد زجوا إلى شقوق من الأرض كانوا يعافون النظر إليها و هم أحياء و يتشاءمون من المرور بها و هم أصحاء فتأخذه قشعريرة باطنية ، تليها إضطرابات نفسية و ثورات عقلية ، فيسئل نفسه :

هل هذا نتيجة الحياة؟ هل هذا آخر التعب والجهاد ؟ هل هذا غاية ما كنا فيه من الجدال و الجلاد و القراع و النضال ؟ هل الانسان كالحيوان ، كيف يستويان و هما عالمان؟ أين يذهب العقل النقي ؟ أين يذهب الفكر السني ؟ أين يذهب التصور العلي ؟ أين يذهب الفؤاد التقي ؟ أين تذهب الارادة القوية ؟ أين تذهب الاخلاق الرضية؟ أين تذهب الشجاعة والسماحة؟ أين تذهب الوداعة و الصباحة؟

بل أين يذهب ذلك الشعور الـذي كان يسبر الأغـوار و يسري في صميم الكون سريان الأنوار؟ أيذهب كل ذلك و يتلاشى و يستوي الخبيث الذي تعافه الأرض أن يمشي عليها ، والطيب الذي يشرف الثريـا لو نظر إليهـا ؟ هل يستوي العالم الذي يملأ طباق الارض علماً والجاهل الذي شوه وجه الانسانية إثماً ؟

إذن فالحيوان أهنأ من الانسان بالاً ، و أروح منه حالاً فانه يعيش في هناء و سرور و لهو و حبور فاذا جاء يومه إضطجع و أن أنينه ، و ذهب غير مأسوف عليه ، و لا منظور إليه و لم يأس على ترك ولد و لم يحزن لفراق بلد و لا ندبه أهل تركهم أشتاتاً و شعب جمعهم أنكاثاً .

نظر الانسان في أمره هذا النظر فثارت في ضميره حرب علوان ، و اشتعلت في فؤاده نيران و أيّ نيران ، و لم يهنأ له عيش ، و لم يقر له بال على حتى كرر النظر و أعمل الفكر ، وآب وفي طي ضميره عقيدة الخلود في دار بعد هذه الدار و على حال غير هذه الأحوال ، و أن بينه و بين الحيوانات فرقاً شاسعاً وإمتيازاً كبيراً ، فهى تأكل وتتناسل ثم تتلاشى و تفنى فناء لانشور بعده ، أما هو فيحيى هذه الحياة القصيرة الأمد في أىّ نوع من أنواع الجهاد الحيوى ، ثم يفارق هذا العالم إلى عالم أرقى منه ، فبني على هذه الفكرة أخلاقه و آدابه ، و أسّس على دعائمها شرائعه و قوانينه ، و سعى في كل أعماله أن يبتعد في أحواله وشؤونه عن عالم الحيوان الذي ثبت لديه أنه من عالم أرقى من عالمه ، و أنه ممتاز عنه في خصيصة الخلود والتنعم بجزاء أعماله ، أو المحاسبة والشقاء بسيئات آثامه ، و لولم تثبت للانسان هذه العقيدة من مبدإ أمره لشاكل الحمر الوحشية في سفالتها، والبهم المهملة في ضراوتها .

هنا يمكن أن يعترض علينـا الروحيون ، و يشمت بنـا الماديون فيقول الروحيون : « إن تفصيلك هذا في منشأ الاعتقاد بالدار الآخرة والخلود يشير إلى أنّ هذه العقيدة حصلت للانسان بالاستدلال لا بالفطرة ، ولو تساهلنا في اصولنا

لهذا الحد بلغ منا خصومنا الماديون مناهم، وحاربونا بنفس مقرراتنا، وأثبتوا لنا أن الدين مبدؤه إنساني لا إلهي فما تقول ؟ »

ويقول لنا الماديون: « لقد رجعتم إلى اصولنا الصحيحة المستندة على الحقائق الثابتة وقلتم: ان الدين نشأ للانسان بالاستدلال والنظر في الكون، وبذلك فقد أثبتم ماقلناه في كتبنا من أن الدين ليس بفطري طبيعي، و إنما هو إنساني صناعي، و ها أنتم رجعتم إلى هذا الأصل الخطير، و نؤمل في رجوعكم إلى سائر اصولنا الاخرى من نفس هذا الطريق » .

نقول: إنا لا نريد من فطرية الدين أنه مطبوع في وجدان الانسان على شكل خاص وإنما نريد من ذلك أنه مستعد له بالفطرة أى أنه إذا كان سليم الفطرة صحيح الفؤاد حاصلاً على شروط الانسانية توصل بمحض قواه و مواهبه الذاتية إلى الدين المطلق الحق، وهو الخضوع لقيوم السموات والارض، ولكنه قد يكون سقيم الفطرة، مريض الفؤاد بالشهوات والسفاسف، فيميل بتلك الخاصية الدينية فيه إلى إعتقاد الأوهام والأباطيل، وما يحسّ من نفسه بالباعث إليه كارغام أكثر المتدينين أنفسهم على إعتقاد ما لا يقرّ عليه العقل، و لا يوافقه الحسّ، بل قد يعتقدون بالوراثة ما يخجلون من حكايته، و يبكون من شدة تناقضه، فلو كان قولنا الدين فطري في النفس: معناه الدين على شكل خاص لما اختلف كلهم فيه و لكان دين البشر واحداً، ولكنا نريد من قولنا: الدين فطري في النفس أنها مستعدة له بالفطرة لا تتكلفه بالصناعة إذ لا فرق بين ذلك القول، و قولنا: البصر فطري في الانسان، و لا يلزم من قولنا: البصر فطري في الانسان أنه لا يبصر إلّا أشكالاً خاصة من المرئيات . . . و إنما هو يقتضي أنه مستعد للبصر والرؤية، وله أن يستعمل هذه الخصيصة فيما شاء بلا حجر عليه فان كان سليم الفطرة، سليم العقل إستعمله فيما ينبغي أن ينظر إليه، وإن كان غير ذلك إستعمله فيما لا ينبغي أن ينظر إليه .

قلنا: معنى قولنا: الانسان مفطور على الدين : أنه مستأهل للتدين وقابل له بالفطرة ومعنى قبوله له : أن في طبيعته بواعث تبعثه له ، و تؤديه إليه ، فهب أنك ربيت طفلاً بمعزل عن الناس ، فلم يسمع أقوالهم و لم يتأثر بعقائدهم ولم يحصل خبراً ماعماهم عليه من حيث الدين بالمرة ، فلا يلزم من قولنا: ان الانسان مفطور على الدين أنك ترى ذلك الطفل متى بلغ سن التمييز ناطقاً بحقيقة الدين الكبرى بلا مقدمات ولانتائج . . . كلا ، بل قولنا ذلك يقتضي أن قواه ومواهبه الفطرية لا تزال به حتى تؤديه إلى الدين و لو بعد حين .

وذلك أنه متى بلغ سن التمييز أخذ ينظر في الأشياء المحيطة به نظر المميز المستخبر يرفع بصره إلى السماء فيستعرض تلك النقط اللامعة في وسط ذلك الأديم الأزرق ثم يرمي به إلى الأرض ويستجلى بدائع الأشجار وغرائب الأزهار وعجائب الأطيار ثم يؤوب إلى ذاته فيسائل نفسه عن منشأها و أصلها ، و كيفية نموها و تكونها وهكذا ثم يترقى في النظر والاستدلال بترقى سنه وتوالى المناظر والمشاهد على مخيلته ، و يؤوب بشيء من العلم في كل مرة حتى ينتهى به النظر إلى أصل الكون ومبدئه و كيفية تصريفه وتدبيره ، فلا يتمالك نفسه من الحكم الثابت الذي لا يعتريه شك ولايشو به تردد بأن له مصرفاً قوياً ، و مدبراً عالياً يهيمن عليه و يقوم بشؤونه .

و بما أنه جزء من الكون يرى أنه هو أيضاً صنع ذلك القوي القادر قيوم السموات والارض ، فترى صاحبنا إن أصابه ألم أو مسه برد ، أو ألمت به مخافة وجد نفسه مفطورة على الشكوى لخالقه و خالق الكون ، و مفاتحته بما يجيش في سريرته ، و يجول في سويداء ضميره فاذا اتفق ومرت بصاحبنا هذا جنازة ميت إضطربت نفسه ، و جاشت هواجسه و مادت به حواسه و اعترته خشية و رعدة و سئل نفسه عن مصيرة و نهايته ، و ألم به من الأرق والتململ ما بسطناه في مقدمة هذه المقالة و ذهب بفكره في مناحى هذا الكون مفكراً مستدلاً، ثم عاد والعقيدة

بالخلود ألصق به من نفسه .

هذه امور لا يمكن الشك فيها بوجه من الوجوه ، فان الدين عام بين كل امم الارض ، و لا يشذ عنه إلاّ أفراد متوحشون لا يعدون من الانسانية لان فيهم نقصاً فطرياً ، و قد ثبت انهم غير قابلين للترقي أيضاً ، فكون الدين عاماً في كل الامم بعقيدته الرئيستين: الاعتقاد بالخالق والاعتقاد بالمعاد أكبر دليل حسّي على التفصيل الذي ذكرناه وهو ما يحسّ به كل فرد منا في نفسه .

أما ماذكرناه من شماتة الماديين بنا، و إدعائهم أننا أبنا إلى أصل من اصولهم فهو إدعاء باطل و مغالطة محضة بناء على ما قررناه فيما سبق ، ولا ندري كيف يسوقهم أن يقرروا عدم فطرية الدين وهم يرون بأعينهم أن الفكر والاستدلال اللذين ساقا الانسان رغم أنفه إلى الدين هما فطريان طبيعيان ، لا يزولان و لا يحولان ؟ فاذا كان الفكر والاستدلال في الانسان فطريين فكيف لايكون مايؤديان إليه على وجه التعميم طبيعياً ضرورياً إذا كان أمر التدين خاصاً بامم دون امم لقيل بأنه من الامور الخيالية التابعة لنزعات النفس و منازع الأهواء ، ولكن شيوعه إلى هذه الدرجة في كل زمان ومكان ، وعند كل طائفة من طوائف الانسان مع إختلافها في درجات المعرفة وأساليب البيان يدل تمام الدلالة على أنه مرتكز على عواطف فطرية تؤدى إليه ، وعلى أنه حاجة كبيرة من حاجات النفس البشرية لا ترتاح إلاّ إذا انتهت إليه .

و ان هذا هو الواقع و إن أنكره الماديون عن حمق و جهالة .

قال الله تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكنّ أكثر الناس لايعلمون » الروم : ٣٠) .

و قال : « و قالوا ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت و نحيى و ما يهلكنا إلاّ الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنّون » الجاثية : ٢٤) .

و نحن نشير هيهنا إلى نبذة من كلمات قصار مولى الموحدين إمام المتقين

أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام حول الحياة :

١ ـ قال الامام علي عليه السلام : « العلم إحدى الحياتين » .

٢ ـ و قال عليه السلام : « الذكر الجميل إحدى الحياتين » .

٣ ـ و قال عليه السلام : « السهر إحدى الحياتين » .

٤ ـ و قال عليه السلام : « الذكر نور العقل و حياة النفوس و جلاء الصدور » .

٥ ـ و قال عليه السلام : « إكتسبوا العلم يكسبكم الحياة » .

٦ ـ و قال عليه السلام : « غاية الحياة الموت » أي الحياة المادية الدنيوية .

٧ ـ و قال عليه السلام : « في الذكر حياة القلوب » .

٨ ـ و قال عليه السلام : « ما أقرب الحياة من الموت » .

﴿ المايز بين الانسان و غيره ﴾

وقد سبق منافي هذا التفسير مايميّز به الانسان عن الحيوان ، ونشير في المقام إلى نبذة ما يتميّز الانسان به عن غيره :

منها : ان لكل موجود من الموجودات سوى الانسان لـه حدّ من قسط الوجود لايتعداه ، ولكل مقام معلوم لايتجاوزه وهو له ثابت بالفعل ، وليس فيه قوّة الانتقال من طور إلى طور ، ومن كون إلى كون ، فالفلك في فلكيته ، والملك في ملكيته ، والشيطان في شيطنته ، والجماد في جماديته ، والنبات في نشوه ونمائه ، والحيوان في شهوته وغضبه . . . كل منها في غاية ماله من الكمال والفعلية والتمام .

وأما الانسان فيستطيع بما أودع الله جل وعلا فيه من القوى والمواهب أن يفوّق على الملك في التقدّس والتسبيح والعبادة والمنزلة عندالله تعالي إذ لكل ملك مقام معلوم لايتجاوز عنه : « ومامنّا إلاّ له مقام معلوم » الصافات : ١٦٤) وليس الانسان كذلك إذ له درجة حسب أعماله الصالحة . . .

قال الله عزوجل : « ولكل درجات مما عملوا » الانعام : ١٣٢)

وقال : « ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى » طه : ٧٥)

وقال : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم و أنفسهم أعظم درجة عندالله » التوبة : ٢٠)

وأن يردّ إلى أسفل سافلين ، وأن ينحطّ إلى ماليس وراءه إنحطاط بسوء

إختياره وفساد أعماله . . .

وإلى ذلك كله يشيرقوله عزوجل في هذه السورة : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غيرممنون » التين : ٤ ـ ٦)

وقال : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أويعقلون إن هم إلاّ كالانعام بل هم أضلّ سبيلاً » الفرقان : ٤٤)

وقدكانت شيطنة الشيطان محدودة بتشكيكه في عدل الله جل وعلا إذ أمره بالسجدة لآدم عليه السلام فأبى واستكبر فأمهله لوسوسة الناس إلى يوم يبعثون مع شهادته بوحدانية الله تعالى ، وإعترافه بيوم البعث والحساب والجزاء ، وقبح تقديم المفضول على الفاضل . . .

قال الله تعالى : « قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خيرمنه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزّتك لاغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين » ٧٥ ـ ٨٣)

وأما الانسان فيستطيع أن ينكر بوجود الله تعالى ورسله والبعث . . . و أن يحسّن تقديم المفضول على الفاضل ، وأن يعتقد مايتحيّر به الشيطان و يخجل و يبرىء منه .

قال الله عزوجل: « كمثل الشيطان إذقال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين » الحشر : ١٦)

وقال : « وقال الشيطان لماقضى الامر إن الله وعدكم وعد الحق و وعدتكم فأخلفتكم وماكان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون

من قبل » إبراهيم : ٢٢)

ومنها : لماكان الشيء الذي به يفضل الانسان على سائر الحيوان هوالقوة التي بها يميّز بين الأسباب والامور التي يتصرّف فيها، ويشاهدها حتى يعرف النافع منها فيؤثره ويحصّله عنده، ويرفض غير النافع ويجتنبه ـ وخروج ذلك الشيء من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتجربة، ومعنى التجربة هو تأمل جزئيات الشيء والحكم على كلياته بما يصادفه في تلك الجزئيات ـ كان من حصل عنده من هذه التجارب أكثر فهو أفضل وأكمل في الانسانية، غير ان الذي يجرّب الامور بما يخطيء في فعله وتجربته حتى يتصوّر من حال الشيء خلاف ماهو عليه ذلك الشيء بالحقيقة.

ولايخفى على الحكيم: ان أسباب الخطأ كثيرة، وقد عدّها من تكلّم في صناعة المغالطة، والحكماء ـ من بين سائر الناس ـ هم الذين حصلت عندهم من التجارب ماهي حقيقة صحيحة، إلّا أن من طباع جميع الناس أن يحكموا بالحكم الكلي عند مشاهدتهم بعض الجزئيات، ومعنى الكلي هيهنا: الذي يشمل جزئيات الشيء بأسرها وفي طول زمانه أيضاً، حتى ان الشيء الواحد بالشخص لو شوهد منه فعل مرات، حكم على ذلك الشيء بذلك الفعل في طول زمانه كله: كمن يصدّق مرّة في كلامه أو مرتين أو أكثر فان في الطباع أن يحكم بأنه صدوق بالاطلاق، وكذلك من يكذب، ومن شوهد منه شجاعة أو جبن أو خلق من الأخلاق مرات، فانه يحكم عليه بذلك أجمع دائماً.

وان الحكماء لما عرفوا هذا المعنى من طباع الناس إنما أظهروا من أنفسهم حالاً من الأحوال مرات كثيرة حتى حكم الناس عليهم بذلك الأمر دائماً، ثم أتوا بخلاف تلك الحال فيما بعد، فخفي على الناس ذلك وظنّوه الحالة الاولى، مثلما يحكى عن بعض الزهاد المتقشفين أنه كان ممّن عرف بالصلاح والصواب والزهد والعبادة، وشهر عند الناس بذلك فلحقه خوف من جهة السلطان الجائر، وأراد

المهرب من مدينته تلك ، فخرج أمر ذلك السلطان بطلبه و أخذه حيثما وجد ، ولم يمكنه الخروج من باب من أبواب المدينة ، وخشي على نفسه الوقوع في يد أصحاب السلطان ، فعمد إلى لباس من لباس أهل البطالة فلبسه ، وأخذ بيده طنبوراً، وتساكر في أوّل الليل وجاء إلى باب المدينة يغنّي على طنبوره ذلك ، فقال له البوّاب: « من أنت ؟ » فقال له مستهزئاً : « أنا فلان الزاهد » فظن البوّاب انه سخر منه ، فلم يتعرّض له فنجى ولم يكذب في قوله .

منها : ان الجاهل قد يتوهم ان البهائم تعقل لمعرفتها ما يجابهها وخوفها مما يقع بها من الضرب ، وهذا لا يوجب للشخص العاقل لأنه إنطباع الأشياء المحسوسة في الحس المشترك ، فان كان للحيوان تمييز بفكره وصل بين المحسوسات والمعقولات ، ونتج من ذلك ما يصلح من النتائج وحصله في مواضع الاعتقادات ووقف السلوك فيه وحفظه أيضاً ، وإذا لم يكن للحيوان تمييز يفكر به إنتقل ما في الحسّ المشترك إلى موضع الاعتقادات كما لحقه حسّ الحيوان من خارج فحفظ صوره البسيطة وحدها ، فالفرق بين الانسان والبهائم ما للانسان من إستخراج النتائج والاضافات المركبة من مثل أن العم مركّب من الأب والاخ ، وأما البهائم فليس لها إلّا علم ما قبلته من خارج .

وقد ظنّ قوم أن البهائم تعقل بما تراه من فرط حذر بعضها و شجاعتها و بخلها وسخائها ، قد إستكملت انس النفس ومنعتها من التعلق بالعقل ، و صرفها لما تتصرف منه الأعضاء . والدليل على ذلك أن الأخلاق التي في أنفس البهائم إنما تكون أحد الضدين ولا يوجد فيها الآخر مثل أن الحيوان بخيل لا يسخو، والمختل لا يستربل وهذا دليل على أنه يتبع الطبيعة ، فيسلك به مسلكاً واحداً ،ولو سلك مسلكين لظن انه يتصرف تلقاء العلة وانه بذلك عاقل .

كما أن لبعض الطير صناعات إذ يصنع بيوتاً ومساكن ولاسيما النحل ولكن ذلك ليس مما يصدر عن إستنباط وقياس بل عن إلهام وتسخير: « وأوحى ربك إلى

النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون » النحل: ٦٨)

ولذلك لايختلف ولايتنوّع، وأكثرها لصلاح أحوالها وللضرورة النوعية، وليست للضرورة الشخصية ، وأمّا الذي للانسان فكثير منه للشخصية و كثيرمنه لصلاح حال الشخص بعينه .

ومنها : ان الانسان نبات سماوي لأن أصله الذي هو رأسه يليها و رجليه أبعد ما فيه عنها ، وإنما يجذ به الروح النفساني إلى مرتبة في العالم فوق مرتبة الهواء الذي هومنغمس فيه، ولذلك إذا ضعف الجاذب له عند زيادة السّنّ إنحنى وضعف بعضه عن حمل بعض ، فانظر إلى النبات لماكان أخسّ نفساً ، كيف كان منكوس الرأس ، وهوأصله الذي في الارض إذا قطع بطلت قواه ، والحيوان الغير الناطق لماكان أتمّ منه صار رأسه من التنكس إلى التوسط ولكنه ما استقام والانسان لما فضّل عليهما بالنفس صار رأسه إلى السماء وانتصب قامته .

ومنها : ان الانسان مدني بالطبع ولايكون سائر الحيوان كذلك ،وذلك ان للانسان خواص أفعال تصدر عن نفسه ليست موجودة لسائر الحيوان ، وأوّلها ان الانسان لماكان في وجوده المقصود فيه يجب أن يكون غيرمستغن في بقائه عن المشاركة ، ولم يكن كسائر الحيوان الذي يقتصر كل واحد منها في نظام معيشته على نفسه وعلى الموجودات في الطبيعة له ، وأما الانسان فلولم يكن في الوجود إلّا هو وحده وإلّا الامور الموجودة في الطبيعة له لهلك أو لسائت معيشته نهاية السوء .

و ذلك لفضيلة الانسان ونقيصة سائر الحيوان على ما ستعمله في مواضع اخرى ، فالانسان في حاجة شديدة إلى امور أزيد مما في الطبيعة كالغذاء المعمول، واللباس المخطوط ،والبناء المصنوع . . . فان الأغذية الطبيعية وحدها لاتكفيه ولا تلائمه ولايحسن معها معيشته ، والاشياء الطبيعية التي يمكن أن يلبس فيحتاج الانسان إلى أن يجعلها بهيئة خاصة حتى يمكنه أن يلبسها .

وأما سائر الحيوان فلا يحتاج في غذائه إلى ما يحتاج إليه الانسان في غذائه،

و ان لباس كل واحد معه بالطبع ، و لذلك يحتاج الانسان إلى الفلاحة و الصناعة... ولا يستطيع الانسان الواحد من تحصيل كل ما يحتاج إليه في شؤون حياته بنفسه، فلابد له من المشاركة مع أفراد نوعه ، فيحرث هذا ، ويخبز ذاك ، وهذا ينسج، و ذاك يخيط ، ويبيع هذا ويشترى ذاك ، وهذا يجمع و ذاك يحرس ، ويرعى هذا ويحكم ذاك ، وهذا ينقل شيئاً من بلاد غريبة إلى ذلك وهذا يعطيه بازاء ذلك شيئاً من بلاد غريبة إلى ذلك وهذا يعطيه بازاء ذلك شيئاً من قريب ويعلّم هذا ويتعلّم ذاك . . .

ولتلك الأسباب وغيرها من الأسباب الخفية الاخرى إحتاج الانسان إلى أن يكون له في طبعه قدرة على أن يعلم الآخر الذي هو شريكه ما في نفسه بعلامة وضعيّة، فعلّمه الله تعالى النطق والبيان : « خلق الانسان علّمه البيان » الرحمن: ٣-٤)

وقال : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا ان أكرمكم عندالله أتقاكم » الحجرات : ١٣)

ومنها : ان الانسان يتبع إدراكاته للأشياء النادرة إنفعال يسمّى تعجباً ، و يتبعه الضحك ، ويتبع إدراكه للأشياء الموذية إنفعال يسمّى ضجراً، ويتبعه البكاء، ويخصّه في المشاركة أن المصلحة تدعو إلى أن يكون في جملة الأفعال التي من شأنه أن يفعلها أفعال لاينبغي له أن يفعلها ، فيعلم ذلك صغيراً أو ينشأ عليه ، و يكون قد تعود منذ سماع ان تلك الأفعال ينبغي أن لايفعلها حتى صار هذا الاعتقاد كالغريزي ، وأفعال اخرى بخلاف ذلك ،ويسمّى الاولى قبيحة ، والاخرى جميلة، ولا يكون ذلك لسائر الحيوان.

و إن كان حيوان يترك أفعالاً كان له أن يفعلها كالأسد المعلم الذي لا يأكل صاحبه ، ولا يأكل ولده فليس سبب ذلك إعتقاداً في نفس الأسد ورأياً له ، بل لهيئة نفسانية وهى أن كل حيوان يؤثر بالطبع وجود ما يلذه وبقائه ، وان الشخص

الذي يطعمه قد صار لذيذاً عنده لان كل نافع لذيذ بالطبع عند المنتفع، فيكون المانع عن فرسه هو هيئة وعارضاً نفسانياً لا الاعتقاد والرأى ، و ربما يقع هذا العارض في الجبلّة ، ومن الالهام الالهي كحبّ كل حيوان ولده من غير إعتقاد ألبتة ، بل على نوع تخيّل بعض الانسان لشيء نافع أولذيذ ، أونفرته عنه إذا كان في صورة ما ينفرعنه .

وقد يتبع شعور الانسان بشعورغيرهانه فعل شيئاً من الأشياء التي قدأجمع على أنه لاينبغي أن يفعلها إنفعال نفساني يسمّى خجلاً ، وهذا أيضاً من المايز للانسان من سائر الحيوان،وقد يعرض إنفعال نفساني بسبب ظنّه ان أمراًفي المستقبل يكون مما يضرّه ، و ذلك يسمّى خوفاً ،وأماسائر الحيوان فيكون له ذلك بحسب الآن غالباً أومتصلة بالآن ، وان للانسان بازاء الخوف رجاءاً ، وما يستظهر بعض الحيوان فليس ذلك لانه يشعر بالزمان وما يكون فيه ، بل ذلك ايضاً ضرب من الالهام كالنمل الذي يسرع في نقل الحنطة إلى حجرتها منذرة بمطر يكون ، و كالحيوان الذي يهرب عن الضد لما يتخيّل ان هوذا يضربه في الوقت .

ويتصل بهذا الجنس ما للانسان أن يروى فيه من الامور المستقبلة آنه هل ينبغي له أن يفعلها أولا ينبغي ، فيفعل ما يصح أن يوجب رويّته أن لايفعله وقتاً آخر، وأما سائر الحيوان فيكون له من الاعدادات للمستقبل ضرب واحد مطبوع فيه وافقت عاقبتها أم لا.

ومنها : تصور الانسان المعاني الكلية العقلية المجردة عن المادة كل التجريد، والتوصل إلى معرفة المجهولات تصديقاً وتصوراً من المعلومات العقلية ، و هذه الأحوال والأفعال مما يوجد للانسان وجلّها يختصّ به الانسان ، وإن كان بعضها بدنياً،ولكنه موجود لبدن الانسان بسبب النفس التي للانسان لالسائر الحيوان، بل ان للانسان تصرّفاً في امور جزئية ، و تصرّفاً في امور كلية ، والامور الكلية إنما يكون فيها إعتقاد فقط ، ولو كان أيضاً في عمل فان من اعتقد إعتقاداً كلياً ان البيت

كيف ينبغي ومتى ينبغي أن يبنى ، فانه لايصدر عن هذا الاعتقاد وحده فعل بيت مخصوص صدوراً أولياً ، فان الافعال يتناول بامور جزئية ، و يصدر عن إزاء جزئية ، و ذلك لان الكلي من حيث هوكلي لايختص بهذا دون ذاك .

فيكون للانسان إذن قوة يختص بالآراء الكلية ،وقوة اخرى يختص بالروية في الامور الجزئية فيما ينبغى أن يفعل ، و يترك مماينفع ويضر ، وفيما هو جميل وقبيح ، وخيروشر ، و ذلك يكون بضرب من التأمل ، صحيح أوسقيم غايته انه يوقع راياً في أمرجزئي متقبل من الامور الممكنة لان الواجبات والممتنعات لا يروى فيها ليوجد أو يعدم ، وما مضى لايروى في ايجاده على ماض ، وإذا حكمت هذه القوة يتبع حكمها حرة القوة الاجماعية إلى تحريك البدن كما كانت يتبع أحكام قوى اخرى في سائر الحيوان .

ويكون هذه القوة إستمدادها من القوة التى على الكليات ، فمن ثم تأخذ المقدمات الكبرى فيما يروى وينتج في الجزئيات ،فالقوة الاولى للنفس الانسانية قوة تنسب إلى النظر فيقال : عقل نظرى ، والقوة الثانية تنسب إلى العمل ،فيقال: عقل عملي ، و ذلك للصدق والكذب ، و هذه للخيروالشرفي الجزئيات ، و تلك للواجب و الممتنع والممكن ، و هذه للقبيح والجميل و المباح ، و مبادى تلك من المقدمات الاولية ، و مبادئ هذه من المشهورات والمقبولات والمظنونات و التجربيات الواهية التي تكون من المظنونات غيرالتجربيات الوثيقة ، و لكل واحدة من هاتين القوتين رأى وظن ، فالرأى هو الاعتقاد المجزوم به ، والظن هو الاعتقاد المميل إليه ، مع تجويز الطرف الثاني، وليس كل من ظن فقد اعتقد كما ليس كل من أحس فقد عقل ، أومن تخيل فقد ظن أو اعتقد أو رأى .

فيكون في الانسان حاكم حسي وحاكم من باب التخيل وهمي وحاكم نظري وحاكم عملي ، و تكون المبادي الباعثة لقوته الاجماعية على تحريك الأعضاء وهم خيالي وعقل عملي وشهوة وغضب ، وتكون لسائر الحيوان ثلاثة من

هذه ، و ان العقل العملي يحتاج في أفعاله كلها إلى البدن و إلى القوة البدنية ، وأما العقل النظري فان له حاجة ما إلى البدن و إلى قواه لكن لادائماً ومن كل وجه ، بل قد يستغني بذاته ، وليس ولاواحد منهما هو النفس الانسانية، بل النفس هى الشيء الذى له هذه القوى ، وله إستعداد نحو أفعال بعضها لايتم إلّا بالآلات و بالاقبال عليها بالكلية ، وبعضها يحتاج إلى الآلات حاجة ما وبعضها لايحتاج إليها ألبتة .

فجوهر النفس الانسانية مستعد لان يستكمل نوعاً من الاستكمال بذاته ، و ممافوقه لايحتاج فيه إلى مادونه وإليه يشير قوله تعالى : « ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها » الشمس : ٧ ـ ٨)

وهذا الاستعداد للنفس الانسانية هو بالشيء الذي يسمّى عقلاً نظرياً ، وهى مستعدة لأن تتحرّز عن آفات تعرض لها من المشاركة ، وأن تتصرف في المشاركة تصرفاً على الوجه الذي يليق بها ، وهذا الاستعداد لها بقوّة يسمى عقلاً عملياً ، وهى رئيسة القوى التي لها إلى جهة البدن ، وأما مادون ذلك فهى قوى ينبعث عنه لاستعداد البدن لقبولها ، ولمنفعته، والأخلاق تكون للنفس من جهة هذه القوة كما أشرنا إليه آنفاً .

ولكل واحد من القوتين إستعداد و كمال فالاستعداد الصرف من كل واحد منهما يسمّى عقلاً هيولانياً ، سواء أخذ نظرياً أو عملياً ، ثم بعد ذلك إنما يعرض لكل واحد واحد منهما أن يحصل له المبادىء التي بها يكمل أفعالها إما للعقل الهيولاني فالمقدمات الأولية و ما يجرى معها ، وإما العملي فالمقدمات المشهورة وهيئات اخرى، فحينئذ يكون كل واحد منهما عقلاً بالملكة ، ثم يحصل كل واحد منهما الكمال المكتسب .

وإليه يشير قوله جل وعلا : « قد أفلح من زكّاها و قد خاب من دسّاها » الشمس : ٩ ـ ١٠)

وعن أفلاطون : قال : فضيلة الانسان على البهائم ستة : العقل ونطق اللسان، فأما البهائم فان لها شهوة تطلب بها الطعام، وتهتاج بها للفساد ، وفيها غضب تطلب به الانتقام ممن يؤذيها ، و أما الانسان ففيه ثلاث قوى مختلفة : العقل والغضب والشهوة ، و كل خصلة من هذه بين رذيلتين يتنازعانها من الزيادة ، والنقصان ، والأفضل أن تكون معتدلة لأن الاعتدال قصد ، والقصد عدل ، والزيادة والنقصان ميل والميل جور ، فاذا زاد العقل كان خبّاً ، وإذا نقص كان بلهاً ، و كل ذلك داخل في العقل لأن الخبّ يتعاطى بكيده أخذ ماليس له ، والأبله تعظم غفلته عن أخذ مايجب له .

و كذلك الشهوة تكون من زيادتها : المجون ، ومن نقصانها : الفتور وفي الاعتدال : العفة ، و كذلك الغضب إذا زاد كان صاحبه أهوج ، وإذا نقص كان جباناً و في إعتداله الحلم ، فالحكمة : القصد في العقل ، والعفة : القصد في الشهوة، والحلم: القصد في الغضب ، فباعتدال هذه الخصال يكمل العدل في الانسان ، وذلك الاعتدال خير في الانسان ، وزيادته ونقصانه به شرّ .

أقول: ولم يذكر من الستة غير هاتين الاثنتين .

وقال بعض من خالفه : انه لا ينبغي أن يكون للشيء الواحد ضدّان لان ضدّ الواحد واحد في موازنة القول والقياس ،كالنار وضدّها الماء ، والضوء وضدّه الظلمة ، وزعمتم أن الزيادة والنقصان ضدّ العدل ، وهذا لا يجوز ولا تقبله العقول ، فقيل لهم : الزيادة والنقصان بضد العدل في الكلام ، بل الجور الذي يجمعهما .

وأما أفلاطون فقال : قد يكون للشيء الواحد ضدّان مثل الزيادة والنقصان ضد الاعتدال .

﴿الانسان في أحسن تقويم﴾

قال الله تعالى : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » التين : ٤)

ان الله عزوجل خلق كل شيء حسناً وجعله على صورة حسنة تناسبه،وقال: « الذي أحسن كل شيء خلقه » السجدة : ٧) وقدّره تقديراً على مايناسبه ،وقال: « وخلق كل شيء فقدّره تقديراً » الفرقان: ٢) وهداه إلى مافيه كماله كلاًّ بحسبه، وقال : « الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » طه : ٥٠) من غير تفاوت بين شيء وشيء ، وقال : « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » الملك : ٣)

ومن خلق الرحمن هو هذا الانسان ، إذقال فيه : « من أيّ شيء خلقه من نطفة خلقه فقدّره » عبس : ١٨ ـ ١٩) وعدّل بين قواه الظاهرة والباطنة ،وقال : « يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم الذي خلقك فسوّاك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك » الانفطار : ٦ ـ ٨)

وهذا الانسان هو الحق الذي تراه العين ، و يراه العقل في أشكال الأشياء و وظائفها وفي طبيعتها منفردة ، وفي تناسقها مجتمعة وفي هيئاتها : وأحوالها و نشاطها وحركاتها ، وفي كل مايتعلق بوصف الحسن والاحسان من قريب أو بعيد ، هذه صنعته عزوجل في كل شيء ، هذه يده ظاهرة الآثار في الخلائق ، وهذا كل شيء خلقه يتجلّى فيه الاحسان والاتقان ، وقال : « صنع الله الذي أتقن كل شيء » النمل : ٨٨)

فلا تجاوز ولا قصور ولا زيادة على حدّ الاحسان والاتقان ، ولا نقص ولا إفراط

ولا تفريط في حجم أو شكل أو صنعة أو وظيفة ، فكل شيء مقدر لا يزيد عن حد التناسق الجميل ، ولا ينقص ولا يتقدم عن موعده ولا يتأخر ولا يتجاوز مداه، فالجسم يتركب من أجزاء لابد من أن تنمو كلها على وجه التناسب كي يحفظ التوازن بين الاعضاء وإلا يهلك الجسم برمته عند ما يكون طول الرجل مثلا أربع باعات، وطول بقية الجسم شبرين لا بل في بعض الأحيان قد يتحول الجسم إلى صورة حيوان آخر أن تجرد عن التناسب ليس فقط في كمية نموه بل في مزية نموه أيضاً.

فلا يقصر كل شيء من الذرة الصغيرة إلى أكبر الأجرام ، ومن الخلية الساذجة إلى أعقد الأجسام كلها يتجلى فيها الاحسان والاتقان ، وكذلك الأعمال والأطوار والحركات والأحداث كلها من خلق الله عزوجل مقدرة تقديراً دقيقاً في موعدها و مجالها وفي مآلها تكويناً .

قال الله تعالى : « والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون » يس : ٣٨ - ٤٠)

كل على وفق الخطة الشاملة لسير هذا الوجود من البدو إلى الختم بتدبير الله تعالى ، فكل شيء مصنوع ليؤدي دوره المقسوم له في دائرة الوجود معد لأداء هذا الدور اعداداً دقيقاً مزود بالاستعدادات والخصائص التى تؤهله لدوره تمام التأهيل ، هذه الخلية الواحدة المجهزة بشتى الوظائف هذه الدودة السابحة المجهزة بالأرجل أو الشعيرات ، وبالملاسة والمرونة والقدرة على شق طريقها كأحسن ما يكون هذه السمكة هذا الطائر هذه الزاحفة هذا الحيوان هذا الانسان هذه الارض، هذه الكواكب السيارة ، وهذا النجم الثابت ، هذه الأفلاك والعوالم ، وهذه الدورات المنتظمة الدقيقة المنسقة العجيبة المضبوطة التوقيت والحركة على الدوام .

فكل شيء إمتد البصر إليه يجده متقن الصنع ، بديع التكوين ، يتجلى

فيه الاحسان والاتقان، والعين المفتوحة والحس المتوفز والقلب البصير ترى الحسن والاحسان في هذا الوجود بتجمعه وتراه في كل أجزائه وأفراده ، ولكنه إذا اتجه النظر إلى شكله وهيئته ، وإلى إستواء قامته وتقويم جسمه يجده أحسن صورة وشكل وهيئة من بين الأشياء . . .

قال الله تعالى : « خلق السموات والارض بالحق وصوّركم فأحسن صوركم» التغابن : ٣)

و إذا فتح القلب وخلّى الذهن وتأمل بالفكر، يجد نفسه ـ يعيش في هذا المهرجان الالهي الجميل بالبديع المتقن يتجلّى آيات الاحسان والاتقان في كل ما يراه وما يسمعه وما يدركه في رحلته على هذه الكواكب ـ لائقاً أن يكون له إستيلاء على ما سواه من الأشياء ، ولائقاً أن يسخر له ما في السموات وما في الأرض..

قال الله عزوجل : « ألم تروا ان الله سخّر لكم ما في السموات وما في الارض و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » لقمان : ٢٠)

ولائقاً أن يكون خليفة الله تعالى في أرضه لما أودعه الله عزوجل فيه ، وأمر به ملائكته أن يسجد له إذ قال : « وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ـ وعلّم آدم الاسماء كلها ـ قالوا سبحانك لا علم لنا ـ يا آدم أنبئهم بأسمائهم وإذ قلت للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا . . . » البقرة : ٣٠ ـ ٣٤)

وقال : « خلق الانسان علّمه البيان » الرحمن : ٣ ـ ٤)

وقال : « خلق الانسان من علق ـ الذي علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم» العلق : ٢ ـ ٥)

فاذا فتح الانسان عينيه وينظر بنور الله تعالى إلى جمال الصنعة الالهية الأصيلة تتكشف له الأشياء عن جواهرها الجميلة كما خرجت من يد الله المبدعة يزيد على شعوره حين يرى من ورائها جمال الله تعالى وجلاله يجد جسمه ونفسه أجمل ما صنعه الله عزوجل في هذا الوجود ، فكل شيء حسن لا ينفد حسنه لأنه المقصود في

هذا الوجود وفي كل عضو فانظر هذه النخلة ، هذه الزهرة ، هذه النجمة : هذا الليل ، هذا الصبح ، هذه الظلال ، وهذه السحب ولكن هذا الانسان أحسن من كل شيء .

فصوّره على أحسن صورة،وأودع فيه ما يليق تلك الصورة من القوى والمواهب العليّة التي إمتاز بها من غيرها ، وسخّر له كل شيء ، وإلى ذلك أشار بقوله تعالى: « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » إجمالاً ، وبقوله عز وجل : « إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الانسان مالم يعلم » العلق : ١ ـ ٥) تفصيلاً .

فتكون أحسنيّة تقويم الانسان بالتربية و بالعلم والبيان ، وبالقراءة والقلم ، وإن كان أحسن التقويم في المادة والصورة أيضاً .

نعم: كل إنسان في أحسن تقويم سواء كان وزنه خفيفاً حتى أقلّ من عشر كيلوات أم أثقل وزناً كالرجل الآميركي الذي يعيش اليوم وقد وصل وزنه إلى ر٣٣٥ كيلو وكالمرأة التي كانت تعيش قبل عشر سنين من اليوم وصل وزنها إلى ر٣٩٩ كيلوجرام والسلام .

تمت سورة التين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين

تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ
٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ٨ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ٩ عَبْدًا إِذَا
صَلَّىٰ ١٠ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ١٢
أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ١٤
كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ
خَاطِئَةٍ ١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ١٨
كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ١٩

سجدة واجبة

﴿فضلها و خواصها﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الأعمال باسناده عن سليمان بن خالد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قرأ في يومه أو ليلته : « إقرأ باسم ربك » ثمّ مات في يومه أو ليلته مات شهيداً ، و بعثه الله شهيداً ، و أحياه شهيداً ، وكان كمن ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أقول: رواه الطبرسي في المجمع عن محمد بن حسان عن أبي عبدالله عليه السلام ، والبحراني في البرهان ، والمجلسي في البحار ، والشيخ المحدث الحر العاملي في وسائل الشيعة ، والحويزي في نور الثقلين .

و ذلك من قرأها متدبراً فيها ، و علم غرضها مما فيه من أحسنية تقويم الانسان بعد تكوينه بالتربية والعلم والقراءة والبيان والكتابة، وبذل ما في وسعه في تحصيلها و قارنها بالعمل فمات ، فله الأجر على الله تعالى كأجر الشهيد في سبيل الله جل وعلا، فان الاجتهاد في الأدب والعلم والعمل، حقاً أفضل جهاد في سبيل الله سبحانه.

قال الله عزوجل : « و من يخرج من بيته مهاجراً إلى الله و رسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » النساء : ١٠٠) .

و قال : « إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ان الذين يتلون كتاب الله و أقاموا الصلاة و أنفقوا مما رزقناهم سرّاً و علانية يرجون تجارة لن تبور » فاطر : ٢٨ ـ ٢٩) .

و في أمالي الصدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن مدرك بن عبدالرحمن

عن أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله عزوجل الناس في صعيد واحد ، و وضعت الموازين فتوزن دماء الشهداءِ مع مداد العلماء فيرجّح مداد العلماءِ على دماءِ الشهداءِ .

وفي المجمع : ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأها فكأنّما قرأ المفصل كله .

وفي البرهان : روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال : من قرأ هذه السورة كتب الله له من الأجر كمثل ثواب من قرأ جزء المفصل ، و كأجر من شهر سيفه في سبيل الله تعالى ، و من قرأها و هو راكب البحر سلمه الله تعالى من الغرق .

وفيه: و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأها على باب مخزن سلمه الله تعالى من كل آفة و سارق إلى أن يخرج ما فيه مالكه .

وفيه: و قال الصادق عليه السلام : من قرأها و هو متوجّه في سفره كفى شرّه و من قرأها و هو راكب البحر سلم من ألمه بقدرة الله تعالى .

أقول: و من غير بعيد أن يكون من خواص السورة إذا تليت آيها بايمان و عمل أن يكون القاريء العامل و ما يتعلق به في حماية الله عزوجل من شر شياطين الجن والانس .

قال الله عزوجل : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا و على ربهم يتوكلون إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والّذين هم به مشركون » النحل : ٩٨ - ١٠٠) .

و قال : « له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله انّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم » الرعد : ١١) .

و قال : « و ما تكون في شأن و ما تتلوا منه من قرآن و لا تعملون من عمل إلاّ كنّا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه » يونس : ٦١) .

﴿الغرض﴾

ومن البديهي أنّ لكل علم موضوعاً ، و لكل أمر غرضاً ، و في هذه السورة موضوع الرسالة و هو الانسان ، و غرضها وهو الكمال بأسبابه من العلم والبيان مقرونين باسم الرّبّ جلّ و علا ينبىء عن التربية ، فكلّ واحد منهما لايقترن منها فلا كمال فيه .

و من الآيات الخمس الاولى من سورة العلق يظهران موضوع الرسالة الاسلامية هو الانسان ، و غرضها هو التربية ثم التعليم ، فالعلم وحده بلا تربية ليس هو الغرض .

وفيها تقرير لتكوين الانسان بما تكوّن به أحسنيّة تقويمه من التربية والعلم والبيان ، وقد قصد بالأمر بالقراءة الاولى تعليم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بأن يجعل الله عزّ وجلّ هو الفكرة الرئيسية التى تشغل ذهنه ، و أن يذكره في كل أمر من شئوون حياته دون سواه ، و أن يتلقّى ما يوحى إليه ، و قصد بالثانية ما يلقى إليه كما قصد به تنبيهه صلى الله عليه وآله وسلم إلى المهمة العظمى التي انتدب إليها .

و فيها تلقين جليل مستمرّ المدى ، و شامل لكافّة الناس بالانصراف عما سوى الله تعالى ، و بالارتفاع بالنفس الانسانية إلى افق لاتتأثر فيه بقوى الدّنيا ومخاوفها ، ولاترتبط في حياتها ومعايشها ومطالبها و آمالها بغير الله الرّبّ الأكرم .

وان الآيات الخمس الاولى تنطوي على تنويه بالتربية والقراءة والكتابة والعلم ، وبالانسان الّذي اختص وحده بالقابلية لهذه النعم ، و بدأ القرآن الكريم بذلك

يزيد في قوّة هذا التنويه، فكأنّما اريد جعل هذه النعم في مقدمة نعم الله التي أنعمها على الانسان، و في مقدمة ما يجب على الانسان أن يشكر الله عزّ وجلّ عليه و يسعى في إكتسابه.

وان القرآن الكريم أعظم وأقوى وأوّل داع ديني إلى التربية والعلم والقراءة والبيان والكتابة، و تعبير الانسان شامل للذّكر والانثى كلاً ما يناسبه، وهكذا تكون الدعوة القرآنية شاملة لجنسي الانسان، و في هذا من الجلال والروعة ما يعلو فوق كل مستوى، و ما يدلّ على عظمة براعة إستهلال القرآن الكريم والدعوة الاسلاميّة و بعد مداها و قوّة عناصر خلودها.

و فيما بعد الخمس الاولى إلى آخر السورة تفصيل لما اجمل في سابقتها مصحفاً من تردّ الانسان المستكبر الطاغى، و ردّ الانسان المستبد الباغى، ومآل أمر الانسان إذا استغنى.

و انّ تقدّم السورة نزولاً وتأخرها مصحفاً للتفصيل مما لايقبل التشكيك.

❊❊ ❊❊
❊❊ ❊❊

﴿النزول﴾

سورة العلق مكيّة ، وخمس آيها الاولى اولى آيات القرآن الكريم نزولاً على ماعليه الجمهور، وتكون أوّلية هذه السورة نزولاً باعتبار أوليّة هذه الآيات نزولاً وهذه السورة هي السادسة والتسعون مصحفاً ، وتشتمل على تسع عشرة آية، سبقت عليها/٦١٠٦ آية مصحفاً على التحقيق ، ومشتملة على/٩٢ كلمة، و/٢٨٠ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

في الكافي : باسناده عن علي بن السرى عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أوّل ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم إقرأ باسم ربك » وآخره : «إذا جاء نصر الله »

وفي العيون : باسناده عن الحسين بن خالد قال : قال الرضا عليه السلام سمعت أبي يحدث عن أبيه عليه السلام :ان أوّل سورة نزلت : « بسم الله الرحمن الرحيم إقرأ باسم ربك » وآخر سورة نزلت : « إذا جاء نصر الله »

و في تفسير القمي : عن أبي جعفر الباقر عليه السلام : أوّل سورة نزلت : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » الحديث .

وفي البحار : بالاسناد عن إسمعيل بن جابر قال : سئل أبو عبدالله جعفر بن محمد عليه السلام عن أوّل ما انزل الله عزوجل من القرآن فقال عليه السلام : أوّل ما انزل الله عزوجل من القرآن بمكة سورة : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » وأوّل ما انزل بالمدينة سورة البقرة .

وفي المجمع : قال : وأكثر المفسرين على أنّ هذه السورة أوّل مانزل من القرآن ، وأوّل يوم نزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قائم على حراء علّمه خمس آيات من أوّل هذه السورة .

وفيه: وقيل : أوّل مانزل من القرآن قوله : « يا أيها المدّثر » وقد مرّ ذكره . وقيل : أوّل سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتحة الكتاب رواه الحاكم أبو عبدالله الحافظ باسناده عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لخديجة : اني إذا خلوت وحدي سمعت نداء فقالت : مايفعل الله بك إلّا خيراً ، فوالله انك لتؤدّي الأمانة ، وتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، قالت خديجة: فانطلقنا إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى وهو إبن عم خديجة ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمارآى فقال له ورقة : إذا أتاك فاثبت له حتى تسمع ما يقول ، ثم ائتني فأخبرني فلماخلا ناداه ! يا محمد قل : « بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله رب العالمين ـ حتّى بلغ ـ ولاالضالين » قل : لاإله إلّاالله فأتى ورقة فذكر له ذلك فقال له : أبشر ثم ابشروا فأنا أشهد انك بشّر به إبن مريم ، وانك على مثل ناموس موسى ، وانك نبيّ مرسل وانك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركني ذلك لاجاهدنّ معك ، فلما توفّى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لقد رأيت القس في الجنة ، عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدّقني يعني ورقة وروى ان ورقة قال في ذلك :

فان يك حقاً ياخديجة فاعلمي ... حديثك إيانا فاحمد مرسل
وجبرئيل يأتيه و ميكال معهما ... من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من فازعزّاً لدينه ... ويشقى به الغاوي الشقي المضلّل
فريقان منهم فرقة في جناته ... واخرى بأغلال الجحيم تغلغل

وفي الجامع لاحكام القرآن :قال هذه:السورة ـ سورة العلق ـ أوّل ما نزل من القرآن في قول معظم المفسرين نزل بها جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم و هو قائم

على حراء فعلّمه خمس آيات من هذه السورة .

و في الصحيحين : عن عروة بن الزبير عن عائشة قال : أوّل ما بدىء به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة (الصالحة خ) في النوم ، فكان لا يرى إلاّ جائت مثل فلق الصبح ثم حبّب إليه الخلاء فكان (وكان خ) يأتي حراء (يخلو بغار حراء خ) فيتحنّث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع (أن ينزع خ) إلى أهله ويتزوّد لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى فجأه الوحي (حتّى جاءه الحق خ) (حتى فجئه الحق خ) وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال : ما أنا بقاري (قال رسول الله ﷺ : فقلت خ) : ما أنا بقارىء (قال : قلت خ) :ما أنا بقارىء قال : فأخذني فغطّني حتى بلغ منّي الجهد ثم أرسلني ، فقال : إقرأ فقلت (قلت خ) : ما أنا بقارىء ، فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : إقرأ فقلت : ما أنا بقارىء فأخذني فغطّني الثالثة حتى بلغ منّي الجهد ثم أرسلني فقال : « إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق إقرأ وربك الاكرم الذي علّم بالقلم علّم الانسان مالم يعلم » قال :

فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره (يرجف فؤاده خ) فدخل(حتّى دخل خ) على خديجة بنت خويلد فقال: زمّلوني زمّلوني ، فزمّلوه حتّى ذهب عنه الروع فقال لخديجة (ياخديجة خ) : مالي ؟ وأخبر الخبر وقال : قد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة له : كلا أبشر فوالله لايخزيك (مايخزيك خ) الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحلق (الخلق خ)

ثم إنطلقت (فانطلقت خ) به خديجة حتّى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزّى بن قصي وهو إبن عم خديجة أخى أبيها ، وكان امرأ قد تنصّر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني (العربي خ) و كتب بالعبرانية من الانجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى فقالت له خديجة: أى إبن عمّ

إسمع من إبن أخيك ، فقال له ورقة يابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبرها رآي فقال له ورقة :هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى !يا ليتني أكون فيها جذعاً ياليتني أكون فيها حياً إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله ﷺ : أومخرجيّ هم ؟ فقال ورقة : نعم لم يأت رجل قطّ بمثل ماجئت به إلّا عودي ، وإن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزناً غداً منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال . فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقى نفسه عنه تبدى له جبرئيل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً فيسكن بذلك جاشه وتقرّ نفسه ، فيرجع فاذاطالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبرئيل فقال له مثل ذلك .

أقول : ان القصة في كيفيّة نزول هذه السورة عن عائشة فمن الموضوعات لاوجه لها حيث ان عائشة لم تولد بعد ـ أي في زمن البعثة المحمدية ﷺ ـ فكيف تروى بلاإسنادها إلى أحد ، مع مافي القصة من شك النبي الكريم ﷺ في كون ماشاهده وحياً إلهياً من ملك سماوي ألقى إليه كلام الله جل وعلا وتردّده بل ظنّه أنه من مسّ الشياطين بالجنون ، وأشكل منه سكون نفس النبي الكريم ﷺ في كونه نبوة إلى قول رجل نصراني مترهّب ، وقد قال الله جل وعلا : « قل انى على بينة من ربي » الانعام : ٥٧) وأيّ حجّة بيّنة في قول ورقة بن نوفل ؟ و قد قال الله تعالى : « قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن تبعني » يوسف:١٠٨)

فهل بصيرته ﷺ هي سكون نفسه إلى قول ورقة ؟ وبصيرة من اتبعه سكون أنفسهم إلى سكون نفسه إلى مالاحجّة فيه قاطعة ؟ وقال الله تعالى : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده » النساء : ١٦٣) فهل كان إعتمادهم في نبوتهم على مثل ماتقصّه هذه القصة .

والحق ان وحي النبوة والرسالة يلازم اليقين من النبي ﷺ والرسول ﷺ

بكونه من الله عز وجل على ما ورد عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين.

وان هذه السورة أوّل سورة نزلت على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم باعتبار الآيات الخمس الأولى منها، وهي أولى آيات القرآن المجيد نزولاً على ما عليه أكثر المحققين، وأما مضمون باقي الآيات الكريمة واسلوبها فيدلّان على أنه نزل بعد مدة ما من نزول آيات الخمس الاولى على أن هذه المدة ليست بطويلة على ما تلهم آيات السورة كما ورد من نزول الآيات بعدها في أبي جهل إذ رآى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي و ما ورد من نزول سورة الفاتحة في أثناء سورة العلق يؤيّد ذلك، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول الخمس الاولى بالصلاة بنزول سورة الفاتحة عليه صلى الله عليه وآله وسلم فصلّى فرآه أبو جهل وهو صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي فنزلت الآيات بعدها في أبي جهل.

ومن هنا إشتبه الأمر على بعض المفسرين في أوّل سورة نزلت، فقيل: هي أوّل سورة نزلت، وقيل: سورة الفاتحة، وقيل: سورة القلم، وقيل: سورة المزمل، وقيل: سورة المدثّر من غير دليل، فالأقوال الاخر في نزولها كقصّة عائشة لاوجه لها.

ومن التحقيق ان أربع عشرة آية من هذه السورة نزلت بعد نزول الآيات الخمس الأولى منها بمدّة ما، وبعد نزول جملة من القرآن الكريم تتضمّن أمراً بالدعوة وشيئاً من مبادئها وأهدافها، وبعد أن سار النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته شوطاً ما حيث أخذ يتصل بالناس ويدعوهم ويبشّرهم وينذرهم ويتلو عليهم ما اوحي إليه من الوحي السماوي ويصلّي جهرة فتصدّى له طاغي الطغاة وهو عمرو بن هشام المخزومي الذي عرف في التاريخ الاسلامي بأبي جهل لمخالفته بالعلم عند ظهوره أولاً، وقد كان هو من كبار الزعماء وأشد أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و رسالته والمؤلبين عليه فنزلت تلك الآيات الأربع عشرة منذرة منددة مذكرة قارعة.

وان إلحاق هذه الآيات بالآيات الخمس الأولى حيث تكوّنت شخصية السورة يدلّ على أن سور القرآن الكريم كانت تؤلف أوّلاً فأوّلاً. وعلى أن المشهد الذي إحتوته لم يتأخر كثيراً. ولعلّه من أوائل مشاهد المناوأة للدعوة والتعرض

اصاحبها مما يدلّ عليه إلحاق آياته بأولى آيات القرآن نزولاً .

ولاينافي ظهور البعثة المحمدية ﷺ في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب المرجب بنزول الوحي على محمد رسول الله ﷺ ونزول القرآن الكريم كله عليه ﷺ في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك في كل سنة كما توهمّ بعض المتفسرين إذقال الله عزوجل : « إنا أنزلنا في ليلة القدر » القدر : ١) و قال : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة » الدخان : ٣) وقال : « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان » البقرة : ١٨٥)

حيث ان القرآن الكريم نزل دفتين: كان ينزل منه منجماً حسب الحوادث والوقائع والمقتضيات ،يعبّر عنه بالتنزيل، ودفعة واحدة في كل سنة فى شهر رمضان المبارك يعبّر عنه بالانزال .

فـي جامع البيان : عن إبن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يصلّى عند المقام، فمرّ به أبو جهل بن هشام فقال : يا محمد ألم أنهك عن هذا وتوعّده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره فقال : يا محمد بأيّ شيء تهدّدني أما والله إني لأ كثر هذا الوادي نادياً فأنزل الله :«فليدع ناديه سندع الزبانية» قال إبن عباس:لو دعا ناديه أخذته زبانية العذاب من ساعته .

أقول : رواه الواحدي النيشابوري في أسباب النزول باختلاف يسير والسيوطي في أسباب النزول كذلك .

وفى تفسير القمى: كان الوليد بن المغيرة ينهى الناس عن الصلاة ، وأن يطاع الله ورسوله فقال الله : « أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى »

أقول: هذا من باب التوسيع والانطباق ، فان المورد ليس مخصصاً ، حيث ان الوليد سلك مسلك زعيمه أبي جهل ، فلامنافاة بين ما في تفسير القمي وما يظهر من السياق وماورد في كون المصلّي هو النبيّ الكريم ﷺ .

وفى أسباب النزول للسيوطى: عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل :هل يعفر

محمد وجهه بين أظهركم؟فقيل : نعم فقال :واللات والعزى لئن رأيته يفعل لأطأنّ على رقبته ولأعفرنّ وجهه في التراب ، فأنزل الله : « كلا ان الانسان ليطغى ... » الآيات .

وفي تفسير الجامع لاحكام القرآن : عن إبن عباس في رواية أبي صالح عنه قال : لما نزلت هذه الاية : « كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وسمع بها المشركون أتاه أبوجهل فقال : يا محمد تزعم أنه من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهباً لعلّنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك قال : فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمد خيّرهم في ذلك فان شاؤا فعلنا بهم ما أرادوه فان لم يسلموا فعلنا بهم كما فعلنا بأصحاب المائدة ، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن القوم لايقبلون (يقبلون خ) ذلك فكفّ عنهم إبقاءاً عليهم .

وفي البحار : ان أباجهل طلب غرّته - الغرة - بالكسر - : الغفلة - فلما رآه صلى الله عليه وآله وسلم ساجداً أخذ صخرة ليطرحها عليه ألزقها الله بكفّه ولما عرف ان لا نجاة إلّا بمحمّد سئله أن يدعو ربّه فدعا الله فاطلق يده وطرح بصخرته .

وفي مناقب آل أبي طالب :كان أبوجهل يطلب غرّته فوجده صلى الله عليه وآله وسلم يوماً في سجوده فرفع صخرة عظيمة يدفعها عليه فأمسكت من يده وصار عبرة للناس فتضرّع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعا له بفرج فزالت .

وفيه: جاء أبوجهل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلّي ليطأ على رقبته فجعل ينكص على عقبيه فقيل له : مالك ؟ قال : ان بيني وبينه خندقاً من نارمهولاً و رأيت ملائكة ذوي أجنحة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لودنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضوا فنزل : « أفرأيت الذي ينهى . . . » الآيات

وفي جامع البيان : عن إبن عباس قال :كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي فجائه أبوجهل فنهاه أن يصلّي فأنزل الله : « أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى - إلى قوله - كاذبة خاطئة» فقال :لقد علم أني أكثر هذا الوادي نادياً ، فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فتكلّم بشيء فأنزل الله : « فليدع ناديه سندع الزبانية » فقال إبن عباس : فوالله لو فعل لأخذته الملائكة من مكانه .

وفى الدر المنثور : عن إبن عباس قال : كنت يوماً في المسجد فأقبل أبو- جهل ، فقال : إن لله على أن رأيت محمداً ساجداً أن اطأ على رقبته ، فخرجت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى دخلت عليه فأخبرته بقول أبي جهل ، فخرج غضباناً حتّى جاء المسجد فعجل أن يدخل الباب فاقتحم الحائط ، فقلت هذا يوم شرّ فائزرت ثم تبعته فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » فلما بلغ شأن أبي جهل : « كلا ان الانسان ليطغى » قال إنسان لأبي جهل : يا أبا الحكم هذا محمد فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى والله لقد سدّ افق السماء عليّ ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آخر السورة سجد .

وفى الجامع لاحكام القرآن : وروي في الخبر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ إلى قوله تعالى : « لنسفعاً بالناصية » قال أبو جهل : أنا أدعو قومي حتّى يمنعوا عنّي ربك ، فقال الله تعالى : « فليدع ناديه سندع الزبانية » فلما سمع ذكر الزبانية رجع فزعاً فقيل له : خشيت منه ! قال : لا ولكن عنده فارساً فهدّدني بالزبانية ، فما أدري ما الزبانية ومال إليّ الفارس فخشيت منه أن يأكلني.

وفى نور الثقلين : قال إبن عباس : لما أتى أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنتهره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبو جهل : أتنتهرني يا محمد فوالله لقد علمت مابها أحد أكثر نادياً منّي فأنزل الله سبحانه : « فليدع ناديه »



﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة « إقرا » بالألف فقط وقفاً ، والباقون « إقرأ » بالهمزة ، وقرأ حمزة « رآه » ممالة مكسورة الراء ، وقرأ أبو عمرو بفتح الراء و كسر الهمزة بحذف الألف بين الهمزة والهاء والباقون بفتح الراء وإثبات الألف والهمزة قبلها.
وقرأ نافع : « أرايت » بتسهيل الهمزة الثانية ، والباقون باثباتها وهو الصواب .

﴿ الوقف و الوصل ﴾

« خلق ج » لاتباع الصلة بلاعطف ، فان الجملة الثانية التـالية مفسّرة و بيان للاولى المبهمة ، ولوجعل المعنى الذي خلق كلّ شيء ثم خصّ خلق الانسان لازداد الوقف حسناً ، ولكن الصواب هوالأول لأن المقام ليس بصدد بيان خلق كلّ شيء .

و « علق ج » لأن « إقرأ » يصلحأن يكون مستأنفاً ، وأن يكون تكـراراً للأوّل ، والظاهر هو الأوّل فالوقف هوالأولى ، و « الاكرم لا » للـوصف التالي بالموصول ، و « بالقلم لا » لعدم تمام صلة الموصول ، و « يعلم ط » لتمام الكلام .

و « ليطغى لا » لمكان العلةالتالية ، و « استغنى ط »لتمام العلة ،وإستئناف التالي ، و« الرجعى ط » لتمام الكلام ، و« ينهىلا » للمفعول التالي ، ولعدم تمام الكلام قبل الظرف . و « صلّى ط »لتمام الكلام والاستفهام التالي ، و«الهدىلا » للعطف على سبيل التخيير و « بالتقوى ط » لمكان الاستفهام التالي ، و «تولّىط » كالسابق .

و « يرى ط » لتمام الكلام وإستئناف التالي ، و« بالناصيةلا » لبيانالتالي، و « خاطئة ج » للتفريع ، و « ناديه لا » لاتصال الكلام ، و« الزبانية لا »كالمتقدم، و« كلا ط » على الردع .

﴿ اللغة ﴾

١٨ - القراءة - ١٢١٠

و قد إختلفت كلمات اللغويين في لام الفعل من هذه المادة : هل هي واو ؟ كما في مفردات الراغب أو همزة ؟ كما في النهاية واللسان و أكثر المتأخرين ، أم ياء ؟ كما في مجمع البحرين . والتحقيق هو الأوسط .

قرأ الكتاب يقرؤه قرءاً و قراءة و قرآناً ـ من باب منع ـ : تلاه أى نطق بكلماته المكتوبة جهراً أو سراً . والأمر : إقرأ . و ربّما يتعدّى بحرف الباء فيقال : قرأ بالكتاب .

قال الله عزوجل : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » العلق : ١) .

وقال: « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » النحل: ٩٨) .

القرآن ـ مصدر كالرجحان و سبحان والغفران ـ : القراءة . قال الله تعالى: « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » القيامة : ١٨) مصدر مضاف إلى مفعوله أى قراءته .

ان القرآن خصّ بمجموع ما أوحى الله تعالى إلى خاتم رسله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم و هو الكتاب المعجز الذي بأيدي المسلمين ، لا يسمّى به غيره ، فصار له كالعلم كما أن التوراة لما انزل على موسى عليه السلام والانجيل على عيسى عليه السلام .

قال الله عزوجل : « وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » الاسراء : ١٠٦) . و قال : « و أن أتلوا القرآن » النمل : ٩٢) .

و في الكافي : عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال : « القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به » .

و إنما سمّى قرآناً لأنه يجمع السور و يضمّ آيها بعضها إلى بعض، يجمع القصص والأوامر والنواهي والوعد والوعيد ، و انه جامع لجميع كتب الله النازلة على الأنبياء عليهم السلام ، و جامع لثمرة كتبه بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله : « و تفصيل كل شيء » يوسف : ١١١) و قوله : « و لا رطب و لا يابس إلّا في كتاب مبين » الانعام : ٥٩) و قوله : « و نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء » النحل : ٨٩) .

و في الكافي : باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : نزل القرآن أربعة أرباع : ربع فينا و ربع في عدوّنا و ربع سنن وأمثال، و ربع فرائض وأحكام .

و قد يطلق القرآن على كل سورة و آية و كلمة منه أيضاً .

قال الله تعالى : « و إذا قرىء القرآن فاستمعوا له » الاعراف : ٢٠٤) وقد يطلق على الصّلاة مجازاً و بذلك فسّر قوله عزوجل: « وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً » الاسراء : ٧٨) أى صلاة الفجر سميت قرآناً و هو القراءة لانها ركن كما سمّيت ركوعاًوسجوداً . ومن المحتمل أن تكون كلمة القرآن مستعملة في معناها الحقيقي .

و قرأ الشيء قرءاً و قرآناً : جمعه ، و ضمّ بعضه إلى بعضه .

قال الله تعالى : « ان علينا جمعه و قرآنه » القيامة : ١٧) .

والقراءة ـ بالكسر ـ : مصدر جمعها: القراآت ، والقراآت أيضاً: إختلاف ألفاظ القرآن عند القرّاء في الحروف أو في كيفيتها من تخفيف أو تشديد وغيرهما كما في « مالك يوم الدين » و « ملك يوم الدين » . . .

القارىء : إسم فاعل ، جمعه : قرأة و قرّاء وقارئون . والقارىء : الناسك المتعبد ، ومن دخل في أدنى درجات الرهبان « نصرانية » والقرّاء ـ كشدّاد ـ :

الحسن القراءة جمعه : قرّاؤون .

وفي الحديث: «أكثرمنافقي امتى قرّاؤها» أى يحفظون القرآن نفياً للتهمة عن أنفسهم وهم معتقدون تضييعه أولا يعلمون به وكان المنافقون في عصر النبى ﷺ بهذه الصفة. أقرأه الكتاب يقرئه - من باب الافعال - : جعله يقرءه أو علّمه قراءته .

قال الله عزوجل : « سنقرئك فلا تنسى » الاعلى : ٧) .

و يقال: أقرأه منّي السلام : أبلغه إياه . و في الحديث : « ان الرب عزوجل يقرؤك السلام » كأنه حين يبلّغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام و يردّه .

القرء - بضمّ القاف فالسكون - : من الأضداد يقع على الطهر والحيض ، يقال : قرأت المرأة : طهرت ، و قرأت : حاضت . والقرء : مدة الحيض أو المدة بين الحيضتين .

و قرأت المرأة : رأت الدم ، و قرأت : صارت ذات قرء .

جمع القرء : قروء على غير قياس ، و أقراء و أقرء على قياس .

قال الله تعالى: « والمطلّقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » البقرة : ٢٢٨) .

والقرء في الأصل: الوقت المعلوم ، فلذلك وقع على الضدّين ، وفي الحديث: « دعى الصلاة أيام أقراءك » أى أيّام الحيض ، وهو يطلق على الطهر لأنّ لكل منهما وقتاً ، و يقال : إقرأت المرأة : إذا طهرت و إذا حاضت .

القرء : الوقت والقافية ، و أقراء الشعر : أنواعه و طرقه و قوافيه الّتى يختم بها كأقراءِ الطهر التي ينقطع عندها . و أقراء الشعر : بحوره و أنحاؤه و مقاصده . . .

وقرأت الناقة : حملت ، و قرأ الحامل : ولدت ، و قرأت الجارية : حبست للاستبراءِ حتّى إنقضت عدتها . و قرأ فلان من سفره : رجع ، و قرأ أمره : دنا وقرأ عنه : إنصرف ، وقرأ حاجته : أخّرها ، وقرأ النجم : غاب و تأخّر مطره ، و قرأ الرجل : تنسّك ، و قرأ زيد : إستأخر . و قاراه مقاراة و قراءاً : دارسه

أي شاركه في الدرس تقرّأ فلان: تنسّك وتفقّه، وتقرّأت: تفهّمت، وقارأته: دارسته، إستقرأه: طلب إليه أن يقرأه و استقرأ الامور: تتبع إقراءها لمعرفة أحوالها و خواصّها...

فى المفردات: القراءة: ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، و ليس يقال ذلك لكل جمع، لا يقال: قرأت القوم إذا جمعتهم، و يدلّ على ذلك انه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوّه به: قراءة.

والقرء ـ بضم القاف فالسكون ـ: في الحقيقة إسم للدخول في الحيض عن طهر ولماكان إسماً جامعاً للأمرين: الطهر والحيض المتعقّب له، اطلق على كلّ واحد منهما لأنّ كل إسم موضوع لمعنيين معاً يطلق على كل واحد منهما إذا انفرد كالمائدة للخوان و للطعام، ثم قد يسمّى كل واحد منهما بانفراده به.

و ليس القرء إسماً للطهر مجرّداً و لا للحيض مجرّداً بدلالة أن الطاهر الّتي لم تر أثر الدم لايقال لها: ذات قرء، و كذا الحائض الّتي إستمرّ بها الدّم والنفساء لايقال لها ذلك وقوله: «يتربصن بأنفسهنّ ثلاثة قروء» أي ثلاثة دخول من الطهر في الحيض و قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اقعدي عن الصلاة أيام أقراءك» أي أيام حيضك فانّما هو كقول القائل: إفعل كذا أيام ورود فلان، و وروده إنّما يكون في ساعة و إن كان ينسب إلى الأيام.

و قول أهل اللغة: ان القرء من قرأ أى جمع فانهم اعتبروا الجمع بين زمن الطهر و زمن الحيض حسبما ذكرت لاجتماع الدم في الرحم.

و فى مجمع البحرين: الاقراء: الأخذ على القارىء بالاستماع لتقويم الزلل، والقارىء: التالي وأصله الجمع لانه يجمع الحروف قوله تعالى: «سنقرئك فلا تنسى» أى سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك، ومعناه سيقرأ عليك جبرئيل بأمرنا فتحفظ فلا تنساه.

والقرء ـ بضم القاف و سكون الراء ـ عند أهل الحجاز: الطهر و عند

أهل العراق : الحيض . قيل: و كل أصاب لان القرء : خروج من شيء إلى شيء ، فخرجت المرأة من الحيض إلى الطهر و من الطهر إلى الحيض . وقيل : القرء : الوقت يقال: رجع فلان لقرءه أى لوقته الذي كان يرجع فيه فالحيض ثان لوقت الطهر والطهر ثان لوقت الحيض .

٨١ - الاسم - ٧٤٠

سما الشيء يسمو سموّاً ـ واوي من باب نصر كدعا ـ : إرتفع و علا . و منه: « سموت إليه ببصري وسما إليه بصري » ويقال: « سمت نفسه إلى كذا وهمّته تسمو إلى معالي الامور » إذا طلبت العزّ والشرف و قال الشاعر :

سمالي فرسان كأنّ وجوههم　　مصابيح تبدو في الظلام زواهر

الاسم : لفظ موضوع على الجوهر والعرض ، فيعرف به ذات الشيء وشخصه و يفصل به بعضه عن بعض ، و إنّما جعل الاسم تنويهاً بالدلالة على المعنى لان المعنى تحت الاسم ، و أصله : سمو ـ بكسر السين و سكون الميم ـ لجمعه بأسماء و تصغيره بسميّ . فالاسم هو الذي يرفع به ذكر المسمّى فيعرف به .

قال الله تعالى : « بسم الله الرحمن الرحيم إقرأ باسم ربك الذي خلق » العلق : ١) فالاسم من السمو ، فحذفت منه الواو و عوّض عنها بهمزة و صل في أوله ، وتحذف همزته في البسملة خطّاً نحو : « بسم الله الرحمن الرحيم » وتثبت في غيرها نحو : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » و قد حذفت الألف في « بسم الله » و أثبت « باسم ربك » لحكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال فطوّلت في طول السين و قيل : أصل الاسم : و سم بمعنى العلامة ، فابدلت الواو همزة .

ان جمع الاسم : أسماء و أسماوات و أساميّ باثبات الياء مثقلة أو مخففة .

قال الله تعالى : « و علّم آدم الأسماء كلها » البقرة : ٣١) .

والسم ـ مثلث السين ـ : لغات في الاسم تقول : هذا سمه أى إسمه كما أن في الاسم أيضاً وجهان : بكسر الألف و ضمها . و قال الشاعر :

والله أسماك سماً مبارك آثرك الله بـه ايثاركا

السامي : إسم فاعل ، جمعه : سامون و سماة وهي سامية جمعها : ساميات وسوام .

و سما القوم : خرجوا للصيد ، والسماة : قوم يخرجون للصيد ، وسمى البصر: شخص ، وأسمي فلان فلاناً من بلد إلى بلد : أشخصه ، و يقال للحسيب والشريف : قدسما .

وفي وصف النبى الكريم ﷺ : « أبطحى ّلايسامى » أىلايفاخر ولايضاهي، وفي وصفه ﷺ أيضاً : « وإن صمت فعليه الوقاروإن تكلّم سماوعلا البهاء » أي إرتفع وعلا على جلسائه . ومنه حديث إبن زمل : « رجل طوال إذا تكلّم يسمو » أى يعلوبرأسه ويديه إذا تكلم . وساماه : عالاه وأسمى الشيء : أعلاه .

ساماه مساماة : فاخره وباراه ، يقال :«فلان لايسامى وقدعلامن ساماه ، و هويطاوله ويساميه ويساجله ويسانيه »المسامات : المباراة والمفاخرة . وتسمّىإلى قوم : إنتسب إليهم ، وتسامى القوم تسامياً : تباروا وتساموا على الخيل :ركبوا . وتسمّى فلاناً : تعهّده بالزيادة ، وقيل : توسّم فيه الخير، يقال : الصائد يسمو الوحش ، ويستميها : يتعيّن شخوصها ويطلبها ، والسماة : الصيّادون صفة غالبة مثل الرماة . وقيل : هم صيّادون في النهارخاصة .

إستسماه : طلب معرفة إسمه .

القروم السوامى : الفحول الرافعة رؤوسها ، ومنه حديث أهل احد :«انهم خرجوا بسيوفهم يتسامون كأنهم الفحول » أي يتبادرون ويتفاخرون . ويجوزأن يكون يتداعون بأسمائهم . . .

وسمّي الشخص : من وافق إسمه أوشبيهه في صفاته .

قال الله عزوجل : « يا زكريا إنا نبشرك بغلام إسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً » مريم : ٧) أى شريكاً له في الاسم أو شبيهاً في الصفات أو نظيراً في الذات وإنّما قيل للمثل : « سميّ » لان كل متشابهين يسمى كل واحد منهما سمياً لصاحبه ، وعن إبن عباس : لم يسمّ أحد قبله بيحيى . وفي حديث الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « وكذلك الحسين عليه السلام لم يكن له من قبل سميّ ولم تبك السماء إلّا عليهما أربعين صباحاً » قيل له : وماكان بكؤها ؟ قال : كانت تطلع حمراء وكان قاتل يحيى ولدزنا ، وكان قاتل الحسين ولدزنا .

سمّي الشخص يسمّيه تسمية : وضع له إسماً ، وسمّاه محمداً ـ مثلاً ـ : جعل محمداً إسماً له . والمسمّى : المعلوم المعيّن .

قال الله تعالى : « وانّى سمّيتها مريم » آل عمران : ٣٦)

وسمّي الأجل : عيّنه وحدّده فالأجل مسمّى .

الاسم الاعظم : هو الاسم الجامع لجميع الاسماء . وقيل : هو الله تعالى لانه إسم الذات الموصوفة بجميع الصفات وهو المشهور باسم الجلالة .

السماء : الفلك الكلي ومايحيط به الأرض من الفضاء الواسع ، ويظهر فوقنا وحولنا كقبّة عظيمة فيها الشمس والقمر وسائر النجوم والكواكب . . .

جمعها : سماوات وأسمية وسمى ـ بضم السين وكسر الميم ـ وسمى ـ بكسر السين وتنوين الميم ـ وان السماء قد تطلق على كل شيء عال : السماء : ظهر الفرس لعلوّه ، وسماء النعل : أعلاها التي تقع عليها القدم ، وسماوة البيت : سقفه وسماء البيت : رواقه ، وسماوة الهلال : شخصه إذا ارتفع عن الافق شيئاً ، وسما الهلال : طلع مرتفعاً .

سماء السموات : إسم الفلك الأعظم ، سماء الرؤية : فلك البروج .

وفي الحديث : « صلّى بنا في إثر سماء من الليل » أى إثر مطر وسمّي المطر سماء لانه ينزل من السماء ، وان السماء يذكّر ويؤنث كقوله تعالى : « والسماء ومابناها »

الشمس : ٥)

وقوله عز وجل : « السماءمنفطر به»المزمل: ١٨) وتستعمل للواحدوالجمع كقوله : « ثم استوى إلى السماء فسوّاهن » البقرة : ٢٩)لأنهاكالنخل في الشجر وما يجري مجراه من أسماء الجنس الذي يذكّر ويؤنّث ويخبر عنه بلفظ الواحد والجمع والمسماة ـ بكسر الميم ـ : الجورب ، والسماة ـ جمع سام ـ والسامى : هو الذي يلبس جوربى شعر ويعد وخلف الصيد نصف النهار والسماة : الصيادون المتجوربون .

فى المفردات : سماء كل شيء : أعلاه . قال بعضهم : كل سماء بالاضافة إلى مادونها فسماء وبالاضافة إلى مافوقها فأرض إلا السماء العليا فانها سماء بلا أرض، وحمل على هذا قوله :« الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن »وسمّى المطر سماء لخروجه منها . قال بعضهم : إنما سمّي سماء مالم يقع بالارض إعتباراً بما تقدّم ، وسمّي النبات سماء إما لكونه من المطر الذي هو سماء و إما لارتفاعه عن الأرض ، والسماء المقابل للأرض .

وفيه: والاسم : ما يعرف به ذات الشيء ، وأصله : سمو بدلالة قولهم:أسماء وسمّي، وأصله من السموّ وهو الذي به رفع ذكر المسمّى فيعرف به قال :«بسم الله» وقال : « إركبوا فيها بسم الله مجراها » و« بسم الله الرحمن الرحيم » و« علّم آدم الأسماء »أى الألفاظ والمعاني: مفرداتها ومركباتها، وبيان ذلك ان الاسم يستعمل على ضربين : أحدهما ـ بحسب الوضع الاصطلاحي ، وذلك هو في المخبر عنه نحو رجل وفرس والثاني : بحسب الوضع الأوّليّ ، ويقال ذلك للأنواع الثلاثة المخبر عنه والخبر عنه ، والرابط بينهما المسمّى بالحرف ، وهذا هو المراد بالآية لأن آدم عليه السلام كما علم الاسم علم الفعل والحرف ، ولا يعرف الانسان الاسم فيكون عارفاً لمسمّاه إذا عرض عليه المسمّى إلّا إذا عرف ذاته .

ألا ترى أنا لو علمنا أسامى أشياء بالهندية أو بالرومية ، ولم نعرف صورة

ماله تلك الأسماء لم نعرف المسمّيات إذا شاهدناها بمعرفتنا الأسماء المجرّدة بل كنّا عارفين بأصوات مجرّدة فثبت أن معرفة الأسماء لا تحصل إلّا بمعرفة المسمّى وحصول صورته في الضمير، فاذاً المراد بقوله : « وعلّم آدم الأسماء كلها » الأنواع الثلاثة من الكلام وصور المسمّيات في ذواتها .

وقوله : « ما تعبدون من دونه إلّا أسماء سمّيتموها » فمعناه ان الأسماء التي تذكرونها ليس لها مسمّيات ، وإنما هي أسماء على غير مسمّى إذ كان حقيقة ما يعتقدون في الأصنام بحسب تلك الأسماء غير موجود فيها ، وقوله : « وجعلوا الله شركاء قل سمّوهم » فليس المراد أن يذكروا أساميها نحو اللات والعزّى، وإنّما المعنى إظهار تحقيق ماتدعونه إلهاً وأنه هل يوجد معاني تلك الأسماء فيها، ولهذا قال بعده : « أم تنبّؤنه بما لا يعلم فى الارض أم بظاهر من القول » وقوله : « تبارك إسم ربك » أي البركة والنعمة الفائضة في صفاته إذا اعتبرت .

وذلك نحو الكريم والعليم والباريء والرحمن الرحيم وقال : « سبح إسم ربك الأعلى » « ولله الأسماء الحسنى » وقوله : « إسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً » « ليسمّون الملائكة تسمية الانثى » أى يقولون للملائكة بنات الله وقوله: « هل تعلم له سمياً » أى نظيراً له يستحقّ إسمه ، وموصوفاً يستحقّ صفته على التحقيق ، وليس المعنى هل تجد من يتسمّى باسمه إذ كان كثير من أسمائه قد يطلق على غيره لكن ليس معناه إذا استعمل فيه كما كان معناه إذا استعمل في غيره.

وفى اللسان: السموّ : الارتفاع والعلو، وسما الشيء يسمو سمواً فهو سام : إرتفع وسمابه. وإذا رفعت بصرك إلى الشيء قلت : سما إليه بصرى . سامى: إرتفع وصعد والاسم ألفه ألف وصل ، والدليل على ذلك : انك إذا صغرت الاسم قلت : سميّ ، وتقول : هذا إسم شرط موصول، وهذا إسم شرط فلو كان من الوسم لكان تصغيره: وسيم والاسم : رسم وسمة توضع على الشيء تعرف به .

وفى القاموس وشرحه: السماء : كل ماعلاك فأظلّك ، ومنه سقف كل

شيء و كل بيت . والاسم : مادلّ على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة ثم إن دلّ على معنى يقوم بذاته فاسم عين، وإلّا فاسم معنى ، سواء كان معناه وجودياً كالعلم أو عدمياً كالجهل .

وفي المجمع : الاسم : مشتق من سموت لانه تنويه ورفعة ، وتقديره: إدفع و الذاهب منه الواو لان جمعه : أسماء ، وجمع الأسماء : أسام ، وتصغيره : سمي .

وقال بعض الكوفيين : أصله : وسم لانه من الوسم بمعنى العلامة فحذفت الواو وهي فاء الكلمة وعوّض عنها الهمزة ، فوزنه : أعل واستضعفه المحققون.

وفيه: الاسم : هو اللفظ الدّال على المسمّى بالاستقلال المجرد عن الزمان، فقد يكون نفس المسمّى كلفظ الاسم فانه لما كان إشارة إلى اللفظ الدّال على المسمّى، ومن جملة المسمّيات لفظ الاسم ، فقد دلّ عليه ، وقد يكون مغايراً كلفظ الجدار الدّال على معناه المغاير ونحو ذلك .

وفيه: قال جارالله : الاسم واحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون ، فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلاّ يقع إبتداؤهم بالساكن إذ دأبهم أن يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن .

فان قيل : فلم حذفت الألف في « بسم‌الله » وأثبتت في «باسم ربك » ؟

قلت : قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخطّ لكثرة الاستعمال ، فقالوا : طولت الباء في « بسم‌الله الرحمن الرحيم » تعويضاً من طرح الألف .

٤ - الرب - ٥٣٢

ربّ الشيء يربّه ربّاً ـ من باب نصر نحو مدّ ـ : أنشأه حالاً فحالاً إلى حدّ التمام .

يقال : فلان يربّ الصبيّ : ينميه ويرعاه ليبلغه إلى كماله .

والرّب : مصدر مستعار للفاعل ، والرب : يطلق على المالك والسيد والمنعم...
وإذا اطلق غير مضاف فلا يراد به إلّا الاله الرب المعبود المتكفل بمصلحة الموجودات...
قال الله تعالى : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » العلق : ١)

وما جاء في القرآن الكريم من لفظ الرب فهو الله عزّ وجل إلّا مواضع قليلة بمعنى المالك والسيد والمنعم والمطاع والمصلح والقيّم ، والرب من أسماء الله تعالى.

والاسم : الربابة والربوبية . وعلم ربوبي ـ بالفتح ـ : نسبة إلى الرب على غير قياس أو إلى الربوبية .

الرب : الله جل وعلا وهو رب كل شيء أي منشئه ومالكه ومدبّره وله الربوبية على جميع الخلق لاشريك له وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك...

وعن إبن الأنباري : الرب ينقسم على ثلاثة أقسام : يكون الرب: المالك، و يكون الرب السيد المطاع ، قال الله تعالى : « فيسقى ربه خمراً » أي سيّده و يكون الرب: المصلح ورب الشيء إذا أصلحه .

وربّ الشيء : جمعه وملكه ، وربّ القوم : ساسهم وكان فوقهم ، و ربّ النعمة : زادها ، ورب بالمكان : لزمه وأقام به ، ومنه الدعاء : « أعوذبك من فقر مربّ وملبّ » أي ملازم غير مفارق . وربّ الأمر: أصلحه وأتمّه ، و ربّ الدهن : طيّبه وأجاده ، وربّ الصبي حتى أدرك .

تربّب الرجل والأرض : إدّعى انه ربّها ، ورب كل شيء مالكه ومستحقه أو صاحبه وعن عبدالمطلب : « أنا ربّ الابل وللبيت ربّ يحفظه » ومنه « ألك نعمة تربها » أي تحفظها وتراعيها وتربيها كما يربي الرجل ولده ، وجمع الرب: أرباب وربوب . قال الله عز وجل : « أأرباب متفرّقون خير أم الله الواحد القهّار »

المربوب : المربّى والمملوك ، ورب الدار : صاحبها ورب الفرس : مالكه، فاذا اطلق على غير الله تعالى اضيف ، فيقال : ربّ كذا . وفي الدعاء : « أعوذبك من ولد يكون عليّ ربّاً » أي متعالياً عليّ وقاهراً لي. وفي أشراط الساعة : « وأن تلد

الأمة ربّها أوربتها » أي الأمة تلدلسيّدها ولداًفيكون لهاكالمولى لأنه فى الحسب كأبيه أراد أن السبى يكثر، والنعمة في آخر الزمان تظهر في الناس فتكثر السراري وفي حديث إجابة المؤذّن : « اللهم ربّ هذه الدعوة التامة » أي صاحبها . وقيل: المتمّم لها والزائد في أهلها والعمل بها والاجابة لها .

والربابة ـ بكسر الراء ـ : إسم من الرب والمملكة والعهد ، والمربب : المنعم والمنعم عليه والمربة : المملكة ، والربابة : السحاب الأبيض ، و في حديث النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « انه نظر في الليلة التي اسرى به إلى قصر مثل الربابة البيضاء» والربابة ـ بفتح الراء ـ : السحابة التي قد ركب بعضها بعضاً ، والربابة ـ بالكسر ـ جماعة السهام أو خيط تشدّ به السهام أو خرقة أو جلدة تشد أو تجمع فيها السهام . الرباب : السحاب سمّي بذلك لأنه يربّ النبات وبهذا النظر سمّي المطر درّاً، وشبّه السحاب باللقوح وأربت السحاب : دامت وحقيقته انها صارت ذات تربية .

ومنه دعاء الاستسقاء : « ربا يغص بالرى ربابه » وفي الحديث : « بماء عباب ورباب بانصباب » والرباب ـ بكسر الراء ـ :العهد والميثاق والعشور أي الجماعات المركب كل جماعة منها من عشرة آلاف أو نحوها و ـ بفتحها ـ : الجماعة و آلة لهو يضرب بها ، و ـ بضمّها ـ : كثرة العيش وعلم لجمادي الآخرة ولذي القعدة ، والرباب ـ بالضم ـ : بنت إمرء القيس إحدى زوجات الامام الحسين بن علي عليه السلام وقد شهدت معه الطفّ ولدت منه سكينة ، ولما رجعت إلى المدينة المنوّرة خطبها أشراف قريش فأبت وقالت لايكون لى حمؤ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقيت بعده لم يظلها سقف حتّى ماتت كمداً عليه .

ورباب من نساء أهل مكة من المشهودات بالزنا ، هي و سارة وحنتمة ام عمر بن الخطاب وممن كنّ يغنين بهجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

الربى : العالم الراسخ في علوم الدين والمعارف الالهية ، جمعه: ربيّون.

قال الله عزوجل : « و كأين من نبي قاتل معه ربيون كثير» آل عمران:١٤٦)

والرباني : العالم الراسخ في علوم الدين ، وجمعه : ربانيون نسبة إلى الربان من ربيته - بالكسر -: ملكته ، وقيل : من ربيته - بالفتح - كنت رباً له،وقيل: منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للمبالغة .

قال الله عزوجل : « لولا ينهاهم الربانيون والأحبار » المائدة : ٦٣)

و قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « أنا ربّاني هذه الامة » وفي حديث : «لاعلم إلاّ من عالم رباني » وفي حديث الامام على عليه السلام : « الناس ثلاثة : عالم رباني . . » الحديث وهو الذي يطلب العلم لوجه الله تعالى. و قيل : هو العالم العامل المعلّم ، وقيل : هو من الرب بمعنى التربية كانوا يربّون المتعلمين بصغار العلوم و كبارها . وقيل : هو من كان علمه موهبياً وأمر الله بالأخذ عنه ، وقيل : هو شديد التمسك بدين الله تعالى ، وقيل العالي الدرجة في العلم.

والرّبّان - بضم الراء -: رئيس الملاحين والجماعة ، أخذ الشيء بربانه و يفتح : أوّله أوجميعه ، يقال : إفعل ذلك بربّانه أي بحداثته وحدّته وطرائته ، والربب :الاجتماع ومكان مربّ :مجمع يجمع الناس والربب : الماء الكثير المجتمع وقيل : العذب .

والربّي : الشاة إذا ولدت ، وإذا مات ولدها أيضاً ، والربّى : الحديثة النتاج والربى : الاحسان والنعمة والحاجة والعقدة المحكمة ، والرّبّة - بالفتح - : مؤنث الرب و كل صنم على صورة الانثى يطلق عليه الربة كاللات و صاحبه الشيء تقول : هند ربة المال و- بالكسر- : نبات وشجرة الخروب والجماعة الكثيرة ، جمعها : أربّة .

ومنه حديث عروة بن مسعود : « لما أسلم وعاد إلى قومه دخل منزله فانكر قومه دخوله قبل أن يأتى الربة » يعنى اللات وهي الصخرة التي كانت تعبدها ثقيف بالطائف . والربّى : الحاجة ، يقال : لي عند فلان ربي، والربى والرابة :العقدة المحكمة ، والربى :النعمة والاحسان، والارباب - بالكسر - : الدنوّ من كل شيء

والربة : الدارالضخمة ، و ـ بالضم ـ الفرقة من الناس ، والربة : الخيراللازم و في الدعاء : « اللهم إني أسئلك ربة عيش مبارك »

الربائب: الغنم التى تكون في البيت وليست بسائمة واحدتها : ربيبة بمعنى مربوبة لان صاحبها يربّها . وفي الحديث : « ليس فى الربائب صدقة » والربيبة: الحاضنة لانها تصلح الشيء وتقوم به ، وتجمعه ، والرابة : إمرأة الأب .

والربيب والربوب : إبن إمرأة الرجل من غيره والبنت ربيبة وجمعها : ربائب . قال الله عزوجل: « وربائبكم اللاتي في حجوركم من نساءكم اللاتي دخلتم بهن » النساء : ٢٣) وفي الدعاء : « كما كنت في الدنيا ربيب نعمك » الربيب : المربوب . الرابّ : زوج الام . والراب والرابة اختص بأحد الزوجين إذا تولّى تربية الولد من زوج كان قبله ، والمرب ـ بالفتح ـ : الأرض الكثيرة النبات ، والمحل وهذا مربّ القوم : مجمعهم ومكان الاقامة ، والمرباب : الارض الكثيرة النبات كل ذلك من الجمع .

الرّبّ ـ بضمّ الراء ـ :مايطبخ من التمر وغيره يقال : زنجبيل مربّى ومربّب: معمول بالرب ، فربّ التوت وربّ التفاح ورب الرمان ، وربّ وربّة وربما وربّتما بالتشديد وقد يخفّف ـ : حرف خفض لايجرّ إلا النكرة وهو في حكم الزائد فلا يتعلق بشيء ، واشترطوا في النكرة بعده أن تكون موصوفة ليصح الابتداء بها هذا إذا لم تلحقها « ما » ولكن إذا لحقتها كفّتها عن العمل فتدخل حينئذ على المعارف وعلى الأفعال ، فتقول : ربما زيد قائم ، وربما قام زيد وقد يبقى عملها كقوله : ربما ضربة بسيف صقيل . وهي للتقليل في المشهور وقيل للتكثير وقيل : ليست لهما بل هما يستفادان من سياق الكلام ـ ورب من حروف المعاني ،والفرق بينها وبين كم: ان رب للتقليل و كم للتكثير إذا لم يرد بها الاستفهام و كلاهما يقع على النكرات فيخفضها .

٥٠- الخلق - ٤٣٨

خلق الشيء يخلقه خلقاً - من باب نصر - : أوجده على قدر مستقيم و أبدعه من غير أصل و لا إحتذاء و ذلك لا يكون إلّا لله عزوجل ، فانه جل و علا يبدع الأشياء على غير مثال سابق و قال : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » العلق : ١) فأوجد الأشياء بعد أن لم تكن موجودة .

و قال : « و هو الذي خلق السموات والارض » الانعام : ٧٣) أي أبدعهما لقوله : « بديع السموات والارض » الانعام : ١٠١) و قوله : « و قد خلقتك من قبل و لم تك شيئاً » مريم : ٩) .

و يستعمل الخلق في ايجاد الشيء من الشيء كقوله عزوجل : « خلقكم من نفس واحدة » الاعراف : ١٨٩) و قال : « خلق الانسان من علق » العلق : ٢) .

وقد خص الخلق - بالفتح - بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر ، و - بالضم - بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة .

و أصل الخلق : التقدير فهو جل وعلا باعتبار تقدير ما منه وجود الأشياء ، و باعتبار الايجاد على وفق التقدير خالق ، و لا تجوز هذه الصفة بالألف لغير الله تعالى ، فليس الخلق الذي هو الابداع إلّا لله جل و علا ، و لهذا قال في الفصل بينه و بين غيره : « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » النحل : ١٧) .

والخالق : الموجد ، جمعه : خالقون ، والخالق والخلّاق من صفات الله جل و علا و قال : « هل من خالق غير الله » فاطر : ٣) و قال : « ان ربك هو الخلّاق العليم » الحجر : ٨٦) و أما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحوال كعيسى بن مريم عليه السلام إذ قال : « و إذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني » المائدة : ١١٠) .

و ان الخلق لايستعمل في كافة الناس إلّا على وجهين : أحدهما - في معنى

التقدير . ثانيهما- في الكذب ، و على الأوّل يحمل قوله عزوجل : « فتبارك الله أحسن الخالقين » المؤمنون : ١٤) أي أحسن المقدّرين أو على تقدير ما كانوا يعتقدون بأن غيرالله يبدع أيضاً أي فاحسب ان هيهنا مبدعين فالله أحسنهم إبداعاً على ما يعتقدون .

وقد استعمل الخلق في القرآن الكريم على أوجه: بالمعنى المصدري كقوله عزوجل : « ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولاخلق أنفسهم » الكهف: ٥١) والخلق : هو إبتداء الشيء على مثال لم يسبق إليه و كل شيء خلقه الله فهو مبتدئه على غير مثال سابق إليه : « ألا له الخلق والأمر » الأعراف : ٥٤) .

و بمعنى المخلوق كقوله تعالى : « ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت » الملك : ٣) .

و صالح للمعنى المصدري ، و معنى المخلوق كقوله عزوجل : « ان في خلق السموات والأرض » البقرة : ١٦٤) و بمعنى الفطرة والناس و كل شيء مملّس . والخلقة : الفطرة والتركيب . ويقال: في مسلك هوخلقه : في طريق خلقي أصلي ، جمعه : خلق ـ كعنب ـ والخليقة : الطبيعة ، والمخلوقات من الناس والبهائم جمعها : خلائق . في حديث الخوارج : « هم شر الخلق والخليقة » الخلق: الناس والخليقة : البهائم، و قيل : هما بمعنى واحد ، و يريد بهما جميع الخلائق .

و في الحديث : « خلقت الخير و أجريته على يدي من أحبّ وخلقت الشر وأجريته على يدى من اريده » ان المراد بخلق الخير والشر : خلق تقدير لاخلق تكوين ، ومعنى خلق التقدير: نقوش في اللوح المحفوظ ، ومعنى خلق التكوين : وجود الخير والشر في الخارج و هو من فعلنا ، و مثله : « ان الله خلق السعادة والشقاوة » و بهذا يندفع ما يقال : انه ورد في النقل الصحيح : انه خالق الخير والشر . و من المحتمل أن يكون المراد بالخير ما كان ملائماً للطباع كالمستلذ من المدركات ، وبالشر ما يلائم كخلق الحيات والعقارب والمؤذيات ، فانها تشتمل

على حكمة لا نعلم تفصيلها .

وخلق الشيء يخلقه : صوّره ، يقال : خلق الأديم : إذا قدّره لما يريد قبل القطع أي قاسه ليقطع منه مزادة أو قربة أو نحو ذلك .

قال الله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : «إنّى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير» آل عمران : ٤٩) أي اصوّر . ومنه : خلق الشيء : ملّسه و ليّنه ، وخلق العود : سوّاه .

والخوالق : الجبال الملس ، واحدتها : خالقة ، و خلق الشيء يخلق ـ من بابي علم و كرم ـ : لان و استوى و أملاس ومنه حجر أخلق : لين أملس مصمت لايؤثر فيه شيء . و اخلولق السحاب : استوى وارتقت جوانبه وصار خليقاً للمطر .

و خلق الرجل خليقاً ـ من باب كرم ـ : صار خليقاً أي جديراً ، وخلقت المرأة خلاقة : حسن خلقها .

الخلق: ـ بضم الخاء واللام ـ كعنق ـ و ـ بالضم والسكون كقفل ـ : السجيّة والطبع والسليقة والمروّة والعادة والدين و ما يجري عليه المرء من عادة لازمة .

قال الله عزوجل : « و إنك لعلى خلق عظيم » القلم : ٤) .

و علم الأخلاق من أنواع الحكمة العملية و يسمّونها تهذيب الأخلاق الخلقية أيضاً ، فجمع الخلق : الأخلاق . وخالقهم مخالقة : عاشرهم بحسن خلق . يقال : خالص المؤمن و خالق الفاجر ، و خلق المرء ـ من باب كرم ـ خلاقة : حسن خلقه ، و تخلّق الرجل : تطيّب بالخلوق ، و تخلّق بغير خلقه : تكلّفه أى إستعمله من غير أن يكون موضوعاً في فطرته كقوله : « ليس التخلّق بالأخلاق كالخلق » و يقال : « لا تتخلّق بأخلاق السفيه » .

والخليق : مبالغة في حسن الخلق كأنه مخلوق فيه ذلك كقولك : مجبول على كذا أو مدعوّ إليه من جهة الخلق ، و في الحديث : « ليس شيء في الميزان

أثقل من حسن الخلق .

والخلق : كيفية نفسانية تصدرعنها الأفعال بسهولة ، وحقيقته أنه لصورة الانسان الباطنةوهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصّة بها بمنزلة الخلق ـ بالفتح لصورته الظاهرةوأوصافهاومعانيها، ولهماأوصاف حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب مما يتعلّقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثرمما يتعلّقان بأوصاف الصورة الظاهرة.

ولهذا تكرّرت الروايات في مدح حسن الخلق .

منها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أكثرما يدخل الناس الجنة تقوى الله و حسن الخلق »

ومنها : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً »

ومنها : قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ان العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»

ومنها : قال صلى الله عليه وآله وسلم « بعثت لاتمّم مكارم الأخلاق »

والخليق : الجدير يقال:فلان خليق أى له خلق حسن ، وفلان خليق به ، جدير، ومنه : ما أخلقه بمعنى : ما أجدره بذلك ، والخليق : التام الخلق المعتدل.
وجمع الخليق : خلقاء وخلق ـ كعنق ـ فالخلق : جمع ومفرد بلفظ ، والخليقة والسليقة بمعنى واحد وقد تكون الخليقةجمع خليق كشعيرة وشعير. وخالق الناس: عاشرهم على أخلاقهم. والأخلق : الأجدر، والأخلق : الأملس المصمت ،والأخلق: الفقير يقال : رجل أخلق ، وحجر أخلق : أملس مصمت ، وصخرة خلقاء : ملساء مصمتة يقال : فلان مخلّقة بذلك ولذلك أى مجدرة له .

والخليقة : الحفيرة المخلوقة في الأرض ، وقيل : هى الأرض ، وقيل : هى البئر التى لاماء فيها وقيل: هى النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء وقيل : البئر ساعة تحفر.

والخلقاء : بفتح الخاء ـ : مؤنث الأخلق ، ومن الفراسن : التي لاشق فيها، والصخرة التي ليس فيها وصم ولا كسر أى الملساء وخلقاء البعير: جنبه وخلقاء الغار:

باطنه ، وخلقاء الجبهة : مستواها ، يقال : ضربه على خلقاء جبهته .

والخليقاء : باطن الغار ومستوي الجبهة، والمخلولق : الشديد الملامسة ، والخلقين : المرجل الكبير من النحاس يونانية معرّبة ، جمعه : خلاّقين .

إخلولق السحاب إخليلاقاً : إستوى وصار خليقاً للمطر، وإخلولق الرسم : إستوى بالأرض وتجيىء للرجاء بمعنى عسى نحو: إخلولقت السماء أن تمطر.وفي حديث صفة السحاب : « واخلولق بعد تفرّق » أي إجتمع وتهيّأ للمطر وصار خليقاً به واخلولق الأجل : إذا تقادم عهده ، والخلق ـ ككتف ـ : السحاب فيه أثر المطر .

وخلّق ـ من باب التفعيل ـ العود تخليقاً : سوّاه فالعود مخلّق وهي مخلّقة.

قال الله عزوجل : « ثم من مضغة مخلّقة وغير مخلّقة لنبيّن لكم » الحج : ٥) أي تامة الخلق وغير تامته.وخلّق الشيء : طيّبه بالخلوق ، والخلوق ـ كرسول ـ : ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران . والخلقة ـ بفتح الخاء واللام والقاف ـ: السحابة المستوية المخيلة للمطر، والمخلّق: الخريطة، وقيل : الكيس والقدح إذا ليّن . وفي حديث إبن مسعود وقتله أباجهل : « و هو كالجمل المخلّق » أي التام الخلق .

خلق الكلام :صنعه وافتعله و كذب فيه ، يقال : فلان يخلق الكذب والافك ، وفلان يحدّث بأحاديث الخلق ، وهي الخرافات من الأحاديث المفتعلة.

قال الله عزوجل : «إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً» العنكبوت: ١٧) أي تفتعلون الكذب . وقصيدة مخلوقة : منحولة إلى غير قائلها . و اختلق القول إختلاقاً : إفتراه قال الله تعالى حكاية عن المشركين : « إن هذا إلّا إختلاق» ص : ٧)

وخلق ـ مثلث اللام ـ الثوب : بلي . وأخلق الثوب : أبلاه ، والخلق ـ بفتح الخاء واللام ـ : البالي للمذكر والمؤنث ، يقال : ثوب خلق وجبّة خلق.وجمعه:

أخلاق وخلقان ، يقال: ثوب أخلاق،والخليق : تصغير الخلق - بفتح الخاء واللام -:
البالى ، وملحفة خليق بلاهاء لأن الهاء لاتلحق تصغير الصفات كنصيف في إمرأة نصف.
وأخلقت وجهك : بذلت ماء وجهك في السؤال وهوعلى التشبيه بأخلق
الثوب . الخلاق - كحساب - الحظّ الوافر ، والنصيب من الخير والصلاح .

قال الله تعالى : « ماله في الآخرة من خلاق » البقرة : ١٠٢)

قيل : الخلاق : ما اكتسبه الانسان من الفضيلة بخلقه . ويقال : رجل
لاخلاق له أى لارغبة له في الخير ولا في الآخرة ولاصلاح في الدين . وخلاق - بالكسر
كزمام - : ضرب من الطيب أعظم أجزائه الزعفران، - وبالضم كغراب - الأملس .

وفى النهاية : أصل الخلق : التقدير قبل القطع ، ومنه حديث اخت امية
بن أبي الصلت قالت : « فدخل عليّ وأنا أخلق أديماً » أى اقدّره لاقطعه .

والخلوق : طيب معروف يركب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب
وتغلب عليه الحمرة والصفرة .

٧١ - العلق - ١٠٣٦

علق به يعلق علقاً - بكسر العين وسكون اللام - وعلقا - بفتح العين واللام -
وعلوقاً وعلاقة - من باب حسب - : تعلّق به وأحبّه وهواه .

العلقة واحدة العلق وهي القطعة من الدم بعد أن كان منياً ، و بعد أربعين
يوماً تصير مضغة .

قال الله تعالى : « خلق الانسان من علق » العلق : ٢)

والحسّي من المادة كثير، فمنه العلق : الدود الأسود الذي ينشر في الجلد ،
والعلق : الذي تعلق به البكرة التي يستقى بها ، ومن الحسّي في التماسك : العلق:
الدم الجامد الغليظ الذي يعلق بما يمسّه ، والقطعة منه علقة .

قال الله تعالى : « فانا خلقنا كم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة

مخلّقة وغير مخلّقة » الحج : ٥)

وأعلق الرجل : أرسل العلق على الموضع ليمصّ الدم . وفي حديث عامر: « خير الدواء العلق، والحجامة » العلق دويبة سوداء وقد تكون حمراء تكون فى الماء تعلق بالبدن وتمصّ بالدم ، وهى من أدوية الحلق والأورام الدموية لامتصاصها الدم الغالب على الانسان .

ويجيىء المعنوي مثل : علق حبّها بقلبه ـ من باب علم وفتح ـ : هواها ، فبينهما علاقة حبّ . والعلاقة : الهوى والحب اللازم للقلب ، ومابينهما علاقة :أي شيء يتعلق به أحدهما على الآخر . وعلق به : خاصمه يقال : لفلان في أرض بني فلان علاقة أي خصومة ، ورجل معلاق وذو معلاق : خصيم شديد فهو من الأضداد .

إعتلق الغلام : أحبّه ، وبفلان : تعلّق به ، وعلقه : شتمه وعلقه بلسانه : سلقه وعلق دم فلان : قتله وهو من أفعال المقاربة، وعلّق أمره : لم يصرمه ولم يتركه، ومنه تعليق أفعال القلوب ، وعلق الابل العضاء ومنها رعتها من أعلاها و أكلت منها بأفواهها . . وعلق الصبي : مصّ أصابعه . وعلق فلان أمره : علمه ، وعلقت المرأة بالولد و كل انثى علوقاً : حبلت ،وعلقت الدابة : شربت الماء ، وعلق الشيء: لزمه ، وعلقت نفسه الشيء : لهجت به .

ومنه معاني تعليق شيء بشيء ، ومن التعليق قالوا : المعلّقة من النساء التي هي لا أيّم ولا ذات بعل ، وذلك حين لا يعدل زوجها بينها وبين اخرى ، فلا تكون ذات زوج ولا تكون قادرة على زواج . والمعلّقة أيضاً : المرأة التي فقد زوجها فهي لامتزوجة ولامطلّقة .

قال الله تعالى : « فتذروها كالمعلقة » النساء : ١٢٨)

وفي حديث المقدام : ان النبي ﷺ قال : ان الرجل من أهل الكتاب يتزوّج المرأة وما يعلق على يديها الخيط و ما يرغب واحد عن صاحبه حتّى ، يموتا هرماً »

ويقال : لي في هذا المال متعلق : أى تعلق . والعلق ـ بكسر العين وسكون اللام ـ : الثوب الكريم ، والنفيس من المال ، و ـ بضم العين واللام ـ : المنايا والأشغال والجمع الكثير.

وعلّق الباب : إرتجه ، وعلق باباً على داره : نصبه وركّبه ، والمعلاق ـ بكسر الميم ـ : اللسان وكل شيء علّق منه شيءفهومعلاقه ، ومعلاق الباب : شيء يعلّق به ثم يدفع المعلاق فينفتح ، و فرق ما بين المعلاق و المغلاق : ان المغلاق يفتح بالمفتاح ، والمعلاق يعلق به الباب ثم يدفع المعلاق من غيرمفتاح فينفتح .

والعلّيق ـ فعّيل ـ شجرذوشوك إذا نشب فيه شيء لم يكد يتخلص من شوكه . والعلاّق ـ كرمّان ـ : نبت ، والعلقى ـ كسكرى ـ أيضاً : نبت يكون واحداً وجمعاً ، قضبانه دقاق ، عسرضّها يتخذ منه المكانس ، ويشرب طبيخه للاستسقاء . والعليق : الشجرة التي آنس موسى عليه السلام منها بالنار . والعلق ـ بفتح العين وسكون اللام ـ : الخرقوهوأن يمرّ بشجرة أوشوكة فتعلق بثوبه فتخرقه .

والعلقة : النوع ، وثوب صغيروهو أوّل ثوب يتخذ للصبي . وقيل : قميص بلا كمين . والعلقة ـ بضمّ العين وسكون اللام ـ : كلّ ما يتبلّغ به المواشي من الشجر، وشجر يبقى في الشتاء تعلّق به الابل حتّى تدرك الربيع جمعها علق ـ كصرد ـ . والاعلاق : جمع علقة وهي القطعة . وفي الحديث : « إنما الأوصياء اعلاق من الأنبياء » أي قطع منهم . وفي الحديث : « الرحم يوم القيامة متعلّقة بالعرش »

متعلّق الجار أو الظرف : ما علّق به من فعل أوشبهه .

في المفردات : العلق : التشبث بالشيء ، يقال : علق الصيد في الحبالة و اعلق الصائد إذا علق الصيد في حبالته ، والمعلق والمعلاق : ما يعلّق به ، وعلاقة السوط كذلك ومنه العلقة لمايتمسك به ، وعلق دم فلان بزيد إذاكان زيد قاتله : والعلق : دود يتعلّق بالحلق ، والعلق : الدم الجامد ، ومنه العلقة التي يكون منها

الولد . والعلق ـ بالكسر والسكون ـ : الشيء النفيس الذي يتعلق به صاحبه فلا يفرج عنه ، والعليق : ما علّق على الدابة من القضيم ، والعلوق : الناقة التي ترأم ولدها ، فتعلق به وعلقت المرأة : جعلت .

وفى النهاية : الاعلاق : معالجة عذرة الصبي وهو وجع في حلقه و ورم تدفعه امه باصبعها أوغيرها وحقيقة أعلقت عنه : أزلت العلوق عنه وهي الداهية، ومنه قولهم : « أعلقت عليّ » : إذ أدخلت يدي في حلقي أنقياً . وفي سريّة بنى سليم : « فاذا الطير ترميهم بالعلق » أي بقطع الدم ، الواحدة : علقة ، ومنه حديث إبن أبي أوفى : « انه بزق علقة ثم مضى في صلاته » أي قطعة دم منعقد ، وفي حديث حذيفة : « فما بال هؤلاء الذين يسرقون أعلاقنا » أي نفائس أموالنا سمّي به لتعلق القلب بها .

و فى حياة الحيوان : العلق : دود أسود وأحمر يكون بالماء يعلق بالبدن ويمصّ الدم وهو من أدوية الحلق والأورام الدموية لامتصاصه الدم الغالب على الانسان ، الواحدة : علقة .

وفى القاموس وشرحه: علق العلم : يحبّه ويطلبه .

وفى اللسان: أعلق أظفاره في الشيء : أنشبها و علّق الشيء بالشيء ، ومنه و عليه تعليقاً : ناطه ، والصبي يعلق : يمصّ أصابعه ، والعلوق : مـا تعلقه الابل أي ترعاه ، و كل ما يتبلّغ به من العيش فهو علقة ، والعلقة ـ بالضم والسكون ـ : نبات لايلبث والعلقة : شجر يبقى في الشتاء تتبلّغ به الابل حتّى تدرك الربيع ، والعلق : ما تتبلّغ به الماشية من الشجر .

٤٠- كلا - ١٣١٣

كلّا : لفظ قد يراد به الزجر والردع لمن كفر بالله جل وعلا وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبيوم القيامة ، وقد يراد به التحذير لمن كفر وطغى

من العذاب الذي يلحقه جزاء على كفره وطغيانه ، وقد يراد به الاستنكار لعقيدته الفاسدة وأقواله الباطلة ، وأعماله السيئة . . .

قال الله عزوجل: « كلا ان الانسان ليطغى- كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية» العلق : ٦- ١٥)

وقد يكون الغرض من ذكر « كلا » إثبات لما بعدها ، والتنبيه على أنه حقيقة واقعية أو طبيعية ، وقد يحمل على هذا قوله تعالى : « كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » أي أن من طبيعة الانسان أن يطغى حين يستغني ، وواضح أن هذا يتضمن شيئاً من الاستنكار والزجر.

وقد تجيىء كلمة « كلا » بمعنى « حقاً » وبمعنى « ألا » الاستفتاحية ، وقد تكون حرف جواب بمنزلة « إي » و « نعم » وبمعنى « لا » كقول الجعدي :

فقلنا لهم خلوا النساء لأهلها　　　فقالوا لنا كلا فقلنا لهم بلى

و « كلا » هنا بمعنى « كلا » بدليل قوله : فقلنا لهم بلى ، وبلى لاتأتي إلّا بعد نفي و على هذا يحمل قوله تعالى : « ربي أهانن كلا» الفجر: ١٦-١٧)

و « كلا » حرف عند النحويين ، معناه الردع والزجر، لامعنى لها عندهم إلّا ذلك حتى انهم يجيزون أبداً الوقف عليها ، وقد تجيىء بعد الطلب لنفي إجابة الطالب كقولك لمن قال لك : إفعل كذا كلّا أي لايجاب إلى ذلك ، وقد جاء بمعنى حقاً نحو: « كلا ان الانسان ليطغى» فجاز أن يقال : انه إسم حينئذ لكن النحاة حكموا بحرفيتها إذا كانت بمعنى حقاً أيضاً .

في المفردات : كلا : ردع و زجر و إبطال لقول القائل ، و ذلك نقيض أي في الاثبات قال الله تعالى : « أفرأيت الذي كفر- إلى قوله - كلا » وقال تعالى : « لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا » إلى غير ذلك من الآيات .

وفي النهاية : كلا : ردع في الكلام وتنبيه و زجر معناها : إنته لاتفعل إلّا أنها آكد في النفي والردع من « لا » لزيادة الكاف ، وقد ترد بمعنى « حقاً »

كقوله تعالى : « كلا لئن لم ينته »

وفى المجمع : في قوله تعالى : « كلا إن كتاب الفجار لفي سجين » كلا : هو ردع و زجر أى إرتدعوا وانزجزوا عن المعاصي ليس الأمرعلى ما أنتم عليه .

١٣- الطغيان - ٩٣٠

طغى فلان يطغى طغياناً - بكسر الطاء وضمّها - وطغى - من بابي منع وعلم نحو سعى و رضي - : علا وتكبّر وجاوز القدر والعدل .

قال الله عزوجل : « كلا ان الانسان ليطغى » العلق : ٦)

وقال : « إذهب إلى فرعون إنه طغى » طه : ٢٤)

و الفاعل : طاغ : مجاوز حدّه في الشروالتمرد والفساد ، وفي الكفر والاستبداد والاستعلاء . و في الدعاء : « و أعوذ بك من شر كل باغ وطاغ » و في الحديث : « ان للعلم طغياناً كطغيان المال » أي يحمل صاحبه على الترخّص بما اشتبه منه إلى مالا يحلّ له ، ويترفّع به على من دونه ، ولايعطى حقّه بالعمل كما يفعل ربّ المال . و كل شيءجاوز القدر وعلا و قد طغى ، ومنه تجاوزالحدّ في العصيان أوالمغالاة في الكفروالبغي، وما هو مجاوز الحدّ في الشروالاستعلاء .

وقد وردت المادة في القرآن الكريم للمعنى المعنوي أي طغيان الطغاة الكافرين و طغيان الفجار المستبدين . قال الله تعالى : « و نذرهم في طغيانهم يعمهون » الأنعام : ١١٠) أى في غيّهم و كفرهم يتحيّرون ويتردّدون .

وجمع الطاغى : طاغون وطغاة قال تعالى: «بل هم قوم طاغون» الذاريات: ٥٣) ومن إستعمالها في المعنوي ممثّلاً بمادّة طغى الدم : هاج .

ومن المادّي : الطغية : المستصعب العالي من الجبل . و قيل : أعلى الجبل والناحية من الجبل ، ولعلّه من هذا قالوا : طغى الماء : إرتفع وعلاعلى كلشيء فاحترقه من بلوغه بالارتفاع الطغية المستعصية العالية ، وكذلك قيل : طغى

السيل وطغى البحر، و في المادّة من المعاني :الطغى : الصوت بلغة هذيل ، وطغى القوم : صوتهم وطغى البقرة : صياحها . والطغياء : الثور .

الطاغية : مؤنّث الطاغي ، أو إسم كالعافية والعاقبة ، وهي في هلاك ثمود صيحة عذاب إذ ورد انهم أهلكوا بالطاغية .قال الله عزوجل : « فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية » الحاقة : ٥)

والطاغية كذلك : الأحمق المستكبر، والجبار العنيد ، و الظالم الفاجر، والتاء للمبالغة . والطاغية : ملك الروم .

و في الحديث: « من رفع راية ضلالة فصاحبها طاغوت » الطاغوت : الصارف عن طريق الخير والصواب . والطاغوت ـ للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ـ : وهو كل معبود من دون الله تعالى أو هو الشيطان أو الكاهن أو شخص يكون رأساً في الضلال ، وقائداً في الفجور والاستبداد ،والطاغوت: كل متعدّ ومتجاوز جمعها : طواغيت و طواغ .

والطواغيت : بيوت الأصنام و كذا الطواغي . و في الحديث : « لاتحلفوا بآبائكم ولا بالطواغي »

قال الله عزوجلّ : « و من يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » البقرة : ٢٥٦)

والطاغوت : فعلوت من الطغيان ، و أصله : طغيوت ، فقدّموا لامه على عينه على خلاف القياس ثم قلبوا الياء ألفاً فصار طاغوت .

طغا يطغو طغواناً وطغوى ـ واوي من باب نصر نحو دعا ـ : جاوز الحدّ والقدر كطغى اليائي .

والطغوى : الاسم من طغا ومنه : « كذّبت ثمود بطغواها » الشمس : ١١)

والطغوة : المكان المرتفع جمع : طغوات .

٣٩- الغنى - ١١٠٨

غني الرجل يغنى وغنياناً وغناء - يأتي من باب علم نحو رضي - : تزوّج، وغنى فلان بمكان : أقام فيه . يقال : « غنوا بديارهم ثم غنوا » وغنى فلان : عاش و منه قوله عزوجل : « كأن لم يغنوا فيها » هود : ٦٨) أي كأن لم يعيشوا فيها أولم يقيموا فيها . وغنى له بالمودّة : بقي .

والغنيّ وصف لله عزوجل : « ان الله هو الغني الحميد » لقمان : ٢٦) وهو الذي وحده لايحتاج إلى أحد ، و كل محتاج إليه ، وهو جلّ وعلا الغني المطلق لايشاركه فيه غيره . و وصف للناس : « ومن كان غنيّاً فليستعفف » النساء : ٦)

وغنت المرأة بزوجها عن غيره : إستغنت .

الغناء - بالفتح كسحاب - مصدر: الاكتفاء والنفع واليسار ضدّ العسار، يقال : ليس عنده غناء : ما يغتنى به . والغنى - ضدّ الفقر -:الكفاية والاجزاء وعدم الحاجة، وهو غنى الله جل وعلا ، وبمعنى قلّة الحاجة ، وهوما يسمّى غنى النفس أو بمعنى كثرة المتقنيات بحسب ضروب الناس و في الحديث : « من يستغن بالله و عطائه يغنه الله » أي يخلق في قلبه غنى أو يعطيه ما يغنيه عن الخلق .

قال الله تعالى : « ما أغنى عنكم جمعكم » الاعراف : ٤٨) أي لا يجديهم ولا ينفعهم جمعهم . و ما أغنى فلان شيئاً : لم ينفع في مهمّ و لم يكف مؤونة .

و قال عزوجل : « لكل إمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » عبس : ٣٧) أي يكفيه عن الاهتمام بغيره .

يقال : فلان غنى و له غناء : كثر ماله ، و كان ذا و فر ، و به عن غيره : إكتفى به . وفي الحديث : «خير الصدقة ما أبقت غنى» أي أبقت بعدها لك ولعيالك غنى . و إسم الفاعل : الغاني : ذوالوفر كالغنيّ جمعه : أغنياء .

قال الله عزوجل : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفّف » البقرة : ٢٧٣).

والغانية : المستغنية بزوجها عن الزينة ، و قيل : المستغنية بحسنها عن التزين والغنية بحسنها و جمالها عن الزينة بالحلي والحلل . والغانية : الشابة المتزوجة ، و جمعها : غوان ، و رجل غان عن كذا : مستغن .

والمغني من أسماء الله جل و علا و هو الّذي يغني من يشاء من عباده ، و جمعه : مغنون قال الله عزوجل : « مغنون عنّا نصيباً من النار » غافر : ٤٧) أي دافعون عنّا . و أغنى الله تعالى فلاناً عنه : أجزاه ، و أغنى عنه كذا : نحّاه عنه و بعّده .

والمغني: المنزل الّذي غنى به أهله أى أقاموا ثم ظعنوا ، والمغاني: المنازل الّتي كان بها أهلونا ، و غنى في مكان كذا إذا طال مقامه فيه مستغنياً به عن غيره يغنى . و في حديث الامام أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « و رجل سمّاه الناس عالماً و لم يغن في العلم يوماً سالماً » أى لم يلبث في العلم يوماً تاماً من قولك : غنيت بالمكان أغنى : إذا أقمت به .

و تغنّى فلان : صار غنيّاً ، و تغنّى القوم : إستغنى بعضهم عن بعض ، وفى الدعاء : « اللهمّ إنّي أستغنيك عن كل حازم و أستعينك عن كل ظالم » .

إغتنى : إستغنى : ضدّ إفتقر ، و استغنى الله : سئله أن يغنيه و عنه و به : إكتفى . وفي الحديث : «من لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا» أي لم يستغن به عن غيره .

و غنّى فلان الشعر بالشعر: ترنّم به بالغناء و صوّت ، ومن المجاز: تغنّيه القيود : تغنّى له بصوتها . و تغنّى الشاعر بالمرأة : تغزّل بها ، و بزيد : مدحه أو هجاه . والغناء ـ بالكسر ـ من الصوت : ما طرّب به ، و قياسه الضمّ لانه صوت . والغناء ـ بالضمّ والمدّ ـ: التغنّي ولايتحقّق ذلك إلّا بكون الالحان من الشعر و إنضمام التصفيق لها فهـو من أنواع اللعب . والمغنّي : صاحب الغنـاء ، والّذي عمله الغناء ، والمرأة مغنّية جمعها : مغنّيات .

والغنية ـ بالضمّ والكسر ـ : إسم بمعنى الغنى ، يقال : لـه عنه غنية أي

إستغناء . والأغناء : أملاكات العرائس والأغنيّة والأغنية ـ بالضمّ والكسر وتشديد الياء وتخفيفها ـ : نوع من الغناء ـ بالكسر ـ ومايترنّم ، و يتغنّى به من الشعر و نحوه جمعه : أغاني و أغان . و في الحديث : « جوار يتغنين و يضربن بالعود » أي يستعملن الغناء و ضرب العود .

فى المفردات : الغني : يقال على ضروب : أحدها ـ عدم الحاجات ، وليس ذلك إلّا لله تعالى وهو قوله تعالى : « أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد » ثانيها ـ قلّة الحاجات ، وهو المشار إليه بقوله : « و وجدك عائلاً فأغنى » وذلك هو المذكور في قوله ﷺ : « الغني غنى النفس » ثالثها ـ كثرة القنيات بحسب ضروب الناس كقوله تعالى : « و من كان غنيّاً فليستعفف الذين يستأذنونك وهم أغنياء ـ لقد سمع الله قول الّذين قالوا ان الله فقير و نحن أغنياء » قالوا : ذلك حيث سمعوا : « من ذا الّذي يقرض الله قرضاً حسناً » وقوله : « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » أي لهم غنى النفس ويحسبهم الجاهل أن لهم القنيات لما يرون فيهم من التعفف والتلطف .

وعلى هذا قوله ﷺ لمعاذ : « خذ من أغنيائهم وردّ في فقرائهم » ويقال : أغنى من كذا و أغنى عنه كذا : إذا كفاه قال : « ما أغنى عني ماليه ـ ما أغنى عنه ماله » و غنى في مكان كذا : إذا طال مقامه فيه مستغنياً به عن غيره بغنى قال تعالى : « كأن لم يغنوا فيها » أي يقيموا فيها . والمغنى يقال : للمصدر وللمكان غنيت بالمكان أغنى : إذا أقمت به .

و فى اللسان : المغاني : المنازل الّتي كان بها أهلوها واحدها : مغنى . والغناء ـ بالكسر ممدوداً ـ الصوت المطرب ، و جمعه : الأغاني و سمّي المغنّي مغنّياً لانه يتغنّ .

و فى المجمع : الغناء : الصوت المشتمل على الترجيع المطرب أو ما يسمّى بالعرف غناء و إن لم يطرب سواء كان في شعر أو قرآن أو غيرهما .

٥١- السفع - ٧١٠

سفع فلان وجهه أو وجه غيره يسفعه سفعاً - من باب منع - : لطمه بيده ، و سفع الطائر ضريبته سفعاً: لطمها بجناحيه ، و سفع فلان فلاناً: ضربه بعصاه ، وسفع الشيء : أعلمه أي جعل عليه علامة أي أثراً من النار، و سفع به أخذ به ، و سفع بناصيته : قبض عليها فاجتذبها بعنف و شدة فهو سافع ، إسفع بيـدك : خذه بيدك ، و سفع بناصية الفرس ليركبه . وتستعمل كناية عن القهر والاذلال .

قال الله عزوجل : « كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية » العلق : ١٥) أي لنأخذن بناصيته إلى النّار كقوله تعالى: « فيوخذ بالنواصي والأقدام » أولنأخذنّ بها و لنذلّنّه ، أو لنسوّدنّ وجهه .

يقال : سفعت النار والشمس والسموم وجهه : لفحته لفحاً يسيراً فغيّرت لون بشرته ومنه الدعاء : « أعوذبك من سفعات النار » بالتحريك . وفي الحديث: « إذا بعث المؤمن من قبره كان عند رأسه ملك فاذا خرج سفع بيـده و قال : أنا قرينك في الدنيا » .

سافعه : سافحه و طارده و عانقه وضاربه ، والمسافعة : المضاربة كالمطاردة ، و سفع عنقه : ضربها بكفّه مبسوطة ، و سفعه بالعصا : ضربه ، و سافع قرنه : قاتله . و تسفّع بالنار : إصطلى ، و استفع عضوه : تهيّج ، و استفع لونه : تغيّر من خوف أونحوه ، و استفع الرجل: لبس ثوبه ، واستفعت المرأة ثيابها: إذا لبستها .

السوافع : لواقح السموم . والسفع - بالفتح - مصدر : الثوب المصبوغ و قيل: الثوب مطلقاً، جمعه : سفوع ، و- بالضمّ - : حبّ الحنظل و - محرّكة - : نقطة سواد في الخدّين من المرأة الشاحبة ، وإمرأة سفعاء الخدّين: شاحبة متغيّرة اللون مما تقاسى من المشاقّ جمع السفعاء : سفع على وزن- قفل- و نعجة سفعاء : إسودّ خدّاها و سائرها أبيض .

الأسفع : الصقر والثور الوحشي الذي في خدّيه سواد يضرب إلى الحمرة . و أسفع : إسم للغنم إذا دعيت للحلب ، يقال: أشل إليك أسفع . الذكر: أسفع ، والانثى : سفعاء ، ومنه قيل للأثافي : سفع و هي التي أو قد بينها النار فسوّدت صفاحها التي تلي النار . و رجل مسفوع : معيون ، ورجل مسفوع العين : غائرها، و رجل مسفوع : مجنون .

في المفردات : السفع : الأخذ بسفعة الفرس أي سواد ناصيته ، و باعتبار السواد قيل للأثافي : سفع و به سفعة غضب إعتباراً بما يعلو من اللون الدخاني وجه من اشتدّ به الغضب . و قيل : للصقر : اسفع لما به من لمع السواد و امرأة سفعاء اللون .

و في النهاية : السفعة : نوع من السواد ليس بالكثير ، و قيل: هو سواد مع لون آخر و في الحديث : « أرى في وجهك سفعة من غضب » أي تغيّراً إلى السواد ، وفي الحديث: « ليصيبنّ أقواماً سفع من النار » أي علامة تغيّر ألوانهم . و قيل : السفعة : العين والنظرة والاصابة بالعين .

وفي القاموس وشرحه : سفع بناصيته و برجله يسفع سفعاً : قبض عليها فاجتذب بها . المسافعة : الملاطمة . والسفع : الجذب بقوّة واللطم بشدة .

و في اللسان : السفعة في الوجه : سواد في خدّي المرأة الشاحبة . و سفع الثور : نقط سود في وجهه. وفي الحديث: « أنا و سفعاء الخدّين الحانية على ولدها يوم القيامة كهاتين و ضمّ إصبعيه » أراد بسفعاء الخدّين إمرأة سوداء عاطفة على ولدها ، أراد انها بذلت نفسها وتركت الزينة والترفة حتى شحب لونها و اسودّ خدّاها إقامة على ولدها بعد وفاة زوجها .

٢٩ - الناصية - ١٥٢٤

نصاه ينصو نصواً - واويّ من باب نصر نحو دعا - : قبض بناصيته ، وقيل :

مدّ بها، و نصافلان الثوب: كشفه ، ونصت الماشطة المرأة : سرّحت ناصيتها الناصية : ما يبرز من الشعر في مقدّم الرأس يكون حذاء الجبهة ، و جمعها : النـواصي والناصيات و نواص . يقال : أذلّه و جعله في قبضته يتصرّف فيه كيف يشاء .

قال الله تعالى : « كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية » العلق : ١٥) .

وقال: « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام » الرحمن:٤١).

وفي الدعاء : « خذ إلى الخير بناصيتي » أى اصرف قلبي إلى عمل الخيرات ، و وجهني إلى القيام بوظائف الطاعات كالذي يجذب بشعر مقدم رأسه إلى العمل فالكلام إستعارة . و في الدعاء : « والنواصي كلها بيدك » وهذا من باب التمثيل أي كل شيء في قبضتك و ملكك و تحت قدرتك و سلطانك .

قال الله عزوجل : « ما من دابة إلّا هو آخذ بناصيتها » هـود : ٥٦) أى متمكّن منها . وفي الحديث: « يؤخذ الرجل بلحيته والمرأة بناصيتها » أي ليذلنّه و يقيمه مقام الأذلة ، ففي الأخذ بالناصية إهانة و إستخفاف . و قيل : الناصية : قصاص الشعر أي حيث تنتهى نبتته من مقدّمه أو مؤخّره .

وقيل: الناصية : مقدّم الرأس ، وإبل ناصية : إرتفعت في المرعى . والناصاة : الناصية بلغة طيىء . والاسم : النصية ، يقال : هذه هذه نصيتى ، و نصية القوم : خيارهم ، والنصية : الخيار الأشراف ، و نواصي القوم : مجمع أشرافهم ، والنصية من القوم : الخيار و كذلك من الابل وغيرها . و نصية المال : بقيّته ، والنصية : البقيّة .

يقال للرؤساء : نواص و للأتباع : أذنـاب . و يقال : فلان نـاصية قومه : رأسهم و عينهم . و تنصّى الرجل القوم : تزوّج سيّدة نسائهم .

ناصاه مناصاة : قبض كل منهما بناصية صاحبه ، ناصت الفلاة بفلاة : إتصلت بها . وتناصي القوم تناصياً: تآخذوا بالنواصي في الخصومة ، وتناصي الطلح والسيال: تقرّبا و تقابلا حتّى يعلق هذا بهذا و هذا بهذا عند هبوب الرياح .

المنتصى : أعلى الواديين المتصلين معاً ، و انتصى الجبل والأرض : طالا و ارتفعا ، و انتصى الشعر : طال ، و تنصّى الشيء بالشيء : إتصل .

والنصى : ضرب من الطريقة مادام رطباً واحدته : نصيّة ، جمعها : أنصاء و أناص جمع جمع .

فى المفردات : الناصية : قصاص الشعر فوق الجبهة ، وانتصى الشعر : طال ، والنصى : مرعى من أفضل المراعي ، و فلان نصيّة قوم أي خيارهم تشبيهاً بذلك المرعى .

و فى النهاية : في حديث : « رأيت قبور الشهداء جثا قد نبت عليها النصّى » و هو نبت سبط أبيض ناعم من أفضل المرعى .

٣ - الزبانية - ٦٢٠

زبنه يزبنه زبناً - من باب ضرب - : دفعه وصدمه . و زبنت الناقة : دفعت ولدها عن ضرعها ، وحالبها عن حلبها ، وهي الّتي إذا دنا منها حالبها زبنته برجلها.

يقال : زبنت الناقة : إذا ضربت بثفنات رجليها عند الحلب . ويقال : فلان أزبن بيته عن الطريق : نحّاه . و بيت زبن : متنحّ عن البيوت كأنه مدفوع عنها ، والزبن - محركة - : الناحية .

والزبانية - جمع الزبنية أو الزبنى - : الشرط لأنهم يدفعون الناس ، وقد سمّي بعض الملائكة بالزبانية لدفعهم أهل النار إليها .

قال الله عزوجل : « سندع الزبانية » العلق : ١٨) قيل : هم الملائكة الغلاظ الشداد الّذين هم يعملون بالأيدي والأرجل ، فهم أقوى الملائكة .

زباني العقرب : ما تزبن به من طرف ذنبها ، و زباني العقرب : قرناها ، والزبانيان : كوكبان نيران في قرني برج العقرب معترضان بين الشمال والجنوب بينهما قيد رمح ينزلهما القمر في الليلة السابعة عشر .

وفي الحديث قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « كالناب الضروس تزبن برجلها » أي تدفع .

والزبن - ككتف - : الشديد الزبن ، والزبنية : متمرد الجن والانس والشديد . والزبونة - بضمّ الزاء وفتحها وضمّ الباء بالتشديد - : العنق ، و رجل فيه زبونة : كبر ، و رجل ذو زبونة : مانع جانبه بالدفع عنه و منه ، والزبونة من الرجال : الشديد المانع لما وراء ظهره .

والزبون من النوق: الدفوع ، حرب زبون : يدفع بعضها بعضاً من الكثرة .

زابنه مزابنة : دافعه ، زابنه : باع الرطب في رؤوس النخل بالتمر ، و زابنه : باع ما لايعلم كيلاً أو عدداً أو وزناً بمعلوم المقدار ، زابنه : باع معلوماً بمجهول من جنسه مطلقاً ، أو باع مجهولاً بمجهول من جنس كذلك ، و أصله من الزبن بمعنى الدفع .

وفي الحديث: « نهى عن المزابنة » و إنّما نهى عنه لان الثمر بالثمر لايجوز إلّا مثلاً بمثل ، فهذا مجهول لايعلم أيّهما أكثر ، ولأنه بيع مجازفة من غير كيل و لا وزن و لان البيعين إذا وقفا فيه على الغبن أراد المغبون أن يفسخ ، و أراد الغابن أن يمضيه ، فتزابنا فتدافعا و اختصما ، فاذا ندم أحدهما دفع صاحبه عما عقد عليه ، فيدفع كل واحد من المتبايعين صاحبه عن حقه بما يزداد منه ، والنهي عن ذلك لما فيه من الغبن والجهالة والخصومة . . .

والزبّين - كسكّين - : مدافع الأخبثين : البول والغائط ، ومنه الحديث : « خمسة لاتقبل لهم صلاة : رجل صلّى بقوم وهم له كارهون ، و امرأة تبيث زوجها عليها غضبان ، والجارية البالغة تصلّي بغير خمار ، والعبد الآبق حتّى يعود إلى مولاه ، والزبين » .

والزبين هو الذي يدافع الأخبثين ، و مقام زبن : إذا كان ضيقاً لا يستطيع الانسان أن يقوم عليه في ضيقه و زلقه ، والزبن - بالكسر - : الحاجة يقال :

فلان قد أخذ زبنه من المال والطعام : حاجته ، و ـ بالتحريك ـ : ثوب على تقطيع البيت كالحجلة ، و منه الزبون الذي يقطع على قدر الجسد و يلبس .

فى الصحاح : الزبانية عند العرب : الشرط ، وسمّي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها . و حرب زبون : تزبن الناس أي تصدمهم وتدفعهم وهو على التشبيه بالناقة .

و فى المحكم : الزبن: دفع الشيء عن الشيء كالناقة تزبن ولدها عن ضرعها برجلها .

و فى الأساس : حرب زبون : صعبة كالناقة الزبون في صعوبتها .

و فى القاموس و شرحه : الزبن : الناحية ، يقال: حلّ زبنا من قومه أي نبذة كأنه إندفع من مكانهم ولا يكاد يستعمل إلّا ظرفاً أو حالاً . والزابنة أكمة شرعت في واد ينعرج عنها كأنها دفعته .

و فى اللسان : الزبونة من الرجال : الشديد المانع لما وراء ظهره ، وتزابن القوم : تدافعوا . والزبنية : كل متمرد من الجن والانس .

و فى مجمع البحرين : في قوله تعالى : « سندع الزبانية » هي الملائكة واحدهم زبنى مأخوذ من الزبن ، و هو الدفع كأنهم يدفعون أهل النار إليها . و يقال للناقة إذا كان من عادتها أن تدفع حالبها عن حلبها : زبون .



﴿النحو﴾

١- (اقرأ باسم ربك الذى خلق)

« إقرأ » فعل أمر ، موقوف لأنه أمر عند البصريين ، والأمر عندهم مبنيّ ، ومجزوم عند الكوفيين ، والأمر عندهم معرب ، وعلامة الجزم سكون الهمزة ، و ذلك ان الهمزة حرف صحيح كسائر الحروف يقع عليه الاعراب ، و قد كسرت الألف الاولى لأنها ألف وصل ، على حذف المفعول أى إقرأ ما ينزل عليك من الوحي .

و في الباء وجوه : أحدها ـ أنها للالصاق . ثانيها ـ أنها زائد أى إقرأ إسم ربك كقوله تعالى: « سبّح اسم ربك» كمازيدت في قوله عزّوجلّ: « تنبت بالدهن» ثالثها ـ للاستعانة أى مستعيناً باسم ربك . رابعها ـ انها للملابسة والمعنى: إقرأ القرآن متلبساً أومتبركاً باسم ربك .

خامسها ـ للابتداء أى مبتدئاً أومفتتحاً باسم ربك . والباء للآلة. سادسها ـ متعلّق بـ« اقرأ » الثانية أى استعن باسم ربك واتخذه وسيلة في تحصيل هذا الذي عسر عليك ، فالباء أيضاً للآلة . سابعها ـ انها بمعنى اللام والمعنى : إجعل هذا الفعل واقعاً لله كقولك : بنيت الدار باسم الأمير، وصنّفت الكتاب باسم الوزير فالعبادة إذا صارت لله تعالى لم يكن للشيطان فيها نصيب . ثامنها ـ بمعنى«على» أى إقرأ على إسم ربك . يقال: فعل كذا باسم الله وعلى إسم الله تعالى . وعلى هذا فالمقرؤ محذوف أي إقرأ القرآن وافتتحه باسم الله تعالى . فموضع الباء على وجه

الأوّل والثالث والرابع والخامس نصب على الحال فمتعلّقها هو الحال المحذوف.

وألف « إسم » ألف وصل تسقط في البسملة وفي التصغير، فاذا صغّرته قلت : سمي واضيف إلى « رب » اضيف إلى كاف الخطاب للنبي الكريم ﷺ : « ربك ».

و « الّذي » موصولة في موضع الجرّ، نعتاً من « ربك » و « خلـق » صلة الموصول ، والعائد هو ضمير مستتر في « خلق » راجع إلى « الّذي ».

٢ـ (خلق الانسان من علق)

« خلق » فعل ماض، بدل أو بيان من « خلق » الأوّل ، و « الانسان » مفعول به، و « من علق » متعلق بـ « خلق » و « علق » جمع « علقة » وقد جيء بالجمع فانه اريد بالانسان الجنس ، فكلّهم خلقوا من علق بعد النطفة . وقيل : « علق » مفرد، على حذف التاء لرعاية الفواصل . وقيل : جيئت بالجمع لرعاية الفواصل . .

٣ـ (اقرأ و ربك الأكرم)

في « إقرأ » وجهان : أحدهما ـ توكيد لما تقدّم. ثانيهما ـ مستأنف إذ قدتمّ اللام السابق ، والواو في « وربك » للحال ، و « ربك » مبتداء و « الأكرم » خبره ، والجملة الخبرية حال من الضمير في « إقرأ » أى إقرأ مجازياً لك ربك أو مستيقناً ان ربك هو الأكرم . و « الأكرم » أفضل تفضيل قدتمّ بالألف واللام .

٤ـ (الذى علم بالقلم)

« الّذي » موصولة في موضع رفع ، نعت من « ربك » و « علّم » فعل ماض من باب التفعيل ، وفاعله هو الضمير المستتر فيه ، الراجع إلى « الّذي » على حذف مفعوليه أى علّم ربك الانسان الكتابة أو الخطّ أو القراءة بالقلم فـ « بالقلم » متعلق بـ « علّم » وفي الباء وجوه : أحدها ـ انها للاستعانة أي باستعانة القلم كقولك: كتبت بالقلم . ثانيها ـ انها للسببيّة أي بسبب القلم أو بواسطته. ثالثها ـ انها زائدة . والمعني : علّم ربك الانسان القلم فانه وحده مفطور على أن يكتب دون غيره من المخلوقات.

٥ـ (علم الانسان مالم يعلم)

في «علّم» وجهان : أحدهما ـ بيان و تأكيد للتعليم السابق أي علّمه بالقلم كقول القائل : أحسنت إليك: ملّكتك الأموال وولّيتك الولايات . ثانيهما ـ مستأنف أى علّم الانسان بالقلم ، وعلّمه أيضاً غير ذلك .

و « الانسان » مفعول به الأوّل ، و«ما» موصولة في موضع نصب ، مفعول ثان ، و«لم» حرف جحد ، و« يعلم » فعل مضارع ، مجزوم بحرف الجحد ،فاعله: ضمير مستتر فيه راجع إلى « الانسان » والجملة صلة الموصول ، على حذف العائد. وتقديره : مالم يعلمه الانسان .

٦ـ (كلا ان الانسان ليطغى)

« كلا » حرف ردع وزجر، وفيها وجوه : أحدها ـ انها حرف مطلقاً سواء كان بمعنى الردع والزجر أو بمعنى حقاً،وهذا عند أكثر النحويين . ثانيها ـ انها حرف إذا كانت للردع والزجر، وإسم إذا كانت بمعنى حقاً . ثالثها ـ انها مركّبة من كاف التشبيه ولا النافية ، فشدّت لامها لتقوية المعنى و لدفع توهّم بقاء معنى الكلمتين . رابعها ـ انها بسيطة ، والأكثر على أنها حرف ، معناها الردّع والذم تهديداً ووعيداً .

وقيل : إبتدأ بـ« كلاّ » هيهنا لأنه بمعنى نعم حقاً وليس ردّاً إذ ليس قبله شيء. و « إن » حرف تأكيد، و«الانسان » إسمها ، واللام في « ليطغى»للتوكيد، ومدخولها فعل مضارع ، ناقص يائي ، في موضع رفع ، خبرها .

٧ـ (أن رآه استغنى)

« أن » حرف ناصب ، ينصب الفعل المضارع ، فاذا دخلت على الماضي لم يعمل فيه ، و«رآى»فعل ماض، وضمير الوصل في موضع نصب، مفعول أوّل ،راجع إلى « الانسان » ومعنى رآى نفسه ، والجملة في موضع نصب على أنها مفعول من أجله لما قبلها ، على تقدير : لأن رآى نفسه .

ان تسئل: أيجوز أن يقال : زيد ضربه علي أن الضمير راجع إلى زيد ؟

تجيب : لاوان الصواب : ضرب زيد نفسه لأن الفاعل بالكلّيّة لايكون مفعولاً بالكلية ، ولكنّه جائز في «أن رآه » لأنه من أفعال القلوب ، نحو: ظننتني،

فاذا ثنيت ذلك قلت : كلاّ ان الانسانين ليطغيان أن رأياهما إستغنيا ، و كلاّ ان الاناسي ليطغون أن رأوهم إستغنوا . وذلك ان الأفعال القلبية تدخل على المبتداء والخبر، وان الخبر هو نفس المبتداء إذ تقول : علمتني وحسبتني أفعل كذا، ولايجوز ذلك في غيرها إلاّ بواسطة النفس تقول : ضربت نفسي ولاتقول : ضربتني.

وان « رآى » من أفعال القلوب التي تتعدى إلى المفعولين لأنه من رؤية القلب .

وقد حذفت اللام على القياس ، وحذفت النفس لخاصية فعل القلب وهي جواز الجمع بين ضميري الفاعل والمفعول فيه ، مع أن العرب تطرح النفس في مثل هذا المورد وتقول : رأيتني وحسبتني ، ومتى تراك خارجاً ومتى تظنك خارجاً.

و « استغنى » فعل ماض ، من باب الاستفعال ، في موضع نصب ، مفعول ثان لفعل الرؤية على تقدير : لأن رآه مستغنياً .

٨- (ان الى ربك الرجعى)

« ان » حرف توكيد ، و « إلى ربك » متعلق بمحذوف ، وهو خبر لحرف التأكيد ، و« الرجعى » في موضع نصب ، إسم لحرف التوكيد . و« الرجعى » مصدر على وزن فعلى .

والمعنى : ان رجوعك إلى ربك حتم أو ثابت قطعاً .

٩- (أرأيت الذى ينهى)

الهمزة إستفهامية ، و « رأيت » فعل ماض للمفرد المذكر المخاطب و« الذي» موصولة ، في موضع نصب لفعل الرؤية ، و « ينهى » صلة الموصول .

١٠- (عبداً اذا صلى)

« عبداً » مفعول به لـ « ينهى » و « إذا » ظرف زمان ، و « صلّى » فعل ماض

من باب التفعيل .

١١- (أرأيت ان كان على الهدى)

الهمزة إستفهامية ، و « رأيت » فعل ماض للمفرد المذكر المخاطب على حذف المفعول أى أرأيت يا كافر عبداً إن كان صلاته أو دعائه إلى الدّين فأنت تنهاه عنه .

و «إن» حرف شرط بمعنى « ما » و« كان» فعل ماض من الأفعال الناقصة ، إسمه مستتر فيه ، راجع إلى المفعول المحذوف ، و « على الهدى » متعلق بمحذوف، خبر ا «كان» و« الهدى » مصدر كالرجعى .

١٢- (أو أمر بالتقوى)

« أو » حرف عطف للتنويع ، و « أمر» فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « عبداً » و « بالتقوى » متعلق بـ « أمر » .

١٣- (أرأيت ان كذب و تولى)

إعراب « أرايت » ظاهر مما تقدم ، وفي مفعول المحذوف وجهان كما أن خطابه كذلك : أحدهما - خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فالمعنى : أرأيت يا محمد إن كذّب هذا الكافر بتلك الدلائل الواضحة ، وأعرض عن خدمة خالقه ، ألم يعلم بعقله ان الله تعالى يرى منه تلك الأعمال القبيحة حتى يصير زاجراً عنها .ثانيهما- خطاب للكافر. والمعنى : ان كان محمد كاذباً أو متولياً ألا يعلم أن خالقه يراه حتى ينتهي فلا يحتاج إلى نهيك . و « كذّب » فعل ماض من باب التفعيل ، و « تولى » فعل ماض من باب التفعّل .

وفي « أرأيت » الثلاث ومتعلقاتها وجوه آخر ينبغي أن يتدبّر فيها الأديب الأريب والمفسر الخبير فان المقام مزلّة الأقدام .

أحدها - ان الخطاب في « أرأيت إن كان على الهدى » يكون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليكون الكلام على نسق واحد . والمعنى : أخبرني يا محمد ان ذلك الناهي إن كان على طريق سديد فيما ينهى عنه من عبادة الله عزوجل أو كان آمراً بالتقوى فيما

يأمره به من عبادة الأوثان كما يعتقد أو كان على سيرة التكذيب والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن « ألم يعلم بأن الله يرى » ويطلع على أحواله من هداه أو ضلاله فيجازيه على ذلك ، وهو وعيد.

فقوله : « الّذي ينهى » مفعول أوّل لـ« أرأيت » الأوّل ، و « أرايت» الثاني مكرر للتأكيد ، ولطول الكلام ، وقوله : « إن كان على الهدى » مع ما عطف عليه مفعول ثان له ، وجواب الشرط محذوف يدلّ عليه جواب الشرط الثاني وهو قوله: « ألم يعلم »

ثانيها ـ أن يكون « أرأيت » الثالث مكرّراً والجواب في الحقيقة هو ما تدلّ عليه هذه الجملة الاستفهامية كأنه قيل : إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أو كذّب وتولّى فان الله مجازيه .

ثالثها ـ أن يكون جواب الشرط الأوّل شيئاً آخر، يدلّ عليه سياق الكلام ، والمعنى : أرأيت إن صار هذا الكافر على حالة الهدى أو أمر بالتقوى بدل النهي عن عبادة الله تعالى أما كان يليق به ذلك إذ هو رجل عاقل ذو ثروة . ففيه تعجيب من حاله انه كيف فوّت على نفسه مراتب الكمال والاكمال واختار بدلها طريقي الضلال والاضلال .

رابعها ـ أن يكون الخطاب في « أرأيت » الثاني للكافر كأن الظالم والمظلوم عبدان قاما مابين يدي مولاهما أو هما اللذان حضرا عند الحاكم ، أحدهما المدّعي والآخر المدّعى عليه ، فيخاطب هذا مرّة ، وهذا مرّة ، فلما قال الله تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « أرأيت الّذي ينهى عبداً إذا صلّى » إلتفت إلى هذا الناهي الكافر فقال : « أرأيت » ياكافر « إن كان »صلاته ودعائه إلى الدين آمراً بالتقوى أتنهاه عنه مع ذلك .

خامسها ـ ان المفعول الأوّل لقوله : « أرأيت » الأوّل قوله : « الذي ينهى» و لـ« أرأيت » الثالث ضمير عائد إلى الموصول ، و لـ« أرأيت » الثاني . ضمير عائد

إلى قوله : « عبداً » والمفعول الثاني لـ « أرأيت » في المواضع الثلاث قوله : « ألم يعلم بان الله يرى »

والمعنى : أخبرني يا محمد عن الذي ينهى عبداً إذا صلّى لله تعالى وحده ، و عبدالله الناهي يعلم بأن الله جل وعلا يرى مايفعله كيف يكون حاله ، أخبرني يا محمد عن هذا الناهي إن كان ذاك العبد المصلّي على الهدى أوأمر بالتقوى كيف يكون حال هذا الناهي وهو يعلم ان الله يراه، أخبرني عن هذا الناهي إن تلبّس بالتكذيب بالحق والاعراض عن الايمان بالله تعالى ونهي العبد المصلي عن الصلاة وهو يعلم بأن الله عزوجل يراه ؟ هل يستحق هو إلّا العذاب والنار ؟

سادسها ـ أن يكون المفعول الأوّل لـ « أرأيت » الثلاث كلّها هو الموصول، أو الضمير العائد إليه تحرزاً عن التفكيك بين الضمائر .

والمعنى : أخبرني يا محمد عن هذا الناهي إن كان على الهدى أوأمر بالتقوى وهو يعلم بأن الله تعالى يرى ماذا كان يجب عليه أن يفعله ويأمر به ؟ و كيف يكون حاله وقد نهى عن عبادة الله عزوجل ؟

فتدبّر جيّداً واغتنم جدّاً ، فان المقام تزلّ فيه الأقدام ، وتضطرب لديه الأقلام ، ويتحيّر عنده أدب الأفهام . . .

١٤ـ (ألم يعلم بأن الله يرى)

الهمزة إستفهامية ، و«لم» حرف جحد ، و « يعلم » فعل مضارع ، مجزوم بحرف الجحد وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى المكذّب المعرض ، و«أن» حرف توكيد ، فتحت همزتها لمكان الباء و«الله» إسمها ، و« يرى » فعل مضارع، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « الله » على حذف المفعول أى يراه ، والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التوكيد ، والجملة المؤكّدة بعد انسباكها إلى المصدر مجرور بالباء ، متعلق بـ« يعلم » .

١٥ـ (كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية)

في « كلاّ » وجهان : أحدهما ـ بمعنى حقاً ونعم . ثانيهما ـ للتحذير واللام في « لئن » للتأكيد ، و« إن » حرف شرط ، و« لم » حرف جحد ، و « ينته» فعل مضارع من باب الافتعال ، مجزوم بحرف الجحد بحذف لام الفعل وهي الياء ،واللام في « لنسفعاً » لام القسم ، و « نسفعاً » فعل مضارع للمتكلم مع الغير مؤكد بنـون التأكيد ، ويثبت النون في الخط ألفاً لأنها كالتنوين عند البصريين كما في المصحف، وبالنون عند الكوفيين لأنها نون في الحقيقة .

وليس في القرآن الكريم نون التوكيد مخفّفة إلاّ قوله : « لنسفعاً »وقوله: « وليكوناً من الصاغرين » يوسف : ٣٢)

و« بالناصية » متعلق بـ« لنسفعاً »

١٦ (ناصية كاذبة خاطئة)

« ناصية » بدل من « بالناصية » يجوز إبدال النكرة من المعرفة إذا نعتت النكرة و «كاذبة » صفة الاولى لـ« ناصية » وصفها بذلك مجازاً أى صاحبها ، و « خاطئة » صفة ثانية .

١٧- (فليدع ناديه)

الفاء للتفريع ، واللام في « فليدع»لام أمر ، ومدخولها فعل مضارع ، مجزوم بلام الأمر، وعلامة الجزم حذف الواو ، وفاعل الفعل ، ضمير مستتر فيه ، راجع إلى صاحب هذه الناصية، و « ناديه » مفعول به،والضمير راجع إلى صاحب الناصية أيضاً، على تقدير: أهل ناديه أى أهل مجلسه ،فحذف الأهل ، واقيم النادى مقامه كقوله جل وعلا : « واسئل القرية » يوسف : ٨٢)

١٨- (سندع الزبانية)

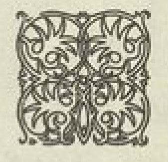
السين للتسويف ، و« ندع» فعل مضارع ، للمتكلم مع الغير، وأصله : «سندعو» بالواو غير أن الواو ساكنة ، واستقبلتها اللام الساكنة ، فسقطت الـواو ، فبنت عليه الخطّ، فسقطت الواو من « سندع » ومن « يدع الانسان » الاسراء:١١) و

من « يمحُ الله الباطل » الشورى : ٢٤) و«الزبانية » جمع زبنى ، مفعول بهم .

١٨ـ (كلا لاتطعه واسجد واقترب)

في « كلا» وجهان : أحدهما ـ حرف ردع وزجر. ثانيهما ـ بمعنى حقاً .

و«لا» حرف نهي ، و« تطعه » فعل مضارع للمفرد المذكر المخاطب للنبي الكريم ﷺ مجزوم بحرف النهي ، وضمير الوصل في موضع نصب ، مفعول به ، والواو في « واسجد » للعطف من عطف الأمر على النهي ، و« اسجد » فعل أمر ، على حذف « لله » والواو الثانية للعطف أيضاً ، و «اقترب »فعل أمر من باب الافتعال على تقدير: منه بطاعته .



﴿البيان﴾

١- (اقرأ باسم ربك الذى خلق)

هذا أوّل خطاب إلهي وجّه إلى محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد افتتح الوحي السماوي بالأمر في بدء رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له صلى الله عليه وآله وسلم بالقراءة التي قصد بالأمر بها تلاوة ما يلقى إليه كما قصد به تنبيهه صلى الله عليه وآله وسلم إلى المهمّة العظمى التي انتدب إليها ، كما أن الأمر بها ينطوى على تنويه بها ، و انها سبيل إلى المعرفة و العلم ، و بدء الوحي بالأمر بها يزيد في قوة هذا التنويه ، فكأنما اريد جعل هذه النعمة في مقدمة النعم الالهية التى أنعمها الله عزّوجلّ على الانسان في كل حياته على وجه الارض . والامر بالقراءة يرادف الأمر بالتعلم ، وقد عرف واعترف العالم والجاهل : انه ما من دين على وجه الأرض حثّ على ما التعلم والتعليم كدين الاسلام ، وأعظم تكريم للعلم أن يكون الأمر به هو الأمر الأوّل في الوحي السماوي وعقيدة الاسلام .

ان تسئل: لما ذا قال الله عزوجل : « إقرأ » ولم يقل : « اتل » كما قال في موضع آخر : « واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك » الكهف : ٢٧) ؟

تجيب عنه: ان المقام مقام تأمل ومكث وتوقف وتعلّم وإظهار ما يوحى إليه و إعلانه على الناس و دعوتهم إليه ، وليس فى التلاوة ما في القراءة من ذلك كله فتأمل جيداً واغتنم جداً .

ومن اللطافة ان القرآن الكريم بدأ نزوله بالأمر بالقراءة و ان القرآن

بدأ بالقرآن .

ان تسئل: ان الله عزوجل أطلق الأمر بالقراءة من غير ذكر المقروء فما هو المقروء؟ ولما ذا ترك ذكره ؟

تجيب عنه: ان الله تعالى لم يبيّن هنا ما ذا يقرء إلاّ أصل قراءة الوحي باسم الله جل وعلا ما يدل أيضاً على أنه بداية الوحى فقرأ باقراء الله : « بسم الله الرحمن الرحيم . . . » و إعتباراً ان البسملة من القرآن الكريم مهما كان الأمر بها سابقاً أم لا حقاً . والمعنى : إقرأ ما انزل إليك من القرآن مفتتحاً باسم ربك وهو أن تذكر التسمية في إبتداء كل سورة مع أن في قيد القراءة باسم الله تعالى في بدء الوحي إشارة إلى أن القراءة يجب أن تكون للحق لا للباطل ، للرحمن لا للشيطان ، للخير لا للشر ، للاصلاح لا للافساد ، للسعادة لا للشقاء ، للفلاح لا للخسران ، للحياة والبناء لا للهدم و الفناء ، وللعدل والمساواة لا للتسلّط والهوى ولا للتنافس على لقب الأعظم والأقوى . . .

وفي دخول الباء في « باسم ربك » دلالة على لزوم الفعل وتكريره ، وتنبيه على البداية باسم الله جل وعلا في كل شيء كما قال : « بسم الله الرحمن الرحيم» فعلى هذا يجوز أن يكون حالاً أى إقرأ مبتدئاً باسم ربك .

ان تسئل: لما ذا لم يقل الله عزوجل : باسم الله ؟؟؟

تجيب عنه: لأن المقام مقام التربية الروحية ، ومقام الخلق والتكوين ، ولا يبعد أن يكون الأمر من قبيل الأمر التكويني أي « كن يا محمد قارئاً باسم ربك » لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ماكان قارئاً ولا كاتباً من قبل ، فبالأمر صار قارئاً وكاتباً . ولذلك وصف الرّب بالّذي خلق الذي أوجد الكائنات الّتي لا يحيط بها الوصف فهو قادر على أن يوجد فيك القراءة ، وإن لم يسبق لك تعلّمها لانك لا تدرى ما الكتاب . وإليه أشار بقوله تعالى : « وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك » العنكبوت : ٤٨) فكأن الله جل وعلا قال لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : يا محمد

كن قارئاً بقدرتي و إرادتي .

و ذلك ان من كان قادراً أن يخلق الخلائق كلها بلا سبق وجود لها يقدر على أن يجعل من الانسان الكامل مثل النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قارئاً ، وإن لم يسبق له تعلّم بالقراءة لان القراءة صفة تعرض على الانسان فهى أولى بسهولة الايجاد .

و قوله تعالى : « باسم ربك » متعلق بمحذوف ، وهو حال من ضمير الفاعل أى إقرأ مفتتحاً أو مستعيناً باسم ربك لتتحقق مقارنته لجميع أجزاء المقرؤ ، والتعرّض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال اللائق شيئاً فشيئاً مع الاضافة إلى ضميره صلى الله عليه وآله وسلم للاشعار بتبليغه صلى الله عليه وآله وسلم إلى الغاية الغاصية من الكمالات بانزال الوحي المتواتر . . .

و من المحتمل أن يكون في تخصيص الرب بالذكر في هذا الموضع إشارة إلى معنيين :

أحدهما - أن يكون المعنى: ربيتك فلزمك القضاء والشكر فلا تتكاسل .

ثانيهما - ان الشروع ملزم للاتمام ، وقد ربّيتك منذ كذا فكيف اضيعك بعد هذا فلا تفزع ، ثم دلّ على كونه جل و علا ربّاً بقوله : « الّذي خلق » و في توصيف الرب بذلك تذكير لأوّل النعماء الفائضة على نبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم منه تعالى ، والتنبيه على أن من قدر على خلق الكائنات و منها الانسان على ما هو عليه من الحياة ومايتبعها من الكمال العملية والعلمية من مادّة لم تشمّ رائحة الحياة فضلاً عن سائر الكمالات فهو قادر على تعليم القراءة للحي الّذي أراد به الرسالة إلى البشر أو على خلق كل شيء.

وفي المقام من قصر الربوبية في الله عزوجل ، وهو توحيد الربوبية المقتضية لقصر العبادة له جل و علا ما لا يخفى على من له الدّراية .

وذلك ان المشركين كانوا يقولون: ان الله سبحانه ليس له إلّا الخلق والايجاد و أمّا الربوبية وهي الملك والتدبير فلمقرّبي خلقه من الملائكة والجن والانس ،

وما إليها ، فدفعهم الله عزوجل على عقيدتهم السخيفة بقوله : « ربك الذي خلق » الخلائق كلها على أن الرّبوبية والخلق له وحده .

وقد أطلق الخلق أوّلاً ليتناول كل المخلوقات ، ثم خصّ الانسان بالذكر لشرفه أو لتعجيب فطرته ، أو لان سورة الآية لأجله ، أو للتنبيه على أن الكائنات خلقت لأجله ، ومن الكامل من هذا الانسان هو النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عزوجل له : « لولاك لما خلقت الأفلاك » .

و قيل : في ترك المفعول وجهان : أحدهما ـ أن لا يقدّر له مفعول ، بل يكون المراد الذي حصل منه الخلق ، و استأثر به لاخالق سواه كما قال : « هل من خالق غير الله » فاطر : ٣) وقال: « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » الاعراف : ٥٤) كما تقول : فلان يعطى و يمنع ، و يصل و يقطع . . . ففى ترك المفعول إشارة إلى أنه لا خالق سوى الله تعالى ، و أنه تعالى هو الخالق وحده لا شريك له .

ثانيهما ـ أن يكون مفعوله مضمراً تقديره : الّذي خلق الخلائق ثم أفرد الانسان بالذكر تشريفاً له و تفضيلاً .

و ان هذه الآية الكريمة من اولى الآيات الخمس الأولى من السورة ،وهي أول مانزل من القرآن الكريم على محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأول ما استفتحت به الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم و قد نزل بها جبرئيل الأمين عليه السلام على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و هو يتعبد في غار حراء و قد فجئه الوحي السماوي بقوله جل و علا : « إقرأ . . . » .

٢ ـ (خلق الانسان من علق)

تقرير لكيفية خلق من الخلائق وهو خلق الانسان من علق ، وهذا تخصيص بعد تعميم ألا ترى ان قوله جل و علا : « خلق الانسان » بعد قوله : « خلق » خصوص بعد عموم كقوله عزوجل : « يؤمنون بالغيب » ثم قال : « وبالآخرة هم

يوقنون » فخصّص الآخرة بعد ذكر الغيب الّذي هو عام لكل ما غاب عنّا .

وعلى بيان الربوبية فتخصيص خلق الانسان بالذكر من بين سائر الموجودات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير ، و على بيان الايجاد فافراد الانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان تفخيم لشأنه إذ هو أشرفهم و إليه التنزيل ، وهو المأمور بالقراءة و هو مستعدّ لذلك لما أودع الله جل و علا فيه من القوى ، و هو الّذي اختصّ وحده بالقابليّة لتلك النعم الالهيّة ، و امتاز بها من غيره من الحيوان والنبات والجماد . لكونه أشرف مما سواه من المخلوقات على وجه الأرض ، ففي المقام تعظيم لخلقه ، و تفخيم لشأنه لما يستعدّ من تحصيل الكمال لا يستعدّ غيره لذلك ، و بدء الوحي السماوي بذلك يزيد في قوّة هذا التفخيم ، فكأنما اريد جعل هذه النعمة في مقدمة نعم الله جل وعلا الّتي أنعمها على الانسان ، وفي مقدمة ما يجب عليه أن يشكر الله جل و علا عليه و يسعى في إكتسابه .

وتعبير الانسان شامل للذكر والانثى ، ولكن كلّ بحسبه لا على ما توهّم من التساوي . و من المحتمل أن لايقصد بالاشارة إلى خلق الانسان من علق تقرير حقيقة تشريحيّة ولا تخصيص الانسان وحده بالخلق من علق دون غيره من الحيوان ، بل قصد التنبيه على مظهر من مظاهر قدرة الله عزوجل في نواميسه على إخراج إنسان كامل في صورته وأعضائه ، وحواسّه من شيء تافه في مظهره المادّي ، وقد اختصّ الانسان بالذكر لأنه موضوع الخطاب في الآيات ، و هذا اسلوب قرآني عام و هو الاسلوب التنبيهي الموجّه إلى مختلف الطبقات في المناسبات الملائمة بما تتناوله عقولهم و حواسّهم و بقصد الموعظة والهداية .

و في الآية الكريمة إشارة إلى بيان النعمة بأن خلقه من الأصل الذي هو في الغاية القصوى من المهانة ثم بلغ به مبالغ الكمال حتى صار بشراً سويّاً مهيّئاً للنطق والتمييز مفرغاً في قالب الاعتدال ، و إشارة إلى التدبير الالهيّ الوارد على الانسان من حين كان علقة إلى حين يصير إنساناً تامّاً كاملاً له من أعاجيب الصفات

والأفعال ما تتحيّر فيه العقول ، فلم يتمّ الانسان إنساناً ، و لم يكمل إلّا بتدبير متعاقب منه تعالى و هو بعينه خلق بعد خلق فهو تعالى ربّ مدبّر لأمر الانسان بعين أنّه خالق له ، فليس للانسان إلّا أن يتّخذه وحده ربّاً ، ففي الكلام إحتجاج على توحيد الربوبية .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « خلق الانسان من علق » بصيغة الجمع ، ولم يقل : من علقة ، وقد قال: « ألم يك نطفة من منيّ يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى » القيامة : ٣٧ ـ ٣٨) ؟

تجيب عنه : اريد بالانسان جنس الانسان المتناسل ،فيشمل لجميع أفراده كقوله عزوجل : « ان الانسان لفي خسر إلّا الّذين آمنوا و عملوا الصالحات » العصر : ٢) والجمع إنّما خلق من جمع علقة لامن علقة و في تنكير « علق » مبالغة في التهوين والتحقير .

ان قلت : هذا الجواب مردود بقوله تعالى : « يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة » الحج : ٥) .

قلت : ان المراد فاناخلقنا كم أباكم من تراب ثم خلقنا كل واحد من أولاده من نطفة . و من المحتمل أن يكون من علق رعاية للفاصلة الأولى و هى خلق .

والعلق : جمع العلقة و هى قطعة من دم رطب ، سمّيت بذلك لأنها تعلق لرطوبتها بما تمرّ عليه ، فاذا جفّت لم تكن علقة .

و قيل : ان الانسان بجزئيه : الروحي والجسمي، ليس كيانه ـ و كسائر الكائنات ـ إلّا تعلّقاً بالله عزوجل لايستقل عنه ولا آناً ، و ليس إنفصاله عن هذه العلقة إلّا إنفصاله عن الوجود ، فهو في خلقه وعلمه وكل معطياته علق بالله تعالى، و هو يعيش علقاً منذ خلق ، و في كل مراحل الحياة و خلقه أيضاً من علق لامن علقة ، فانها الحالة الثانية للجنين، الناشئة عن العلق : جنس الدودات الصغيرة العالقة وجمعها ، وهو منيّ يمنى ، فهذا المنيّ علق مجموعه إذ يعلق بما يلحقه

من ثوب أو بدن أو جدار الرحم ، و علق جميعه ، إذ هو بحر لجّيّ من ملايين النطف : الدودات العلقية العالقة بعضها ببعض ، والعالقة كلها بجدار الرحم ، و ليست الجرثومة الاولى هي العلقة :

الحالة الثانية للجنين ، ولاالعلق : مجموعة الدودات ، وإنما واحدة من العلق ، إن كانت واحدة ، وأكثر لذلك « خلق الانسان من علق » : بعض من البحر المنوي السابحة فيه ملايين العلقات : الدودات المنوية لا كلّه ، وهذا البعض هو النطفة من منيّ يمنى : « ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى » القيامة : ٣٧ ـ ٣٨)

فهنا علق وهنا واحدة من العلق هي النطفة ، وهنا علقة خلقت من هذه النطفة، فالعلقة : النقطة الدموية العالقة هي الحالة الثانية الجنينية ، والثالثة المعنوية ، و من المضحك المبكى تفسير العلق بالعلقة ،خلاف اللغة وخلاف ترتيب الخلقة ،وخلاف كافة الآيات المستعرضة لخلق الجنين ، المبتدأة بالمني والنطفة والمثنية بالعلقة،ولم يكن هكذا تفسير إلّا لقصور العلم مسبقاً عن أن المني يحمل ملايين الدودات ، يخلق من كل واحدة جنين واحد ، لامن المني كله .

٣ـ (اقرأ وربك الاكرم)

أمر من الله جل وعلا لنبيه ﷺ بالقراءة ثانياً ، تأكيداً للأمر الأوّل، وقد تكرر الأمر مبالغة ، وذلك ان القراءة لما كانت من الملكات التي لاتكتسبها النفس إلّا بالتكرار والتعوّد على ماجرت به العادة ناب تكرار الأمر الإلهى مناب تكرار المقروء ، وبذلك تصير القراءة ملكة للقاريء ، تدبّر في قوله عزوجل : « سنقرئك فلاتنسى » الاعلى : ٦) وهذا إذا لم يكن المراد بالأمر أمراً تكوينياً .

ثم أزاح العذر الذي بيّنه ﷺ لجبرئيل عليه السلام إذ قال له : إقرأ فقال : ما أنا بقاريء وان القراءة شأن من يكتب ويقرأ أي إني اميّ لاأقرأ ولا أكتب،فقال: « وربك الأكرم » الّذي لايوازيه كريم لأنه يعطي من النعم مالا يقدر على مثله

غيره فكلّ نعمة توجد من جهته تعالى إما بان اخترعها ، وإما بأن سبّبها و سهّل الطريق إليها ، أكرم لكل من يرتجى منه الاعطاء ، فيسير عليه أن يفيض عليك نعمة القراءة من بحار كرمه ، ومن كرمه أن يحفظك في تبليغ رسالتك، ويعصمك من الناس .

وفي تعريف طرفي الجملة الخبرية مايفيد القصر أي قصر صفة الكرم على الله تعالى . وفي الجملة من تطمين النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في أمر الرسالة مالايخفى .

٤ـ (الذى علم بالقلم)

وصف للرب الأكرم لبيان آثار الربوبية في واقع الانسان ، وأهمّ أسباب تربيته، والاشارة إلى عظمة مافيه الكمال الانساني وسعادته وشرفه وحياته المعنوية من تعليم القلم بعد وصفه بأن الله تعالى خلق الانسان من علق مع الاشارة إلى أحوال هذا الانسان ، وانه خلق من أحقر الأشياء وبلغ في كماله الانساني أن صار عالماً بحقائق الأشياء . . .

فكأنه قيل : تدبّر أيّها الانسان تجد أنك قد انتقلت من أدنى المراتب و أخسّها إلى أعلى الدرجات وأرفعها ، أوليس لذلك مدبّر حكيم ، وقادر خبير.

وان نعمة العلم بعد الخلق والتربية تحتمل المنزلة الاولى بين النعم، و كما أن الله عز وجل أحسن الخالقين في خلق الانسان كذلك هو الأكرم في تربيته و تعليمه، و كما أن الانسان علق بربه في كيانه الخلق كذلك في إنسانيته القائمة على التربية والعلم .

وفيها إشارة إلى فضيلة الكتّاب والكتابة إذ أقسم بالقلم في قوله عزوجل : « ن والقلم » وقدّم التعليم بالقلم على التعليم بغيره ، وإنّما سمّى قلماً لأنه يقطع كما يقال : قلمت ظفرى ، فكأن العلم ينفصل من الكاتب، وينتقل إلى غيره جيلاً فجيلاً فما لاينفصل عن عالمه فيدفن معه فلا ينتقل إلى غيره بعد حياته .

٥ـ (علم الانسان مالم يعلم)

في حذف المفعول أوّلاً ،وايراده بعنوان عدم المعلوميّة إذقال : « مالم يعلم»

ثانياً تنبيه على كمال قدرته عزّوجلّ وغاية كرمه ، وتنبيه أيضاً على فضل علم الكتابة ، وما يدوّن من العلوم والقصص والأمثال الّتي تعين في تربية الامم والاسر الرّوحيّة والجسميّة .

وفي الآية الكريمة تعميم للنعمة السابقة . ومزيد تقوية لقلب النبيّ الكريم ﷺ وتطييب لنفسه ، وإشعار بأنه عزّوجلّ يعلّمه من العلوم ما لا يحيط به العقول.

ومن المحتمل أن تكون الآية الكريمة زيادة بيان لما قبلها أي علّمه بالقلم كقول القائل : أحسنت إليك ملّكتك الأموال ولّيتك الولايات ، ويحتمل أن يراد علّم بالقلم وعلّمه أيضاً غير ذلك ، و فيها إشارة إلى إثبات العلوم السمعيّة الموقوفة على النقل والكتابة إلى إثبات النبوّة كما أن أوّل السورة يدلّ على الأوصاف الالهيّة .

فأوّل شيء نزل من الوحي السماوي على محمّد رسول الله ﷺ هذه الآيات الخمس الكريمات المباركات ، وهي اولى رحمة رحم الله تعالى بها عباده ، وأولى نعمة أنعمها الله عزوجل عليهم ، وفيها التنبيه على إبتداء خلق الانسان من علقة ،وأن من كرمه تعالى ان علم الانسان ما لم يعلم ، فشرّفه و كرّمه بالعلم وهو القدر الذي إمتاز به أبو البرية آدم عليه السلام على الملائكة ،وان العلم تارة يكون في الأذهان، واخرى في اللسان ، وثالثة في الكتابة بالبنان ذهنيّ و رسميّ ، ولفظيّ ، والرسميّ يستلزم الآخرين دون العكس .

فلذلك قال الله عزّوجلّ : « إقرأ وربك الأكرم الّذي علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم »

٦- (كلا ان الانسان ليطغى)

بيان لما يظهر من بعض الانسان في بعض الأحوال على أن « كلا » بمعنى نعم وحقاً ، على ما يؤيّده الفصل النزولي ، وان البعض هو أبو جهل ومن سلك مسلكه.

ومن المحتمل أن تكون الآية الكريمة تقرير حقيقة في أخلاق الانسان بوجه

عامّ، وهي أن كثيراً منهم يتجاوزون الحدّ كبراً وبغياً حينما يشعرون في أنفسهم بالقوّة ويخيل إليهم أنهم في غنى عن غيرهم، واسلوب الآية الكريمة التي وردت فيها اسلوب تندّيدي بهذا الخلق، ففيها إخبار من الله تعالى عن الانسان بأنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان.

ويحتمل أن تكون الاية رداً على سئوال وارد على قوله جل وعلا: «علّم الانسان مالم يعلم» والسئوال هو: هل أدّى الانسان حق هذه النعمة التي أنعمها الله عزّ وجلّ عليه؟ وهل كان له من علمه هذا الّذي تعلمه نفع له وللناس معه؟

والجواب على هذا: «كلاّ» فان هذا العلم الّذي فتح على الناس وجوه المنافع، وملأ أيديهم من ثمرات الحياة بما مكن لهم به من الأرض، وما سخّر لهم من قوى الطبيعة هذا العلم، قد فتنهم سلطانه وأغرى بعضهم ببعض، فاتخذوا منه سلاحاً للبغي والعدوان والتسلط والقهر... وبهذا طغى الانسان، وتجبر وظلم حين رآى نفسه بمنقطع عن النّاس مستغنياً عنهم بجاهه وسلطانه...

وهذا مما لايعيب العلم ولاينقص من قدره... فانه وإن يكن إستحدث به الانسان كثيراً من أدوات الاهلاك والتدمير، فلقد استنبط منه مالايحصى من النعم الجليلة الّتي كشفت للانسان عن فضل الله جلّ وعلا وإحسانه على الناس، كما أقام من آيات الله عزّ وجلّ شواهد ناطقة تشهد بجلاله وعظمته وحكمته، و تضع الناس وجهاً لوجه أمام أسرار هذا الكون، وما تنطوي عليه تلك الأسرار من سعة علم الله جل وعلا وعظمة جلاله وقدرته.

ومن المحتمل أن تكون الآية الكريمة رداً على سئوال وارد على قوله تعالى: «خلق الانسان من علق» بأنه لاينتبه هذا الانسان انه علق، خلق من علق، وان ربه علمه فهو متعلّق الذات والكمالات بربه، ولكنّه ينسى فيطغى أن رآى نفسه مستغنياً عن ربه وليس به!

ان تسئل: لماذا قال الله تعالى في حق فرعون طاغي مصر: «انه طغى» بصيغة

الماضي وفي حق أبي جهل طاغي المشركين: « انه ليطغى » بصيغة المضارع مؤكداً بلام التأكيد؟

تجيب عنه: إن الله تعالى أخبر بذلك عن فرعون قبل أن يلقاه موسى عليه السلام وقبل أن يعرض عليه الأدلة، وأما هذه الآية فنزلت تسلية للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حين رد أبوجهل عليه أقبح الردّ، و أيضاً ان فرعون مع كمال سلطنته ما كان يؤذي موسى عليه السلام إلّا بالقول، و أما أبوجهل فمع قلّة جاهه كان يقصد قتل النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و ان فرعون كان قد أحسن إلى موسى عليه السلام أوّلاً و قال آخراً: «آمنت انه لا إله إلّا الّذي آمنت به بنو إسرائيل» و أما أبوجهل فكان يستمرّ في طغيانه حتى قال في آخر عمره: بلّغوا عنّي محمداً اني أموت ولا أجد أبغض إليّ منه.

و أيضاً ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وموسى عليه السلام وإن كانا رسولين ولكنّ الحبيب في مقابلة الكليم كالعين في مقابلة اليد، والعاقل يصون عينه فوق ما يصون يده بل يصون عينه باليد، ولذلك كانت المبالغة هيهنا أكثر.

٧- (ان رآه استغنى)

تعليل لطغيان الانسان، و في تعليل طغيانه برؤيته نفسه مستغنياً عن ربه المنعم عليه، فيطغى عليه ويعصيه، ومستغنياً عن الخلق فيظلمهم لا بنفس الغنى والاستغناء ايذ ان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد حيث يعتقد نفسه مستغنياً عن ربه المنعم عليه فيكفر به وعن خلقه فيظلمهم، فرؤية الاستغناء هي الدافعة للطغوى، وإنّما الخطأ في الرؤية أن يراه كذلك وليس به: « الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً » الكهف: ١٠٤) خطأ عامداً يندد به بأشدّه كيف لا ينتبه انه فقير إلى الله عزّ وجلّ كما كان بداية أمره! ، فهذه الرؤية الخاطئة قد تجعل الانسان طاغياً على الله تعالى وعباده في حملة واحدة كالّذي ينهى عبداً إذا صلّى .

٨- (ان الى ربك الرجعى)

خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ظاهراً على وجه التعجّب ، ومن المحتمل أن يكون الخطاب للانسان الطاغي على طريق الالتفات للتشديد والتخويف له، وتهديد ووعيد لهذا الانسان الطاغي الذي جحد نعمة الله تعالى عليه ، واتخذ منها أسلحة يحارب بها الفضيلة ، ويقطع بها ما أمر الله عزّ وجلّ به أن يوصل ، وتحذير له من عاقبة الطغيان ، وانه راجع إلى الله جل وعلا يوماً ، وسيلقى جزاء بغيه وطغيانه و عدوانه . . . فيجازى بما يستحقه ، و أبان جل وعلا أن ما بيد الطاغي عارية ، وليست نفسه بباقية، فمصيره إلى الله تعالى إلى حيث لا يدفع عنه المال ، والكسب فما هذه الحيلة والطغيان والكبر والعصيان . . .

وفيها تذكير وإنذار للناس كلهم بأنهم راجعون إلى الله تعالى و معروضون عليه جل وعلا .

ومن المحتمل أن يكون تقديم الجار : « إلى ربك » على المعرف باللام : « الرجعى » للقصر أي ان مآل أمرك حتم وثابت قطعاً إلى الله تعالى وحده لا إلى غيره لا إستقلالاً ولا إشتراكاً فسترى مآل أمرك ، مع إحتمال أن يكون لرعاية الفواصل . . . و من المتبادر مما هو مستفيض من الاسلوب القرآني: أن الآيات الثلاث : « ٦-٨» تمهيد لما بعدها و ان الآيات التالية لها تتضمّن مشهداً من مشاهد الدّعوة النبوية في الخطوات الاولى من البعثة ، حيث تفيد أن زعيماً طاغ، و قائداً باغ تعرّض للنبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم حينما رآه يصلّي صلاة جديدة ، ويدعو الناس إلى الله جل وعلا وتقواه فضلاً عن تكذيبه للدعوة و إعراضه عنها ، و هذا المشهد يدلّ على خلاف ما قيل : إن الدعوة النبوية قد بدأت سرّيّة، ويدل بقوّة على أنها بدأت علنيّة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ يمارس صلاته الجديدة جهرة .

و في المشاهد المماثلة الّتي ظلت تذكر في السور العديدة المبكرة في النزول كسورة القلم والمزمل والمدثر والتكاثر والماعون والكافرون تأييد لذلك ، وهذا هو المعقول المتسق مع هدف الدعوة وايمان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالله عزّ وجلّ ورسالته.

ان قوله عزوجل : « ان إلى ربك الرجعى » يحتوي إشارة خاطفة إلى الحياة الاخروية التي يرجع الناس فيها إلى الله جلّ وعلا ، وهي أوّل إشارة قرآنية في هذا الصدد ، و في اقتضاب الاشارة قرينة على هذه الأوّليّة ، ثم توالت الآيات في هذه الحياة و وصفها حتّى صار الايمان بها أصلاً من الاصول الاعتقادية الاسلامية على ما تقرّره آيات كثيرة قرآنية .

ومن البديهي ان العقيدة بالحياة الاخروية من أقوى وسائل الدّعوة وتنبيه الناس وحثّهم على الايمان بالله تعالى وحده وصالح الأعمال وتحذيرهم من الآثام والمنكرات و الفواحش . . .

٩- (أرأيت الذى ينهى)

تقرير للنبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم و إعلام له بما يفعله بمن ينهاه عن الصّلاة ، و تنديد بالّذي يتعرّض لعبد من عباد الله جلّ وعلا ، فينهاه عن الصّلاة له تعالى مع أنّه يسير على طريق الحق والهدى، وتقبيح وتشنيع لحال هذا الناهي الطاغي، وتعجيب منها ، و ايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأتّى منه الرؤية ، ويقضى منها العجب .

وتصوير لهذا الانسان الطاغي ، حين رآى نفسه ذا قوة وسلطان . . . انه لا يؤمن بالله عزوجل ، ولايقف موقف الأولياء منه ، بل إنه ليحارب المؤمنين بالله جلّ وعلا و يحول بينهم وبين أداء ما لله تعالى عليهم من حق . . . فجرم هذا الطاغي الباغي جرم مضاعف . . . فلا هو يؤمن بالله عزّ وجلّ ولا يؤدّي حق ربه عليه ،ولا يدع المؤمنين يؤدّون حق ربهم عليهم . . . والاستفهام هنا تعجّب من الأمر المستفهم عنه وتشنيع على فاعله ، و دعوة الناس إلى ضبطه وهو قائم على هذا المبكر،متلبّس به ! ! و في جعل فاصلة الآية الفعل : « ينهى » و في قطع الفعل عن مفعوله : « عبداً » تشنيع على طغيان هذا الطاغي ، فاذا استمع مستمع لقوله عزّ وجلّ : « أرأيت الّذي ينهى » وقع في تفكيره لأوّل وهلة أن هذا الانسان إنما ينهى عن

منكر لأن هذا هو شأن ما ينهى عنه، فاذا فاجأه الخبر بأن ما ينهى عنه هذا الآثم إنّما هو الصلاة والولاء لله رب العالمين إشتدّ إنكاره له، وتضاعفت جريمته عنده.

وان النهي هنا بمعنى المنع لأن الّذي يملك النهي عن فعل الشيء يملك منع المنهيّ عن فعله، إذ النهي في حقيقته لا يكون إلّا من ذي سلطان متمكّن ممن ينهاه ويقدر على منعه مما نهاه عنه. وان الآية الكريمة وتاليها - إلى قوله جلّ وعلا - : «ألم يعلم بأن الله يرى» بمنزلة ذكر بعض المصاديق للانسان الطاغي. وهو كالتوطئة لوعيده بتصريح العقاب والنهي عن طاعته والأمر بعبادته جلّ وعلا.

١٠- (عبداً اذا صلى)

إشارة إلى أن هذا المنهي عن الصلاة هو في مقام العبودية والولاء لربه جل وعلا، فهو عبد محض لله تعالى مع كونه سيّد السادات في الدنيا والآخرة إذ هو كان عبداً لله عز وجل وحده، ويدعو الناس إلى عبادة رب العالمين وحده.

وفي تنكير «عبداً» دلالة على تفخيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكأنه قيل: هو عبد لا يكتنه كنه إخلاصه في العبودية، ولا يوصف شرح أخلاقه بالكلّيّة، ولا يقدر أحد على وصفه كما هو حقه.

وقد ورد ان يهودياً من فصحاء اليهود جاء إلى عمر بن الخطاب في أيام خلافته، وقال له: أخبرني عن أخلاق رسولكم! فقال عمر: أطلب من بلال فهو أعلم به منّي، ثم إنّ بلالاً دلّ على فاطمة عليها السلام وهي دلّته على أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام فلما سئل علياً عليه السلام قال: صف لي متاع الدنيا، حتى أصف لك أخلاقه؟

فقال اليهودي: هذا لا يتيسّر لي فقال علي عليه السلام: عجزت عن وصف الدّنيا وقد حكم الله بقلّته حيث قال: «قل متاع الدنيا قليل» فكيف أصف أخلاق النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد شهد الله عزّ وجلّ بأنه عظيم في قوله: «وإنك لعلى خلق عظيم»

والحاصل انه جل وعلا كأنه قال: ما أجهل من ينهى أشدّ الخلق عبوديّة عن الصلاة والنهي عن الصّلاة مذموم عند العقلاء، وفي التنكير دلالة أيضاً على إستعظام

النهي وتأكيد التعجب منه .

ويحتمل أن يراد بالتنكير الوحدة كأنه قيل : أيظن أبو جهل انه لو لم يسجد محمد ﷺ لي وهو عبد واحد أجد ساجداً غيره ولي من الملائكة المقربين ما لا يحصيه إلّا الله عزّ وجلّ ، وفيه تفخيم لشأن النبي الكريم ﷺ كان من شهرته بالعبودية لا يحتاج إلى سبق الذكر كقوله عزّ وجلّ : « أسرى بعبده » أنزل على عبده .

والمفعول الأوّل لـ « أرأيت » محذوف ، ومفعوله الثاني سدّ مسدّه و هو الجملة الشرطيّة بجوابها المحذوف . فالمعنى : أخبرني ذلك الناهي – الّذي ينهى عبداً عن الصلاة إذا صلّى – إن كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو آمراً بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده أو مكذّباً للحق معرضاً عن الثواب على ما قيل .

ان الآيتين الكريمتين وما بعدهما تتضمّن مشهداً من مشاهد الدعوة النبوية في الخطوات الاولى حيث تفيد أن زعيم الطغاة وقائد البغاة كان يتعرّض لرسول الله الأعظم ﷺ حينما يراه يصلّي صلاة جديدة ، ويدعو إلى الله جل وعلا وتقواه فضلاً عن تكذيبه للدعوة وإعراضه عنها ، و ان كلمة « صلّى » هي لأوّل مرة جائت في القرآن الكريم لم يقل : ذلك في حالة الصلاة لأن المراد انه كان ينهاه عنها في الزمان المقارن للصلاة قبلها أو بعدها .

١١- (أرأيت ان كان على الهدى)

في تكرير الجملة المستفهمة الاستنكارية تأكيد في التوبيخ والتعجيب ، وفي الافراد بالجملة الشرطية المستقلّة مصدّرة باستخبار مستأنف ، وعدم النظم في سلك الشرط الأول ايذان باستقلال الجملة .

١٢- (أو أمر بالتقوى)

في حرف التنويع دلالة على إستقلال مدخولها كسابقتها ، وفي الجملة دلالة على أن النبي الكريم ﷺ كان مأموراً بالتبليغ منذ بزوغ الرسالة ، وردّ على من

زعم أنه كان يصلّي مدة طويلة خفاء ولم يكن مأموراً بابلاغ الرسالة إلّا بعد مدّة من الرسالة .

١٣- (أرأيت ان كذب وتولى)

تقريرٌ وتوبيخ وتنديد بالّذي يكذّب بدعوة الله جلّ وعلا ويعرض عنها و تذكيرٌ له في معرض الانذار ، وفي إفراد التكذيب والتولّي بشرطيّة مستقلّة مصدّرة باستخبار مستأنف ، ولم ينظما في سلك الشرط الأوّل ايذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الأمر ، وإستتباع الوعيد الّذي ينطق به الجواب ، وأما القسم الأوّل فأمر مستحيل قد ذكر في حيّز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السّرّ في تجريد الشرطيّة الاولى عن الجواب والاحالة به عن جواب الثانية .

ولايخفى : ان الرؤية لماكانت سبباً للاخبار عن المرئي اجرى الاستفهام عنها مجري الاستخبار عن متعلقها ونظم الأمر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الأفعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل ، فان ذلك ليس في حيّز التردد أصلاً بل باعتبار أوصافها الّتي هي كونها أمراً بالتقوى وتكذيباً بالحق وتولّياً عن الايمان كقوله تعالى : « قل أرأيتم إن كان من عندالله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد » فصلت : ٥٢)

١٤- (ألم يعلم بأن الله يرى)

تهديد على المكذّب المعرض في هذا الصنيع الشنيع على اسلوب الاستفهام الانكاري عماذا لم يكن يعلم أن الله عزّ وجلّ يراقبه ويحصي عليه آثامه و مواقفه فيؤاخذه عليها وفيه إشارة إلى أن الله جلّ وعلا ينتقم للمحق من المبطل ،وتقرير لعلمه تعالى بما عليه هذا المكذّب المتولّي من الأعمال والعقيدة ، و تقرير لعلم هذا المكذب أيضاً بأن الله تعالى يعلم بعقيدته وعمله على طريق الاستلزام ، فان لازم الاعتقاد بأن الله عزّ وجل خالق كل شيء هو الاعتقاد بأنّ له تعالى علماً بكل شيء وإن غفل عنه وقد كان الناهي وثنياً مشركاً ، والوثنيّة معترفون بأن الله

عزّ وجلّ هو خالق كلّ شيء وينزّهونه عن صفات النقص ، فيرون أنه عزّ وجل لا يجهل شيئاً ولا يعجز عن شيء وهكذا .وفي الجملة من الايقاظ والتنبيه والتخويف مالا يخفى .

١٥- (كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية)

ردع للناهي اللعين وخسئوله ، و تهديد شديد وزجر ، وتحدّ وإنذار لهذا المكذّب المتعرض باسلوب قارع قاصم ، فاذا لم ينته عن موقفه الباغي ،فلسوف يسفعه الله جلّ وعلا بناصيته .

واللام في « لئن » لتوطئة القسم أي والله لئن لم ينته هذا الطاغي عمّا هو عليه ولم ينزجر لنسفعاً بالناصية ، وفي الاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور أن المراد ناصيته اللعين المذكور، ولتنفير ذكر إسمه .وفي الجملة من التذليل والتحقير والاهانة مالا يخفى، وقد خصّ الناصية بالذكر على عادة العرب فيمن أرادوا إذلاله وإهانته اخذوا بناصيته .

١٦ (ناصية كاذبة خاطئة)

بدل من الناصية،وإنّما جاز إبدالها من المعرفة ، وهي نكرة لوصفها بالكذب والخطأ مع أنهما لصاحبهما مبالغة لأنه إذا كانت ناصية الشخص كاذبة كان صاحبها كاذباً بطريق أولى . ففي الآية إخبار من الله تعالى بأن هذا الطاغي فاجر خاطيء .

قيل : ان الفرق بين الخاطيء والمخطيء أن الخاطيء يفعل الجريمة عن عمد وعلم والمخطيء من غير قصد وعزم .

وفي توصيف الناصية بالكذب والخطاء وهما وصفا صاحب الناصية مجاز وان نسبة الكذب والخطيئة الى الناصية والكاذب والمخطيء صاحبها من قبل أنها مصدر الغرور والكبرياء .

١٧- (فليدع ناديه)

تحدّ وتهكّم وتوبيخ على هذا المكذّب الطاغي ، والمعرض الباغي بأن يدعو

أهل الدفاع من قومه وذوى النجدة والبطش لينقذوه مما سيحلّ به ، وفيه إبطال لما ادّعاه المدّعي على زعمه . والأمر تعجيزي اشير به إلى شدّة الأخذ والعذاب .

١٨- (سندع الزبانية)

تهديد شديد ووعيد لهذا المكذّب ، وفي التسويف إشعار بالاستدراج .

١٩- (كلا لا تطعه واسجد واقترب)

مبالغة في الزجر والردع ، والردّ على طغيان الطاغي ، وكبرياء هذا الناهي عن الصلاة ونفي قدرته على ما تهدّ به : « أرأيت الّذي ينهى عبداً إذا صلّى - فليدع ناديه » ٩- ١٧) أي لا تسمع لنهى هذا الباغي الطاغي ولا تخش بأس هذا الناهي عن الصلاة... انه مأخوذ بناصيته إلى جهنّم بيد الزبانية ، وإذن فاسجد لربك واقرب منه بهذا السجود كما قال النبي الكريم ﷺ :« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»

وفي الاية الكريمة تثبيت لرسول الله ﷺ في دعوته ، فلا محلّ للخوف من هذا المتعرض الطاغي، والمكذب الباغي والاستجابة لما يقول، والاهتمام به، فعليه ﷺ أن يسجد لله عز وجل ويتقرّب منه تعالى .

وان الخطاب وإن كان للنبي الكريم ﷺ ظاهراً ولكنه عام لكل من هو أهل للخطاب .

وفي الآيات الخمس الأخيرة من رموز السياسة الالهية ما لا يخفى على من له الدراية فيها ، كما أن في النهي والأمرين من التنزيه والتقريب ما لا يخفى على المفسّر الخبير فتأمل جيّداً واغتنم جداً .

﴿الاعجاز﴾

ولعمري نجد في هذه السورة النازلة لأول مرة على محمد رسول الله الخاتم ﷺ وجوهاً مختلفة من الاعجاز لا يسع مقام الاختصار بذكر ما ندركه ونشعر به، فمن تدبّر في اسلوبها الوحيد ونظمها المعجز، وفي مبانيها العالية ومعانيها الرفيعة يجد كل آية من آيها، بل كلّ كلمة من كلماتها على ما ليس في وسع الانس والجن أن يأتوا بمثلها، وإن كان بعضهم لبعض ظهيراً.

فتدبر في خمس آيات قصيرة من أوائلها كيف جمع الله عزّ وجل مراتب النعم العظيمة والوجودات الممتازة الأربعة مع ما يقتضيها من ذاته الرّبوبي الكريم بأوجز لفظ وأوضحه:

الاولى: البيان النطقي واللساني.

والثانية: الوجود مع الاشارة إلى مادته من العلق وقد كان الناس يومئذ عنها غافلين. وذلك ان العلق على ماتقدّم معناه اللغوى: دويبة سوداء تمتصّ الدم، وقد ثبت في عام ١٧٦٨م: ان في المنى حوينات تشبه العلق، ولم تعرف قبل هذا العام الحيوانات المنوية بأنها خلايا متحرّكة بشريّة، و هذه الخلايا تشبه العلق في حركتها المنوية ولها رأس مفرطح وعنق قصير وذيل طول، وتتحرك بلولبية ذيلها.

وقد قرّر العلم ان الله عزّ وجل قد أمد هذه الخلايا بقوّة من المقاومة تستطيع بها حفظ النوع البشري، فانها في الأجواء غير الملائمة تستكن الحياة فيها،

وتفقد مظاهر نشاطها ، فاذا ماوجدت الوسط المناسب عادت لها حيويتها ونشاطها، وتستمرّ في حياتها لعدم أيام متوالية في إنتظار البويضة التي يفرزها مبيض الانثى ، وهو جهاز التناسل فيها ليؤدّى إختصابها ، ويتمّ كل ذلك بالهام من الله عز وجل ، إذ لا دخل لأيّة قوّة كائنة ماكانت ، كيمياويّة أو حيويّة في توجيه الحيوان المنوي (أي العلق) إلى بويضة الانثى .

يجتمع المنى في محلّ معين، فتصطدم الحيوانات المنوية بعضها ببعض ،وبعد أن تتمّ عمليّة اللقاح في الرحم تتبدّل النطفة إلى علقة ،ويتكوّن من العلق الغضروف فيكسو الغضروف اللحم والأعصاب والعروق ، ويتكوّن الجنين بعد ذلك بصورة تدريجيّة ، وهو قوله عز وجل : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » المؤمنون:١٢)

ان الله عزّ وجلّ ذكر في المقام أول مبادىء تعلق التخليق وهو العلق وإن كان قبلها نطفة ، فان أوّل إنتقالها إنّما هو إلى العلقة ، فهذه الآية معجزة بليغة من معجزات القرآن الكريم وقت نزولها وبعده بمئآت السنين إلى أن اكتشف المكروسكوب وعرف كيف يتكوّن الانسان من هذه الحيوانات . . .

نعم : ولقد بدر الوحي السماوي من الرسول الامّى لأوّل ما بدر بهذه المعجزة العلميّة المربوطة بنفس الانسان التي إكتشف أخيراً شيء قليل منها ، و يجانبه الكثير مما على الانسان أن يتدبّر فيه : « فلينظر الانسان مم خلق » ؟

فلقد كان أصل الوحي على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم معجزة ، تحمل معجزة علميّة خالدة ، والرسول كيانه الرسالي معجزة ،فكيان الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم مجذور مكعب من المعجزات ! .

ان النطفة الأمشاج هي المجموعة من نطفة الذكر والانثى ، تتزاوجان فتصبحان واحدة ، فكيف الزواج ؟ و كيف النطفتان قبل الزواج وبعده ؟

ولقد امرنا نحن أن ننظر كيف خلقنا ، فنظرنا ووجدنا طرفاً من الخلقة العجيبة الطريفة ، ما يزدادنا معرفة بالذي خلق « خلق الانسان من علق »

ولقد كشف العلم حديثاً طرفاً من هذه المعجزة الأولى للقرآن الكريم ، والخلق العجيب الطريف الظريف لمنزل القرآن المجيد،ولوحظ بالعيون المسلحة أن كيف النطفتان ؟ وكيف تتزاوجان ؟

الجينات : بيضات دافعة من ترائب الانثى كل منها كبيضة الدجاجة ، إلاّأن قطرها يتراوح بين جزء أوجزئين من عشرة أجزاء من الميليمترات (١/١٠أو٢/١٠) ووزنها جزء من مليون جزء من الغرام، وفيها مح (Cytoplame) و في المح الحويصلة الجرثومية (Nuelede) الّتي يبلغ قطرجزء من ثلاثة آلاف جزء من القيراط ، فيها تكمن الجرثومية (Noyau) الّتي يبلغ قطرها (١/٣٠٠٠) من القيراط .

هذه البيضة تتكوّن في ظلمة المبيض ضمن حويصلة تسبح في سائلها الألبوميني، فاذانمت هذه الحويصلة وازداد السائل الّذي في باطنها يتمدّد غشاءها ويرق ثم ينفجر وتخرج البيضة منها ومن المبيض كله ، فالى أين تذهب هذه البيضة الصغيرة العزيزة العذراء وحدها في هذا الظلام ؟ انها على موعد مع العشير الّذي تحلم به دون معرفة مسبقة بينهما ، يتسارعان إلى بعض ، ويتلاقيان في الطريق ثم يسيران متعانقين متراوحين إلى بيت الزوجيّة المهيّء لهما ،فهل لنا أن نعرف هذا العشير أيضاً كما عرفنا العشيرة وقبل أن نعرف زواجهما ؟

انها الكروموزومات ،قطر كل منها لايزيد على ستّين جزء من ألف ميليمتر (٦٠/١٠٠٠) فهو أصغر من خطيبه بكثير، وله عقبات في هذا الزواج : أنها أصغر من عشيقتها بكثير انها بين ملايين الخطاب الآخرين: الدودات المنوية الكروموزومية، والملتقى أيضاً بوق مظلم مظلم - ضيق ضيق - رضيع رضيع ، قطره كشعرة يختبىء وراء الرحم ، ويمتدّ فيه إلى المبيض إذاً فكيف بالامكان الزّواج مع هذه العقبات؟

ليس هناك إلّا الخلق العجيب لكل واحدة منها ، حيث خلق الله تعالى لها رأساً مكوداً له عنق لولبي ، وذنب طويل يضرب به الماء ويتبلط وجعل هذا الذيل معقوداً بأنشوطة لينفك عنه إذ دخل إلى البيضة !

فكر واحد من هؤلاء الذكور الكروموزومية كان أسرع وأقوى في هذا السباق ، سبق مناوئيه إلى جدار البيضة العذراء، فيضرب برأسه الجدار بغية دخول الدار، من باب الجاذبية (Conedut tuaction) فاذا دخل أغلقت العذراء بابها ، و قطعت جذبها وأحصنت فرجها ، وصدت الملائين الآخرين من الخطاب الآخرين ليموتوا حزناً أو يحيوا خداماً لزميلهم السابق ، ولكي يخلق جنيناً كاملاً!

فهكذا تتكوّن النطفة الأمشاج في بداية مشجها ، ثم هناك أمشاج اخرى نبحث عنها في آية الأمشاج ، وإليكم منها أشارة :

ان الرحم ـ البيت الزوجي ـ مضياف كريم ، يستعدّ كل شهر الاستقبال العروسين وإيوائهما وإطعامهما ، فتنفتح خلايا غشاءه المخاطي ، وتتسع الشعيرات الدموية وتنشط الغدد ، فاذا تمّ الزواج إستقبل لزوجين على الرحب والسعة ، و ان تعرقل الزواج بسبب من الأسباب تميز غيظاً وتمزق أسفاً ، وبكى على المبيضة الميتة دماً غزيراً ، ان الزواج بعد لا يكاد يتمّ حتّى يبدء العمل المشترك في بناء الانسان الجديد، فيمشج الشريكان، كل ماعنده بما عند الآخر من عناصر لتخطيط: (الكروموزومات) ومافيها من الخلق المخلقة(الجينات) الّتي خطتها وخلقتها يد القدرة الالهيّة بأقلام الارث المنحدر عبر الأجيال من الجدود والآباء إلى الأبناء و أبناء الأبناء :

وان أقل الأمشاج ثلاثة : مشج النطفتين قبل الزواج ، و مشجهما بالزواج في البوق ، ومشج الشريكين كل ما عنده ، فالنطفة على وحدتها أمشاج كوحدة الماء الدافق من بين الصلب والترائب . .

الثالثة : البيان الخطّي والكتابي : « الّذى علّم بالقلم » بعد التربية .

الرابعة : العلم على طريق الاطلاق .

كما أشار جلّ وعلا إلى تلك المراتب والوجودات الممتازة في أوائل سورة الرحمن بقوله : « الرحمن علّم القرآن خلق الانسان علّمه البيان » : ١ ـ ٤) على شمول البيان للنطق والقلم .

وفي عداد نعمتي العلم والبيان في خلق الانسان إشعار بأن تلازم سعادته وكماله وتمايزه من غيره بهما ، وذكر الله جل وعلا في المقام عموم الخلق وهو إعطاء الوجود الخارجي أوّلاً ثم خصوص خلق الانسان ثانياً لأنه موضوع العبرة والآية فيه عظيمة وهو مجمع خصال سائر الكائنات كلها ، ثم ذكر التعليم بالقلم الّذي هو من أعظم نعمة من الله تعالى على عباده بعد إعطاء الوجود ثالثاً ، إذ بالقلم تخلد العلوم وتثبت الحقوق وتعلم الوصايا وتحفظ الشهادات ويضبط حساب المعاملات الواقعة بين الناس و به تقيّد أخبار الماضين للباقين واللاحقين .

فلولا الكتابة لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض ، ودرست السنن و تخبطت الأحكام ولم يعرف الخلف مذاهب السلف ، وكان معظم الخلل الداخل على الناس في دينهم ودنياهم ، وإنما يعتريهم من النسيان الّذي يمحو صور العلم من قلوبهم ، فجعل الله عزّ وجلّ لهم الكتاب وعاء حافظاً للعلم من الضياع كالأوعية الّتي تحفظ الأمتعة من الذّهاب والبطلان ، فنعمة الله عزّ وجلّ بتعليم القلم بعد القرآن الكريم من أجلّ النعم ، وهو الّذي يستعدّ لذلك دون سائر المخلوقات ...

ومن الكتابة أنواع الحكم وأصناف العلوم وفنون المراسلات والخطب والنظم والنشر وأجوبة المسائل ، فمن الّذي اجرى فكّ المعاني على قلبك ورسمها و ترسيمها في ذهنك ثم اجري العبارات الدّالة عليها على لسانك ثم حرّك بها بنانك حتّى صارت نقشاً عجيباً عجيباً معناه أعجب من صورته ، فتقضي به مآربك وتبلغ به حاجة في صدرك وترسله إلى الأقطار النائية والجهات المتباعدة ، فيقوم مقامك و يترجم عنك ويتكلم على لسانك ، ويقوم مقام رسولك ، ويجدي عليك مالا يجدي

من ترسله سوى الله تعالى الّذي : « علّم بالقلم علّم الانسان مالم يعلم »

فالتعليم بالقلم يستلزم المراتب الثلاثة : مرتبة الوجود الذهني ، و مرتبة الوجود اللفظي ، ومرتبة الوجود الرسمي ، وقد دلّ التعليم بالقلم على أن الله تعالى اعطى الانسان هذه المراتب ، وقد دلّ قوله عزّ وجلّ : « خلق » على إعطاء الوجود العيني ، فدلّت هذه الآيات مع قصرها ووجازتها وفصاحتها وبلاغتها على أن مراتب الوجود بأسرها مستندة إلى الله تعالى خلقاً وتعليماً ، وذكر خلقين : خلقاً عامّاً ، و خلقاً خاصّاً وذكر تعليمين : تعليماً عامّاً وتعليماً خاصّاً .

وذكر من صفاته مقام الربوبيّة ، ومقام الكرامة : « ربك الأكرم » نشأت تلك المراتب من الخلق والتعليم من هاتين الوصفين ، فانظروا وتدبّروا فيها، فانها أوّل صوت سماويّ سمعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و أوّل قرآن نزل على قلبه ، ثم انظروا إلى قطعة ثانية من السورة : « كلا ان الانسان ليطغى ـ و اسجد واقترب » : ٦ ـ ١٩)

يا سبحان الله ؟ من يقول : ان هذا القرآن من كلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحترم عقله ويصون حيائه ولايبذله رخيصاً في مجال المهاترات المفضوحة والنعرات الكاذبة التي لاتغني من الحق شيئاً ؟ انه لايقول : هذا ولايطمئن إليه إلاّ من سفه نفسه و استرخص مرؤته واستذلّ حياءه وركب رأسه ! !ان أيّ إنسان له مسكة من العقل أومزعة من الحياء لايمكن أن يقول حتّى في وسوسة نفسه وخطرة خاطره : ان هذا القرآن من كلام بشر!

ودع ما في القرآن من آيات الاعجاز اللائحة في كل كلمة من كلماته ، و بين يدي كل آية من آياته ، مما يشيع في معانيه من إشراق علويّ وما يترقرق على ألفاظه من وراء سماوي و جلال ربّاني . . .

دع ما في القرآن من هذا كله ، وقف عند مثل تلك الأحداث التاريخية التي صحبت نزول القرآن ، و انظر إليها نظر المورخ الذي يأخذ العبرة والعظة

من منطوق الوقائع والأحداث . . . ففي هذا الحدث مثلاً . . . محمد ﷺ في نظر قليل ممن آمن به و صدّق رسالته يستقبل هو ومن هو معه أيدياً مبسوطة بالأذى و ألسنة متطاولة بالسوء . . .

تلقاهم صباح مساء . . . غادين و رائحين . . لا يملكون دفع الضرّ و لا يستطيعون عنه تحويلاً ! انهم في هذا الحبس معزولون عن الحياة ، منقطعون عن كل عون أو مدد إلاّ ما في قلوبهم من ايمان وما في كيانهم من يقين ، أهذه حال تحدّث محمد ﷺ فيها نفسه أن يقتحم على القوم ناديهم و أن يجرّهم جرّاً إلى مصاولته ومبارزته ؟ أذلك عمل يتولاّه عاقل وترضاه له نفسه ويطاوعه عليه عقله ؟

و هل في العقلاء من يرى التيار عاتياً متدفقاً من خلف السدّ يقذف به يمنة و يسرة ، بين الصخور والجنادل ثم يصرخ في القائم على هذا السدّ أن يفتح عليه كل عيونه ، و أن يكسر كل حواجزه ؟ أهذا تدبير يكون من عاقل إلاّ أن يكون طالب الانتحار والخلاص من الحياة ؟ و لم يكن محمد ﷺ طالب إنتحار بل كان حريصاً أشدّ الحرص على أداء رسالة ندبته السماء لها و وكلته بها ، وكان من أجل هذا أبعد الناس عن طلب الفرار من الحياة !

هذا هو محمد ﷺ و تلك حاله و حال أصحابه في تلك الآونة التي نزلت فيها آيات القرآن الكريم مجلجلة ، منذرة ، متوعدة . . . صارخة صرخة الحرب . . ! قلّة واضحة و ضعف ظاهر في محمد رسول الله الخاتم ﷺ و أصحابه . . . يقابلها قرآن هادر متوعد يضرب الوجوه و يدعّ الرؤوس . . . وجوه السادة المتعالين المتكبرين و رؤوس الطغاة المتجبرين : « لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية » .

انه لن تجد نفس بشرية وسط هذا الضيق الشديد مجالاً تتنفّس فيه هذا التنفّس القوى العميق حتّى لكأنها ولا همّ يكظمها ولا بلاء يحيط بها ! و أىّ نفس بشرية في أيسر يسرها و أعدل أحوالها و أسعد أوقاتها تشرف على الناس

من هذا العلوّ وتخاطبهم بهذا اللسان ، الزاجر ، المتسلط ، القاهر مخاطبة السيّد المنعم المحسن للعبد المتنكّر للنعمة الجاحد للاحسان !؟ ان هذا الانسان لا يمكن أن يتلقى هذا الكلام من ذات نفسه ، ولا أن يجد له معيناً فيها ومكاناً منها . . .

فان كان له في تلك الحال مقال ، فلا يكون إلّا في موادعة ومهادنة وإستسلام ، فهذا الكلام القوي المستعلي المتحكم لا يجيء إلّا من ذات بعيدة عن هذه الأحداث غير متأثرة بها ـ ذات تعلو على الناس وعلى كل ما يدور بين الناس . . . فتفرض إرادتها و حكمها و سلطانها على الوجه الّذي تريد لا على ما تقضي به أحوال الناس و تقلّبات شئونهم و منطق أحداثهم . . .

ان هذه الآيات الّتي نزلت في تلك الحال لا تقتضيها أبداً دواعي الحال ولا مقتضيات الظرف لو أنها جرت على أيدى الناس و اتصلت بأفكارهم و تدبيرهم ، بل كانت الموادعة والمهادنة لا الزجر والاثارة هي الّتي تستدعيها الحال و يقتضيها الرأى والتدبير كما يراه الناس و يدبّره النـاس ، ولكن الأمر كان من تدبير الحكيم الخبير وبيد العزيز العليم ، فجاء على تلك الصورة منزّلاً من ربّ العزّة ...

و كان على محمد ﷺ أن يحمل هذه الرسالة كما نزلت إليه ، و ما كان له أن يتخلّف عن أدائها و إبلاغها ، حيث أراد الله جل و علا أن تبلغ :

« فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين » الحجر : ٩٤) .

« إن أنت إلّا نذير » فاطر : ٢٣) .

« ما على الرسول إلّا البلاغ » المائدة : ٩٩) .

و لو لا أن الرسول مأمور أمراً قاقعاً أن يبلغ ما امر به على الوجه الّذي تنزّل به السماء لما وجد في نفسه قوّة تدفع به إلى هذا الموقف الّذي يبد و انه غير جار على مقتضى الحال . . . و انه ذاهب مذهباً مناقضاً لدواعي المقام .. ولكن الله عزوجل أمره . . . فليصدع به و ليحمل نفسه عليه و هو يعصمه .

قال الله تعالى : « يا أيها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك و إن لم تفعل

فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس » المائدة : ٦٧) .

و هذه واحدة !

و اخرى :

هى أن الكلام لو كان مجرّد كلام لا يجدله سامعوه وقعاً صاعقاً على قلوبهم وصدعاً مزلزلاً لأفئدتهم لقامت قريش قومتها لمحمد ﷺ ولعدّت هذا الكلام دعوة صارخة ، صارخة إلى الحرب ثم لأخذت فرصتها معه إذ أمكنها من نفسه و دعاها إلى حربه ، هى ماهي من القوّة وهوماهو وأصحابه من قلّة وضعف ظاهر !!

ولوأن قريشاً أعلنت في هذا الوقت حرباً بالسيوف والرماح على محمد ﷺ و أصحابه ، و لو أنها أخذتهم بسيوفها و رماحها لما كانت ملومة عند نفسها ولاعند أحلافها و أعدائها ، فان محمداً رسول الله ﷺ هو الذي دعاها إلى حربه وهيّجها إلى الاشتباك معه .

ان الكلمة عند العرب توقد ناراً لا تنطفىء حتّى تذهب بالمئات والألوف من النفوس ، و كيف و هذا ليس مجرّد كلام بل هو سيوف قد سلّت و رماح قد اشرعت و حراب قد سدّدت ؟

ولكن هذا الكلام مع ذلك لا يقع من النفوس موقع أي كلام يتعاملون به في مقام الرضا والسخط ، و في مجال السلم والحرب . . . بل هو قدر لا يقاوم و قضاء لا يردّ !! انه كلام يستولي على كيان المرء كله ، فلا يدع له سبيلاً إلى قول أوعمل يردّ به عليه أو يقول به فيه . . . انه قوّة روحيّة تلبس المرء وتندس في كيانه ، فلا يملك معها من أمره شيئاً !

و ذلك ما كان يحيّر قريشاً و يفسد عليها رأيها وتدبيرها ويوقعها في هذا الخطّ والتخبّط في شأن هذا الوحي السماوي ، لا تجتمع فيه على رأى ولا تقف منه عند قول . . . فبينما تقول فيه : هو شعر شاعر ، إذ تقول : انه سجع كاهن ، و أنت تقول : هو أساطير الأوّلين إكتتبها فهى تملي عليه بكرة و أصيلاً ، و حين

تقول : ما هو شيء لو نشاء لقلنا مثل هذا . . .

ولو كان هذا القرآن كلاماً مثل كلام البشر لعرفوا وجهه ، و لكان قولهم فيه قولاً واحداً لا إختلاف عليه و لا رجوع عنه ، فما خلطوا بين شعر شاعر من شعرائهم ، وبين خطبة خطيب و فصاحة فصيح ، و بلاغة بليغ ، أو سجع كاهن ، بل عرفوا وجوه شعرائهم شاعراً شاعراً كما عرفوا وجوه خطبائهم وحكمائهم وبلغائهم وفصحائهم و كهّانهم واحداً واحداً ، و أضافوا إلى كل واحد قوله . . . قولاً واحداً لا اختلاف عليه . . .

فما عدّ امرؤ القيس مثلاً في الخطباء أو الكهان ، ولا حسب شعره في الخطابة أو الكهانة و كذلك سائر شعراء الجاهلية جميعاً و كذلك الخطباء والكهان والحكماء . . . وأما القرآن الكريم فكان شأنه عندهم غير شأن أيّ كلام عرفوه ... و كان ذلك هو واقع الأمر الّذي ينبغي أن يكون للقرآن فانه كلام ، ولكنه ليس على صفة أيّ كلام يعرفه البشر : « كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » هود : ١) .

و كما استخزى الوليد بن المغيرة و أبو لهب حين دمغهما الوحي السماوي بالخزي والهوان ، فلم تقم لأحد منهم قائمة ، ولم ترفع له رأس بعدها ـ كذلك كان شأن أبي جهل حين نزل فيه هذا القرآن : « لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية » .

فما قامت لأبي جهل بعدها قائمة و لا ارتفعت له رأس ، فمن كان في قلبه شكّ من رسالة السماء فليغسل قلبه بقطرات من نور الحقّ الكاشف الّذي يتلألأ من كل آية من آيات هذا الكتاب الّذي نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فان أبي أن يوجّه قلبه لاستقبال ومضات من هذا النور فليفتح عينيه أو اذنيه على مجريات الامور الّتي كانت تدور في محيط الدعوة الاسلاميّة ، وعلى هذه العجائب الّتي كانت تطلع في آفاقها حالاً بعد حال . . .

انه إن لم يكن في عينيه عمى أو في اذنيه وقر فسيرى و يسمع الحق الّذي لايأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، و لا يمكن أن يأتيه الانس والجنّ و إن اجتمعوا على ذلك ، و كان بعضهم لبعض ظهيراً .

الوجه الثالث من وجوه إعجاز هذه السورة هو الاخبار بخلود أبي جهل في الأشقياء والطواغيت ، في الكفّار والفجرة ، و في المستكبرين والمستبدين . . . فكان كما أخبر به ، فلو دخل أبو جهل في الاسلام لانطفأت دعوة الاسلام و لقامت الحجة على القرآن الكريم بأنه كذب و إفتراء و رجم بالغيب ، وانه قول البشر ، و ماذا يبقى لمحمد صلى الله عليه و آله و سلم بعد ذلك ؟ و بأي وجه يلقى الناس بقرآنه هذا الّذي يقول عنه : انه من عندالله تعالى ؟

أليست هذه معجزة قاهرة للدنيا كلها . . . تتحدّى الناس والحياة جميعاً ؟ و أيّ معجزة أبهر و أقهر من أمر لايكلّف صاحبه أكثر من كلمة يقولها بلسانه ، فيبطل بها قول محمد صلى الله عليه و آله و سلم كلّه ويفسد أمره جميعه . . . ثم لايقول: هذه الكلمة ، و لا تسمح له الحياة بأن يقولها . . . ولكنّ أباجهل قتل يوم بدر و هو خالد في الأشقياء والجبابرة . . . فلو أسلم أبوجهل لكان إسلامه هذا هدماً للاسلام كله ، و حكماً على القرآن الكريم جميعه بأنه تخرّصات ساحر أو تخبّطات كاهن و لحقّ فيه هذا القول ، و أكثر من هذا القول ، إذ قد كشفت الأيّام عن مدّعياته وأباطيله وإلّا فأين قوله في أبي جهل : « لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية » ولكن أباجهل قد ذهب إلى مصيره باختياره و استمرّ على ما كان عليه و حفظ الله تعالى كتابه الحكيم من أن ينقض أو يبدّل : « لاتبديل لكلمات الله » يونس : ٦٤) و « ذلك الدّين القيّم » الروم : ٣٠) .

الوجه الرابع : هو التّهديد والتحدّي والانذار والتنديد بالطاغية قوىّ كلّ القوّة عنيف كلّ العنف ، و تبدو روعة هذه القوّة حينما يلاحظ أن محمّداً رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم يكن قد آمن به من يستطيع له نصراً و يقف إلى جانبه ، و

أن المتصدّي له زعيم معتـد ّ و ماله و جاهه و ناديه ، و إذ يتصوّر المرء النبيّ الكريم ﷺ يصرخ بملأ فيه صرخته المدوية : « كلاّ و كلاّ و كلاّ » ثم يقذف بكلمات التّنديد والتّهديد والتحدّي والانذار القرآنية النارية غير مبال بالزعامة وقوّتها ، وهو من دون نصير من النّاس يدرك من دون ريب تلك الشّجاعة الّتي كان يتحلّى بها، والّتي إستمدّها من ايمان قوىّ عميق مستول على مشاعره ، جعله لا يرى عظمة إلاّ لله تعالى ولا قوّة إلاّ لله جل وعلا ولاسلطان إلاّ لله عزّ وجلّ ، و جعله يرى كلّ ما عداه أضعف من أن يخشى ، و أعجز من أن يستطيع له نفعاً أو ضراً ، أو يقف أمام دين الله تعالى و يحول دون الدّعوة إليه ، و يدرك بهذا ما تحلّى به من عظمة الخلق و قوّة الجنان و عمق اليقين مما كان موضوع ثناء الله جل و علا في قوله تعالى : « و انك لعلى خلق عظيم » .

ويتبادر من الآيات الكريمة و قوّتها القارعة ان الحكمة الربّانية إقتضت أن يكون الردّ على أوّل متصدّ للنّبيّ الكريم ﷺ من الزعماء الأقوياء بهذا الاسلوب لتثبيت رسول الله ﷺ و أصحابه القلائل الّذين آمنوا به ومواجهة الزعيم القوىّ بقوّة وعنف يصدمانه على غير توقّع ، ولاشكّ في أن النّبيّ ﷺ قد تلا الآيات على أصحابه ، فقوّت من روحهم و زادتهم ايماناً ، و وصلت إلى صاحبها وناديه فصعقتهم بعنفها، وجعلتهم يشعرون بالقوّة الروحية الّتي يستمدّ منها النّبيّ ﷺ وازداد رسول الله ﷺ بهذا وذاك قوّة وعزماً على الاستمرار في مهمّته غير مبال بالزعيم القوي و ناديه .

على أن جملة : « فليدع ناديه » تسوغ القول : إن أباجهل لم يكن وحيداً في موقفه من النّبيّ الكريم ﷺ ، و من غير بعيد أن يكون تعبير « ناديه » قد عنى دار الندوة التي كان يجتمع فيها أهل الحلّ والعقد في مكّة الّذين هم رؤساء الاسر القرشية البارزة ، و قد كانت هذه الدار قرب الكعبة ، فاذا صحّ هذا فان من السائغ أن يقال : إن السلطات الرسميّة قد رأت في صلاة محمد رسول الله ﷺ

علناً بصلاة جديدة لا عهد للناس بها ، و في دعوته الناس جهاراً إلى دين يخالف ما عليه الناس بدعة ، و رأت وجوب الوقوف في وجهها ، و أنها عمدت إلى أحد أعضائها بتنفيذ ذلك ، أو أن هذا العضو كان أشدّ حماساً ضدّها من غيره فكان هو المتصدّي .



﴿التكرار﴾

يدور البحث في المقام على امور أربعة :

أحدها ـ ان السّور التى افتتحت بصيغة الأمر سبع على الترتيب التالي نزولاً:

١ـ سورة العلق . ٢ـ سورة الأعلى . ٣ـ سورة الكافرون . ٤ـ سورة الفلق ٥ـ سورة الناس. ٦ـ سورة التوحيد . ٧ـ سورة الجن. فتأمل في الأوامر والمسمّيات واغتنم جداً إذ فيها نكات ولطائف ودقائق ...

ثانيها ـ ان السّور المشتملة على تسع عشرة آية ثلاث :

١ـ سورة العلق . ٢ـ سورة الأعلى . ٣ـ سورة الانفطار .

ثالثها ـ لابد لكل مفسّر خبير من التأمل في إطلاق قوله جل وعلا : « إقرأ باسم ربك » وفي تقييده بعده بقوله عزّ وجلّ : « إقرأ وربك الأكرم » و في عموم قوله تعالى : « الّذى خلق » وفي تخصيصه بقوله : « خلق الانسان من علق » و في إبهام قوله جلّ وعلا: « علّم بالقلم » وفي تفسيره بقوله سبحانه : « علّم الانسان مالم يعلم ».

وقيل : ان « إقرأ » الأولى خاصّة بالقرآن المجيد حفظاً وتأمّلاً لأنها كذلك في سبب نزولها ، وقرنها بقوله : « إسم ربك » تنبيهاً على الاستعانة به تعالى في فهم مراده من كتابه ، و « إقرأ » الثانية مراد بها جميع العلوم المدوّنة التي تعين على زيادة الايمان وقوته بالاستعانة بالله جلّ وعلا وبفيض كرمه ، ولذلك قال : « علّم الانسان مالم يعلم » بعد قوله : « علّم بالقلم »

و « خلق » الاولى حثّ على التأمّل في صفة الخلق بالاستعانة ، « خلق الانسان

من علق » وكذلك سائر جزئيات الخلق ، و « علّم » الاولى هي العلوم المكتوبة المدوّنة بالقلم ممايعين على الايمان ، وللعبد فيها مدخل ، والثانية : العلم الموهوب من الله جل وعلا إذا روعيت الملابسات السابقة ، ومن الملاحظ أن بداية العلم تأمل كلي يؤدّي العلم الجزئي، ثم ينتهي الجزئي إلى الكلي أيضاً على وجه أشمل و أقوى .

فقد بدأ في السورة بـ « إقرأ باسم ربك الذي خلق » وتدرج إلى الجزئي : « خلق الانسان من علق » ثم إلى جهد الانسان مستعيناً بربه « علّم بالقلم » و انتهى إلى فيض الله عزّ وجلّ ومواهبه : « علّم الانسان مالم يعلم »

رابعها - نشير هيهنا إلى صيغ إحدى عشرة لغة - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - الصيغ التى جائت في هذه السورة وفي غيرها من السّور القرآنية :

١- جاءت كلمة (القرء والقراءة) على صيغها في القرآن الكريم نحو : ٨٨/ مرّة : ومنها كلمة القرآن التي جاءت فيه ٧٠/ مرّة . فخمسون منها ذكر معرّفاً، وثنتان منها مضافاً إلى ضمير المفرد المذكّر الغائب ، وثنتان اخريان مضافاً إلى الظاهر، وثلاثة منها مرفوعاً ، وعشرة منها منصوباً ، وثلاثة اخرى مجروراً: ثنتان منها بحرف الجار ، وواحدة اخرى بالاضافة .

٢- » » (السمو) » » » : ٣٨١ مرة :

٣- » » (الرّب) » » » : ٩٨١ مرة :

٤- » » (الخلق) » » » : ٢٦١ مرّة:

٥- » » (العلق) » » » : ٧ مرات:

١- سورة العلق : ٢) ٢- سورة القيامة : ٣٨) ٣- سورة غافر: ٦٧) ٤- سورة الحج : ٥) ٥و٦ - سورة المؤمنون : ١٤) ٧- سورة النساء : ١٢٩)

٦- » » (كلاّ) » » » : ٣٣ مرّة:

كلها في النصف الأخير من القرآن الكريم: سورة مريم إلى سورة الهمزة .

٧- » » (الطغيان) » » » : ٣٩ مرة

٨- » » (الغنى) » » » : ٧٤ مرة

٩- » » (السفع) » » » : مرة واحدة:

وهي في سورة العلق : ١٥)

١٠- » » (الناصية) » » » : أربع مرات:

١و٢- سورة العلق : ١٥و١٦) ٣- سورة هود: ٥٦) ٤ -سورة الرحمن:٤١)

١١- » » (الزبانية) » » » : مرة واحدة:

وهي في سورة العلق : ١٨)



﴿ التناسب ﴾

واعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وسورة الفاتحة نزولاً.

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : ـ وقد ثبت نزول سورة فاتحة الكتاب بعد نزول الخمس الاولى من آيات سورة العلق لوجوب الفريضة تحقيقاً ـ فالتناسب بين خلق الانسان و تربيته وتعليمه وتكليفه ممالايخفى على متأمّل خبير.

وأما الثانية: : فالتناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً فبامور:

أحدها ـ انه لمّا اشير في سورة « التين » إلى تكوين الانسان في أحسن تقويم إجمالاً ، وإلى أن الانسان المقوّم على طائفتين: أهل الكفر والطغيان وإنحطاطهم... وطائفة الايمان والتقوى وعاقبة أمرهم إلى الحسنى . . .

ذكر في هذه السورة مايكون فيه أحسنية تقويم الانسان من التربية والعلم والقراءة والبيان والكتابة ، وأشار فيها إلى أوّل من خالف العلم والحق والعبودية، وهو أوّل من تعرّض على الدعوة الحقة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن تكذيبها والاعراض عنها وهو أبو جهل بن هشام المخزومي زعيم الطواغيت المستبدة والجبابرة المستكبرة، وقائد البغاة الفجرة والكفار الجهلة ، والفسّاق السفلة . . . وإلى مآل أمره على ما يقتضيه المقام ففي هذه السورة تفصيل لما اجمل في السابقة .

وفي تقدّم السورة نزولاً ، وتأخّرها مصحفاً للتفصيل ممالايقبل التشكيك.

ثانيها ـ ان سورة التين لماكانت تواجه للانسان في خلقه القويم الجليل الّذي خلقه الله جلّ وعلا عليه ، وأن هذا الانسان إذا استطاع أن يحتفظ بهذا الخلق الكريم كان في أعلى عليين . . . وأما إذا لم يحسن سياسة هذا الخلق ، ولم يحسن تدبيره فانه يهوى إلى أسفل سافلين بدأت هذه السورة بهذه المواجهة مع الانسان في أعلي منازله ، وأكرم وأشرف صورة له ، وهو محمّد رسول الله الأعظم ﷺ مدعوّاً من ربه إلى أكمل كمالات الانسان . وأكرم مايتناسب مع كماله و شرفه وهو القراءة الّتي هي مجلى العقل ومنارة هداه ورشده ، وبهذا تكون المناسبة جامعة بين السورتين بدءاً وختاماً .

ثالثها ـ ان ماذكر في هذه السورة من أحوال الآخرة كالشرح والبيان لما في السورة السابقة :

رابعها ـ ان الله عزّ وجلّ لما ختم السورة السابقة بذكر إسمه : **إفتتح** هذه السورة باسمه أيضاً .

وأما الثالثة : فلما اشير في الآيات الخمس الاولى إلى تكوين الانسان من علق ومافيه تقويمه من التربية والعلم والقراءة والبيان والكتابة ـ ولعلّ وجه المناسبة بين الخلق من العلق والتعليم هوان أدنى مراتب الانسان كونه علقة و أعلاها كونه عالماً والله تعالى إمتنّ على الانسان بنقله من أخصّ المراتب إلى أعلاها وهي العلم ، فعدّد الله عزّ وجلّ مبدأ أمر الانسان ومنتهاه إظهاراً لما أنعم عليه من نقله من أخسّ المراتب إلى أعلاها تقريراً لربوبيته وتحقيقاً لأكرميّته ـ اشير إلى بعض من أفراد هذا الانسان المقوّم وطغيانه ، وسببه مع الرجوع إلى الله عزوجل وهوجلّ وعلا يحاسبه ويجازيه على ما سلك فيه .

وان الآية السادسة ومابعدها وإن نزلت بعد الخمس الاولى الّتي افتتحت بها السورة بزمن ما ، ولكن المناسبة جامعة بينها وما قبلها ، وهذا هو السرّ في

سردها في سياقها .

ثم فصّل ماظهر من الطاغي من النهي عن العبادة والتعرض على الدّعوة والتكذيب على ماجاء به النبي الكريم ﷺ والاعراض عنه ، ثم ذكر مافيه الايقاظ والتنبيه بقوله عزوجل : « ألم يعلم بأن الله يرى . . . » لعلّه يرجع عماكان عليه ، ثم ذكر بانه لولم يرجع ولم ينته فيتبعه الخزي والنكال فاذاً فليستعمل قواه في طغيانه و أنا نعمل به على ما تقتضيه الحكمة ، ثم أشار إلى أن مايسلك هذا الطاغي لاينبغي أن يتوجّه إليه ، وما ينبغي التوجه إليه هو العبادة والتقرب إلى الله تعالى .

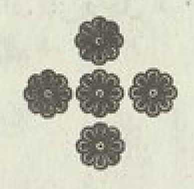
وبعبارة اخرى ان الله عزّ وجل لّما أشار في مطلع السورة إلى دلائل الربوبية الظاهرة ومظاهر القدرة المطلقة ومشاهد العظمة الباهرة وعلائم الحكمة البالغة و دقّة الصنع ، وكان ذلك كلّه بحيث يبتعد من العاقل ألاّ يلتفت إليه أتبعه جلّ وعلا ببيان السبب في طغيان الانسان وتكبّره وتماديه وضلالته و كفره ولجاجه وهو حبه للدنيا وإشتغاله بها وجعلها أكبر همّه ،وذلك يعمى قلبه ويصم اذنه ، ويجعله بحيث يغفل عن خالقه ، وما يجب له في عنقه من إجلال وتعظيم وتواضع وتكريم...

وقد كان ينبغي أن يكون حين الغنى والميسرة و كثرة الأعوان وإتساع الجاه والرئاسة والمقام . . . أشدّ حاجة إلى الله عزّ وجلّ منه في حال الفقر والمسكنة لأنه في حال فقره لايتمنّى إلاّ سلامة نفسه وأعضائه ، أمّا في حال الغنى فيتمنّى ذلك ، و يتمنّى سلامة مماليكه وأتباعه وأمواله . . . ألايعلم أنه راجع إلى ربه فمجازيه على ما يعمل ؟ وقد بلغ من حمقه أن يأمر وينهى ، وأنه يوجب على غيره طاعته ، ثم هو بعد ذلك يعرض عن طاعة ربه .

وهيهنا نكتة لطيفة وهي أن أوّل السورة لما دلّ على فضل التربية والعلم والتعلّم والتعليم ، جاء بعد آيات منها مايدلّ على مذمة المال ، فكفى ذلك مرغباً في العلم ومنفراً عن الدنيا ومتاعها .

أما ينبغى له أن يهتدى ويشتغل بأمر نفسه ؟ فمن كان ذاعقل ورأى وثروة

وجاه وأعوان واختار الهدى ، وتخلق بأخلاق المصلحين كان ذلك خيراً له وأجدى وإنا لننكلن به نكالاً شديداً في العاجلة ونهيننّه يوم العرض والحساب وليدع أمثاله من المغرورين ، فانهم لن يمنعوه ولن ينصروه . ثم ختم السورة بأمره بالتوفر على عبادة ربه فعلاً وإبلاغاً للناس ، مبتغياً بذلك القربى منه .



﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً أومتشابهاً ، فآيها محكمات والله عز وجل هو أعلم .

* * *

﴿ تحقيق في الاقوال ﴾

١- (اقرأ باسم ربك الذى خلق)

في قوله تعالى : « إقرأ باسم ربك» أقوال : ١- قيل : أي اذكر إسم ربك على زيادة الباء والقراءة بمعنى الذكر . ٢- قيل : أي إقرأ ما انزل إليك من القرآن مفتتحاً باسم ربك وهو أن تذكر : البسملة في إبتداء كل سورة . ٣- قيل : أي إقرأ ما يوحى إليك على إسم ربك على كون الباء بمعنى (على) . ٤- قيل : أي إقرأ القرآن وافتتحه باسم الله تعالى .

٥- قيل : أي إقرأ باسم ربك على زيادة الباء بأن يدعوه بأسمائه الحسنى، وفي تعظيم الاسم تعظيم المسمّى لأن الاسم ذكر المسمّى بما يخصّه فلا سبيل إلى تعظيمه إلّا بمعناه ولهذا لا يعظم إسم الله حق تعظيمه إلا من هو عارف به و معتقد عبادته ، ولهذا قال الله جلّ وعلا : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى »

٦- قيل : أي تلقّ يا محمد بما يلقى إليك بأمين الوحي من عند ربك ،واجمع كلماته وحروفه كلها واحفظها في ذهنك حيث يقال : قرأت الكتاب إذا جمعت ما فيه من الحروف والكلمات بضمّ بعضها إلى بعض في الذهن ، وإن لم تتلفّظ بها .فالمراد هو التلقي بما يوحى إليه صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن بملك الوحي . فالجملة : « إقرأ »أمر بقراءة القرآن وهي من الكتاب ، يقول القائل في مفتتح كتابه لمن أرسله إليه : « إقرأ كتابي هذا واعمل به » فقوله هذا أمر بقراءة الكتاب وهو من الكتاب .

٧ ـ قيل : أي أظهر بما يوحى إليك من ربك و اقرأه على غيرك وادع الناس إليه ، حيث يقال : قرأته : إذا جمعت الحروف والكلمات بضمّ بعضها إلى بعض في التلفّظ . ٨ ـ قيل : إستمع لما يوحى إليك وتحفّظه في سمعك . حيث يقال : قرأته عليه إذا جمعت بين حروفه و كلماته في سمعه ، و يطلق على القراءة بهذا المعنى التلاوة أيضاً .

٩ ـ قيل : أي أوجد القراءة مبتدئاً باسم ربك على أن البسملة المبتداة بها السورة جزء من السورة ، فهي من كلام الله جل وعلا إفتتح تعالى بها ، و أمر أن يقرأ مبتدأ بها كما أمر أن يقرأ قوله : « إقرأسم ربك » ففيه تعليم بالعمل نظير الأمر بالاستثناء في قوله عزّوجلّ : « و لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلاّ أن يشاء الله » .

أقول: ان المراد بالقراءة قراءة ما أوحى الله جل وعلا إلى محمد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة جبرئيل أمين الوحي عليه السلام . والمعنى : إقرأ أيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يوحى إليك من ربك مفتتحاً أو مستعيناً باسم ربك عند ما تتلقى الوحي من أمينه ، و بعد ما تلقّيته .

و في قوله جل و علا : « خلق » أقوال : ١ ـ قيل : أي خلق ربك الخلائق على مقتضى حكمته وأخرج كل شيء من العدم إلى الوجود بكمال قدرته وإرادته . ٢ ـ قيل : أي خلقك ربك بقدرته و إرادته بعد أن لم تك كذلك . ٣ ـ قيل: أي خلق ربك الانسان لأنه المكلّف ، و ليس المقام بصدد بيان تكوين الخلق على سبيل العام .

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق .

٢ ـ (خلق الانسان من علق)

في « الانسان » أقوال : ١ ـ قيل : أي خلق إبن آدم من دم بعد النطفة ، والمراد بالعلق: ما يستحيل إليه النطفة في الرحم ، والعلقة: مرحلة ثانية للجنين .

فالمراد بالانسان : جنس الانسان المتناسل . ٢ ـ قيل : أي خلق آدم عليه السلام من طين يعلق باليد . ٣ ـ قيل : يشمل الانسان آدم و ذريته ، أما آدم فمن طين يعلق باليد و أما ذريته فمن العلق : جمع العلقة .

أقول: و على الأوّل أكثر المفسرين .

٣ ـ (اقرأ و ربك الاكرم)

في « إقرأ » أقوال : ١ ـ قيل : تأكيد للقراءة السابقة . والمعنى : إقرأ يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم و ربك يعينك و يفهّمك ، و إن كنت غير قارىء من قبل . ٢ ـ عن الجبائي : ان الأوّل أمر بالقراءة لنفسه صلّى الله عليه وآله وسلّم والثاني للتبليغ . فليس بتكرار . فالأوّل للتعلم والثاني للتعليم . والمعنى : إقرأ يا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ما اوحى إليك على الناس . ٣ـ قيل: اريد بالقراءة الاولى القراءة في الصلاة، وبالثانية في خارج الصلاة .

٤ ـ قيل: ان في الأمر بالقراءة الاولى إشارة إلى كونه صلّى الله عليه وآله وسلّم قارئاً بالقوّة ، ولهذا رتّب عليه خلق الانسان من علق ، وفي الثاني إشارة إلى كونه صلّى الله عليه وآله وسلّم قارئاً بالفعل ، ولهذا وصف نفسه بالأكرمية ، و رتّب عليه تعليم الخطّ والعلم . ٥ ـ قيل : اريد بالأمرين كليهما الأمر بالقراءة على الناس وتبليغهم بما أوحى إليه .

أقول: إن الأوّل و إن كان ما يظهر من السياق ولكن ما يناسب تكوين الانسان وتعليمه : ان القراءة الثانية غير الاولى ، و يؤيّد الثاني من الأقوال ما كان الانسان الطاغي يكذّب ويعرض، فلولا التبليغ لما كان للتكذيب والاعراض وجه.

وفي قوله تعالى: « الأكرم » أقوال : ١ـ قيل: أي الكريم . ٢ـ عن الكلبي : أي الحليم عن جهل العباد فلم يعجل بعقوبتهم . ٣ ـ قيل : أي المتجاوز عن جهل العباد . ٤ ـ قيل : أي الأعظم كرماً فلا يبلغه كرم كريم لأنه يعطي من النعم ما لايقدر على مثله غيره فكل نعمة توجد من جهته عزوجل إمّا بأن اخترعها و إمّا بأن سبّبها وسهّل الطريق إليها ، فهو الّذي يفوق عطاؤه عطاء ماسواه وهو الّذي يعطي لاعن إستحقاق ، و ما من نعمة إلّا و ينتهي ابتاؤها إلى الله عزّوجلّ

٥ ـ قيل: أي بلّغ قومك وربك الأكرم الّذي يثيبك على عملك بما يقتضيه كرمه، و يقويك و يعينك على حفظ القرآن.

أقول: و على الرابع جمهور المحققين.

٤ ـ (الذى علم بالقلم)

في قوله تعالى: «علّم بالقلم» أقوال: ١ ـ عن كعب: أي علّم آدم عليه السلام لأنه أوّل من كتب. ٢ ـ عن الضحاك: أي علّم إدريس عليه السلام الكتابة بالقلم لأنه أوّل من كتب. ٣ ـ قيل: أي علّم كل نبيّ الكتابة بالقلم لأنه ما علمه إلّا بتعليم الله تعالى إيّاه. ٤ ـ قيل: أي علّمك الكتابة بالقلم و لم تكن من قبله كاتباً. ٥ ـ قيل: أي علّم الكاتب أن يكتب بالقلم. ٦ ـ قيل: أي علّم الانسان البيان بالقلم. ٧ ـ قيل: أي علّم الانسان الخطّ والكتابة بالقلم و ان القلم آلة تنطق ما أراد به الانسان.

٨ ـ قيل: أي علّم الله تعالى الانسان قراءة بواسطة القلم. ٩ ـ قيل: أي الّذي جعل القلم واسطة التفاهم بين الناس على بعد الشقة كما أفهمهم بوساطة اللسان والقلم آلة جامدة لاحياة فيها، و ليس من شأنها الافهام، فمن جعل من الجماد الميت الصامت آلة للفهم والبيان، أفيصعب عليه أن يجعل منك قارئاً مبيّناً و تالياً معلّماً، و أنت إنسان كامل؟

أقول: والسابع هو الأنسب بظاهر السياق لأن القراءة ليست بمتعلقة القلم كالكتابة و في معناه التاسع.

٥ ـ (علم الانسان مالم يعلم)

في الآية الكريمة أقوال: ١ ـ قيل: أي علّم آدم عليه السلام أسماء كل شيء حسب ماجاء به القرآن الكريم في قوله تعالى: «وعلّم آدم الأسماء كلها» البقرة: ٣١) فلم يبق شيء إلّا و قد علّم الله عزّوجلّ آدم عليه السلام إسمه بكلّ لغة، و ذكره آدم عليه السلام للملائكة كما علّمه، وبذلك ظهر فضله و تبيّن قدره و ثبتت نبوّته،

و قامت حجّة الله تعالى على الملائكة و حجّته ، فامتثلت الملائكة الأمر لما رأت من شرف الحال و رأت من جلال القدرة ، و سمعت من عظيم الأمر ثم توارثت ذلك ذريته خلفاً بعد سلف وتناقلوه قوماً عن قوم . فالمراد بالانسان هنا آدم عليه السلام.

٢ـ قيل: اريد بالانسان هنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقوله عزّ وجلّ مخاطباً له صلى الله عليه وآله وسلم : « و علّمك ما لم تكن تعلم » النساء : ١١٣) .

٣ ـ قيل : اريد بالانسان جنسه الشامل للذّكر والانثى لقوله تعالى : « والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً » النحل : ٧٨) .

علّمه مالم يعلم من أنواع الهدى والبيان وامور الدين والشرائع والأحكام ، فجميع ما يعلمه الانسان من جهته تعالى إما بأن اضطرّه إليه ، و إما بأن نصب الدليل عليه في عقله ، وإما بأن بيّنه له على ألسنة ملائكته ورسله ، فكل العلوم على هذا مضاف إليه وفي هذا دلالة على أنه تعالى عالم لأن العلم لايقع إلّا من عالم .

وبعبارة اخرى : إن كافة العلوم من الله عزّ وجلّ : من العلوم الغريزية : الفطرية والعقلية ، ومن الاكتسابية الناشئة عنهما النامية بهما، ومن علوم الوحي فائقة الفطرة والعقل المتحللة عن الاكتساب المعتاد و هي أعلاها ، الخاصّة برجال الوحي ، ولكي يعلّموا الناس مالم يكونوا يعلمون : « كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا و يزكّيكم و يعلّمكم الكتاب والحكمة و يعلّمكم مالم تكونـوا تعلمون » البقرة : ١٥١) و ان التاريخ الحضارات يشهـد ان كافة التقدمات العلمية الحضارية مستوحاة من الوحي السماوي برجاله الذين بيّضوا وجه التاريخ بتعاليمهم النيّرة .

أقول: والثالث هو الأنسب بظاهر السياق .

٦ ـ (كلا ان الانسان ليطغى)

في « كلا » أقوال : ١ ـ قيل : بمعنى نعم حقّاً إذ ليس قبله و لا بعده شيء يتوجّه إليه الردع ٢ ـ قيل : ردع عما يستفاد من الآيات السابقة . والمعنى :

فـ« كلاّ » انه لاينتبه هذا الانسان انه خلق من علق و ان ربه علمه فهو متعلق الذات والكمالات بربّه جلّ و علا ، ولكنّه ينسى فيطغى.

و ذلك ان الله عزّ وجلّ أنعم على الانسان بعظائم نعمه مثل التعليم بالقلم وسائر ما علّم والتعليم من طريق الوحي، فعلى الانسان أن يشكره على ذلك ولكنّه يكفر بنعمته تعالى و يطغى.

ففي الآية الكريمة إخبار بما في طبع الانسان ذلك كقوله عزّ وجلّ : « ان الانسان لظلوم كفار » إبراهيم : ٣٤) فالاية ردع لمن كفر بنعمة الله عزّ وجلّ لطغيانه ، و إنّما لم يذكره لأنه معلوم من المقام.

٣ ـ قيل : هذا ردّ على سؤال وارد على قوله تعالى : « علّم الانسان مالم يعلم » والسؤال هو: هل أدّى الانسان حق هذه النعمة التي أنعمها الله جلّ وعلا عليه ؟ و هل كان له من علمه هذا الذي تعلمه نفع له و للناس معه ؟

والجواب عن هذا : « كلا » فان هذا العلم الّذي فتح على النـاس وجوه المنافع و ملأ أيديهم من ثمرات الحياة بما مكن لهم به من الأرض ، و ما سخّر لهم من قوى الطبيعة ـ هذا العلم قد فتنهم سلطانه و أغرى بعضهم ببعض فاتخذوا منه سلاحاً للبغي والعدوان والتسلط والقهر ، وبهذا طغى الانسان و تجبّر و ظلم حين رآى نفسه بمنقطع عن الناس مستغنياً عنهم بجاهه و سلطانه.

و عن مقاتل : أي كلاّ لا يعلم الانسان انه خلق من علقة و صار عالماً بعد أن كان جاهلاً و ذلك لاستغراقه في حبّ المال والجاه ويتأمّل في هذه الأحوال . . .

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السياق و عليه أكثر المحققين.

و في قوله عزّ وجلّ : « الانسان »أقوال : ١ ـ قيل : اريد به أبوجهل بن هشام . ٢ ـ قيل اريد به الوليد بن المغيرة إذكان ينهى المسلمين عن الصلاة . ٣ ـ قيل: اريد به اميّة بن خلف إذكان هو ينهى سلمان الفارسي عن الصلاة . ٤ ـ قيل: اريد به العموم فيشمل لجميع أفراده من الذكر والانثى.

أقول: ومايستفاد من سياق الآيات الكريمة من النهي عن الصلاة والتكذيب والاعراض و عدم الانتهاء، ونهي النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن إطاعته، و إن لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعطيه قطّ ان المراد بالانسان هو الفرد منه، وما ورد في نزول الآيات من الروايات يعيّن هذا الفرد و هو أبوجهل بن هشام، فليس المقام بصدد الاخبار بما عليه طبع الانسان بجنسه، و أما الشمول فليس باعتبار الجنس، و إنّما يكون باعتبار ان أباجهل كان زعيماً لأهل الجهل والطغيان، لما ورد كثيراً ان لكلّ امّة فرعون، و فرعون هذه الامة أبوجهل، فكل من سلك مسلكه فتنطبق عليه الايات...

و في الطغيان أقوال: ١- قيل: اريد به الكفر بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم و بما جاء به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ٢- قيل: اريد به الافساد في الأرض بالظلم، وهتك الحرمات والأعراض، وتضييع حقوق الناس و قتل النفس بغيرحق، والغفلة عن الطاعة و صالح الأعمال، و عن الآخرة والحساب والجزاء باشتغاله بأمتعة الدنيا. ٣- قيل: الطغيان هو مجاوزة الحدّ في العصيان.

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق، حيث ان الطغيان هو مجاوزة الحد، عقيدة كانت أو قولاً وعملاً، وقدكان هذا الطاغي على الثلاثة على ما يستفاد من الآيات... والمعنى: يتجاوز حدّه و يستكبر على ربه و يعدو طوره.

٧- (أن رآه استغنى)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أي لأن رآى نفسه إستغنى أي صار ذامال وثروة وأعوان يغنى بها. و عن قتادة: أي كان إذا أصاب مالاً زاد في ثيابه ومركبه و في طعامه وشرابه فذلك طغيانه و ذلك إستغنائه عن الله بمتاع الدنيا.

٢- قيل: أي لأن رآى نفسه إستغنى عن الله تعالى وعبادته بالأصنام والأوثان والهياكل المنحوتة وعبادتها. ٣-قيل: أي إستغنى عن الله بكثرة العشيرة والأموال والأنصار والأعوان والثروة والأسباب المادية اللاهية، وبالعدد والعدد والأضراب...

ف« رآى » من الرؤية البصرية دون الرأى .

٤ - قيل : أي لأن رآى نفسه مستغنية عن ربه بعشيرته و أمواله و قوته وجاهه كأنه قال : إنما يطغى من رآى انه مستغن عن ربه لا من كان غنيّاً ، فان رؤية الاستغناء هى الدافعة للطغوى لامطلق الغنى ، فمن رآى نفسه مستغنياً عن ربه فيطغى عليه و يعصيه ولايطيعه ، و مستغنياً عن الخلق فيظلمهم ، فليس الغنى واقعاً يعيشه أي إنسان ، وإنما الخطأ في الرؤية أن يراه كذلك وليس به : « الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً » خطأ عامداً يندّد به بأشدّه ، كيف لا ينتبه انه فقير إلى الله عزّوجلّ كما كان بداية أمره ، فهذه الرؤية الخاطئة تجعل الانسان طاغياً على الله تعالى و على عباده .

ف« رآى » من الرأي دون الرؤية البصرية . والمعنى : لانه يعتقد نفسه مستغنياً عن ربه المنعم عليه فيكفر به ، وذلك انه يشتغل بنفسه ، وبالأسباب الظاهرة المادية الّتي يتوصّل بها إلى مقاصده الفاسدة ، فيغفل عن ربه من غير أن يرى لنفسه حاجة منه تعالى ، فتبعثه إلى ذكره تعالى و شكره على نعمه فينساه و يطغى .

٥- قيل: اريد بالاستغناء الاستغناء بالعلم بعامّة ومصانع: الأسلحة المدمّرة بخاصة ، و ان من يملكها بحلول جاهداً أن يخضع العلم لاستغلاله و سيطرته كما هو الشأن في العهد الراهن ، و هكذا تزداد معاني القرآن وضوحاً كلّما تقدّم الزمان .

أقول: و لكلّ وجه من غير تناف بينها فتأمل جيّداً .

٨ - (ان الى ربك الرجعى)

في الخطاب : « ربك » أقوال : ١- قيل : خطاب للنّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على طريق التعجّب بأن إلى ربك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم رجوع هذا الطاغي ، فكيف يطغى و هو يحاسب يوم القيامة ويجازى على طغيانه ، فهو ذائق من أليم عقاب الله تعالى مالا قبل له به !

٢- قيل : خطاب لهذا الانسان الطاغي وهو أبوجهل . والمعنى : إن إلى ربك وحده أيها الانسان الطاغي المستغني عن الله تعالى بما لك و عددك مصيرك و رجوعك يوم القيامة ، وسيتبيّن لك عظيم غرورك حينما تخرج من هذه الحياة وتظهر في مظهر الذلّ والهوان وتحاسب على كل ما اجترحته في حياتك الاولى قلّ أو كثر، عظم أوحقر كما قال الله عزوجل : « ولا تحسبنّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنّما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لايرتدّ إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء » إبراهيم : ٤٢-٤٣)

فيجازيك ربك على طغيانك أيها الطاغي المستكبر، وسيحاسبك على مالك من أين جمعته ؟وفيم صرفته ؟

فالآية الكريمة تهديد على طريق الالتفات لهذا الانسان الّذي جحد نعمة الله تعالى عليه ، واتخذ منها أسلحة يحارب بها العلم والفضيلة ، ويقطع بها ما أمرالله تعالى به أن يوصل . . . فيرجع هذا الانسان إلى ربه يوماً وسيلقى جزاء بغيه وعدوانه ، ولا يستطيع الفرار عن رجعاه مهماكان مبتداه .

٣- قيل : انه خطاب عامّ يشمل الجميع والمعنى : ان إلى ربك يا إنسان رجوعك يوم القيامة للحساب والجزاء إن كان خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً .

أقول: والأوّل هو الأنسب بظاهر السياق .

٩- (أرأيت الذى ينهى)

في الخطاب أقوال: ١- قيل: خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى: أرأيت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أباجهل وهو الّذي ينهاك عن أن تصلي لربك عند المقام . وهذا بناء على أنّ المراد بالرؤية رؤية البصر. ٢- قيل : خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن المراد بالرؤية : المعرفة . والمعنى : أعرفت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من ينهاك عن قريب عن الصلاة . ٣- قيل : خطاب أيضاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكنّ المراد بالرؤية : العلم والمعنى: أعلمت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أي لوعلمت فأخبرني عن الّذي ينهى عبداً إذا صلّى عند المقام لربه،

والناهي هي يعلم أن الله عزّ وجلّ يرى ما يفعله كيف يكون حاله . وهذا بناء على أن « ألم يعلم . . . » مفعول ثان ا « رأيت »

٤- قيل : ان الآيتين إخبار من الله تعالى بماسيفعله هذا الطاغي على سبيل التعجب كأنه عزّ وجلّ قال : « ما أسخف عقل من يطغى به الكبر بالمال والعشيرة بحيث ينهى عبداً من عباد الله عن عبادته » . ٥- قيل: خطاب لهذا الانسان الطاغي المتقدّم ذكره فكأنه قال : أرأيت أيها الكافر إن كانت صلاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هدى و دعاء إلى الله تعالى و أمراً بالتقوى أفأنت تنهاه عنها مع ذلك ؟ ٦- قيل : خطاب للانسان بجنسه الشامل . ٧- عن الحسن : إن الخطاب لامية بن خلف لأنه كان ينهى سلمان الفارسي عن الصلاة .

أقول: والرابع هو الأنسب بظاهر السياق ، من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الاخر فتأمل جيّداً .

١٠ - (عبداً اذا صلى)

في « عبداً » أقوال : ١- قيل : هو محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان يصلّي عند المقام صلاة جديدة بعد نزول خمس آيات من سورة العلق ، وتشريع الصلاة بنزول فاتحة الكتاب ، فيراه صلى الله عليه وآله وسلم أبو جهل عليها فينهاه عنها .

فالقول بأن هذه الصلاة التي كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي قبل رسالته ، وهذا يدلّ على نبوته الفعلية قبل رسالته غير ظاهر جداً ، كالقول بمشروعيتها ليلة الاسراء : وعدم مشروعيتها في أوائل البعثة .

٢- قيل: اريد به المسلمون لشمول النكرة إذ كان الوليد بن المغيرة ينهاهم عن الصلاة . ٣- قيل : هو سلمان الفارسي عليه السلام إذ كان امية بن خلف ينهاه عنها .

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحققين ، وهو المؤيّد بما ورد في النزول .

١١ - (أرأيت ان كان على الهدى)

في الآية الكريمة أقوال : ١- عن قتادة : أي أرأيت يا أباجهل إن كان محمد

صلى الله عليه وآله وسلم علي إستقامة وسداد في صلاته لربّه فما ظنّك في نهيك إياه عن الطريق المستقيم . فالخطاب لأبي جهل على طريق الالتفات للتهديد و الوعيد و التوبيخ .

٢- قيل : أي أخبرني يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الناهي إن كان ذاك العبد المصلّي المنهيّ عن الصلاة على الهدى والصراط المستقيم في صلاته، وهذا الطاغي ينهاه مع ذلك عن صلاته كيف يكون حال هذا الناهي الطاغي وهو يعلم أن الله تعالى يراه فيما يفعل بالمصلّي .

٣- قيل : خطاب أيضاً للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ولكن على معنى : أخبرني ! أيّها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الناهي إن كان الناهي على الهدى ، وهو يعلم أن الله تعالى يرى ماذا كان يجب أن يفعله ويأمر به ؟ و كيف يكون حاله وقد نهى عن عبادة الله سبحانه ؟ أهذا الّذي ينهى عن الخير هو على حق في نهيه ؟

٤- قيل : أي أخبرني عن حال هذا الطاغي لو تخلّق بأخلاق المصلحين وكان على الهدى أكان الكفر والنهي عن طاعة الله تعالى خيراً له ، فان ذلك يفوّت عليه أعلى المراتب ويجعله في أحطّ الدركات وأدناها . وقيل : أي أخبرني ان ذلك الناهي إن كان هو على طريق سديد فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى ألم يعلم بأن الله يطلع على أحواله من هداه أو ضلاله فيجازيه على ذلك .

٥- قيل : خطاب للانسان بجنسه والمعنى : ماذا ترى أيها الانسان من حال هذا الطاغي الأثيم الّذي ينهى عبداً عن الصلاة ويحول بينه وبينها ؟ ثم أرأيت لو أنه كان في موقف آخر غير هذا الموقف ، فكان قائماً على الطريق الهدى ، مؤمناً بربه ، موالياً له ، فأيّ حاليه كان خيراً له وأهدى سبيلاً ؟ أحال الضلال والعمى و الصدّ عن سبيل الله تعالى ؟ أم حال الاستقامة والهدى والدعوة إلى الله جل وعلا؟ وشتّان بين النور والظلام ، بين الحق والباطل ، بين الخير والشر، بين الفلاح و الخسران ، بين الصلاح والفساد وبين الايمان والكفر . .

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين .

١٢ - (أو أمر بالتقوى)

في الآية الكريمة أقوال : ١- قيل : أي أو أمر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أباجهل بالتقوى وعذاب الله تعالى بالايمان وصالح الأعمال... ٢-قيل: أو أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس بالتقوى ، وكان أبو جهل ينهاه عن الأمر بالمعروف كما كان ينهاه عن الصلاة. ٣- قيل : أي أو أمر النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أباجهل بالتقوى وينهاه عن طغيانه و يخوّفه عنه ، وأمر الناس أيضاً بمخافة الله جل وعلا .

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق .

١٣ - (أرأيت ان كذب و تولى)

في الآية الكريمة أقوال : ١ - قيل : أي أخبرني يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن حال هذا الطاغي الناهي إن كذّب رسالتك و أعرض عن دعوتك والايمان بما جئت به . ٢- قيل : أي أخبرني يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن حال هذا الناهي إن كذّب بالحق وأعرض عن الذكر أي فما أعجب من هذا .

٣ - قيل : أي أنبئني عن حال هذا الطاغي الناهي عن الصلاة إن كذّب بدلائل التوحيد الظاهرة ومظاهر الحكمة البالغة ، ومشاهد العلم التام ، وأمارات القدرة الباهرة ، و أعرض عن دعوتك ، والاستماع لهداك و دعا الناس إلى مثل ماهو عليه من الكفر والطغيان ، والتمرد والعدوان ، واللجاج والعصيان . . . أفلا يخشى أن تحلّ به قارعة .

٤ - قيل: إنّ الخطاب للكافر الناهي . والمعنى : أرأيت أيها الطاغي الناهي إن كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم كاذباً أو متولياً ألا يعلم أن خالقه يراه حتّى ينتهي فلا يحتاج إلى نهيك . ٥ - قيل: خطاب لكل مخاطب من الانسان الشامل والمعنى: ماذا ترى أيها الانسان من حال هذا الناهي الضال ، وقد أبى أن يكون على الهدى أو يأمر بالتقوى ، بل كذّب بآيات الله جلّ وعلا و تولى معرضاً عمن دعاه إلى الله تعالى ، و رفع لعينيه مصابيح الهدى ؟ فأيّ إنسان هذا ؟ و بأي نظر ينظر ؟ و بأي عقل

يفكّر و يميّز بين الحق والباطل ، بين الصلاح والفساد ، بين الخير والشر ، وبين الصدق والكذب ؟؟؟

أقول: و على الأوّل جمهور المحققين و في معناه الثاني والثالث .

١٤ - (ألم يعلم بأن الله يرى)

في الآيـة الكريمة أقوال : ١ - قيل : أي ألم يعلم هذا الناهي عن الصلاة بأن الله تعالى يراه و يعلم ما في صدره ، و يسمع قوله و يرى فعلـه . والمعنى : أرأيت الّذي فعل هذا الفعل ليس هو الّذي يستحقّ بذلك من الله تعالى العقاب .
٢ - قيل : أى ألم يعلم أبوجهل بأن‌الله تعالى يعلم الخير وهو ينهى عنه أهوآمن من العقوبة الالهيّة . والمعنى : ألا يخشى هذا الناهي عن الصلاة عذاب الله الّذي يعلم سرّه و علانيته ؟ ألا يخاف هذا الطاغي بأس الله ؟ ألا يخاف عقابه ؟

٣ - قيل : أي ألم يعلم هذا الطاغي ان الله تعالى يعلم ما في قلبه ومايقول به و ما يفعله وهذا الطاغي يعلم بأن الله تعالى عالم بذلك كلّه فكيف لايخاف عن إخزائه إياه و إذ لا له في الحياة الدنيا ، و عقابه في الدار الآخرة . و ان المراد بالرؤية شمول العلم والاحاطة بكل‌شيء ، والقدرة على كل شيء والهيمنة الكاملة على الكون و ما فيه من الكائنات ، والتصرف المطلق فيه و إتصافه جل‌وعلا بكل صفات الكمال على طريق الاستلزام ، فان لازم الاعتقاد بأن الله تعالى هو خالق كل‌شيء هوالاعتقاد بأن له علماً بكل شيء ، و إن غفل عنه هذا المعتقد في بعض الأحوال . . . و قد كان الطاغي الناهي هو أبوجهل بن هشام وثنياً مشركاً، وان الوثنيين كانوا يعترفون بأن الله عزّوجلّ هو خالق كل شيء ، و كانوا ينزّهونه عن صفات النقص ، فيرون انه تعالى لا يجهل و لا يعجز عن شيء و هكذا . . .

٤ - قيل: أي ألم يعلم هذا المكذّب‌المعرض ، فان‌لم يعلم بعد فليعلم الآن بأن الله تعالى يرى هذا الصنيع الشنيع فيؤاخذه به ، فان‌الله تعالى ينتقم للمحق من‌المبطل، للمظلوم من‌الظالم ، وللمجنيّ عليه من الجاني . . . ومن‌علم بأن الله

تعالى يعلم ما يأتيه و يراه يوجب المسابقة إلى فعل الخيرات و ترك الشرور . . . أسفه نفسه حتّى أنكر أن لهذا الوجود إلهاً قائماً عليه ، يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور ؟

أقول: والثالث هو الأنسب بظاهر السياق ، من غير تناف بينه و بين بعض الأقوال الاخر .

١٥ - (كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية)

في « كلا » أقوال: ١- قيل: رد على السئوال المتقدم . و ردع عن عدم علمه باحاطة الله تعالى بجميع الكائنات . . . والمعنى: لايعلم ذلك، لايعلم بأن الله جلّ و علا مطلع على كلّ شيء ، و لو كان يعلم هذا علماً مستيقناً لخاف ربه وخشي بأسه ، ولكن ضلاله أعمى قلبه ، و أظلم بصيرته ، فلم ير جلاله عزّ وجل ، و لم يشهد عظمته ولم يخش بأسه . ٢- قيل : أي ليس الأمر كما يعتقد ويقول ويفعل هذا الطاغي و يريد . ٣ - قيل : أي ليس له ذلك .

٤ - قيل : ردع عن نهيه عن الصلاة . ٥ - قيل : انها بمعنى نعم حقاً . ٦ - قيل : ردع عن عزمه على أن يقتل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أو يطأ رقبته .

أقول: والرابع هو الأنسب بظاهر التقرير ، من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الاخر .

و في قوله تعالى : « لنسفعاً بالناصية » أقوال : ١ - قيل : أي لنأخذنّ أبا جهل بالناصية فلنذلّنّه في الحياة الدنيا و نهيننّه نهاية الاهانة . والمعنى : لئن لم ينته أبوجهل عن تكذيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم و ايذائه فلنقيمنّه مقام الأذلّة في الدنيا إذ وسم الله تعالى خرطومه يوم احد إذ قتل . ٢ - قيل : أي لنأخذنّ بناصيته في الدار الآخرة ، وتطوى مع قدميه و يطرح في النار كما قال جلّ وعلا : « فيؤخذ بالنواصي والأقدام » فالآية الكريمة وإن كانت في أبي جهل ولكنّها عظة للناس وتهديد لكل من يأبى و يستكبر و ينهى غيره عن الطاعة والخير والاحسان . . .

٣ ـ قيل : أي لنغيّرنّ وجهه إلى الاسوداد . والمعنى : لنغيّرنّ وجهه و نسودّه بالنار يوم القيامة لأن السفع أثر الاحراق بالنار فيسم على خرطومه : « سنسمه على الخرطوم » يوم القيامة . أي لنسمنها سواداً يوم القيامة . ٤ ـ قيل: أي لنلطمنّ وجهه . والمعنى : لنجرنّ بناصيته إلى نارجهنم بعد الضرب واللطم عند الأخذ والجرّ إلى النار . و ان السفع بالناصية كناية عن القهر والاذلال و من لوازمهما ظهور الآثار من المقهور والذليل ، و ما يفعل به القاهر والمذلّ من الأخذ بشدّة و إهانة و سواد وجه الذليل و تغيير صورته واللطمة على وجهه الذي ترى آثار الكذب والخطاء منه .

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق .

١٦ ـ (ناصية كاذبة خاطئة)

في الآية الكريمة أقوال : ١ ـ قيل : أي ناصية أبي جهل كاذبة في قولها ، خاطئة في فعلها ، حين سمّى النّبي الصادق صلى الله عليه وآله وسلم ساحراً كذّاباً أو حين زعم أنه أكثر أهل الوادي نادياً . ٢ ـ قيل : أي صاحب الناصية كاذب في أقواله ، خاطيء في أفعاله . على حذف المضاف كما يقال : نهارصائم وليلقائم أي هو صائم في نهاره و قائم في ليله . ٣ ـ قيل : أي ناصية كل كاذب خاطيء ، و منهم أبو جهل .

أقول: والأوّل هو المؤيد بماورد في النزول ، وغيره معه إذا سلك مسلكه .

١٧ ـ (فليدع ناديه)

في النادي أقوال : ١ـ قيل: النادي : المجلس ، و كأن المراد به أهل المجلس أي الجمع الذين يجتمع بهم . والمعنى : فليدع هذا الطاغي أصدقائه و خلاّنه الذين يجلسون معه في ناديه، وكان هو يعتزّ بقوتهم ويتباهى بشوكتهم ، فيدعوهم ويناديهم لينجّوه من عذابنا إذا أردناه به . ٢ـ قيل: النادي : الجليس . ٣ـ قيل: النادي: العشيرة والقوم، وماكان فيه إستغنائه حيث يرى إستغنائه فيه من الأموال والثراة والعدد ، وماكان يعبده من الأصنام والهيا كل المنحوتة ، فليدعها

و يستنصر بهم لينجوه منّا .

أقول: والمعاني متقارب والمآل واحد .

١٨ - (سندع الزبانية)

في « الزبانية » أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد والضحاك : أي الملائكة الغلاظ الشداد و هم الموكّلون بالنار فلا ينفع هذا الطاغي مع هؤلاء الزبانية نصر ناصر . وهم تسعة عشر : « خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أوحزبه ؟

٢- عن قتادة : هم الشرط ، و إنّما سمّوا بالزبانية لأنهم يعملون بأرجلهم بالنسبة إلى المجرمين كما يعملون بأيديهم وهم الّذين رؤوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض وهم يدفعون الكفار بأرجلهم إلى نار جهنم . وقيل: سمّوا لأن الشرط يدفعون بالمجرمين إلى السجن و ملائكة العذاب يدفعون بالكافرين إلى النار .

وقيل: إنهم أعظم الملائكة خلقاً وأشدّهم بطشاً، والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتدّ بطشه قال الشاعر :

زبانية غلب عظام حلومها　　　مطاعيم في القصوى مطاعين في الوغى

٣ - قيل : هم الملائكة الذين يأخذون بناصية الطاغي إلى الهلاك والدمار في الحياة الدنيا و إلى نار جهنم في الدار الآخرة ، فهل من أصحابه و أضرابه من يخفّ له ويسعى إلى تخليصه من يد الزبانية ؟ هيهات هيهات . . . لقد علقت أيديهم به ، و لن يفلت حتى يلقى به في جهنم مع جماعة السوء الّذين إنضوى إليهم و اعتزّ بهم . . .

٤ - قيل : إن الآية الكريمة إخبار بأنه يدعو إليه الزبانية دعا ناديه أم لم يدع وصدق سبحانه وتعالى ذلك فقتل أبوجهل يوم بدر بذلّة وهوان . وقيل : هم الملائكة الغلاظ الشداد لاهلاكه كما في الحديث : « لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً » فالمراد بهم الملائكة الّذين أقامهم الله جلّ وعلا على تعذيب العصاة

من خلقه .

والمعنى : سندعو له من جنودنا كلّ قويّ متين لاقبل له بمغالبته ، فيهلكه في الحياة الدنيا ، و سمّوا زبانية لأنهم يدفعون الكفار إلى الهلاك و يسوقونهم إلى الدمار .

٥ ـ قيل : الزبانية هي القوّة الدافعة ، وهي كناية عن إخزاء هذا الطاغي و إذ لا له بقوّة لا ترى عادة كما في غزوة بدر و غيرها . و قيل : ان المراد هو الدفاع عن حوزة الدين و ما أوحى إلى رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وعن المؤمنين وتعذيب المستكبر الطاغي بالخزي والنكال كيفما إقتضت الحكمة الالهية في الدنيا والآخرة .

أقول: والتعميم غير بعيد .

١٩ ـ (كلا لا تطعه و اسجد و اقترب)

في « كلا » أقوال : ١ ـ قيل : ردع لأبي جهل عن قبائح أقواله ، و شنيع أفعاله ، و سوء أحواله . . . و تكرار الردع للتأكيد . ٢ ـ قيل : أي ليس الأمر على ما يظنّه أبوجهل ولا على ما هو عليه إذ ينهى النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن عبادة ربه والصلاة له وحده . فردّ على قوله تعالى : « أرأيت الّذي ينهى عبداً إذا صلّى » أي لا تسمع لنهي هذا الغوي و لا تخش بأسه فانه مأخوذ بناصيته إلى جهنم بيد الزبانية .

٣ ـ قيل : مبالغة في زجر الكافر عن صلفه و كبريائه و نفي قدرته على ما تهدّد به . والمعنى : انه لن يصل إلى زعمه و إن يدعو ناديه و لئن دعاهم لا ينفعونه و لا ينصرونه فانه أذلّ و أحقر من أن يقاومك . ٤ ـ قيل : ردع و زجر و ردّ على جميع ماكان عليه أبوجهل من الطغيان والنهي عن الصلاة ، والتكذيب والتولي عن الحق ، و عجزه عن دعاء ناديه ، و عجزهم عن نصرتهم إياه .

أقول: والتعميم غير بعيد .

وفي قوله تعالى: « لاتطعه » أقوال : ١ـقيل : خطاب للمؤمن بنوعه والمعنى:

لا تطع أيّها المؤمن ، بل و لا تسمع لدعوة من ضلّ سبيل الرشاد . ٢ ـ قيل : خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى : لاتطع يا أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذا الناهي عن الصلاة في تركها ، و عن المداومة على العبادة و كثرتها . ٣ ـ قيل : أي أثبت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على ما أنت عليه من عصيان هذا الطاغي . ٤ ـ قيل : أي لاتطعه في طغيانه و تكذيبه و إعراضه . ٥ ـ قيل : أي لا تطعه في المداهنة لقوله عزوجل : « ودّوا لو تدهن فيدهنون » القلم : ٩) .

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق .

و في قوله عزوجل : « واسجد » أقوال : ١ ـ قيل : أي تقرّب إلى الله تعالى بالسجود له وحده لا إلى سواه . والمعنى: اسجد يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم للتقرب منه ، فان أقرب ما يكون العبد من الله إذا سجد له . ٢ ـ قيل : أي صلّ لله تعالى وحده و توفّر على عبادة الله فعلاً و إبلاغاً . قيل : و صلّ حيث شئت و لا تباله فان الله حافظك و ناصرك و هو يعصمك من الناس . فالمراد بالسجود : الصلاة . و قيل : لعلّ الصلاة التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي بها يومئذ كانت تسبيحه تعالى والسجود له.

٣ ـ عن زيد بن أسلم : أي اسجد أنت يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصلّياً . ٤ ـ قيل : اريد بالسجود هنا سجود التلاوة في هذه السورة وهي إحدى عزائم السور الأربع ...

٥ ـ قيل: أي و صلّ و سلّم ربك على ما أمرك بالتقرب إليه وما نهاك عنه عن طاعة عدوك الصلف المتكبّر .

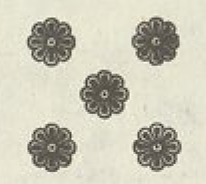
أقول: والثالث هو الأنسب بظاهر السياق من غير تناف بينه و بين بعض الأقوال الاخر .

و في قوله تعالى : « واقترب » أقوال : ١ ـ قيل : أي واقترب منه تعالى بالتحبّب إليه بطاعته و عبادته ، فان أباجهل لن يقدر على ضرّك و نحن نمنعك منه . ٢ ـ قيل: واقترب إلى الله تعالى بالدعاء والمناجات . . . ٣ ـ قيل: أي واقترب منه جلّ وعلا بالثواب . ٤ ـ قيل: أي إذا سجدت لله تعالى وحده فاقترب من الله

جل و علا بالدعاء . ٥ ـ قيل : أي واقترب إلى الله تعالى بالسجدة عند تلاوة هذه السورة ، فان أقرب ما يكون العبد من الله تعالى و هو ساجد .

٦ ـ عن زيد بن أسلم : أي واقترب أنت يا أباجهل من النار وضع قدمك على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وهو ساجد. وهذا تهكّم و تعريض بأن الله تعالى عاصم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم و حافظه .

أقول: والرابع هو الأنسب بظاهر السياق و ما ورد في المقام من غير تناف بينه و بين بعض الأقوال الآخر فتأمل جيّداً .



﴿التفسير والتأويل﴾

١- (اقرأ باسم ربك الذى خلق)

وقد جاء جبرئيل أمين الوحي عليه السلام بأمر الله تعالى في السابع والعشرين من شهر رجب المرجّب بصورة محسوسة محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وهو بغار حراء بمكة بلد الأمين، وهو صلى الله عليه وآله وسلم كان يتعبّد فيه لله عزّ وجلّ وحده فقال روح الأمين له صلى الله عليه وآله وسلم: يا محمد! يقول الله جلّ وعلا: إقرأ ما أقرأك إياه من كتاب ربك مفتتحاً مستعيناً باسم ربك الذي خلق الكائنات كلّها بكمال قدرته وارادته و رحمته وعلمه وحكمته، و منها هذا الانسان المكلّف وأنت رسول إليه.

قال الله عزّ وجلّ: «وان ربك هو العزيز الرحيم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربيّ مبين» الشعراء: ١٩١ - ١٩٥)

وقال: «وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم» النمل: ٦)

وقال: «واتل ما اوحى إليك من كتاب ربك» الكهف: ٢٧)

فهذا الأمر الذي آمرك به ليس بأمرى، وإنّما هو أمر ربك الذي يدعوك إلى أن تقرأ ما أقرأك إياك من كتاب ربك، إقرأ يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأنت قارىء الآن باذن الله تعالى وقدرته، وإن لم تكن قارئاً قبله.

فما كان محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلو من قبل رسالته من كتاب، فأخذ يتلوه هنا: «إقرأ» وما كان يعلم: «وعلّمك ما لم تكن تعلم» فانه كان امياً من قبل، وقد كانت

اميّته امية مباركة ، وقد فتحت عليه ﷺ خزائن علم الله عزّ وجل إذ بعث إليه جبرئيل أمين الوحي عليه السلام من عنده يقرأ عليك كتاب الله تعالى ، ويملأ قلبه هدى ونوراً منه ، ولهذا كان النبي ﷺ قارئاً فقرأ مايلقى إليه جبرئيل باسم ربه.

إذ لاخير في قول ولا بركة في فعل لايفتتح ولا يستعان فيه باسم الله المبارك ، فينبغي الاستغاثة بالله جل وعلا والافتتاح باسمه المبارك .

قال الله عز وجل ، « إستعينوا بالله » الأعراف : ١٢٨)

وقال : « والله المستعان » يوسف : ١٨)

وقال : « تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام » الرحمن : ٧٨)

وماورد في « خلق » فمن باب التأويل وهو اللب والمحور فتأمل جيداً .

٢- (خلق الانسان من علق)

خلق ربك بقدرته الانسان المتناسل من قطعة دم غليظ، وهي أشبه شيء بدود أسود وأحمر يسمّى بالعلقة ، وهي مرحلة ثانية لهذا الانسان بعد إستقرار مادته المنوية في الرحم ومضيّ أربعين يوماً عليها ، ودورته الثانية في الرحم هي أربعون يوماً وهو في هذه الدورة علقة .

قال الله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة » المؤمنون : ١٢ ـ ١٤)

وقال : « هو الّذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة » غافر:٦٧)

وقال : « أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منيّ يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى » القيامة : ٣٦ ـ ٣٨)

خلق الله تعالى هذا الانسان السويّ القويم من دم لزج مهين، وأودع فيه من القوى بها والمواهب ماليس في غيره ، وفتح له من أبواب العلم والمعرفة ، فهو يستطيع أن ينال بها إلى منازل الكمال ، وأوج الشرف ، ويصير أشرف المخلوقات كلها ...

وماورد في المقام فمن باب الجري والانطباق .

٣- (اقرأ وربك الاكرم)

إقرأ يا أيها النبي ﷺ على الناس وبلّغهم ماانزل إليك من القرآن الكريم من غير خوف و إضطراب ، ومن غير قلق وتوان ، إقرأه عليهم مستيقناً ان ربك هو الأكرم الذي لايوازيه كريم ، ولا كرم كريم كرمه ، أكرم في ربوبيته وتعليمه و فضله العظيم الذي لاحدود له ، وهو واسع العطاء لاينفد عطاؤه .

إقرأ يا أيها الرسول ﷺ ماأوحى إليك من ربك على الناس لتنذرهم به ، ومن كرمه أن يكرمك في هذه الرسالة والتبليغ وهو يحفظك عن الغوائل الآتية ، ويعصمك من الناس ، وهو الذي يفوق كرمه كرم ما سواه لان كرامته ذاتية له جل وعلا فلا يقاس كرم بكرمه . ومن كرمه إنزال القرآن الكريم نجوماً .

قال الله تعالى : « كتاب انزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به » الأعراف : ٢)

وقال : « و كذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر ام القرى ومن حولها » الشورى : ٧)

وقال : « واتل ماأوحى إليك من كتاب ربك » الكهف : ٢٤)

و قال : « و قرآناً فرقناه لتقرأه علي الناس على مكث و نزّلنا تنزيلاً » الاسراء : ١٠٦)

وقال : « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » الطور : ٤٨)

٤- (الذى علم بالقلم)

ربك الأكرم هو الذي علّم الانسان الخطّ والكتابة بواسطة القلم بأن جعل الله عزّ وجلّ الانسان مستعداً للكتابة كما جعل القلم آلة تنطق ماأراد به الانسان حيث ان القلم إحدي اللسانين .

ومن البديهي ان فضل القلم باعتبار ما ينشأ عنه من الكتابة . . .

قال الله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون » القلم : ١)

وقال: « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله » لقمان : ٢٧)

٥- (علم الانسان مالم يعلم)

علّم ربك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الانسان من الذكر والانثى ، من الأبيض والأسود ، من الأحمر والأصفر، من ولد المؤمن والكافر، من ولد العالم والجاهل ، من ولد التاجر والزارع ، من ولد الرئيس والمرؤس ، ومن ولد المدني والقروي . . بأن جعلهم الله عزّ وجل مستعدين لاظهار ما في كمونهم من الهدى والبيان . . ولتحصيل مالم يعلم قبل تعليمه كل بحسبه ، وقدر إستعداده من الكتابة والصناعة والحرف وما يقوم به الكمال والنظام . . . وبه يمتاز الانسان من غيره ، ويفوق على ماسواه من الخلق حتى الملائكة ، ولذلك أنزل الله تعالى عليهم كتاباً فيه تبيان كل شيء، فينبغي لهم أن يتعلّموا ويعلّموا . . .

قال الله تعالى : « والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » النحل : ٧٨)

وقال : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان » الأحزاب : ٧٢)

وقال : « وعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لاعلم لنا إلّا ما علّمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم قال ألم أقل إني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون » البقرة : ٣١ _ ٣٣)

وقال : « وعلّمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم » الأنعام : ٩١)

وقال : « كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم مالم تكونوا تعلمون- فاذكروا الله كما علّمكم مالم تكونوا تعلمون » البقرة : ١٥١ _ ٢٣٩)

وماورد في الآية الكريمة فمن باب التأويل وهو اللب فتأمل جيداً .

وقد قال بعض خبراء المفسرين لبعض الفلاسفة والمتكلمين : « أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لايموت » وهذا العلم المشار إليه هو علم الوراثة لاعلم الدراسة يعنى أن علوم الأنبياء عليهم السلام لدنية ، فمن كان علمه مستفاداً من الكتب والدراسة بلا إستناده إلى الكتاب والرواية فليس هو من ورثة الأنبياء عليهم السلام لأن علومهم لايستفاد إلا من الله عز وجل كما قال : « وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم » العلق : ٣ - ٥)

ولا تظن أن التعليم العام من عند الله عز وجل يختص بهم لايتجاوز غيرهم إذ قال الله تعالى : « فاتقوا الله ويعلمكم الله » البقرة : ٢٨٢) فكل من وصل إلى حقيقة التقوى فلابد أن يعلمه الله مالم يعلم ويكون معه كما قال الله جل و علا : « ان الله مع الذين اتقوا والذينهم محسنون » النحل : ١٢٨)

٦- (كلا ان الانسان ليطغى)

نعم حقاً ان الانسان وهو أبو جهل بن هشام ليتجاوز الحد ويستمر في طغيانه وعدوانه ، في بغيه وعناده ، في لجاجه وإستكباره ، وفي جهله وإستبداده . . .

وهو الذي جعل علم الجهل على عاتقه ، وارتفع راية المخالفة تجاه العلم ، و جعل طوق الشرك على عنقه ، وهو خالف العبودية لله جل وعلا .

وان أباجهل هو زعيم أهل الجهل والطغيان وهو فرعون هذه الامة على ماورد : ان لكل امة فرعون ، وفرعون هذه الامة أبو جهل ، فمن سلك مسلكه وجعله إماماً فهو معه ، وان الآية الكريمة شاملة له بلاريب .

قال الله عز وجل : « يوم ندعوا كل اناس بامامهم - ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » الاسراء : ٧١ - ٧٢)

ان المراد بالطغيان : المجاوزة عما لاينبغي التجاوز عنه سواء كانت في العقائد أم كانت في الأقوال والأفعال ، ومن آثارها الشؤمة هي الكفر بالله تعالى والتكذيب

برسوله صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به وباليوم الآخر والحساب والجزاء فيه، والبقاء على الشرك والاستمرار على الجور والاستبداد، والافساد في الأرض، و إشاعة الفحشاء و قتل النفس بغير حق، وهتك الأعراض المحترمة وهضم حقوق الناس وما إليها من المفاسد...

قال الله تعالى: «إذهب إلى فرعون انه طغى فقل هل لك إلى أن تزكّى وأهديك إلى ربك فتخشى فأراه الآية الكبرى فكذّب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى» النازعات: ١٧ - ٢٦)

وقال: «وفرعون ذي الأوتاد الّذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصبّ عليهم ربك سوط عذاب» الفجر: ١٠ - ١٣)

هذا فرعون طاغي مصر وبعض آثار طغيانه، وأما فرعون هذه الامة أبو جهل بن هشام فمن آثار طغيانه انه كان يخالف العلم لأوّل مرّة، وكان ينهى نبي الاسلام خاتم النبيين محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عن العبودية لله جل وعلا، ويمنعه عن إبلاغ الرسالة وعن دعوة الناس إلى التوحيد والايمان وصالح الأعمال والعلم... فكيف الناس... وكان يكذّب بالدين ويعرض عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسعى ما في وسعه في إطفاء نور الله جل وعلا ونشر الشرك والفساد وما إليها من المفاسد، فمن تبعه ومن هو زعيمه، ومن هو أبوه في الجهل والطغيان، فتظهر منه تلك الآثار بلا ريب كما نرى الأتباع والأبناء والآثار في زماننا هذا يوماً فيوماً...

٧- (أن رآه استغنى)

لأنه رآى نفسه مستغنياً عن الله جلّ وعلا وعبادته بما يرى له من الأعوان والأنصار، من كثرة العدد والعدد، ومن القوى والأضراب... كما يشير إليه قوله تعالى: «فليدع ناديه» ومن الأموال والأسباب المادية اللاهية...

ومن المعلوم: أن المال ليس سبباً للطغيان على الاطلاق، ولهذا ذهب أكثر

المحققين إلى أن الانسان في الآية الكريمة مخصوص وهو أبو جهل ومن يسلك مسلكه كيف لاوان المال لم يزد في سليمان عليه السلام ومن إليه إلّا تواضعاً وعبودية ، وقد ورد صحيحاً : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » ولو أنصف العاقل وتأمّل وجد نفسه في حال الغنى أشدّ إفتقاراً إلى الله عز وجل لأن الفقير لا يتمنّى إلّا سلامة نفسه، والغنى يتمنّى سلامة نفسه وماله وأهله وجاهه . . .

نعم: ان الانسان كثيراً ماينسى فضل الرب وعنايته به : « وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونآ بجانبه » الاسراء : ٨٣) ويرى غناه بسبب الجهد والكدّ، فينسب ذلك إلى كفائته لا إلى عناية الله تعالى ، و لم يدرانه كم من باذل وسعه في الحرص والطلب لم يحصل إلّا على خفي حنين ، وان الله تعالى قد يرجع الغنى آخر الأمر إلى الفقر لينبّهه ومن على رأيه أن الغنى لم يكن بفعله و كسبه ، وإنّما ذلك بارادة الله تعالى وقدرته ، بعلمه وتدبيره على ما تقتضيه الحكمة الالهية .

قال الله عز وجل في أضراب أبي جهل : « ودّوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كلّ حلاّف مهين همازمشاء بنميم منّاع للخير معتد أثيم عتلّ بعد ذلك زنيم أن كان ذامال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأوّلين سنسمه على الخرطوم » القلم : ٨ ـ ١٦)

وقال : « ألهاكم التكاثر حتّى زرتم المقابر كلاّ سوف تعلمون » التكاثر: ١ـ٣)

و قال : « ويل لكل همزة لمزة الّذي جمع مالاً وعدّده يحسب أن ماله أخلده » الهمزة : ١ ـ ٣)

وقال : « ما أغنى عنه وما كسب » المسد : ٢)

كما كان هذا الطاغي وأضرابه يستغنون عن الله جل وعلا بالأصنام والأوثان والهياكل المصنوعة والآلهة المنحوتة ، ويستهزؤن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يكذّبون بما جاءهم به .

قال الله عزّ وجلّ : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد

ولا أناعابد ما عبدتم ولاأنتم عابدون ماأعبد لكم دينكم ولي دين »الكافرون:١-٦)

وقال : « انهم كانوا إذاقيل لهم لاإله إلاّالله يستكبرون ويقولون أإنالتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » الصافات : ٣٥ ـ ٣٦)

وقال : « وإذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الّذين لايؤمنون بالآخرة و إذا ذكر الّذين من دونه إذاهم يستبشرون » الزمر : ٤٥)

وقال : « وإذا رأوك إن يتخذونك إلّاهزواً أهذا الّذي بعث الله رسولاً ان كاد ليضلّنا عن آلهتنالولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً أرأيت من اتخذ إليه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً » الفرقان : ٤٢ ـ ٤٤)

وقال : « ومانرى معكم شفعاؤكم الّذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقدتقطّع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون » الانعام : ٩٤)

٨ـ (ان الى ربك الرجعى)

ان إلى ربك وحده أيّها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم مرجع كل أحد ، فكيف يطغى هذا الطاغي بما له وقواه ، بأعوانه وأضرابه ، وبعدده وعشيرته . . . ويعصى ربه ، ورجوعه إلى ربك ، وهوجلّ وعلا قادر على إهلاكه ودماره في الحياة الدنيا ، و على مجازاته وعذابه إذا رجع إليه في الدار الآخرة!

فلا تحزن يا أيّها النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم عما ترى من كفره وطغيانه ، من بغيه و عدوانه ، ومن تمرّده وعصيانه . . . فيأتي هذا الطاغي وأتباعه من الخزي والنكال في الحياة الدنيا كما في غزوة بدر ثم النار والعذاب في الدار الآخرة .

قال الله عزّوجلّ في أبي جهل وفي أضرابه : « فستبصر ويبصرون ـ سنسمه على الخرطوم ـ كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ـ يوم يكشف عن ساق و يدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلّة و قد

كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون فذرني ومن يكذّب بهذا الحديث سنستد رجهم من حيث لايعلمون واملي لهم ان كيدي متين » القلم : ٥ و١٦ و٣٣ و٤٢ و٤٥)

وقال : « ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبّئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتّعهم قليلاً ثم نضطرّهم إلى عذاب غليظ » لقمان : ٢٣-٢٤)

١٠-٩- (أرأيت الذى ينهى عبداً اذا صلى)

أرأيت يا أيّها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هو ينهى عبداً إذا صلّى لربه الأكرم صلاة جديدة بأمره عند بيته الحرام ، فلو علمت ذلك فأخبرني عن حال هذا الطاغي المستكبر، هذا الباغي المستبدّ فان أمره لعجيب ، فانه بلغ به الكبر والطغيان ، و التمرّد والعدوان ، والعناد والكفران ، واللجاج والعصيان أن ينهى عبداً من عباد الله جل وعلا عبداً لايعرف قدره ولايوصف وصفه ، ينهاه عن صلاته عند بيت ربه ، ما أجهل من ينهى أشدّ الخلق عبودية عن الصلاة بعد قيامها والنهي عنها مذموم عند العقلاء إطلاقاً .

وقد كان من شهرة النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالعبودية ، فلا يحتاج إلى سبق الذكر كقوله تعالى : « سبحان الّذي أسرى بعبده » ... الاسراء : ١) وقوله: « الحمد لله الّذي أنزل على عبده الكتاب » الكهف : ١) وقوله : « تبارك الّذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » الفرقان : ١)

والمراد من الاستخبار إنكال الحال المستخبر عنها وتقبيحها على ما جاء في قوله عزّوجلّ : « أرأيت الّذي يكذّب بالدين » الماعون : ١)

ان شكل الّذي أدّى به النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم صلاته الاولى بتعليم الملك وصلّى بها مع خديجة عليها السلام وعلي عليه السلام في أوائل البعثة هو شكل الصلاة الاسلامية المعروف ، وذلك ان جبرئيل عليه السلام حينما إفترضت الصلاة بعد نزول خمس آيات من سورة العلق ، ونزول سورة الفاتحة علّم النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الوضوء والصلاة بأشكالها الاسلامية المعروفة ، وانه صلى الله عليه وآله وسلم صلّى بها الأوقات الخمسة من غير فصل بين الرسالة والصلاة.

وكفاك عظمة وأهميّة للصلاة في الاسلام: أنها أوّل ما فرضه الله عزّ وجلّ على عباده عقيب توحيد الربوبية وتكوين الانسان وتعليمه غير منفكّة عن البعثة زماناً، فقرنها بالوحي وذكرها إجمالاً في أوّل سورة أنزلها على رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ومن هنا جعلت أوّل فرع من الفروع الاسلامية، وأوّل أصل من اصول الدين وعماده لانها مظهر التوحيد من الانسان.

وان أوّل من نهي عن الصلاة هو أبوجهل بن هشام لعنه الله في أوائل تشريعيتها في الاسلام فانه كان ينهى محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها بعد ما أقامها عند بيت الله الحرام فضلاً عن إقامتها أو إرادتها وهو يقول: إن رأيت محمداً يصلّي لأطأنّ على عنقه، فلا يفعل الخير وينهى عن فعله، ولا يعبد الله عزوجل، وينهى عن عبادته... أيّ شيء أعجب من هذا! ومثله كل من يفعله مثله. وان الآية الكريمة تشمل لكل من ينهى عن الصلاة والخير.

وقد كان أبوجهل ينهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة ويتعرّض عليه في سبيل الدعوة وإبلاغ الرسالة، وكان هو وأضرابه ينهون الناس عن تلبية نداء الحق، والايمان بالله تعالى وصالح الأعمال، وعن سبيل الله جل وعلا إلى أنهم كانوا يصدّونهم عن المسجد الحرام حتى أظفرهم الله تعالى عليهم فآل أمرهم إلى الدمار والهلاك.

قال الله تعالى: «ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها حتّى إذا جاؤك يجادلونك يقول الّذين كفروا إن هذا إلّا أساطير الأوّلين وهم ينهون عنه و ينأون عنه» الانعام: ٢٥ ـ ٢٦)

وقال: «ان الّذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون» الأنفال: ٣٦)

وقال: «ان الّذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام الّذي

جعلناه للناس سواء » الحج : ٢٥)

وقال : « هم الذين كفروا وصدّوكم عن المسجد الحرام » الفتح : ٢٥)

وقال : « ومالهم ألّا يعذّبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام » الانفال:٣٤)

وقال : « وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم » الفتح : ٢٤)

١١-١٢- (أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى)

أخبرني يا أيها النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الطاغي الناهي عن الصلاة إن كان ذاك العبد المصلّي المنهي عن الصلاة على الهدى والاستقامة والسداد في صلاته لربه كيف يكون حال هذا الناهي ، وهو يعلم أن الله تعالى يراه فيما يفعل بالمصلّي!

أو أمر هذا المصلّي المنهي عن الصلاة الناس - ومنهم أبو جهل - بتقوى الله جل وعلا ، ودعاهم إلى الاخلاص والتوحيد ، ومخافة الله عزّ وجلّ وصالح الأعمال أينهاه مع ذلك عن الصلاة ، ويزجره عن الأمر بالتقوى ويتوعّده على ذلك !

١٣- (أرأيت ان كذب و تولى)

أخبرني يا أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن حال هذا الطاغي الناهي عن الصلاة إن كذّب رسالتك ودعوتك ، وكذّب الدلائل الواضحة والبراهين القاطعة في توحيد الربوبية ، والحكمة البالغة والقدرة المطلقة والعلم الشامل والتدبير التام . . . وأعرض عن الحق والايمان بما جئت به وذهب دون أن يصغى للدعوة ويهتمّ لها ، ودعا الناس إلى ما هو عليه من الكفر والطغيان ، والبغي والعدوان ، واللجاج والعناد . . .

وهو يعلم أنك حق ، وما جئت به حق ، ويعلم أن الله عزّ وجلّ يراه فيما يفعل ويعلم ما في صدره ويسمع ما يقول ، فكيف يطغى وينهى عن العبادة لله تعالى ويكذّب بالحق ويعرض عن الايمان به . . .

هو وأضرابه كانوا يكفرون ولكنّهم كاذبون ، و إن كان أكثر المشركين

الهمجاء لايعلمون كماكان أخصاء أهل الكتاب يعلمون أنه الحق و لكنهم كانوا يكتمونه.

قال الله تعالى : « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق - يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها - وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً» الجاثية : ٦ - ٩)

وقال : « فلاتجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » البقرة : ٢٢)

وقال:« إنمايفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون» النحل : ١٠٥)

وقال : « بل أكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون » الانبياء : ٢٤)

وقال في أهل الكتاب : « ولماجاءهم رسول من عندالله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهرهم كأنهم لايعلمون »البقرة:١٠١)

وقال : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » البقرة : ١٤٦)

وقال : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق و أنتم تعلمون » آل عمران : ٧١)

فماكانت تكنية إبن هشام المخزومي طاغي مكة وفرعون هذه الامة بأبي جهل لجهله بالحق وجهله إطلاقاً ،بل باعتبارمخالفته للعلم لأول مرة في الاسلام وإعراضه عن الحق وهويعلم أنه حق ، فشتان بين الجهل بالحق ومخالفته !!!

١٤- (ألم يعلم بأن الله يرى)

ألم يعلم هذا الطاغي أبوجهل فرعون هذه الامة ان الله جل وعلا يراه إذ يطغى ، فيعصي الله تعالى ويكفر به ويستكبر، ويجعل راية المخالفة على العلم على عاتقه ، ويقف وجه الحق ؟ ألم يعلم هذا الناهي عن الصلاة ان الله عز و جل يسمع كلامه حين ينهى عبداً محض نفسه في العبودية لله تعالى وحده عنها ؟ ألايعلم هذا

المكذّب الباغي ان الله سبحانه يعلم مافي قلبه من العناد واللجاج ، فيكذّب بماجاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ ألايعلم هذا المعرض عن الحق والرشاد ان الله جل وعلا يعلم مافي نفسه من الكبر والطغيان ؟ أفلا يعلم ان الله عزّ وجل يجازيه بما في صدره وما يقول به ومايفعله أتم الجزاء؟ أفلا يخاف سطوته وعقابه ؟ أفلا يخشى بأسه وعذابه؟؟؟

فالاستفهام تقريري كقوله تعالى : « قل لمن الأرض ومن فيها ـ سيقولون لله قل أفلا تذكّرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلاتتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنّى تسحرون بل آتيناهم بالحق وانهم لكاذبون» المؤمنون: ٨٤ ـ ٩٠)

وكقوله جلّ وعلا : « ولئن سئلتهم من خلق السموات والأرض وسخّر الشمس والقمر ليقولنّ الله فأنّى تؤفكون ـ ولئن سئلتهم من نزّل من السماء ماء فأحيابه الأرض من بعد موتها ليقولنّ الله » العنكبوت : ٦١ ـ ٦٢)

وقوله تعالى : « أولايعلمون ان الله يعلم مايسرّون وما يعلنون » البقرة:٧٧)

وقوله سبحانه : « أولم يعلموا أن الله يعلم سرّهم ونجواهم وان الله علاّم الغيوب » التوبة : ٧٨)

وقوله عزّ وجلّ : « ألم يعلموا انه من يحادد الله و رسوله فان له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم » التوبة : ٦٣)

١٥ـ (كلالئن لم ينته لنسفعاً بالناصية)

نعم حقّاً انى اقسم بعزّتي وجلالي ، وبقدرتي وعظمتي لئن لم ينته أبوجهل عن كفره وطغيانه وعن تمرّده وبغيه ، لئن لم يرجع عن شقاقه وعدوانه ، وعن لجاجه وعناده ، لئن لم ينزع عن ضلاله وغروره وعن إستكباره وإستبداده ، لئن لم يرعو عن غيّه وفساده ، لئن لم يكفّ عن نهي المصلّي عن صلاته وايذائه ، لئن لم ينصرف عن موقف الطاغي ولم ينته عن وجه الحق، لئن لم يثوب إلى رشده وصوابه ، ولئن

لم يؤمن بربه ولم يستقم على هداه . . .

لنأخذنه أخذ عزيز مقتدر : أخذ الذليل المهان في الحياة الدنيا ، و لنذلّنّه هذا المتشامخ بأنفه تذليلاً لايترقب ، ولنهيننّه هذا المتطاول برأسه ، ولنحشرنّه منكّساً وعمى ولنجذبنّه بقوة في الدار الآخرة ، ولنلطمن بشدّة ولنجرنّه من رأسه جرّاً إلى نار جهنم ولنسودن وجهه . و مثل أبي جهل من فعل مثله ، وكان مآله مآله.

قال الله جل وعلا : « سنسمه على الخرطوم ـ كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ـ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلّة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون فذرني ومن يكذّب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملى لهم ان كيدي متين» القلم : ١٦ ـ ٤٥)

وقال : « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام» الرحمن:٤١)

وقال :« وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم» المائدة: ٧٣)

وقال : « كذّبوا بآياتنا كلّها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر » القمر:٤٢)

وقال ، « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة أليس في جهنم مثوى للمتكبّرين » الزمر : ٦٠)

١٦ـ (ناصية كاذبة خاطئة)

ناصية أبي جهل كاذبة في قولها ، خاطئة في عقيدتها وفعلها ، فطغت حدّها وعتت عن أمر ربها ، وفرغت من كل خير وبرّ وإحسان ، فحشوها الكذب والضلال والبغي والعناد واللجاج والعدوان، ونبتها الجرم والخطيئة والاثم والجناية ، فكانت النار أولى بها حطباً ووقوداً ، ناصية تظهر آثار الكفر والطغيان وآثار الخطأ والعصيان منها .

ولا يخفى ان الخاطىء أفظع من المخطيء، ولهذا قال: «لا يأكله إلاّ الخاطئون» الحاقة: ٣٧)

فالخاطىء معاقب مأخوذ، والمخطىء لا يكون مأخوذاً: «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا» البقرة: ٢٨٦)

١٧- (فليدع ناديه)

فليدع هذا الطاغي الناهي عن الصلاة وهو أبو جهل المكذّب بالحق، والمعرض عن الايمان بالله تعالى ماكان يتباهى به من أضرابه وأعوانه ممن كان يجلس معهم وعشيرته، ومن يدير أحاديث الكفر والضلال والاثم والعناد عليهم، وليهتف ماكان يستغنى به عن الله جلّ وعلا من المادية اللاهيّة يسعى بها في إطفاء نور الحق عزّ وجل، وماكان يعبده من الأصنام والهيا كل المنحوتة لتنصّره يوماً، فليستنصر منها التنجّوه من عذابنا في الحياة الدنيا من الخزي والنكال، ويعينوه يوم الجزاء من الهول والشدائد، ويدفعوا عنه سوء العذاب إذا حلّ به عقاب الله تعالى.

النادى: مجلس القوم، والمقصود أهل المجلس ينتدى يتحدّث فيه القوم.

قال الله جل وعلا: «وتأتون في ناديكم المنكر» العنكبوت: ٢٩)

ولا يخفى ان الأمر تعجيزي يشير به إلى شدّة الأخذ والعذاب.

قال الله جل وعلا: «قل ادعوا شركائكم ثم كيدون فلا تنظرون» الاعراف: ١٩٥)

وقال: «والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون» الأعراف: ١٩٧)

وقال: «والّذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلاّ كباسط كفّيه إلى الماء ليبلغ فاه وماهو ببالغه» الرعد: ١٤)

وقال: «والّذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم» فاطر: ١٣ - ١٤)

وقال: «واتخذوا من دون الله آلهة لعلّهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم

لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرّون وما يعلنون » يس : ٧٤ _ ٧٦)

١٨- (سندع الزبانية)

سندع الزبانية ، فندفع بها الأعداء والمجرمين عن حوزة الدين والنّبي الكريم ﷺ وعن المؤمنين ، وقد نهلك بها الفجّار والمعاندين ، وننصر رسلنا والمؤمنين عليهم ، ونأخذهم أخذ الذليل المهان فيتبعه الخزي والدمار في الحياة الدنيا ، والعذاب والنار في الدار الآخرة .

فلا تخف من هذا الطاغي ولا من نادي هذا الناهي إذ ليس له ولالأعوانه ناصر ينصرهم إذا أخذناهم أخذ عزيز مقتدر .

قال الله تعالى : « بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله» آل عمران : ١٥٠_١٥١)

وقال : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون فتولّ عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتولّ عنهم حتّى حين وأبصر فسوف يبصرون » الصافات : ١٧١_١٧٩) .

وقال تعالى : « انّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة و لهم سوء الدار » غافر : ٥١_٥٢)

وقال : « وينصرك الله نصراً عزيزاً هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم و لله جنود السموات والأرض وكان الله عليماً حكيماً» الفتح : ٣_٤)

وقال :« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلّة فاتقوا الله لعلّكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم أن يمدّكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى

ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين وما جعله الله إلاّ بشرى لكم ولتطمئنّ قلوبكم به وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفاً من الّذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » آل عمران : ١٢٣-١٢٧)

وقال : « لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتهم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم ولّيتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذّب الذين كفروا و ذلك جزاء الكافرين » التوبة : ٢٥-٢٦)

وقال : « فأمّا الّذين كفروا فاعذّبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين » آل عمران : ٥٦)

١٩- (كلا لاتطعه واسجد واقترب)

« كلا» : يا أيّها الرسول ﷺ ليس لهذا الطاغي الناهي عن الصلاة ، و المكذّب بالحق ، والمعرض عن الايمان ناصر ينصره ، فلا ينجيه ناداه إذا ناداهم ، ولاهم يستطيعون أن ينصروه لو أجابوه ، ولا يغنيه ما له وثراه ، ولا يعينه ما يعبده ، فلا تخف منه ولا من غوغاه ، فانه أذلّ وأحقر من أن يضرّك أو يصدّك عن إبلاغ الرسالة ، فانه مأخوذ بناصيته في الحياة الدّنيا بالخزي و الهوان ، و في الآخرة بالنار والعذاب .

« لاتطعه » فلا تطع يا أيّها النبي ﷺ هذا الطاغي ، فلا يصدّك نهيه عن الصلاة عنها ، ولا تكذيبه عن الهدى ، ولا تولّيه عن الأمر بالتقوى ، فدم على ما امرت به ، واثبت على ما أنت عليه من الحق فانك في حمايتنا .

وإنّما المراد بالنهي عن إطاعة الطاغي هو الاستقامة فيما امر به الرسول ﷺ وعدم الاهتمام على تعرّض الطاغي عليه وأذاه ، وعدم المداهنة على ماشاء

هو وأضرابه قال الله جلّ وعلا: «فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وامرت لأعدل بينكم» الشورى : ١٥)

وقال : «فاستقم كما امرت ومن تاب معك» هود : ١١٢)

و قال : «ولا تطع الكافرين و المنافقين ودع أذاهم و توكّل على الله» الأحزاب : ٤٨)

وقال : «فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم» الانسان : ٢٤)

وقال : «واتبع ما يوحى إليك من ربك» الاحزاب : ٢)

وقال : «فلا تطع المكذّبين ودّوا لو تدهن فيدهنون» القلم : ٨ ـ ٩)

وقال : «واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً وذرني و المكذبين اولى النعمة ومهّلهم قليلاً إن لدينا انكالاً وجحيماً» المزمل : ١٠-١٢)

وقال : «واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا» الطور : ٤٨)

«واسجد»: وتوفّر علي عبادة ربك ليلاً و نهاراً ، وبكرة وأصيلاً ، واسجد له وحده مصلّياً وعند تلاوة هذه السورة فلا تخف فان هذا الطاغي الناهي لا يستطيع أن يطأ رقبتك كما يخوّفك ويدّعى ، فانه أحقر وأذلّ من أن يقدر على ذلك كيف و أنت بأعيننا!

«واقترب»: تقرّب إلى الله تعالى بالسجدة والتسبيح فان أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وان الصلاة والتسبيح والتقرب من الله جل وعلا تطمئنّ بها القلوب وبها تقدر أنت على اعباء النبوة وأداء الرسالة .

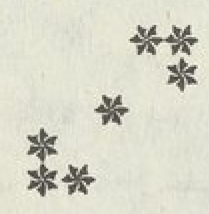
قال الله تعالى: «فاصبر علي ما يقولون وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبّحه وادبار السجود» ق : ٣٩-٤٠)

وقال : «انا نحن نزّلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ومن الليل فاسجد له وسبّحه

ليلاً طويلاً» الانسان : ٢٣-٢٦)

وقال : « قم الليل إلّا قليلا نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلاً انا سنلقى عليك قـولاً ثقيلاً ان ناشئة الليل هي أشدّ وطأ و أقـوم قليلاً » المزمل : ٢-٦)

وقال : « ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب » الرعد : ٢٨)



﴿جملة المعاني﴾

٦١٠٧ـ (اقرأ باسم ربك الذى خلق)

إقرأ يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما نقرأ عليك وما نلقى إليك من الوحي مفتتحاً مستعيناً باسم ربك الذي خلق الكائنات كلّها بكمال قدرته و حكمته .

٦١٠٨ـ (خلق الانسان من علق)

خلق ربك بقدرته المطلقة الانسان المتناسل من قطعة دم غليظ ، و هي أشبه شيء بدود أسود و أحمر يسمّى بالعلقة ، و هي مرحلة ثانية لهذا الانسان بعد إستقرار مادته المنوية في الرحم و مضيّ أربعين يوماً عليها .

٦١٠٩ـ (اقرأ و ربك الاكرم)

إقرأ يا أيّها النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الناس ما انزل إليك من الوحي السماوي مستيقناً ان ربك هو الأكرم الّذي لا يوازيه كريم .

٦١١٠ـ (الذى علم بالقلم)

ربك الأكرم هو الّذي علّم الانسان الخطّ والكتابة بواسطة القلم .

٦١١١ـ (علم الانسان مالم يعلم)

علّم ربك الانسان مالم يعلم من قبل .

٦١١٢ـ (كلا ان الانسان ليطغى)

نعم حقاً ان الانسان وهو أبو جهل ليتجاوز الحدّ ويصرّ في طغيانه ، ومثله من سلك مسلكه .

٦١١٣ - (أن رآه استغنى)

لانه رآى نفسه مستغنياً عن الله جلّ و علا بما رآى له من الأموال والأعوان . . .

٦١١٤ - (ان الى ربك الرجعى)

ان إلى ربك وحده أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرجع كلّ أحد ، فكيف يطغى هذا الطاغي بماله و قواه .

٦١١٥ - (أرأيت الذى ينهى)

أرأيت أيّها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هو ينهى .

٦١١٦ - (عبداً اذا صلى)

لربه الأكرم صلاة جديدة بأمره تعالى عند بيته الحرام .

٦١١٧ - (أرأيت ان كان على الهدى)

أخبرني يا أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الطاغي الناهي عن الصلاة إن كان المصلّي المنهي عنها على الهدى و سبيل الرشاد والصواب .

٦١١٨ - (أو أمر بالتقوى)

أو أمر هذا المصلي الناس بالتقوى و يدعوهم إلى الحق والهدى ، كيف يكون حال هذا الطاغي الناهي .

٦١١٩ - (أرأيت ان كذب و تولى)

أخبرني يا أيّها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن حال هذا الطاغي الناهي عن الصلاة إن كذّب رسالتك و أعرض عن الهدى .

٦١٢٠ - (ألم يعلم بأن الله يرى)

ألم يعلم هذا الطاغي ان الله جل و علا يراه إذ يطغى و ينهى عن الصلاة ، و يخالف العلم والهدى ؟

٦١٢١ - (كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية)

نعم حقاً انّي اقسم بعزتي و جلالي لئن لم ينته هذا الطاغي عن طغيانه ، وهذا الناهي عن نهيه الصلاة لنأخذنه ناصيته بالشدة و نذلّنّه في الدنيا والآخرة .

٦١٢٢ - (ناصية كاذبة خاطئة)

تظهر آثار الكذب والخطأ من ناصية هذا الطاغي الناهي عن الصلاة .

٦١٢٣ - (فليدع ناديه)

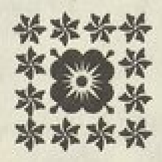
فليدع هذا الطاغي عندئذ ما كان يتباهى به من أضرابه و أعوانه ، و من ماله و ثراه .

٦١٢٤ - (سندع الزبانية)

سندع الزبانية فندفع بها الأعداء فنعذّبهم بهم .

٦١٢٥ - (كلا لا تطعه واسجد واقترب)

ليس لهذا الطاغي ناصر ينصره فلا تطعه فيما ينهاك عن الصلاة والدعوة و إبلاغ الرسالة ، واسجدلله تعالى وحده ، واقترب إليه عزوجل بالصلاة والتسبيح والسجود .



﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : باسناده عن عبدالله بن كيسان عن أبي جعفر عليه السلام قال : نزل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا محمد إقرأ قال : وما أقرأ ؟ قال : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » يعني خلق نورك القديم (نورك الله الاقدم القديم خ) قبل الأشياء « خلق الانسان من علق » يعني خلقك من نطفة (من علقة خ) و شق منك علياً عليه السلام « إقرأ وربك الأكرم ألذي علم بالقلم » يعني علم علي بن أبيطالب عليه السلام « علم الانسان مالم يعلم » يعني علم علياً عليه السلام من الكتاب مالم يعلم قبل ذلك .

قال علي بن إبراهيم في قوله : « إقرأ باسم ربك » : إقرأ باسم الله الرحمن الرحيم الّذي خلق « خلق الانسان من علق » قال : من دم « إقرأ و ربك الأكرم الّذي علم بالقلم » قال : علم الانسان بالكتابة الّتي بها تتم امور الدنيا في مشارق الأرض ومغاربها ، ثم قال : « كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » قال : ان الانسان إذا استغنى يكفر ويطغى وينكر .

وفي الكافي: باسناده عن الحسن بن الجهم قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : قال أبو جعفر عليه السلام : ان النطفة تكون في الرحم أربعين يوماً ثم تصير علقة أربعين يوماً ثم تصير مضغة أربعين يوماً ، فاذا كمل أربعة أشهر بعث الله ملكين خلاقين فيقولان : يا رب ماتخلق ذكراً أو انثى ؟ فيؤمران فيقولان : يارب شقياً أوسعيداً ؟ فيؤمران فيقولان : يارب ما أجله ومارزقه ، و كل شيء من حاله وعدد من ذلك أشياء ويكتبان الميثاق بين عينيه ، فاذا أكمل الله له الأجل بعث الله ملكاً ، فزجره

زجزة فيخرج ، وقد نسي الميثاق ، فقال الحسن بن الجهم : فقلت له : أفيجوز أن يدعو الله فيحوّل الانثى ذكراً والذكر انثى فقال : ان الله يفعل ما يشاء .

وفيه: باسناده عن زرارة بن أعين قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إذا وقعت النطفة في الرحم إستقرّت فيها أربعين يوماً و تكون علقة أربعين يوماً و تكون مضغة أربعين يوماً ثم يبعث الله ملكين خلّاقين ، فيقال لهما : اخلقا كما يريد الله ذكراً أو انثى صوّراه و اكتبا أجله و رزقه ، ومنيّته وشقياً أو سعيداً و اكتبا لله الميثاق الذي أخذه عليه في الذرّ بين عينيه ، فاذا دنا خروجه من بطن امّه بعث الله إليه ملكاً يقال له : زاجر فيزجره فيفزع فزعاً فينسى الميثاق ، و يقع إلى الأرض يبكي من زجرة الملك .

أقول: و لا يبعد أن يكون المراد بقوله عليه السلام : « بعث الله ملكين خلاّقين » ان الله تعالى يبعث ملكين ليفعل أحدهما ويقبل الآخر فان في كل فعل جسماني لابد من فاعل و قابل ، و بعبارة اخرى يملي أحدهما و يكتب الآخر ، والمراد بكتابة الميثاق بين عينيه كناية عن مفطوريته على التوحيد وشهادته بلسان عجزه وإفتقاره على عبوديته وربوبية معبوده كما اشير إليه في قول رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه »

و إنّما ينسي الميثاق بالزجرة والخروج لدخوله بهما في عالم الأسباب الحائلة بينه و بين مسبّبها المانعة له عن إدراكه في بعض الأحوال . . . و إنّما اجمل الامام عليه السلام عن جواب السئوال لعلمه بقصور فهمه عن البلوغ إلى نيل ذراه .

وفيه: باسناده عن محمد بن مسلم قال: سئلت أباجعفر عليه السلام عن الرجل يضرب المرأة فتطرح النطفة ، فقال عليه عشرون ديناراً فقلت : فيضربها فتطرح العلقة فقال: عليه أربعون ديناراً قلت: فيضربها فتطرح المضغة قال : عليه ستّون ديناراً قلت : فيضربها فتطرحه و قد صار له عظم ، فقال : عليه الدية الكاملة بهذا قضى أمير المؤمنين عليه السلام قلت : فما صفة خلقة النطفة التي تعرف بها ؟ فقال: النطفة تكون

بيضاء مثل النخامة الغليظة ، فتمكث في الرحم إذا صارت فيه أربعين يوماً .

ثمّ تصير إلى علقة قلت : فما صفة خلقة العلقة الّتي تعرف بها ؟ فقال : هي علقة كعلقة الدم المحجمة الجامدة تمكث في الرحم بعد تحويلها عن النطفة أربعين يوماً ثم تصير مضغة قلت : فما صفة المضغة و خلقتها الّتي تعرف بها ؟ قال : هي مضغة لحم حمراء فيها عروق خضر مشتبكة ، ثم تصير إلى عظم قلت : فما صفة خلقته إذا كان عظماً ؟ فقال : إذا كان عظماً شقّ له السمع والبصر و رتّبت جوارحه ، فاذا كان كذلك فان فيه الدية كاملة .

وفيه: باسناده عن سعيد المسيّب قال : سئلت علي بن الحسين عليه السلام عن رجل ضرب إمرأته حاملاً برجله ، فطرحت ما في بطنها ميّتاً فقال : إن كان نطفة ، فان عليه عشرين ديناراً قلت : فما حدّ النطفة ؟ فقال : هي الّتي إذا وقعت في الرّحم فاستقرّت فيه أربعين يوماً قال : و إن طرحته وهو علقة فان عليه أربعين ديناراً قلت : فما حدّ العلقة ؟ فقال : هي الّتي إذا وقعت في الرحم فاستقرّت فيه ثمانين يوماً ، قال : و إن طرحته وهو مضغة فان عليه ستين ديناراً قلت : فما حدّ المضغة ؟

فقال : هي الّتي إذا وقعت في الرحم فاستقرّت فيه مأة وعشرين يوماً ، قال : و إن طرحته و هو نسمة مخلّقة له عظم و لحم مزيل الجوارح قد نفخ فيه روح العقل ، فان عليه دية كاملة قلت له : أرأيت تحوّله في بطنها إلى حال أبروح كان ذلك أو بغير روح ؟ قال : بروح عدا الحياة القديم المنقول في أصلاب الرجال وأرحام النساء ولولا أنه كان فيه روح الحياة ما تحوّل عن حال بعد حال في الرحم ، و ما كان اذن على من يقتله دية و هو في تلك الحال .

وفيه: باسناده عن الحسين بن خالد قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام إنا روينا عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : من شرب الخمر لم يحتسب صلاته أربعين يوماً قال : فقال : صدقوا قلت : و كيف لاتحتسب صلاته أربعين صباحاً لا أقلّ من ذلك ولا أكثر ؟ فقال : ان الله جل وعزّ قدّر خلق الانسان فصيّره نطفة أربعين يوماً ثم نقلها فصيّرها

علقة أربعين يوماً ثم نقلها فصيّرها مضغة أربعين يوماً فهو إذا شرب الخمر بقي في مشاشه أربعين يوماً على قدر إنتقال خلقته، ثم قال عليه السلام: كذلك جميع غذاء أكله و شربه يبقى في مشاشه أربعين يوماً.

أقول: وقدأوردنا الروايات لما فيها من تحديد العلقة الّتي خلق منها الانسان بأربعين يوماً بعد دورة النطفة.

و في تفسير القمي: عن إبن أبي عمير عن هشام عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أوّل ماخلق الله القلم، فقال له: اكتب فكتب ماكان وماهو كائن إلى يوم القيامة.

أقول: ولا يخفى على من له الدراية: ان أوليّة خلق القلم إضافيّة لسبق خلق الجنة والعقل ونور محمد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين عليه.

وفي الدر المنثور: عن عبادة ابن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن أوّل ماخلق الله القلم، فقال له: اكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد.

أقول: و سيأتي البحث في القلم إن شاء الله تعالى.

في رواية: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «لا يكن فقرك كفراً و غناك طغياناً».

و في رواية: قال الامام علي عليه السلام: «خير العيش مالا يطغيك ولا يلهيك».

و في رواية اخرى: قال الامام علي عليه السلام: «إذا بلغ المرء من الدنيا فوق قدره تنكّرت للناس أخلاقه».

قال الله عزّ وجل: «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير» الشورى: ٢٧).

وذلك لانّ الله سبحانه لو وسّع الرزق على عباده وسوّى بينهم وسواهم فيه لبطروا النعمة وتنافسوا وتغالبوا وكان ذلك يؤدى إلى وقوع الفساد بينهم والقتل وتغلب بعضهم على بعض كما نرى ان المنازعة كثيراً ما بين الثراة والاقوياء والاغنياء لابين الفقير والغنى ولابين القادر والعاجز وهكذا..

ولكن الله جلّ وعلا دبّرهم على ما علم من مصلحتهم في غناء قوم وفقر آخرين وإحواج بعضهم إلى بعض وتسخير بعضهم لبعض ولولاذلك لماوقع المجتمع إذ لولا الغنى والفقير والعالم والجاهل والقادر والعاجز وكان الجميع اغنياء علماء اقوياء لما وجد خبّاز ولا نعّال ولا خياط ولا بناء ولا عملة ولا شرطة ولا رئيس ولا مرؤس .. فيخرب العالم وتعطلت المصالح لان كل غنى يميل إلى أجلى العمل وأفضله في حياته ..

فاغناء الله تعالى طائفة وإحواج الاخرين لم يكن ببخل منه سبحانه على عباده ولا بعجزه عن إغناء الجميع ولانفاد ما في خزائنه مع كون الانسان متكبراً بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة ليطغى، قال الله تعالى: «كلاّ انّ الانسان ليطغى أن رآه استغنى» العلق: ٦ ـ ٧).

وفي الفقيه: روى عبد الواحد بن المختار الأنصاري عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئلته عن صلاة الضحى؟ فقال: أوّل من صلاّها قومك انهم كانوا من الغافلين فيصلونها ولم يصلّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي نور الثقلين: وقال: ان علياً عليه السلام مرّ على رجل وهو يصلّيها، فقال عليّ عليه السلام: ما هذه الصلاة؟ قال: أدعها يا أمير المؤمنين؟ فقال علي عليه السلام: أكون أنهى عبداً إذا صلّى؟

وفيه: وقد روى عن علي عليه السلام انه خرج في يوم عيد فرآى اناساً يصلّون فقال: يا أيّها الناس قد شهدنا نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم في مثل هذا اليوم فلم يكن أحد يصلّي قبل العيد ـ أو قال النبي ـ فقال رجل: يا أمير المؤمنين ألا تنهي أن يصلّوا قبل خروج الامام؟ فقال: لا اريد أن أنهي عبداً إذا صلّى، ولكنّا نحدّثهم بما شهدنا من النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أو كما قال.

وفي المجمع: في قوله تعالى: «أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلّى» قال: فقد جاء في الحديث: ان أباجهل قال: هل يعفر محمّد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم قال: فبالّذي يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ على رقبته، فقيل له: ها

هو ذلك يصلّي فانطلق ليطأ على رقبته فما فجأهم إلّا وهو ينكص على عقبيه و يتقي بيديه ، فقالوا : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : ان بيني و بينه خندقاً من نار وهو لا و أجنحة ، و قال نبيّ الله : والّذي نفسي بيده لودنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً فأنزل الله سبحانه ! : « أرأيت الّذي ينهى . . . » إلى آخر السورة رواه مسلم في الصحيح .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى: « فليدع ناديه » قال: لما مات أبو طالب نادى أبو جهل والوليد عليهما لعائن الله : هلمّوا فاقتلوا محمّداً فقد مات الّذي كان ناصره ، فقال الله : « فليدع ناديـه سندع الزبانيـة » قال : كما دعا إلى قتل محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحن أيضاً : « ندع الزبانية » ثم قال : « كلا لا تطعه و اسجد و اقترب » أي لا يطيعون لما دعاهم إليه لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجاره مطعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف و لم يجسر عليه أحد .

أقول: و هذا من باب الجري والانطباق لأن الآيات نزلت في بدء البعثة بلاخلاف ، و قد مات أبو طالب عليه السلام سنة عاشرة من النبوة .

وفي المجمع : و في الحديث عن عبدالله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجداً .

و في الكافي : باسناده عن الوشاء قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : أقرب ما يكون العبد من الله عزّ وجلّ و هو ساجد و ذلك قوله عزّ وجلّ : « و اسجد و اقترب » .

وفيه: باسناده عن زيد الهشام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : أحب الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة وهي آخر وصايا الأنبياء عليهم السلام فما أحسن الرجل يغتسل أو يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يتنحّى حيث لا يراه أنيس ، فيشرف عليه و هو راكع أو ساجد ان العبد إذا سجد فأطال السجود نادى إبليس : يا ويلاه اطاع و عصيت و سجد و أبيت .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أقرب ما يكون العبد من ربّه و

أحبّه إليه ما كانت جبهته في الأرض ساجداً لله ».

وفى الحديث الصحيح: ان النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: « أما الركوع فعظّموا فيه الرب و أما السجود فاجتهدوا في الدعاء فانه قمن أن يستجاب لكم ».

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « قمن »: جدير.

و فى غوالى اللئالى: في حديث: انه لما نزل قوله تعالى: «واسجدوا اقترب» سجد النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال في سجوده: أعوذ بالله برضاك من سخطك، و بما فاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك حتّى لا احصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

و فى الكافى: باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا قرأت شيئاً من العزائم الّتي يسجد فيها فلا تكبّر قبل سجودك ولكن تكبّر حين ترفع رأسك والعزائم أربع: حم السجدة و تنزيل والنجم و إقرأ باسم ربك.

وفيه: عن أبي بصير قال: قال: إذا قرىء شيء من العزائم الأربع فسمعتها فاسجد و إن كنت على غير وضوء و إن كنت جنباً و إن كانت المرأة لا تصلّي و سائر القرآن أنت فيه بالخيار إن شئت سجدت و إن شئت لم تسجد.

أقول: قوله: « وإن كانت المرأة لاتصلّي » أي تجب عليها السجدة عند قراءة العزائم و إن كانت حائضاً أو نفساء لا تصلى.

وفيه: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن صلّيت مع قوم، فقرأ الامام: « إقرأ باسم ربك الّذي خلق » أو شيئاً من العزائم، وفرغ من قراءته و لم يسجد فأومأ ايماء والحائض تسجد إذا سمعت السجدة.

وفيه: باسناده عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال: لا تقرأ في المكتوبة بشيء من العزائم فان السجود زيادة في المكتوبة.

وفيه: باسناده عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا قرأ أحدكم السجدة من العزائم فليقل في سجوده: « وسجدت لك تعبداً ورقاً لا مستكبراً عن عبادتك و لا مستنكفاً و لا متعظماً بل أنا عبد ذليل خائف مستجير ».

و في **الفقيه** : قدروى انه يقول فيسجدة العزائم : « لاإله إلاّالله حقاً حقاً، لاإله إلاّالله ايماناً و تصديقاً ، لاإله إلاّالله عبودية و رقاً ، سجدت لك يا رب تعبّداً و رقاً لا مستنكفاً ولامستنكراً بل أنا عبد ذليل خائف مستجير » ثم يرفع رأسه ثم يكبّر .

وفي الخصال : باسناده عن البزنطي عن داود بن سرحان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن العزائم أربع : إقرأ باسم ربك الّذي خلق ، والنجم ، و تنزيل السجدة وحم السجدة .

في تفسير الجامع لاحكام القرآن : عن إبن عمر قال : لما أنزل الله تعالى: « إقرأ باسم ربك الّذي خلق » قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ : اكتبها يا معاذ فأخذ معاذ اللوح والقلم والنون ـ و هي الدوات ـ فكتبها معاذ فلمّا بلغ : « كلا لا تطعه واسجد واقترب » سجد اللوح وسجد القلم وسجدت النون و هم يقولون : اللهم ارفع به ذكراً اللهم احطط به وزراً اللهم اغفر به ذنباً قال معاذ : سجدت و أخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسجد .

أقول: و فيه لا يخلو من شيء فلابد من النظر في حياة إبن عمر يومئذ و في ايمان معاذ عندئذ .



﴿ بحث فقهي ﴾

و اعلم أن السور العزائم أربع ، تسمّى المجموعة بالعزائم الأربع و هي التالية على الترتيب النزولي :

١- سورة « العلق » وهي الاولى نزولاً ، والسادسة والتسعون مصحفاً .

٢- سورة « النجم » وهي السورة الثالثة والعشرون نزولاً والثالثة والخمسون مصحفاً .

٣- سورة « فصلت » وهي السورة الواحدة والستون نزولاً والواحدة و الأربعون مصحفاً .

٤- سورة « السجدة » وهي السورة الخامسة والسبعون نزولاً والثانية و الثلاثون مصحفاً . فتجب السجدة عند تلاوة آياتها الأربع: قراءة وسماعاً وإستماعاً لاطلاق الآيات الكريمة ، وأما تعارض الروايات في السماع ايجاباً ونفياً فيعالج بردّها إلى القرآن الكريم ، فيؤخذ بالأوّل لموافقة الآيات ، ولأن الناهية وغير الموجبة توافق سائر المذاهب وتخالف الآيات بخلاف الآمرة كالآيات : ١- «واسجد واقترب » العلق : ١٩) ٢- « فاسجدوا لله واعبدوا » النجم : ٦٢) ٣- « واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إيّاه تعبدون » فصلت : ٣٧) ٤- « خرّ واسجّداً وسبّحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون » السجدة : ١٥)

ويستدل على وجوب السجدة عند تلاوة الآيات العزائم بصيغ الأمر في الثلاثة الاولى لان ظاهر الأمر يقتضي الوجوب عندنا ، وبالحصر والقيود في الآية الرابعة،

وبالروايات المستفيضة .

وفي المقام مسائل :

مسئلة ١ - لاتجوز قراءة إحدى سور العزائم في الفرائض عمداً ، فاذا قرأها وجب عليه السجود للتلاوة ، فان سجد بطلت صلاته ، وإن عصى يجب عليه الاتمام والاعادة . و إذا قرأها سهواً وذكر قبل آية السجدة عدل إلى غيرها ، وإذا ذكرها فان سجد - نسياناً - أيضاً أتمّها وصحّت صلاته ، و إن التفت قبل السجود أومأ إليه و أتمّ صلاته ، وسجد بعدها على الأحوط فان سجد وهو في الصلاة بطلت.

مسئلة ٢ - إذا استمع لآية السجدة وهو في الصلاة أومأ برأسه إلى السجود ، وأتمّ صلاته ، ويجب عليه السجود أيضاً بعد الفراغ .

مسئلة ٣ - تجوز قرائتها في النوافل منفردة أو منضمّة إلى سورة اخرى ، فيسجد عند قراءة آية السجدة ، ويعود إلى صلاته فيتمّها ، و كذا الحكم لو قرأ آية السجدة وحدها .

مسئلة ٤ - ليس في هذه السجود تكبيرة إفتتاح ولا تشهّد ولا تسليم نعم يستحبّ التكبير للرفع منها إستحباباً مؤكّداً .

مسئلة ٥ - لايشترط في هذه السجود الطهارة من الحدث والخبث و لا الاستقبال ولاطهارة محلّ السجود ، ولا الستر ولا صفات الساتر بل تصحّ حتّى في المغصوب ما لم يكن السجود تصرّفاً فيه .

مسئلة ٦ - يجب على الأحوط السجود على الأعضاء السبعة ، و وضع الجبهة على الأرض أوما في حكمها وعدم إختلاف المسجد عن الموقف في العلوّ والانخفاض، ولابدّ فيها من النيّة وإباحة المكان .

مسئلة ٧ - يستحبّ فيها ما أوردناه في البحث الروائي من الذكر ، و أقلّ منه الذكر الواجب في سجود الصلاة .

مسئلة ٨ - يتكرّر السجود بتكرّر السبب .

﴿بحث مذهبي﴾

قال بعض المحققين من المتكلمين: ان قوله عز وجل: «إقرأ باسم ربك الذي خلق» العلق: ١) دال على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأن النبوة عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف خاص، وإن قوله تعالى: «إقرأ وربك الأكرم» العلق: ٣) دال على رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنها عبارة عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف عام وهو الابلاغ، فالفصل بينهما بقراءة آية واحدة وهي الآية الثانية من سورة العلق مع نزول الآيات دفعة واحدة بلاخلاف ولامراء. فالقول بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالفعل قبل رسالته وكان بينهما زمان ما بلا وجه، وان نفس السورة بآيها تدفع هذا التوهم حيث تقرر الدعوة المحمدية عملاً ولساناً.

وقد تشبث أهل التجسيم من الأشعريين بقوله سبحانه: «ان إلى ربك الرجعى» العلق: ٨) على عقائدهم السخيفة بأن الله سبحانه جسم متركب من أعضاء وجوارح، وله سبحانه جهة ومكان وحركة، فيمكن رؤيته بالأبصار ومسه بالأيدي في مصافحة ومعانقة... وقد بقيت تلك العقائد الباطلة الضالة المضلة حتى لاسيما في أوساط مرتجعة لم تنضج فكرتهم عن التوحيد والنبوات والمعاد سوى نظرات سطحية وشكلية محضة، وغالبيتهم متأثرون من أراجيف إبن تيمية الحراني (٦٦١ ـ ٧٢٨) على ما في (منهاج السنة ط بيروت ج ٢ ص ١٠٥ و ٢٤١) في دعوته السلفية حسب مصطلحه، وهم الذين اشتهروا في هذا العهد بالوهابية أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي (١١١٥ ـ ١٢٠٦) صاحب الحركة الوهابية مصنوع

انجلترا في ربوع نجد ، وقد قامت هذه الحركة الشؤمة على إغارة بلاد المسلمين و إستغلالها ، وعلى تكفير وقتل ونهب باسم الاصلاح الديني السلفي ، ولم تكن سوى إمتداد مرير للوحشية الجاهلية الاولى نكوصاً على عقب .

وقد استغلها الاستعمار الغربي - المنتهض حديثاً ذلك العهد - تمزيقاً لبلاد الاسلام وتفريقاً لكلمة المسلمين : توحيد الكلمة وكلمة التوحيد ، تحقيقاً لمبدأ «فرّق تسد» والحركة قد خدمت الاستعمار الكافر أكبر خدمة ممكنة في الذهاب برونق الاسلام ووحدة المسلمين : « ولقد صدق عليهم إبليس ظنّه فاتبعوه » سبأ : ٢٠) و« الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً » الكهف:١٠٤)

وان العقيدة الوهّابية في الصفات هي العقيدة السلفية الظاهريّة وقال شاعرهم:

لله وجـه لا يحـد بصـورة	ولـربنا عينان ناظـرتان
ولـه يدان كما يقول إلهنا	ويمينه جلّت عن الأيمـان
كلتـا يديـه يمين وصفهـا	فهمـا على الثقلان منفقتان
كرسيه وسع السماوات العلى	والأرض وهـو يعمه القدمان
والله يضحك لا كضحك عبيده	والكيف ممتنع على الرحمان
والله ينـزل كل آخـر ليلة	لسمـائه الدنيـا بلا كتمان
فيقول: هل من سائل فاجيبه ؟	فأنا القريب اجيب من ناداني

(من قصيدة عبدالله بن محمد الاندلسي المالكي ، نشرت في « أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة » ص ٣٢ جمع على بن سليمان آل يوسف ـ منشور مكة المكرمة سنة ١٣٩٣ هـ ق)

وقد سبق منا في هذا التفسير مراراً كلام في نظرة الشيعة الاماميّة الاثنى عشرية من أهل العدل والتنزيه في توحيد الله جل وعلا نظرة في غاية السموّ والرفعة ، نظرة مكتسبة من مهبط الوحى و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، فمن شاء فليراجع .

وأما الرجعى في قوله جلّ وعلا : « إن إلى ربك الرجعى » العلق : ٨) فانما

المراد به يوم الرجوع والانتهاء إلى حكم الله جلّ وعلا يوم القيامة حيث لا حكم إلّا حكمه : « الملك يومئذ لله يحكم بينهم » الحج : ٥٦) فكل ينتهي إلى حكمه و يحاسب ويجازي بما عمل في الحياة الدنيا إن خيراً فخيراً ، وإن شرّاً فشرّاً .

وقد تشبّث هؤلاء الأغبياء بقوله عزّ وجلّ : « ألم يعلم بأن الله يرى » العلق : ١٤) على مذهبهم السخيف أيضاً بأن الله سبحانه يرى بأعضاء البصر كما يسمع بأعضاء السمع وإن لم تكن أعضائه كأعضائنا .

أقول : إنّما المقصود بذلك وصف الله جل وعلا بشمول العلم بكل شيء ، والقدرة على كل شيء ، والهيمنة الكاملة على الكون وما فيه من كائنات ، والتصرف المطلق فيه وإتصافه بكل صفات الكمال .

فمن تدبّر في قوله جلّ وعلا : « فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الانعام يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم » الشورى : ١١ - ١٢) يرى تأييد هذا قوياً فتدبّر جيداً واغتنم جدّاً .

مضافاً إلى أن الله تعالى لم يقل : « يعلم » لما بين العلم والرؤية من الفرق ، حيث ان الرؤية لا تكون إلّا لموجود ، والعلم عام يشمل الموجود والمعدوم، و كل رؤية لم يعرض معها آفة فالمرئي بها معلوم بالضرورة ، و كل رؤية فهي لمحدود أو قائم في محدود كما أن كل إحساس من طريق اللمس فانه يقتضي أن يكون لمحدود أو قائم في محدود ، وان الرؤية في الأصل على أوجه ثلاثة :

أحدها - العلم كقوله تعالى : « ونراه قريباً » المعارج : ٧) أي نعلمه يوم القيامة وذلك ان كل آت قريب .

ثانيها - بمعنى الظن كقوله عزوجل: « إنهم يرونه بعيداً » المعارج : ٦) أي يظنونه ولا يكون ذلك بمعنى العلم لانه لا يجوز أن يكونوا عالمين بأنها بعيدة وهي قريبة في علم الله تعالى ، وإستعمال الرؤية في هذين الوجهين مجاز .

ثالثها - رؤية العين وهي حقيقة .

«ابتداء الوحي بالبسملة وبعض آثارها»

قال الله عزوجل : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » العلق : ١)

إن الله تعالى أمر رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم في تلقيه الوحي أن يفتتح باسم ربه الذي خلق الكائنات وفيها تعليماً له صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل الله جل وعلا هو الفكرة الرئيسية التي تشغل ذهنه ، وأن يذكره في كل أمرمن اموره دون سواه ، و في هذا تلقين جليل مستمر المدي ، وشامل للناس كلهم بالانصراف عما سوى الله تعالى ، وبالارتفاع بالنفس الانسانية إلى افق لاتتأثر فيه بقوى الدنيا ومخاوفها ، ولاترتبط في حياتها ومعايشها ومطالبها وآمالها بغير الله الرب الأكرم ، وتتجلى الروح البشرية باسم الرب المبارك ، وتتأثر ما يقرأ عليه هذا الاسم الكريم ، و يطمئن بذكر الله عزوجل القلب بلاريب : « ألابذكر الله تطمئن القلوب » الرعد : ٢٨)

فلاخير في قول ، ولابركة في فعل لم يبدأ باسم الله جل وعلا ، وقال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « كل أمر ذى بال لم يبدأ ببسملة فهو أبتر »

وقد ورد في فضل البسملة وآثارها روايات كثيرة لايسعها المقام ، فنشير إلى نبذة منها :

١- في التوحيد باسناده عن الحسن بن علي العسكري عن آبائه عن علي عليه السلام في حديث - قال : ان الله يقول : أنا أحق من سئل وأولى من تضرع إليه ، فقولوا عند إفتتاح كل أمر صغير وعظيم: بسم الله الرحمن الرحيم أي أستعين على هذا الأمر بالله الذي لاتحق العبادة لغيره المغيث إذا استغيث - إلى أن قال - وقال رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم : من حزنه أمر يتعاطاه فقال : بسم الله الرحمن الرحيم وهو مخلص لله ويقبل بقلبه إليه لم ينفك من إحدى اثنتين : إمّا بلوغ حاجته في الدنيا ، وإما يعدّ له عند ربه ويدّخر له لديه ، وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين .

٢- وفيه بهذا الاسناد عن العسكري عليه السلام قال : بسم الله أي أستعين على أموري كلها بالله - إلى أن قال - وقال الصادق عليه السلام : ولربّما ترك بعض شيعتنا في إفتتاح أمره بسم الله الرحمن الرحيم فيمتحنه الله بمكروه لينبّه على شكر الله والثناء عليه ويمحق وصمة تقصيره عند تركه قول : بسم الله قال : وقال الله عزّ وجلّ لعباده : أيّها الفقراء إلى رحمتي قد ألزمتكم الحاجة إليّ في كلّ حال وذلّة العبودية في كلّ وقت ، فاليّ فافزعوا في كل أمر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلوغ غايته ، فقولوا عند إفتتاح كل أمر صغير أو عظيم : بسم الله الرحمن الرحيم أي أستعين على هذا الأمر بالله .

٣- في الكافي باسناده عن جميل بن درّاج قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : لاتدع بسم الله الرحمن الرحيم وإن كان بعده شعر .

٤- في إحقاق الحق عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : البسملة تيجان السور .

٥- في تحف العقول : عن الامام الحاد يعشر الحسن العسكري عليه السلام انه قال : بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى إسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها .

٦- في المحاسن باسناده عن العلاء بن الفضيل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا توضّأ أحدكم ولم يسمّ كان للشيطان في وضوئه وصلاته شرك ، وإن أكل أو شرب أو لبس وكل شيء صنعه ينبغي له أن يسمّي عليه فان لم يفعل كان للشيطان فيه شرك .

٧- في وسائل الشيعة عن الحسن بن عليّ العسكري في تفسيره عن آبائه عن عليّ عليه السلام - في حديث - ان رجلاً قال له : إن رأيت أن تعرفني ذنبي الذي امتحنت به

في هذا المجلس ، فقال: تركك حين جلست أن تقول : بسم الله الرحمن الرحيم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدّثني عن الله عزوجلّ انه قال : كلّ أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتر .

٨ ـ في قرب الاسناد باسناده عن سبط المصطفى الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ بن أبيطالب عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما من رجل يجمع عياله ثم يضع مائدته فيسمّون الله تبارك و تعالى أوّل طعامهم ، و يحمدون الله تعالى في آخره إلّا لم يرفع المائدة من بين يديه حتّى يغفر لهم .

٩ ـ في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن غياث بن إبراهيم عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن علي بن أبيطالب عليه السلام قال : من ذكر إسم الله على الطعام لم يسئل عن نعيم ذلك الطعام أبداً .

١٠ ـ في البحار عن عبدالله بن يحيى فقال لأمير المؤمنين علي عليه السلام : ياأمير المؤمنين قد أفدتني وعلّمتني فان أردت أن تعرّفني ذنبي الّذي امتحنت به في هذا المجلس حتى لا أعود إلى مثله قال: تركك حين جلست أن تقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، فعجّل ذلك لسهوك عمّا ندبت إليه تمحيصاً بما أصابك أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدّثني عن الله جلّ وعزّ : « كل أمر ذي بال لم يذكر فيه بسم الله فهو أبتر » ؟ فقلت: بلى بأبي أنت وامّي لا أتركها بعدها قال: إذا تحظى بذلك وتسعد .

١١ ـ و فيه قال جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : و لربّما ترك في إفتتاح أمر بعض شيعتنا بسم الله الرحمن الرحيم فيمتحنه الله بمكروه لينبّهه على شكر الله تعالى والثناء عليه ويمحو فيه عنه وصمة تقصيره عند تركه قول بسم الله لقد دخل عبدالله بن يحيى على أمير المؤمنين عليه السلام و بين يديه كرسيّ ، فأمره بالجلوس عليه ، فجلس عليه فمال به حتى سقط على رأسه ، فأوضح عن عظم رأسه و سال الدمّ فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بماء فغسل عنه ذلك الدّم ثم قال: أدن منّي فوضع يده على موضحته و قد كان يجد من ألمها مالاصبر له معه ، و مسح يده عليها و تفل

فيها ، فما هو ان فعل ذلك حتى إندمل فصار كأنه لم يصبه شيء قطّ .

١٢ - في تفسير البرهان في قوله تعالى: « فشاربون شرب الهيم » عن عثمان بن عيسى عن شيخ من أهل المدينة قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن الرجل يشرب الماء و لا يقطع نفسه حتّى يروى قال : فقال عليه السلام : و هل اللذّة إلاّ ذاك ؟ قلت : فانهم يقولون : انه شرب الهيم ، فقال : كذبوا ان شرب الهيم مالم يذكر إسم عزّ وجلّ عليه .

فينبغي الافتتاح في كل فعل وقول وحركة باسم الله تعالى لطرد الشيطان عن ذلك ولبصيرته فيها بحيث لولم تبتدأ به لما كان له فيها بصيرة ولايتبعها الخير والعاقبة السعيدة ، وكان للشيطان فيها حظّ وهو له قرين وتعقبها المعيشة ضنكاً .

قال الله عزوجل : « قد أفلح من تزكّى و ذكر اسم ربه فصلّى » الأعلى : ١٤ - ١٥) .

و قال : « و شاركهم في الأموال والأولاد وعدهم ما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً » الاسراء : ٦٤) .

و قال : « و من يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين » الزخرف : ٣٦) .

و قال : « و من أعرض عن ذكري فانه له معيشة ضنكاً » طه : ١٢٤) .

و قال : « و قال اركبوا فيها بسم الله مجراها و مرساها » هود : ٤١) .

وقال: « ولاتأكلوا مما لم يذكراسم الله عليه وانه لفسق » الأنعام : ١٢١) .

و قال : « قالت يا أيّها الملؤا انّي القى إليّ كتاب كريم انه من سليمان و انه بسم الله الرحمن الرحيم » النمل : ٢٩ - ٣٠) .

و قال : « تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام » الرحمن : ٧٨) .

﴿وحي القرآن الكريم والرب الأكرم﴾

قال الله تعالى : « إقرأ باسم ربك الّذي خلق خلق الانسان من علق إقرأ وربك الأكرم الّذي علّم بالقلم علّم الانسان مالم يعلم » العلق : ١ ـ ٥) .

و من غير خلاف ان تلك الآيات الكريمة الخمس أولى ما أنزل الله عزّ وجلّ بواسطة جبرئيل أمين الوحي عليه السلام على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و بهـا بدئت نبوته و رسالته معاً إلى كافة الناس .

و لعمري ان في تلك الآيات لطائف و أسراراً و حكماً و اصولاً في العلوم والفنون المختلفة لايسع مقام الاختصار بذكر نبذة منهافضلاً عن جميع مافهمّناه فعلى كل عالم خبير بالتفكر والتأمل على ما عليه من العلوم والفنون . . .

و من اللطائف تكرير كلمة « رب » تنبيء على الربوبيـة والتربيـة ، على المربّي والمربوب ، وحقّ الرّب على المربوب . . و تكرير كلمة « علّم » تنبيء على التعليم والتعلم ، وعلى المعلّم والمتعلّم ، و حقّ المعلّم على المتعلّم . . . وتقديم التربية على التعليم خلاف مـا في زمانـنـا هذا من تقديم التعليم على التربية : « التعليم والتربية » يعبّر عنهما بـ « آموزش وپرورش » تقليداً عن الأجانب . . .

ولعمري انه لو اتبع المسلمون بأوّل ما أنزل الله جلّ و علا على رسولهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقدّموا التربية على التعليم لما كان حالهم على ما هم عليه اليوم ، و ما كان ثمار العلم ما نرى في الأعصار المتمادية من الاختلاف والفرقة والقتل والجناية والانحطاط والخدمة للأجانب والمستثمرين . . .

و اعلم أن للرب معان :

أحدها - بمعنى السيّد المطاع كقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام لصاحبه المسجون في السجن : « يا صاحبي السجن أما أحد كما فيسقي ربه خمراً » يوسف : ٤١) أي سيّده . ولايخفى على الأديب الأريب مابين الصفة برب والصفة بسيّد من الفرق حيث ان السيّد مالك من يجب عليه طاعته نحو سيّد الأمة و سيّدالغلام ، فلا يقال : سيدالثوب كما يقال : رب الثوب و رب الدار . وقديكون الرب بمعنى السيّد في الاضافة كالآية المتقدمة ، و ليس ذلك في كل موضع إذ يقول العبد لسيّده : يا سيّدي ، و لا يقول : يا ربّي .

ثانيها - بمعنى المالك والصاحب كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أربّ الابل أنت أم ربّ غنم » و كقول عبدالمطلب عليه السلام : « أنا رب الابل وللبيت رب يحفظه » .

و لا يخفى على المتأمل الخبير ما بين الصفة بالرب ، والصفة بالمالك من الفرق ، حيث ان الصفة بالرب أفخم من الصفة بالمالك لأنها من تحقيق القدرة على تدبير ما ملك ، فقولنا : « رب » يتضمّن معنى الملك والتدبير ، فلا يكون إلّا مطاعاً أيضاً لقول الله عزوجل : « إتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله » التوبة : ٣١) . أي سادة يطيعونهم .

و أما الصفة بالمالك فتقتضي القوّة على تصريف ما ملك ، وهو من قولك : ملكت العجين إذا أخذت عجنه فقوى و منه قول الشاعر :

ملكت بها كفي فأنهرت فتقها يرى قائم من دونها ما ورائها

أي قويت بها كفي ، ثم كثر حتى جرى على معنى مالك في الحكم كالصبي المالك لما لايقدر على تصريفه إلّا في الحكم أي حكمه حكم القادر على تصريف ماله ، ولذلك لم يحسن إطلاق الصفة بالرب إلّا على الله عزّ وجلّ ، والصفة بالرب أيضاً تقتضي معنى المصلح ومنه: ربيت النعمة إذا أصلحتها باتمامها، وأديم مربوب: مصلح ، و يجوز أن يقال : إن قولنا : رب يقتضي معنى ولاية الأمر حتى يتمّ ،

و من ثمّ قيل : رب الولد و رب السّمسم .

كما لايخفى عليه ما بين الصفة بالرب والصفة بالقادر على أن الصفة بقادر أعم من حيث تجري على المقدور نحو : قادر أن يقوم ، ولا يجوز الصفة برب إلّا في المقدر المصرف المدبر ، وصفة قادر تجري في كل وجه وهو الأصل في هذا الباب .

ثالثهاـ بمعنى المدبّر المصلح ، وبه يسمّى الرباني لأنه يدبّر الامور . . .

رابعهاـ بمعنى المربّي ، و إشتقاق هذا من ربّ فلان بالمكان أي أقام به و ثبت ، فسمّى الرب رباً لأنه دائم الوجود لم يزل و لا يزال ، و لا يخفى على القاريء الخبير أن يصحّ أن يراد في المقام كل من المعاني مع تبادر الخالق فيه . و هذا هو المراد في قوله تعالى : « قل أغير الله أبغي رباً و هو ربّ كل شيء » الأنعام : ١٦٤) .

ان الرب إطلاقاً هو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ الكمال ، و يطلق في القرآن الكريم حسب إقتضاء المقام على جانب التربية التكوينية المادية و ما إليها من تسبيب الأسباب و تمهيدها لكل ما خلق في تكامله المادي كل بحسبه ، وعلى جانب التربية التشريعية المعنوية الروحية كذلك من إرسال الرسل وإنزال الكتب و ما إليها من الأسباب للتكامل الروحي للانسان .

ان ربوبية الله جلّ و علا موجودة في كل جزء من أجزاء العالم ، و هو الرب الكريم الّذي يربّي ماخلقه ، و يتولّى لمصالحه ، و يطرد الموانع عن مسيره التكاملي : مادياً و معنوياً . و هو الّذي جعل الأشياء المربوبة الكاملة مسخّرة لتربية الانسان ، و تكامله المادي تارة ، فيكشف عنه الضرّ في ذلك تارة اخرى ، و يمهّد له ما فيه تكامله المعنوي داخلاً و خارجاً ثالثة . . . ولكن هذا الانسان لغافل عن ذلك جداً ، و انه لنعمة ربه لكنود وقد كان ينبغي له أن يشكر لربه الكريم تجاه تلك النعم الّتي أحاطت به لتكامله و نموّه جسمياً و روحياً .

قال الله تعالى : « قال ربنا الّذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » طه: ٥٠) .

و قال : « قال رب المشرق والمغرب و ما بينهما إن كنتم تعقلون » الشعراء : ٢٨) .

و قال : « ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظلّ ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً و هو الّذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً و جعل النهار نشوراً » الفرقان : ٤٥ ـ ٤٧) .

و قال : « يا أيّها الناس اعبدوا ربكم الّذي خلقكم والّذين من قبلكم لعلّكم تتقون الّذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء و أنزل من السماء ماء فأخرجنا به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » البقرة : ٢١ ـ ٢٢) .

و قال : « و ربك على كل شيء حفيظ » سبأ : ٢١) .

وقال: « فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن و أما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن » الفجر : ١٥ ـ ١٦) .

و قال : « ان الانسان لربه لكنود » العاديات : ٦) .

و قال : « كلوا من رزق ربكم واشكروا له » سبأ : ١٥) .

و قال : « و من شكر فانّما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم » النمل : ٤٠) .

و قال : « و ان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون » النمل : ٧٣) .

و ان الانسان يمتاز بالتربية التشريعية الروحية على غيرها مع إشتراكه لغيره في التربية التكوينية ، فاذا خرج عن دائرة التربية التشريعية يصير هو حيادى و ليس له دائرة يدور فيها ، و من هنا كان كالأنعام بل هو أضلّ سبيلاً .

قال الله عزّ وجلّ : « قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيّماً ملّة إبراهيم » الانعام : ١٦١) .

وقال: « قل إن ربّي يقذف بالحق ـ و إن اهتديت فبما يوحى إليّ ربي » سبأ : ٤٨ ـ ٥٠) .

و قال : « و قـل رب أدخلني مدخل صـدق و أخرجني مخرج صـدق » الاسراء : ٨٠) .

و قال : « يا أيّها الرسول بلّغ ما انزل إليك من ربك » المائدة : ٦٧) .

و قال : « ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة » الاسراء : ٣٩) .

وقال: «واتل ما اوحى إليك من كتاب ربك لامبدّل لكلماته» الكهف: ٢٧) .

وقال: « قدجاء كم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه و من عمي فعليها » الأنعام : ١٠٤) .

وقال: « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » القدر : ٤) .

وقال: « فلما رآى القمر بازغاً قال هذا ربي فلمّا أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين » الأنعام : ٧٧) .

و قال : « اولئك على هدى من ربهم و اولئك هم المفلحون » البقرة : ٥) .

وغيرها من الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة الرب تنبيء عن التربية التشريعية الروحية يتكامل بها الانسان تكاملاً روحياً سوى تكامله المادي الذى كان مشتركاً فيه مع غيره من الكائنات . . . فكما أن الانسان لابد و أن يحتاج إلى أسباب تربية جسمية ينموبها جسمه ، كذلك يحتاج إلى أسباب تربيـة روحيـة تنموبها روحه ، و إنّما الأنبياء عليهم السلام و كتبهم أسباب تربية روحية ، و ذلك ان الربوبية المطلقة تقتضي أن يربّي مربوبه فيما يستعد لتربيته جسماً و روحاً .

الرب: التربية و هي تنشئة الشيء حالاً فحالاً حتى يصير إلى حال التمـام والكمال ، ومنه رب النعمة يربيها ربّاً : إذا تمّمها ، و ربى الطفل تربية ، والله جلّ و علا هو رب العالمين : المالك لهم و لتدبيرهم .

و لا يخفى على المتأمّل الخبير : انه إذا قيل في الله تعالى : انه ربّ بمعنى السيد فهو من صفات ذاته ، و إذا اريد به معنى التدبير أي مدبّر مصلح فهو من صفات الأفعال . . . قال الله جل وعلا : « سبحان ربك رب العزّة عما يصفون » الصافات : ١٨٠) .

وقد جاءت كلمة «رب» في القرآن الكريم نحو : (٩٨١) مرّة على الترتيب التالى وفيها من اللطائف والنكات مالايخفى على الأديب الأريب :

١- «رب» مثلثة مضافة إلى ما بعده الظاهر نحو : « رب العالمين » ٨٤ مرة

٢- «رب» بالجرّ مضافة إلى ياء التكلم المحذوفة نحو : « ربّ أرنى » ٦٧ «

٣- «ربّاً» بالنصب نحو : « أغير الله أبغى رباً » ١ «

٤- «ربك» مثلثة نحو : « فادع لنا ربك » ٢٤٢ «

٥- «ربكم» « نحو : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم » ١١٩ «

٦- «ربكما» « نحو : « فبأيّ آلاءِ ربكما تكذّبان » ٣٣ «

٧- «ربنا» « نحو : « ربّنا لاتزغ قلوبنا بعد إذهديتنا » ١١١ «

٨- «ربّه» « نحو : « فمن كان يرجو لقاء ربه » ٧٦ «

٩- «ربّها» « نحو : « فتقبلها ربها بقبول حسن » ٩ «

١٠- «ربّهم» « نحو : « اولئك على هدى من ربهم » ١٢٥ «

١١- «ربّهما» « نحو : « وناداهما ربهما » ٣ «

١٢- «ربى» « مضافة إلى ياء التكلم وحده نحو : «وسع ربى كل شىء» ١٠١ «

١٣- «أرباب» « مثلثة نحو : « أأرباب متفرّقون » ٤ «

١٤- «ربيون» نحو : « ربيون كثير » ١ «

١٥- «الربانيون» نحو : « لولاينهاهم الربانيون » ٢ «

١٦- «الربانيين» نحو : « ولكن كونوا ربانيين » ١ «

١٧- «ربائبكم» نحو : « و ربائبكم اللاتى في حجوركم » ١ «

١٨- «ربما» مخففاً نحو : « ربما يود الذين كفروا » ١ «

﴿الربوبية الالهية﴾

قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «إلهي كفاني فخراً أن تكون لي ربّاً، و كفاني عزّاً أن أكون لك عبداً أنت كما اريد فاجعلني كما تريد».

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لمّا اسرى بي إلى السماء رأيت على باب الجنة ثلاثة أسطر: السطر الأوّل: بسم الله الرحمن الرحيم أنا الله لا إله إلّا أنا، سبقت رحمتي غضبي، والسطر الثاني: بسم الله الرحمن الرحيم الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر وصلة الرحم بثلاثين، والسطر الثالث: من عرف قدري و ربوبيتي فلا يتهمني في الرزق»

وفي رواية: قال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولاً»

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أباذر رحمه الله بثلاث: «نبّه بالذكر قلبك، وجاف عن النوم جنبك، واتق الله ربك»

وقال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «رحم الله عبداً اتقى ربّه، وناصح نفسه، وقدّم توبته و غلب شهوته، فان أجله مستور عنه، وأمله خادع له والشيطان موكّل به» وقال عليه السلام: «إنكم مخلوقون إقتداراً ومربوبون إقتساراً»

وفي الدعاء بعد صلاة فاطمة الزهراء بنت المصطفى صلوات الله عليهما: «يامن ليس غيره رب يدعى، يامن ليس فوقه إله يخشى، يامن ليس دونه ملك

يتّقي ، يامن ليس له وزير يؤتى . . . » الدعاء

وفى دعاء جوشن كبير : ـ رقم ١٦ ـ :«يامن هو ربّ كل شيء ، يا من هو إله كل شيء ، يامن هو خالق كل شيء ، يامن هو صانع كل شيء ، يا من هو قبل كل شيء ، يامن هو بعد كل شيء ، يامن هو فوق كل شيء ، يامن هو عالم بكل شيء ، يامن هو قادر على كل شيء ، يامن هو يبقى ويفنى كل شيء»

وفيه: ـ رقم ٢٦ ـ«يا ربّ البيت الحرام ، يارب الشهر الحرام ، يا ربّ البلد الحرام ، يا رب الركن والمقام ، يارب المشعر الحرام ، يارب المسجد الحرام، يارب الحلّ والحرام ،يارب النور والظلام ،يارب التحيّة والسلام ، يارب القدرة في الأنام »

وفيه: ـ رقم ٥٤ ـ «يارب النبيين والأبرار ، يا رب الصديقين والأخيار، يا رب الجنّة والنار، يارب الصغار والكبار، يارب الحبوب والثمار ، يارب الأنهار والأشجار، يارب الصحاري والقفار، يارب البراري والبحار، يارب الليل والنهار يارب الأعلان والأسرار »

وفى أعمال اليوم الاول من شهر رمضان المبارك ـ : « اللهم ربّ السموات السبع ، ورب الأرضين ، ومافيهن وما بينهن ، ورب العرش العظيم ، ورب السبع المثاني والقرآن العظيم ، ورب إسرافيل وميكائيل وجبرئيل ورب محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيد المرسلين وخاتم النبيين . . . » الدعاء .

وفى دعاء الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك : « يارب ليلة القدر وجاعلها خيراً من ألف شهر ، ورب الليل والنهار والجبال والبحار والظلم والأنوار والارض والسماء . . . » الدعاء .

وفى دعاء سبط المصطفى الامام الحسين بن على عليه السلام يوم العرفة ـ « اللهم إني أرغب إليك ، وأشهد بالربوبيّة لك ، مقراً بأنك ربّي ، وإليك مردّي، إبتدأتني بنعمتك قبل أن أكون شيئاً مذكوراً ، وخلقتني من التراب ثم أسكنتني الأصلاب

آمناً لريب المنون ، واختلاف الدهور والسنين ،فلم أزل ظاعناً من صلب إلى رحم في تقادم من الأيام الماضية ، والقرون الخالية ، لم تخرجنى لرأفتك بي ولطفك لي وإحسانك إليّ في دولة أئمة الكفر الذين نقضوا عهدك و كذّبوا رسلك .

لكنك أخرجتني للذي سبق لي من الهدى الذي له يسّرتني ، وفيه أنشأتني ومن قبل ذلك رؤفت بي بجميل صنعك ، وسوابغ نعمك ، فابتدعت خلقي من مني يمني ، وأسكنتني في ظلمات ثلاث بين لحم ودم وجلد ، لم تشهدني خلقي ولم تجعل إليّ شيئاً من أمري ثم أخرجتني للذي سبق لي من الهدى إلى الدنيا تاماً سوياً وحفظتني في المهد طفلاً صبياً ، ورزقتنى من الغذاء لبناً مريّاً وعطفت عليّ قلوب الحواضن و كفلتني الامّهات الرواحم ، و كلأتني من طوارق الجان وسلّمتني من الزيادة والنقصان، فتعاليت يا رحيم يا رحمن حتى إذا استهللت ناطقاً بالكلام وأتممت عليّ سوابغ الأنعام ، وربّيتني زايداً في كل عام، حتى إذا اكتملت فطرتي واعتدلت مرّتي أوجبت عليّ حجّتك بأن ألهمتني معرفتك .

وروّعتني بعجائب حكمتك وأيقظتني لما ذرأت في سمائك وأرضك من بدائع خلقك ونبّهتني لشكرك وذكرك وأوجبت عليّ طاعتك وعبادتك ، وفهّمتني ما جائت به رسلك ، ويسّرت لي تقبّل مرضاتك ومننت عليّ في جميع ذلك بعونك و لطفك ثم إذ خلقتني من خير الثرى لم ترض لي.

يا إلهي نعمة دون اخرى ورزقتني من أنواع المعاش وصنوف الرياش بمنّك العظيم الأعظم عليّ وإحسانك القديم إليّ حتى إذا أتممت عليّ جميع النعم، وصرفت عنّي كل النقم لم يمنعك جهلي وجرأتي عليك أن دللتني إلى ما يقرّبني إليك ، ووفّقتني لما يزلفني لديك ، فان دعوتك أجبتني ، وإن سئلتك أعطيتني وإن أطعتك شكرتني ، وإن شكرتك زدتني كل ذلك إكمالاً لأنعمك عليّ وإحسانك إليّ .

فسبحانك سبحانك من مبدىء معيد حميد مجيد ، تقدّست أسماؤك وعظمت آلاؤك فأي نعمك يا إلهي احصى عدداً وذكراً أم أي عطاياك ، أقوم بها شكراً وهي

يارب أكثر من أن يحصيها العادّون أو يبلغ علماً بها الحافظون ثم ماصرفت ودرأت عنّي اللهم من الضرّ والضرّاء أكثر مما ظهر لي من العافية والسرّاء - إلى أن قال -: رب بما برأتني فعدّلت فطرتي ، رب بما أنشأتني فأحسنت صورتي ، رب بما أحسنت إلي وفي نفسي عافيتني ، رب بما كلأتني ووفقتني ، رب بما أنعمت علي فهديتني ، رب بما أوليتني ومن كل خير أعطيتني ، رب بما أطعمتني وسقيتني ، رب بما أغنيتني و أقنيتني ، رب بما أعنتني وأعززتني ، رب بما ألبستني من سترك الصافي ويسّرت لي من صنعك الكافي صل على محمد وآل محمد . . . » الدعاء .

وفي دعاء أعمال مسجد الكوفة من مناجاة الامام أمير المؤمنين على عليه السلام -: «مولاي يا مولاي أنت الرب وأنا المربوب ، وهل يرحم المربوب إلا الرب . . . » الدعاء.

وغير ذلك من الروايات الواردة والأدعية عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين في ربوبيّة الله جل وعلا وآثارها في كل شيء.

ان الله عزوجل هو رب العالمين : « الحمدلله رب العالمين » الفاتحة : ٢) إذ يظهر في كل شيء معنى التربية الّذي يعطيه لفظ « رب » وذلك لأن في كل شيء مبدأ التربية وهو الحياة والتغذى والتولد والنمو ... وهذا في الحيوان والانسان والنبات ظاهر ، والباقي تتصور التربية في حدّه .

وان ربوبيّة الله جل وعلا للناس تظهر بتربيتهم إيّاهم إذ خلقهم ، وهم لم يكونوا شيئاً مذكوراً ، وبعد أن أوجدهم ضعفاء جهلاء قوّاهم وعلّمهم و أنطقهم وأسمعهم وأبصرهم . . .

قال الله تعالى : « خلق الانسان علّمه البيان » الرحمن : ٣ - ٤)

وقال : « علّم الانسان مالم يعلم » العلق : ٥)

وقال : « والله أخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلّكم تشكرون » النحل : ٧٨)

وقال : « قل هو الّذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما

تشكرون » الملك : ٢٣)

وان هذه التربية على قسمين :

أحدهما ـ تربية خلقيّة بمايكون به نموّهم و كمال أبدانهم و قواهم النفسيّة والعقليّة، وهذه التربية تعهدها الله جلّ وعلا مذكان الانسان جنيناً في بطن امه ، فرزقه وهو مضغة ، ثم تعهدها وهو عظام ثم كساه لحماً ، ثم أخرجه طفلاً فتبارك الله أحسن الخالقين ، وتربيته جلّ وعلا حسب تنقّلات الخلق من طور إلى طور مع بقاء كل خلق على مدار نوع خلقه ، بتسبيب الأسباب وتمهيدها لها .

ثم يسّر الله جلّ وعلا أسباب العيش للانسان بما أخرج في الأرض من حبّ و نبات وما أنزل من السماء من ماء فأحيى به الأرض بعد موتها ، وبثّ فيها من كل دابّة وأخرج للناس الينابيع ، وأسال الأنهار وفجّر العيون والآبار ونظم العالم تنظيماً محكماً كفل معه حياة الانسان الجسمانية والمعاشية ، وجعل بعضهم فوق بعض درجات ورزقهم من الطيبات ، فهو الرب الكريم والمربّي الحكيم الخبير و مالك الملك وهو على كل شيء قدير .قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « عباد مخلوقون إقتداراً ومربوبون إقتساراً ، و مقبوضون إختصاراً » إشارة إلى التربية التكوينية .

ثانيهما ـ تربية تشريعية تعليميّة وهي مايوحيه إلى افراد كامل من الانسان ليكمل به فطرتهم بالعلم والعمل إذا اهتدوا به ، فقد كفلها الله تعالى لعباده فأرسل إليهم الرسل والأنبياء عليهم السلام وأنزل معهم الكتاب والبينات والهدى والفرقان ،و أوجب عليهم من العبادات ، ومايربى أرواحهم ويرتفع بها عن إنسانيتها الضعيفة إلى الملائكية الطاهرة وفوقها ، وجعل لكل نبي مدرسة ودار حكمة يتخرج منها أوّلاً أصحاب النبيين و حواريهم و من يتربّون على أيديهم الطاهرة و أرواحهم العالية . . .

ثم ختم هذه الرسالات ،وتلك النبوات بكتاب جمع فيه ما في الكتب السماوية

كلها ، وفوقها ، وبرسول جمع فيه مافي المرسلين كلهم وفوقه ، وزاد عليه ماشاء أن يزيد وجعله حجته على الناس أجمعين ، وليس وراء تربيته تربية ، ولاوراء دينه دين ولاوراء كتابه كتاب ، ولابعد شريعته شريعة ، وإنّما كل تربية ودين و كتاب وشريعة بعد تربية رسول الله الخاتم محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم ودينه و كتابه و شريعته أسباب إستحمار وتحميق وإستثمار توجب سلب التربية من المربوب وسقوطه وحطّه وخروجه عن دائرة الانسانية ، و تعرية الانسان عن الفضل والشرف وصدّه عن سبيل الكمال الانساني . . .

ثم جعل الله عزّ وجلّ خلفاء لنبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم الّذين كانوا يبلّغون رسالته ، ويدعون الناس إلى دعوته صلى الله عليه وآله وسلم ويجمعون الناس على فكرته على ماتقتضيه المصالح ، وهم كانوا عالمين بها ، وهم إثنى عشر إماماً : إماماً بعد إمام أوّلهم مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام وآخرهم المهدي المنتظر الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهم أجمعين ، وهو الّذي يظهر قسطاً و عدلاً بعد ماملئت الارض ظلماً وجوراً .

وفي زمن غيبة الامام الثاني عشر عجل ّالله فرجه الشريف للعلماء العاملين الذين هم من الشيعة الامامية الاثنى عشرية نيابة عامة مع شرائطها ، وهم الذين يدعون الناس إلى الله تعالى وإلى عبادته وإلى المعروف والبرّ والاحسان، وينهونهم عن المنكر وهم الذين يجاهدون في إعلاء كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، وهم الذين يصبرون على البلايا والمحن والشدائد والأذى كما كان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وخلفائه صلوات الله عليهم أجمعين صابرين على ذلك .

فكما أن الانسان من ناحية الجسم ليس إلّا أحد كائنات المادّة ، وفرد من أفرادها ، فيجري عليه مايجري عليها، فالتربية ضرورية له من هذه الجهة كذلك هو فرد ، خلق الله عزّ وجلّ مافي الكون له لاستعداده للكمال من ناحية روحه، فلا بدله من التربية في هذه الجهة حتّى يليق أن يسخر الله تعالى مافي الكون لـه لهذا

الامتيازالروحي .

وفي التعقيبات المشتركة : « رضيت بالله ربّاً و بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم نبيّاً ، و بالاسلام ديناً وبالقرآن كتاباً ، وبالكعبة قبلة ، وبعليّ وليّاً و إماماً ، وبالحسن والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمّدبن عليّ ، وجعفربن محمّد ، وموسى بن جعفر ،وعليّ بن موسى ، و محمّد بن عليّ ، و علي بن محمّد ، والحسن بن عليّ ، والحجّة بن الحسن المهدي، صلوات الله عليهم أئمّة ، اللهمّ إني رضيت بهم أئمة فارضني لهم إنك على كلّ شيء قدير » .



﴿موضوع التربية و تربية الأطفال﴾

و اعلم أن موضوع التربية أوسع نطاقاً من كل موضوع من موضوعات الشريعة الاسلامية ، حيث ان لكل موضوع من موضوعاتها اصوليّة كانت أم فرعية أبعاداً عديدة ، و من الأبعاد موضوع الأخلاق ، و ان الأخلاق مع سعة موضوعها بعد من أبعاد موضوع التربية ، و ان موضوعها هو الأنسان على كلا جانبي الجسم والروح ، حيث ان غرضها ايصاله إلى غاية الكمال على كلا الجانبين ، ومن هنا يعلم فضل موضوعها على الموضوعات كلها ، و سبب تقديم التربية على التعليم .

وأن علم تربية الأطفال وتعليمهم المبادىء هو علم واسع تخدمه سائر العلوم الاخرى ، ولهذا العلم أكبر شأن في الدين الاسلامي ، ويكفيك في فضله على التعليم أن الله جلّ و علا ذكر كلمة « رب » تنبىء عن التربية قبل أن يذكر التعليم في بدءِ الوحي السماوي على خاتم الرسل محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد مضى إثنى عشر قرناً من الهجرة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم على هذا العلم حتى زاول رجال السياسة في مبادي أعمالهم تعليم الأطفال لا لنيل معاش ، بل ثقة منهم بأنه لا يصلح لقيادة الرجال من لم يتمرس بتأديب الأطفال و تربيتهم ، فاهتمّوا بأمر تربية الأطفال و تنمية قواهم ولكن خاصّة بأبناء الملوك . . . و أما أبناء الناس كافّة فلم يعن بهم أحد و استمرّ الحال كذلك حتى ألف بعض المحققين في القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية في علم تربية الأطفال ، و فيها معلومات ثمينة في فنّ تربية الأطفال ، ثم تكاتف الأطفال بافراد فصول في كتبهم تبحث في

التربية، ولكن لاعلى الطريق الأساسي فغفلوا عنه ولذلك لم يستنتجوا ما ينبغي أن يستنتجوا، فأخذوا تربية الأطفال بعد ولادتهم و تركوا قبلها و هو الأصل، مع إختلاف آرائهم كثيراً في الأطفال و تربيتهم:

فمنهم: من قال: ان الطفل يولد مستعداً لكل صورة ذهنيّة تقدّم إليه فينشأ مطبوعاً عليها، و بما أن أوّل ما يشعر به الطفل هوالحاجة، فتكون امّه أو مرضعه هي المربّي الأوّل بما تسلكه من الطرق في سبيل ايتائه تلك الحاجات، و لا يصحّ أن يحكم على طفل بأنه طيّب أو خبيث، و لا بأنّه عاقل و لا بأنّه مجرّد عن التعقّل بالمرّة كما أنه يخطأ من يدّعي انه كالشمع مستعدّ لكل قالب، أو أن التربية لاتؤثر عليه بشيء، فالطفل الذي لايدرى شيئاً متى بلغ من عمره كان مشغولاً بذاته لايفكر في غيرها كل همّة مصروف في ايتائها مطالبها على قانون الاستبداد والاثرة فتراه ميالاً لأن يسمع و يرى ويفهم بأقصى ما يستطيع إمكانه، وهو يكون في تلك السّن شديد حركة الحياة، حديد التأمّل متنوّع المطالب، ذكيّ الفؤاد، و إن كان عديم التعقّل، فهو حيوان مترقّ في التربية، ليس إلّا و يخطأ من يسمّيه إنساناً صغيراً لبعده عن مستوى الانسانية بعداً شاسعاً.

و منهم: من قال: ان كل الميول والعواطف مصدرها الأعضاء فان كانت كاملة كمل الانسان، وإن كانت ناقصة فلا تنجح فيه تربية، و ان الطفل كالشمع بين يدي المربّي إن شاء مربيه أصلحه و إن شاء أفسده.

و منهم: من قال: ان هذين المذهبين متطرفان، والوسط ما بينهما فانه قد شوهد ان التربية أفادت في ترقية مواهب أطفال ولدوا على نقص في التركيب الجثماني، و شوهد أطفال ولدوا جيدي الأعضاء، و ساءت تربيتهم لعدم العناية بهم في صغرهم، فيجب مراعاة جانب الطبيعة والتربية معها، فان الطبيعة تعطي قوى من ضروب مختلفة، وعلى أقدار متفاوتة والتربية هي التي توجّه تلك القوى إلى وجهات أخلاقية و عقلية، مع مراعاة حاجة الوسط الاجتماعي ومقدار ميل

الطفل للكمال الممكن له .

فكل اسلوب متحجّر ثابت في نظر هؤلاء العلماء مضرّ بالأطفال لأن الأطفال سريعو التقلّب ، فلا يحسن أن يسمّى المربّي في احلال الجمود محلّ هذا التقلّب لئلاّ تتحجّر مواهب الطفل و تقف به حيث هو لايمكن للانسان أن يكون كذلك إلاّ برفضه كل اسلوب متحجّر مهما كان علمياً ، و أحج بالانسان أن لا يكون على علم بأيّ اسلوب في التربية فيربي إبنه على حسب الحاجة من أن يكون له اسلوب يجعله يحكم على الطفولة وأدوارها أحكاماً مطلقة لايسمح لها بمراجعة ، و إذا شوهد ان النساء أصلح عن الرجال في تربية القلوب ، فما ذاك إلاّ لأنهنّ متقلبات الأطفال مثلهم و أثمن ما فيهن من العدة لهذا الأمر هو حبهن للطفولة والأطفال و للأطفال دورات في التربية لابد من التوجه التام إليها .

الدور الاول والثانى من الطفولة :

يبتديء دور الطفولة من السنة الاولى من عمر الطفل إلى السنة السادسة أو السابعة ، فيمرّ و أهله في غفلة عنه مع أنه الدور الّذي تجب شدة الالتفات إلى ما يحصل فيه ، فان فيه الطفل يتعود المشي و يتعود التكلم والفكر والحكم على الأشياء فيتأبى أن يحسن طرق ذلك أو أن يسيئها على حسب ما يتهيّأ له منذ نشأته ، فان أحسن قيادة الطفل في مدى هذا الدور أمكن تعديل ما لايستقيم من ذلك بالطرق الحكيمة لأن الطفل متى جاز السابعة صعب إحالته عما اعتاده وإن كان في حال يمكن التأثير عليه منها .

ولكنه لو تعود أقوم ما يمكن إعتياده من طرق الفكر والنظر والملاحظة والتكلم والحكم قوى فيه كل ذلك بعد إجتيازه للسنة السابعة ، و صار فيه ملكة ثابتة ولو عنى أهله ، وهو في تلك السن بعرض المحسوسات عليه بطريقة ساذجة سطحية و إعطائه من كل منها علماً بسيطاً مناسباً لقوّته الادراكية لكان له بذلك على السحب والأنهار والبحار والجبال والنبات والحيوانات علم أساسي يبنى عليه

كلما شب علماً أرقى منه ، وأبعد غاية متدرجاً فيه على قدر تدرجه في السن حتى انه ليصبح عارفاً لما يجهله السواد الأعظم من الناس من غير مشقة عليه ، ولا على معلّمه .

فلعلماء التربية ثلاثة مذاهب يؤصلون عليها اصولهم العلمية:

فالأوّلون قالوا: ان تربية الانسان تبتدىء من يوم ميلاده ، وان الطفل يولد مستعداً لكل صورة ذهنية تقدّم إليه فينشأ مطبوعاً عليها وبما أن أوّل مايشعر به الطفل هو الحاجة فتكون امه أو مرضعه هي المربّي الأوّل له بما تسلكه من الطرق في سبيل ايتائه بتلك الحاجات . . . والآخرون قالوا : ان السبق العادات بالنفس مايعتاده الانسان منذ صغره ، و ان الميول والعواطف النفسية كلّها مصدرها الأعضاء ، فان كانت كاملة كمل الانسان و إن كانت ناقصة فلا تنجع فيه تربية ، و ان الطفل كالشمع بين يدي المربي يعطيه أي قالب شاء . والأخيرون قالوا : ان أكبر عيوبنا متصلة جراثيمها بزمان طفوليتنا و ان جلّ أمر حكومتنا هو بيد مراضعنا .

و ان التربية أفادت في ترقية مواهب أطفال ولدوا على نقص في التركيب الجسماني ، و قد شوهد أطفال ولدوا صحيحي الأعضاء ، ساءت الطبيعة والتربية معاً فان الطبيعة تعطى قوى من أنواع مختلفة ، و بأقدار متفاوتة ، والتربية هي التي توجه تلك القوى إلى وجهات خلقية و عقلية معاً مع مراعاة حالة الوسط الاجتماعي ، و مقدار قبول الطفل للكمال الممكن له .

فكل اسلوب للتربية متحجّر لا يتغيّر يكون مضرّاً بالأطفال ، و لما كان نظر هؤلاء العلماء إلى أن الأطفال سريعو التقلّب قالوا : لايصحّ أن يسعى المربي في إحلال الجمود والتحجّر محلّ هذا التقلّب لئلا تتحجّر مواهب الطفل وتقف به حيث هو ، و لا يمكن للمربي أن يخلص من هذا الاسلوب الضار إلّا برفضه كل طريقة للتربية مهما كانت علميّة إذا كان فيها جمود .

و قالوا : لا مشاحة في أنّ وظيفة الأب والام بالنسبة للطفل لا يمكن أن تحد من جهة تأثيرها على مستقبله ، و أوّل ما يجب أن يتذرع به الأبوان في أمر

هذه الوظيفة هو الاتحاد فيها بينهما لأنه أساس تربية الطفل والاتحاد بينهما لا يوجد إلاّ بالحبّ و هو لا يوجد إلاّ بالاحترام ، و هو لا يوجد إلاّ إذا اعترفت المرأة بتقدم الزوج عليها في الدرجة فان عدم شرط من هذه الشروط وقع الفشل بينهما ، و وقعت على رأس الطفل نتائجه . . .

ومن الامور التي يحرص عليها الآباء ويعملون عليها وهي ضارّة بأولادهم غاية الضرر هي انهم يعتبرون الولد شخصاً ثانياً لهم ، فيريدون أن يصبّوه في قالبهم فان كان الأب عالماً بالطبيعة ربّى إبنه على أن يكون عالماً طبيعياً ، و إن كان تاجراً أو زارعاً أو عالماً دينياً . . . كذلك ، ثم إن كان الأب صانعاً ولم يجد خيراً من صناعته أو كان الأب عالماً دينياً و لم ينل بما يريد إجتهد في إبعاد إبنه عنها جهده ، فهو يسيطر على ميول الطفل و يردّها عن وجهاتها ، و يحولها إلى حيث يريد هو رغماً عنها ، فيؤدى ولده إلى مالاتحمد عقباه من نتائج الحيرة والتردد والسيطرة ، ولو أقلع الآباء عن هذه السيطرة الممقوتة ، واعتبروا الولد خلقاً مستقلاً له ميل خاص ، وإتجاه خاص مناسب لقواه المودعة فيه ، وا كتفوا بتربية الولد كلما نجم من ميوله وعواطفه في وجهتها التي خلقت لتسلكها بدون سدّ الطريق عليها لجنوا من ذلك فوائد لا تقدّر .

وللناس في تربية أولادهم من المذاهب ماينا سب أحوالهم أكثرها خطر على أفلاذ أكبادهم ، فترى الأب الذي قاسى خشونة آبائه يميل لأن يظهر امام ولده في غاية الرحمة والانعطاف ، وترى الذي يأسف علي ماكان من أهله من التساهل في جانبه يميل لأن يضغط على إبنه بشكيمة من حديد ، فلايكون أثر التربية في مثل هذه الأحوال المتطرفة إلاّ الافساد وتشويه الخلق .

ومما يجب الالتفات إليه عدم العود إلى ذكر ما كان من الطفل من الذنوب والخطيئات السابقة ، و أن يكون الأبوان أمامه على تمام الرحمة واللين والحرية على شرط أن يغيّرا تلك العادات وفساد الأخلاق له ، فجأة إذا بدر منه سوء سلوك

في أمر من الامـور . . . و يجب أن يعلم أنه فقد شيئاً من مركزه بسوء سلوكه، فترى الطفل يميل بفطرته لأن يسترد مركزه من أبويه، فيتعلّق في أعناقهم ويقرأ على وجوههم صورة وجدانهم من سرور أو كدر، فيحرص في غيبتهم أن لا يأتي ما يسبّب لهم ذلك الكدر، و أن يأتي ما يسرّهم ليجنى من وراء ذلك حسن إنعطافهم كما عوّدوه ذلك من قبل.

هذا موقف في غاية الحرج بالنسبة للأبوين فان الافراط في الاعراض عن الطفل إذا هفا و أساء سلوكه يجرّ إلى إساءة الظنّ بأبويه، و إلى حفظ أقسى الوجدانات عنهم، و ربّما أدّاه إلى كبر أو عناد و لجاج يعلق بنفسه، فلايزايله أبداً و لا يحسن ضربه كثيراً فان ذلك يعوده على عدم التأثر منه، و يجب أن يعوّداه على الشعور بالعقبات والثواب المعنويين كمدحه على حسن سلوكه وحسن الانعطاف عليه، والبشاشة إليه و ذمّه على ضدّ ذلك، والتلطف في أقصائه والصدّ عنه، و مما يجب التنبيه إليه حذف النقود من موادّ المكافات، و أن لايجعل لها مقام بين الأب و أولاده.

و مما يجب على الوالدين أن يجعلا الولد بين الخوف والرجاء، فيخاف بالتأديب منهما إذا أصرّ على الخطأ، ويرجى العفو والرحمة والنصح والارشاد...

و مما جرّب نجاحه في العقوبات حرمان الطفل من الادام «الغموس» أو من الحلوى فان ذلك له عقاب لا يدانيه غيره في التأثير على ضميره، ولكن هناك من علماء التربية من لم يقرّوا على أمثال هذه العقوبات المادية، ولكن مما لا خلاف فيه انه يجب أن تراعى النسبة بين العقوبة والذنب، و أن يحرص على أن لا يعاقب إلّا على ما يأتيه عمداً، أما لو وقع فكسر إناءاً مثلاً فلا يجوز أن يعدّ ذلك عليه، بل يقال له: قد أخطأك التحفّظ و عداك حسن التبصّر، فان ساءت أخلاق الطفل حتى صار لا يتأثر بسرور أبويه ولا بكدرهما دلّ ذلك على أنهما غير أهل لتربيته، ووجب تغريبه وإيداعه بيت صديق ليكون مايشعر به من عدم التبسّط زاجراً له عن الادمان في أخلاقه، ومعرّفاً له قدر النعمة التي كان فيها.

﴿الاسلام ومفهوم التربية﴾

ومن البديهي ان النزعة الاجتماعية لدي الانسان فطرية ، بأنه ينزع إلى العيش والتعاون مع غيره نزوعاً ذاتياً أصيلاً ، لا لمجرّد مقتضيات الحياة و لوازم العيش براحة وإطمئنان فحسب ، بل لشعور عميق الجذور في جبلّته وخلقته .

قال الله عزوجل : « ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى و جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » الحجرات : ١٣)

وان الاسلام كما يهتمّ بخارج الانسان ، فيعمل على تحقيق القيم والمثل والمبادىء الانسانية الرفيعة لدي الفرد والاسرة والمجتمع والعالم كله ، من أجل أن تسود علاقات المحبّة والمساواة والتضامن والعدالة والحرية والأمن بين أفراد الناس ، فيهتمّ الاسلام على أن تكون هذه الأهداف القيمية نابعة من داخل الانسان، وغير مفروضة عليه بقوّة الحديد والنار فيجسّدها تعاملاً إجتماعياً مترشّحاً عمّا يكنّه في نفسه من عقيدة وفكر أحاسيس . . .

وإذا كان الاسلام يهتمّ بداخل الانسان وخارجه ، فانه لم يتخذ لتحقيق ذلك وسيلة التعاليم الوعظية والنصح المنبري والارشاد اللفظي فحسب . بل وضع كلّ الاسس وهيّأ كل المصادر، واتبع كل الوسائل العمليّة الكفيلة - مجتمعة - بصياغة الانسان الّذي يحمل بين جنبيه روحاً إنسانية ، وتتصرّف جوارحه تصرّفاً يمثل صورة تلك الروح والأمثلة الحيّة على ذلك يزخر بها تاريخنا ، منذ صدره الأوّل حتى اليوم ، إلا ان محططات الجاهلية الحديثة الشرقية والغربية التي سيطرت ردحاً

من الزمن على مقدّراتنا ، وعملت على تخريب أهداف التربية الاسلامية ، افرزت قيح فكرها المنحل انهياراً في الأخلاق ، وفوضى في العلاقات ، وفساداً في الحكم و على صعيد الأشخاص والحكومات . . .

والّذي يلقى بسمعه وبصره في العالم الأسلامي يجد أخطبوط (السرطان التخريبي الجاهلي) دخل الاسرة والمدرسة والمجتمع ، وسيطر على الشارع والمعمل والدائرة ، واستقرّ مزمناً في المعاهد والكلّيّات ، وأصبح هذا السرطان أبرز معالم وسائل الأعلام والدعاية والنشر والثقافة والتعليم . . . فعلى الدعاة الاسلامية خاصة والمسلمين عامة أن يعمّروا الأرض وينقذوا العباد ويطهّروها من الفواحش والفساد، ويشيعوا فيها الصلاة والصلاح والعدل والرشاد . . .

معنى التربية :

التربية هي ايصال الشيء إلى كماله بواسطة العناية به ، والهيمنة المراقية عليه ، ومن المعلوم : أن لكل شيء كمالاً ينتهي إليه في حياته ، ولكنّه لا يبلغ ذلك الكمال إلّا بعناية و تدبير من القائم على ذلك الشيء حتّى أنّ النباتات الدنيئة والأشجار المثمرة إن لم يعتن بها صاحبها وقفت من النموّ عند حدّ محدود وأحاطت بها الحشائش الضارة من كل مكان من سيرها ، وربما قضت عليها بالهلاك .

وأثر التربية في الحيوانات أكثر من ذلك ، فليس الثور الّذي يعلف علفاً تامّاً ويعتني بمحلّ نومه ومقدار عمله كالثور الّذي ينقص له صاحبه في علفه ويترك موضعه مهملاً من النظافة ويشله فوق طاقته ، فاذا كان هذا أثر التربية في النباتات والحيوانات فكيف بأثرها في الانسان وهو الكائن الّذي تتوقّف أقل أعماله على الارشاد والتعليم ؟

وان تربية كلّ شيء تكون بحسبه ، فتربية النباتات تكون بتدبير أرضها و ترتيب سقيها وإنتقاء الأسمدة لها والعناية بتوفير وسائل النموّ والكمال لديها ، و تربية الحيوان تكون بانتخاب علفه ، وتهوية محلّ نومه وتنظيف جسمه ، والاعتدال

في شغله، وغيرذلك مما افرد له البياطرة كتباً .

وإن تربية الانسان الذي هوغرضنافي المقام هي عمليّة إعداد وتنشئةوتوجيه وإصلاح وقيادة للانسان في مختلف مراحل حياته وأبعاد كيـانه . . . و خاصّة في المرحلة التي يحتاج فيها الانسان إلى عملية التنمية والتوجيه والاعدادوالاصلاح والكمال والنضج الروحي . . . و لهذه الغاية جاءت الرسالات والشرائع الالهية، وتتابع الرسل والأنبياء عليهم السلام جاؤوالتربية الانسان وبنائه بناء روحياً وفكرياً وسلوكياً وجسدياً متوازناً وسليماً يمكنه من أداء رسالته والتعبيرعن إنسانيته .

والتربية ـ كما سبق ـ هي عمليّة بناء و إصـلاح وتوجيه و إعداد عملـي للانسان، وليست هي عمليّة تعليم ونقل أفكاروحشومفاهيم وزيادة معلومات، إذ ليست المعرفة والمعلومات في عمليّة التربية إلاّ التصميم الهندسي الذي يبنى على أساسه الانسان، ويقام على هداه البناء . . . فالثقافة والمعارف بيد المربّي كالخارطة والتصميم بيد المهندس أوالمعمار الذي يمارس عمليّة إنشاء مشروع هندسي ،فهو يشيّد بناءه ويقيم مشروعه على اسس التصميم والخارطة التي وضعها وخطّطصورة البناء وصيغته داخل هيكلها .

و كما أن هذه الخارطة والتصميم تعكس تصوّرالمهندس وقـدرته العلمية والفنية على التصور العلمي والتخطيط العملي والاحساس الفنّي، فكذلك المبادىء والاسس والمناهج التربوية، فانها تعكس وعي المربّي وقدرة منهجه ومبادئه التربوية على إعداد الانسان وبنائه، ومن جهة اخرى فان مهمّة المربّي تشاكل إلى حدّ بعيد مهمّة المهندس ودوره في قيادة وتطبيق أفكاره وتصوراته، فالمربّي وصاحب النظرية هوالذي يصنع الفرد والمجتمع على صورة الخارطة والتصميم التربوي الذي يتصوره لبناء الانسان وصياغة شخصيته ، وإنطلاقاًمن هذه الحقيقة كانت التربيةهي المرحلة الاولى في البناء الاجتماعي والحضـاري، ولذلك ايضاًكان إهتمام الشرائع الالهية والمذاهب الفلسفية والاجتماعية والدول بالغاً في تربية الانسان وإعداده وفق الصيغة

والصورة الّتي تريدها هذه النظرية أو ذلك المنهج ليكون الانسان مهيّأ للعيش في ظلال حياة تخططهاهذه النظرية ،أويرسم ذلك المنهج الاجتماعي أبعادهاوصيغتها.

ومن هناكان علينا أن نكون على وعي تام حين ندرس الأفكار والنظريات والمبادىء التربوية غير الاسلامية كيلا تتسرب أو تنفذ إلى المجتمع الاسلامي بسمومها وأمراضها الحضارية والفكرية، ويجب التنبيه هنا إلى أن فلسفةالتربية في العالم الاسلامي واقعة في حدّ الضياع ، وأن نحذرالتبعية والتقليد العمياء -بوعي أودون وعي- والاقتباس من المذاهب والفلسفات التربوبية الأجنبية . . . تلك الفلسفات الّتي أثبتت التجربة العملية فشلها وزيفها بعد أن جرّت على الانسان الويلات والعذاب بما أنشأت في مجتمعاتها من أجيال منحلّة الشخصية ، مريضة التكوين بشكل جعل من وجودها مصدراً لشقاء الانسان ، وعنصراً هدّاماً في حضارة هذا العالم المادي ومجتمعه .

ولذلك يجب علينا أن نعرف أوننقل هذه النظرات والفلسفات - بماتحمل من أمراض فكرية وإتجاهات خطرةهدّامة- تعبث بشخصية الفرد ، وتلعب بسلوكيته، يقود الامة الاسلامية إلى تبعية حضارية وإنهيار أخلاقي وسلوكي مروّع، ويجب على قادة الفكر التربوي ،ومهندسي السياسة التربوية ،وأساتذة هذا العلم وخبرائه في البلاد الاسلامية أن يتنبّهوا إلى هذه الحقيقة المرّة، وأن يحذروا عمليّة التبعية والانصهار، وأن يعيدوا النظر فيما خططوا وأسسوا من سياسة و تخطيط و إعداد تربوى مقلد للنظرات والفلسفات المادية في الجاهلية. . . منطلقين من حقيقة كبرى هي : ان لهذه الامة الاسلاميّة رسالة وحضارة و فلسفة ومنهجاً تربوياً محدّداً للشخصيّة ، وواضح الأهداف والمعالم يختلف إختلافاً جذرياً وأصيلاً عن المناهج والفلسفات التربوية الّتي أنتجها المجتمع الأمريكي والأوروبي بتفكيره المادّي الرأسمالي ، أوالمجتمع الشرقي بتفكيره المادّي الشيوعي . . .

ففلسفات الأخلاق، ونظرات علم النفس والتربية والاجتماع، ومنطلقات التفكير

الفلسفي المادية للحياة التي شادت هذه الحضارات كيانها عليها ، تختلف إختلافاً كلياً بنظرتها وفلسفتها و تفسيرها وتقويمها للحياة والانسان عن وجهة النظر الاسلامية وعن الاسس والمنطلقات الفكرية والفلسفية العامة التي يؤمن بها الاسلام ، ويعمل على بناء الانسان بوحي منها و على أساس من توجيهها ، ولذا لابد من الانتباه هنا إلى أن معنى تخطيط التربية و إقامة مناهجها على اساس الوعي ، والمنهج الاسلامي ليس معناه هوحفظ النصوص الاسلامية ، أوزيادة عدد حصص التربية الاسلامية أوتوسيع مادتها المقررة ـ وإن كان ذلك نافعاً ـ بل إن في حصر التربية الاسلامية في كتاب . . .

وفهمها بأنها مجموعة من الثقافة والمعرفة الاسلامية في مجال الأخلاق والعقيدة والسيرة والعبادات هو الخطأ وسوء الفهم لمعنى التربية من جهة، ولمنهج الاسلام وهدفه التربوي في الحياة من جهة اخرى لأن معنى التربية الاسلامية ـ وكما سبق ـ هو بناء الانسان ـ سواء في الاسرة أم في المدرسة أو في المجتمع ـ على اسس إسلامية ، ومنهج إسلامي متكامل ،فالمعارف والحكم وفلسفة العلوم والثقافة و طريقة الحياة والعلاقات داخل الاسرة والمدرسة والمجتمع يجب أن تبنى وتقام على اسس إسلامية نقية بحيث تشع منها الروح الاسلامية ، وتظهر في كل مادة وتوجيه وموقف . . .

فللاسلام رأيه في تفسير المجتمع والتاريخ ونشوء الكون والحياة ، ومذهبه في تفسير السلوك والأخلاق ، ومنهجه في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والفنون والتشريع والتقنين ، وقواعده واصوله ومصادره . . . لذلك فان الأفكار والنظرات والموضوعات والمواد الدراسية ـ إبتداء من رياض الأطفال و حتى أعلى مراحل الدراسة والتخصص ـ و كذلك وسائل الأعلام والتوجيه الثقافي في المجتمع، يجب أن تخضع في فلسفتها العامة وأهدافها ومحتواها إلى منهج الاسلام ونظرته و فلسفته العامة بحيث تتجه جميعها ، وتتظافر بكامل برامجها نحو بناء وتربية الفرد

المسلم والامة المسلمة والحضارة الاسلاميّة ، فرسالة الاسلام هي رسالة الاعداد والتربية والبناء الانساني القويم ، فهي تستهدف بكل خطوة وفكرة وتشريع بناء الذات والكيان الانساني ، وتنميّة كامل عناصره وقواه الخيرة وتنقيح سلوكه و شخصيته بحذف وتصحيح كل إتجاه سلبي يظهر على شخصيّة الانسان وحياته .

وماكان الاسلام رسالة تربويّة إلّا لأنه رسالة عمل وبناءِ فعليّ ، فليس في منهج الاسلام أفكار ولانظرات جدليّة مجرّدة ، وليس من خطّته أن يلقى بالوصايا والمواعظ والارشادات العائمة الّتي لاتجد لها مجالاً في حيّز التطبيق ، فهو يرى في الفكر والمعرفة الّتي يقدمها للانسان دليل عمل، ومنهج حياة ، وتصميم بناء إنسانيّ متكامل .

وقد شرع مربّي الانسانيّة ورسول الهداية محمّد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بتربية جيل فذفريد ماعرف الفصل بين العلم والعمل ، أو التفريق بين الفكر والممارسة ، فقدكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يربى أصحابه ويروضهم على العمل والتطبيق كلما القى إليه شيء من القرآن الكريم .

في رواية عثمان بن مظعون وإبن مسعود : « ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرئهم العشر فلايجاوزونها إلى عشر اخرى حتّى يعلموا مافيها من العمل فيعلمهم القرآن والعمل جميعاً »

قوله : « العشر » : عشر آيات من القرآن الكريم .

وفي رواية : عن أبي عبدالرحمن السلمي قال : « حدّثنا من كان يقرؤنا من الصحابة انهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر آيات فلا يأخذون في العشر الاخرى حتى يعلموا مافي هذه من العلم والعمل »

ولقدكان المسلمون يجدون في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النموذج الحيّ للعقيدة والرسالة فهو أول العاملين وقدوة المطبقين ، فقد اعدّ وربّى تربيّة إلهيّة كاملة عبّر هو نفسه عنها بقوله : « أدّبني ربّي فأحسن تأديبي » ليكون النموذج الانساني

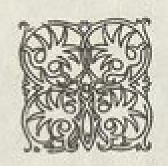
الأعلى والرسالة الحيّة الناطقة لذلك كانت سنّته تشريعاً ، وحياته قانوناً ، وقد وصف القرآن الكريم هذه الصورة الانسانية الفذة بقوله : « و انك لعلى خلق عظيم » القلم : ٤)

ولذلك وجّه القرآن المجيد إهتمام البشرية و أنظارها للاقتداء بسلوك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والالتزام بمنهج حياته : « لقدكان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » الاحزاب : ٢١)

فعلى هدى هذه المبادىء والاسس بني الجيل الرائد حياته ، وبوحي من هذه الارشادات تحدّث أئمة أهل بيت الوحي صلوات عليهم أجمعين .

فى وسائل الشيعة : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « الايمان لا يكون إلّا بعمل والعمل منه ولا يثبت الايمان إلّا بالعمل »

فعلى هذه المبادىء والاسس أيضاً يجب أن يربى الانسان المسلم نفسه، وبعد أبناءه واسرته ، و تمارس الدولة والمؤسسات الاصلاحيّة والتغيرية في المجتمع مسئوولياتها التربوية .



«التربية ومراحلها والمربي وشرائطه»

و اعلم أن التربية ـ إطلاقاً ـ هي : ايصال الشيء إلى غاية كماله و نهاية غرضه ، و هي منبع عظمة كلّ شيء و أصله كلّ بحسبه ، و هي في الانسان : تكميل الطبيعة الانسانية الفاضلة ، و إصلاح ما فيه من سوء الطبائع والميول ، و إخراج ما فيه من قوّة الكمال إلى الفعل .

و غرض التربية هو ايصال الانسان إلى الكمال اللائق به ، والكامل هو الّذي جمع فيه المعرفة بالله جلّ و علا و برز منه الفضائل ، و زكّى نفسه عن الرذائل مع رعاية ما فيه صلاح جسمه و صحّة بدنه فهي بالنسبة إلى الانسان : تنمية جسمه و روحه لنيله بالكمال المطلوب المقدّر له .

و في التربية دواء للداء البشري الداخلي والخارجي : الطبعي أو الموروثي أو الاكتسابي ، وفيها فلاح البشر و صلاحه ، كماله وعظمته ، جلاله وجماله ، و سعادته و عزّته في الدارين ، و بها ينال الانسان بالأهداف العالية والغرض الأصلي لخلقته ، و بها تظهر جواهر إستعداده ، و ليس شيء أعظم عندالله عزوجل في الخلقة و لا أهم في الدين الاسلامي من التربية ، إذ لو كان لما ابتدأ الوحي السماوي بها دونه : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » العلق : ١) .

و بها صلاح الفرد والمجتمع معاً ، و بدونها فساده و فسادهم معاً جداً ، و ان التربية هي الّتي توجد في الانسان حركة إلى الكمال ، وشعوراً إلى الصلاح والفلاح ، وهي عين يشرب بها من أراد الحياة والعيش الهنييء في الدنياوالآخرة ،

و انها نور يهتدى به الانسان في ظلمات الجهل ، و بها يصير الانسان مرآة للحق و مظهراً لعظمة الله تعالى و عدله و قدرته و تدبيره في نظام الخلقة .

و نعم ما قال الشاعر الفارسى :

تربيت خورشيد روحاني بود	منبع آن علم سبحانى بود
عقل ودل گردد زنورش بهره ياب	مردوزن يكسان زفيضش كامياب
پاك ساز دل ز زنگ دشمني	بركند او ريشهٔ ما و منى
چون برادر جمله أفراد بشر	وين زمين فردوس گردد سربسر

و من البديهي ان التربية الناقصة أو الفاسدة توجب فساد الفرد والأسرة والمجتمع ، وبالمآل توجب خسران الدنيا والآخرة ، كما أن سلب حرّية الفرد يوجب سلب حرّية المجتمع ، و سلب الأمن للحاكم والحكومة ، و ذلك ظاهر في زماننا هذا .

ففي تربية الفرد منافع مشتركة بينه و بين المجتمع خلافاً لمن خصّها بأحدهما دون الآخر ، و من ثمّ لابد للمربّي من الالتفات التام إلى الفرد والجامعة معاً في التربية إذ لاتمكن الحياة الانسانيّة إلّا بالمنافع المشتركة بينهما ، و ان أمر التربية للنسل البشري أمر حياة و موت ، و ان التربية الصحيحة هي أوّل أصل تبتنى عليه حياة البشر : « إقرأ باسم ربك الذي خلق » العلق : ١) .

وان التمدن والمدنية لابد أن تكون وليدة التربية الصحيحة ، فكل تمدّن لم يكن فيه تربيّة صحيحة فهو حدائق و حشان باسم التمدن ، فلا يرجى فيها الانس والالفة ، ولا العدل والرحمة ، ولا الاحسان والرأفة ، ولا الفلاح والفضيلة ، و لا الشرف والغيرة . . .

و أما مراحل التربية : فهي على ثلاث أدوار :

الاولى : الدورة الابتدائية و هي تبتدأ من الاسرة قبل الولادة و بعدها إلى نحو سبع سنين و هي وظيفة الوالدين ، و إن كانت مسئوليّة الام أكثر ، و

وظيفتها أشق من الأب بجهات عديدة . . . أولم يكفك من شأن المرأة أن تكون مربّية لك و أنت معلّم لغيرك . . .

الثانية : الدورة المتوسطة ، و هي في المدرسة ، تبتدأ من سبع سنين إلى حدّ البلوغ ، و هي وظيفة المعلّم والمدرّس ، و إن كان الأبوان في هذه الدورة غير خالين عن المسئوليّة .

الثالثة : الدورة العالية و ذلك حين يبلغ الرشد ويسعى في المجتمع ، وهي تحت نظرة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ثم العلماء العاملين ، وإن كانوا هم ناظرين أيضاً على السابقتين أيضاً .

و لا يخفى ان التربية في الدرجة الاولى لابد أن تكون أخلاقيّة ، و في الدرجة الثانية أن تكون عقلانية ، وليست العقلية كاملة بدون الأخلاقية ، وليس شيء أعظم شأناً من فنّ التربية .

و أمّا المربّي فهو يعين مربّاه في بروز ما في إستعداده و إخراج مافيه من القوّة إلى الفعل ، و إصلاح ما فيه من سوء الطبائع ، وما عرض عليه من الرذائل الموروثة أوالاكتسابية ، ومنع ما يمكن أن يعرض عليه .

و ان الفرق بين المربّي والمعلّم ان المربى ينمى تنمية صالحة ما في كموننا من الاستعداد و يمنع منا ما يفسد أخلاقنا . . . والمعلّم يلقى علينا ما لا نعلم من خارج وجودنا ، و من هنا يعلم شأن الام في تربية أولادها . . .

و أما شرائط المربى فأهمّها أحد عشر أمراً :

الاول : أن يكون نفسه مربّاً بتربيّة صحيحة قبل أن يكون مربّياً لغيره حيث ان فاقد الشيء لا يستطيع أن يكون موجده ، فلا يكون معلّماً بلا تعلّم ،

الثاني : أن يكون عطوفاً رحيماً رؤفاً ليّناً إلى مربّاه بحيث كان رجاء مربّاه أكثر من خوفه منه في بداية الأمر . وقد ورد صحيحاً ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « رحم الله من أعان ولده على برّه و هو أن يعفو عن سيئته و يدعو له فيما

بينه و بين الله » .

الثالث : أن يعتقد المربي ويتخلق بما يلقى على مربّاه و إلّا كان خائناً في عمله ، وربما يسلب إعتماد مربّاه عنه إذ يراه على خلاف مايلقيه فلا أثر لسعيه .

الرابع : أن يربّي على ما هو غرض الدين و ما في مربّاه من الاستعداد لاعلى ما يشاء هو أو ما تشاء الحكومة ، فيجتنب عن تحميل الأفكار الشخصية والأغراض الفردية سواء كان من حاكم أو عالم . . .

الخامس: أن يعرف المربي طبائع مربّاه وميوله ، وهي على ثلاثة أقسام : فطري ، و موروثي و إكتسابي ، و يميّز بينها فيربيه على ما تقتضيه إذ لكل طريق خاص في التربية .

السادس: أن يعرف المربّي بكل أسباب التكامل و شرائطه لمربّاه و يعلم بكل ماله تأثير فيه من العوامل الداخليّة والخارجيّة . . .

السابع : أن يصلح المربي طريق بروز مافي مربّاه من قوة إستعداد الكمال إلى الفعل ، و يدفع أو يرفع موانعه عن داخله أو خارجه أو هما معاً ، و يمنع من نفوذ الأوهام والأباطيل في ذهنه ويقوّي ما في حسّه من العبوديّة لله تعالى .

الثامن : أن يكون معتدلاً في التربية، ويحذر عن الافراط والتفريط فيها، وأن يجتنب عن الاستبداد إطلاقاً، ويربّيه على سبيل التدريج سلبياً أو ايجابياً . . .

التاسع : أن يجتنب عن الرذائل والفواحش والأعمال الفاسدة والأقوال الباطلة والسبّ والشتم والمزاح المفرط والحركات القبيحة . . . وعن كل مايحدث في الصبى الجبن والحياء المفرط أو يطلق له العنان و يجعله قاسياً صعب المراس ، أو يصغر الأبوين في عينيه و لا يحترمهما . . . و يمنع الطفل عن الاعتياد على التلذذ فان ذلك مفسد ضار له ، و عن حبّ البطالة والكسل فان ذلك أشدّ أمراض الحياة ، فليدرّب الصبى من أوّل حياته على العمل، وعن التأنف والاسراف، و عما يوجب التهور والوقاحة . . .

العاشر : أن لا يمنّ المربّي على مربّاه في تربيته ، و لا يطلب منه فيها أجراً ، و لا يؤذيه و لا يهينه . . .

قال الله عزوجل : « قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلّا على الله و هو على كل شيء شهيد » سبأ : ٤٧) .

و قال : « أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون » القلم : ٤٦) .

الحادي عشر : أن تكون أحكام المربّي صارمة في تهذيب الطفل و تأديبه ، من غير أن يبلغ به حدّ الاذلال فيعيش عبداً ذليلاً ، بل ينبغي أن يشعر الطفل بأنه حرّ ولكن لا تتعدّى تلك الحرية الحدّ بالنسبة إلى نفسه أو إلى غيره .



منهج التربية و أهدافها في الاسلام

ومن المعلوم أن الرسالة الاسلامية قد تشكّل بكامل عناصرها وتعدّد جوانبها وحدة فكرية وتشريعيّة وتوجيهيّة متماسكة لاينفكّ بعضها عن بعض، ولايستقلّ جانب منها عن جانب آخر، فالمفهوم العقائدى في الدين الاسلامي لا ينفصل عن النص القانوني أوعن القيمة الأخلاقية أو الأفكار والمفاهيم الحياتية، فكلها تشكل وحدة البناء الرسالي والصيغة الموحدة المتناسقة للشريعة والرسالة الاسلاميّة.

و لأهميّة التربيّة قد بدئت هذه الرسالة بها تنبيهاً إلى أنها تدور عليها وهي موضوعها: «إقرأ باسم ربك الّذي خلق» العلق: ١) فضلاً عن إنفصالها بأيّ حال من الأحوال عن نظرة الاسلام للانسان، و فهمه للكون والحياة و تفسيره للسلوك والمواقف والأهداف الانسانيّة... ولذاك يحسب علينا أن نلقي نظرة على المصادر الأساسيّة للفكر والمعرفة الاسلاميّة، لنستنتج منها أهمّ المرتكزات و أبرز المعالم والمنطلقات الفكريّة لمنهج التربيّة والاعداد الانساني في الاسلام لتكون أساساً لتخطيط المنهج التربوي، و منطلقاً للتعريف بالسياسة التربوية في هذه الرسالة السماوية.

و إذا ما رسنا مثل هذه الدراسة نستنتج مايلي:

١ - ينطلق المنهج الاسلامي من مبدأ أساس هو الايمان بنقاء الفطرة، و إستعداد النفس الانسانيّة لتلقّي الخير والشر والحق والباطل، والكفر والايمان، والصلاح والفساد، ولتلقّي النور والظلمة، والهدى والضلالة... قال الله عزوجل:

« إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً » الانسان : ٢ ـ ٣) .

و قال : « و نفس وماسوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها و قد خاب من دسّاها » الشمس : ٧ ـ ١٠) .

و قال : « فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون » الروم : ٣٠) .

وقدورد صحيحاً عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه » .

و قد قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « و إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما القى فيها من شيء قبلته » .

٢ ـ ان عوامل البيئة والوراثة تؤثر في شخصية الفرد وحياته تأثيراً سلبياً و ايجابياً حسب ظروفها و طبيعتها .

قال الله عزوجل : « و كذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلّا قال مترفوها إنّا وجدنا آبائنا على امّة و إنّا على آثارهم مقتدون » الزخرف : ٢٣) .

و قد جاء في الحديث الشريف ما يؤكّد دور الوراثة وتأثيرها على شخصيّة الانسان :

فى الكافى : باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إختاروا لنطفكم فان الخال أحد الضجيعين » .

وفيه: باسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « انكحوا الأكفاء و انكحوا فيهم و اختاروا لنطفكم » .

٣ ـ ان الاستعدادات والملكات والقوى البشريّة هي من حيث وجودها في كافّة أفراد النوع الانساني واحدة ، إلّا أنها تختلف في الدرجة والقوة والضعف ، أي أن هناك خصائص إنسانية مشتركة بين الجميع ، و هناك فروق فرديّة تميز

بين فرد و آخر كملكات الأخلاق و إستعداد الذكاء... ولذلك يراعي الاسلام هذه النقطة في التربية والاعداد كما يراعيها في التكاليف و ترتيب المسئولية...

٤ ـ ان الانسان يملك الارادة و حريّة الاختيار و هو مسئوول عن هذا الاختيار و محاسب عليه و مجازى به ـ خيراً كان هذا الاختيار أم شرّاً ـ فهو يستطيع أن يصحّح مواقفه ، وأن ينتصر على ذاته وعلى البيئة والظروف المحيطة به ، كما يستطيع الانسياق مع تيار الشر ، والسير مع جموع الضلال والسقوط في هاوية الرذيلة والفساد : « و هديناه النجدين » البلد : ١٠) « بل الانسان على نفسه بصيرة و لو ألقى معاذيره » القيامة : ١٤ ـ ١٥) .

فى الكافى : عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال : « لا جبر و لا تفويض ولكن أمر بين أمرين... » الحديث .

٥ ـ ان التربية عمليّة بناء و إعداد إنساني و تقويم و بناء للجانب الخيّر من الانسان ، و حذف و إلغاء لكل مظاهر السلبيّة والانحراف ، و ان المعرفة والثقافة هي دليل عمل، و إكتسابها المجرّد ليس بامكانه إلّا أن يبنى الفكر وحده :

فى الكافى : باسناده عن إسمعيل بن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « العلم مقرون إلى العمل ، فمن علم عمل ومن عمل علم والعلم يهتف بالعمل فان أجابه و إلّا ارتحل عنه » .

وفيه: باسناده عن عبدالله بن القاسم الجعفري عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصفا .

٦ ـ ان وجود القدوة والمثل الأعلى في التربيّة هو ركن أساسي من أركان التربية الاسلاميّة ، فالشخصيّة القدوة تمنح عمليّة التربيّة والتغيير الانساني مثلاً حسّيّاً ملموساً ، و قوّة حركيّة تجسّد الفكر والمفهوم بشكل يدفع إلى الالتزام ، و يشجع على التفاعل مع الفكرة والمبدأ : « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » الاحزاب : ٢١) و « اولئك الّذين هدى الله فبهداهم اقتده »

الأنعام : ٩٠) .

٧ ـ ان التعلّم من أخطاء الآخرين والافادة من تجاربهم قال الله عزّ وجلّ :

« أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم » يوسف: ١٠٩) .

و قال : « أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم كانوا أشدّ منهم قوّة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » الروم : ٩) .

و قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام :

« فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبّك لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته و تجربته ، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب ، و عوفيت من علاج التجربة فأتاك من ذلك ما قد كنّا نأتيه ، و استبان لك ما ربّما أظلم علينا منه . . . »

٨ ـ ان التربيّة مسئوليّة فرديّة و إجتماعيّة عامّة :

قال الله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة » التحريم : ٦) .

وقال : « ولتكن منكم امّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و اولئك هم المفلحون » آل عمران : ١٠٤) .

و قال : « و ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون » التوبة : ١٢٢) .

هذه هي أهمّ الاسس والمرتكزات الّتي يقوم البناء التربوي على أساسها و تخطّط المناهج و برامج التربية بوحي منها .

أهداف التربية فى الاسلام :

للتربيّة الاسلاميّة أهداف و غايات أساسيّة تستهدف تحقيقها والوصول

بالانسان إلى مستواها، وهذه الأهداف هي القاعدة الأساسيّة في بناء الفرد والمجتمع والحضارة والحكومة الاسلاميّة ، ولذلك يجب على الوالدين والمربّي والمصلح الاجتماعي أن يراعي تحقيقها ويعمل على تركيزها، وهذه الأهداف باختصار مايلي:

١ ـ معرفة الانسان بنفسه و عالمه ليعرف قدره و قيمته الانسانية ، ويعرف العالم الّذي يحيط به ، والمجتمع الّذي يعيش فيه و ليعرف حقوقه و واجباته و غاية وجوده و علاقته بهذا العالم و بالحياة ، و تلي هذه المعرفة معرفة ربه كما قال الامام علي ﷺ : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » .

٢ ـ معرفة الانسان بربّه معرفة تقوم على أساس الوعي والفهم السليم لاثارة العلاقة السليمة بين الانسان و ربه ، ولتكوين فهم ايماني أصيل يساهم في بناء شخصية الفرد و إثارة تصور سليم للحياة الدنيا والآخرة .

٣ ـ تربية مشاعر الحبّ والانسجام مع العالم والمحيط الانساني ، و تقوية الشعور بالرابطة الانسانيّة الّتي تربط بين بني الانسان بعضهم ببعض عن طريق تنمية الحسّ الجمالي وتقوية الاحساس بمفهوم الخير والشر لتكوين موقف إنساني مؤثر من هاتين القيمتين ، و إمداد الفرد بوعي يجعله قادراً على التصرف الايجابي إزاءهما .

٤ ـ ايجاد تفكير إسلاميّ منظم يوصله إلى الالتزام المنهجي في كل تفكير و عمل .

٥ ـ إعداد شخصية إنسانية متوازنة تفاعل في إطارها كل عناصر الانسان المادّيّة والفكريّة والروحيّة على أساس من الوحدة والانسجام .

٦ ـ تنميّة و توجيه طاقات الانسان المختلفة تمهيداً لتوظيفها في مجال الخير والبناء ، و إستثمارها لصالح الانسانية .

٧ ـ غرس الروح والتفكير العلمي في نفس الانسان ، و زرع حبّ العلم والشوق إلى تحصيل المعرفة ، و تزويد الطفل والناشيء والشاب بالعلوم والمعارف

والمهارات والخبرات اللازمة .

٨ - إعداد الفرد للعيش في ظلال الحياة الاسلاميّة ، والمساهمة في بناء هيكل المجتمع والحياة .

٩ - الحفاظ على تراث الامة الاسلاميّة و ماضيها المجيد بدراسة تاريخ الامة ، والتعريف بأمجادها و حضارتها ، و دورها التاريخي بشكل نزيه و خال من التعصّب والدسّ والتشويه الّذي تعرّض له التاريخ لنكشف لأجيالنا عن وجه التاريخ الناصح ، وليكتشف الطالب العبرة والقدوة في هذا التاريخ العظيم .

١٠ - تنمية الروح القيادية في الأطفال والناشئة والشباب و تأكيد دور الامّة الاسلاميّة الرسالي ، و توضيح مسئوليتها الحضاريّة الكبرى في الحياة وتحسيسهم بمسئوليتهم الانسانيّة لانقاذ البشريّة وهدايتها إلى سبيل الخير والسلام لتنشأ فيهم روح الاستقلال والأصالة العقائديّة ، و ينمو في نفوسهم النزوع إلى قيادة البشرية و دعوتها إلى رسالة الحق .

١١ - تنميّة روح الاخوة الاسلاميّة و تأكيد الاخلاص للعقيدة والامة والوطن الاسلامي الكبير .

١٢ - هذه هي أهمّ الأهداف الرساليّة والعلميّة للتربيّة الاسلاميّة الّتي تتشاطر الجهات والمؤسسات التربويّة تحقيقها كلّ حسب مسؤوليته و إستطاعته .

﴿أقسام التربية، وتربية الوالدين لولدهما﴾

قال الله عزّ وجلّ: «وقل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً» الاسراء: ٢٤)

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «أنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كالعضد من المنكب، وكالذراع من العضد، وكالكفّ من الذراع، ربّاني صغيراً، وآخاني كبيراً... » الحديث.

وقال الامام علي عليه السلام: «إستمعوا من ربّانيكم، وأحضروه قلوبكم واسمعوا إن هتف بكم»

و قال الامام علي عليه السلام: «من لم يربّ معروفه فقد ضيّعه»

وقال عليه السلام: «من لم يربّ معروفه فكأنه لم يصنعه» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لأن يؤدّب أحدكم ولداً خيرله من أن يتصدّق بنصف ساع في كل يوم»

وقال المعصوم عليه السلام: «أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم»

وقال بعض الحكماء: عمارة الدنيا منوطة بستة أشياء: أوّلها التوفر على المناكح وقوّة الداعي إليها، إذلو انقطعت لانقطع التناسل، و ثانيها الحنو على الأولاد إذلولاه لزالت البواعث على التربيّة، وكان في ذلك هلاك الولد...

وقدسبق منّا كلام في قسمي التربيّة من الله جل وعلا لعباده: التربيّة المادية الجسميّة والتربيّة الروحيّة المعنويّة، ولنا هيهنا بحث في تربيّة عباده بعضهم بعضاً، والناهي أيضاً على قسمين - فشتّان بينهما -:

أحدهما - تربيّة جسميّة وهي ترجع إلى ما إصلاح الطعام والشراب والمباس

والمسكن وجميع ضرورات الحياة مما يشاركنا فيه الحيوان ، وانها للحيوان طبيعي ولكن إصلاحها للانسان فأوّل مايجب تعليمه .

ثانيهما ـ تربيّة عقليّة وهي على أقسام أربعة :

القسم الاول : التربيّة الاسرويّة وفيهاتربيّة جسميّة أيضاً ، وليس معنى التربيّة مقصوداً في المولود بأن يولد ولد ، فيربّيه والده ، بل لابدّ لهما من تربية ولدهما قبل الازدواج ـ والبحث فيه مستقصى في باب الازدواج ـ و قبل إنعقاد النطفة بأكل الحلال ومراعاة الأوقات والآداب و صدق النية وقت الجماع ، والاجتناب عن الحرام وعن كل مايؤثر في النطفة إذاانعقدت وعن مناظر السوء . . .

قال رسول الله ﷺ في وصيته لعلي عليه السلام : « ياعلي لاتجامع إمرأتك بنظر إمرأة غيرك لئلاّ يكون الولد مخنّثاً »

قال أكثم بن صيفي حكيم الجاهلية : « لايفتننكم جمال النساء عن صراحة النسب ، فان المناكح الكريمة مدرجة الشرف »

وقال شاعرهم :

وأخبث الماء خبث ترابه وأوّل خبث القوم خبث المناكح

وقال بعضهم : «لاأتزوّج إمرأة حتى أنظر إلى ولدى منها ، قيل : له : كيف ذاك ؟ قال : أنظر إلى أبيها وامّها فانها تجرّ بأحدهما »

وقال قائلهم لبنيه :

قد أحسنت إليكم صغاراً و كباراً وقبل أن تولدوا قالوا : و كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟ فأجاب : إخترت لكم من الامهات من لاتسبّون بها .

ومن البديهي ان لكل حركة من حركات الامّ وغذائها وقصدها . .. تأثيرات عجيبة في تكوين الولد وتربيتها خيراً وشراً ، صلاحاً وفساداً .

وقد ترك علماء الاجتماع وتربيّة الأطفال هذه الجهة الأساسيّة في تربية الأولاد مهتمّين بمراحل فرعيّة ، ولذلك لم يستنتجوا ما ينبغي أن يستنتجوا من

تحقيقاتهم ونظراتهم . . .

في الكافي : باسناده عن غياث بن إبراهيم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : انظروا من ترضع أولادكم فان الولد يشبّ عليه .

وفيه: باسناده عن درست عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ماحقّ ابني هذا؟ قال : تحسن إسمه و أدبه وضعه موضعاً حسناً » أي علّمه كسباً صالحاً .

القسم الثاني : التربيّة المدرسيّة، وبها تظهر مواهب التلميذ الكامنة، وينتفع بها في بقيّة الحياة إنتفاعاً خاصّاً بنفسه لنفسه .

القسم الثالث : التربيّة المدنيّة وهي التي بها يشارك الانسان مجموع الامة في حكومتها ونظامها العام .

القسم الرابع : التربية الأدبية العامّة ، وهي التي بها يصلح الانسان لمشاركة الأمم جمعاء في حياتها الاجتماعيّة .



«اهتمام الاسلام بالتربية وتربية الوالدين»

ان الرسالات الالهية كلها رسالات تربوية تستهدف تربيّة الانسان ،و إعداده للعيش في عالمي الدنيا والآخرة سعيداً منعّماً كما أراد الله جلّ وعلا له أن يعيش.

وهذه دعوة نوح عليه السلام لقومه : « إذقال لهم أخوهم نوح ألاتتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلّا على رب العالمين » الشعراء : ١٠٦ - ١٠٩)

وهذه رسالة هود عليه السلام إلى قومه : « إذقال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلّا على رب العالمين » الشعراء : ١٢٤ - ١٢٧)

وهذه دعوة صالح عليه السلام لقومه : «إذقال لهم أخوهم صالح ألاتتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلّاعلى رب العالمين أتتركون فيما هيهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم و تنحتون من الجبال بيوتاً فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولاتطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولايصلحون » الشعراء : ١٤٢ - ١٥٢)

وهذه رسالة لوط عليه السلام لقومه : « إذقال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلّا رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون » الشعراء : ١٦١ - ١٦٦)

وهذه دعوة شعيب ﷺ لقومه : «إذقال لهم شعيب ألاتتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلاّ على رب العالمين أوفوا الكيل ولاتكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولاتبخسوا الناس أشياءهم ولاتعثوا في الارض مفسدين » الشعراء : ١٧٧ ـ ١٨٣)

قال الله عزّوجلّ : « ولوأن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض » الاعراف : ٩٦)

وقال : « الّذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اولئك لهم الأمن»الأنعام:٨٢)

وقال : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ـ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً » الطلاق : ٢ ـ ٤)

وقال : « تلك الجنة الّتي نورث من عبادنا من كان تقياً » مريم : ٦٣)

أوليس التقوى من ثمار تربيّة الرسالات الالهيّة يتبعها الأمن والصلح والألفة والاخوّة . . . والتنعّم من جميع المواهب الالهيّة في الحياة الدّنيا و من النّعم الاخروية كلّها . . . ؟ أوليس فساد الأرض والمعيشة ضنكاً و فقد الأمن والهلاك والدّمار والعذاب والنّار من جانب فاقدي التربيّة أو ناقصيها ؟

وأما الرسالة الاسلاميّة بما أنها كبرى الرسالات وخاتمة الشرائع فكان إهتمامها بالغاً وشديداً باعداد الانسان وتربيّة أنفسهم وأهليهم ـ مضافاً إلى أنها موضوعها وقد بدأت بها فتدور حولها ـ إذقال : « إقرأ باسم ربك الّذي خلق خلق الانسان من علق إقرأ وربك الأكرم الّذي علم بالقلم علّم الانسان مالم يعلم» العلق : ١ ـ ٥)

وقال : « يا أيّها الّذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها النّاس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شدادلا يعصون الله ماأمرهم ويفعلون ما يؤمرون » التحريم : ٦)

فهي هذه الآية الكريمة يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بتربية أنفسهم وأهليهم

من أبناء وأزواج . . لتكوين الفرد الصالح والاسوة الصالحة ، تمهيداً لبناء مجتمع إسلامي قويم . وقد استجاب المؤمنون لهذا النداء وتأثروا به تأثراً شديداً .

في الكافي : باسناده عن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لما نزلت هذه الاية : « ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » جلس رجل من المسلمين يبكي ، وقال : أنا عجزت عن نفسي كلّفت أهلي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : حسبك أن تأمرهم بما تأمرهم به نفسك وتنهاهم عما تنهي عنه نفسك .

وفي الدر المنثور : عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في قوله : « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » قال : علّموا وأهليكم الخير وأدّبوهم .

وقد وردت روايات كثيرة في تحريص المسلمين على تربية أولادهم وإهتمامهم بتنشئتهم وإعدادهم منها :

في الكافي : باسناده عن درست عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ماحقّ إبني هذا ؟ قال : تحسن إسمه وأدبه وضعه موضعاً حسناً .

وفيه : قال أمير المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : علّموا أولادكم السباحة والرماية .

وفي نهج البلاغة : -وقد جاء في وصية الامام علي عليه السلام لولده الحسن من التوجيه والاهتمام التربوي ما يدعو كل مسلم إلى المبادرة والعناية بتربية أولاده وصيانتهم من الانحراف والسقوط ، والوصية قيمة وطويلة نقتطف منها قوله عليه السلام : « أي بنى إنّي لما رأيتني قد بلغت سناً ورأيتني ازداد وهناً بادرت بوصيتي إليك وأوردت خصالاً منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن أفضي إليك بما في نفسي أو أن أنقص في رأيي كما نقصت في جسمي ، أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى ، وفتن الدّنيا ، فتكون كالصعب النفور وإنّما قلب الحدث كالأرض الخالية ما القى فيها من

شيء قبلته ، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبّك لتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته ، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنّا نأتيه ، واستبان لك ما ربّما أظلم علينا منه .

أي بنى إنّي وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم و فكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم ، بل كأني بما انتهى إليّ من امورهم قد عمّرت مع أوّلهم إلى آخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله ، ورأيت حيث عناني من أمري ما يعني الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه من أدبك أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ومقتبل الدّهر ذو نيّة سليمة و نفس صافية ، و أن أبتدأك بتعليم كتاب الله وتأويله وشرائع الاسلام وأحكامه وحلاله وحرامه . . . »

وفي الصحيفة السجادية - في دعاء سيد الساجدين زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام لولده - : « أللهم ومن علي ببقاء ولدي وباصلاحهم وبامتاعي بهم إلهي امدد لي في أعمارهم وزد لي في آجالهم وربّ لي صغيرهم و قوّ لي ضعيفهم وأصح لي أبدانهم وأديانهم وأخلاقهم وعافهم في أنفسهم وفي جوارحهم وفي كل ما عنيت به من أمرهم . . . »

وهكذا تتأكّد لنا عناية الاسلام ورعايته للطفل و إهتمامه به ، و إهتمام الاسلام وعنايته بتربية الطفل وإعداده تبدأ من العناية بعلاقة الأبوين ومن تربية نفسهما ، ومن حين وقوع النطفة في رحم الام ، وعند تخلّقها ونموّها جنيناً وعند الولادة ، وفي مرحلة الطفولة والصفا والمراهقة والاكتمال ، فهي رعاية وتربية كاملة ، تبدأ بتمهيد وإعداد الأجواء والظروف اللازمة لايجاد الطفل السويّ المستقيم ، و تنتهي بالعناية والرعاية التامة له في كلّ مراحل تكوّنه ونموّه وإكتماله .

فقد ابتدأ الاسلام بتهيئة الجوّ النفسي في محيط الاسرة لاستقبال الأولاد و

تكوين علاقة الودّ والمحبّة معهم بتحبيب الأولاد لأبويهم وحثّهما على إنجاب الأولاد والاعتناء بتربيتهم وتوجيههم .

في الكافي : باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنّة .

وفيه: بهذا الاسناد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من سعادة الرجل الولد الصالح »

وفيه: عن أبي الحسن عليه السلام انه يقول « سعد امرؤ لم يمت حتى يرى خلفاً من نفسه »

وفيه: باسناده عن أحمد بن الفضل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : البنون نعيم ، والبنات حسنات ، والله يسئل عن النعيم ويثيب على الحسنات .

وفيه: باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام قال :إذا أردت الولد فقل عند الجماع : « اللهم ارزقني ولداً واجعله تقياً ليس في خلقه زيادة ولا نقصان واجعل عاقبته إلى خير »

وفيه: باسناده عن أبي بصير قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام : « إذا تزوّج أحد كم كيف يصنع ! قلت :لاأدري قال: إذاهمّ بذلك فليصلّ ركعتين وليحمدالله عزّوجلّ ثم يقول : «أللهمّ إني اريد أن أتزوّج فقدّر لي من النساء أعفّهن فرجاً وأحفظهن لي في نفسها ومالي وأوسعهن رزقاً ،وأعظمهنّ بركة ، وقدّر لي ولداً طيّباً تجعله خلفاً صالحاً في حياتي وبعد موتي » قال: فاذا دخلت إليه فليضع يده على ناصيتها وليقل: « أللهمّ على كتابك تزوّجتها وفي أمانتك أخذتها وبكلماتك إستحللت فرجها فان قضيت لي في رحمها شيئاً فاجعله مسلماً سويّاً ، ولاتجعله شرك شيطان » قال : قلت : و كيف يكون شرك شيطان ؟ قال : إن ذكر اسم الله تنحّى الشيطان و إن فعل ولم يذكر أ دخل ذكره وكان العمل منهما جميعاً والنطفة واحدة »

قال الله تعالى : « وشاركهم في الأموال والأولاد » الاسراء : ٦٤)

ويظهر مما سبق ان تربية الطفل في الاسلام تعتمد على أربعة أركان :

أحدها - ايمان الوالدين بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأن يكونا نفسهما مربّين بتربية إسلاميّة باعتبار أنهما المصدر الأوّل الّذي يتلقى عنه الطفل ويتأثر به ويكتسب منه .

ثانيها - حسّهما على مسئوليتهما عن تربية أولادهما . .

ثالثها - توفير جوّ نفسي عائلي ، مشبّع بالحبّ والحنان يساعد على النموّ والتفتح النفسي عند الطفل .

رابعها - العناية الجسديّة والنفسيّة والايمانيّة والسلوكيّة بالطفل من حين تكوّن النطفة ، وحتى الولادة والطفولة والصبا والمراهقة والاكتمال. ولذلك نجد الأحاديث الشريفة ترشد المسلمين وتحثّهم على العناية بالطفل وتربيته وإعداده إعداداً جسدياً وعقلياً ونفسياً وسلوكياً سليماً ، وتتناول التربية الطفل من حين ولادته ولذلك أوصى الاسلام بأن يؤذّن في اذن الطفل اليمنى ، ويقام في اذنه اليسرى كي تكون أوّل كلمة تقع في أذن الطفل على هذه الأرض هي كلمة التوحيد الّتي تذكّره بميثاق الفطرة الّتي إنعقدت عليها نطفته ، وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بسبطيه الحسن والحسين عليهما السلام بعيد ولادتهما وجعلها سنة في امّته صلى الله عليه وآله وسلم ثم أوصى بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من ولد له مولود فليؤذّن في اذنه اليمنى بأذان الصلاة و ليقم في اذنه اليسرى فانها عصمة من الشيطان »

ومن المبادىء الأساسيّة الّتي يعتنى بها الاسلام في التربية هي تربية الروح المعنوية - وإن لم يترك تربية الجسم المادية سدى - وإشعار الطفل بقيمته وكرامته والاسم المحبب كما نعلم هو عنوان لشخصية الطفل وتكريم له ، ولذلك حثّ النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم على إختيار الاسم الحسن للطفل وتكريمه به .

في الكافي : باسناده عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ماحقّ إبني هذا ؟ قال : تحسّن إسمه وأدبه وضعه موضعاً

حسناً »

ويواصل الاسلام العناية بالطفل ، ويحثّ الام على رعاية رضيعها ، و رضاعة ولدها من لبنها فهو الغذاء الطبيعي المتوازن الذي يحفظ للطفل صحته ونموّه و يصون جسمه و جهازه الهضمي من الارتباك والأمراض ، ومن هنا وصف القول المأثور عن الامام علي عليه السلام هذه الحقيقة والتربوية بقوله ما :

في الكافي : باسناده عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : مامن لبن يرضع به الصبي أعظم بركة من لبن امّه .

ثم حذّر الاسلام بعد ذلك من إتخاذ المراضع والمربّيات المريضات وسيئات الأخلاق ، حماية لأخلاق الطفل ، ووقاية له من تسرب عدواهن .

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاتسترضعوا الحمقاء فان اللبن يعدى وإن الغلام ينزع إلى اللبن - يعني إلى الظئر في الرعونة والحمق .

قوله عليه السلام : « الظئر » : المرضعة غير ولدها .

وفيه: باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال :كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول : لاتسترضعوا الحمقاء فان اللبن يغلب الطباع وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تسترضعوا الحمقاء فان الولد يشبّ عليه .

وفيه: باسناده عن غياث بن إبراهيم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : انظروا من ترضع أولادكم فان الولد يشبّ عليه .

ثم تستمرّ العناية التربوية بالطفل وهو في مرحلة الطفولة والصبا والمراهقة ...

وفي الكافي: عن جميل بن درّاج و غيره عن أبي عبدالله عليه السلام قال : بادروا أولادكم بالحديث (بادروا أحداثكم خ) قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة .

المرجئة : فرقة من الفرق الكلامية ، قالت بآراء مخالفة للعقائد الاسلامية الصحيحة .

ويهتم الاسلام بالتربية النفسية وتوفير الأمن والحب والحنان للطفل لينشأ سوياً من التعقيد والحقد والكراهية، ولذلك أوصى رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بقولهما:

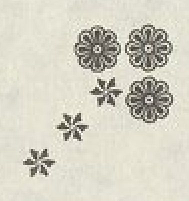
في الكافي: باسناده عن الفضل ابن أبي قرة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من قبّل ولده كتب الله عز وجل له حسنة، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة، ومن علّمه القرآن دعى بالأبوين فيكسيان حلّتين يضيء من نورهما وجوه أهل الجنّة.

وفيه: باسناده عن عبدالله بن محمد الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أحبّوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوالهم فانهم لايدرون إلاّ أنكم ترزقونهم.

وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله ليرحم العبد لشدّة حبّه لولده.

ولذلك كلّه يستنتج ان الأبوين مسئوولان عن تربية أولادهم تربية إسلاميّة، كلّ بحسبه، وأن تقصيرهما في هذا الواجب يعدّ عقوقاً من قبل الأبوين و تضييعاً لحق أولادهم عليهم وجناية عليهم.

في الكافي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ما يلزم الولد لهما من عقوقهما.



﴿مهمة الوالدين و تربية اليوم﴾

في تحف العقول : - في وصايا مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام لابنه الحسن المجتبى عليه آلاف التحية والثناء - : « فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك . . . » و قال عليه السلام أيضاً : « لا تقسروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » .

و من المعلوم أن مهمّة الوالدين اليوم في تربية الأطفال أشقّ بكثير منها بالأمس، إذ زاد شعورهما بجسامة المسئوليّة الملقاة على عاتقهما كما اتسع نطاق هذه المسئولية فلم تعد التربية مجرّد إطعام الطفل و تعويده الطاعة العمياء لما يقوله الكبار ، بل أصبحت تكوين شخصيات و تزويد الفرد بالأساليب الناجحة للكفاح في الحياة ، هذا من جانب ومن ناحية اخرى فقد أصبح الأطفال والمراهقون أكثر تحرّراً وجرأة نتيجة لتعرضهم لمؤثرات خارجيّة لم تكن معهودة بالأمس كالاذاعات والسينماءات والتلفزيون والصحف و زيادة الاختلاط . . . وهذا يتطلب مزيداً من الرقابة لحمايتهم مما قد تنطوي عليه هذه المؤثرات من نواح ضارّة . . .

وتتوقّف معاملة الوالدين للطفل على عوامل شتّى شعوريّة ولاشعوريّة ، منها إستعدادهما الفطري ، ونوع التربية والثقافة الّتي نشآ عليها ، وما مرّ بهما من تجارب في مراحل النموّ المختلفة و مبلغ توافقهما في الحياة الزوجيّة و نظرتهما إليها . . . وقد يقال : ان جهل الوالدين باصول التربية الصحيحة عامل هام في سوء سياستهما ومعاملتهما لأطفالهما ، غير أن الدراسات الكلينيكية الحديثة

بينت أن النضج الانفعالي للوالدين أخطر العوامل جميعها في تنشئة الأطفال ، فالأب والأمّ لاتغنيهما ثقافتهما السيكولوجية و علمهما بشروط التربية السليمة إن لم يكن لديهما قدر كاف من النضج الانفعالي يعينهما على إحتمال أعباء الابوّة و تكاليفها و تبعاتها و واجباتها ، و ما تتطلب من تضحية ، و إنكار للذات و رفق و حزم و حبّ جواد غير أناني أي حبّ يعطى و لا يأخذ . . .

بعض ورطات الوالدين :

و قد كشفت البحوث الحديثة في علم النفس أن الآباء والامهات كثيراً ما يتخذون من أطفالهم كباش فداءوهم لايشعرون ، بل كثيراً ما يتخذونهم مسارح يمثلون عليها ما يكابدونه أنفسهم من صراعات و عقد نفسية ، و غالباً ما يكون الدافع في معاملة الأطفال ارضاء حاجات شعورية ولاشعورية لدي الوالدين قبل أن يكون مصلحة الطفل ، وقد رأينا من دراسة الحيل الدفاعية ان الوالدالمهمل يهتمّ أولاده بالاهمال و يؤاخذهم عليه ، و كذلك الوالد الكسول أو المقصر كما رأينا كيف يصبّ الوالد المضطهد في عمله جام غضبه عليهم ! و كيف يقحم الوالد الّذي حرم من دراسة معينة أو مهنة معينة . . . ! كيف يقحم إبنه فيها بالرغم من عدم ميله أو إستعداده . . . ! و كيف تكون العناية الزائدة والتلهف الزائد على الطفل ردّ فعل على كراهية مكبوتة للطفل ! ! !

بل قد يكون مصدر هذه العناية الزائدة دوافع أنانية خالصة كارضاء غرور الام أو رغبة عارمة في السيطرة لديها أو لأنّها لاتملك هواية أو مسلاة غيره . . . و من الآباء والامهات من يجهد في الاستحواذ على كلّ حبّ طفله له ، فلا يطيق أن يتّجه الطفل ببعض حبّه هذا إلى شخص أو شيء آخر وأكبر الظّن أن يكون أمثال هؤلاء قد حرموا من الحبّ والعطف أبان طفولتهم ، بل ان رغبة الامّ الشاذّة في التملك قد تحملها على التدخّل في كلّ شئوون طفلها بما يشعره أنه لايمكن أن يستغنى عنها ، و ها هو ذا رجل لا يريد أن ينجب أكثر من طفل واحد ، و

يصرّ على ذلك إصراراً يبرره بأن تحديد النسل خير طريقة لتربية الأطفال ، غير أن التحليل النفسي دلّ على أن لديه رغبة قديمة دفينة في أن يكون وحيد امّه ، وقد اتخذ من طفله وسيلة لتحقيق هذه الرغبة ، فتقمّص شخصيّة امه ، وأخذ يدلّل إبنه على غرار ماكان يرجو أن تدلّله امّه هو . . . أي ان الغرض من تحديد النسل لم يكن مصلحة الابن ، بل حاجة الأب إلى تحقيق رغبته الطفليّة اللاشعورية .

أما الوالد العصابي أو مضطرب الشخصية فحتّى إن كان يعرف الطرق الصحيحة للتربية ، فهو يتساهل حين يجب الحزم و يتهاون حين يجب التشدد و يقسو و يشتد لامور تافهة ، و يكثر من الشكوى والهياج والتأنيب والسخرية ، ويكون عقابه أقرب إلى الانتقام منه إلى الاصلاح والتهذيب ، وليس للتسامح وسعة الصدر مجال كبير في نفسه إزاء أولاده ، هذا إلى تذبذبه ، و عدم ثباته في معاملتهم فاذا به يعاقب اليوم على ما كان يثيب عليه بالأمس ، و ليس ببعيد أن يغار من ميلاد طفل جديد له ، و أن يضيق بمطالب أطفاله من زوجته أو أن يهاجم كل من يحاول أن يستحوذ على حبّ أطفاله له ، و بعبارة موجزة : ان الجوّ الّذي يخلقه مثل هذا الوالد في البيت ـ أباً كان أو امّاً ـ ليس جوّ أمن و إستقرار .

اسس التربية السليمة :

من نافلة القول أن نذكر أن العطف هو ذلك الجوّ الجميل الّذي يجب أن يحاط به الفرد في غضاضة عمره ، فهو الموازن الطبيعي للضعف الّذي يشعر به كل صغير حيال الكبير ولكي نعطف على الطفل و نحبّه بالرغم مما قد يكون به من عيوب يتعيّن علينا أن نفهمه يجب علينا أن نعرفه ، ومعرفة الطفل تتضمّن أشياء كثيرة من أهمّها :

١ ـ معرفة دوافعه و حاجاته الأساسيّة ، وما يترتب على احباطها و كبتها من أضرار .

٢ ـ معرفة منطقه الخاص وطريقة تفكيره الخاصّة و نظرته الخاصّة إليها

و إلى العالم الّذي يحيط به .

٣ ـ هذا إلى معرفة ما تنطوي عليه مرحلة الطفولة من أهمّيّة و خطورة في حياة الفرد كلّها وفي تشكيل مصيره النفسي ، و قد اتضح لنا في أكثر من موضع مما سبق أثر هذه المرحلة في تعيين شخصيّة الفرد و طبعها بطابعها الخاص ، و توجيهها إلى الصحة أو إلى المرض ، فلنبادر دون تسويف بغرس ما يمكن غرسه من إتجاهات وعادات صحيّة و خلقيّة ، و لنبادر دون تسويف أيضاً بعلاج ما قد يبدو لدي الطفل من مشكلات سلوكيّة و خلقيّة خشية أن تثبت و تستعصى على التغيير إن تركت ليعالجها الزمن !

و ليذكر الآباء والامهات أن لهم مهمّة مزدوجة في تربية أطفالهما ، وهذه المهمّة لا تتخلص في مجرّد الابتعاد عن القسوة والتخويف والتدليل أو الاهمال أو التقلب في معاملة الطفل ، بل تتجاوز ذلك إلى تزويده بالأساليب الناجحة الواقعية للكفاح في الحياة ومعاملة الناس ، ومن أهمّها : كيف يعتمد علي نفسه ؟ و كيف يضبط إنفعالاته ؟ و كيف يسوس دوافعه العدوانية ؟ و كيف يتصرّف إزاء ضروب الفشل والاحباط والحرمان ؟

غير أن معرفة الطفل لا تكفي وحدها لحسن سياسته و معاملته ، بل لابد لذلك أيضاً من أن يعرف الوالدان نفسيهما ، وحبّذا لو تسنى لهما أن يعرفا مختلف الدوافع الّتي تحركهما إزاء أطفالهما ، و مختلف الحيل الدفاعية الّتي يلجآن إليها . . و قد يكون للوالدين العذر في معاملة أولادهما معاملة ضارّة أو غير رشيدة ، لكن معرفة الدوافع الّتي تحركها تساعدهما على التحكّم فيها ، فالشعور بالدافع يتيح للفرد فرصة لقمعه ، أو تحوير السلوك الصادر عنه ، أو إرجاء تحقيقه ، أو إرضائه بطرق أفضل أي يجعل الفرد مستعداً لمواجهته والسيطرة عليه بدل أن يكون أسيراً له .

الاستشفاف الوجداني (Empathy) .

ولو استطاع كل والد أن يضع نفسه موضع أولاده لتسنى له أن يرى الامور من وجهات نظرهم ، و أن يدرك أحوالهم النفسية ، و أن ينفذ إلى مشاعرهم و حاجاتهم و آلامهم و متاعبهم ، و لتسنى له فوق ذلك أن يشعر بوقع سلوكه في نفوسهم فيعدله ان كان منافراً أو بغيضاً ، و هذه القدرة على الاستشفاف الوجداني تعين الوالد على أن يستشف ما تحت السطح من مشاعر يخفيها الولد فيبدوها هادئاً في ظاهره و إن كان باطنه مرجلاً يغلى ، كما أنها تعينه على أن يدرك أن ما يبدو تافهاً أو سخيفاً في عينه قد يكون عميق الأثر في أعين أولاده ، وفي هذا ما يحول دون الوالد أن يحاسب أولاده كما يحاسب الكبار أو أن يؤول سلوكهم في ضوء دوافعه هو .

دور الام :

لتذكر الام أنها أوّل معلّمة للعلاقات الانسانيّة ، و هي أوّل وسيط بين الطفل والعالم الخارجى ، فان أحسنت تقديمه إلى هذا العالم زادت ثقته فيها ، وفي هذا العالم ، و إن أسائت تقديمه ظلّ يشعر طول حياته بالوحشة والاغتراب كما أنها أوّل مصدر للأمن عنده لأنه لايفهم شيئاً ممايدورحوله بما يثير توجسه و قلقه ، و عطف الام كفيل يدرء هذا القلق . . . و يتوقف نجاح الام في تطبيع الطفل على مهارتها في إستهجان سلوكه غيرالمرغوب دون أن تشعره أنه فقد حبّها، ومما يكون له أسوأ الأثر في شخصيّة الطفل هو غياب الام أو إنفصالها المتكرر أو الطويل عنه ، خلال السنوات الثلاث الاولى من حياته .

و ذلك ان الطفل عاجز عن إدراك معنى الزمن ، عاجز عن أن يدرك أن الأشياء التي تغيب عن نظره لا تزال موجودة ـ فهو يغطى عينيه و يعتقد ان أحداً لايراه ـ فغياب الام يشعره أنها هجرته و أنه قد ضاع ، فكلّما إختفت عنه شعر بشقاء ربما لا يعدله إلّا حزن الشخص الكبير لفقد عزيز عليه ، و حتّى ان حلّ

محلّ الام بديل عنها ، فالتناوب المتكرر لبديلات عن الام يفقد الطفل شعوره بالأمن والطمأنينة و يؤرث في نفسه الشعور بالحيرة والارتباك والقلق .

وهذا ما أيّدته بحوث كثيرة من أظهرها بحوث «بولبى» **Bowlby** الطبيب النفسى ، و مدير إحدى العيادات النفسية بلندن من أن الأطفال الّذين كانوا يجلون عن المدن الكبرى ، أبان الحرب العالمية الثانية ، فيحرمون من عناية امهاتهم ، و يوكّل أمرهم إلى أفراد يعاملونهم بالجملة لا فرادى ، دلّت على أن هؤلاء الأطفال يبدو على وجوههم الشعور بالوحشة والعزلة ، و يعجزون عن عقد صداقات مع غيرهم من الأطفال أو الكبار و عن تقبّل الحبّ أو تبادله مع غيرهم من الناس كما بدت لديهم نزعات عدوانية صريحة نحو المجتمع في سنّ الشباب ، و كانوا أعصى على العلاج والتقويم من غيرهم من الشباب المشكلين والجانحين .

و حقاً : ان الدار هي المدرسة الأوّلية الحقيقية الّتي تتولى الطفل قبل ميلاده و من أوّل نشوه ، فاذاكانت البيدا جوجيا (علم التربية) ضرورية للمعلّمين ليأخذوا باصولها الأطفال في دور الدراسة فهي ألزم للامهات لأنهنّ يتولين الأطفال قبل ولادتهم وبعدها، ولذلك يجب علينا أن نجعل علم التربية من أوّليات العلوم التي تدرس للبنات في معاهد التعليم . . .

الحاجات الاساسية للطفل :

هي دوافع عامّة مشتركة بين الأطفال في مختلف الثقافات الاجتماعية ، و كذلك بين المراهقين ، و قد سمّيت أساسيّة إذ تشتقّ منها حاجات فرعية كثيرة و تتضمن هذه الحاجات :

١ ـ الحاجات العضوية .

٢ ـ الحاجة إلى الأمن .

٣ ـ الحاجة إلى التقدير الاجتماعى .

٤ ـ الحاجة إلى توكيد الذات والتعبير عنها .

٥ ـ الحاجة إلى الحرّيّة والاستقلال .
٦ ـ الحاجة إلى الاستطلاع والظفر بخيرات جديدة .
٧ ـ الحاجة إلى اللعب .

الحاجات العضوية : مبدأ الاحتفاظ بالتوازن **Homeostasis** دوافع تكفل المحافظة على بقاء الفرد تسمّى بالحاجات العضوية أو الفسيولوجية كالجوع والعطش والنوم . . .

و من المبادىء المقرّرة في علم الفسيولوجيا أن كل كائن حيّ ينزع إلى الاحتفاظ بتوازنه من تلقاء نفسه ، فاذا حدث مايخلّ توازنه الداخلي ـ الفيزيقي الكيميائي ـ قام الكائن الحيّ بالأفعال اللازمة لاستعادة توازنه ، و من ذلك أن الجسم إن اقتحمه عنصر غريب أوضارّ قام بالدفاع عن نفسه حتّى يسترد توازنه ، و إن ارتفعت درجة حرارة الجسم زاد إفراز العرق أو التمس الفرد مكاناً ظليلاً أو أبطأ من سرعة نشاطه ، و ضغط فضلات الجسم تثير نشاطاً لازالة هذا الضغط و تراكم فضلات التعب في العضلات يحمل الفرد على خفض نشاطه لازالة حالة التعب إن لم يكن مضطراً إلى مواصلة الجهد ، و كلّنا يعرف كلف الأطفال بالسكريات فنموّهم يحتاج إليها، و كذلك شرَه سكان المناطق الباردة إلى الدهنيات ، ونهم من يحرمون من اللحوم إلى الزلاليات و إعراض المكبود عن أكل المواد الدهنية بل نفوره من رؤيتها .

فان لم يفلح الكائن الحيّ في إصلاح ما اعتراه من إضطراب أو التعويض عما اعتراه من نقص أي إن فشل في إستعادة توازنه، مرض أو هلك ، فان عطش الفرد قلنا : انه في حاجة إلى الماء ، و هذه الحاجة من شأنها أن تثير السلوك الملائم لارضائها ، فاذاً بالفرد أخذ يتحرك و يبحث حتّى يظفر بالماء لاستعادة توازنه البيولوجي . . . و يتضح من هذا بجلاء أن السلوك يستهدف إزالة التوتر الناجم عن الحاجة أي يستهدف إستعادة التوازن .

ولايخفى على علماء النفس ان هذا المبدأ لا يقتصر فقط على أوجه النشاط الفسيولوجي بل يصدق أيضاً على أوجه النشاط النفسي ، فالشخص المتعب يزيد من جهده ومن تركيز إنتباهه إن أراد أن يحتفظ بمستواه العالي في الانتاج ، والذي يعاني شعوراً بالنقص والفشل يلجأ إلى التباهي والتفاخر تعويضاً عن نقصه، والشخص المخطىء أو المنحرف يلجأ إلى تبرير سلوكه الخاطىء أي إنتحال أسباب معقولة له حفاظاً على إحترامه لنفسه .

و يشترك الانسان مع الحيوان في عدّة حاجات عضوية يتوقف بقاؤه وبقاء النوع على إرضائها من هذه الحاجات: الحاجة إلى الطعام : دافع الجوع ، والحاجة إلى الماء : دافع العطش ، والحاجة إلى التنفس ، والحاجة إلى الاخراج أي التبول والتبرز وهي حاجة يزداد إلحاحها إن لم تقض في الوقت الملائم ، كما تخلق مشاكل للطفل الصغير وهو يتعلم التوفيق بين دوافعه الغريزية ومطالب البيئة الاجتماعية ، ومن هذه الحاجات العضوية الحاجة إلى الراحة بعد المجهود والحاجة إلى الاستجمام بعد التعب ، والحاجة إلى النوم بعد فترة من اليقظة والعمل ، والحاجة إلى الاحتفاظ بدرجة حرارة جسميّة ثابتة .

الحاجة الى الامن :

يرضي هذه الحاجة اشباع الحاجات العضوية المختلفة للطفل ، وأن يكون موضع عطف ومودّة وعناية من والديه و ذويه ، و أن يلقى تجاوباً إنفعالياً منهم إذ يهتمّون بأمره و يتحدثون معه ، و يجيبون على أسئلته و يشاطرونه ألعابه ، و مما يرضي هذه الحاجة أيضاً وجود سلطة ضابطة ترسم له الحدود وتبين له ما يجب عمله ومايجب تركه وماذا يحيق به أن حاد عن السلوك المرغوب ، فالطفل يفقد شعوره بالأمن ان تنازل الكبار عن سلطانهم عليه تنازلاً تاماً ، يضاف إلى هذا أن شعور الطفل بالانتماء إلى اسرته أو مدرسته مما يقوى دعائم الطمأنينة في نفسه .

ومما يهدد هذه الحاجة ويحبطها الاكثار من تهديد الطفل ونقده وعقابه أو إهماله أو نبذه أو التذبذب في معاملته، وكذلك الشجار بين الوالدين أو قلقهم الزائد عليه، فالخوف ينتقل بالعدوى كالمرض، ومما يفقد الطفل شعوره بالأمن فرض الأعباء عليه من سن مبكرة، والاسراف في تحذيره من الحياة، وكذلك التربية الدينية أو الجنسية غير الرشيدة.

وقد يؤدي كبت هذه الحاجة أو إحباطها بشدة إلى أن يصبح الطفل متوجساً هياباً من كل شيء: من الناس ومن المنافسة والاقدام والمغامرة والابتكار ومن الجهر بالرأي وتحمل التبعات، ويبدو ذلك في صور شتى منها الخجل والتردد والارتباك والانطواء والحرص الشديد والذعر من شبح الفشل والعجز عن إبداء الرأي والدفاع عن النفس حتى إن كان الحق في جانبه، أو يبدو أحياناً في صورة تحدو عدوان ولا مبالاة، والخوف قرين الشعور بالنقص وضعف الثقة بالنفس كما أنه صنو الكراهية، فمن خاف شيئاً كرهه، ومما يجمع عليه العلماء وغيرهم ان الأثر التهذيبي للخوف في تقويم النفوس المعوجة أثر طفيف لا يكاد يذكر، وانه أثر سلبي على كل حال.

الحاجة الى التقدير الاجتماعي:

يرضى هذه الحاجة شعور الطفل أنه موضع قبول وتقدير وإعتبار عند الآخرين، فلا يكون موضع إستهجان أو نبذ أو كراهية، ولذلك يرضيها نجاح الطفل في أعماله وألعابه، وثقتنا فيه وتقبلنا له وإعترافنا به... ومما يهدد هذه الحاجة النفسية ويحبطها فشل الطفل لتكليفه القيام بأعمال فوق مقدوره أو تثبيط همته إن لم يصل في تحصيله الدراسي إلى المستوى الذي نفرضه عليه، وكذلك الاسراف في لومه، وقسره على مباراة من هم أقوى منه، ومن هذه العوامل أيضاً موازنة الآباء بين أطفالهم موازنة طائشة تثير في بعضهم الغرور وفي البعض الآخر الشعور بالنقص، ومنها الاحباط الشديد لحاجة الطفل إلى التعبير عن نفسه

و توكيد شخصيته ، و لهذه الحاجة صلة وثيقة بالحاجة إلى الأمن .

في نوادر الراوندي : باسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال علي عليه السلام : أبصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً له ولدان فقبّل أحدهما وترك الآخر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فهلاّ واسيت بينهما . وقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « إعدلوا بين أولادكم كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف » .

الحاجة الى توكيد الذات والتعبير عنها :

تبدو هذه الحاجة في ميل الطفل إلى التعبير عن نفسه والافصاح عن شخصيته في كلامه و أعماله و ألعابه و رسومه و ما يقدّمه من خدمات للآخرين . . . ومما يحبطها تحكم الكبار و تدخلهم في وجوه النشاط التي يقوم بها ، أو الاسراف في تقييد الطفل، والسخرية من أسئلته وأفكاره أو اشعاره بأنه عديم القيمة والأهميّة.

الحاجة الى الحرية والاستقلال :

تبدو هذه الحاجة في ميل الطفل إلى القيام ببعض الأعمال دون معونة من والديه ، كأن يعقد رباط حذائه بنفسه ، و أن يختار كتبه و ملابسه و أصدقاءه وألعابه بنفسه كما تبدو لدي المراهق بشكل واضح إذ يتوق إلى الاستقلال المفرط و تقرير اموره بنفسه دون تدخل من والديه ، و إلى أن تكون له بالبيت حجرة خاصّة به . . . و يجب أن تستغل هذه الحاجة في تعويد الطفل الاعتماد على نفسه و تحمّل المسئولية . . .

الحاجة الى الاستطلاع والظفر بخبرات جديدة :

تثير هذا الدافع الأشياء والمواقف الجديدة غير المسرفة في الغرابة و هو ينزع بالفرد إلى إستطلاع الشيء أو الموقف بفحصه و إمتحانه أو السئوال عنه أو البحث والتنقيب وارتياد الأماكن الغريبة، وهو دافع مشترك بين الانسان والحيوان ، فقد دلّت التجارب على أن الحيوانات حين توضع في حظائر أو أماكن جديدة تأخذ في استطلاع انحائها والتنقيب هنا و هناك فيها حتى إن لم يكن الحيوان جائعاً

أو عطشاناً و حتى إذا كان الفأر جائعاً فلن يبدأ بالأكل إلّا بعد إرتياده الحظيرة و إستطلاعها ، و يستغل الصيادون هذا الدافع في الصيد أحياناً إذ يحضرون شيئاً غريباً يدعو الحيوان إلى الاقتراب منه حتى يسهل عليهم إقتناصه .

هذا الدافع إلى البحث والفهم والمعرفة من أقوى الدوافع لدي الانسان ، وهو يبدو لدي الطفل الرضيع حتى قبل أن يستطيع المشي ، فهو يستطلع بعينيه أو اذنيه ويديه وفمه ، فالانعام النظر في شيء ، و تتبع الأشياء المتحركة والقبض على الأشياء و وضعها في الفم . . . كل هذه أنواع بسيطة من الاستطلاع فاذا ما استطاع المشي و اتسع عالمه امتدت يداه إلى كل مايستطيع تناوله ، فاذابه يفكك ما يعثر عليه من أدوات ليرى مم تتكوّن و يشدّ ذيل لقط سيرى ماذا يصنع ، و يكسر المرآة ليرى مابداخلها وقد يحطم آنية الزهر أو ألعابه بدافع من الاستطلاع لا بدافع من التدمير كما نظنّ .

كما يبدو هذا الميل إلى الاستطلاع في تلك الأسئلة اللانهائيّة التي يرشق بها والديه و من يحيطون به عن أسباب الأشياء والحوادث و أسمائها و فائدتها و أصلها و كيفيّة حدوثها . . . و من هذه الأسئلة ما يدور حول الامور الجنسيّة أوحول امورغيبية تسبب لوالديه كثيراً من الحيرة والحرج : من أين تأتي الأطفال؟ لماذا يذوب السكر في الماء و لا تذوب الملعقة ؟ السّنة الماضية أين ذهبت ؟ لماذا يسير القمر معنا إذا سرنا ؟؟؟

ثم يبدو لديه هذا الدافع بعد ذلك في ميله إلى القراءة أو إلى الرحلات والمغامرات ، و لا يزال ينمو إلّا إذا صادف من البيئة ـ من الآباء والمدرّسين ـ ما يكبحه ويحبط مسعاه فان لقى منهم مساندة و تشجيعاً ، ومن الظروف مايساعد على إعلائه كان أساس البحث العلمي والابتكار من أجل هذا يجب عدم الاستهزاء بأسئلة الأطفال أو نهرهم عليها ، بل أجابتهم عليها على قدر ما تسمح به عقولهم بشرط أن تكون صادرة عن ميل إلى العلم والمعرفة لاعن ميل إلى الظهور أو

المضايقة ، أما الاسراف في كبح هذا الدافع، فيميل به إلى الانحراف، فاذا بالطفل قد شرع يستمدّ الحقائق ممن يحتمل أن يشوهوها في نظره أو أخذ في التلصص والتسمع الأخبار السيئة .

ونحن نشير أخيراً إلى أنه بالرغم من أن كثيراً من السلوك الاستطلاعي - خاصة بعد مرحلة الطفولة - سلوك مكتسب إلّا أن التجارب التي أجريت على الحيوانات والأطفال تدلّ على أن الاستطلاع دافع مغروز في الطبيعة البيولوجية للكائن الحيّ . . . وفائدته البيولوجية ظاهرة ، فتعرف البيئة وفحصها تمكن الكائن الحيّ من تحسّس تلك الأشياء التي يحتمل أن تكون مصدراً للخطر أو الألم ، و تلك التي يحتمل أن ترضى حاجاته قبل أن تنشط .

الحاجة الى اللعب :

يبدو الميل إلى اللعب واضحاً عند بني الانسان ، خاصّة الأطفال على إختلاف بيئاتهم وحضاراتهم كما يبدو كذلك عند صغار الحيوانات العليا كالقردة والكلاب والقطط ، و يتميّز اللعب عن العمل الجدّي بأنه نشاط حرّ غير مفروض أي يقوم به الفرد من تلقاء نفسه حراً مختاراً بحيث يمكنه الكفّ عنه أو الاسترسال فيه بمحض الارادة و دون إلزام ، و مما يتميّز به اللعب أيضاً أنه لا يرمى إلى غايات ونتائج نفعية ، كأن اللعب غاية في ذاته أو كأن غايته هي مجرّد السرور الناجم عنه ، على أن الفارق بين اللعب والجدّ يكون في موقف الفرد لا في نوع النشاط أو مبلغ الجهد المبذول ، فصنع الزهور الصناعية لكسب الرزق عمل جادّ وتسلق جبال الألب قد يكون تسلية و لعباً ، والطالب الذي يقسر على لعبة رياضيّة لا يحبّها جادّ غير لاعب ، و مع هذا فكثير ما يكون الفاصل بين العمل والجدّ مائعاً غير محدّد .

على أنه يجب التمييز منذ البدء بين اللعب من حيث هو دافع ، وبين اللعب من حيث هو سلوك ، فكل ما يرثه الفرد إستعداد عام جداً للقيام بنشاط حر

تلقائي. أما نوع هذا النشاط فيتوقف على سن الفرد و جنسه و حالته النفسية والجسمية كما يتوقف على نوع الحضارة التي ينتمي إليها فألعاب الأطفال غير ألعاب الكبار، و ألعاب البنين غير ألعاب البنات و ألعاب الطفل المشكل غير ألعاب الطفل السوي و ألعاب الحضارات الصناعية غير ألعاب الحضارات الزراعية.

و قد صيغت نظريات كثير لتفسير ظاهرة اللعب، سنكتفي بذكر إثنتين منها هما أهم هذه النظريات و أكثرهما أنصاراً:

نظرية الاعداد:

وقد ثبت ان الحيوانات التي تلعب هي الحيوانات العليا لا الدنيا، والمعروف أن الأولى تولد عاجزة بالقياس إلى الثانية، فلابد لها من مدة من الزمن تعتمد فيها على أبويها، و في هذه الفترة تكون كثيرة اللعب، و أما الحيوانات الدنيا كالنمل والنحل والذباب والبعوضة... التي تكون منذ ولادتها مكتملة النمو تقريباً، قادرة على مباشرة أعمالها الجدية... فلاتلعب كأن اللعب إعداد الصغار للأعمال الجدية التي ستقوم بها وهي كبار، و مما يؤيد هذا الفرض أن أشكال اللعب عند صغارها تشبه مايقوم به كبارها من وجوه النشاط الجدي، فالقطيطة تلعب بالخيط والكرة والورق كأنها تتمرن على صيد الفأر والجراء تتراكض و يعض بعضها بعضاً كأنها تتدرب على القتال، و صغار الماعز تتناطح، و صغار الطير تضرب بأجنحتها بما يشبه حركات الطيران، و أطفال بني الانسان يمثلون في ألعابهم أدوار الكبار: الطهو وترتيب المنزل والعناية بالأب والأطفال و شراء الحاجيات من السوق و إستقبال الزوار.

و لما كان الانسان أكثر الحيوانات عجزاً عند ميلاده كان أشدها حاجة إلى الاستعداد للمستقبل، و من ثم كان أطولها طفولة و أكثرها لعباً، فاللعب هو طريقة الطبيعة في التربية، فان للعب وظيفة حيوية هي إعداد الصغار لحياة الكبار، والواقع اننا إذا نظرنا إلى ألعاب الأطفال المختلفة في مراحل نموهم

المختلفة إستطعنا أن نعتبرها جميعاً بمثابة تدريب و تنمية لوظائفهم الجسميّة والعقلية والاجتماعية المختلفة :

١ - فالطفل في سنّ الرضاعة لايكاد يجد شيئاً إلاّ أمسكه بيده أو وضعه في فمه أو ألقاه على الأرض أو أخذ في تفكيكه ، و بهذا يتعلّم الكثير من خصائص الأشياء - ملمسها و صلابتها أو طراوتها و حرارتها و خشونتها .

٢ - و عند ما يستطيع النطق ببعض المقاطع والألفاظ تصبح اللغة لعوبة جديدة بها ، فتراه يردد في سرور ما سمعه من ألفاظ ويناغي بها نفسه مئات المرات وهو وحده أو قبيل رقاده كأنه يمرن أعضائه الصوتية ويدر بها على المهمة الشاقة التي تنتظرها .

٣ - فاذا ما استطاع المشي واتسع عالمه الخارجي أصبح هذا العالم مختبراً يجري فيه ما يشاء من تجاربه ، و ويل للأشياء يومئذ من يديه .

٤ - ولا يخفى ما لألعاب الصيد والجري والتسلق من أثر في تنشيط جسمه و تقوية عضلاته ، و تلك خسارة لا يعوضها الطفل المقعد أو المكفوف .

٥ - ولا تنسى ما للألعاب الخيالية من أثر في حياته النفسية - كأن يتخذ من العصا قطاراً أو حماراً ، أو كأن تجعل الطفلة من وسادتها إبنة لها - لا ننسى ما لهذه الألعاب من أثر في تنمية خياله والتنفيس عن إنفعالاته . . .

٦ - ثم تأتي بعد ذلك الألعاب الفكرية كألعاب الورق والألغاز والأحاجي مما له أثر في تدريب قدرته على الملاحظة والتفكير .

٧ - و في المراهقة تظهر الألعاب الجماعية المنظمة ، و فيها يتدرب على كثير من الصفات الاجتماعية والخلقية : التعاون وضبط النفس و مراعاة القانون والاحترام المتبادل ، هذا إلى ما يكسبه من روح رياضية و لياقة بدنية ، ومن هنا يتضح لنا أن اللعب مدرسة إعدادية ينمي فيها الطفل قواه الجسمية والعقلية والاجتماعية ، ويكتسب منها كثيراً من المهارات والمعلومات التي لابد منها لخوض

غمار الحياة .

نظرية التخفف من القلق :

هذه نظرية مدرسة التحليل النفسي ، وهي تنصب على ألعاب الأطفال بوجه خاص ، انها ترى أن اللعب يقوم بوظيفة هامّة في الحياة النفسيّة للطفل هي معونته على التخفف مما يعانيه من قلق ، والقلق إنفعال أليم قوامه الخوف يحاول كل إنسان ، كبيراً كان أم صغيراً ، التخلص منه والتحرر من وطأته بكل طريقة وبأيّ ثمن - واللعب إحدى هذه الطرق . . . وللقلق مصادر كثيرة ، فقد ينشأ عن رغبات معوقة لايستطيع الفرد تحقيقها في عالم الواقع ، أو ينشأ عن مخاوف تلازم الفرد وتثقله بحملها ، كما ينشاء عما يحمله الفرد في أعماق نفسه من عدوان أو كراهية لغيره من الناس ، و من أسبابه أيضاً متاعب نفسيّة لا شعورية أي لا يفطن الفرد إلى وجودها .

وان اللعب عند هذه المدرسة تعبير رمزي غالباً عن رغبات حابطة أو مخاوف ملازمة أو متاعب لا شعورية ، و هو تعبير من شأنه خفض مستوى التوتر والقلق لدي الطفل ، فالطفل الّذي يحمل لأبيه كراهية لاشعورية - أي لايشعر بوجودها في نفسه - إن اتيحت له الفرصة أن يلعب بدمي وشخوص وأشياء مختلفة قد يختار واحدة منها يخال انها الأب فيفقأ عينها أو يلقيها على الأرض أو يدفنها في التراب أو يضعها في فراش متعب غير مريح . . . والطفل في هذه الحالة يعبّر باللعب عن مشاعره الدفينة يعبّر بلغة خاصّة رمزية عن مشكلته حين تستعصى عليه لغة الكلام ، ولذا فالام تستطيع أن تستشف شيئاً عن الحالة النفسية لطفلها من طريقة معاملته لدميته فهو يضرب دميته أو يضع القطرة في عينها أو يأمرها بالتأدّب وعدم الكلام أو يلقيها من النافذة و هذه كلها رموز تشير إلى أشياء تجلب له القلق والضيق .

﴿ التربية الخاطئة وسوء عاقبتها ﴾

ومن غير مراء ان القسوة والنبذ والتربية الصارمة .. كلها يؤدّي لامحالة إلى خلق ضمير صارم أرعن يحاسب الطفل على كل كبيرة و صغيرة كما أنها تولد الكراهية للسلطة الأبوية و كل ما يشبهها أو يمثلها فيتخذ الطفل من الكبار، ومن المجتمع عامة موقفاً عدائياً قد يدفعه إلى الجناح ، وفي هذا ما يلقي الشك على الرأي الشائع بأن جناح الأحداث يرجع إلى إنعدام الضبط والعقاب أي إلى ضعف الضمير أو عدم وجوده، و قد يستسلم الطفل أو يستكين للقسوة ويطيع ، و لكنّها طاعة مصطبغة بالحقد والنقمة ، وتحين الفرص لارتكاب العمل المحظور لاحبّاً فيه بل إنتقاماً لنفسه ، فاذا به يلتمس اللذات المختلسة أو يكفّ نفسه عن أغلب وجوه نشاطه لأنه لايعمل شيئاً إلّا عوقب عليه ، أو يرى الخلاص في تملّق والده فيأخذ في تزلفه ويجد لذّة في الخنوع .

وهذا الموقف السلبي الخانع من الأب يمنع الطفل من تقمّص صفات الذكورة ويميت ثقته بنفسه، ويبثّ فيه الشعور بالنقص، ويقتل فيه روح المبادأة والاستقلال، ويجعله عاجزاً عن الدفاع عن حقوقه . .

ومن الامهات والآباء من ينبذون أطفالهم نبذاً صريحاً أو مضمراً بالقول أو بالعمل ويبدو النبذ في كراهيّة الطفل أو التنكر له أو إهماله أو الاسراف في تهديده و عقابه أو السخرية منه أو ايثار اخوته و أخواته عليه أو طرده من البيت والنتيجة المحتومة لهذا فقدان الطفل شعوره بالأمن ، فان كان النبذ صريحاً

بثّ في نفسه روح العدوان والرغبة في الانتقام وازدادت حسّاسيته و شقاؤه ، فاذاً به يصبح شموساً عنيداً حقوداً قلقاً ، ولايكون في العادة محبوباً من أترابه الأطفال، وقد لوحظ أن نبذ الطفل عامل مشترك في كل حالات الجناح عند الأطفال والشباب .

وغالباً ما يكون الطفل المنبوذ قلقاً متلهفاً إلى العطف تواقاً إلى إسترعاء النظر إليه يستجديه بطرق تجعل الناس تضيق به ، فان كان النبذ مضمراً مال الطفل إلى الاستكانة والاستسلام ، وأصبح خائفاً متهيباً لايقدر على تركيز إنتباهه مما يؤدّي به إلى التخلف الدراسي ، وقد يسلك الطفل المنبوذ سلوكاً سوياً ويبدو سعيداً إلاّ أن التجاوب العاطفي معه أمر محال .

التراخي والتدليل:

وليس التراخي في معاملة الطفل بأقل ضرراً من التشدد والتزمت في معاملته، وللتراخي صور عدة... منها :عدم تدريب الطفل على الامتثال لأيّة قيمة أو نظام أو تحمّل أيّة مسئوليّة : في حياته بالمنزل وفي ألعابه وفي معاملاته للناس ، وحتّى في إستذكار دروسه ، ولقد وجد أن الطفل الّذي ينشأ على تراخ و تهاون معرض لاضطرابات الشخصية والسلوك كالطفل الّذي يعامل بقسوة .

وذلك ان الأب أو الام المتراخي أو الضعيف نموذج سيء يجتذيه الطفل هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فهو لايتيح للطفل أن يظهر عداءه نحوه لا خوفاً من عقابه ، بل لما يعتري الطفل من شعور بالخجل أو الندم إن ظهر عداءه لمثل هذا الأب الرحيم ، و كلّما ترفق به الأب زاد شعوره بالذنب من إتجاهه العدواني نحو أبيه ، ثم ينتهي به الامر إلى كبت هذا العدوان ليقاسي فيما بعد عواقب هذا الكبت .

وللاسراف في تدليل الطفل عواقب وخيمة شتّى ، ويقصد بالتدليل قضاء كل ما يريده الطفل مهما كان سخيفاً أو تعسيفاً أو غير مشروع ، و أن يكون الجميع رهن إشارته يتحكم فيهم دون داع ، فلا شيء ينقصه ولا شيء يضايقه

كما ينطوي التدليل على التراخي والتجاوز عن الأخطاء ، وفي التدليل يأخذ الطفل ولا يعطى - وهذا غير العطف الّذي يحمل الطفل على التنازل عن بعض ما يريد لقاء ما نفرغه عليه من عطف ، والتدليل يؤدّي إلى الشعور بالنقص والخيبة حين يصطدم الطفل بالعالم الخارجي أو يذهب إلى المدرسة أو حين يولد له أخ جديد كما أنه يخلق من الطفل شخصاً خرعاً يضيق بأهون المشكلات ولا يطيق مواجهة الصعوبات ، فيجهد في الخلاص منها بأيّ ثمن وسرعان ما يستجدي المعونة من الغير.

وإن التدليل الشديد قد يوهم الطفل بأنه مركز العالم الّذي يعيش فيه ، فمتى ذهب إلى المدرسة أو احتك بالناس خاب ظنّه واعتقد أن الناس تتحامل عليه أو تأتمر به ، وقد يكون هذا نواة شعور بالاضطهاد يلح عليه ، فيصبح عاملاً هدّاماً في كيان شخصيته أو يصطنع في المدرسة حيلاً شتّى لجلب النظر إليه كالعصيان أو الهرب أو الاعراض عن الطعام أو تصعير الخدّ ، و إلى غير ذلك من الحيل التي تؤدّي إلى عقابه ، فهو يؤثر أن يعاقب على أن يكون موضع إهمال والطفل المدلل ينتظر من رؤسائه حين يكبر التغاضي عن زلّاته و التساهل معه و إلّا ثار و شعر بالظلم ، ولا شك في أن التدليل يضيع ثقة الطفل بنفسه ، و يميت روح التفرد والاستقلال ، ويخلق في نفسه على مرّ الزمن صراعاً بين رغبته في الاتكال على غيره ورغبته في التحرر وتوكيد شخصيته .

والواقع أن الام أو الأب الّذي يدلل طفله لا يحبّه حبّاً ناضجاً حقيقيّاً ، بل يعده للشقاء في مستقبل حياته لأنه لم يعده لتحمّل الحرمان في الحياة والواجب أن نعلم الطفل ان الامور لا يمكن أن تسير دائماً على ما يريد ، وذلك بألّا نعطيه كل ما يطلب ، وأن نعوده التنازل عن بعض رغباته ، وأن نعوده الأخذ والعطاء .

التذبذب في المعاملة :

ان التقلّب في معاملة الطفل بين اللين والشدّة أو القبول والرفض من أشدّ الامور خطراً على خلقه و صحته النفسيّة ، فاذاً به يثاب على العمل مرّة و يعاقب

عليه هو نفسه مرّة اخرى ، يعاقب على الكذب أوعلى الاعتداء على الغير حيناً ، ولايعاقب حيناً آخر، يجاب إلى مطالبه المشروعة مرّة ، و يحرم منها مرّة اخرى دون سبب معقول ، يعاقب إن اختلس شيئاً من المنزل ويشجع إن اختلس شيئاً من الخارج ، هذا التذبذب في المعاملة يجعل الطفل في حالة دائمة من القلق والحيرة ، ولايعينه على تكوين فكرة ثابتة عن سلوكه و خلقه ، كما انه يهزّ ثقته بوالديه ولايدري ان عمل عملاً أيثاب عليه أويعاقب من أجله ، وقد يفضى به ذلك إلى إصطناع النفاق والكذب والختل ، وأن يكون ذاوجهين ، ولقدظهر أن الشدّة المعقولة الثابتة أهون شرّاً من هذا التذبذب .

فيجب على الوالدين أن يبيّنا للأطفال عواقب الامور من العقائد والأقوال والأفعال : خيرها وشرّها ، صلاحها وفسادها في أنفسهم و في المجتمع أوّلاً فكان للأطفال معرفة بها حسب وسعهم ، ثم يهدّدانهم ثانياً على إرتكاب السيئات أوعلى الاصرارعليها بعد العفوعنهم لأوّل مرّة .

التلهف والقلق الزائد:

ومن الامهات والآباء من يبدون تلهفاً شديداً على الطفل : يقيّدون أوجه نشاطه خشية أن يصاب بحادثة أوعدوى ، فلا يسمحون له باللعب على سجيته مع غيره من الأطفال ، ولا يشجعونه على الاندماج معهم ، ولا يأذنون له بالمجيىء والرواح إلّا في صحبة كبيرة خوفاً عليه من الغرباء أوالسيّارات . . . فان مرض أبدوا إهتماماً زائداً بمرضه حتّى إن كان طفيفاً ، فمنعوه من الذّهاب إلى المدرسة وأبقوه في الفراش أيّاماً طوالاً ، مثل هذا الطفل يستجيب لهذه المعاملة بالقلق والتهيب ويزداد إتكاله على أبويه لأنه لم يتعلّم قطّ مواجهة موقف بمفرده ، و كثيراً ما يصاب الطفل بقلق شديدموصول على صحته ، هذا إلى شعور الطفل بأهميته الزائدة مما يعطيه سلاحاً قد يستغله ضدّ والديه لتوكيد ذاته أو لعقابهما ، و قد تضعف هذه المعاملة ثقة الطفل بوالديه حين يدرك ضعفهما،وفي هذا إضعاف لنفوذهما.

الشجار بين الوالدين:

ان الشجار بين الوالدين أمام الطفل يفقد الطفل شعوره بالأمن خوفاً على مصيره أو خشية أن يتحوّل عدوان أحدهما عليه أو لأنه قد يظنّ أنه سبب الشجار أو لأن كل خصام لابد أن ينتهي بغالب ومغلوب، سواء كان المغلوب أباه أو امه، فكلّ منهما أشد من الطفل وأقوى، فكيف تكون الحال إذن حين يصبح نفسه طرفاً في خصام مع أحد منهما؟ يضاف إلى هذا أن عدم الوفاق بين الوالدين قد يؤدّي إلى الاسراف في تدليل الطفل أو تملقه، فيشعر الطفل - والأطفال شديد والحدس لشعور والديهم نحوهم - أن هذه العناية الفائقة لا تفرغ عليه من أجله هو.

وزد على ذلك ان الشجار يجعل الطفل حائراً بين الولاء لأبيه أو لامه، و قد يتعلّم أن يستغل أحدهما ضدّ الآخر أو يستخدم أحد الوالدين هذه الوسيلة مما يبثّ في نفس الطفل الشعور بالذنب و يفقده شعوره بالأمن، و لنذكر أن الخصام الصامت بين الوالدين أشد أثراً في نفس الطفل من الخصام الصاخب الصريح، و غني عن البيان ان الخصام - أيّاً كان نوعه - يضعف ثقة الطفل بوالديه، و من ثم بالناس جميعاً وهذا إلى أنه يعطي الطفل فكرة سيئة عن الحياة الزوجية والطمأنينة في البيت مما يبدو أثره ضاراً في مستقبل حياته، وان الخصام عامل بالغ الأثر في نشأة كثير من الاضطرابات النفسية، و على هذا قد يكون الطلاق خيراً و أبقى على الصحّة النفسيّة للطفل من الشقاق الدائم الموصول.

ومن الضرورة ان العادات الجارية بالمداومة فيها تقوّى الأخلاق المشاكلة لها، كما أن النظر في العلوم والمداومة على البحث عنها، والدرس لها والمذاكرة فيها يقوّى الحذق بها، والرسوخ فيها، وهكذا المداومة على إستعمال الصنائع والدؤوب فيها يقوّى الحذق والاستاذيّة فيها، وهكذا جميع الأخلاق والسجايا، والمثال في ذلك أن كثيراً من الصبيان إذا نشأوا مع الشجعان و الفرسان و أصحاب السلاح، و تربّوا معهم تطبّعوا بأخلاقهم و صاروا مثلهم، و هكذا أيضاً كثير

من الصبيان إذا نشأوا مع النساء والخناثا وذوي العيوب ، وتربّوا معهم تطبّعوا بأخلاقهم وصاروا مثلهم إن لم يكن في كلّ الخلق ففي بعض ، وعلى هذا القياس يجري حكم سائر الأخلاق و السجايا الّتي ينطبع عليها الصبيان منذ الصغر إمّا بأخلاق الآباء والامهات أو الاخوة والأخوات والأتراب والأصدقاء و المعلّمين . . . في تصاريف أحوالهم ، وعلى هذا القياس حكم الآراء والمذاهب . . .

﴿ الامهات والحضانة الطبيعية والصناعية ﴾

والتربية الاجتماعية في الاسلام

واعلم أن علماء الفن قد أقسموا الامّ ـ سواء كانت من نوع الانسان أم من جنس الحيوان ـ على ثلاث طوائف :

الاولى: وهي التي تنزو وتحبل و تلد و ترضع أولادها كالانسان و ذوات الأربع وهذه الطائفة هي أكمل.

الثانية : وهي التي تبيض وتحضن أولادها وتربيهن كالطيور . . .

الثالثة : وهي أنقص من الطائفتين السابقتين ، وهي التي تبيض ولكن لاتربي أولادها كالحشرات ، وكل سابق أكمل من المسبوق المتأخر، و أما الانسان فهو الأكمل من الجميع لأن الام من الانسان تربى ولدها من جهتين : تربية جسميّة بالارضاع والغذاء والسكنى واللباس . . . و تربيّة روحيّة بالأدب و إبراز ما في كمون الأطفال من إستعداد الكمال . . . ولكن اليوم سقطت امومة أكثر الامهات وانحطت عنها ودخلت طائفة منهن في دائرة الحشرات ، فتضع ولدها من غير إلتفات إلى تربيته لاجسميّة ولاروحيّة فترميه إلى الحضانة الصناعية كأكثر الأوربية، ودخلت طائفة اخرى منهن في حظيرة الحيوانات فترضعه. . فحسب.

و من غير ريب ان من تفحّص في الحضانة الطبيعية و تأثيرها في الأولاد ، وتدبّر في الحضانة الصناعية تبعاتها في الأولاد والمجتمع يجد الاسلام ديناً إلهياً.

لن يقدر البشر إلى يوم القيامة أيّما ارتقى بجعل قانون أوحكم لايحتاج إلى تغيير يوماً بعد يوم وآلاف تبصرة :تبصرة بعد تبصرة ، حيث ان الاسلام جعل الاسرة هي اللبنة الاولى في بنائه ، والمحضن الّذي تدرّج فيه الفراخ الخضر وتكبر وتتلقّى رصيدها من الحبّ و التعاون و التكافل و البناء و الطفل الّذي يحرم من محضن الاسرة ينشأ شاذّاً غير طبيعي في كثير من جوانب حياته مهما توافرت لـه وسائل الراحة والتربية في غير محيط الاسرة ، وأوّل ما يفقده في أىّ محضن آخر غير محضن الاسرة هو شعور الحب .

ولقد ثبت ان الطفل بفطرته يحب أن يستأثر وحده بـأمّه فترة العامين الأوّلين من حياته ، ولا يطيق أن يشاركه فيها أحد ، و في المحاضن الصناعية لا يمكن أن يتوفّر هذا إذ تقوم الحاضنة بحضانة عدّة أطفال يتحاقدون فيما بينهم على الام الصناعية المشتركة ، و تبذر في قلوبهم بذرة الحقد ، فلا تنمو بذرة الحب أبداً كذلك يحتاج الطفل إلى سلطة واحدة ثابتة تشرف عليه فترة من حياته كي يتحقق لـه ثبات الشخصية و هـذا مـالا يتيسّر إلاّ في محضن الاسرة الطبيعي ، و أما في المحاضن الصناعية ،فلا تتوفر السلطة الشخصية الثابتة لتغيّر الحاضنات بالمناوبة على الأطفال ، فتنشأ شخصياتهم مخلخلة ، ويحرمون ثبات الشخصية والتجارب في المحاضن تكشف في كل يوم عن حكمة أصيلة في جعل الاسرة هي اللبنة **الأولى** في بناء المجتمع السليم الّذي يستهدف الاسلام إنشاءه على أساس الفطرة السليمة.

و من الضرورة ان الانسان إجتماعي بالطبع ، فلا يستطيع أن يعيش بصورة منفردة ، فلابدّ له من الاجتماع والتعاون ، وإذا لم يبن هذا الاجتماع على اسس محكمة متقنة يقتضيها الطبع البشري أدّى إلى الضلال والاضلال ، إلـى الفساد والافساد ، وإلى الشقاء والهوان ، والهلاك والنار كما نشاهد اليوم ، و قـد يشذ الانسان عن الاجتماع المرضى عندالله جل وعلا أولا يؤدّى واجبه نحو المجتمع أولا يعلم كيف يقوم بـواجبه الاجتماعي في كثير من الأحيان . . ولـذلك عنيت

الأديان السماوية بالتربية الاجتماعية و الاخوّة والتراحم والتعاطف و التوادد و صلة الرحم والرفق ، والاحسان والبرّ إلى المحتاجين . . . وأكملها وخاتمها هو الاسلام ، إذ إهتمّ بالتربية الاجتماعية و شئوون المجتمع إلى حدّ بعيد فقال رسوله ﷺ : « من أصبح ولم يهتمّ بامور المسلمين فليس منهم » وقال ﷺ : « أنسك الناس نسكاً : انصحهم حباً ، وأسلمهم قلباً لجميع المسلمين » .

ان المربّين لشعورهم بحاجة المجتمع الانساني و حيوية قوّة الاجتماع أدخلوا التربية الاجتماعية في مناهجهم ، وخصّصوا لها أبحاثاً وفصولاً و كتباً خاصّة و ان التربية الفردية أو الاستقلالية كانت قد تغلغلت في المدارس منذ من بعيد ، ومن مظاهرها تخصيص رحلة خاصّة لكل طالب و خزانة خاصّة ، و مختبر خاص و مجموعة خاصّة من نماذج النبات و الحيوان و الأحجار أو قطعة أرض يزرعها الطالب بيده إلى ما هنالك ، ولم يكن هنالك إهتمام خاص بالتربية الاجتماعية .

ومن المعلوم بديهيّاً ان الله جل وعلا قد أودع في الطفل جميع القابليات الّتي من جرائها يكون الطفل فرداً كاملاً مفيداً لنفسه ولمجتمعه ، إلّا أن الانسان لعدم تفهّمه الحياة قد يضغط على تلك القابليات ، فلا يدعها أن تبرز و تنمو ، فالوالدان أو المدرسة كثيراًما يمنعون الأطفال من الالعاب الاجتماعية أو الفعاليات المشتركة الاجتماعية ، ساهين ان ما من طبيعة أو غريزة أودعها الله عزّ وجلّ في الطفل إلّا و لها فوائد كثيرة تعود عليه و على المجتمع بالخير لو إستعملت و استخدمت حسب قوانين يقرّها العقل والشرع ،وقد اعترف علماء التربية بمبادىء ثلاثة للطفل : بدنية وعقليّة وخلقية ، وغفلوا عن المبدأ الاجتماعي الّذي أوشك اليوم أن يسود على المبادىء الاخرى . . .حتّى تنبّه بعضهم أخيراً بهذا المبدأ فقال: « ان الجمعية مؤسّسة من أفراد يسعون بفكرة واحدة وشعور واحد معقبين غاية مشتركة ، فان إشتراك الآمال والحاجات في الجمعيات مما يزيد في تصادم

الأفكار، ويؤدّي إلى تجاذب متقابل ، وان ما يمنع مدارسنا عن الرقى الاجتماعي خلوّها عن الوحدة الاجتماعية في الألعاب و النزه، فالأطفال حين شروعهم بلعب يقسمون الأعمال فيما بينهم ويعينون وظيفة لكل واحد منهم ، و ان أفدح نقص في مدارسنا اليوم إهتمامها بتربية الطلاّب في بيئة غيرجامعة لمزايا إجتماعية» .

نعم: ان المدارس الجديدة مع مفاسدها العديدة قد أخذت تربى الطلاّب تربية إجتماعية بتوزيع مقدمات الدرس و وسائل الايضاح على ثلّة من الطلاّب وحملهم على التتبعات المشتركة بشكل إجتماعي ، و تشكيل جمعيّات مختلفة إلى ماهنا لك .

وقد توهّم بعض المستغربين : ان التربية الاجتماعيّة من مكتشفات القرن العشرين مع أنّ الدين الاسلامي قد أيّد الناحية الاجتماعية إلى حدّ بعيد ، و ان الدين الاسلامي دين إجتماعي بجميع مظاهره وتعاليمه ، وذلك بشكل يتناسب مع التكامل الجسمي والروحي معا ، يتناسب مع الغرض الأسمى الّذي خلق الانسان لأجله ، كيف لا وقدبدئت الرسالةالاسلاميّة باسم الرّب الّذي ينبيء عن التربية على نطاقها الواسع ؟ ولا يخفى على المتأمل الخبيرمن الفرق الأساسي بين التربية الاجتماعية الاسلامية ، والتربية الاجتماعية الغربية ، حيث انالتربية الاجتماعية الاسلامية ترمى إلى تربية النفس و البدن ، تربية الروح و الجسم معاً ، فتزكو النفس وتطهّر الروح وتسيرإذذاك في ساحات الكمال حيث لاحدّ ولا إنتهاء . . .

و ان التربية الاجتماعية الغربية جافّة مادية بحتة و نفعيّة محضة عليها طابع ماديّ وهو التقدم في عالم الصناعة وايجاد وسائل اللذات والنزوات والشهوات... فحسب من غيرتعاطف وتوادّد وتراحم حتى بين الابن مع أبيه ، والبنت وامّها... فلا تنفذ إلى الروح الانسانية ، ولا تعمل في تكميلها وتهذيبها و تطهيرها من الدنس والرجس ، ومن آثارها : هذه الحروب الّتي لاتبقي ولاتذر .

فجدير بالمسلم أن لاينخدع بمظاهر الغرب ولا بحيل الشرق ، فان النفوس

غير المؤمنة لا يرتجى منها الخير، و أن يعلم أن تراثه في عالم التربية و تكامل النفس غنيّ و غنيّ جداً ، ولا يحتاج أن يأخذ شيئاً من الغربي في التربية الاجتماعية والأخلاقية والمدنية ، ففي شريعة الاسلام الغرّاء يجد الانسان الكمال الأخلاقي بأوسع معانيه الفلسفية السامية، ومما يؤسف له أن ثلّة من شبابنا يذهبون إلى الغرب لتعلم بعض العلوم الاجتماعية والتخصص فيها ! فيحسبون أن ما يمليه الأستاذ أو الدكتور حقائق ثابتة لا شبهة فيها ، و يزعمون أن الدّين الاسلامي لم يعالج القضايا الاجتماعية ، ولم يقل فيها قوله الفصل المؤدي إلى الكمال البشرى ، فيسخرون من الدّين ويهزؤن بعلماء الدين ، و يعبرون عنها بكتب صفراء شأن الجاهل الذي يعادى ما جهله .

و لو أنّ هؤلاء تخصّصوا في الفلسفة الاسلامية و آدابها أو درسوا الدين الاسلامي وعملوا به قبل التخصّص في فرع آخر، ورعوا واتقوا و جانبوا المعاصي والآثام لعدوا هفوات دكاترة الاجتماع و أساتذة الأخلاق ، و خرجوا من حدود التقليد الأعمى إلى التفكير الصحيح والجرح والتعديل ، ولكن هيهات !

« ذلك بما قدّمت أيديكم وأن الله ليس بظلاّم للبعيد» آل عمران:١٧٩).

ومن هؤلاء الذين يتخصّصون في الدراسات الاجتماعية من يركبه الغرور إلى درجة يستهزىء في كتاباته بعبارات المدينين التي مفادها : التوكل على الله تعالى في الامور و تفويض الأمر إليه مع عمل متواصل و جدّ و إجتهاد ، فيقول دونما مناسبة « معاذ الله » وأمثال ذلك ، فكأنه غنيّ عن التعوذ بالله جلّ و علا من مكائد الشيطان ، وقد فاته أن الدراسات الاجتماعية من أسهل المواضيع تخصّصاً وأسرعها تناولاً ، ولو أدخل هذا المتخصّص في فرع من فروع علم الاجتماع جبراً في فرع من العلوم الرياضية أو الفلكية أو الفيزياوية لرسب حتماً و لما نال هذا اللقب المغري (الدكتوراه : **Doctorat**) .

ولمّا تكبّر و تجبّر ولا عترف بالجهل ، و الاعتراف بالجهل يفتح على الانسان

أبواب الهداية ،ان العلوم الاجتماعية لاتضبط بضابط من حيث الصحّة والقسم كالعلوم الرياضية والكيمياوية والفيزياوية فليس هناك كما يدعى(Determinisme) لتضارب الآراء فيها وتغير هذه الآراء من حين لآخر حتى أنك ترى أن الفيلسوف يغير رأيه في موضوع واحد طيلة حياته مرّات مع إتحاد الظروف . . .

فاذا كان العالم الاجتماعي غير عامل بالدين ومستهتراً بالمقدّسات ، فلا يترشح من كتاباته في موضوع الدين إلاّ ما يناسب نفسيته التي أخذت تتسافل بالمعاصي والآثام . . لأنه أمسى بذلك لايبصر الحق ، ويظنّ « لشهادة قدنالها » انه قد بلغ الغاية من التتبع والتحقيق ، ان الله تعالى يقول : « بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » البقرة : ٨١) .

فلو أحاطت الخطايا بفرد من الأفراد فلا يترشح منه إلاّ ما يناسب تلك الخطايا والسيئات : « وكل إناء ناضح بالذى فيه » ومن البديهي ان الانسان لوحاد بسوء إختياره عن الصراط السوي ، فان الله عزوجل يبعده عن ساحة القدس، وهذه سنة الله في خلقه : « سنة الله التي قدخلت في عباده » يقول الله عزوجل : « فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لايهدى القوم الفاسقين » الصف : ٥) .

ولو كان يشك هذا العالم الاجتماعي فيما أقول فليعمد إلى تجربة منهجية ، فليقم بتطبيق جميع ما أمر به الدين ولينته عما نهى عنه الدين ثم ليأت بشيء من المستحبّات ، فانه سوف لايقول بماكان يقول به قبلاً متبختراً مغروراً ، بل يندم على مقالاته المضلّة ويبرأ إلى الله تعالى منها مستغفراً منيباً .

فيجدر بالمسلم أن يطلع على هذه الكنوز الثمينة من آداب دينه ، وأن يمليها بلسان الحكمة وتحليل علمي وإلهام رباني يأتيه من ناحية الايمان بالله عزوجلّ والتقوى وتزكية النفس والورع وصالح الأعمال ، على أساتذة الغرب وفلاسفتها فيكون معلماً قبل أن يكون متعلماً ، ومؤثّراً قبل أن يكون متأثّراً.

﴿التربية الجسمية و الاعداد السوى﴾

واعلم أنّ للاسلام عناية شديدة بالتربية الجسميّة كالنظافة و التغذية والرياضة والوقاية والعلاج من الأمراض .. لأن صحة الجسم هوالمهيّىءلقبول بعض نوع آخرمن التربية ، حيث ان قوّة الفكر و صحّة الرأى وجودة النظر امورمتوقفة كلهاعلىصحة البدن ، وهل الحواس والمشاعر الانسانيةإلّاوسائل لادراك الحقائق وفهم المعقولات ، فالجسم والعقل و الشعور في إرتباط دائم و تضامن تام بحيث يتأثرأحدهما من تأثّر الآخر وينقص من قيمته على قدره .

فلماكانت التربية في الاسلام هي عمليّة بناء وإعداد الانسان لتمكينه من خوض الحياة بجدارة وإستقامة ، فلا تنفصل هذه العملية عن أهداف الاسلام و نظرته العامة للانسان وموقفه من نزعات الانسان ومكوّنات شخصيته و عناصر كيانه المادّي والأخلاقي ولذلك ان التربية الاسلامية الملتزمة هي التربيةالّتي تعمل على تنشئة الانسان ورعاية كل جوانبه ، وفق الأسس و التشريعات و القيم الّتي حدّدها الاسلام ،فتعتنى بتربيةالجسم والروح والأخلاق والعقل والعاطفة...

وسنتناول في هذا البحث تربية الاسلام و عنايته بكل جانب من تلك الجوانب باختصار وتركيزمقتضب لترسيم الخطوط الأساسية لاهتمامات التربية وعنايتها الشاملة بكيان الانسان وشخصيته ، فلنبدأبتربية الاسلام وعنايته بالجسم:

قال الله عزّ وجلّ : « حرّمت عليكم الميتةوالدم ولحم الخنزير- احلّ لكم الطيبات - و لكن يريد الله ليطهّركم وليتمّ نعمته عليكم لعلكم تشكرون »

المائدة : ٣ـ٦)

وقد قال رسول الاسلام (ص) : « الاسلام نظيف فتنظّفوا فانه لا يدخل الجنة إلاّ نظيف » و في رواية : قال رسول الله (ص) : « ان الله طيّب يحبّ الطيّب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحبّ الكرم ، جواد يحبّ الجود ، فنظّفوا أفنيتكم ولا تشبّهوا باليهود » وقال (ص) : « النظافة من الايمان »

ان الاسلام يحثّ على العناية بالجسد والتربية البدنية لاعداد جيل قويّ سليم من الضعف والميوعة والمرض والركود والكسالة . . . ويقول : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة و لا تنس نصيبك من الدنيا و أحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحبّ المفسدين » القصص : ٧٧)

ويقول : « وأن ليس للانسان إلاّ ما سعى » النجم : ٣٩)

ويقول : « فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً و اشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون » النحل : ١١٤)

فكما أن الاسلام دين رحمة وعفو ورأفة ولين كذلك دين سعي وجهاد بطولة وفروسيّة وقوّة . . . ولذلك كان من مسئوليات التربية العناية بالصحة والاعداد البدني لتربية جيل قويّ سليم البنية والتكوين .

و كما يعنى الاسلام بتربية الجسد والتنمية المادية للانسان يعنى كذلك بتربية الغرائز والميول الفطرية عند الانسان ، كغريزة الجنس والتملك والاجتماع وحبّ العلم ، ويربّيها تربية متزنة ملتزمة تعطى الميل الغريزي والفطري حقه ، وتحميه من الشذوذ والإنحراف وتعتني التربية الاسلامية كذلك بتربية العقل و حب العلم والبحث والتأمل ، وان الاسلام لم يعظّم شيئاً ولم يحترم قيمة في هذا الوجود كما يعظّم ويحترم العقل والعلم والمعرفة والأدب والتربية .

ولكي يكون بناء الانسان بناء متوازناً يأخذ كل جانب فيه حقّه إلى حدّ الإشباع والتعبير الملتزم إعتنى الاسلام بالتربية الوجدانية والاخلاقية إلى جانب

التربية المادية و الغريزية ، فجعل القيادة والهيمنة للعقل والاخلاق ليقود الغرائز والميول المادية في الكيان الانساني قيادة عقلية ملتزمة ، وليتمكّن الانسان من تحقيق نزوعه التكاملي في مجاله الانساني المتعالي على الطبيعة الحيوانية فيه و أجل أن يحقق الاسلام هذا الهدف المتعالي إعتنى بالتربية الوجدانية وتنمية الحس والملكات الأخلاقية السامية وعمل على ايقاظ روح الضمير الانساني وتصحيح المواقف النفسية والسلوكية عند الانسان ، ومنذ نعومة أظفاره إلى آخر يوم من حياته .

ولذلك عظّم القرآن الكريم مقام الأخلاق الفاضلة و أكّد الدعوة إلى الاستقامة النفسية والسلوكية .

فقال الله عزوجل : « وانك لعلى خلق عظيم » القلم : ٤)

وقال : « فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير» هود : ١١٢)

ونحن نجد في السنة النبوية : أن إعداد الانسان الأخلاقي السوي هو الهدف والأساس للرسالة الاسلامية إذ قال رسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما بعثت لاتمّم مكارم الأخلاق »

وإن الدليل الواضح و الدعوة الصريحة إلى العناية بالأخلاق و تربية الانسان هو تربية صحيحة فاضلة .

وأما التربية الروحية والتوجيه التعبدي فهو هدف وركن أساسي في الاسلام ، فالاسلام يستهدف في كل خطوة من خطوات بناء الانسان أن يعيده إلى خالقه، وأن يعرّفه بعظمته ووحدانيته وقدرته وعلمه وتدبيره في نظام الكون فالعبادة غاية وجود الانسان وسبب لخلقته على هذه الكواكب :

« وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون » الذاريات : ٥٦)

ولذلك ان تربية الطفل على معرفة الله جل وعلا وحبه والتفكر في عظمته و قدرته ، وأداء الشعائر و العبادات الاسلامية هي الخطوة الكبرى في منهاج

التربية والاعداد الاسلامي ، وكما تعتني التربية الاسلامية بهذه الجوانب من الانسان فانها تعتني أيضاً بالتسامي بالذوق الانساني وتوسيع آفاق الروح وتطلعات العقل والنفس نحو المتعة والسرور واللذّة الروحية والحسّية . . . ولذلك فهي تعمل على تنمية الحسّ الجمالي ، وتربية الذوق الرفيع ، وجعل هذا الاحساس والوعي سبباً لافاضة مشاعر الحبّ والسرور في هذا العالم ، ومصدراً للتأمل في هذا الوجود للتعرف على عظمة الخالق وقدرته الابداعية اللانهائية .

و قد دعا الاسلام الانسان إلى التمتع بمظاهر الجمال ، و إشباع أشواق النفس والإرتفاع بها فوق مستوى الحسّ والمادّة لتجد لذّتها الروحية وسرورها المتعالى عن طريق التذوّق الجمالي والانفعال بمظاهر الجمال وصيغ تجسّده....

قال الله عزّ وجلّ : « قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون» الأعراف : ٣٢)

في الكافي : باسناده عن أبي بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام «إن الله جميل يحبّ الجمال، ويحبّ أن يرى أثر النعمة على عبده»

وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله عزّ وجلّ يحبّ الجمال والتجمّل ويبغض البؤس والتباؤس .

ولذلك كان من الضروري للمدرسة الاسلامية أن تعتنى بالتربية الجمالية و تنمّي الاحساس الجمالي و الذوق الرفيع الذي يحبّ الجمال و يكره القبح والتشويه في كل شيء يشاهده الانسان ويلتقى به ، سواء في الشكل والصورة أم في الأخلاق والسلوك والكلمة والانفعال . . .

وان موضوعات الجمال كثيرة ، ووسائل تنميته عديدة فالرسم و الخطّ و التجارة والعمارة والتطريز والخياطة والتزويق والصياغة والشعر والنثر والمسرح... كلها وسائل تعبيرية تنمي الحسّ الجمالي وتصنع موضوع الجمال ، و ثمّة قضية

مهمة لابد من التنبيه عليها وهي أن الفن الذي هو أداة التعبير عن الجمال واسلوب صياغته يجب أن يكون فناً ملتزماً بقواعد التشريع وقيم الأخلاق التي حددها الاسلام .

فهناك نظرة جاهلية إلى الجمال وإلى القيمة الجمالية يجب إلّا تتسرب إلى مدارسنا أوفنانينا وصناع في مجتمعنافليس من قيم الجمال الابتذال والمجون والنحت والرقص والغناء، وما يرتبط بهما من أنغام وأدوات طرب ولهو . . فان هذه الفنون لاتعبّر عن فكرة الجمال بمعناه الاسلامي ولا تساهم في بناء الحس والذوق الجمالي الملتزم ، وإنما هي وسائل للعبث والضياع ، واسلوب للاثارة الجنسية ، ولقيادة الغرائز قيادة بهيمية منحرفة ، تنعكس آثارها السلبية الضارة على نفس الانسان وعلاقات المجتمع .

ولذلك كان واجب المدرسة الاسلامية العناية بالتربية الجمالية من أجل تعميق الوعي الايماني ، وتوفير المتعة والسرور وإشاعة روح الحب والانسجام في حدود الالتزام وحماية الأخلاق . . .

﴿ المدرسة والصحة النفسية ﴾

لابد أن تتمشّى الاتجاهات الحديثة في التربية والتعليم مع الأهداف الّتي يرمى إليها علم الصحّة النفسيّة ، بأن يرمى كل منهما إلى تكوين شخصيات متكاملة أي ناضجة سعيدة قادرة على الإنتاج والتعاون ، وأن يكون لكل منهما أهداف وقائية واخرى إنشائية أي أهداف تقى النشء من كل ما يعطل نموّه و اخرى تعينه وتدربه على العيش السعيد المنتج في بيئته الإجتماعية وتزويده بطائفة من المهارات العقلية والاجتماعية والمهنية ، ويتضح هذا متى استعرضنا ما تهتمّ به المدارس النموذجية الحديثة وما ترجو تحقيقه .

المدارس النموذجية الحديثة :

١ـ تجهد المدارس الحديثة في أن يكون الجوّ الاجتماعي الّذي يسودها جوّاً حرّاً ـ ديمقراطياً ـ خالياً من القسر والعسف والخوف وسوء الظن، فيتعاون الطلاّب والمعلّمون فيه على أداء أعمال حيوية مفيدة ، فرديّة و جماعيّة ، و من دعائم النظام الحرّ ـ الديمقراطي ـ الايمان بقيمة كل طالب ، وإحترام رأي الجماعة ، وإعطاء الطلاّب حرّيّة المناقشة والاختيار وتوجيه أنفسهم والاشتراك في التخطيط والابتعاد عن المنافسة غير العادلة .

٢ـ ولم تعد مهمّة المدرسة الحديثة تلقين المعلومات والاعداد للامتحانات، بل تهيئة جوّ الصّفّ والمدرسة ومواقف التعلم على نحو يكفل النموّ السليم لشخصيات الطلاّب في المراحل المختلفة ، وتجنّب ما يعطل هذا النموّ ، وتنمية العلاقات

الانسانية السليمة القائمة على التعاون و ايثار الغير والتسامح والمودّة.

٣- من أجل هذا تهتمّ المدارس الحديثة بالمتعلّمين قبل أن تهتمّ بمواد الدروس أي تهتمّ بالأحياء قبل أن تهتمّ بالأشياء، تهتمّ بالتربية قبل أن تهتمّ بالتعليم فالطالب هو مركز الإهتمام، ومن دوافعه و حاجاته المختلفة تبدأ عمليّة التعلّم على أساس نشاطه الذاتي، ويتمشّى مع هذا الاهتمام بالطالب مراعاة مابين الطلاب من فوارق عقلية ومزاجيّة على قدر المستطاع.

٤- كذلك تهتمّ التربية الحديثة إهتماماً خاصّاً باختيار المعلّمين وتزويدهم بمبادىء الصحة النفسية، بل لابد أن يكونوا مربين بها، و ذلك أن أمسّ ما تحتاج إليه المدارس من ناحية الصحة النفسيّة معلّمون تتيح لهم شخصياتهم و تدريبهم خلق الجوّ الملائم، جوّ الحرّ والأمن وجوّ المهيّىء لنموّ الشخصيات السويّة، ولاتغلوا إذا قلنا انه ليست هناك مهمّة إن امتهنها ذوشخصية معتلة كانت أجلب للضرر على نفسه و على المجتمع من مهنة التدريس.

فالمعلم غير المربّا بالتربية الصحيحة لايستطيع أن يكون مربّياً صالحاً للطلاّب كما أن المعلّم العصابي ينشر الاضطرابات النفسية بين طلاّبه كما لو كان مصاباً بالجدرى أوحمى التيفود، وسلوكه نحو طلاّبه يتسم بنفس الصفات التي يتسم بها سلوك الوالد العصابي نحو أولاده، وترجع خطورة المعلّم إلى أنه يقوم بعدّة أدوار في وقت واحد فهو بديل عن الوالد، وهو رئيس ومشرف وموجّه و خبير و عالم ...

والواقع أن المعلّم لاتغنيه ثقافته أو مهارته في التدريس أوحبّه للعمل أو إلمامه الواسع بمشكلات مهنته لايكفيه هذا كلّه للنجاح في مهمّته إن لم تكن له القدرة على الفهم والعطف والاستبصار الوجداني في نفوس طلاّبه.

٥- ان المدرسة الحديثة تعين مراكز التوجيه المهني على القيام بمهمّتها إذ تحتفظ لكل طالب بملف خاصّ تسجل فيه مستواه العقلي ومستواه الدراسي و

سماته البارزة وإتجاهه الخلقي العام وميوله . . . وذلك لما بين الصحة النفسية للفرد وعمله من صلّة وثيقة .

٦- كذلك تهتم المدارس النموذجية بما يبدوا لدى الطلاب من مشكلات و إنحرافات سلوكية وخلقية ، وتعمل على العلاج المبكر لها قبل أن يستفحل أمرها ويستعصى شفاؤها من أجل هذا ، تهتمّ المدرسة بالتعاون مع البيت للكشف عن أسباب هذه المشكلات ، أوتحيلها إلى « العيادات النفسية » الملحقة بالمدارس الكبيرة أو بمناطق التعليم ، ومما يجدرذكره بهذا الصدد « مكاتب التوجيه و الارشاد » الملحقة بكثيرمن المدارس والجامعات في الخارج،وهدفها معونة الطلاّب على حلّ ما يعرض لهم من مشكلات ومتاعب مدرسيّة وغيرمدرسيّة : الخوف من الامتحانات ، والقلق على الصحّة ، و صعوبة تركيزالانتباه ، و العجزعن تنظيم أوقات المذاكرة وأوقات الفراغ ، و عدم معرفة طرق التحصيل الصحيحة للمواد المختلفة، والاعراض عن بذل الجهد ،والاسراف في الاعتماد عن المدرس،والاقتصار عن المحاضرات ، والتبرم بالدراسة أو الشعور بأنهاعبء ثقيل ، والعجزعن التعامل السليم مع الآخرين ، وضعف الحسّاسيّة الإجتماعيّة ، وعدم الاشتراك في المناشط الاجتماعية والرياضيّة ، والانحرافات الجنسيّة المختلفة ، والمتاعب المالية . . . هذا إلى دراسات خاصّة في موضوع « الصحّة النفسيّة » لتعين الشابّ على المحافظة على صحته النفسيّة وعلى التحررمن بعض مشكلاته النفسيّة ، ولذلك نرى إلى أيّ حدّ تهتمّ التربية الحديثة بحياطة الصحة النفسية للطلاب، و وقايتها من عوامل الاضطراب الكامنة في كل مدرسة، وتزويدهم بأساليب الكفاح الناجحة، و ذلك أن العلم ليس إلاّ سلاحاً واحداً من الأسلحة اللازمة لخوض معركة الحياة ، و كثيرمن حملة العلم تنقصهم الخبرة بالناس و الدنيا ، فلايستطيعون الانتفاع بما تعلموه أونفع غيرهم به أوالتمتع بما كسبوه من طيبات التراث الفكرى .

﴿ طبائع الأطفال وتربيتهم ﴾

و من المعلوم بالبداهة : ان للأطفال ميولاً وطبائع لابد للمربّي أن يعرفها ويربّيهم على ما تقتضيه تربية صحيحة نشير إليها بصورة إجماليّة :

١- ان الطفل يميل للحركة المستمرّة فلايجوز للمربي أن يجبره على إلتزام السكينة والوقار لأن ذلك مناقض بطبيعته ، ويتسبّب عنه ضرر كبير فان أعضاء الأطفال في نمرها تتطلب الحركة ، فان منعهم مانع عنها تعطّل نموّهم و ابتنى على ذلك فساد تركيبهم ، فيشبّون معتلّين مرضى .

٢- ان الأطفال يكرهون الإستمرار على عمل واحد ولهذا السبب يجب أن يجعل المربي دروسه قصيرة ، و أن يحرص أن لايجعل الدروس المتشابهة بعضها وراء بعض فان كان الدرس الأوّل في الحساب ، فلايحسن به أن يجعل ما يليه في علم الهندسة بل يجعله في علم النحو أو الرسم مثلاً .

٣- ان الأطفال يميلون للتقليد ، و من هنا ينبغي للمربي أو المعلّم أن يصحّ لأن يكون قدوة في ملبسه ومأكله ومشربه ومجلسه و كلامه وجميع حركاته . . . وقد ثبت ان التربية بالقدوة هي أفضل أنواع التربية .

٤- يميل الأطفال للحفظ عن ظهر القلب ، فجدير للمربي أن يستفيد من هذا الميل فيه فيعطيه جزءاً من القرآن الكريم ليحفظه بتفسيره تفسيراً مناسباً لعقله ، ويحسن به أيضاً أن يأمره بحفظ شيء من الروايات الواردة في الأدب و الأخلاق ، و خاصّة كلمات القصار الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله

عليهم أجمعين ، ومن بليغ النثر والشعر ليشبّوا على عرق من إستقامة اللسان و فصاحة المنطق .

٥- ان الطفل ضعيف القوّة المفكّرة التي بها الحكم على الأشياء و إدراك أسبابها فلا ينبغي للمعلّم أن يكلّف تلميذه بأن يحكم على الأشياء أوأن يستنتج منها شيئاً، بل ينبغي للمعلّم أن يكون مراقباً للطفل في ذلك فلا يدعه يخطيء في الحكم على الأشياء حتى يتقوّم نظره أوّلا فأوّلا.

٦- ان الأطفال تضعف فيهم قوّة التمييز بين الأشياء المتشابهة ، فلا ينبغي أن يكلّفوا بما يزيد عن طاقتهم في ذلك ، فانهم لايدركون الفروق بين الأشياء إلّا إذاكانت واضحة جليّة لاتعون تعمّقاً في النظر.

٧- يكون الطفل شديد قوّة الخيال ، ولذلك جدير للمعلّم أن يستفيد من هذه الصفة فيه ، فيؤثّر على تعذيبه بالقصص النافعة ، وحوادث التاريخ الواعظة والحكايات ذوي العبر. . ولا يجوز أن يشمل التاريخ لأشياء مختلفة و حوادث ركيكة . . .

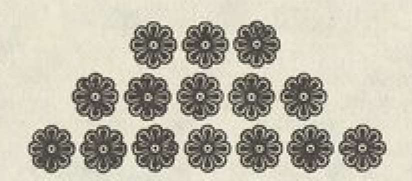
٨- ان الأطفال شديد و الميل للتنافس والتسابق لحوز الثناء و الاعجاب، فيجب على المربي أوالمعلّم أن يعلم هذه الصفة فيهم ، فيستفيد منها باظهار الثناء على المجتهد والاعجاب به أمام أقرانه ، وحثّ إخوانه على الاقتداء به فان هذه الامور تبعث في الجميع روح الغيرة والتنافس ، وقد يستعمل الفرنج في مدارسهم أوراقاً مربعة صغيرة مطبوع عليها في وسط نقوش جميلة كلمة « شهادة حسنة » يعطيها المعلّم لكل تلميذ مكافأة له على جواب سديدأوفوزه على أقرانه في عمل واجبانه... وقد انتجت هذه الأوراق نتائج باهرة في ترقية التعليم .

٩- ان الأطفال شديد والميل للاستكشاف والاستطلاع فتجدهم إذا استولوا على شيء مالوا لادراك سرّه وربما حملهم ذلك الميل إلى كسره وفصل أجزائه ، وهذا الميل يفيد المربي في تلقين الطفل بعض المعلومات على الأشياء . . فاذا أراد

المربي مثلاً أن يعرف تلميذه الطفل أسماء أجزاء فما عليه إلّا أن يعطيه ذلك الشيء، ويأمره بفصل أجزائه لادراك سرّ تركيبه، فيميل الطفل لذلك بطبيعته، وفي أثناء ذلك يلقنه أسماء تلك الأجزاء ويفهمه كيفيّة تركيبها فتثبت في ذهنه ثبوتاً تامّاً.

١٠- ان الطفل يكون شديد التأثر من الاحسان والاساءة، وان طبعه كالماء الصافي فيتلوّن بما يرمى فيه من الألوان . . .

فلا ينبغي للأب أن يتكلم في ضعفه الجسمي أو الروحي أو المالي عند الطفل لانعكاس ضعفه على ذهنه فيراه ضعيفاً مادام حيّاً وإن صار قوياً بعد أيام . . .



﴿ المعلم والتربية ﴾

ان المعلّم لماكان يشرف على الطفل في المكتب والمدرسة جزءاً كبيراً من النهار كان حقاً عليه أن يقوم مقام أبيه في تلك المدة ، فيلاحظه في مأكله ومشربه وملعبه فلا يسمح له من ذلك كله إلّا بما يسمح له به قانون الصحة من غير إفراط ولا تفريط ، ومما يتحتّم على كل معلّم أن يعرفه ولا يهمله في حين من الأحيان لأيّ عذر من الأعذار ما يأتي :

١- ان الذهن يكل من كثرة الاجهاد كما تكل اليد من العمل ، والرجل من المشي فيجب عليه أن لا يحمل ذهن تلميذه ما لا طاقة له به من المعلومات أو المحفوظات . . .

٢- ان يعلم المعلّم أن الأطفال في حالة نموّ مستمرّ ، والنمو يقتضي الحركة ودوامها فعلى المعلّم أن يرحم تلاميذه فلا يمنعهم من اللعب والجري ، و كل ما عليه هو أن يراقبهم فيمنع بعضهم من ضرب بعض ، أو يمنع المتطرفين في الجرى والتسلق من الافراط فيما هم فيه خوفاً عليهم من نتائج الطيش ، وعليه أن يتغاضى في أثناء الدرس مما قد يبدر من أحد التلاميذ من سرعة حركة أو قفز ولا سيّما إن كانوا صغيري السّن لأن ذلك قد يبدو منهم إضطراراً في بعض الأحيان ، و ليعلم المعلّم أن التلميذ الّذي لا يلعب ينشأ خاملاً ، ساقط الهمّة ، فعليه أن ينشطه للعب ويحثّه على الحركة .

٣- أن يعلم المعلّم أن طول الدرس يوجب السآمة وهي ينشأ منها ضمور

في مخ الأطفال وتعطل في وظائفه ، فيجب على المعلّم مراعاة ذلك ، وعدم التجاوز بالدّرس الواحد : ٤٥/ دقيقة وان التربية باعتبارعلى ثلاثة أقسام :

أحدها ـ تربية جسميّة .

ثانيها ـ تربية عقلية .

ثالثها ـ تربية روحية .

ومن غيرريب ان للمعلّم تأثيراً كبيراً على كلّ حال من هـذه الاقسام الثلاثة من التربية ، ففي يده والحالة هذه إصلاح أوافساد ، إرشاد أوإضلال ، و بـالمآل إسعاد أو إشقاء جمهور كبيرمن الأفراد الذين يودعون في صغرهم إليه .

أما التربية الجسمية : فالغرض منها ايصال جسم الطفل بالحركات الرياضية المدبّرة إلى غاية نموّه وكماله ، وان المعلّم ـ وله شأن كبيرفي الاسلام يعبّر عنه بأبى الثاني ـ يعلم أن يولد الطفل صغيرالجسم ، جميع أعضائه ، قابلـة للنموّ و الكمال فان وجدت رياضة صحيحة بلغت غايتها من الكمال ، وإن صادفت ما يمنعها من ذلك تعطل بعض هذه الأعضاء عن بلوغ تلك الغاية ، فضمرت وشبّ الطفل فاقداً مزايا تلك الأعضاء على كما لها ، وجرّ عليه هذا الحال أمراضاً مختلفة و قصوراً تختلف أشكاله عن أداء مهامّ الحياة .

ان الله عزّ وجلّ قد أودع في الأطفال الميل إلى الحركة والرياضة، فلا ينبغي منعهم منها في أوقاتها ، ولا يكفي عدم منعهم ، بل لابد من تدبير هـذا الميل فيهم حسب فنون الرياضة العلميّة حتى تنتج نتائجها المنتظرة منها ،ان الأطفال يميلون للحركة ولا علم لديهم يهديهم إلى تدبير تلك الحركات ، فيضيعـون نشاطهـم في مجرّد الجرى وهو لا يكفي وحده لأداء وظيفة الرياضة الضرورية ، فيجب على المعلّم توجيه هذا الميل فيهم إلى وجهات ضروريّة تنتج تلك الثمرة المرجوّة..

وأوّل ما يجب على المعلّم في تربية جسم الأطفال أن ينبّههم إلى أن يتنفّسوا تنفسّاً عميقاً بطيئاً منتظماً بفتح صدورهم للهـواء فتحاً تاماً مع الاعتناء بعدم التنفس،

من الفم لان فيه ضرراً ، وان مدار القوّة والصحّة على سعة الصدر لأنه محل التنفّس ، ولا يخفى على المتأمل الخبيران الحياة مجموع أنفاس ، فان انتظمت وعمّت الرئتين انتظمت ضربات القلب و زاد حجمها ، وتنقي الدم أكمل تنقية ، فغذى البدن تغذية كاملة وتبع ذلك الصحة بمعناها الكامل .

فعلى المعلّم أن يعتنى بغرس هذه الرياضة في أذهان تلاميذه و أن يعلّمهم كيف يعملونها فانه لوأمرهم بذلك شفهياً لم يحسنوا فعلها ، فان من الناس من إذا أمرته أن يتنفّس تنفّساً عميقاً بطيئاً منتظماً أخذ يدخل الهواء إلى رئتيه بشدّة فلا يتنفّس بضع مرّات حتى يكل و يتعب مع أن المقصود أن يكون التنفّس براحة وهدؤ بدون شدّة ، ولكن مع مراعاة أن يصل الهواء إلى آخر الرئتين ، ثم إخراج ذلك الهواء ببطء وإنتظام ، والاستمرارعلى ذلك حتى تصير عادة للانسان .

وان من لم يتنفّس تنفّساً تاماً عرض جزءاً كبيراً من رئتيه للضمور و بضمورهما يقل تنقيتهما للدم ، ومتى صار الدم قليل النقاء ضعف البدن وساورته الأمراض ، ولم ينجع فيه علاج ، فيعيش الانسان مريضاً في صودة صحيح أصفر اللون أبيض الشفتين حزيناً كئيباً ، ولماكانت هذه الرياضة أكمل ما تكون في الهواء الطلق وجب على المعلّمين أن ينتخبوا مكاتبهم في جهات متسعة الشوارع فسيحة الساحات . . . والأفضل أن يكون للمدرسة فناء « حوش » متسع .

ومن المعلّمين من يسرّه أن لايرى من تلاميذه جرياً ولعباً و كثيراً ما يشيرإلى تلميذ بطيىء الحركات ، ساكن الأعضاء يمشى مشية الشيوخ و العجزة و يقول لبقية تلاميذه : انى احب أن تقتدوا بهذا في أدبه و كمال عقله ، و يغيب عن هذا العلم ان السكون من ذلك الطفل ، وهو في سن تستدعي الحركة يقوده إلى أوخم العواقب ، وربماكان وهوفي سكونه الباكروهدوءه الشيخوخي يستنبت بين جنبيه جرائيم مكروخداع وشرّ مستطيرتظهرأفاعيلها عندما يشب ويكون

قادراً على العمل .

ليحرص المعلّمون على وديعة الأمّة ، وليتقوا الله فيها ، وليعلموا أن صحّة العقول لاتكون إلّا بصحّة الأجسام ، وصحّة الأجسام لاتتـأتى إلّامن الريـاضـة الجسدية ، و نحن نرى كثيراً من الناس يمدحون التلاميذ المنهمكين في الحفظ والدرس ، ونرى ان أحدهم لو رآى إبنه دائم الشغل ، مدمن المذاكرة مدحه و افتخر به بين إخوانه ، وهولا يعلم أن إبنه باهماله حق جثمانـه يعرض نفسه لأن يكون رجلاً عاطلاً لايخدم نفسه ، ولا الهيئة الاجتماعية ، وربما اكتسب عاهـة لاتزايله طول حياته .

فعلى الآباء والمعلّمين أن ينبّهوا أولادهم وتلاميذهم لمراعاة صحتهم ، وأن يمنعوا من الانكباب على الدرس وقت الفسحة، فينبغي لهم من العناية بالرياضات الجسدية فيكونـوا رجالاً أصحّاء أشداء لايبالون بحرّ ولا بشظف ، فيقتحموا لأجل إعزاز كلمتهم كل خطر ولا يبالون ولا يخافون من الشدائد والحوادث والوقائع...

التربية العقلية :

ان الغرض من التربية العقلية هو ايصال عقل الطفل إلى كمالـه وتنميته بتمرينه على التعقل وإدراك الحقائق ، وايداع القوة الحافظة منه جزءاً كبيراً من المسائل العلمية الصحيحة ، ولمّا كانت هذه التربية متـوقفة على معرفـة العقل و خصائصه ينبغي لنا أن نشير إليه إجمالاً :

ان العقل هو القوّة التي أودعها الله جل وعلا في الانسان ليعقل بها الأشياء، فيميّز بين الحسن والقبح ، بين الحق والباطل ، بين الضار والنافـع ، بين الصـدق والكذب ، بين الصلاح والفساد ، بين الفلاح والخسران ، وبين السعادة والشقاء ...

و هذه القوة هي أجلّ قوى الانسان وأكرم مواهبه ، ان العقل هو أشرف الممكنات وأفضل المفطورات وأكرم المربوبات ، وهو أوّل ما انفتح به باب الفيض الالهي والابداع الربوبي ، و نسبته إلى سائر الجواهر الروحانيّة نسبة آدم ﷺ

إلى أولاده .

في أمالي الصدوق رضوان الله عزّ وجلّ باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « لما خلق الله عزّ وجلّ العقل إستنطقه ثم قال له : أقبل فأقبل، ثم قال له : أدبر فأدبر ثم قال له : و عزّتي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك و لا أكملك إلّا فيمن أحب أما اني إيّاك آمر وإيّاك انهي وإياك اعاقب وإياك اثيب ».

مركز هذه القوّة المخّ كما أن مركز الابصار هو العين ، فلو تعطّل المخ بمرض أو عرض تعطّلت وظيفة العقل ، وهذا العقل يستمدّ كما له من العلوم والتجارب ، تزيد معرفته بالكون وما فيه ، وبالأشياء ومنافعها ومضارّها والتجارب تكسبه خبرة بالحياة وقوانينها وبالناس وأخلاقهم ... ولمّا كان مركز العقل المخ وجب العناية بهذا العضو ، ولمّا كان هذا العضو تابعاً لسائر الأعضاء كان من المحتم على من يريد أن يكون له عقل سليم أن يعتني بصحّة بدنه و كمال جسمه بمراعاة قانون الصحّة .

وان العقل عقلان : عقل فطري أي وهبيّ يخلق مع الانسان ، و هو الّذي يدرك به المسائل الأوّلية كاستحالة وجود الشخص في مكانين في آن واحد ، و عقل كسبيّ ، وهو الّذي يتحصّل عليه بزيادة المعلومات ، وإلى هذا أشار مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام فيما ينسب إليه بقوله :

رأيت العقل عقلين فمطبوع و مسموع
فلا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع العين و نور الشمس ممنوع

أي ان العقل نوعان : مطبوع أي طبيعي ومسموع أن يتحصّل عليه بسماع المعارف فمن لم يكن له عقل مطبوع لاينتفع بالعقل المسموع وهو المكتسب كما أن العين لاينتفع بها إذا كان ضوء الشمس ممنوعاً عنها ، وبناءاً على هذا فالانسان يولد ومعه عقل طبيعي يدرك به المعلومات البديهيّة لعدم إمكان وجود الشخص

الواحد في مكانين في آن واحد . وكزيادة الاثنين على الواحد الخ وهذا العقل الفطري يزداد قوّة وسلطة بتوالي المعلومات على الذهن فكلما ازداد علماً ازداد عقلاً ولا يزال يزداد حتّى يصبح الانسان من كبار العقلاء يدرك مصاير الامور من مقدّماتها . . .

أطوار العقل:

ان العقل الانساني لا ينشأ كاملاً من يوم الميلاد بل هو يتدرّج في الكمال شيئاً فشيئاً ، وقد عدّ له علماء النفس أدواراً ثلاثة ولكل طور منها حالات خاصّة بها:

الطور الأول:

وهذا الطور يبتدأ من السنة الاولى لحياة الانسان إلى السنة السابعة، وفي هذا الطور يكون الانسان معرضاً لكلّ تأثير يقع فيه ، فيكون إحساسه محصوداً في منافع ذاته لا يفكر في غير إحتياجه ، وتكون إرادته ومفكرته في غاية الضعف ويكون هذا الطّور قابلاً للتأثر بكلّ المؤثّرات حيث ان الطفل يكون في هذا الطّور خالي الذّهن من كلّ صورة فيصير أسيرما يؤثر عليه من الاشياء و يكون فكره في هذا الدّور ضعيفاً ، ويكاد أن تكون إرادته عادمة ، ولذلك تجب العناية الشديدة بالأطفال ، وهم في هذا الدّور فلا تقدم إليهم من المعلومات إلاّ كل صحيح ثابت على قدر ما تحتمله عقولهم ، ولا يجوز إخافتهم بالأشباح الوهميّة والمرعبات الخرافية لأن ذلك يرتسم في أذهانهم ، ويكون مقدّمة لوساوس تتشبّث بعقولهم متى كبروا بل تكون اصولاً لأخلاق سافلة يصعب إقتلاعها مهما عولجت بالمؤثّرات المختلفة ، وقد توجب الجنون والسفه . . .

وقد سبق ان مركز العقل هو المخ والمخّ ليس هو في حقيقته إلاّ عضو أمن الأعضاء مثله كمثل العين والاذن والأنف بل هو بما نيط به من الوظائف أكبر شأناً من جميع الأعضاء وقد خلقه الله من جوهر لطيف وجعله في تجويف سميك الجدران من العظم ليحفظ من تأثير العوادي الخارجية عليه ، ولكن هذا العظم السميك

لايحميه إلاّ من شر المؤثرات الخارجيّة ، وهناك مؤثرات داخلية تؤثر فيه أسوأ تأثير في حالة الصغر والكبر أيضاً ، يجب على الآباء والمعلّمين أن يكونوا على بصيرة منها ليدرأوها عن الأطفال الّذين تلقى بهم القدرة الالهية بين أيديهم ، ولاسبيل لهم إلاّ العناية بهذا العضو الكريم في الأبناء إلاّ بمعرفة طبيعة قواه و أطواره و مراعاة ما يجب له من العناية في كل حال منها .

وقدكان الطفل في هذا الدور عرضة للمؤثّرات الخارجيّة ، وتكون إرادته ومفكرته في غاية الضعف فيكون واجب الأب أن لايشغل مثل هذا المخ إلاّ بما يصلحه لأنه في دور تكوّن فلايحيطه من الأشياء إلاّ بما لو رآه ومال لتقليده كان نافعاً له غير مفسد لأخلاقه ، ولا يسمعه من الكلام إلاّ ما يحسن أن يحفظه و يتأثر به ، ولايسعى في أن يحمله على أن يجعله يستخدم قوّته الفكرية لأنه غير قابل للتفكر ومن هنا يرى القارىء مقدار الخطر العظيم الّذي يوقع الأب فيه إبنه بحبسه في المدارس وتكليفه بالتروى والتعقل قبل أن يجتاز السابعة من عمره .

الطور الثاني:

وهذا الطور يبتدأ من السنة السابعة إلى الرابعة عشر، و في هذا الطور يقوّى الفكر، ويرتقى العقل عماكان عليه و يميل للنظر في أسباب الأشياء ، و تشتدّ قوّة حفظه للمعلومات ، فيسرع في حفظها ولكنّه ينساها بسرعة أيضاً و تضعف قوّة تخيّله لأنه يكون منهمكاً في النظر إلى الأشياء وإدراك أسبابها و متعلقاتها ... فبعد أن يكون عرضة لقبول اثر المؤثرات الخارجيّة عليه يصبح أكثر مقاومة لها بما يكون حدث فيه من مبادىء التفكر والنظر في أسباب الامور. . . ومن مميّزات هذا الدور في الأطفال قوّة الحفظ ، وضعف الخيال ، وذلك لأن الطفل في هذا الدور يكون مدفوعاً للنظر في أسباب الأشياء و عللها و نتائجها و صارفاً همّه إلى ذلك ، فيضعف إنفعال نفسه منها كانت مهيّجة للخيال والشعور. .

وفي هذا الدور ينبغي للآباء والمعلّمين أن يسعوا في ايتاء هذه القوّة العقليّة

بحاجتها من المعلومات بلا إفراط وإبعاد ما يستدعي التخيّل عنها .

الطور الثالث:

وهذا الطور يبتدأ من السنة الرابعة عشر إلى الحادية والعشرين ، و يشتد في هذا الطور سلطان العقل على جميع قوى النفس ، ويخلص فيه من الخضوع لأثر المؤثرات الخارجيّة ، فيصبح مسيطراً على جميع حركات وسكنات الانسان، وآمراً ناهياً بعد أن كان مأموراً منهيّاً ، ومن مميّزات هذا الدّور ضعف الحفظ وقوّة الارادة ، وإن اضطرّ لحفظ شيء لم يحفظه إلّا بعد فهمه ، ولذلك يثبت في حافظته زماناً طويلاً ، و ينتفع به ويتميّز هذا الدّور بتحرّر الانسان من اسر العوامل المحيطة به ، ولا يكون لمعاشرة الأشرار إلّا تأثير قليل عليه .

وفي هذا الدّور لايجوز معاملة الشبان معاملة الأطفال في تكليفهم باعتقاد مالا يسيغه العقل أو يحملهم على عمل مالا يؤيّده البرهان الصحيح لئلا تفسد فطرهم ، ويصبحوا أسرى التقليد حتى فيما اتضح بطلانه ، هذا ولابدّ للآباء و المعلّمين من حمل الأطفال والشبّان على الرّياضة لأن المخ لأجل أن يصفو تمام الصفا ، ويبلغ كمال النموّ يستدعي مقداراً من الدّم الصالح لتغذيته ، ولا سبيل لتوليد الدّم إلّا الرياضة، فاذا كان الطفل أو الشاب مكلفاً نفسه من الدرس والحفظ بما يفوق طاقته ، وامتنع لأجل ذلك من الرياضة في الهواء الطلق جنى على نفسه أكبر الجنايات ، ويشاركه أبوه ومعلّمه ، لو رآه على ذلك الانهماك ولم ينهه .



﴿ المعلم وما يجب عليه علمه واتصافه به في التربية ﴾

ان المعلّم هو المثل الحيّ الماثل أمام الطفل أكثر النهار فيجب أن يكون متحلياً من الصفات بما يجب أن ينشّئه عليه ، و إلّا ذهبت جميع نصائحه إدراج الرياح لأن الطفل كما قدّمنا شديد المحاكاة لمن يقوم بتربيته ، فان كان المربّي على شيء من ذمائم الصفات أخذها عنه الطفل ، ولم تؤثر فيه التربية الكلامية شيئاً ، فضلاً عن ان التناقض بين نصائح المربي وحاله يكون من أشد العوامل تضليلاً لذهن الطفل ، و ربّما أدّت به الحال للحكم على دروس التربية بأنها حبر على ورق ليس بينها وبين سيرته الفعلية أيّة علاقة ، فينبغي هيهنا أن نشير إلى صفات يجب أن يتصف بها المعلّم أمام تلاميذه :

١ـ أن يكون موثّقاً عادلاً منصفاً عند المتعلّمين ، فلا يبش في وجه واحد منهم ، ويقطب في وجه واحد آخر للسبب عينه أو يعاقب أحدهم لأمر ويعفو عن آخر في مثل ذلك الأمر نفسه ، فالمطلوب أن يسوّي بينهم حتّى في النظرات البسيطة والكلمات التافهة ، و إنما يطلب منه الاتصاف بهذه الصفة لسببين :

أحدهما ـ إكتساب ثقة التلاميذ وإعتمادهم عليه وإحترامهم له .

ثانيهما ـ أن يغرس هذه الخصلة في أنفسهم ، وترى انه من الوجهة الثانية على الخصوص مسئول امام الهيئة الاجتماعية عن أخلاق طائفة من الامة ، و لما كانت الامم بأخلاقها وتقاليدها كان المعلّم الأوّل حاملاً تبعة من أثقل التبعات يسئل عنها أمام الله جل وعلا والناس .

كثيراً ما ترى بعض المعلّمين يكثر العناية ببعض التلاميذ دون بعض لا لشيء غير ان آباءهم من أصحابه ، فيتردّد على مكاتبهم ويظهر الاهتمام بهم ، يفعل ذلك وهو لايدرى انه يفعله هذا يفقد أوّلاً ثقة تلاميذه به ، ويغرس في أنفسهم مبادي‌ء سقيمة من المحاباة وعدم الانصاف، فعلى المعلّم أن يذكر في نفسه بأنه مثال التربية العلمية والعمليّة معاً أمام تلاميذه فيظهر بمظهر العادل المنصف والأب الرحيم البار بجميع أولاده على السواء .

٢- يجب على المعلّم أن يكون على علم بطريق التربية وأساليب التعليم و وجوه معالجة الطبائع المختلفة في الأطفال ، فان يصلح لواحد من الزجر والتحضيض والتأديب قد لايصلح لآخر، وما ينفع الواحد من طرق التعليم لايفيد غيره فيجب على المعلّم أن يكون كالطبيب يعطي لكل مريض الدواء المناسب له ، ولايتأتى له هذا إلّا بانعام النظر في أخلاق الأطفال الّذين أودعوا إليه ، و إطالة الفكرة في كيفية إصلاح أنفسهم وتكميل عقولهم . . .

٣- يجب على المعلّم أن يكون مالكاً لانفعالاته النفسية ، فلا يدع نفسه تتبرم من أقلّ الهفوات ، ولا يسمح لها بأن تنفعل لأصغر الذنوب الواقعة من الأطفال ، فيفقد بذلك صفة الاحترام من نفوس تلاميذه ، نعم ! انهم يخافونه و يرهبونه إلى حين ، ولكنّهم لايحترمونه ولايكبرونه ثم تستحيل المخافة منه بالتعوّد إلى إستخفاف فيعتمدون اسخاطه ليبدومنه ما يضحكهم من تقطب وجهه وصراخه ، هذا فضلاً عن انه بفعله هذا يبثّ فيهم روحاً شريرة فيشبّون كثيري الانفعال شديدي الضجر والتبرم لعانين طعانين .

٤- يجب على المعلّم أن لايكون غرضه مجرّد كسب المال ، فان وظيفة التعليم أكبر من ذلك ، بل يجب أن يكون غرضه الأوّل نشر الفضيلة والعلم بين الناس ، نعم ان المعلّم يحتاج لما يقيم له اودحياته خصوصاً في اليوم الذي لايقيم أكثر الناس ولا الحكومة للمعلّمين وزناً ، ولكنّا ننصحه بأن يجعل أكبر همّه

تربية تلاميذه غير ناظر للكسب فان ذلك أعود عليه بالنفع ، فان مدار الكسب على الشهرة وحسن النتيجة ، وهما لا يحصلان إلاّ إذا أتقن المعلّم وظيفته ، و ربما يرى كثير من المعلّمين خدّاعين ظهروا بلباس المربّين ، وهم في الواقع طلاّب مال ، فنجحوا في أوّل أمرهم نجاحاً ظاهراً ثم انكشف سرّهم ، فذهب كلّ ما موّهوه سدى والتفت الناس للمعلمين الاكفاء أصحاب الضمائر الحيّة النقيّة و الميول الجليلة القويمة .

٥- يجب على المعلّم أن يكون في نفسه على ما يجب أن يرى تلاميذه عليه، فيجب أن يكون نظيف الملابس متناسبها ، نظيف الأيدي ، مقلم الأظافر ، مقصر الشعر، متمهّلاً في مشيته وقعدته ، حسن الكلام في غير تقعّر ولا تشدّق ، طلق الوجه ذا بشر، لا لعاناً ولا كثير الصياح ، ولا سبّاباً ولا فحّاشاً ، ولا مستهزئاً ولا مضحكاً ولا مذلّلاً ، ولا مفرطاً ولا مفرّطاً في شيء أبداً .

٦- يجب على المعلّم أن يكون شديد التمسّك بالنظام فلا يخله ولا يسمح باخلاله وأن يكثر تذكير تلامذه بوجوب المحافظة عليه ، وبأنه روح كل عمل و سبب كل نجاح ولأجل أن يغرس في نفوس تلاميذه هذه الروح يجب عليه أن يكون هو نفسه القدوة في المحافظة على النظام في مشيته وقعدته و كلامه وجميع حركاته . . . فلا يمشي بغير نظام ولا يقعد كما يجيء، متمطياً تارة ومتثائباً اخرى فان كل هذا يشعر الأطفال بعدم إحترام النظام فيشبّون فوضى في أخلاقهم و معاملاتهم . . .

٧- يجب على المعلّم أن يبثّ في نفوس تلاميذه روح إعتبار القانون ، و حفظ حقوق الهيئة الاجتماعية ، ولا يتأتّى له ذلك إلاّ إذا كان المعلّم هو القدوة في ذلك بأن لا يعاقب على الذنب الواحد بعقوبتين مختلفتين،وأن لا تكون العقوبات فوضى غير مقيسة على الذنوب ولو استطاع أن يدوّن قانوناً لتلاميذه ليعرف كل منهم العقوبة التي تحلّ به إن ارتكب إنّما كان ذلك أكمل في الوصول إلى

هذه الغاية .

ثم ان المعلّم لأجل أن يبثّ في نفوس تلاميذه روح إحترام حقوق الناس يجب عليه أن يذكّرهم دائماً بأنّ عليهم حقوقاً لاخوانهم في الفصل ، فان اتفق ان أحدهم رفع صوته وجب أن يقول له ان رفعك لصوتك يشوش على إخوانك أعمالهم ويمنعهم عن الاستماع فضلاً عن أنه ينافي النظام و الأدب ، وان اتفق ومشى بين المكاتب حسن بالمعلّم أن يقول له : ان فعلك هذا يضرّ باخوانك إذ يلفتهم إليك فيضيع عليهم بعض الوقت فضلاً عن أنه إنتهاك لحرمة النظام الواجب أن يسود في الفصل وحطّ من سلطة المعلّم الذي له الرياسة على الجميع . . . كل هذا يغرس في نفس الطفل روح إحترام حقوق الغير فلا ينشأ محبّاً لذته عابداً لأهوائه غير حافل بما يصيب غيره من جزاء أعماله . . .

وما يجب أن ينشأ عليه الطفل من الأدب :

ان المدرسة هي المهد الثاني للتربية بعد الدار ، والأطفال وديعة الامة بين يدي المعلّمين فيجب على كلّ معلّم أن يتحقّق من أنّ وظيفته أكبر الوظائف الاجتماعية تأثيراً في حال الامة ، فلا يجوز أن ينسى أو يتناسى واجباته حيال هذا الأمر الخطير ، الأب يرسل إبنه للمعلّم عدّة ساعات من النهار لا ليعلمه المعارف الضرورية فقط ولكن ليقوم على تربيته أيضاً ، والجاهل المربي خير من المتعلّم فاقد التربية من كل الوجوه . . .

فالمعلّم مسئول بين يدي الله عزوجل ، والناس عن وظيفته ، وقد نصّ الدين على ذلك ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «كلكم راع و كلّ راع مسئول عن رعيته»

نعم: ان المعلّم راع لتلاميذه ومسئول عنهم لاسيّما وقد علم بالتجربة ان تأثير المعلّم على تلاميذه كثير فهو يستطيع أن ينشئهم بحياطته لهم ، و يقظته على شئونهم على أكمل الاصول الخلقية ، كما أنه يكون السبب في إسقاط أخلاقهم و إضاعة مواهبهم المعنوية باهماله امورهم فليتق الله المعلّمون في وديعة الامّة .

﴿ التربية الروحية ﴾

وقد اختلفت كلمات علماء الفنّ في التربية الروحية والتربية العقلية: أهما تربية واحدة؟ أم كل واحد منهما تربية مستقلّة؟

فمنهم من يقول: ان التربية الروحية غير التربية العقلية، و ذلك ان الانسان قد يكون قويّ العقل، صائب الرأى، عالم حكيم، مطلع على علم الأخلاق إجمالاً وتفصيلا، مجتهداً فقيهاً، عارفاً بالشريعة، ولكنّه خبيث النفس، نزوع إلى الشرّ، لجوج عنيد، رديء الطوية، سباق إلى غايات السوء خوّاض في لجج الأباطيل، حسود بخيل، هتّاك سبّاب... فله عقل ولاتربية له.

و ان علماء الفرنج يرون التربية الروحية يكفي فيها التربية الخلقية، و هو خطأ محض فان الخير والشر لايخفيان على أحد ولاسيّما ان علم بشيء من علم الأخلاق، ولكن الّذي ينزع بالانسان إلى إتيان المنكرات وغشيان الدنايا ليس جهله بالنافع والضار من الصفات، والجميل والقبيح من الأعمال، وإنما هو نقص في تربيته الروحية، فليس في قوته الروحية قدرة على كبح جماح أهوائه و التغلب على رعونات بشريته فتراه يعلم أن مغبة الخمر المرض والجنون والموت، و ان عاقبة المقامرة الفقر والهوان، وان ثمرة الجري وراء الأهواء البعد عن الكمال والخروج عن حظيرة الفضيلة، ولكنّه لايجد من روحه قوّة على صد تيار ميوله البهيمية فيسرع إلى تلبية شيطانه لأوّل إشارة منه، كأنه مسخر لاهلاك نفسه وإضاعة وجوده بيده.

فما هي التربية الروحية ؟ تلك التربية الّتي تزع النفس عن مقارفة الامور الخسيسة ومقاربة الدنايا ، وتكون كشكيمة قوية تردع الميول الشريرة عن الذهاب بصاحبها مذاهب السوء و الهلكة ؟ تلك التربية هي العناية بروح الطفل والعمل على تخويلها سلطانها الطبيعي على الجسد و تمتيعها بقدرتها النظرية في ضبط أهواء النفس ، وهذا التحديد يحتاج لتفصيل فلنأت به بايجاز فنقول :

لايخفى ان الانسان جسد و روح ،فجسده من طين ، وروحه من روح ربّ العالمين ، فالروح نفحة إلهيّة ، من طبيعة سماوية ، حلت في الجسد لتقوده إلى ما يبلغه أقصى ما يصل إليه الوهم من الكمال لالمجرّد تحريك أعضائه وهدايته إلى طرق غذائه وبقائه ، كما هي حال أرواح الحيوانات ولو كانت روح الانسان كروح الحيوان لبقي الانسان كالحيوان على حالته الاولى من السذاجة والبعد عن العلم والحكمة ، فتقدّم الانسان في باحات الرقي الصوري والمعنوي ونبوغ أنبياء و حكماء في جنسه بلغوا من الطهر والكمال أبعد الغايات يدلّ على الاستعداد الكامن في روح الانسان لبلوغ أقصى نهايات الكمال والفضيلة .

هذه الروح الكريمة أراد الله عزّ وجلّ أن يحبسها في هذا الجسد الطيني إلى حين ولم يسمح لها للاتصال بالعالم الخارجي إلاّ بخمس حواس ، وأراد الله سبحانه أن تكون الروح في هذا الجسد غير ذاكرة أصلها الّذي نشأت منه ، ولا حائزة من سلطتها الطبيعية إلاّ مالابد منه في إمداد الجسد بالحسّ والحركة والتعقّل، وأما الجسد فكما لايخفى كثير الحاجات و الرغبات المادية فهو في حاجة للمأكل والملبس والمسكن وغير ذلك ، وليس أمامه حدّ يقف عنده كالحيوان ، فهو ان شبع لايكتفي بالشبع بل ينزع إلى خزن الأطعمة ثم لايقف عند حدّ المواد النافعة للغذاء بل يتعدّاها لتكثير أصنافها ، وتلوين أشكالها ولايقتنع بذلك ، بل يعمد إلى إبتكار الوسائل ليأكل أكثر مما يشتهي ،وقس علي ذلك ميوله في الملبس و المسكن وغيرها .

فكان من الحكمة أن يخلف الله عزّ وجلّ لهذه الطبيعة البشرية منظماً ينظم حركاتها ومعدلاً يعدل نزعاتها ، فأمتع روحه بتلك الخاصية ، ولكن حكمته إقتضت أن لاتحصل تلك الروح على سلطانها على الجسد إلاّ بعد جهاد من الرياضة، ونور من العلم فأمده بالوحي بواسطة المرسلين ، فصل به طرق الرياضات ، وبيّن به مصادر أنوار العلم ، فاهتدى بهم من اهتدى وحرم من حرم ، ثم منّ الله عزّ وجلّ على العالم بكتاب أنزله على خاتم أنبيائه محمد ﷺ بيّن فيه وجوه الرياضة الناجعة ، وجعل فيه من الهدى والنور مالامرمى بعده لطالب هداية .

أما الرياضيات فهي ما فيه من العبادات ، فانها جعلت لترويض الانسان كما جعلت الشكائم لترويض الدواب ، والفرق بين الرياضيتين ان الانسان متمتّع بعقل لاحدّ لقوّته ، فجعل الله تعالى رياضته تلائم هذه الموهبة من صلاة و صوم و نسك وصدقة . . . ولكن الحيوان قاصر العقل ولذلك لاتصلح له إلاّ الشكائم الحديدية ، وأما النور العلمي فمثل تعريفه الانسان بأن روحه من روح الله عزّوجلّ ، وانه مستأهل لأن يتصل به ، وفي ذلك من السعادة له مالاتعد جميع سعادات الجسد بجانبه إلاّ آلاماً وان لروحه حياة خالدة وان لأعماله تأثيراً على حالته في تلك الحياة إلى غير ذلك مما يبعد به عن مستوى الحيوانية ، ويجتاز به حدود الطبيعة الأرضية .

فالواجب على المعلّم أن يتصدّى لتربية تلميذه تربية روحية فوق التربية الخلقية بأن يعالجه باسلوب القرآن كأن يأمره بالصلاة مع بيان وجه ضرورتها له على النحو الذى نكبته نحن في باب الفلسفة الدينية ، وبحثه على الصلاة والصيام والحج والجهاد ، والتصدق والعمل لاعلاء كلمة الحق وتوحيد الكلمة لاطلباً لحسن السمعة والشهرة بين الناس ، ولكن طلباً لتكميل نفسه ولأجل أن يصرف المعلّم تلميذه عن العمل للشهرة وحسن السمعة إلى العمل لله عزوجل لطلب الكمال الذاتي يجب عليه أن يتوسع له في بيان أن العمل لله مجرّداً عن كلّ

غاية أعود عليه بالفوائد . . .

فيقول له : إن العمل يوجد الشهرة بين الناس ، ولكنها تكون شهرة مدخولة يتخللها جسد النظراء وغمز العشراء ويكون أثرها في النفع وقتياً أوسطحياً ، أما العمل لله عز وجل فانه يبارك فيه ، ويعم نفعه ويدوم ويستدعى مع ذلك شهرة صادقة تدافع بذاتها عن العامل لايشوبها ضعف ، ثم يجب على المعلم أن يفيض لتلميذه القول في العلاقة الموجودة بين الانسان وربه عزوجل و في خلود روحه وفي تأثيرأعماله الدنيوية على حالته الاخروية .

فيقول له الانسان مستقر السر الالهي ومهبط النور السماوي ، وقد متعه الله تعالى من القوى المتنوعة والمواهب العالية بما لايتصوره وهم الواهم و كل تلك المواهب كامنة في فؤاده لايظهر لها أثر مادام عائشاً معيشة البهائم جاعلاً أكبر همه الأكل والملبس والنوم والمسكن والشهوة . . ولكنه لوعمل على إظهار تلك الاسرار فيه بدوام التأمل في ذاته وفي علاقته بالوجود وبخالقه وبالملأالأدنى والأعلى و اتخذ صلاته عملاً رياضياً لروحه لالجسمه فصلاها كمايجب بخشوع وفكروتركيزإرادة وقوى من جهة اخرى إرادته ليخلص من اسر الشهوات .

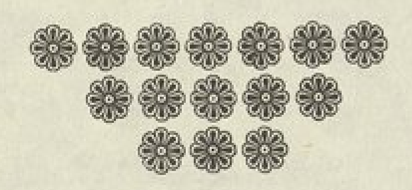
وبالجملة لوعاش الانسان في الحياة الدنيا عيش الحي اليقظ المتأمل الجاد في إظهار أسرار روحه تجلت له من أسراره مايبعثه للجهاد في إظهار سواها ، ويكون في نهايته رجلاً من اولئك الرجال الذين يبعثهم الله جل وعلا في الامم هداة إلى الفضائل و هادين إلى سبيل الصلاح و الفلاح و ، السعادة و الحياة . . .

هذه هي التربية الروحية التي يجب أن يؤخذ بها الأطفال أما تعلمهم مجرد الأخلاق وجعل غايات الفضائل حسن الذكروطيب الاحدوثة والغني والنجاح في الحياة ، وغايات الرذائل سوء القالة، و وخامة السمعة والفقرفي حرب المعيشة ، فذلك لايفيدهم إلافائدة قاصرة ، فاذاشب احدهم وبلغ مبلغ الرجال فلاتردعه معرفته ان الكذب من الاخلاق الرذيلة ، ولكنه لايحجم عنه اذاكان له منه

نفع كما يحدث أمام أعيننا كل يوم ، ولو كان علم الأخلاق المجرّد عن التربية الروحية يفيد في تحسين أحوال البشر من الوجهة الأدبية لما كنّا رأينا بعض أعلم علماء الأخلاق من أفسد الناس أخلاقاً ، وأشدّهم بعداً عن الفضيلة .

البيداجوجيا عند الروحانيين :

ان الغرض من علم البيدا جوجيا الرسمي تربية قوى الطفل الجسدية والمعنوية باعتبار انه كائن حيّ عاقل قابل للترقي ، ولكن جميع المتكلمين في هذا الأمر لم يتجهوا غير وجهة المذهب الماديّ من إعتبار الانسان أرقى حلقة في سلسلة الحيوانات فلم يأبهوا الروحه ولاتكلفوا البحث في شئوونها من حيث علاقتها با لجسم ، و من اتّجه هذه الوجهة ، فانماسلك إليهامن وجهة ان الأرواح كلّها متشابهة في الجوهر سواء أكانت نفحة إلهيّة أم انها من عالم مجرّد ذي طبيعة خاصّة به .



﴿ الغريزة والتربية ﴾

واعلم أن لكل طفل غرائز وميولاً فطرية تسمّى غرائز شخصية ، وغرائز المحافظة على البقاء أهمّها ستّ :

الاولى : غريزة الخوف والفزع من الأعداء ، وانها أوّل ظاهرة تبدو من الطفل قبل أن يبلغ ستة أسابيع من عمره ، فمتى سمع صوتاً شديداً ، يصرخ صرخات تدلّ على ذعره وخوفه ، وتكمل تلك الغريزة في السنتين : الثالثة و الرابعة ، وهناك يكون بعض الاستقلال بالنفس فيتغذى بنفسه ويهرب مما يخيفه ، ومظاهرها تأخذ في التضاؤل وعلى قدر إزدياد الخبرة بما حولنا يزداد تضاؤل الخوف منه ، ولكن يبقى مع الانسان من تلك الغريزة ما تقتضيه الحال الطبيعية للشاب، والكهل والشيخ . . .

والذي يثير الخوف فهو كل ما يمكن أن يرى الانسان فيه خطراً يهدّده حقيقياً كان أوموهوماً كالأماكن المرتفعة والظلام والوحدة ولمس الفراء و الغريب من الناس ، ومن كل مايخرق العادة والطبيعة ومن نفس مظاهر الطبيعة كالرعد و البرق ، والريح العاصف والزلازل و المغاور والظلمة والحشرات والزواحف و الحيوانات الكاسرة والأصوات الفجائية العالية ونتائج الخوف هو : خفقان القلب وسرعة التنفس سرعة كبيرة ، وجفاف الريق وإمتقاع اللون ، والعرق البارد . . . ويزيد الخيال الانساني آلافاً من الأخطار والمخاوف فتنتاب المرء يقظةً ومناماً .

وأما سبيل الاستفادة من هذا الخوف الغريزي فطريقان :

أحد هما - طريقة الجهلاء وهي أن يستعملها الآباء والمدرّسون بهيئة ضارّة كان يحملوهم على أداء المطلوب بالضرب أونوع مامن انواع الايذاء، فذلك يحدث في الطفل رذيلة الجبن والتردّد والحيرة والاضطراب، ويجعل الصبيان لايثقون بنفوسهم، بل قد يحدث فيهم أمراضاً عصبية، فقد ثبت أن ربط حادثة ما بانفعال شديد نفساني، ثم كتمها في اللاشعور مصدر كثيرمن الأمراض العصبية الغريبة في الانسان.

ثانيهما - هي طريقة التربية الحديثة، وهي أن يستعمل الخوف إستعمالاً علمياً فيخوّفون الطفل من عمل القبيح لامن العقاب والتهديد، فيبيّن المربّون للطفل العواقب الوخيمة للاعمال المزرية التي تصدرمنه.

وهذه هي المستفاد من الآيات القرآنية منها نفس هذه السورة الكريمة إذ قال الله تعالى: «كلالئن لم ينته لنسفعاً بالناصية» العلق: ١٥)

وقال: «ونفس وماسوّاها - وقدخاب من دسّاها» الشمس: ٧ - ١٠)

وقال: «كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون» المطففين: ١٤)

وقال: «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» البقرة: ٢٨٦)

وقال: «ومن يكسب إثماً فانّمايكسبه على نفسه» النساء: ١١١)

وغيرها من الآيات القرآنية...

في عدة الداعي: وقال بعضهم: شكوت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام إبناًلي فقال: «لاتضربه واهجره ولاتطل»

الثانية: غريزة الغضب والدفاع والقتال، وذلك ان الله جل وعلا قدأودع في الانسان القوة الغضبية ليدفع بها الأذى عن نفسه قبل وقوعه، وينتقم من الموذي بعده ولولاها لماكان الانسان قادراً على دفع المهلكات، فماكان العيش هنيئاً له في الحياة الدنيا، وقدسبق منا كلام حول الغضب في سورة الفاتحة فان شئت فراجع.

ولايخفى على القاري الخبير: ان الغضب يشترك مع الخوف في أحوال،

ويخالفه في أحوال اخرى ، فكلاهما يغلب الروح و الفكر على أمرهما ، فلايقبل امرؤ نصيحة و هو مهتاج غضبه لأن غضبه إستحوذ على قواه العاقلة فشغلت به ولم تتفرّغ لسواه وهو دليل على ضعف قدرة الانسان على ضبط نفسه وحكمها ، ولذلك يكون ظهورها أتمّ في الصغار وفي أفراد الامم البعيدة عن الحضارة ، فهي تبدو فيهم لأقلّ الأسباب . . .

وهذه هي جهة الاشتراك بين الخوف والغضب ، أما الأحوال التي يختلفان فيها ، فمنها أن الخوف عامّ في كل حيوان ولكن غريزة المقاتلة التي يسببها الغضب ليست عامّة لعموم غريزة الخوف ، و كيف تعمّ ونحن نرى بعض إناث الحيوان قلّمايبد و عليها ميل إلى الدفاع عن نفسه ، والمقاتلة على عدوّه ، و لكنّها عامّة قوية في الانسان ومنها أن الخوف يدفع إلى الهرب و الاختفاء ، و الغضب يسوق المرء إلى الهجوم و الدفاع عن النفس بالمخلب والناب . . .

وأما سبيل الاستفادة من هذه القوّة فطريقان أيضاً :

أحدهما ـ طريق الهمجية وهي أن يقابل الأبوان أوالمعلّم الغضب بنظيره ، وذلك يعرض الآباء والمدرّسين لشيء من إحتقارهم وعدم الشفقة عليهم .

ثانيهما ـ طريق الحكمة والعلم ، وذلك بان يقابل غضب التلاميذ بالهدؤ وعدم الاكتراث أوبترك المغضب وحده حتى تأخذ سورته حدّها ثم تخبو ويمنع ماغضب لأجله كمايفعل بالطفل إرضاعه في غيروقته ، فاذا عرف الطفل أن ذلك لايفيده فكرفي ضبط نفسه وكفّها ، و حسن من المدرّس أن يذكر التلميذ السريع الغضب بعد هدؤ سورته بأنّ ذلك يضرّ بمقامه بين إخوانه ولم يسعفه ذلك با نالته ما طلب .

وهذا هوالمستفاد من سياق الايات الكريمة من هذه السورة : « أرايت الذي ينهى ـ ألم يعلم بأن الله يرى » : ٩ ـ ١٤)

وقال الله عزوجل في وصف المؤمنين : « وإذا ما غضبواهم يغفرون »

الشورى : ٣٧)

فعلى الـوالدين والمعلّمين أن يحـوّلوا نيران الغضب من حالها الأوّلية إلى نيران شريفة عالية كالغضب للحق والقتال لنصر الضعيف وتأييد المبدأ والمثابرة في الحصـول على غاية بعيدة ، وفي تأدية الـواجب ، وفي الـدفاع عن الشرف و الكرامة . . .

الثالثـة : غريزة الاشمئزاز و النبذ و التقزز فهي إنفعال نفساني فطـري أوّلي يتجلى في نفـورالنفس من كل كريه مستقذر فهو يشبه غريزة الخوف من جهة النفور ، و لكنه يخالفها في أن الخائف يهرب مما خاف منه ، والمشمئز يبعد عن نفسه عادة مصـدر إشمئزازه ككل طعام مرّ المذاق ، و كل ماهـو لزج زلـق أوهلاميّ لين كالديدان والحيات والضفادع والفراء ونحوها ، وقدبقيت هذه العادة في الانسان من أيام أن كان يعيش في الغابات و من أعدائه الحيات وما يشبهها من الأشياء الهلامية المؤذية له ، وهكذا كل نبات ذي طعـم أورائحة ضارّة بالانسان أوسامّة له ، و لقـد بقي من تلك الغـريزة في الانسان الحاضر الاشمئزاز مثلاً من إنسان قذرالثياب والطعام أوغير منتظم في أخلاقه أو كلامه . . .

وأما طريق الاستفادة من هذه الغريزة في التربية ، فبأن يصوّر الـوالدان للأطفال ما يتبع على السيئات و الرذائل من الهـوان والـذلة . . . و أن يصـوّر المعلّم عند تدريس التاريخ الأخـلاق الفاسدة وسـوء الأعمال : من الـكـذب و الخيانة ، و الخبث و الغيبة ، والسبّ والنمامـة ، و الدسائس و الجساسة ، وسـوء السلـوك و السرقة . . . بصور قبيحة تشمئز منها النفوس حتى تثير هذه الغريزة و ترتبط بانفعالها النفساني حتى إذاما عرضت للفتى نفرمنها و قبحها بل مجّ التفكر فيهـا .

الرابعـة : غـريـزة الادّخار والاقتناء والتملّك وهـذه الغـريزة هي عامّة للحيوان والانسان ، إذ نرى حبّ الادخار و الاقتناء والتملك في النمل والنحل

والسنجاب والطيور ، ونراها في الأطفال من سنتهم الثانية ، وتقوّى هذه الغريزة فيهم بين السنة العاشرة والرابعة عشر جداً ، ولاتترك شباناً ولاشيوخاً لايعتريها مدّة أمد الحياة ، وإذا رأينا الطفل يجدّ في جمع قطع الخرق البراقة وقطع وهكذا . . ورأيناه يجمع أنواع الطيور والزهر والفراش وبيض الطيور و الحفريات المختلفة فلنحمد له فعله فان ذلك يبعث فيه :

١- الشوق للعلم ٢- التحمس له ٣- الاهتمام به . ٤- حبّ الطبيعة وتأمّلها.

٥ - طرق البحث و التنقيب والترتيب والنظام و الدقة و يكسب التلاميذ معلومات كثيرة في الجغرافيا والتاريخ الطبيعي والفنون الجميلة ، وبذلك تكون الدراسة في المدرسة حية لأنها تمسّ ماهم يهتمّون بجمعه فضلاً عن الترقي الخلقي والجثماني ، والاعتماد على النفس والمثابرة والصبر و الترويض في الهواء الطلق ، و صرف وقت الفراغ فيما يفيد بدل إضاعته سدى أوفيما يضرّ .

وعلى رجال التعليم أن يمكنوا التلميذ من تملك ماعمله في المدرسة من الأعمال اليدوية ففي ذلك تشجيع بهم وإستشارة لهممهم ، وعلى المدرّسين أن يوجهوا ما فضل من هذه القوّة إلي تملك الفضائل والشرف والعلم ، وإحراز قصب السبق في ميدان المسابقات الانسانية حتّى يصرف التلميذ قوّته إذا اشتغل بأعماله في إسعاد امّته والانسانية جمعاء إذا قدر على ذلك فهذا هو الملك الحقيقي الجدير بالادّخار .

الخامسة : غريزة حب الرئاسة والسيطرة و الظهور . ولايخفى على المتدبر الخبير ان هذه الغريزة والغريزة السادسة التالية انهما تشبهان من بعض الوجوه غريزتي الخوف والغضب ، بل الأوليان تثيرا الأخريين ، فحبّ السيطرة يثير الغضب وغريزة الانقياد والخشوع تثير الخوف ، ان غريزة السيطرة و النفوذ والحرية تظهر عند الطفل في مهده فهو يقاومك إذا أردت تقييد يديه ، وعند الشاب القويّ عضلاته ، فانه لايكاد يتلقّى أمر آمن غير تذمر مضمر أوظاهر ، إن مقاومة الطفل لمن

يريد تقييد حرّيته و مقاومة الشاب المذكورتين مظهران دفاعيان عن هذه الغريزة ، وهناك مظاهر هجومية لهذه الغريزة كأن يسعى الانسان للتغلب على ما في بيته من الأشياء ويحيله إلى نفسه ، ومثل انناترى الطفل يأمر الخدم وينهاهم ، ومثل محاولة الصبي أن يكون غالباً سواه في ميدان اللعب بالمدرسة وترى من الصبيان من يحبّون الزعامة والرئاسة أوالغلبة في الحديث وهكذا . . .

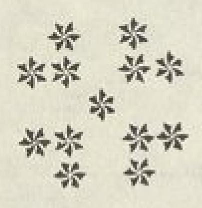
وأماطريق الاستفادة من هذه الغريزة: فان كل عملية عقلية تقف في سبيل المرء أثناء قيامه بأيّ عمل ماتثير هذه الغريزة ، فتدفع المرء إلى إظهار قوّته أومهارته حتى يتغلب على هذه العقبة ، فذلك الانفعال إذ ذاك نسمّيه تحمّساً أوعزماً أوجهداً يدفعه إلى المثابرة على العمل .

السادسة : غريزة الانقياد والخضوع ، وانها هي الجهة السلبية لحبّ السيطرة و الغلبة ، وها تان الغريزتان لكل منهما عمل خاص إذا لم تقم به اختلّ نظام الحياة على مقدار التقصير في ذلك القيام ، فغريزة السيطرة إذا اشتدّت وطاشت كان صاحبها صلب العود عنيداً لاينكص أمام عقبة تقف في سبيله ، وهذه سبيل بعض القادة والحكّام وجميع الطغاة ، فاذا ضعفت ومرضت إستحالت إلى مشاغبة و تهويش وايذاء .

وغريزة الخضوع إذا جاوزت الحدّ أضحى صاحبها ضعيفاً مطواعاً قليل الثقة بنفسه ، و ان المدرس الذي يطيع رؤساءه فيفعل مايوجبه القانون والعرف ، ومن جهة اخرى يسيطر على تلاميذه بحيث يرهبون جانبه مع عاطفة الحب له و الميل ، فان هذا هو الذي ينطبق عليه إعتدال هاتين القوّتين فيه ، وأماذلك الذي يشكّ في مقدرته على التغلب على فضله ، فان تلاميذه يسعون للتغلب عليه وقهره و إخفاعه لأوامرهم ، وأمثلة غريزة الخضوع العاطفة الدينيّة إذ يقيس المرء ضعف نفسه بعظمة الله جلّ وعلا فيخشع لله تعالى وحده كلّ الخشوع .

وأماسبيل الاستفادة من هذه الغريزة أن يراعى المعلّم النسبة بين هاتين القوّتين ،

فيقود الاولى ويوجهها إلى جهة الصلاح والخير ، ويحترس من إخمادها أو الوقوف في سبيلها من غير داع يقتضي كبحها ، فتكرّ ركبحها يذلّ التلميذ ويحوله إلى جهات الشرّ والافساد ، وهكذا عليه أن يبعث في الطفل المطيع المتهيب الثقة بالنفس ، ويخضنه على الاقدام والثبات والمثابرة والتغلب على من يقف في سبيله وهذا هو معنى ايجاد التوازن بينهما .



﴿ التربية الصحيحة والمدرسة الاسلامية ﴾

ان المدرسة الاسلاميّة هي مدرسة لابد أن تجعل هدفها الوحيد توجيه طلاّبها إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، وتطبيق تعاليم الاسلام وحكمه و معارفه، والتربيّة الاسلاميّة الحقّة الصحيحة تزكّي بها النفوس وتطهّر من أدناس الشرك على كلاقسميه: الظاهر والخفي، و من أرجاس المعصية و الطغيان...

فا لطالب عند مايدخل هذه المدرسة التي بنت للتربيّة الصحيحة يرى قطعاً قد كتب عليها: «لاإله إلاّالله محمّد رسول الله على ولي الله» كتب عليها: «فيه رجال يحبّون أن يتطهّروا والله يحبّ المطهرين» كتب عليها: «ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً» كتب عليها: «إن الدّين عندالله الاسلام ـ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهوفي الآخرة من الخاسرين» وقد كتب عليها قول نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم: «أشدّ الناس حسرة يوم القيامة رجل أمكنه طلب العلم فلم يطلبه، ورجل علّم علماً فا نتفع به من سمعه دونه» يرى طلاّباً متخلّقين بأخلاق إسلامية، فلا كذب ولاخيانة، لاغشّ ولاخديعة، لافحش و لامعصية، ولاإثم ولاجناية... بل يجدهم متآخين، متراحمين فيما بينهم عملاً بهذا الحديث: «الخلق كلّهم عيال اللهفأقربهم إلى الله أحبّهم لعياله» وهم مصداق هذه الآية الكريمة: «إنما المؤمنون إخوة» الحجرات: ١٠) وهم الذين يخاطبهم الله جل وعلابقوله: «يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراًمن الظنّ إنّ بعض الظنّ

إثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضاً » الحجرات : ١٢) .

في الكافي : باسناده عن أبي بصير قال : قال أبوعبدالله عليه السلام لاتفتش الناس فتبقى بلا صديق .

وفي أمالي المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن زرارة عن أحدهما عليه السلام قال : أقرب مايكون العبد إلى الكفر أن يواخي الرجل على الدين فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعيبه بها يوماً .

و فيه : باسناده عن إسحق بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يا معشر من آمن بلسانه ولم يسئل الايمان إلى قلبه لاتتبعوا عورات المؤمنين ، ولاتذمّوا المسلمين فانه من تتبّع عورات المؤمنين تتبع الله عوراته ومن تتبع الله عوراته فضحه في جوف بيته .

ويرى الطالب المدرسة في غاية النظافة والجمال عملاً بماورد صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « النظافة من الايمان » وان الطلاب متعاونون فيما بينهم ، يعلم بعضهم البعض ، و كل يحب التقدّم لصديقه عملاً بماورد عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « لايؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه المؤمن مايحبّ لنفسه » فلاحسد ولاعناد و لاتباغض ولالجاج ، ولاتطاحن ولاسوء ظن . . . بل حياة كلهادعة و طمأنينة وهناء . . .

يرى الطلاّب جادين في دروسهم مجتهدين ، وذلك ان الله عزّوجل يقول : « وأن ليس للانسان إلاّ ماسعى وأن سعيه سوف يرى » النجم : ٣٩ ـ ٤٠)

ثم يرى أبدان الطلاّب سللة و هم يعملون في تقوية أبدانهم برياضات خاصة عملاً بهذا الحديث : « إن لبدنك عليك حقاً » وتحقيقاً لأمر الله جلّ و علا : « وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة » الأنفال : ٦٠)

فاذا هبوا إلى بيوتهم سلموا على آبائهم وامهاتهم وقبّلوا أيديهم وقاموا بمساعدتهم وخدمتهم في شؤون البيت و ما يأمرونهم به ، فهم يطيعون آبائهم و

امهاتهم إطاعة تامة لعلمهم أن: « الجنة تحت أقدام الامهات »

يرى ان المعلّم كلما شرح موضوعاً عن الحيوان أوالنبات أوالكيمياء والفيزياء عزا ذلك إلى عظمةالله جلّ وعلاودقيق صنعه، وجعل الطلاب يتوجهون بكلّهم إلى الله العليّ القدير وتسبيحه تعالى وتقديسه ، فهم يشاهدون عظمةالخالق في العلوم الطبيعية ، وماأودع الله عزّوجلّ من دقيق الصنع في هذا الكون الرحيب، وهكذا في علم الجغرافية والهيئة . . .

يرى الطلاّب تهيّأون بكل جدّ ونشاط لحياة سعيدة حرة و يتسلّحون بسلاح العصر ويتزوّدون من علوم مادية مفيدة لكي يستغنوا بها عن الناس أجمعين عاملين بقوله عزّوجل : « ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن اللهإليك ولاتبغ الفساد في الارض » القصص : ٧٧) وقوله : « يا أيها الذين آمنوا لاتحرّموا طيبات ما أحلّ اللهلكم ولاتعتدوا إن الله لايحبّ المعتدين » المائدة: ٨٧) وبقوله: « قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » الاعراف : ٣٢) وقوله حكاية عن المؤمنين : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة » البقرة : ٢٠١) وبماورد : « ليس منّا من ترك دنياه لآخرته ولاآخرته لدنياه...»

يرى أن الطلاب بعدرجوعهم من تناول طعام الطهر يتهيّأون للصلاة لأداءواجب الشكر تجاه الله عزّوجلّ ، يراهم يتوضأون ويصطفون ، و إذا بأحدهم يؤذون بصوت عال رخيم قائلاً : اللهأكبر . . . اللهأكبر . . . والطلاّب كلهم يعلوهم خشوع وخضوع ، فيركعون لربهم ويسجدون ، منجذبين بكلّهم إلى الخلاق العظيم الّذي لاتحصى نعمه: « وإن تعدّوانعمة الله لاتحصوها » إبراهيم : ٣٤)

وبعد الانتهاء من هذه الصلاة المقبولة عندالله من أطفال معصومين يذهبون إلى الصفوف للتزوّد من علوم تجعلهم مسلحين بسلاح العصر للحصول على معيشة هنيئة وللتمكن من نصرة هذا الدّين ، دين الله القويم ، تجاه تيارات الكفر و الالحادوللقيام لبث الدّعوة الاسلامية في أرجاء هذا العالم، فما أحوج هذا العالم

إلى دين الفطرة : « الاسلام» « فاقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم » الروم : ٣٠)

انهم يستعدون ليكونوا دعاة حقاً لدين الله تعالى في أرضه عملاً بقوله عزّ وجلّ : « وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون » التوبة : ١٢٢) وبقوله : « ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » آل عمران : ١٠٤)

ان طلاّب هذه المدرسة يترحمون على الطيور وأنواع الحيوانات ، ديدنهم الرفق و العطف إلى كلّ ماخلق الله عزّ وجلّ عملاً بما قال النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « اتقوا الله في ماخولكم وفي العجم من أموالكم قيل : وما العجم ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم الشاة والبقر والحمام وأشباه ذلك »

ان طلاب هذه المدرسة يعملون دوماً في مساعدة الآخرين عملاً بهذا الحديث : « الله في عون المؤمن مادام المؤمن في عون أخيه » وبقوله جلّ و علا : « وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم و العدوان » المائدة : ٢) فيقومون على قضاء حوائج المؤمنين والجيران ، وقد جاء في الحديث : «مازال يوصي رسول الله بالجار حتى ظننّا انه سيورثه

« وقد بلغهم هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أصبح ولم يهتمّ بامور المسلمين فليس منهم » وقد بلغهم قول النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « من سمع رجلاً ينادى يا للمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم » انهم يعطون من فضول أموالهم إلى الفقراء والمساكين بصورة سرية ومع إحترام وتوقير لأن الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال : « ان الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء مايسعهم ولو علم ان ذلك لايسعهم لزادهم »

وهكذا نرى أن هذ المدرسة الاسلامية تبدأ في مفتتح اعمالها

(عندالاصطفاف) بتلاوة آي من الذكر الحكيم ، وهكذا عند الانتهاء من الدروس عند الانصراف ، وهم يمتازون عن غيرهم باستظهارهم القرآن الكريم و معاني الكلمات و كثيراً من الأحاديث ، وفي أناشيدهم تحريض لخدمة الغير و التضحية لأجل رفع لواء الاسلام عالياً في أرجاء العالم، حتى يكون الاسلام ديناً عالمياً، فلاتسمع في أرجاء العالم كله إلاّ من ينادي أوقات الصلاة بصوت رفيع : الله أكبر... أشهد أن لا إله الاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله وأشهد أن أمير المؤمنين علياً ولي الله...

وفي المدرسة لجان مختلفة : لجنة الارشاد الديني ، ولجنة العلوم الاجتماعية ، ولجنة الرياضة البدنية ، ولجنة النظافة ، ولجنة تنظيم الحدائق والبر والاحسان إلى ماهناك من لجان مفيدة اخرى . . أما لجنة الارشاد الديني فلها إجتماعاتها الخاصة وبرامج معينة و وظائف موزعة على الأعضاء . . . فكلما اجتمعت اللجنة تقرأ المقررات السابقة ، و يقدم كل عضو تقرير أعماقام به من أعمال إرشادية داخل المدرسة وخارجها وتوزع الأعمال على الأعضاء من جديد ، وأما لجنة البر والاحسان فتقوم كل خميس بعدالظهر بتوزيع ماتمكنت من جمعه من نقود وثياب و أحذية وفروش وأوان إلى ما هنالك ، وذلك بالذهاب إلى بيوت الأرامل والأيتام و الفقراء والمساكين ،فتقدم ماجمعت إليهم بكل توقير و إحترام ذلك بعد أداء التحية الاسلامية : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . .

فهنيئاً لطلاب مؤمنين يتربون في هذه المدرسة الاسلامية تربية صحيحة ، إسلامية حقة ، فيكونون قد جمعوا هاتين سعادة النشأتين : سعادة الدنيا ونعيم الآخرة طوبى لهم وحسن مآب . . .

ومن هؤلاء الطلاب يرجى أن يكونوا مربين حساناً للمستقبلين . .

﴿التربية والمسئول عنها﴾

ومن المعلوم أن مع تطوّر الحياة المدنيّة للانسان ، وتشابك العلاقات و تعدّد أنواع التفاعل والتأثير الاجتماعي والثقافي تعدّدت العوامل والوسائل المؤثرة في تربية الانسان ، وتوجيه سلوكه وصياغة شخصيته ، وتشعبت المسئوليات والمهمات ، ولذلك فان مراكز الاعداد والتربية والمسئوليات التربوية تتخطى حدود الاسرة و الأبوين لتشمل المدرسة و المجتمع والدولة ، و وسائل التوجيه وقيادة الرأي العام ، ومن ثم فان المسئولية التربوية تتوزع بين المؤسسات والجهات الآتية :

١- الاسرة . ٢- المدرسة . ٣- العلماء العاملون . ٤- الحكومة . ٥- المجتمع . ٦- الانسان نفسه .

١- الاسرة وهي المحيط التربوي الأوّل الذي يولد فيه الطفل ، وينشأ في ظلاله . . . فمنه يكتسب ويتعلم وفي أجوائه ينمو ويترعرع . . . فمن الاسرة و عاداتها وطبيعة حياته واتجاهها الفكري والسلوكي يكتسب الطفل ، ويتشبّع . . . ولذلك فان تأثير الاسرة في مرحلة الطفولة والنشوء المبكّر له أثره ودوره الفعّال في شخصية الطفل ونشأته ، ولذا أيضاً ألقى الاسلام المسئولية الأساسية في التربية على الوالدين ، واعتبرهما مسئولين عن تربية أولادهم حينما خاطبه القرآن الكريم لهم بقوله عزّ وجل : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم و أهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة » التحريم : ٦)

ومن هنا كان من واجب الآباء العناية بتربية أولادهم والحرص على سلامة توجيههم ، فان التربية الاسلامية صيانة وتحصين للأولاد من الانحراف والسقوط، وان الأب الذي يهمل تربية أولاده إنما يساهم في دفعهم إلى الانحراف والسقوط، وبهذا يكون شريكاً لهم ، ومساهماً فعالاً فيما يؤولون إليه من أوضاع شاذة و حالات سلوكية مخربة لذلك حمّلته قوانين الجزاء الاسلامية مسئولية وتقصير ولده غير البالغ ، والذي يعيش في كفالته ، واعتبرته مسئولاً عن تحمّل أي ضرر مادّي يلحقه بالآخرين ليتمّ التنسيق والتكامل بين القوانين والمسئوليات هذا عدا المسئوليّة الجزائية الكبرى التي يتحملها الأب أمام الله عزّ وجلّ يوم يقوم الناس لرب العالمين .

قال الله تعالى : « ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم » التكاثر : ٨) ومن غير مراء أن الأولاد من النعيم التي يسئل عنها الوالدان . وقال : « واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيباً » النساء : ١) قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « البنات حسنات والبنون نعمة فالحسنات يثاب عليها والنعم يسئل عنها »

٢- المدرسة وهي المؤسسة التربوبية الثانية التي تقع عليها مسئووليات تربوية كبرى ، لأن للمدرسة ولعناصر التأثير فيها قوّة تربوبية وتوجيهية فعالة تساهم في بناء شخصية الطفل والمراهق ، وتؤثر فيها تأثيراً بالغاً ، فالمدرسة هي المصنع الذى يعد الأجيال ، والحاضنة التي تربى أفراد الامة ، واليد التي تخطط صورة الحياة ، ولذلك كان من الضروري العناية بالمدرسة وبعناصرها الأساسية : المدرس والمنهج والنشاط واسلوب الحياة والتوجيه في داخلها . . . وصياغة كلّ ذلك على اسس إسلامية دقيقة ومتقنة لجعل المدرسة أداة بناء ووسيلة تنقيح وتوجيه تعمل علي حذف وتصحيح الأخطاء والانحرافات التي يكتسبها الطفل من محيط الاسرة والمجتمع ، وإكتشافات القابليات والميول الخيّرة في الطفل لتنميتها و تقوية جذورها في نفسه وتزويده بالمعارف والحكم والعلوم الثقافية ، وتدريبه

على اسلوب الحياة والسلوك الانساني السوي ليكون عضواً نافعاً في مجتمعه وقادرا على تحمّل مسئوليات الحياة.

فمسئولية المدرسة بصورة أساسية هي تحقيق أهداف التربية الاسلامية التى تحدثنا عنها في موضوع أهداف التربية في الاسلام والحفاظ على هذه الأهداف.

ولايخفى ان التربية في مدارس المسلمين اليوم كلها متأثرة بتيارات التربية غير الاسلامية ـ إلاّ ما رحم الله جلّ وعلاـ وتحاول أن تربي أولاد المسلمين تربية غير دينية، بل معادية للاسلام في غالب الأحيان... فيجب على الآباء ورجال الفكر ودعاة الاسلام أن ينتبهوا إلى هذا الخطر الحضاري الكبير وأن يتخذوا كل الوسائل الثقافية لمجابهة هذا التيار وحماية أجيال المسلمين من السقوط والانحراف.

٣ـ العلماء العاملون الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام، وهم آباء الامم الروحيون والمربّون في طوال الأعصار...

قال الله عزّوجلّ: «وما نرسل المرسلين إلاّ مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون» الأنعام: ٤٨)

وقال: «وما أرسلنا من قبلك إلاّ رجالاً نوحي إليهم فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكّرون» النحل: ٤٣ـ٤٤)

وقال: «هو الّذي بعث في الامّيّين رسولاًمنهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة» الجمعة: ٢)

وقال: «ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون» آل عمران: ٧٩)

وقد ورد صحيحاً عن الطريقين ان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا وعليّ أبوا هذه الامة»

في الكافي: باسناده عن أبي القدّاح عن أبي عبدالله عليه السلام ـ في حديث ـ:

« وان العلماء ورثة الانبياء ان الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولادرهماً ولكن ورّثوا العلم ، فمن أخذ منه أخذ بحظّ وافر»

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ : « العلماء امناء الرسل على عبادالله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم و اعتزلوهم »

وفي رواية: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « ما أخذالله على أهل الجهل أن يتعلّموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا »

وان للعلماء الاسلامية مسئولية عظمى في تربية الامة الاسلامية على جميع أقسام التربية فلابد لهم من النظارة التامة في جميعها مضافاً إلى ما في عهدتهم...

٤ـ الحكومة ، وهي الجهة المسئولة والقوّة المؤثرة الرابعة في التربية ، فالحكومة تحاول دائماً ـ وبكل وسائلها ـ أن تصنع الأفراد وتربى الأجيال على المعارف الاسلامية والحكم التى تقتضيها الفطرة البشرية في الامور العبادية و السياسية والاجتماعية والاقتصادية . . . بخلاف الحكومات الطاغية الجابرة من الشيوعية أوالاشتراكية أوالرأسمالية وما إليها من الحكومات غيرالاسلامية ، تحاول أن تصنع الفرد وتربى المجتمع على صورة نظريتها ، كما تحاول الحكومة الاسلامية أن تربى الفرد والجماعة على أساس مبادئها وقيمها في الحياة الدنيا و الآخرة لاعلى نظر الحاكم الشخصي .

و إنما محور التربية في الحكومة الاسلامية هو الاسلام ومعارفه و مبادئه لاالحاكم بأيّ إسم كان حيث ان الحاكم فرد من المجتمع الاسلامي تابع للاسلام، فلابد من إهتمام الأجهزة والوسائل المختلفة كالمدارس والجامعات والصحف ووسائل الاعلام والتوجيه . . . لتربية الامة الاسلامية على مبادىء الاسلام وما يرتضيه ، لاعلى ما يرتضيه الحاكم .

٥ـ المجتمع وهو المسئول الذي يشاطر بقيّة المؤسّسات والجهات المسئولية في تربية أفراده ، وان المجتمع بما فيه من أعراف وتقاليد وثقافة ومفاهيم واسلوب

حياة ولغة ودين وقيم يؤثر بشكل قوى على شخصية الفرد ، ولذاكان من الضروري تنقيح المجتمع وتصحيح تيار الحياة فيه بصورة دائمة ومستمرّة ، وذلك في القيام بمهمّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونظراً لما للمجتمع وللاختلاط الاجتماعي من دور وأثر في حياة الأفراد كان عزل الأبناء وإبعادهم عن أصدقاء السوء ، وبوَر تجمع الفساد ومراكزه التي يتطاير الشر منها أمراً ضرورياً لئلاّ تنتشر العدوى و يعمّ الانحراف ، مادام المجتمع مجتمعاً غير إسلامي ، يخشى على الطفل والصبي والمراهق منه ، وأما في حالة وجود المجتمع الاسلامي ، فان الأمر يختلف كثيراً إذ يصبح المجتمع عاملاً مساعداً من عوامل التربية والتوجيه التربوي السوي ، يساند الاسرة والمدرسة المسلمة في عملية الاعداد والتوجيه .

٦ـ الانسان نفسه هو المسئول، وذلك ان الانسان بعد أن يتجاوز مرحلة الطفولة والصبا ، و يصل إلى حدّ البلوغ ، و مرحلة المسئولية و التكليف يكون هو المسئوول عن تربية نفسه ، وترويضها وتصحيح مواقفها ، وتسديد مسارّها لذلك جاء الخطاب الالهي بادئاً بالنفس : «قوا أنفسكم وأهليكم ناراً . . .» التحريم: ٦) و قال : « ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولاً » الاسراء: ٣٦) وقال : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون » الزخرف : ٤٤)

ولذلك أيضاً جاء الحثّ في آية اخرى تأكيداً لمسئولية الانسان عن تربية نفسه ، وإنقاذها من محنة السقوط والعذاب فقال جل وعلا : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » النازعات : ٤٠ـ٤١)

وتحتل هذه التربية المقام الأوّل في التأثير والاصلاح والتغيير والالتزام ، و لذا جاء حديث النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مدحاً وبشارة بالجنة للمؤمن الذي يربى نفسه ، ويكوّن شخصيته ويبنيها بناءً إسلامياً .

فى وسائل الشيعة : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « انه بعث سرية فلما رجعوا قال : مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر و بقى

عليهم الجهاد الأكبر فقيل : يا رسول الله ! ما الجهاد الأكبر؟ قال : جهاد النفس»

وبهذه التوجيهات والاشارات التربوية وأمثالها حثّ الاسلام أبناءه على أن يربي كل مسلم نفسه ، ويحرص على ترويضها وقيادتها قيادة سليمة على أساس من منهج الاسلام وبوحي من هداه ، وهكذا أحكم الاسلام نظام التربية و شاد اسس البناء التربوي على هدى و بصيرة لبناء الانسان السليم جسماً و روحاً و إعداده إعداداً إنسانياً سليماً .

وقد ظهر مما سبق ان سلوك الأطفال منظّم في الشريعة الاسلامية ، حتى في أدقّ تفاصيله فان الشرع غير متوجّه إليهم بل إلى آبائهم و إلى الحكّام و الأساتذة والعلماء وإلى الأمة الاسلامية بأكملها ، فهي التي على كاهلها تقع مهمّة تربيتهم و تقويمهم حتّى تظفر منهم بأقصى درجات التوافق مع القاعدة ، و إذن فاذا كانت مسئوليتهم قد تخففت ، فما ذلك إلّا لترتبط مسئوليتنا تجاههم ، ولكن الأطفال غير طالقين عنانهم ، فيفعلوا كيفما يشاؤن ، بل لابد للانسان المسلم الصغير أن يتعوّد ـ منذ حداثته ـ على ما يقرب من سلوك الرجل الناضج في سلوكه الشخصي و في علاقته بالآخرين ، و في علاقته بالله جل وعلا ، ونكتفي في ذلك بثلاث أمثلة :

الأول : نحن نعرف قواعد الأدب والحياء التي فرضها القرآن الكريم على كل فرد ألّا يدخل بيوت الآخرين دون أن يستأذن ويسلم عليهم في أدب .

قال الله عزّ وجلّ : « يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها » النور: ٢٧)

أما فيما يتعلّق بخدمنا وأطفالنا فان القرآن الكريم يمنحهم نوعاً من التساهل في بعض القيود لا على سبيل الاعفاء منها ، فهو يقيد وجوب هذه الأوامر باوقات الراحة حين نكون غالباً مستترين :

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرّات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون

ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض » النور: ٥٨)

المثال الثاني : ان الاسلام في دعوته الأطفال لأداء شعائرهم الدينية لاينتظر بلوغهم ، بل يجب علينا أن نشجعهم متى بلغوا سن السابعة على أن يؤدوا الصلاة دون إكراه ، فاذا بلغوا العاشرة ولم يطيعوا أدبناهم عليها أدباً مترفقاً ، وفي هذه السن يجب أن نفرق بينهم في فراشهم . . .

في البحار : عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مروا صبيانكم بالصلاة إذاكانوا أبناء سبع سنين ، واضربوهم اذاكانوا ابناء سبع سنين و فرقوا بينهم في المضاجع إذاكانوا أبناء عشر سنين »

المثال الثالث: اننا ملزمون بألاندع أطفالنا منذ طفولتهم الاولى يأكلون أويستعملون من الأشياء ما ليس لهم ، ونحن نعرف ماكان سائداً على عهد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من أن الصدقات : نقدية أوعينية ، و التي كانت مخصصة للتوزيع على الفقراء والمحتاجين كانت تجمع أولاً في المسجد أوفي أحد البيوت المجاورة ، الخاصة بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و ذات يوم لمح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عائد إلى بيته ، تمرة من تمر الصدقة أخذها سبطه الحسن المجتبى عليه السلام فجعلها في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالفارسية ـ : « كخ ! كخ ! إدم بها أما تعرف أنا آل محمد لاتحل لنا الصدقة ؟ » .

وصايا تربوية ونصائح للامهات

يحسن بنا ونحن نتحدّث عن موضوع التربية أن نسجل في ختام بحث التربية بعض التعاليم والارشادات التربوية الّتي تساعد كلّ أب ومربّ وام و مربية على توجيه أطفالهم الوجهة السليمة في الحياة وهذه الوصايا الّتي نودّ أن نسجلهاهي :

١ ـ يحب أن نمنح أولادنا الحب والعطف والحنان ، ونربى فيهم إحترام الشخصية لتنشأ بيننا وبينهم علاقات ودية ولنو فرلهم جوّاً من الأمن والطمأنينة يساعد على نموّ الشخصية السوية وسلامة الاتجاه في الحياة .

فى مكارم الاخلاق : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : « إن الله عزّوجل ليرحم الرجل لشدّة حبّه لولده »

و فيه : عن النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم قال :«أحبّوا الصبيان وارحموهم فاذا وعدتموهم ففوا لهم فانهم لا يرون إلاّ أنكم ترزقونهم »

و فيه : عن المعصوم عليه السلام : « أكثروا من قبلة أولادكم فان لكم بكل قبلة درجة في الجنة ما بين كل درجة خمسمأة عام »

وفى المحاسن عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال موسى عليه السلام : يارب أيّ الاعمال أفضل عندك ؟ قال : حبّ الأعمال فاني فطرتهم على توحيدى فان امتّهم أدخلتهم جنّتي برحمتي »

٢ ـ نرى أطفالنا على الايمان بالله جلّ وعلا وحبّه والاحساس برحمته و

نعمه ونعودهم على ترديد ذكره . . . ونجيب على أسئلتهم التي تخطر بأذهانهم على الايمان بالله عزّ وجلّ والآخرة من غير أن نحدّث لهم مشاكل فكرية لايستطيعون فهمها .

في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عبدالله بن فضالة عن أبي عبدالله أو أبي جعفر عليهما السلام قال : سمعته يقول : إذا بلغ الغلام ثلاث سنين يقال له سبع مرات: قل :لا إله إلا الله ثم يترك حتّى يتمّ له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرون يوماً فيقال له : قل : محمد رسول الله سبع مرّات و يترك حتّى يتمّ له أربع سنين ، ثم يقال له سبع مرّات: قل : صلّى الله على محمد وآل محمد ثم يترك حتّى يتمّ له خمس سنين ثم يقال له : أيّهما يمينك وأيّهما شمالك ؟ فاذا عرف ذلك حوّل وجهه إلى القبلة ويقال له : اسجد ، ثم يترك حتى يتمّ له ست سنين ، فاذا تمّ له ست سنين صلّى وعلّم الركوع والسجود حتى يتمّ له سبع سنين ، فاذا تمّ له سبع سنين قيل له : اغسل وجهك و كفّيك ، فاذا غسلهما قيل له: صلّ ثم يترك حتى يتمّ له تسع سنين ، فاذا تمّت له علّم الوضوء و ضرب عليه وامر بالصلاة وضرب عليها فاذا تعلّم الوضوء والصلاة غفر الله لوالديه إن شاء الله .

٣ ـ نعرّفهم بقصص الأنبياء وسير النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم وأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين باسلوب قصصي محبب ومبسط .

٤ ـ نروّض أبناءنا على التمسّك بالتقاليد والعادات الاسلامية وتربيتهم على رعايتها وإحترامها كالنظافة والتحية وآداب الطعام واللباس والتعاون . . .

٥ ـ نربّي أولادنا على حبّ كتاب الله تعالى و تلاوته و فهمه عن طريق التشجيع و المسابقات وأمثالها . . .

في عدة الداعي : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « من قبّل ولده كان له حسنة ، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة ومن علّمه القرآن دعى الأبوان حلّتين يضيء من نورهما وجوه أهل الجنة »

٦ ـ نروّض أولادنا على أداء العبادات التي يمكن أداؤها من غير أن نرهقهم أو ننفّرهم منها بالأثقال وسوء المعاملة

٧ ـ نحرص على أن لا يسمع أو يشاهد أو يمارس أولادنا شيئاً محرماً ، و اذا حدث وأن وقعوا في فعل الحرام ، فلابد من تفسيره لهم وتنبيههم إلى أن هذا محرّم نكرهه ونرفضه .

٨ ـ نربيهم على مكارم الأخلاق كالشجاعة والاحسان ، والصدق والأمانة و الكرم والمحبة والعفو والصفح والتعاون . . . عن طريق المعاملة والمواقف العملية وعن طريق الارشاد وتصحيح المواقف . . .

٩ ـ نصطحبهم إلى المساجد ومجالس الوعظ و الخطابة . . . لتربيتهم على إرتيادها .

١٠ ـ نعرّف أولادنا بأعداء الاسلام ، ونحذّرهم ، ونركّز فيهم روح الاخوة الاسلامية ، و نوسّع آفاق معرفتهم با لعالم الاسلامي عن طريق الأمثلة والوقائع العملية في تاريخ امّتنا السالف منه والمعاصر .

١١ ـ نساعدهم على المساهمة في المناسبات والأعياد الاسلامية والمشاركة فيها .

١٢ ـ نربّي أولادنا تربية تنمي فيهم روح الاستقلال الجنسي ليعرف كل جنس ـ الذكر والانثى إنتماءه الطبيعي في الحياة فعند كلّ جنس لما يناسب دوره في الحياة ، فنميّز بينهم باللباس ونوع الألعاب و المهارات التي يتدرّبون عليها ، والكتب التي يقرؤونها والمجالس التي يحضرونها . . .

١٣ ـ نربي فيهم حبّ العمل و روح الجدّ باشراكهم في أعمالنا التي يمكن لهم أن يشاركوا فيها .

ومن غير ريب ان أشقّ الأعمال وأدعاها للعناية تربية الأطفال من يوم ميلادهم إلى فطامهم ـ مضافاً إلى العناية الخاصّة بها قبل ذلك كما قدّمناه ـ و

قد ثبت ان أكثر موت الأطفال هنا مسبّب في الغالب عن إضطراب الجهاز الهضمي الذي ينشأ من سوء تدبير الغذاء ثم ترضع الام طفلها بغير إنتظام تعطيه كلّ مايشتهي قبل إستعداده الطبيعي للهضم حناناً منها وشفقة عليه، وما علمت لجهلها انها ضرّت بصحته وأساءت إليه، وحينئذ ينطبق عليها المثل السائر: «عدوٌ عاقل خير من صديق جاهل»

فعلى الامهات برعاية امور هامّة:

١ ـ العناية التامة بنظافة جسم الطفل وثيابه وفراشه وغذائه...

٢ ـ أن ترضع الطفل في أوقات معينة وبمقادير معلومة.

٣ ـ أن تعتني بتحضير الغذاء الصناعي للطفل عند الحاجة إليه وإستعداد للهضم

٤ ـ أن تعمل الام بارشادات الطبيب ولاتخالف منها شيئاً.

٥ ـ تدارك المرض الفجائي الّذي يطرأ على الطفل بقدر الامكان بأن توقف الرضاعة وتستدعى الطبيب أو تذهب إلى محلّ عيادة الاطفال...

٦ ـ عدم الاعتماد على نفسها في معالجة الطفل خصوصاً عند حدوث إلتهاب اللوزتين بل تستدعي الطبيب حالاً خوفاً من مرض الدفتريا في مثل هذه الحالة.

٧ ـ كثيراً مايحدث للأطفال أمراض في الأمعاء فيجب عند حدوث مغس مثلاً عدم التهاون به على زعم انه مغس بسيط فربّما كان من الأمراض الخطرة كالتهاب الزائدة الدوية «المصران الاعور»

٨ ـ يحدث غالباً للأطفال إسهال في زمن الصيف فيجب على الام حينئذ أن توقف الرضاعة ثم تعطى الطفل قليلاً من زيت الخروع ثم تستدعي الطبيب إذا دعت الحال

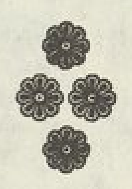
٩ ـ ليس بكاء الطفل يحدث دائماً من الجوع بل ربما كان ناشئاً عن أمراض أوعن آلام اخرى فلايجوز للام إرضاع طفلها كلما بكي بل تنظر في سبب بكائه.

١٠ ـ تبوية الغرفة الّتي ينام فيها الطفل من الضروريات ولاخوف عليه

من ذلك

١١ ـ تنويم الطفل في المهد فانه أحسن فراش لحال الأطفال .

١٢ ـ لايجوز تعويدالأطفال على أخذ الدواء إلّاعند الضرورة لأن أغلب أمراض الأطفال ناشيء من عدم تدبير الغذاء فاذا انتظم الغذاء إنتظمت صحة الطفل . أعاذنا الله جل وعلا و إيّاهم من كل شرّ وسوء بحق محمد وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .



﴿ الشخصية والعوامل المؤثرة في تكوينها ﴾

ان الله عزّ وجل قدصوّر في هذه السورة الكريمة نوعين من الشخصيّة للانسان: شخصيّة تقوم على العبودية والتقوى، وشخصيّة تقوم على الضلالة والطغوى، فلابدّ لنا من تعريف الشخصيّة إجمالاً ثم الاشارة إلى العوامل المؤثّرة في تكوينها :

وأمّا الشخصية فهي : الصيغة الموحّدة لمجموعة من الخصائص والمقوّمات للانسان الّتي يتقوّم بها محتوى الذّات وإتجاهها ، وبعبارة اخرى هي : صورة تظهر بها الذّات الانسانيّة نتيجة لتفاعل عدّة من العوامل والمقوّمات الذّاتيّة مع العالم الخارجي، وبذلك تكون الشخصيّة هي الصّورة الظّاهرة للسيرة الانسانيّة الباطنة : سيرة تكشف عن نفسها وتعبّر عن حقيقتها باحتكاكها وتفاعلها مع العالم الخارجي مع الكون والطبيعة والبيئة والحياة . . . بما فيها من محفّزات ومثيرات ودواعي للتفاعل وتقرير المواقف . . .

وان الشخصيّة الانسانيّة تتحدّد هويتها وتتضح ماهيتها عن طريق الحقائق الداخلية عند الانسان كالتفكر والمعتقد والاتجاهات النفسية . . . فعندما تتفاعل هذه العناصر مع العالم الخارجي ـ بما فيه من مثيرات ومحفّزات ـ تتجسّد حقيقة الانسان ، وترتسم أبعاد الذّات البشرية ، وتبرز من خلالها هويّة الفرد الذّاتية ، ومن هنا لا يستطيع أحد أن يقول : إن هذه الشخصيّة شخصيّة إسلاميّة ملتزمة، أو تلك الشخصيّة شخصيّة ماديّة جاهليّة ضائعة إلّا إذا وقف على المقوّمات الذّاتيّة لهذه الشخصيّة من الأفكار والمعتقدات والعواطف . . . ولاحظ هذه الخصائص

الذاتيّة تتجسّد عند التفاعل مع الواقع ، وتصنع سلوكاً معيّناً يعبّر عن هويتها ويكشف محتواها .

فانظر وتدبر كيف صوّر الله جلّ وعلا نوعين من الشخصيّة في قوله تعالى :

« علّم الانسان مالم يعلم كلّا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى إن إلى ربك الرجعى أرأيت الّذي ينهى عبداً إذا صلّى أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت إن كذّب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى . . . » الايات .

كما إذا شاهدنا ثلاثة أشخاص يلتقون بمثير واحد ، وتحت ظروف موضوعية واحدة وهو « المال الحرام » مثلاً فوجدنا أحدهم يبتعد عنه لأنه يؤمن بفكرة الحلال والحرام ، خوفاً من الله عزّ وجلّ ، وإستنكاراً للفعل المحرّم ، وآخر يمتنع أيضاً عن أخذ هذا المال ، ولكن خوفاً من إنهيار سمعته التجارية أو تحرّجاً من الوقوع تحت طائلة القانون ، والثالث يتجاهل عن كلا الأمرين ، و يقدم على إستجلاب المال الحرام دونما وازع أو مراعاة . . . فلنا أن نقرّ أن الشخصيّة الاولى شخصيّة إسلاميّة ، والآخران ليسا من الشّخصيّة الاسلامية في شيء لأنّ موقفهما السلوكي كشف عن الدوافع الذاتية المقرّرة لنوع السلوك ، ولنا أن نميّز الآخرين أيضاً ، ونحدّد هويّة كلّ منهما بأن نصف الشخصيّة الثانية بأنها شخصية تتصف بالتعقل وإن كانت ضائعة غير ملتزمة ، و نصف الشخصيّة الثالثة أنها شخصيّة متحلّلة مستهترة، وهكذا تلعب طبيعة الشخصيّة دوراً بارزاً في تقرير نوع الحياة ونمط السلوك الّذي يكوّن السمة الظاهرة ، والوجه البارز لشخصيّة الانسان .

ولذلك فان هويّة الشخصيّة وطبيعتها الذاتيّة هي الّتي تصنع الحدود و الفواصل المميّزة لفرد عن فرد ، ومجتمع عن مجتمع آخر ، إذ لكل مجتمع سمات وميزات كليّة يصنعها أفراده بشكل يميّزه عن غيره من المجتمعات والامم الاخرى... فالمجتمع الاسلامي لابد وأن يختلف عن كل من المجتمع الشيوعي والرأسمالي ،

وعن كل مجتمع لايملك فلسفة حياتية معيّنة . . . ومن الأسف ان الحكومات على المجتمع الاسلامي من زمن بعيد إلى اليوم لاتحفظ الميزات بل تستعمر كلمة الاسلام لاستمرار الحكومات على المسلمين . . .

فكلّ مجتمع يقوم عن أساس مايتسم به من خصائص وميزات تصطبغ بها شخصيّات أفراده وتنعكس على حياة أعضائه ، فيبدو وحدة إنسانيّة متميزة عن غيرها من المجتمعات والامم الاخرى . . .

قال الله عزّ وجلّ : « يوم ندعوا كلّ اناس بامامهم - قل كلّ يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً » الاسراء : ٧١-٨٤)

وأما العوامل المؤثّرة في تكوين الشخصيّة - تشترك في صنع الشخصيّة الانسانيّة ، وتكوين عناصرها - فهي ثلاثة عوامل أساسيّة تختلف في دورها وشدّة تأثيرها على حياة الانسان وتشكيل شخصيّته ، وهذه العوامل هي :

١- الوراثة :

ومن حكمة الله عزّ وجلّ وعدل مشيئته تعالى أن خلق الناس وهم يحملون فروقاً ، وملكات وإمكانات ، متفاوتة في درجة وجودها ، ومقدار تأثيرها على حياة الانسان وشخصيّته ليحقق في الانسان حكمة الاحساس بالحاجة للآخرين ، و السعي نحو التعاون معهم ليسهل تنظيم المجتمع وبناء وحدة إنسانية متكاملة بضمّ القابليات والامكانات الفردية بعضها إلى بعض ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة الاجتماعيّة بقوله تعالى : « أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخريّاً ورحمة ربك خير مما يجمعون » الزخرف : ٣٢)

فالتفاوت في الاستعداد والامكانيّات والقابليّات الجسدية والعقلية والأخلاقية التي عبّر عنها القرآن بقوله عزّ وجلّ : « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » له إذن دوره الفعال في دفع الأفراد إلى التعاون وتكامل صيغة الحياة الاجتماعية

وتبادل المنافع والعطاءات: «ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً»

وثمّة حكمة اخرى ترتبط بتفاوت الامكانات والقابليات الانسانيّة بين أفراد المجتمع هي حكمة الامتحان والاختبار الالهي للانسان فالله عزّ وجلّ يختبر الناس ويبلوهم بما آتاهم من إستعداد وطاقات وملكات عقلية وجسدية وأخلاقية ليرى كيف يصنع الانسان... وكيف يستخدم هذه الطاقات والملكات...

قال الله عزّ وجلّ موضحاً هذه الحقيقة وكاشفاً عنها: «وهو الّذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانّه لغفور رحيم» الانعام: ١٦٥)

فالاختبار والابتلاء وخوض التجربة الانسانية الّتي تجري على مسرح الحياة، كلّ ذلك يأتي نتيجة لما يملك الانسان من طاقات وقابليات تحملها ذاته، وتتصرف بها إرادته كما أشارت الآية الكريمة بصريح قولها: «ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم»

ومن بالغ حكمته وعظيم آياته أيضاً أن جعل هذه الخصائص و الصفات الانسانية تنتقل بطريقة وراثية غير تنظيم وراثي دقيق... فصفات الآباء والامهات وخصائصهم الفكريّة والنفسيّة والجسديّة الحسنة منها والسيئة تنتقل إلى الأولاد وتؤثر في تكوينهم العقلي والنفسي والجسدي، فتساهم في بناء شخصيّة الفرد و تميز هويّته الذاتيّة... ولذلك جاءت روايات كثيرة تؤكّد هذا المعنى، وتدعو لانتخاب العنصر الانساني السليم رجلاً كان أو إمرأة، نذكر منها ما جاء عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إختاروا لنطفكم فان الخال أحد الضجيعين» وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنكحوا الأكفاء وأنكحوا فيهم واختاروا لنطفكم»

وفي الكافي: باسناده قال: قام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خطيباً فقال: «أيّها الناس إيّاكم وخضراء الدمن» قيل: يا رسول الله وما خضراء الدّمن؟ قال: «المرأة الحسناء في منبت السوء»

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « خضراء الدّمن » وقد شبّه النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم المرأة الحسناء السيئة الخلق بالنبات الجميل المترعرع الّذي ينبت على براز الحيوانات.
والدمن : جمع دمنة وهي ما تدمنه الابل والغنم بأبوالها وأبعارها أي تلبده في مرابضها ، فربما نبت فيها النبات الحسن الخضر.

وهكذا تؤكّد هذه الاضمامة من الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين أهميّة الخصائص الوراثيّة ، ودورها في تكوين شخصيّة الفرد و تحديد خصائصه الذاتيّة ، كما جائت الأبحاث و الدراسات العلميّة فيما بعد ومراراً في هذا التفسير بمناسبات عديدة فكشفت عن هذه الحقيقة وصاغتها بشكل قوانين ودراسات علمية إعتمدها العلماء في مجالات مختلفة من الحياة الانسانية .

فصفات الآباء والامهات كالذكاء والشجاعة والكرم والغيرة والحياء . . . أو الصفات الجسديّة أوالاستعدادات الفنّيّة والأدبيّة ، وإعتدال الميول الغريزيّة والنفسيّة أو إنحرافها وتسافلها تنتقل من جيل الآباء والامهات إلى الأولاد . . . و تؤثّر بشكل قويّ على حياة الانسان وسلوكه ، ومع ذلك فالانسان يستطيع بواسطة العقل والارادة أن يعيد تنظيم شخصيّته وتنقيح بنيتها . . . إلاّ أنّ هذا التنقيح و التنظيم يكلّف الانسان مشقّة وعناء ورياضة نفسيّة ليست بالهيّنة ، و هنا يبرز دور الاختبار و الابتلاء الالهي .

وقد أشار الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إلى هذه الحقيقة الدقيقة بقوله :
« الخلق خلقان : أحدهما نيّة ، والآخر سجية قيل : فأيّهما أفضل ؟ قال عليه السلام :النية لأنّ صاحب السجيّة مجبول على أمر لا يستطيع غيره وصاحب النية يتصبّر على الطاعة تصبّراً فهذا أفضل »

قوله عليه السلام : « النية » : القصد والارادة ، و« السجية » : الفطرة والطبيعة .
وبما تقدّم يستنتج المبادي الأساسيّة الآتية :

١- ان الصفات الوراثية تؤثر في تكوين الشخصية .

٢- ان هناك فروقاً فردية بين الأفراد .

٣- ان الانسان يستطيع أن يتغلب تغلباً إرادياً و عقلياً على القابليات و الملكات الموروثة ويتصرف بها .

٢- عامل التربية :

تساهم التربية مساهمة فعالة في تخطيط ، وتشكيل وصنع شخصية الفرد وتحديد صيغتها فشخصية الفرد - غالباً - هي نتاج صنع المربي وصورة جهوده... فالاستعدادات والقابليات الانسانية تولد وهي طاقة حرة غير متكيفة ولا متشكلة فتتناولها المربي - أباً كان أم اماً أو معلماً أو عالماً عاملاً . . . - فتتصرف بها وتعمل على تشكيلها وتخطيط بنيتها ، وفق قيم وأهداف تربوية محددة ، ولذلك نشاهد الدول والحكومات والأحزاب والمنظمات تحرص على توجيه الجماعات وتربية الأفراد تربية خاصة ووفق منهج خاص .

ولقد جاءت رسالات الأنبياء ومناهج الرسل والأوصياء والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كلهم لتربية البشرية ، و رسم منهاج الأعداد و البناء الذاتي لشخصية الانسان ، وقد أوصى الاسلام بتربية الفرد والعناية به، وخصوصاً في مرحلة الطفولة ، فهي مرحلة تشكيل الذات وبناء الشخصية ، و لذلك جاء تأكيد القرآن الكريم صريحاً للعناية بتربية النفس والأهل والأبناء بقوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة » . التحريم : ٦)

وتترجم السنة النبوية هذا المحتوى القرآني ، و تؤكد أن التربية الصالحة حق للولد على والده فقد روي عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام انه قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا رسول الله ما حق إبني هذا ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : تحسن إسمه وأدبه وضعه موضعاً حسناً »

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوصي بحب الصبيان وتقبيلهم ومداعبتهم وكان هو نفسه يقبل إبنته فاطمة الزهراء سلام الله عليها وإبنيها الحسن والحسين عليهما السلام ويداعبها ليملأ نفس الصبي بالحب والحنان، ويبعد عنها عقدة الكراهية والقسوة والنفور فيشب الصبي، سليم النفس سوي السلوك، نظيف القلب، و لذلك نجده يوصي بتربية الأولاد تربية حسنة، ويؤكد دعوته للآباء والامهات لحب أولادهم وحسن معاملتهم، ويربط بين أثر التربية ومعاملة الأبوين في مرحلة الطفولة ـ على سلوك الطفل ـ وعلاقته بأبويه في مرحلة الاكتمال والبلوغ، و قد جاء هذا التوجيه النبوي الرشيد صريحاً بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « رحم الله والدين أعانا ولدهما على برّهما » وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « أحبّوا الصبيان وارحموهم وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم فانهم لايدرون إلاّ أنكم ترزقونهم »

ويؤكد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في حديث آخر أهميّة التربية و دورها في تكييف الملكات والاستعدادات الفطريّة وأثرها في بناء الشخصيّة وتوجيهها بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « كل مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه »

وفي وصيّة مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن ابيطالب عليه السلام لابنه الحسن المجتبى عليه السلام نشاهد هذا المفهوم واضحاً و متجسّداً إذ خاطب لابنه بقوله: « وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما القى فيها من شيء قبلته فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبّك »

فنفس الطفل وعقله وإستعداداته قابلة للنموّ والتوجيه الّذي تتلقّاه خيراً كان أم شرّاً كما تقبل الأرض المهيّأة البذرة، فتنمو في رحابها، بغضّ النظر عن خبثها أو طيّبها، ولذلك كانت التربية ذات أهمية بالغة في بناء الشخصيّة الانسانيّة وتكوين إتجاهها.

٣ـ عامل البيئة :

وأمّا العامل الثالث من العوامل المؤثّرة في تكوين الشخصيّة وبنائها فهي البيئة أو المحيط الاجتماعي بما فيه من أعراف وعقائد وقيم أخلاقية ونظام واسلوب حياة . . . سواء كانت هذه البيئة عائلية أم مدرسيّة أو إجتماعيّة . . . فالانسان كائن عاقل حي يحسّ ويتعلّم ويستوحي المفاهيم والأفكار والعقائد . . . من الآخرين و هو جزء من المجتمع يتفاعل معه ويتأثر به ويتعلّم منه ـ خصوصاً بعد تطوّر وسائل نقل المعرفة وخضوعها للتخطيط والتوجيه المقصود كالصحف والمجلاّت والاذاعات والتلفزة وما إليها . . .

فالانسان يتعلّم من محيطه الاجتماعي ، ومن أصدقائه الّذين يحتك بهم ، ومن الجيل الاجتماعي الّذي يعايشه ، ولذلك أكّد النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الدعوة إلى الابتعاد عن أصدقاء السوء ، ونهي عن مخالطة الأشرار وحذّر الامة الاسلاميّة عن مصاحبة الفجّار بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « مثل الجليس الصالح و جليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذوك وإما أن تبتاع منه ، و نافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه رائحة كريهة »

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « الكير» : زقّ ينفخ فيه الحدّاد .

ومن هنا يعلن القرآن الكريم حرباً شعواء على التبعية والخضوع لمؤثّرات البيئة المنحرفة ويؤكّد الدّعوة إلى البراءة والانفصال عن ميراث الامم والقرون الجاهليّة بقوله عزّ وجلّ : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاّ قال مترفوها إنا وجدنا آبائنا على امة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباء كم قالوا إنا بما ارسلتم به كافرون » الزخرف : ٢٣ـ٢٤)

وقوله : « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون » البقرة : ١٧٠)

وقوله : « وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آبائنا أولو كان آباؤهم لايعلمون شيئاً ولايهتدون » المائدة : ١٠٤)

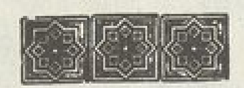
وقوله : « وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك و قومك في ضلال مبين ـ قال يا قوم اني بريء مما تشر كون » الأنعام : ٧٤-٧٨)

وقوله : « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباء كم وإخوانكم أولياء إن استحبّوا الكفر على الايمان ـ وماكان إستغفار إبراهيم لأبيه إلّا عن موعدة وعدها إياه فلما تبيّن له أنه عدوّ لله تبرّأ منه » التوبة : ٢٣ ـ ١١٤)

وقوله : « قد كانت لكم اسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده » الممتحنة : ٤)

وقوله : « لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله و رسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » المجادلة : ٢٢)

و هكذا يعرض لنا القرآن الكريم نموذجاً من تأثير البيئة الاجتماعية و ميراث القرون على شخصيّة الانسان وحياته ليوحي لنا بضرورة صنع بيئة إجتماعيّة نظيفة تتناسب مع الفطرة الانسانية النقيّة و تساعد على تنمية الفطرة ، و تحافظ على نموّها الطبيعي كما خلقها بارئها لتشكل الشخصيّة الانسانيّة السليمة من إنحرافات المجتمع ، وآثار التعقيد والانحراف الفكري والنفسي الذي يحويه وعاء البيئة ، فتترسب في وعي الانسان وإحساسه الباطني وتنطوي في أعماقه . . .



﴿ الشخصية الاسلامية ومقوماتها ﴾

وقد سبق الكلام آنفاً ان للشخصيّة الانسانيّة عناصر أساسيّة ومقوّمات رئيسية تتقوّم بها بحيث تقرّر هذه العناصر والمقوّمات طبيعة الشخصيّة وتحدّد هويتها ، وآثارها السلوكيّة والتعامليّة في خارج الذات الانسانيّة ، والذي يهمّنا هنا هو دراسة الشخصيّة الاسلاميّة ، وتحديد معالمها الرئيسيّة وبيان مقوّماتها ، وعناصر الأساسيّة التي تصنعها ، وتحدّد ماهيتها و كيانها وتصبغ كل نشاطاتها ومواقفها . . .

وللشخصيّة الاسلاميّة اسس وقواعد يشاد عليها وجودها ، وتبتني عليها كلّ مظاهر تحقّقها وتجسّدها بحيث تتميّز عن غيرها من الشخصيّات بمايلي :

١ ـ بالتكوين الذاتي .

٢ ـ بالدوافع و المحفزات .

٣ ـ بالاختيار و تقرير المواقف . . .

٤ ـ بنوعيّة السلوك ومقياس العمل .

قال الله عزّ وجل : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون» البقـرة : ١٣٨)

في الكافي : باسناده عن حمران عن أبي عبدالله عليه السلام في الآية الكريمة قال : الصبغة هي الاسلام .

وقال خطاباً لنبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم » الروم : ٣٠)

فالشخصيّة الاسلاميّة هي الشخصيّة المصبوغة بصبغة خاصة ، والموسومة بميسم معين ، وهوميسم التوحيد والايمان ، وصبغة الاسلام والالتزام بحدوده.. وهذه الشخصيّة الاسلاميّة الملتزمة تتقوّم . بمقوّمات رئيسيّة يتكوّن منها وجودها ، و تكتمل بتفا علها ، و توازن حركتها ، الصبغة الانسانيّة الواضحة للشخصيّة الاسلاميّة ،وهذه العناصر والمقوّمات هي :

١ ـ الفكر الايماني .

٢ ـ العاطفة الايمانيّة .

٣ ـ الارادة الملتزمة .

٤ ـ المقياس الايماني المسلوك .

إنّما تلك الركائز الأساسيّة الأربع القائمة على أساس الايمان بالله تعالى و الارتباط به ، الايمان بعد له جلّ وعلا وحكمته ، الايمان برسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وما جاء به ، الايمان بالولاية لأهل بيت العصمة والطهارة الكاملة للرسالة ، والايمان بيوم الحساب والجزاء . . . إنّما هي العناصر التي تقوّم بها الشخصيّة الايمانيّة الاسلامية، و تتميّز بواسطتها عن الشخصيّات الاخرى . . ، وهي بدورها تتفاعل مع بعضها لتكون المخطط الصادف ، والحارس اليقظ لتحديد الموقف السلو كي حينما تتفاعل الدوافع و المحفزات و الغرائز الواقفة خلف الشخصيّة ، عند ما تحتك بمثيراتها ومنبهاتها ومواضع توجّهها في المحيط ، والبيئة الانسانيّة التي تواجهها الشخصيّة في الخارج ، فيكون موقع الشخصيّة على هذا الاعتبار هوموقع القائد والمسيطر الذي يوجّه حركة الذات بكلّ مافيها من نوازع وإتجاهات وغرائز الوجهة التي تختارها الشخصيّة ، وترغب في الظهور بها في العالم الخارجي حسب طبيعتها وماهيتها .

وتتخذ الأفكار مركز التوجيه وتحديد الهويّة لبقية العناصر : « العاطفة والارادة والمقياس السلوكي » فان كانت طبيعة الأفكار ايمانيّة تقوم على أساس

الايمان بالله جلّ وعلا ورسوله ﷺ وبكتابه واليوم الآخر . . . إنسحبت هذه الأفكار بصبغتها الايمانية على عناصر الشخصيّة وحدّدت كل مساراتها وإتجاهاتها و انطبعت هذه الصبغة الشخصيّة على السلوك والمواقف ، وأما إن كانت عناصر الشخصيّة غير الايمانية تقوم على مفهوم الشرك والالحاد ، و على مفهوم الاستبداد والطغيان أو العلمانية والانفصالية الّتي تباعد بين الايمان والحياة ، بين الدين و العلم ، وبين سياسة التدبير والاسلام . . . فان هذه الشخصيّة تكون جاهلية تصطبغ كافة عناصرها من : « عاطفة وإرادة ومقياس سلوكي » بهذه الصبغة الجاهلية الّتي تميّزها عن الشخصيّة الاسلاميّة بدرجة تظهر فيها آثار الشخصية واضحة متجسّدة في السلوك والتعامل بحيث نشاهد الفرق واضحاً ، متميّزاً بين الشخصيّة الاسلاميّة و بين تلك الشخصيّة الجاهليّة . . . سواء في العناصر الأساسيّة : « الفكر و العاطفة والارادة والمقياس العملي للسلوك » أم في المظهر الخارجي للشخصية -الّذي يرسمه ويعبّر عنه السلوك والتعامل الانساني - .

ولنا أن نعود إلى عناصر الشخصيّة الاسلاميّة فنتناولها بشيء من الدراسة ، و التوضيح لتكتمل فكرة الشخصيّة و العلاقة بين عناصرها الداخليّة وتتوضّح الرابطة بين هذه العناصر وبين السلوك الخارجي للانسان فنعرفها كالتالي :

١ ـ الفكر :

يحتلّ الفكر موقع القاعدة والمصدر الّذي تتفرّع عنه وتنمو عليه كلّ عناصر الشخصيّة الاخرى ، ولذلك يحثّ القرآن الكريم بمواضع عديدة ، الانسان على التفكر في السماء و الأرض وما بينهما و في الآيات التكوينية و التدوينية ، والآفاقية و الأنفسية . . . ويقول : « إن في خلق السموات والارض و اختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الألباب الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً و على جنوبهم و يتفكّرون في خلق السموات و الأرض » آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩١)

ويقول : « و هو الّذي مدّ الأرض و جعل فيها رواسي وأنهاراً و من كلّ

الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » الرعد : ٣) ويقول: « و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزّل إليهم و لعلّهم يتفكّرون » النحل : ٤٤)

و يقول : « أولم يتفكروا في أنفسهم ماخلق الله السموات والأرض و ما بينهما إلّابالحق - ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودّة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون » الروم : ٨ - ٢١)

و يقول : « وسخّر لكم ما في السموات و ما في الأرض جميعاً منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون »الجاثية : ١٣)

وغيرها من الآيات القرآنية التي تحثّ الانسان على التفكّر فيما سوى ذات الله جلّ و علا إذلايستطيع الفكر أن يدرك الذات الالهي لمحدودية الفكر و عدم تناهي الذات ، فالفكرهو الّذي يشكل الهيكل الرئيسي في بناء الشخصية و المحور الأساسى الّذى تدور عليه الشخصيّة ، وتتجه معه كل المقوّمات الاخرى، و يتميّز الفكر الذي تتقوّم به الشخصيّة الاسلاميّة عن غيره من الأفكار المقوّمة للشخصيّات المتعددة الاخرى بعناصره الأساسيّة الثلاثة :

ألف : طريقة التفكر (منهج التفكر) .

ب : العقيدة .

ج : الثقافة .

أما طريقة التفكر : فهي المنهج أو الاسلوب الّذي يمارس الفكر نشاطاته ، و جهوده وفق خطته . . . فان كان المنهج أوطريقة التفكر مادية تقوم على أساس الحسّ و الشهودفقط كان التفكّر ماديّاً لايتجاوزعن الحسّ والشهود فلا يستطيع أن يوصل إلى إكتشاف الايمان ووراء الحسّ ، و إستنتاج فلسفة للقيم الخلقيّة والروحيّة في الحياة . . . لأن تلك الحقائق ليست من الامورالّتي يستطيع الحسّ أن يكتشفهاأو يتوصّل إليها ، ولذلك كان المنهج الّذي يحصر نفسه فى حدود الحسّ المادّي - في الفهم وتحصيل المعارف وإعتناق العقائد - يتناقض

بصورة أساسيّة مع المنهج الاسلامي الذي يقوم على أساس الايمان بالتفكّر و التعقّل والتدبّر كاسلوب علمي للبحث عن الايمان ، و كمنهج رائد في طريق المعرفة الالهية ، إلاّ أن التفكّر الاسلامي مع ايمانه بهذا المنهج وإعتماده عليه لا يغفل عن أهميّة إستخدام الحس و الشهود ، و لا يهمل الطريقة الحسّية في تحصيل المعارف ، و إنتزاع المفاهيم التي تغني الفكر بالمعلومات والمقدّمات الموصلة إلى الايمان والتصديق برسالة الأنبياء عليهم السلام .

فا لطريقة العقليّة في التفكر هي وحدها تستطيع أن تدرك وجود القيم الروحيّة و الأخلاقيّة ، و هي وحدها تستطيع أن توصل الفكر إلى الايمان بالله جلّ و علا و تعمل على تحرير الانسان من سيطرة الحياة المادّية . . . بحيث تصبح المكاسب المادّية : من مال وثروة و جاه و رئاسة و متع ولذّة . . . أشياء ثانويّة في الحياة لاترتبط بها الشّخصيّة الاسلاميّة إلاّ بقدر ما تحتاج إليها في تدبير شؤون الحياة و وفق طريقة شريفة نظيفة موصلة إلى الغايات الروحيّة السامية . . . و هكذا يساهم منهج التفكر في بناء الشخصيّة ، و إقامة أهمّ دعائمها و بدون هذا المنهج يصاب الفكر الايماني و مكتسباته الفكريّة بفوضى ، و ضياع يؤدّي إلى ذوبان الشخصيّة و إزدواجها .

وأما العقيدة : فتساهم مساهمة فعالة في بناء الشخصيّة لأنها تشكل النظرة التفسيريّة للحياة و الوجود و للعالم الخارجي من حول الانسان ، فتسلك كأساس لتصور الانسان للمواقف و السلوك والعلاقات ، و كمنطلق للتقويم و إصدار الأحكام على الأشياء و فهمها ، و ليس في عالم المعتقدات عقيدة كعقيدة التوحيد ـ الايمان بالله تعالى ـ من حيث سعتها و شمولها و إنطباقها على كل موقف وسلوك إنساني . . . حتى لتسلك هذه العقيدة « الايمان بالله جلّ و علا و ما يتفرّع عنه » كرائد يخطّط للانسان طريق السير و قائد يتقدّم المسيرة و محور تدور عليه كل نشاطات الانسان .

فالانسان المسلم يقيم كل أعماله و تصرّفاته و مواقفه و علاقاته على أساس الايمان بالله عزّوجل والاستجابة لأمره وحبّ التقرّب منه والتعبد له . . . وعلى أساس ان عالم الدنيا هو عالم التراب الفاني : « كلّ من عليها فان » الرحمن : ٢٦) «لاإله إلاّ هو كلّ شيء هالك إلاّ وجهه »القصص : ٨٨) وان الخلد والحياة الدائمة ،والنعيم والسعادة الأبدية متحقّقة في عالم الآخرة :«وماهذهالحياة الدنيا إلاّلهو ولعب وان الدارالآخرةلهي الحيوان لو كانوا يعلمون » العنكبوت : ٦٤) وبهذا الطابع الايماني تنطبع كلّ نشاطات الانسان المسلمفيكون هذاالطابع هوالعامل المميّز لشخصيّته والعلامة البارزة لمجتمعه وحياته .

وأماالثقافة: فتشكل الركن الثالث في بناء الجانب الفكري من الشخصيّة، وان الثقافة ليستهي مجموعةالمعارف التي يكتسبها الانسان ويحتفظ بهابطريقة معزولة عن الحياة ، بعيدة عن الممارسة و إنّما الثقافة : « هي المعرفة التي تؤثر في إتجاه السلوك و توجه حياة الانسان » و ان الانسان المثقف هو الانسان : « المهذّب أي الانسان الذي شذبت وهذبت المعارف التي إكتسبها كلّ سلوكه وخلصته من الشوائب والانحرافات » ولذلك نسمّي الانسان الذي يحمل الأفكار والمعلومات وهوشاذّ منحرف فيأفكاره وسلوكه :إنساناً متعلّماً وليس مثقفاً . . . فالمثقف هو:الانسانالذييحمل الفكرالسليم، ويسلك على أساسه السلوك السوي.

وعلى هذا الاعتبار يكون الانسان المثقف ـ هو الانسان السوي السلوك ، و المستقيم الاتجاه و ليس هوالانسان الذي يكتنزمجموعة من المعارفوالمعلومات دون أن تغيّرسلوكه أوتؤثّر في حياته و دون أن تتسامى بها نحوالكمالالبشري الأعلى . . . وبذا يكون للثقافة أثربالغ الأهميّة على الشخصيّة و علىإتجاهها في الحياة ،و ترتبط الثقافة الاسلاميّة إرتباطاً وثيقاً بالعقيدةومنهج التفكر،فالثقافة هي وليدة العقيدة و المنهج و نتاج التحصيل العلمي الملتزم بهذين المحورين ، و لذلك نقول : ان هذه ثقافة عالية اسلاميّة ، و تلك ثقافة سخيفة مادّية غربية

عارية الظواهر . . أو مادّية شيوعيّة خالية الألباب، أو ثقافة يونانيّة لاعنان لها . . .

و يأتي هذا الاختلاف في نوع الثقافة من إختلاف العقيدة و المنهج اللّذين يحدّدان طبيعة الثقافة و قيمتها العلمية في الحياة ، و إنّما الثقافة من وجهة النظر الاسلاميّة هي المعرفة الّتي تساعد الانسان على فهم الحياة و كيفية العيش فيها ، وبذا تكون الثقافة جوهر الحضارة ومادّة بنائها .

٢ـ العاطفة :

ان الركن الثاني من أركان الشخصيّة الاسلاميّة هو العاطفة ، وهي الرابطة أو العلاقة النفسيّة بين الانسان من جهة ، وبين الله عزّ وجل والناس ، والأشياء الّتي تحيط بالانسان من جهة اخرى ، فهذا الاتجاه النفسي ـ إتجاه الحبّ و الكراهية ـ هو الّذي يحدّد الموقف النفسي للانسان نحو نفسه وغيره ، وهو الّذي يكوّن نوع الرابطة أو العاطفة ، وتتميّز العواطف الاسلاميّة بأنها عواطف إنسانيّة نبيلة، تتسم بالنقاء والسلامة من الانحراف ، والميل العدواني ، وتنبثق عن فكرة الايمان بالله تعالى وتوحيده، فالمسلم يرتبط بعاطفة الحبّ مع الله عزّ وجلّ والناس والعالم من أساس واضح وحسب مقياس ثابت .

وإن المسلم يحبّ الله جلّ و علا ، ويبنى على أساس هذا الحبّ كلّ عواطفه وميوله النفسيّة من الحبّ والكراهيّة ، فيحبّ الخير والجمال ، ويحبّ الناس و الأشياء الّتي يرتبط بها وتتفاعل أحاسيسه ومشاعره معها . . . ويكره الظلم و يعطف على المظلوم . . ويشارك باحساسه الوجداني الانسان المتعرض للألم . . و يشاطر الآخرين الفرح والسرور فيتألم إذا رآى فقيراً جائعاً أو مريضاً يتضوّر ألماً أو إنساناً ألحّت عليه المحنة أو متسافلاً يمارس رذيلة ، ويسرّ إذا رآى السرور يملأ قلوب الآخرين . . . ويفرح اذا رآى غيره يعمل الخير ويتمتّع بالنعم . . ويمتلىء قلبه سروراً إذا شاهد شيئاً جميلاً . . . ويعطف على الحيوان ويشمله برعايته إذا تعامل معه . . لأنّ في كلّ هذه المواقف حبّاً لما يحبّ الله تعالى و كرهاً لما يكره .

قال الله عزّ وجلّ : «قل إن كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله» آل عمران :٣١)
فالمسلم الملتزم يتعامل مع كلّ شيء يشاهده أو يحسّه بعاطفة إسلاميّة تقوم على أساس العلاقة بالله عز وجل فهو يحب لله تعالى ويكره لله عزّ وجلّ، ويقترب من الآخرين، ويبتعد عنهم على أساس علاقتهم بالله تعالى، فالعاطفة الاسلاميّة تتميّز بأنها عاطفة إنسانيّة نبيلة تقوم على أساس من إرشاد العقل وإتجاه المعتقد و إستقامة الخطّ و إتزان الانفعال، فالمسلم يحبّ في الله عزّ وجلّ ويبغض في الله تعالى خصب العاطفة، يقظ الوجدان، سليم الاتجاه، متزن الانفعال وقد أوضح القرآن الكريم طريق العاطفة، ورسم لها مسار التعبير عن شحناتها النفسيّة الخيرة.

إذ قال الله عزّ وجلّ: «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبّونهم كحب الله و الّذين آمنوا أشدّ حباً لله» البقرة : ١٦٥)

وقال: «واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتّم ولكن الله حبّب إليكم الايمان وزيّنه في قلوبكم و كرّه إليكم الكفر و الفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون» الحجرات :٧)

وقال: «فيه رجال يحبّون أن يتطهّروا والله يحبّ المتطهرين» التوبة :١٠٨)
وغيرها من الآيات القرآنية التي ترسم طريق العاطفة الاسلاميّة وتؤكّد للمسلم أن حبّه حبّ لله عزّ وجلّ وهو حبّ صادق شديد الاخلاص، يدلّه على حبّ الخير و إستحسانه و كراهيّة الشر و الفساد وأهله، وأن هذا الحب والكره لا يقوم على أساس ميل إنفعالي تافه، ولا يصدر عن شطط نفسي عائم بل يتحدّد وفق خطّ واضح ويلتزم بمقياس دقيق مولى الموحدين إمام المتقين أمير المومنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحبّ»

في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن سعيد الأعرج عن أبي عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام قال: من أوثق عرى الايمان أن تحبّ في الله وتبغض في الله، وتعطى في الله وتمنع في الله عزّ وجل.

فالمؤمن يحب كل ما أحبه الله عز وجل ويبغض كل ما أبغضه الله جل وعلا من غير أن يخضع هذا الحب والكره لانفعالاته النفسية أو لاندفاعاته التي لا تستطيع التمييز بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، بين الصلاح والفساد ، بين الفلاح والخسران ، وبين السعادة والشقاء في حالات طغيان الأنانية أو سيطرة الرضى والغضب أو رجحان الربح والخسارة الذاتية الضيقة أو الحسابات الآتية العاجلة .

ومن أجل الحفاظ على هذا الاتجاه العاطفي المتزن ازداد تأكيد القرآن المجيد على هذه النقطة الحساسة في العواطف واهتم بالتنبيه عليها :

قال الله عز وجل : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » البقرة:٢١٢) .وقال : « وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » النور :٢٢)

وقال:«الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين »آل عمران:١٣٤)

وقال:«ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم » آل عمران :١١٩)

وغيرها من الآيات الكريمة التي تعطي التحليل الأعمق لاتجاه النفس الانسانية وتشير إلى أن هذا الاتجاه قد يقع في تخبط وضياع عاطفي غير محسوب ،فيحب الانسان ما هو شر له ،ويكره ما هو خير له بسبب جهله أو طغيان دوافعه وإنفعالاته على وعيه ،وبسبب غياب تقويمه الدقيق وتوارى مقياسه العقلي السليم ، ومن ثم ربط القرآن الكريم الانسان المسلم بمؤثر عقائدي وبقيادة عقلية واعية ليسير بعواطفه على خط العقيدة الواضح ، ويسقيها وينميها بحرارة الايمان ،وحب الله تعالى فتغد وحية واعية متدفقة .

وقد وردت روايات كثيرة شارحة لهذا المعنى ومعمقة لمضمونه ليكون حقيقة

حيّة تعيش في نفس الانسان المسلم وتتأصل في وجدانه

في الكافي : باسناده عن عبيدة الحذّاء عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أحبّ لله و أبغض لله واعطى لله فهو ممن كمل ايمانه .

وفيه: باسناده عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الايمان ألا و من أحبّ في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله .

وفيه: باسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك فان كان يحبّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خيراً والله يحبّك وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خيراً والله يبغضك والمرء مع من أحبّ .

وفيه: باسناده عن بشير الكناسي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قد يكون حبّ في الله ورسوله وحبّ في الدنيا فما كان في الله ورسوله فثوابه على الله وماكان في الدنيا فليس بشيء .

٣- الارادة الملتزمة :

ان الركن الثالث من أركان الشخصيّة الاسلاميّة هو الارادة القوية القادرة على الاختيار والمتمكنة من القبول والرفض وفق مقاييس وأحكام واضحة نيّرة ، و بالارادة يسيطر المسلم الملتزم على كلّ أطراف شخصيته ويقودها وفق منهج حياتي ملتزم ، فبالا رادة يستطيع الانسان أن يمتنع عن فعل الحرام والرذائل ، وبالارادة يستطيع أن يؤمن أو يكفر ، أن يخاف أو يرجى ، أن يحبّ أو يبغض ، أن يخلص أو يرائي ، وأن يصبر على المحن ويتحمّل الشدائد وعظائم الامور ... وبالارادة القوية يستطيع أن يتحمّل مسئوليته في الحياة ويؤدّي واجبه مهما يكن شاقاً وثقيلاً . . . بعكس الشخصيّة فاقد الارادة فانها شخصيّة هلاميّة مائعة قلقة متأرجحة لانها لاتملك قوة الارادة ولا وحدة الهدف.

قال الله تعالى : «فاستقم كماامرت ومن تاب معكو لاتطغوا » هود : ١١٢)

وقال : «فلذلك فادع و استقم كما امرت ولاتتبع أهواءهم » الشورى : ١٥)

وقال : «ان الّذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة الّتي كنتم توعدون »فصلت : ٣٠)

وما أروع مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام لقوة إرادة المؤمن وشدة عزيمته إذ قال :«في الزلازل وقور وفي المكاره صبور » وما أجمل وصف الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام للحالة الا رادية الّتي تلازم الشخصيّة الايمانية وتميّزها إذقال : «المؤمن أصلب من الجبل إن الجبل يستقلّ منه والمؤمن لايستقلّ من دينه »

وقال الامام الصادق عليه السلام «ان المؤمن أشدّ من زبر الحديد إنّ زبر الحديد إذادخل النار تغيّر ،وان المؤمن لوقتل ثم نشر ثم قتل لم يتغيّر قلبه »

٤- المقياس الايماني للسلوك :

والعنصر الرابع من عناصر بناء الشخصيّة هو المقياس العملي للسلوك، فالشخصيّة الاسلاميّة تملك مقياساً واضحاً للسلوك، وهو : «مرضاة الله عزّ وجل »فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انه قال : «إذاهممت بأمر فتدبّر عاقبته فان يك راشداً فامضه و إن يك غياً فانته » قال الله تعالى : «قد أفلح المؤمنون الّذين هم في صلاتهم خاشعون والّذين هم عن اللغو معرضون والّذين هم للزّكاة فاعلون والّذين هم لفروجهم حافظون إلّا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والّذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الّذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »المؤمنون : ١-١١)

وقال : « إنّما المؤمنون الّذين إذاذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكّلون يقيمون الّذين الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » الانفال : ٢-٤)

وقال : «إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ـ واتقوا الله ان الله تواب رحيم» الحجرات : ١٠ـ١٢)

وقال: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً والذين يبيتون لربهم سجّداً وقياماً والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً ـ والذين لا يشهدون الزور وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً والذين إذا ذكّروا بآيات ربهم لم يخرّوا عليها صمّاً وعمياناً والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً» الفرقان : ٦٣ـ٧٤)

فالمؤمن لا يسلك سلوكاً عشوائياً غير موزون طليق العنان، بل يضع كل فعل وموقف في ميزان الايمان قبل أن يقدم عليه، فان وجده عملاً متطابقاً مع مرضاة الله عزّ وجلّ، متسقاً مع منهج الحق والهدى، مع منهج الخير والصلاح ومع منهج الصواب والفلاح أجاز لنفسه الاقدام عليه، والشروع بتنفيذه، فاذا وجده شاذاً متعارضاً مع هذه المقاييس بعيداً عن رضى الله تعالى غير مطابق مع مبادىء الخير عمد إلى إلغائه وأعلن رفضه والانسحاب منه.

قال الله عزّ وجلّ : «ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كلّ اولئك كان عنه مسئولاً» الاسراء : ٣٦)

وهذا المقياس الايماني الدقيق هو مقياس يستهدف حب الخير من أجل أنه خير، وصنع المعروف حباً بالمعروف، تقرباً من الله عزّ وجلّ وبحثاً عن رضاه بعيداً عن الأنانية والنفعية المادية والأغراض الشخصيّة والمصالح الفردية فلا يفدي الايمان لنفسه، بل إنّما يفدي نفسه للايمان.

« الشخصية الاسلامية وميزاتها »

قال الله عزّ وجلّ : « ألم يعلم بأن الله يرى » العلق : ١٤)

إن المبادىء الاسلاميّة بمفاهيمها الأساسية ومناهجها التربوية تصنع شخصيّة متميّزة ، لها سماتها وتوجيهاتها وغاياتها الخاصّة ، التى تميّزها بوضوح تام عن غيرها من الشخصيّات الاخرى ، وبمقارنة الشخصيّة الاسلاميّة بغيرها من الشخصيات نستطيع أن نكتشف في هذه الشخصية الميزات التالية :

١ـ الاتجاه العقلي .٢ـ الايجابية .٣ـ الالتزام .٤ـ التوجه المستمرّ نحو الكمال ٥ـ الاتزان . ٦ـ الاحساس الانساني « يقظة الضمير والحسّ الوجداني »٧ـ النزوع القيادي .

أما الاتجاه العقلى : فذلك ان الشخصية الاسلاميّة تتميّز بأنها شخصيّة عقلية أي يسيطر العقل فيها على كل تصرّفات الفرد وبواعثه ودوافعه وعواطفه وغرائزه وطريقة تفكيره . . . فللعقل مقام القيادة والتوجيه في الشخصيّة الإسلاميّة إذ يظهر أثره واضحاً في مجال السلوك والعلوم والمعارف . . . فسلوك المسلم لايخضع للاندفاع الغريزي التائه ولا للميل الأناني والهوى الشخصي الذي تضيع فيه قيم الحق والعدل والخير ، وتتلاشي أمامه قواعد الأخلاق الفاضلة . . . بل يتمحور السلوك عنده ـ على إمتداد أبعاده وإختلاف مظاهره ـ حول مركز العقل ويتحرك على ضوء إشارته وهدى صوته .

قال الله تعالى: « تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم

تعقلون » يوسف : ١-٢)

وقال : « كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلّكم تعقلون » النور : ٦١)

وقال : « ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون » الانعام : ١٥١)

وقال : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلّا العالمون » العنكبوت : ٤٣)

في الكافي : باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : « لمّا خلق الله العقل إستنطقه ثم قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ثم قال : وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك، ولا أكملتك إلّا فيمن احبّ ، أما إني إياك آمر و إياك أنهى ، وإياك اعاقب وإياك اثيب »

و كما يظهر دور العقل واضحاً في مجال السلوك والمواقف الانسانيّة ، يتجلّى دوره كذلك واضحاً في مجال العلوم والمعارف ومناهج البحث والتحصيل العلمي في حياة المسلمين ، فنظرة الانسان المسلم الملتزم إلى الأشياء وفهمه وتفسيره لها ليس فهماً مادياً صرفاً ولا تفسيراً حسّياً متحجراً ، بل يجري هذا الفهم والتفسير بطريقة واعية ، تتجاوز حدود الحسّ والشهود ، وتوسع آفاق المعرفة والثقافة بخلاف المنافقين من المسلمين من أبناء الدنيا وعبيد الشهوة والاشتهار ، وبخلاف الكافرين من أتباع الشيطان ، طالقي العنان ، عاري الجثمان ، وخالي اللب .

قال الله تعالى فيهم : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » البقرة : ٤٤)

وقال : « اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون » الانبياء : ٦٧)

وقال : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير » الملك : ١٠)

وقال : « ومثل الّذين كفروا كمثل الّذي ينعق بما لا يسمع إلّا دعاء ونداء صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون » البقرة : ١٧١)

وقال : « وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون » المائدة : ٥٨)

وقال : «إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » الأنفال : ٢٢)

وقال : «أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلاً » الفرقان : ٤٣-٤٤)

وأما الايجابية : فان المؤمن إنسان ايجابي يعيش في حركة فكرية و نفسية وجسدية بناءة ، بعيداً عن السلوك التخريبي الهدام ، رافضاً للتحجر والجمود ، لا يرضى بالسلوك الانسحابي الذي يتهرب من نشاطات الحياة ، ويبتعد عن مواجهة الصعاب لأن الاسلام يبنى في الانسان المسلم الروح الايجابية التي تؤهله للعطاء ، وتنمي فيه القدرة على الانتاج والابداع بما يفتح له من آفاق التفكير والممارسة ، وبما يزوده به من بناء ذاتي ودافع حركي ، ليعده إعداداً إنسانياً ناضجاً لممارسة الحياة بالطريقة التي يرسمها ويخطط أبعادها الاسلام لأن الحياة في نظر الاسلام . عمل وبناء وعطاء وتنافس في الخيرات :

ويقول : « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات » البقرة : ١٤٨)

ويقول : « ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات » المائدة : ٤٨)

ويقول : « أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون » المؤمنون:٦١)

فقد دأب الاسلام على جعل الحياة كلها مجالاً مباحاً للانسان يمارس فيها نشاطه ، ويستثمر فيها طاقته وجهوده - عدا ما حرم عليه من أشياء ضارة أو ممارسات هدامة - فالمسلم الملتزم أينما توجه يجد المجال الرحب ، والمتسع الذي يستوعب كل جهوده وطاقاته ونشاطه ، دون أن يجد الزواجر السلبية ، أو يواجه النواهي التي تقتل قابلياته وطاقاته أو تشل وعيه وإرادته ، وبذلك يبقى طاقة حية و قوة بناءة ، تساهم في تجسيد مضامين الخير وتشارك في العطاء والعمل .

في نهج البلاغة : قد وصف مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام هذه الشخصية الاسلامية الملتزمة بقوله : « فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين وحزماً في لين ، وايماناً في يقين ، و حرصاً في علم ، وعلماً في

حلم ، وقصداً في غني ، وخشوعاً في عبادة ، وتجمّلاً في فاقة ، وصبراً في شدة ، و طلباً في حلال ، ونشاطاً في هدى ، وتحرّجاً عن طمع ، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسى وهمّه الشكر ، ويصبح وهمّه الذكر، يبيت حذراً ، ويصبح فرحاً، حذراً لماحذرمن الغفلة ، وفرحاًبما أصاب من الفضل والرحمة ، إن استصعبت عليه نفسه فيماتكره لم يعطها سؤلها فيما تحبّ ، قرّة عينه فيما لايزول ، وزهادته فيما لايبقي ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل ، تراه قريباً أمله ، قليلاً زلله،خاشعاً قلبه ، قانعةنفسه ، منزوراً أكله ، سهلاًأمره ، حريزاً دينه ، ميتة شهوته،مكظوماً غيظه، الخيرمنه مأمول ،والشرّ منه مأمون ،إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين .

يعفوعمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيداً فحشه ، ليّناً قوله ، غائباً منكره ، حاضراً معروفه ، مقبلاً خيره ، مدبراً شرّه ، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور،لايحيف على من يبغض ، ولايأثم فيمن يحبّ ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، لايضيع ما استحفظ ، ولاينسي ما ذكّر ، ولا ينابز بالألقاب ، ولايضارّ بالجار، ولا يشمت بالمصائب ، ولا يدخل في الباطل ، ولا يخرج من الحق ، إن صمت لم يغمّه صمته ، وإن ضحك لم يعل صوته ، وإن بغى عليه صبر حتى يكون الله هوالذي ينتقم له ، نفسه منه في عناء ، والناس منه في راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه ، بعده عمن تباعد عنه زهدو نزاهة ، ودنوّه ممن دنا منه لين ورحمة ،ليس تباعده بكبر وعظمة ، ولادنوّه بمكر وخديعة »

وفي الكافي: باسناده عن عبدالله بن يونس عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قام رجل يقال له : همّام ـ وكان عابداًناسكاً مجتهداًـ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهـو يخطب فقال : يا أمير المؤمنين ! صف لنا صفة المؤمن كأنّنانظر إليه ؟ فقال : يا همّام ! المؤمن هو الكيّس الفطن ، بشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، أوسع شيء صدراً

(قدراً خ) وأذل شيء نفساً ، زاجر عن كل فان ، حاض على كل حسن ، لاحقود ولا حسود ولا وثاب ، ولا سباب ولاعياب ولا مغتاب ، ويكره الرفعة ويشنأ السمعة، طويل الغم ، بعيد الهم ، كثير الصمت ، وقور ذكور صبور شكور، مغموم بفكره ، مسرور بفقره ، سهل الخليقة لين العريكة ، رصين الوفاء ، قليل الأذى لامتأفك ، ولامتهتك ، إن ضحك لم يخرق ، وان غضب لم ينزق ، ضحكه تبسم ،وإستفهامه تعلم ، ومراجعته تفهم ، كثير علمه ، عظيم حلمه ، كثير الرحمة ، لايبخل ولايعجل ولايضجر ولايبطر ، ولايحيف في حكمه ولايجور في علمه ، نفسه أصلب من الصلد ،و مكادحته أحلى من الشهد .

لاجشع ولاهلع ولاعنف ولاصلف ولامتكلف ولامتعمق ، جميل المنازعة ، كريم المراجعة ، عدل إن غضب ، رفيق إن طلب ،لايتهور ولايتهتك ولايتجبر، خالص الود ، وثيق العهد ، و في العقد ، شفيق ، وصول ، حليم ، خمول ، قليل الفضول ، راض عن الله عز وجل ، مخالف لهواه ، لايغلظ على من دونه ، ولايخوض فيما لايعنيه ، ناصر للدين ، محام عن المؤمنين ، كهف للمسلمين ، ولايطلع الجاهل علمه ، قوال ، عمال ، عالم حازم ، لابفحاش ولابطياش ، وصول في غير عنف، بذول في غير سرف ، لابختال ، ولابغدار، ولايقتفى أثراً ، ويحيف بشراً ، رفيق بالخلق ، ساع في الأرض ، عون للضعيف ، غوث للملهوف ، لايهتك ستراً ولايكشف سراً .

كثير البلوى ، قليل الشكوى ، إن رآى خيراً ذكره وإن عاين شراً ستره، يستر العيب ، ويحفظ الغيب ويقيل العثرة ، ويغفر الزلة ، لا يطلع على نصح فيذره ، ولايدع جنح حيف فيصلحه ، أمين ،رصين ، تقي ، نقي ، زكي ، رضي ، يقبل العذر، ويجمل الذكر، ويحسن بالناس الظن ؛ ويتهم على الغيب نفسه ، يحب في الله بفقه وعلم ، ويقطع في الله بحزم وعزم ، لايخرق به فرح ، ولايطيش به مرح ، مذكر للعالم ، معلم للجاهل ، لايتوقع له بائقة ، ولايخاف له غائلة ، كل سعي أخلص عنده من سعيه ،و كل نفس أصلح عنده من نفسه ، عالم بعيبه ، شاغل بغمه ،لايثق

بغير ربه.

غريب وحيد جريد حزين، يحب في الله، و يجاهد في الله ليتبع رضاه ولا ينتقم لنفسه بنفسه، ولايوالي في سخط ربّه، مجالس لأهل الفقر، مصادق لأهل الصدق، موازر لأهل الحق، عون للقريب، أب لليتيم، بعل للأرملة، حفيّ بأهل المسكنة، مرجوّ لكل كريهة، مأمول لكل شدّة، هشّاش بشّاش، لابعبّاس ولا بجسّاس، صليب، كظّام، بسّام، دقيق النظر، عظيم الحذر، لايبخل وإن بخل عليه صبر، عقل فاستحيى، وقنع فاستغنى، حياؤه يعلو شهوته، ووده يعلو حسده وعفوه يعلو حقده، لاينطق بغير صواب، ولايلبس إلّا الاقتصاد، مشيه التواضع، خاضع لربه بطاعته، راض عنه في كل حالاته، نيّته خالصة، أعماله ليس فيها غش ولاخديعة، نظره عبرة، و سكوته فكرة، و كلامه حكمة، مناصحاً متباذلاً متواخياً، ناصح في السرّ والعلانية لايهجر أخاه ولايغتابه ولايمكر به، ولا يأسف على مافاته، ولايحزن على ماأصابه، ولايرجو مالايجوز له الرجاء، ولا يفشل في الشدّة ولايبطر في الرخاء.

يمزج الحلم بالعلم، والعقل بالصبر تراه بعيداً كسله، دائماً نشاطه، قريباً أمله، قليلاً زلله، متوقعاً لأجله خاشعاً قلبه، ذاكراً ربّه، قانعة نفسه، منفياً جهله، سهلاً أمره، حزيناً لذنبه، ميتة شهوته، كظوماً غيظه، صافياً خلقه، آمناً منه جاره، ضعيفاً كبره، قانعاً بالذي قدّر له، متيناً صبره، محكماً أمره، كثيراً ذكره، يخالط الناس ليعلم، ويصمت ليسلم، ويسئل ليفهم، ويتجر ليغنم، لاينصت للخبر ليفجر به، ولايتكلم ليتجبّر به على من سواه، نفسه منه في عناء والناس منه في راحة، أتعب نفسه لاخرته، فأراح الناس من نفسه، إن بغى عليه، صبر حتّى يكون الله الذي ينتصر له، بعده ممن تباعد منه بغض ونزاهة، ودنوّه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده تكبّراً ولاعظمة، ولادنوّه خديعة ولا خلابة، بل يقتدى بمن كان قبله من أهل الخير، فهو إمام لمن بعده من أهل البرّ.

قال : فصاح همّام صيحة ، ثم وقع مغشياً عليه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام :أما والله لقد كنت أخافها عليه وقال : هكذا تصنع الموعظة البالغة بأهلها ، فقال له قائل : فمابالك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن لكل أجلاً لايعدوه وسبباً لايجاوزه ، فمهلاً لاتعد فانمانفث على لسانك شيطان »

أقول :ولعمري من لم يكن متصفاً بتلك الصفات التي بيّنها الامام أمير المؤمنين عليه السلام في هاتين الروايتين ، فليس حقّاً له شخصيّة ايمانيّة ، سواء كان عالماً مجتهداً أوعامياً مقلّداً ، أم كان خطيباً واعظاً ، أو مستمعاً . . . فمن لم ينصف بها فلايليق أن يكون قائداً للناس ، فعلى القادة والدعاة بها ثم دعوة الناس إليها إذ من لم يكن مربّاً بتربية إسلاميّة فلايليق أن يكون مربّياً للمسلمين ، كيف لا وقد قال الله عزّ وجلّ موبّخاً على من يدعو الناس إلى البر وهو ينسى نفسه :«أتامرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » البقرة:٤٤)

وقال : « لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون » الصف : ٢ ـ ٣)

قوله عليه السلام : « زاجر » : نفسه أوغيره ، و« حاضّ » : حريص داخل ، و« ولا وثّاب » : لايثب في وجوه الناس بالمنازعة والمعارضة ، و « يشنأ السمعة »:يبغض الرياء « طويل الغم » لمايستقبله من سكرات الموت و أحوال القبر ، و أهوال الآخرة ، و« بعيد الهم » عالي الهمّة لا يرضى بالدون من الدّنيا الفانية ، « كثير الصمت » : عمالايعنيه «وقور» : لايستعجل في الامور ولايبادر في الغضب ، ولاتجرّه الشهوات إلي مالاينبغي فعله ، «مغموم بفكره» : بسبب فكره في الامور الاخروية، « مسرور بفقره » لعلمه بقلّة خطره ويسر الحساب في الآخرة وقلّة تكاليف الله فيه ، مضافاً إلى انه يراه من جانب الله تعالى إمتحاناً له من غير كسالة في السعى وطلب الرزق ، « سهل الخليقة » : ليس في طبعه خشونة وغلظة و« ليّن العريكة»:سلس الخلق والطبيعة منكر النخوة .

قوله عليه السلام « لامتأفك » : لايكذب على الناس ، أوليس ممن لايبالي أن ينسب إليه الافك ، و « لم ينزق » : لم يخف عند الغضب ، و« ولايبطر » : البطر: شدة البطر والطغيان ، و«لايحيف في حكمه » : لايجور في قضائه ولايظلم على أحد ،و«لايجور في علمه » : لايظلم أحداً بسبب علمه ، و« مكادحته أحلى من الشهد » : سعيه في الامور الاخروية أحلى من العسل ، و«لاصلف» ـ ككتف ـ : لايتكلم بما يكره صاحبه و«لامتكلف» : لايمدح بما ليس عنده ، ويقال له بالفارسية ـ لاف زدن ـ و « لامتعمق » : لايبالغ في الامور الدنيوية،و«لايتجبر» : لايتكبر على الغير،ولايعد نفسه كبيراً ، و« خالص الود » : محبته خالصة لله جل وعلا أو محبته خالصة لكل من يوده غير مخلوطة بالخديعة والنفاق ، و« شفيق » :ناصح مشفق على المؤمنين ، و« خمول » : لايحب الاشتهار ولايسعى فيها،و« لايخرق الثناء سمعه » : كناية عن عدم التأثر من الثناء كأنه لم يسمعه ،و « لاينكى الطمع قلبه » : لايؤثر في قلبه ولا يستقر فيه .

قوله عليه السلام : « ولابطياش » : ليس ممن لايقصد وجهاً واحداً ، و«لابختال» : ليس خادعاً ، و«لايقتفى أثراً » لايتبع عيوب الناس أولايتبع أثر من لايعلم حقيقته، و« فيذره » : لايطلع على نصح لأخيه فيتركه بل يذكره له ، و«لايدع جنح حيف» : لايدع شيئاً من الظلم يقع منه ، أومن غيره على أحد بل يصلحه ، أولايصدر منه شيء من الظلم فيحتاج إلى أن يصلحه ،و« رصين» : محكم ثابت ، و« زكي»: طاهر من العيوب ، و« لايخرق به فرح» : لايصير الفرح سبباً لخرقه وسفهه ، و«لايطيش به مرح» : لايصير شدة فرحه سبباً لخفته وذهاب عقله ، أوعدوله عن الحق وميله إلى الباطل ، و« بائقة » : داهية ، و« للأزمة » المرأة الفقيرة لازوج لها .

قوله عليه السلام : « حفي » : بار لطيف ، و« مرجو لكل كريهة » : يأمله الناس لدفع كل شدة،و«هشاش» : مرتاح للمعروف ، و«بشاش» : طليق الوجه ، و « لا بعباس» : كثير العبوس ، و« بجساس» : ليس بجاسوس في شؤون المسلمين ، و

: « صليب » متصلّب شديد في امور الدّين ، و «لاخلابة» : خديعة بالمنطق واللسان،
و«نفث »: نفخ .

أما الا لتزام : فذلك ان الاسلام يبنى شخصية الانسان المؤمن على أساس وحدة فكريّة وسلوكيّة وعاطفية متماسكة ،بحيث تقوم هذه الشخصيّة على أساس من التنسيق والتوافق الفكرى والعاطفي والسلوكي الملتزم الّذى لايعرف التناقض ولاالشذوذ لينسحب هذا الا لتزام على كلّ مواقف الانسان ،وأنماط سلوكه ونشاطه الفردي والاجتماعي ،فالأديب المسلم والمفكر والفنان والمثقف والعالم. . .
كلّ واحد منهم يخضع ممارساته ونشاطاته لقواعد الاسلام وقيمه ،ويساهم في بناء الحضارة الاسلاميّة بتوافق و إنسجام تام مع الخطّ الحضارى الايماني العام تماماً كما يفعل رجل المال والاقتصاد والعامل المنتج والسياسي القائد المخلص . . .

فكلّ واحد من هؤلاء يخضع سلوكه لمقاييس ،وقيم وموازين ثابتة لديه، بحيث تأتي كلّها وفق الخطّ الاسلامي الواضح،تماماً كما ينسحب هذا الالتزام على السلوك والممارسة اليوميّة في العبادات والأخلاق والعلاقات الفردية المتعدّدة . . وهكذا فان الشخصيّة الاسلاميّة الملتزمة تفرز دوماً وحدة سلوكيّة وفكريّة وعاطفية متماسكة متكاملة دونما ثغرة أو تناقض، أو إنحراف... بحيث تتكشف هذا الجهود الفردية، فمن إطار التنظيم الاجتماعي العام لاشادة الهيكل الحضاري وصنع صيغة التاريخ وصورة الحياة ،فالكل يعمل ويؤدّي دوره فمن خارطة بناء إجتماعي وعقائدي متكاملة متناسقة ، كما تنسق عاملات النحل جهودها لبناء خليتها وفق شكل هندسي غائي متكامل .

وأما التوجه المستمر نحو الكمال : فذلك ان للشخصيّة الاسلاميّة مثل أعلى و قيم عليا ،وقدوة رائدة في الحياة ، تتمثل في تصور الانسان المسلم الملتزم لقيم الخير والكمال البشري الذي تحقق مجسّداً ـ في القدوة الفذة ـ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والطليعة الراشدة من أهل بيت الوحي الأخيار المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

قال الله تعالى : «لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً» الاحزاب : ٢١)

فالشخصيّة الاسلاميّة تنزع دوماً إلى الوصول إلى هذا المثل الانساني الأعلى . . . وتبرمج مسيرتها وتصحّح مواقفها على ضوء هذا المقياس، وهي تجد قبل هذا المثل الانساني الحي ، فكرة الكمال الالهي المتسامي ، وتعرف صفات الخالق العظيم ، المتصف بالخير والكمال المطلق ، من العدل والرحمة والصدق والكرم و الحلم والعلم والشفقة والسلام... فتكون تلك الصفات محبوبة لدي الانسان المؤمن لأنها صفات معبودة فهو دوماً يتجه نحوها ، وينزع إلى الاتصاف بما يلائم إنسانيته من معانيها أملاً في تحقيق مرضاة الله جلّ وعلا ، وسعياً وراء الكمال الّذي يوصله إلى النعيم والفردوس .

و أما الاتزان : فمن ميزات الشخصيّة الاسلاميّة أنها شخصيّة متزنة لايطغى على موقفها الانفعال ، ولا يسيطر عليها التفكير المادي ، ولا الانحراف الفكري المتأني من سيولة العقل وإمتداده اللا معقول كما لايطغى جانب من الميول والنوازع علي بقيّة قوى الانسان ودوافعه ، فالانسان المسلم الملتزم يطلب الدنيا ويسعى للآخرة ويستمع بلذّات الحياة ، ويستعدّ لعالم الجزاء ويعمل ويفكر و ينتج بحيث يملأ كل جوانب الحياة عطاء ونشاطاً وهو حينما يمارس هذا النشاط الحياتي إنما يمارسه ضمن مفهوم روحي، وتفكير ايجابي لايفصل بين الدنيا والآخرة ، بل يوحّد بينهما، ويربط بين أبعادهما كما يربط بين السبب ونتيجته . . . مستلهماً تلك الروح من وحي القرآن الكريم وتوجيهه :

«وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد في الأرض ان الله لايحبّ المفسدين» القصص :٧٧)

فهو دوماً شخصيّة متّزنة ، يشبع كلّ جانب ، ويعطى كل شيء حقه، لايفرط في شيء ، ولايتعدى الحد المعقول في إستعمال أيّ شيء . . . إذا أحبّ أحبّ معتدلاً

،وإذا أبغض أو غضب ،أو عاقب كان معتدلاً ،وإذا أكل أو شرب أوزهد أو أنفق أو نطق أوحكم وقضى أوقاتل كان معتدلاً :

: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » البقرة :١٩٤)

: «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين» النحل : ١٢٢)

«يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد و كلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لايحبّ المسرفين » الأعراف : ٣١)

«والذين إذاانفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً »الفرقان : ٢٧)

«وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذاقربى » الأنعام :١٥٢)

«وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين ـتلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدّ حدود الله فاولئك هم الظالمون »البقرة : ١٩٠ـ٢٢٩)

«ياأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى » المائدة : ٨)

وما أروع قول الله عزّوجلّ الجامع لكل أبعاد هذه الحقيقة السلوكيّة الهامّة وما أدقّ هذا القول ،وهوأن يوجه النبي الكريم صلى الله عليه وآله إلى مكارم الأخلاق ويضعه على وضوح من قانون الوجود المتوازن ليحقق بهذا الوضوح الانسجام الكامل مع الحقيقة الكونية الناطقة بعلم الله عزّوجلّ وحكمته :

«فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولاتطغوا انه بما تعملون بصير»هود : ١١٢)

«فلذلك فادع واستقم كما امرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وامرت لأعدل بينكم الله ربّنا وربّكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم » الشورى : ١٥)

فالقرآن الكريم حينما يطالب النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بالاستقامة ـ وهي الاعتدال والالتزام الوسط بين الافراط والتفريط ـ إنما يستهدف الربط بين منطق الوجود في عموميته وبين سلوك الانسان في الحياة : « وكلّ شيء عنده بمقدار » الرعد : ٨) فلكلّ شيء في هذه الحياة قدر وقيمة محدّدة ولا تنتظم مسيرة الحياة إلّا بالتعامل معه حسب قدره وقيمته .

فالمؤمن ـ وهو المسلم الملتزم ـ حينما يأكل ويشرب ويتزوّج ، ويحبّ و يكره ويرضى ويسخط ويحكم ويعاقب ، ويتكلّم ويتعب وينام و ينفق و يتعبد و يزهد ويستمتع بالملذّات و يتعامل مع الآخرين . . . إنما يمارس تلك الأفعال كلّها وفق منطق الاعتدال والاتزان الّذي يسيطر على نظام الحياة ويتحكّم بمسيرة الوجود من غير إسراف ولا إفراط أو تفريط ، إنطلاقاً من الايمان بأن الاعتدال هو منطق الوجود بنى عليه الاسلام : « و كذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » البقرة : ١٤٣)

ولذلك جعل الله عزّ و جلّ هذه الامة الاسلاميّة المعتدلة خير امة : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله » آل عمران : ١١٠)

ومن خرج عن هذا الاعتدال فهو ليس بمسلم وإن ادّعى ما ادّعى .

في عيون الاخبار : باسناده عن إبراهيم بن أبى محمود قال : قال الرضا عليه السلام : « المؤمن الّذي إذا أحسن إستبشر وإذا أساء إستغفر والمسلم الّذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ، ليس منّا من لم يأمن جاره بوائقه »

وفيه: باسناده عن زيد بن على عن على بن أبيطالب عليه السلام قال : «لايحلّ لمسلم أن يروع مسلماً »

وفى تحف العقول: قال على عليه السلام : «إنّ المسلم أخ المسلم فلاتخاذلوا ولاتنابزوا»

نعم: ان الاعتدال هو قانون الحياة الّتي انتظمت أبعادها ومسيرتها على أساسه،

وإن الخروج عن هذا القانون الكوني العام يعرض الشخصيّة إلى الاهتزاز والاضطراب ، ويقود وجود الانسان بكامل أبعاده الجسميّة والروحيّة والنفسيّة إلى الانهيار والشذوذ .

وقد سجّل لنا مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام في إحدى خطبه بعض مظاهر الاتزان في الشخصية الايمانية في وصفه للمتقين إذقال : « فالمتقون فيهاهم أهل الفضائل ، منطقهم الصواب و ملبسهم الاقتصاد ، و مشيهم التواضع - ثم قال - ومن علامة أحدكم أنك ترى له قوّة في دين، وحزماً في لين، وايماناً في يقين، وحرصاً في علم ، وعلماً في حلم ، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجمّلاً في فاقة، وصبراً في شدّة، وطلباً في حلال ونشاطاً في هدى وتحرجاً عن طمع »

وأما الاحساس الانساني - يقظة الضمير والحسّ الوجداني - : فتمتاز الشخصيّة الاسلامية بأنها شخصيّة تتمتّع بحسّ إنساني يقظ ، وضمير متفتح، يميل دوماً إلى التعاطف والرحمة والتعاون والاحسان ، ويتنفر من القسوة والشدة ...

فالمؤمن سريع الاحساس ، والمشاركة الوجدانية ، رقيق القلب ، متفتح العاطفة ، ولذلك فهو سريع التفاعل والتعاون في مجالات البرّ والاحسان إلى الآخرين . . . يخف إلى إنقاذهم في شدائدهم و يهب إلى مواساتهم في محنهم ، و يشاطرهم في أفراحهم . . . لايقسو ولايجفو . . . مستوحياً هذه الروح من موقف القرآن الكريم . . . رافضاً أن يكون من اولئك القساة الجفاة الذين لايؤلفون، ولايألفون أحداً ،ولاترق قلوبهم، ولايحسّون باحساس الآخرين ، ولايشاركونهم في أفراحهم ، ولايشاطرونهم أحزانهم . . . الذين ماتت العواطف الانسانية النبيلة في نفوسهم ، وأجدبت من معاني الخير حياتهم :

« ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشدّ قسوة وإن من الحجارة لمايتفجّر منه الأنهار وان منها لمايشقّق فيخرج منه الماء و ان منها لمايهبط من خشية الله وماالله بغافل عماتعملون » البقرة : ٧٤)

ويأتي إهتمام الاسلام بتربية الضمير وتنمية الحس الوجداني كنتيجة لايمانه بأن الضمير الحي والحس الوجداني المرهف هو الطريق إلي التفاعل والترابط البشري السليم ، وهو القاعدة النفسية التي تشاد عليها اسس العلائق والروابط الانسانية .

وقد حثت الأحاديث والروايات المتعددة علي ذلك ، وحبته وزينته بقدر ما كرهت القسوة والجفوة وغيبة الضمير.

قال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « يقول الله تعالى ، اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في أكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي » .

ولعل من أبرز مظاهر يقظة الضمير هو مظهر الاحساس بالذنب والشعور بالخطيئة ومحاسبة النفس عليها ، تمهيداً لرفضها والانابة منها والتوبة من العودة إليها ، و تتجلى هذه الظاهرة بأسمى صورها في شخصية الانسان المسلم الملتزم ، عندما تعيش بوعيه وإحساسه كأرقى ماتكون صور الحس واليقظة الوجدانية .

وقد ورد عن الامام السابع موسى بن جعفر عليه السلام انه قال : « ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنة إستزاد الله و إن عمل سيئة إستغفر الله منها وتاب إليه »

وأما النزوع القيادي: فان الانسان المؤمن يشعر دوماً أن على عاتقه مسئولية رسالية كبري ، ودوراً تاريخياً مهماً يجب عليه أن ينهض به ويؤديه ، وهذا الدور هو إصلاح البشرية وهدايتها وقيادتها نحو شاطيء العدل والسلام ، فهو يؤمن دوماً بأنه داعية خير ، ورائد إصلاح ، و متمم لمسيرة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ رسالة الايمان وإنقاذ البشرية ، ولذلك فالانسان لايقنع من نفسه باصلاح نفسه فقط ، ولايقر اللجوء إلى الانكماش والعزلة والابتعاد عن أوضاع مجتمعه و عالمه ولايرضى بأن يكون مقوداً بغير قيادة الايمان، ولايعترف بتسليم قيادة البشرية

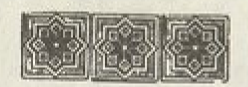
لأيدي جاهليّة لاتعرف معنى الاصلاح ولا تفكر بالخير ولا يعنيها في أيّ هاوية سقطت البشريّة .

وهذا النزوع القيادي يربّيه القرآن الكريم في نفس الانسان المسلم الملتزم ويحثّه عليه كما في قوله عزّ وجلّ : « وكذلك جعلنا كم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » البقرة : ١٤٣)

وقوله : « والذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً » الفرقان : ٧٤)

فالقرآن الكريم هنا وفي الآية الاولى خاطب المسلمين ونبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم الشهداء على الناس يوم القيامة لأنّهم هم الدعاة وهم المبلغون لرسالة الايمان وهم القادة إلى الخير ، وفي الآية الثانية يسوق أهداف الانسان المؤمن القياديّة لصيغة الدعاء فيقول : « واجعلنا للمتقين إماماً » أي اجعلنا قادة للايمان والتقوى والخير والصلاح ، والحق والفلاح ، وقادة للهدى والرشاد . . .

ويظهر هذا النزوع واضحاً في الدعاء الذي يردّده المسلم الملتزم بقصد التقرب إلى الله جلّ وعلا : « اللهم انا نرغب إليك في دولة كريمة تعزّ بها الاسلام وأهله ، وتذلّ بها النفاق وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك ، وترزقنا فيها كرامة الدنيا والآخرة . . . »



﴿القلم وفضله﴾

قال الله عزّ وجلّ: «إقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم» العلق: ٣-٤)

في أمالي الصدوق: رحمة الله تعالى عليه باسناده عن مدرك بن عبدالرّحمن عن أبي عبدالله الصّادق جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله عزّ وجلّ النّاس في صعيد واحد و وضعت الموازين، فتوزن دماء الشّهداء مع مداد العلماء فيرجّح مداد العلماء على دماء الشهداء.

أقول: وقد سبق منّا بعض الكلام حول القلم في سورة القلم، فان شئت فراجع، وقد جاء في فضل القلم كلمات من الأعلام ينبغي الاعتناء بها فسنشير إليها، و لكن يكفيك فضله في الدّين الاسلامي أن تبتدأ به الرسالة المحمّدية صلى الله عليه وآله وسلم و ذكره على سبيل الامتنان في اولى آيات بدئت بها البعثة النبويّة، وعدّه من أوّل آثار ربوبيّة الله تعالى و كرمه على عباده، وأن يسمّى به ثالث سورة من السّور القرآنيّة النازلة على محمّد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وأن يقسم به: «ن والقلم» القلم: ١)

وان التعليم بالقلم أوّل نعمة أنعمها الله عزّ وجلّ على الانسان بعد أن خلقه، والمراد بتعليم القلم ان الله تعالى جعل الانسان وحده مستعداً للكتابة بالقلم، و هذا من ميزات الانسان على غيره من الخلق، وليس فضل القلم وقدره و عظمته و مكانته لذات القلم وحده وهو خشب أوحطب أوحديد... وإنّما فضله لما ينتج من حفظ العلم ونشره وبقاء آثار الألسنة آماداً طويلة و آثار الأفكار... وقد أقسم الله

عز ّوجلّ: « والقلم » القلم: ١) كما اقسم بنفس المعلوم من شمس وقمر ، من نجم وعصر، من ليل ونهار، من سماء وأرض ، وتين وزيتون ، ومن قرآن وطور . . .

فكأنه عزّ وجلّ أقسم بالمعلوم ، ومادلّ على المعلوم ، ولكن لم يقسم باللسان الّذي ناب عنه القلم، وإن كان هو الأصل لأنّ آثار اللسان لابقاء لها إلّاإذاحفظتها الأقلام ، فثبات المكتوب في الطوامير والكتب أشبه بثبات المعلوم .

ان الانسان هـو الّذي إختص وحده بالقابليّة للكتابة بالقلم ، وبدء البعثة المحمديّة صلى الله عليه وآله وسلم بالامتنان على الانسان بالقلم ينطوي على تنويه بالقلم ، فكأنما اريد جعل هذه النعمة في مقدّمة نعم الله تعالى الّتي أنعمها على الانسـان ، و في مقدّمة مايجب على الانسان أن يشكر الله عزّ وجلّ عليه ويسعى في إكتسابه ،وان القرآن الكريم على هذا الاعتبار أعظم وأقوى أوّل داع دينيّ إلى القلم والكتابة بعد القراءة .

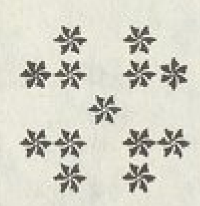
هل علمتم غير الاسلام ديناً ؟ أوقرأتم في التـاريخ عن امم أن نجعل القراءة والكتابة في بدء أمره ويبتدأبها الوحي السماوي ، وينهض بهما ؟ فعليكـم أيهـا المسلمون إلى القراءة والكتابة ، إلى التربيّة والعلم ، إلى ترقية الشئون والاعداد للحياة والسعادة في الدّارين، وإلى النهضة والعزّة والكمال بقراءة الوحي السّماوي وعلومه ومعارفه وحكمه والتدبّر فيه وهو يقول : « أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها » محمّد صلى الله عليه وآله وسلم : ٢٤)

فعلى العلماء العاملين أن يدعوا الناس إلى أوّل ما أنزل الله تعالى على محمّد خاتم رسله صلى الله عليه وآله وسلم من القراءة والتربيّة والكتابة، ومن تعميم العلوم : علوم الحياة والعمران ،وأن يستقيظوا من نوم الطويل . . .

فمن كرم الله تعالى جعل من القلم الّذي هـو قطعة جامدة مـن الحطب أو الخشب أو الحديد أداة للعلم والمعرفة ، ففتح به على الانسان أبواب العلوم والحكم والمعارف . . . وجعل من ثماره هذه الكتب الّتي حفظت ثمار العقول والأفكار فكانت

ميراثاً للعلماء يرثها الخلف من السلف وينميها ويثمرها العلماء جيلاً بعد جيل ، وبهذا يعلم الانسان مالم يكن يعلم ، وبعلمه هذا المستفاد من سلفه فتح أبواباً جديدة من العلم يتلقاها عنه من بعده ، ويفعل فعله بما يفتح من أبواب جديدة للعلم ، وهكذا تتسع معارف الانسان ويزداد علمه على مدى الأجيال . . .

وهذا يعني ان الانسانية متطورة وسائرة نحو الأمام بما تتوارث أجيالها من ثمار العقول والأفكار التي يتركها السلف للخلف جيلاً بعد جيل . . . وهكذا يذهب الناس كأجساد وتبقي غراس عقولهم وثمار أفكارهم ، ولولا القلم ما حفظت العلوم ولا احصيت الجيوش ولضاعت الديانات ، ولا عرف الأواخر معارف الأوائل ، وعلومهم ومخترعاتهم وفنونهم ، ولما سجّل تأريخ السابقين : المسيئين منهم والمحسنين ، المستكبرين منهم والمطيعين . . . ولا كان علمهم نبراساً يهتدي به الخلق ويبنى عليه ما به ترقي الامم وتتقدم المخترعات كما أن فيها دليلاً ، على أن الله تعالى خلق الانسان الحيّ الناطق مما لا حياة فيه ولا نطق ولا شكل ولا صورة وعلمه أفضل العلوم وهي الكتابة ، ووهبه العلم ، ولم يكن يعلم شيئاً فما أعجب غفلتك أيها الانسان ؟ .



﴿ في خلق القلم وأقسامه ﴾

وقد ورد : « ان الله تعالى خلق أربعة أشياء بيده ثم قال لسائر الحيوان : كن فكان : القلم والعرش وجنّة عدن وآدم عليه السلام ».

و في تفسير القمي : عن الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام انه قال : أوّل ما خلق الله القلم .

أقول : لعل أوّليّة القلم هي بالنظر إلى ماجانسه من أدوات الكتابة كالمداد ونحوه يقال في شأن الكاتب : انه أوّل ما برأ القلم .

ويؤيّده مارواه عبدالرحيم القصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن : « ن والقلم » قال : إنّ الله تعالى خلق القلم من شجرة في الجنة يقال لها : الخلد ثم قال لنهر في الجنّة : كن مداداً فجمد النّهر وكان أشد بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد ثم قال للقلم : اكتب قال : يارب ّوما أكتب ؟ قال : أكتب ماكان وماهو كائن إلى يوم القيامة . . . الحديث .

فأوّليّة القلم إضافية كما أن أوّلية نور محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في الخلق حقيقيّة فتدبّر جيداً واغتنم جداً .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لمّا خلق الله الخلق كتب في كتابه ـ فهو عنده فوق العرش ـ : « إن رحمتي تغلب غضبي » و قال صلى الله عليه وآله وسلم : أوّل ماخلق الله القلم ، فقال له : اكتب فكتب مايكون إلى يوم القيامة ، فهو عنده في الذكر فوق العرش .

وفي رواية: عن عبدالله بن مسعود انه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصوّرها وخلق سمعها و بصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم يقول: يارب أذكر أم انثى، فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يا رب أجله؟ فيقول ربك: ما شاء و يكتب الملك، ثم يقول: يارب رزقه؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده، فلايزيد على أمره ولا ينقص و قال تعالى: «ان عليكم لحافظين كراماً كاتبين»

وقيل: ان الأقلام على خمسة أقسام:

الاول: هو الذي خلقه الله عزّوجلّ بيده وأمره أن يكتب بعبّرعنه بقلم القضاء والقدر.

الثاني: أقلام الملائكة جعلها الله تعالى بأيديهم يكتبون بها المقادير والكوائن والأعمال والاقوال والعقائد... خيرها وشرّها، صالحها وفاسدها...

الثالث: أقلام الناس جعلها الله عزّوجلّ بأيديهم يكتبون بها كلامهم و يصلون بها مآربهم، وهذا القلم قلم الحبر أو الحديد الكاتب على الحجر أو نحوه...

الرابع: قلم الأمواج المستخدمة لمسجّلات الصّوت والصّورات مما يقيّد العلم كأحسن وأءمن مايكون.

الخامس: قلم الوحي على قلوب المرسلين عليهم السلام فانّه في غنى عن الوسائل العادية والمحاولات البشريّة فكما الوحي معجزة كذلك قلمه الّذي يقيّده.

وقد اختلفت الكلمات في أوّل من كتب بالقلم وفيه أربعة أقوال:

احدها ـ عن كعب الأحبار انه آدم عليه السلام لأنه أوّل من كتب بالقلم.

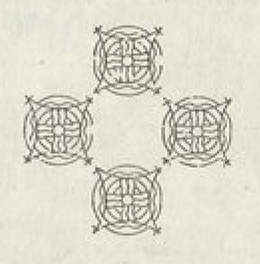
ثانيها ـ عن الضحاك: انه إدريس النّبي عليه السلام وهو أوّل من كتب بالقلم.

ثالثها ـ قيل: إنه أدخل كلّ من كتب بالقلم لأنّهما علم إلا بتعليم الله جلّ وعلا و جمع بذلك نعمته عليه في خلقه، و بيّن نعمته عليه في تعليمه إستكمالاً

للنعمة عليه .

رابعها ـ قيل : أراد كل نبيّ كتب بالقلم لأنه ما علمه إلّا بتعليم الله تعالى إياه .

أقول: والثاني هو المروي عن النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فيما سأله أبو ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: « يا أباذر! أربعة من الأنبياء سريانيون: آدم وشيث واخنوع وهو إدريس عليه السلام وهو أوّل من خطّ بالقلم ونوح عليه السلام . . . » الرّواية .



﴿أصحاب الاقلام و هدف الكتابة﴾

ومن المعلوم : أنّ القلم نعمة عظيمة من الله تعالى على عباده باعتبار آثاره .. إذ لولاه لم يقم دين ولا يصلح عيش ، وذكره بعد التربيّة دلالة على عظيم قدره بهذا الاعتبار، وتنبيه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلّا هو ، ولولا القلم لما كانت صناعة شريفة ولا علوم منيفة ، وبالقلم ينقل الانسان من ظلمة الجهل إلي نور العلم ، من ظلمة الكفر إلى نور الايمان ، من ظلمة الفساد إلى نور الصّلاح ، من ظلمة الباطل إلى نور الحق، من ظلمة الضّلالة إلى نور الهدى، من ظلمة الانحطاط إلى نور الرقى ، ومن ظلمة الخسران إلى نور الفلاح . . .

ولولا القلم ما دوّنت العلوم ، ولا قيّدت الحكم ، وما عرفت المعارف . . . ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ، ولا علمت أفكار السابقين ولا عقولهم ، ولا كتب الله المنزّلة إلّا بالكتابة ، فلولاها ما استقامت امور الدنيا والدين .

ونعم ماوصف بعض الشعراء القلم بقوله :

فكأنه والحبر يخضب رأسه ... شيخ لوصل خريدة يتصنّع

ألا الاحظه بعين جلالة ... وبه إلى الله الصحائف ترفع

وفى رواية : ان سليمان بن داود عليهما السلام : سئل عفريتاً عن الكلام ؟ فقال : ريح لا يبقي ، قال : فماقيده ؟ قال : الكتابة فان القلم صيّاد يصيد العلوم ، يبكي تارة ويضحك تارة اخرى، بركوعه يسجد الأنام ،وبحركته تبقي العلوم على ممر الليالي والأيام وقد قال النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « قيّدوا العلم بالكتابة »

وقد وصف أبو تمام الطائي الشاعر القلم بقوله :

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

وإن الكتابة صناعة شريفة فوق الصناعات ، وانها من خواص الانسان التي يميز بها عن الحيوان ، وهي تطلع على ما في الضمائر وتوزن بها العقول والأفكار ، و تتأدّي بها الأغراض إلى البلاد البعيدة فتقضي الحاجات ، وقد دفعت مؤنة المباشرة لها ، ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وآدابهم و ما كتبوه من علومهم وأخبارهم ، فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع ، وخروجها في الانسان من القوّة إلى الفعل إنّما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناغي في الكمالات والطلب . . .

وفي الكتابة فضائل ومميزات جمّة ، وان الكتابة من جملة البيان ، والبيان مما اختصّ به الآدمي ، وان الانسان ينتفع وينفع الآخرين بفكره و لسانه مادام حيّاً ، ولايبقي شيء من علمه إلّا ما كتبه بقلمه ، وللكتابة من الفوائد مالا يبلغه الاحصاء من ذلك انها تربط المستقبل بالماضي ، و تنشر العلوم في شرق الأرض و غربها وتجعله مشاعاً للجميع . . .

فالقلم بما أنه من حطب أوخشب أوحديد . . . غير مقصود لذاته ، ولايقسم به ، بل هو آلة لبيان المقصود ، فاذا كان المقصود مافيه خير وصلاح ، مافيه إرشاد وفلاح ، مافيه سعادة وحياة ، ومافيه كمال وعمران اصاحب القلم وللمجتمع البشرى فلهذا القلم فضل فيحفظ قدره ويؤدّي حقّه ، فهو ممدوح ينبغي أن يثنى عليه ، وإذا جعله صاحبه آلة يلعب بها مع الأفكار البشرية ، آلة لاستثمار العقول الانسانية بغير حق ، ذريعة لنيل المال والجاه والرئاسة والاشتهار ، آلة لمدح الحكّام المستبدّة ، والطواغيت الجابرة ، والفجار والفسقة . . . آلة لنشر الاكاذيب والأراجيف والأوهام والأباطيل ، وإشاعة الفواحش وآلة للافتراء على العلماء العاملين ، والمسلمين الملتزمين ، ولهتك الأعراض المحترمة وإستهزاء الحق وأهله . . . كما ترى اليوم أكثر أصحاب الاقلام على ذلك - لايجبر ضرر تلك الأقلام الفاسدة على المجتمع البشرى قطّ ، و كسر هذه

الأقلام الملتعبة خير من وجودها .

فعلى أصحاب القلم في كلّ وقت ومكان أن يحفظوا فضل القلم وقدره ، وأن يحصنوا شرف القلم ومنزلته ، وان القلم أفضل وأشرف من العلم نفسه ، فان حياة العلم وبقائه ونشره بالقلم ، ولذلك قال الله عزوجل لأوّل مرّة في وحيه على نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم : « الذى علّم بالقلم علّم الانسان مالم يعلم » العلق : ٤ ـ ٥)

ولعمرى ان القلم أمانة إلهية من عظمى الأمانات أودعها الله عزّ وجلّ عند أصحابه فعليهم بحفظه ، وأن لايخونوا عليها ، وعليهم أن يجعلوا صناعة القلم بهجة جميلة عالية رفيعة ، وعلى الكتّاب أن لايجعلوا أقلامهم أسباباً لاستثمار الحكام الجائرة ، والامراء الطاغية ، والولاة الجابرة والبغاة المستبدة والفجار المستكبرة...

ولايخفى على القارىء الخبير: ان المرأة مستعدّة للكتابة كما أنها مستعدة لاكتساب العلم لشمول الانسان لها، وأما نهيها عن الكتابة ـ إلّا للضرورة ـ فلما يعقب كتابتها فساد ، وإستعدادها للكتابة لايوجب جوازها لها إطلاقاً كما أن الانسان مستعد للطغيان ولكن لايجوزله الطغيان ، فالاستعداد لايجوّز كل ما يستعدّ له الانسان إطلاقاً .

فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «المؤمن إذامات وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرّات ، وما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم إلّا ناداه ربه عزّ وجل : جلست إلى حبيبي فوعزّتي وجلالى لأسكننك الجنّة معه ولاابالي»

وفى قرب الاسناد: باسناده عن الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ بن أبيطالب عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :لاتنزلوا النساء الغرف ولاتعلّموهنّ الكتابة وعلّموهنّ الغزل (المغزل خ) وسورة النور .

وفى رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :«لاتسكنوا نساءكم الغرف ولاتعلّموهنّ الكتابة

ان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حذ رامته ذلك لأن في إسكان النساء الغرف تطلّعاً إلى الرّجال ، وليس في ذلك تحصين لهن ولا تستّر ، وذلك انهن لايملكن أنفسهن حتّى يشرفن على الرّجال ، فتحدث الفتنة والبلاء ، فحذ رهم أن يجعلوا لهن غرفاً ذريعة إلى الفتنة وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس للنساء خير لهن من ألا يراهن الرجال ولا يرين الرجال » وقال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « إن الله خلق النساء من عي وعورة، فداووا عيّهن بالسكوت ، واستروا العورة بالبيوت »

و ذلك ان المرأة خلقت من الرجل فنهمتها في الرجل ، وان الرجل خلقت فيه الشهوة وجعلت سكناً له ، فغير مأمون كل واحد منهما في صاحبه ، و كذلك تعليم الكتابة ربّما كانت سبباً للفتنة ، وذلك إذا علمت الكتابة كتبت إلى من تهوى، وان الكتابة عين من العيون بها يبصر الشاهد الغائب ، والخط هو آثار يدهما، وفي ذلك تعبير عن الضّمير بما لا ينطق به اللسان ، فأحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينقطع عن أسباب الفتنة تحصيناً لهن وطهارة لقلوبهن وحفظاً للغيرة .

في الكافي : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لاتعلموا نساء كم سورة يوسف ولاتقرؤ وهن إيّاها فان فيها الفتن وعلموهن سورة النور فان فيها المواعظ »

وفي حديث : قال الامام الباقر محمد بن علي عليهما السلام : « ولا يجوز لهن نزول الغرف ولاتعلم الكتابة ، ويستحب لهن تعلم المغزل وسورة النور ويكره لهن تعلم سورة يوسف عليه السلام . . . » الحديث .

ولا يخفى على من له الغيرة : ان نهي النساء عن تعلم الكتابة ليس نهياً عن حقهن بل في هذا النهي إعطاء صيانة لأنفسهن مما تصدمها الكتابة من جهة ، و توظيفهن بوظيفة عظمى لا يمكن جمعها معها ، وهي تربية البنت الطاهرة في بيتها ، وهي أكبر جهاد كالجهاد في سبيل الله تعالى ، وانها فوز للأبوين في معركة من الحياة، وان البنت هي ام ودار وأبواها فيما يكابدان من إحسان تربيتها وتأديبها وحياطتها

والصبر واليقظة لها - كأنما يحملان الأحجار على ظهريهما حجراً حجر البيتنيا تلك الدار في يوم يوم إلى عشرين سنة أو أكبر ما صحبته ، وما بقيت في بيته .

فلا ينبغي أن ينظر الأب إلى بنته إلّا على أنها بنته ثم ام أولادها ثم ام أحفاده فهي بذلك أكبر من نفسها وحقّها عليه أكبر من الحق فيه حرمتها وحرمة الانسانية معاً : والأب في ذلك يقرض الله إحساناً وحناناً ورحمة ، فحق على الله تعالى أن يوفّيه من مثلها وأن يضعف له ، والبنت ترى نفسها في بيت أهلها ضعيفة كالمنطقة والمنقطعة والعالة ، وليس لها إلّا الله تعالى ورحمة أبويها ، فان رحماها وأكرماها فوق الرحمة وسرّاها فوق الكرامة ، وقاما بحق تأديبها وتعليمها وتفقيهها في الدين وحفظا نفسها طاهرة كريمة مسرورة مؤدّبة - فقد وضعا بين يدي الله تعالى عملاً كاملاً من أعمالهما الصالحة كما وضعاه بين يدي الانسانيّة ، فاذا صارا إلى الله عزّوجلّ كان حقاً لهما أن يجدا في الدار الآخرة يميناً وشمالاً يذهبان بينهما إلى عفو الله وكرمه كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« من كان له إبنة فأدّبها فأحسن تأديبها وغذّاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة »

فهذه ثلاث لابدّ منها معاً ، ولا تجزى واحدة عن واحدة في ثواب البنت تربية عقلها وروحها وتربية جسمها وتربية إكرام وإحسان وألطاف . . .

أتمكن تربية البنت وأمّها تشتغل في المعامل والاجتماع . . . وقد ثبت من مدّة بعيدة ، واعترف بها أهل الشرق والغرب وأذنابهم : ان أكثر امهات أولاد الزنا من المشتغلات في المعامل والاجتماع ، وكثير من المحجوبات المعرضات للأنظار ، ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية للاسقاط لرأينا أضعاف ما نرى الآن حتى وصل الزمان إلى حدّ لا يقبلن البنت زوجة إلّا ينتفع بشغلهن في الاجتماع وبالعكس ، وهذا غاية الهبوط والدناءة في اجتماعنا اليوم ، والمرأة التي مستبعدة عن الاجتماع يعدونها مستبعدة عن الانسانية .

كلمات قصار حول القلم

١- قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: « عقول الفضلاء في أطراف أقلامها ».

٢- وقال الامام علي عليه السلام: « عقل الكاتب في قلمه ».

٣- وقال عليه السلام: « ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها: الهديّة والرسول والكتاب ».

٤- من أمثال الحكماء: « القلم إحدى اللسانين ».

٥- ومن كلمات الحكماء: « أربعة تعرف بأربعة: الكاتب بالكتابة، والعالم بجوابه، والحكيم بأفعاله، والحليم باحتماله ».

٦- قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « قيّدوا العلم بالكتابة ».

٧- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « ان من حق الولد على والده: أن يعلّمه الكتابة، وأن يحسن إسمه، وأن يزوّجه إذا بلغ ».

٨- وقال الامام علي عليه السلام: « عدم المعرفة بالكتابة زمانة خفيّة ».

٩- وقال عليه السلام لعبدالله بن أبي رافع كاتبه في دستور الكتابة: « إلق دواتك، وأطل جلفة قلمك وفرّق سطورك وقرمط بين حروفك فان ذلك أجدر بصباحة الخطّ ».

١٠- وقال عليه السلام: « إفسح برية قلمك وأسمك شحمته وأيمن قطّك يحمد خطّك ».

١١- وقال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: « إعلم أن القلم قد جرى بما هو كائن ».

١٢- وقال الامام عليّ عليه السلام: « إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور ».

﴿العلم وحقيقته﴾

قال الله عزوجل: «الذي علّم بالقلم علّم الانسان مالم يعلم» العلق: ٤ـ٥)
ولما جائت كلمة العلم لأوّل مرة في هذه السورة النازلة لأوّل مرة على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وقد بدأت بها البعثة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم ينبغي لنا البحث حول العلم حسب مايقتضيه مقام الاختصار: واعلم أن مادة العلم على صيغها قد وردت في القرآن الكريم نحو: «٨٥٤ مرّة، وان المراد بالعلم هيهنا هو إستعداد النفس الانسانية لادراك الحقائق والامور وإكتساب المعارف والحكم... وهذا من ميزات الانسان على غيره حتى الملائكة...

قال الله تعالى: «انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان» الأحزاب: ٧٢).

وقال: «وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لاعلم لنا إلّا ماعلّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني اعلم غيب السموات والأرض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» البقرة: ٣١ ـ ٣٣)

أقول: ان كلمة العلم تطلق على مايضاد الجهل على الاطلاق، وكثيراً ما لحق بها التخصيص في أحوال معينة، فصارت تعني مايضاد الجهل بنوع محدود من المعارف...

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام: «العلم

صبغ النفس، وليس يفوق صبغ الشيء حتى ينظف من كل دنس ».

وفى حديث القدسى : قال الله عزوجل : « يا داود! ما العلم إلّا ما حواه الصدر ».

و فـى نهج البلاغة : قال الامام على عليه السلام : « كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلّا وعاء العلم فانه يتسع به ».

وفى الشرح : هذا الكلام تحته سرّ عظيم ورمز إلى معنى شريف غامض، ومنه أخذ مثبتوا النفس الناطقة الحجّة على قولهم، ومحصول ذلك أن القوى الجسمانية يكلها ويتعبها تكرار أفاعيلها عليها كقوّة البصر يتعبها تكرار إدراك المرئيّات حتى ربّما أذهبها وأبطلها أصلاً، وكذلك قوّة السمع يتعبها تكرار الأصوات عليها، وكذلك غيرها من القوى الجسمانية، ولكنّا وجدنا القوّة العاقلة بالعكس من ذلك، فان الانسان كلّما تكرّرت عليه المعقولات ازدادت قوّته العقلية سعة وإنبساطاً وإستعداداً لادراك اموراخرى غيرما أدركته من قبل، حتى كان تكرار المعقولات عليها يشحذها ويصقلها، فهى إذن مخالفة فى هذا الحكم للقوى الجسمانية، فليست منها لأنها لو كانت منها لكان حكمها حكم واحد من أخواتها وإذا لم تكن جسمانية فهى مجرّدة وهى التى نسمّيها بالنفس الناطقة، ولما لم يكن للعلم بداية ولانهاية لم تشبع منه النفس الانسانية.

وقد اختلفت كلمات الحكماء والمتكلمين والفلاسفة والمحققين فى حقيقة العلم وتعريفه إختلافاً كثيراً لايسع ذكر جميعها مقام الاختصار، فنشير إلى أهمّها على طريق الاختصار :

١ـ من الفلاسفة من قال :« ان العلم هو إدراك الشيء على ماهو عليه ».

٢ـ ومنهم من قال : ان العلم هو معنى يوجب كون من قام به عالماً ولكن لايدرك ماهيته إلّا بالظن.

٣ـ ومنهم من قال : انه إدراك حقائق الأشياء مسموعاً ومعقولاً.

٤- ومنهم من قال : انه نور يقذفه الله في قلب من يشاء .

٥- ومنهم من قال : انه وجدان الأشياء بحقائقها أو إدراك حقائق الموجودات بما هو موجودات . . .

٦- ومنهم من قال : انه ما يوجب الوقوف على حقيقة المعلوم ، وان المعلوم إما موجود وهو الثابت العين ، ذهنياً كان أم خارجياً ، واجب الوجود كان أم ممكن الوجود ، وإما معدوم وهو المنفي العين ، ممتنع الوجود كان كشريك البارى تعالى ، أم ممكن الوجود كالمتجددات من المعدومات ، ولا واسطة بينهما - بين الموجود والمعدوم - على التحقيق لقضاء الضرورة بهذا الحصر .

٧- ومنهم من قال :ان العلم هو إنكشاف الأشياء وظهورها بين يدى العالم ، وقد سمى العلم علماً لانه علامة يهتدى به العالم إلى ماجهله الناس ، ويهدى هو الناس إلى ماجهلوا به ، فهو بمنزلة العلم - بفتح العين واللام - المنصوب على الطريق ، وان العلم - بكسر العين و سكون اللام وفتحهما - والمعلم والعلامة مآلها معنى واحد في الأصل .

٨- ومنهم من قال :انه كون الشيء نوراً لنفسه ونوراً لغيره ، فالنور الحقيقى والهوية الصرفة هو العلم .

٩- ومنهم من قال : العلم هو الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل فيكون من مقولة الكيف .

١٠- و منهم من قال : هو قبول النفس الصورة الحاصلة من الشيء فيكون من مقولة الانفعال .

١١- ومنهم من قال : هو حصول صورة الشيء في العقل ، فيكون من مقولة الاضافة .

١٢- ومنهم من قال : ان العلم هو إعتقاد بأن الشيء كذا ، وأنه لايمكن أن لايكون كذا بواسطة توجبه ، والشيء كذلك في ذاته ، وقد يقال : « علم » التصور

الماهيّة بتحديد ، والذهن هو : قوّة النفس معدّة نحو إكتساب العلم .

١٣- ومن الفلاسفة من يقول : ان العلم على قسمين : أحدهما - حصولي و هو الصورة الحاصلة من الشيء عند العقل . ثانيهما - حضوري وهو العلم الذى هو عين المعلوم لا صورته ونقشه كعلم المجرد بذاته أو بمعلومه كعلم الحق تعالى بمعلولاته وليس بتصور ولا بتصديق .

وقالوا : ان للعلم مراتب عديدة : منها جواهر ، ومن الجواهر جواهر ذهنية فان كليات الجواهر جواهر ذهنية ، ومنها جواهر خارجية مجرّدة نفسية و مجردة عقلية كعلم العقل والنفس بذاتهما . وأعلى مراتب العلم هو علم واجب الوجود بذاته جل وعلا إذ هو عين ذاته ، وهذا العلم لا يكون من باب الكيف . وان كان أدنى مراتب العلم معنى مصدرى يكون كيفية نفسية داخل في باب الكيف .

وقد اختلفوا هم في جنس العلم : هل هو كيف كما هو المشهور أو إضافة كما قال بعضهم أو إنفعال كما قال بعض الآخرين .

ومنهم من يقول : ان العلم الحصولي هو حصول صورة شيء لشيء ، والعلم الحضوري هو حضور الشيء نفسه للشيء ، وهو العلم الذى عين المعلوم الخارجي .

وقالوا : ان العلم باعتبار آخر على قسمين أيضاً : أحدهما - تفصيلي وهو العلم بالأشياء المتعددة بصورة متمايزة منفصلاً بعضها عن بعض . ثانيهما - إجمالي و هو أن يعلم تلك الأشياء بصورة واحدة لم ينفصل بعضها عن بعض ، فاذا سئلت عن عدّة مسائل احكمتها من قبل فانك تجد جواب الكل حاضراً لكنه حالة بسيطة هي خلاقة للتفاصيل ، فهذا العلم الواحد البسيط بالأجوبة إجمالي ، وإذا شرعت في التفصيل مترتباً متعاقباً ، فانك أحضرت الأجوبة في ذهنك بصورة متعددة و هذا هو العلم التفصيلي .

وقالوا : ان العلم باعتبار آخر على قسمين أيضاً : أحدهما - فعلي ، وهذا ما هو سبب المعلوم كصورة بيت تخترعها و تصنعها في المادة أو توهّمك السقوط حال كونه

على جذع عال . . . ثانيهما - إنفعالى ، وهذا ماهو المرسوم فى العقل بعد ما حصل فى الأعيان كأن المعلوم سببه ، فكانت السببية والمسببية متعاكسان فيهما.

١٤- قال أفلاطون : العلم هووقوع بصر النفس على الأشياء الكلية ، وقال : ربما اشتبه الأمر على الجاهل فتوهّم بالظان أنه عالم ، والظان هو الذى يعرف الأشياء بظواهرها ، و لذلك تتكثر عليه ، وذلك انه إذرآى شيئاً من الاشياء ثم رآى آخر وهولم يعلم ذلك لكن ظنّ انه شبهه ، وأما العالم فانه يعرف ماهية الأشياء ، ولذلك تتوحّد له الأشياء المتجانسة ، والغلط يكثر فى الظن فان صاحبه حالم لايقظان .

١٥- ومن المتكلمين من قال : ان العلم هوحقيقة التكليف أوماهيته ، وان العلم والمعرفة كمترادفين ، وان العلم يحصل بالحقائق الكلية التى تأتى عن طريق النظر بعد إكتمال العقل .

١٦- ومنهم من قال : ان العلم هوإعتقاد الشىء على ماهوبه ، فالعلم هو من جنس الاعتقاد سواء كان الاعتقاد قائماً على التقليد والصدفة والبخت أم لا ، لان المقلد والمبخت يمكن لهما إعتقاد الشىء على ماهو به دون أن يعلماه حقيقة لماذكر من أن الاعتقاد قد لايكون عن برهان وإعتقاد بل بمجرّد الاقتناع والتقليد .

وقال بعضهم : ان تحديد العلم بالاعتقاد دون تخصيصه بصفة مالايجوز لأمرين :
أحدهما - : ان الاعتقاد من جنس العلم إلّا أنه ليس علماً . ثانيهما - ان هذا التعريف لايخرج منه الاعتقاد القائم على التقليد والصدفة أوالبخت ، فالاعتقاد هو إستقرار حكم بشىء ما فى النفس عن برهان أو إقتناع أو اتباع أو تقليد ، فالعلم غير الاعتقاد وان كلاهما جنس بمفرده .

١٧- ومنهم من قال : ان العلم هوظهور أمر علمى ظهوراً يمتنع معه فى نفسه تجويز خلافه وهذا الظهور ينطبق على العلم والاعتقاد .

١٨- ومنهم من قال : ان العلم من جنس الاعتقاد و لكنه إعتقاد واقع على

وجه مخصوص فالاعتقاد متى تعلق بالشىء على ماهو به ووقع على وجه يقتضى سكون النفس إليه كان علماً ، ويتحقق هذا الوجه بفعله جل وعلا بخلق العلم الضرورى فى الانسان أو بخلقه بعد أن يقع من الانسان النظر الصحيح بالشىء أو تذكر النظر كما يصل للمنتبه من العلوم فالعلم على هذا القول : هو الاعتقاد بالشىء على ماهو به إذا وقع على وجه مخصوص .

١٩ـ ومنهم من قال : العلم هو المعنى الذى يقتضى سكون نفس العالم إلى ما يتناوله وبعبارى اخرى : هوما يقتضى سكون النفس وطمأنية القلب . والمراد بسكون النفس: التفرقة التى يجدها الواحد من بين العلم اليقينى وغيره كالتفرقة التى تحصل عن العلم القائم على المشاهدة ، وذلك الذى من غير هذا الطريق ، مثاله : أن نعتقد كون زيد فى الدار مشاهدة أو أن نعلم ذلك بخبر واحد من عامّة الناس .

فليس المقصود بالسكون هنا المعنى الحقيقى ، وإنما يعنى به معناه المجازى ويراد به الابانة والكشف والتحقق ،وأن يكون العلم بالمعلومات بمرتبة إدراكنا للمدركات من الوضوح والجلاء لان المدركات تعرف ضرورة ولا ينفك المرء عن العلم بها .

٢٠ـ ومنهم من قال : ان العلم هو إدراك النفس للحق .

٢١ـ ومنهم من قال : ان العلم هو العقل المدرك للشىء على ما هو به

وقال بعضهم : ان هذين القولين ليسا بشىء لأن العلم أشمل من الادراك حيث ان الادراك يتعلق بالمحسوسات بينما العلم قد يكون علماً بالمشاهدات الواردة عن طريق الحواس كما يكون علماً بالمبادىء والاصول وتفصيلات الامور العقلية والأخلاقية

٢٢ـ و منهم من قال : ان العلم هو إثبات الشىء على ما هو به . وقال بعضهم : هذا ليس بشىء لأمرين : أحدهما ـ ان الاثبات غير العلم فقد أثبت شيئاً و لا اعلمه . ثانيهما ـ ان قولنا : اثبات الشىء يخرج المعدومات من تعريف العلم و المعدومات امور ثابتة وإن لم تكون معلومة لنا .

٢٣- ومنهم من قال : ان العلم هو الاعتقاد الذى تسكن به النفس إلى أن معتقده على ما اعتقد عليه .

٢٤- ومنهم من قال : ان العلم هو اليقين العقلى الذى يؤخذ إما من الحسيات بعد فحص العقل عما إذا كانت قد استوفت شروط الاحساس أم لا أو من البديهيات والاوليات كعلم الانسان بوجوده و كون الاثنين أكثر من الواحد بعد إعتماد العقل سلامتها من الأوهام أو من المتواترات كعلمنا بوجود مكة وعدد الصلوات الخمس ، أو من التجربيات وإطراد العادات كعلمنا أن النار محرقة اذهى مغنية عن من جرّبها بالاضافة إلى العلوم التى تحصل عن طريق النظر .

وغيرها من الأقاويل التى تثبت العلم وتعترف به .

وأما المخالفون في إثبات العلم أصلاً وهم على طوائف ثلاث :

الاولى : السوفسطائية وهم نفاة الحقائق الذين قالوا : لاعلم ولاحقيقة .

الثانية : السمنية وهم الذين أنكروا العلم عن طريق الأخبار و قالوا : لا حقيقة لشيء من ذلك لأن طريقه الظن والحسبان .

الثالثة : وهم أصحاب التجاهل أو العنود : (نسبة إلى عند) وهم الذين زعموا أنه لاحقيقة عامة للامور ، وان كل شيء يعتقده المرء فهو على ما يعتقده أى ان العلوم شخصية وجزئية .

ومنهم من قال : ان الحواس تحكم على العقول ، ومنهم من قال : العكس ، ومنهم من جعل لكل منهما عملاً ولم يحكم بأحدهما على الآخر . ومن أصحاب النفى الذين ينفون العلم إلّا بالمشاهدات والمدركات ، فقد أثبتوا أصل العلم وجعلوه نسبياً لانهم عقلوه بمشاهدة الانسان وإدراكه ، وهم الدهريون الذين أنكروا العلم إلّا إذا قام على المشاهدة ، وان المشاهدة فى الأصل هى الادراك بالحواس ، وإذا اطلقت قصد بها البصر وإذا قيل : علم المشاهدة ، فالمراد به العلم المستند إلى الادراك بالحواس ، وحاسّة البصر على الأغلب . . .

أقول : ولا يخفى على ذى مسكة : ان النفى لا يكون إلّا بعلم سابق ، وإن شكّ أصحاب النفى في ذلك ، فان الشك إثبات لحالة من حالات العلم والاعتقاد ، ومن البديهى ان المشاهدة فقط لا تكون هى المؤدّية إلى العلم ، فالعقل يؤدّى إلى مثل ما تؤدّى إليه الحواس من العلم .

ولما اشتبه على كثير من العلماء معنى العلم بمعانى كثير من اللغات التى رأوها مترادفة للعلم ينبغى لنا أن نشير إلى ما بينها من الفروق :

١- ان الفرق بين العلم والمعرفة : ان المعرفة أخص من العلم لأنها علم بعين الشىء مفصّلاً عما سواه ، والعلم يكون مجملاً ومفصلاً ، فكل معرفة علم ، و ليس كل علم معرفة ، و ذلك ان لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره و لفظ العلم لا يفيد ذلك إلّا بضرب آخر من التخصيص فى ذكر المعلوم ، ولذلك قال اللغويون : ان العلم يتعدّى إلى مفعولين وليس لك الاقتصار على أحدهما إلّا أن يكون بمعنى المعرفة كقوله عزوجل : « لا تعلمونهم الله يعلمهم » الانفال : ٦٠) أى لا تعرفونهم الله يعرفهم .

وإنّما كان ذلك كذلك لان لفظ العلم مبهم فاذا قلت : علمت زيداً فذكرته باسمه الذى يعرفه به المخاطب لم يفد فاذا قلت قائماً أفدت لأنك دللت بذلك على أنك علمت زيداً على صفة جاز أن لا تعلمه عليها مع علمك به فى الجملة ، و إذا قلت : عرفت زيداً أفدت لانه بمنزلة قولك : علمته متميزاً من غيره فاستغنى عن قولك متميزاً من غيره لما فى لفظ المعرفة من الدلالة على ذلك والفرق بين العلم والمعرفة إنما يتبيّن فى الموضع الذى يكون فيه جملة غير مبهمة ألا ترى أن قولك : علمت أن لزيد ولداً ، وقولك : عرفت ان لزيد ولداً يجريان مجرى واحداً .

٢- ان الفرق بين العلم واليقين : ان العلم هو إعتقاد الشىء على ما هو به على سبيل الثقة ، واليقين هو سكون النفس ، وثلج الصدر بما علم ، ولهذا لا يجوز أن يوصف الله عزوجل باليقين ، و يقال : ثلج اليقين وبرد اليقين ، ولا يقال : ثلج

العلم وبرد العلم ، وقيل : الموقن العالم بالشيء بعد حيرة الشك والشاهد أنهم يجعلونه ضدّ الشك ،فيقولون : شك ويقين ، وقلّما يقال : شك وعلم فاليقين ما يزيل الشك دون غيره من أضداد العلوم . . .

ويقال إذا كان اليقين عند المصلّى أنه صلّى أربعاً فله أن يسلم ، و ليس يراد بذلك أنه إذا كان عالماً به لأن العلم لا يضاف إلى ما عند أحد إذا كان المعلوم فى نفسه على ما علم ، وإنما يضاف إعتقاد الانسان إلى ما عنده سواء كان معتقده على ما اعتقده أو لا إذا زال به شكه ، وسمّى علمنا يقيناً لأن فى وجوده إرتفاع الشك .

٣ـ ان الفرق بين العلم والشعور أن العلم هو إعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة ، والشعور علم يوصل إليه من وجه دقيق كدقّة الشعر ، و لهذا قيل للشاعر : شاعر لفطنته لدقيق المعانى ، و قيل للشعير شعيراً للشظية الدقيقة التى فى طرفه خلاف الحنطة ، ولا يقال : الله تعالى يشعر لأن الأشياء لا تدق عنه وقال بعضهم: الذّم للانسان بأنّه لا يشعر أشدّ مبالغة من ذمّه بأنه لا يعلم لأنه إذا قال :لا يشعر فكأنه أخرجه إلى معنى الحمار ، و كأنه قال : لا يعلم من وجه واضح ولا خفى و هو كقولك :لا يحسّ ، وهذا قول من يقول : إن الشعور هو أن يدرك بالمشاعر وهى الحواس كما أن الاحساس هو الادراك بالحاسة ولهذا لا يوصف الله تعالى بذلك .

٤ـ ان الفرق بين العلم والرسخ : ان الرسخ هو أن يعلم الشيء بدلائل كثيرة أو بضرورة لا يمكن إزالتها ،وأصله الثبات على أصل يتعلق به ، فيقال للشيء المستقر على الأرض : ثابت وإن لم يتعلق بها تعلقاً شديداً فلا يقال : راسخ ، فيقال : حائط ثابت ولا يقال : حائط راسخ ، ويقال : جبل راسخ لشدة تعلقه بالارض ، فالرسوخ هو كمال الثبات . قال الله تعالى : « والراسخون فى العلم » آل عمران : ٧) أى الثابتون فيه لا إضطراب لهم فيه للأدلة القاطعة والحجج البالغة والبراهين الواضحة لهم ما لم ينل بها غيرهم . فاذا علم الشيء بدليل فلا يقال : ان ذلك رسخ .

٥ـ ان الفرق بين العالم والمتحقق ان المتحقق هوالمتطلب حق المعنى حتى يدركه كقولك : تعلم أى اطلب العلم ، ولهذا لايقال : ان الله المتحقق ، و رتبة المحقق فوق رتبة العالم ، وقيل : التحقيق والتحقق لايكون إلاّ بعد شك ، تقول : تحققت ماقلته فيفيد ذلك أنك عرفته بعد شك فيه ، فرتبة التحقيق كرتبةالمعرفة فوق رتبة العلم .

٦ـ ان الفرق بين العلم والفطنة : ان الفطنة هى التنبه على المعنى،وضدّها الغفلة ورجل مغفل لافطنة له ، وهى الفطانة والفطنة ، ويقال : ان الفطنة إبتداء المعرفة من وجه غامض ، فكل فطنة علم ، و ليس كل علم فطنة ، ولما كانت الفطنة علماً بالشىء من وجه غامض فلايقال : الانسان فطن بوجودنفسه وبأن السماءفوقه.

٧ـ ان الفرق بين الفهم والعلم : ان الفهم هو العلم بمعانى الكلام عند سماعه خاصّة ولهذا يقال : فلان سيء الفهم إذا كان بطيىء الادراك لمايسمع ، و لذلك لايفهم الأعجمى كلام العربى ، و كذلك العكس ، ولايوصف الله جل و علا بالفهملأنه عالم بكل شيء على ما هو به فيمالم يزل . وقال بعض أصحاب المعانى : إن الفهم لايستعمل إلاّ فى الكلام إذ تقول : فهمت كلامه ، ولا تقول : فهمت إيابه وذهابه كما تقول : علمت ذلك . وقال بعضهم : انّ الفهم فى الكلام وغيره من البيان كالاشارة لانك تقول : فهمت ماقلت وفهمت ما أشرت بهإلىّ . وقال الآخرون : يستعمل الفهم فى الاشارة تجرى مجرى الكلام فى الدلالةعلى المعنى .

٨ـ الفرق بين العلم والفقه : ان الفقه هوالعلم بمقتضى الكلام على تأمّله ، ولهذا لايقال : ان الله تعالى فقيهلأنه لا يوصف بالتأمل ، و تقول لمن تخاطبه : تفقّه ما أقوله أى تأمّل فيه لتعرفه ، وقد سمى علم الشريعة والاحكام فقهاً لأنها تبتنى على معرفة كلام الله تعالى و كلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و كلام أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين ، فكل من كان لايبتنى حكمه على هذا الكلام فهوليس بفقيه و قد

ورد صحيحاً : « رب حامل فقه ليس بفقيه »

ولايستعمل الفقه إلاّعلى معنى الكلام ، و منه قـوله عزوجل : « لايكادون يفقهون حديثاً » النساء : ٧٨) وقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : « يفقهوا قولي» طه : ٢٨)

واماقوله عزوجل: «وإن من شيء إلاّيسبّح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم» الاسراء : ٤٤) فانه لماأوتي بلفظ التسبيح الذى هو قول ، ذكر الفقه ، كقوله جل وعلا : « سنفرغ لكم » عقب قوله : « كل يوم هو في شأن » الرحمن : ٢٩ ـ ٣١)

٩ـ ان الفرق بين العالم والعليم : أن قولنا : « عالم » دالّ على معلـوم لانه من علمت وهومتعدّ، وليس قولنا : « عليم »جارياً على علمية فهولايتعدّى ،وإنما يفيد أنه إن صحّ معلوم ، علمه كما أن صفة سميع تفيد أنه إن صحّ مسموع سمعه ، والسامع يقتضى مسموعاً ، وإنما يوصف الانسان وغيره سميعاً إذا لم يكن أصم ، و بصيراً إذالم يكن أعمى ، ولايقتضى ذلك مبصراً ولامسموعاً ، لأنه يوصف بصيراً و إن كان مغمضاً، وسميعاًوإن لم يكن بحضرته صوت يسمعه ، فالعالم والعليم كالسامع والسميع صفتان يفيد كل واحد منهما مالايفيده الآخر ، وقد يجيء السميع بمعنى السامع والعليم بمعنى العالم .

١٠ـ ان الفرق بين العلم والادراك:أن الادراك موقوف على أشياء مخصوصة، وليس العلم كذلك ، والادراك يتناول الشيء على أخصّ أوصافه ، و على الجملة ، والعلم يقع بالمعدوم ولايدرك إلاّ الموجود ، والادراك طريق من طرق العلم،ولهذا لم يجزأن يقوى العلم بغير المدرك قوته بالمدرك ألاترى الانسان لاينسى ما يراه في الحال كماينسى مارآه قبل .

١١ـ ان الفرق بين العلم والحسّ: أن الحسّ هوأوّل العلم و منه قـوله تعالى : « فلما أحسّ عيسى منهم الكفر» آل عمران : ٥٢) أي علمه في أوّل وهلة،

ولهذا لايقال : إن الانسان يحس بوجود نفسه ، ولايخفى ان تسمية العلم حساً و إحساساً مجاز ويسمّى بذلك لأنه يقع مع الاحساس ، والاحساس من قبيل الادراك والآلات التى يدرك بها حواس كالعين والاذن والأنف والفم ، والقلب ليس من الحواس لأن العلم الذى يختص به ليس بادراك ، وإذا لم يكن العلم إدراكاً لم يكن محلّه حاسّة ، وسميت الحاسة حاسة على النسب لاعلى الفعل لأنه لا يقال : منه حسست ، وإنما يقال : أحسستهم إذا أبدتهم قتلاً مستأصلاً ، وحقيقته أنك تأتى على إحساسهم فلاتبقى لهم حساً .

١٢ـ ان الفرق بين العلم والبصيرة : أن البصيرة هى تكامل العلم والمعرفة بالشىء و لهذا لايسمى البارى تعالى بصيرة إذ لايتكامل علم أحد بعظمته و سلطانه.

١٣ـ ان الفرق بين العلم والدراية : ان الدراية بمعنى الفهم ، و هو لنفى السهو والغفلة عما يرد على الانسان فيدريه أى يفهمه ويعرفه و فى الدراية فطانة ليست هى فى العلم ولهذا لايتصف بها الله تعالى . و ان الانسان إذا سئل عما لا يدرى يقول : لاأدرى أى لاأعلم ما جواب مسئلتك ، وإذاقال : لا أفهم أى لاأفهم سئوالك . فالدراية علم يشتمل على المعلوم من جميع وجوهه ، وذلك ان الفعالة للاشتمال كالعصابة والعمامة والقلادة ، ولذلك جاء أكثر أسماء الصناعات على فعالة نحو القصارة والخياطة ، و مثل ذلك العبارة لاشتمالها على ما فيها فالدراية تفيد مالايفيده العلم من هذا الوجه ، والفعالة أيضاً تكون للاستيلاء كالخلافة والامارة فيجوز أن تكون بمعنى الاستيلاء فتفارق العلم من هذه الجهة .

١٤ ـ ان الفرق بين العلم والاعتقاد : أن الاعتقاد هو إسم لجنس الفعل على أى وجه وقع إعتقاده ، والأصل فيه أنه مشبه بعقد الحبل والخيط ، فالعالم بالشىء على ما هو به كالعاقد المحكم لما عقده ، و مثل ذلك تسميتهم العلم بالشىء حفظاً له ، ولا يوجب ذلك أن يكون كل عالم معتقداً لأن إسم الاعتقاد اجرى على العلم مجازاً ، و حقيقة العالم هو من يصح منه فعل ما علمه متيقناً إذا كان قادراً

عليه .

١٥- ان الفرق بين العلم والحفظ : ان الحفظ هو العلم بالمسموعات دون غيره من المعلومات فلايقال : حفظ فلان أن زيداً في الدار . و إنما يستعمل ذلك في الكلام ولايقال للعلم بالمشاهدات حفظ ،وقد يقال : ان الحفظ هو العلم بالشيء حالاً بعد حال من غير أن يخلّله جهل أو نسيان ، و لهذا سمي حفّاظ القرآن الكريم حفاظاً ولايوصف الله تعالى بالحفظ لذلك .

١٦- ان الفرق بين العلم والذكر : أن الذكر وإن كان ضرباً من العلم، فانه لايسمى ذكراً إلّا إذا وقع بعد النسيان ،وأكثرمايكون في العلم الضرورية ولا يوصف الله به لانه لايوصف بالنسيان .و قيل : ان الذكر يضادالسهو و العلم يضاد الجهل ،وقديجمع الذكر للشيء والجهل به من وجه واحد .

١٧- ان الفرق بين العلم والخبر: أن الخبر هو العلم بكنه المعلومات على حقائقها ففيه معنى زائد على العلم ، فاذا قلت : خبرت الشيء : إذا عرفت حقيقة خبره .ومنه الخبير،فيستعمل في معرفة كنهالشيء وحقيته مبالغة مثل عليم وقدير .

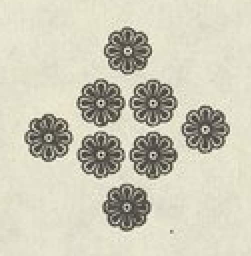
١٨- ان الفرق بين العلم والتبيين : أن العلم هو إعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة كان ذلك بعد لبس أو لا ، والتبيين علم يقع بالشيء بعد لبس فقط ولهذا لايقال : تبينت أن السماء فوقي كماتقول : علمتهافوقي،ولايقال لله جل وعلا : متبين لذلك.

١٩- ان الفرق بين العلم والشهادة : إن الشهادة أخصّ من العلم ،وذلك انها علم بوجود الأشياء لامن قبل غيرها ،والشاهدنقيض الغائب في المعنى،ولهذا سمي ما يدرك بالحواس و يعلم ضرورة شاهداً ،وسمي ما يعلم بشيء غيره وهو الدلالة غائباً كالحياة والقدرة ، وسمّي القديم شاهداً لكل نجوى لأنه يعلم جميع الموجودات بذاته فالشهادة علم يتناول الموجود ،والعلم يتناول الموجود والمعلوم .

٢٠-ان الفرق بين العلم والتقليد : أن العلم هو إعتقاد الشيء على ماهو به

على سبيل الثقة ،والتقليد قبول الأمر ممن لا يؤمن عليه الغلط بلا حجة فهو وإن وقع معتقده على ماهو به ،فليس بعلم لأنه لا ثقة معه . من قلدته الأمانة : ألزمته إياها فلزمته لزوم القلادة للعنق .

٢١-ان الفرق بين العلم والظن : ان المظنون قد يكون على خلاف ما ظنه الظان ولا يحققه ،والعلم يحقق المعلوم .



﴿ فضل طلب العلم وفرضه ﴾

قال الله جل وعلا : «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب » الزمر:٩)

كفاك أيها المسلم في فضل العلم هذه الآية الكريمة في الدين الاسلامى ، و حثّك على طلبه ،وفرضه عليك.

وقال الله تعالى : «قل احلّ لكم الطيبات وما علّمتم من الجوارح مكلّبين تعلّمونهن مما علّمكم الله » المائدة : ٤) و في الاية الكريمة دلالة قاطعة على أن للعالم فضيلة ليست للجاهل وذلك ان الكلب إذاعلّم تحصل له فضيلة على غيرالمعلّم فالانسان أولى بذلك لاسيّما إذا عمل بما علم ، وقد قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام : « لكل شيء قيمة وقيمة المرء ما يحسنه» قال السيد الرضى رضوان الله تعالى عليه : «وهذه الكلمة هى التى لاتصاب لها قيمة ولاتوزن بها حكمة ولاتقرن إليها كلمة ».

وقال الامام على عليه السلام : « لاشرف كالعلم » وذلك ان أشرف الأشياء العلم لانه خاصّة الانسان وبه يقع الفضل بينه وبين سائر الحيوان .

ومن فضيلة العلم أنك لاتستطيع أن يخدمك فيه أحد ، كما يخدمك فى سائر الأشياء ، وإنما تخدمه بنفسك ، ولا يستطيع أحد أن يسلبك إياه كما يسلبك غيره من القنيات . . .

وقد وردت فى المقام روايات كثيرة عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله

عليهم أجمعين نشير إلى مايسعه المقام :

١ـ في تحف العقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « فضل العلم أحب إلي من فضل العبادة وأفضل دينكم الورع »

٢ـ وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أربعة تلزم كل ذي حجى و عقل من امتي ، قيل : يا رسول الله ماهن؟ قال : إستماع العلم وحفظه ونشره والعمل به »

٣ـ وفيه : قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « أيها الناس إعلموا ان كمال الدين طلب العلم والعمل به ، وان طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال ، ان المال مقسوم بينكم ، مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم و ضمنه سيفي لكم به ، والعلم مخزون عليكم عند أهله قد أمرتم بطلبه منهم ، فاطلبوه واعلموا أن كثرة المال مفسدة للدين مقساة للقلوب ، وان كثرة العلم والعمل به مصلحة للدين سبب إلى الجنة ، والنفقات تنقص المال ، والعلم يزكو على انفاقه ،فانفاقه بثه إلى حفظته ورواته .

واعلموا أن صحبة العلم واتباعه دين يدان الله به ، وطاعته مكسبة للحسنات ممحاة للسيئات وذخيرة للمؤمنين ، ورفعة في حياتهم وجميل الاحدوثة عنهم بعد موتهم ، ان العلم ذو فضائل كثيرة فرأسه : التواضع ، وعينه : البرائة من الحسد ،و اذنه : الفهم ، ولسانه : الصدق ، وحفظه : الفحص ، وقلبه : حسن النية ، و عقله : معرفة الأسباب بالامور ، ويده :الرحمة وهمته : السلامة ، ورجله : زيارة العلماء، وحكمته : الورع، ومستقره : النجاة ، وقائده : العافية ، ومركبه : الوفاء وسلاحه لين الكلام ، وسيفه :الرضى، وقوسه : المداراة ، وجيشه : محاورة العلماء ، وماله: الأدب ، وذخيرته : إجتناب الذنوب ، وزاده : المعروف ، ومأواه : الموادعة ، و دليله : الهدى ، ورفيقه : صحبة الأخيار »

٤ـ في الكافي باسناده عن عبدالرحمن بن زيد عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إن الله يحب

بغاة العلم »

٥- في روضة الواعظين : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم »

٦- وفيه : قال أمير المؤمنين عليه السلام : « الشاخص في طلب العلم كالمجاهد في سبيل الله ان طلب العلم فريضة على كل مسلم »

٧- وفيه : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من تعلّم باباً من العلم عمّن يثق به كان أفضل من أن يصلّي ألف ركعة »

٨- في بصائر الدرجات : باسناده عن عيسى بن عبدالله العمري عن أبي عبدالله عليه السلام قال « طلب العلم فريضة في كل حال »

٩- وفيه : مرفوعاً : « طلب العلم فريضة من فرائض الله »

١٠- في أمالي إبن الشيخ الطوسي باسناده عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث - : « فاطلبوا العلم فانه السبب بينكم وبين الله عزوجل ،و ان طلب العلم لفريضة على كل مسلم »

١١- وفيه باسناده عن علي عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :«طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم من مظانّه واقتبسوه من أهله . . . » الحديث .

١٢- في مجمع البيان : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، فاطلبوا العلم من مظانه »

١٣- في الدعائم : قال الامام علي عليه السلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم (ومسلمة خ) »

١٤- في العلل باسناده عن عبد المؤمن الأنصاري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام :ان قوماً رووا (يروون خ) ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : إختلاف امتي رحمة؟ فقال : صدقوا قلت : إن كان إختلافهم رحمة فاجتماعهم عذاب ؟ قال : ليس حيث

تذهب ، وذهبوا إنما أراد قول الله عزوجل « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » فأمرهم أن ينفروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يختلفوا إليه فيتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم فيعلموهم إنما أراد إختلافهم من البلدان لا اختلافاً في دين الله ، إنما الدين واحد » .

١٥- في لب الألباب لقطب الدين الراوندى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « سارعوا في طلب العلم فلحديث صادق خير مما طلعت عليه الشمس والقمر »

١٦- قال الامام الخامس محمد بن علي الباقر عليه السلام : « سارعوا في طلب العلم فوالذى نفسي بيده لحديث واحد في حلال وحرام تأخذه عن صادق خير من الدنيا وما حملت من ذهب وفضة »

١٧- في المحاسن باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لي : ياجابر و الله لحديث تصيبه من صادق في حلال و حرام خير لك مما طلعت عليه الشمس حتى تغرب »

١٨- في وسائل الشيعة بالاسناد عن داود بن سليمان عن الرضا عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من حفظ على امتي أربعين حديثاً ينتفعون بها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً »

١٩- في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « من حفظ من شيعتنا أربعين حديثاً بعثه الله عزوجل يوم القيامة فقيهاً عالماً ولم يعذّبه »

٢٠- في الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة »

٢١- في العيون باسناده عن الرضا علي بن موسى عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم ارحم خلفائي - ثلاث مرات - فقيل له : يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال : الذين يأتون من بعدي و يروون عني أحاديثي و سنتي

فيعلمونها الناس من بعدى »

٢٢- في الخصال باسناده عن الفضيل بن سيار قال : قال لى أبوجعفر عليه السلام : يافضيل ان حديثنا يحيى القلوب .

٢٣- وفيه : عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من حفظ عنى من امتى أربعين حديثاً في أمر دينه يريد به وجه الله و الدار الآخرة بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً »

٢٤- وفيه باسناده عن إسمعيل بن الفضل الهاشمى و إسمعيل بن أبى زياد جميعاً عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصى إلى أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام وكان فيما أوصى به أن قال له : « ياعلىّ من حفظ من امتى أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله والدار الآخرة حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً » فقال على عليه السلام : أخبرنى ماهذه الأحاديث ؟ فقال : « أن تؤمن بالله وحده لاشريك له وتعبده، ولا تعبدغيره و تقيم الصلاة بوضوء سابغ في مواقيتها ، ولاتؤخرها فان تأخيرها من غيرعلّة غضب الله عز وجلّ ،وتؤدّى الزكاة ،وتصوم شهر رمضان ،وتحجّ البيت إذا كان لك مال كنت مستطيعاً ،وأن لاتعقّ والديك،ولاتأكل مال اليتيم ظلماً ، ولاتأكل الربا ،ولاتشرب الخمر ولاشيئاً من الأشربة المسكرة، ولاتزنى ولاتلوط ، ولاتمشى بالنميمة ولاتحلف بالله كاذباً ولاتسرق ولاتشهد شهادة الزور لأحد قريباً كان أو بعيداً .

وأن تقبل الحق ممن جاء به صغيراً كان أو كبيراً ،وأن لاتركن إلى ظالم وإن كان حميماً قريباً ،وأن لاتعمل بالهوى ولاتقذف المحصنة ولاترائى فان أيسر الرياء شرك بالله عزّ وجلّ ، وأن لاتقول لقصير: ياقصير ولالطويل : ياطويل ، تريد بذلك عيبه ،وأن لاتسخر من أحد من خلق الله ،وأن تصبر على البلاء والمصيبة ، وأن تشكر نعم الله التى أنعم بها عليك،وأن لاتأمن عقاب الله على ذنب تصيبه ،وأن لاتقنط من رحمة الله ، وأن تتوب إلى الله عزوجل من ذنوبك، فان التائب من

ذنوبه كمن لاذنب له ، وأن لاتصرّ على الذنوب مع الاستغفار فتكون كالمستهزىء بالله وآياته ورسله ، وأن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأنّ ما أخطأك لم لم يكن ليصيبك ، وأن لا تطلب سخط الخالق برضى المخلوق وأن لاتؤثر الدنيا على الآخرة ، لأن الدنيا فانية والآخرة باقية ، و أن لا تبخل على إخوانك بما تقدر عليه ، وأن تكون سريرتك كعلانيتك ، وأن لاتكون علانيتك حسنة و سريرتك قبيحة .

فان فعلت ذلك كنت من المنافقين ، وأن لاتكذب ولا تخالط الكذّابين، وأن لاتغضب إذا سمعت حقاً ، وأن تؤدّب نفسك وأهلك وولدك و جيرانك على حسب الطاقة ، وأن تعمل بما علمت ، ولاتعاملنّ أحداً من خلق الله عزّ وجل إلّا بالحق ، وأن تكون سهلاً للقريب والبعيد ، وأن لاتكون جبّاراً عنيداً ، و أن تكثر من التسبيح والتهليل والدعاء وذكر الموت ، ومابعده من القيامة والجنّة والنار ، و أن تكثر من قراءة القرآن وتعمل بما فيه و أن تستغنم البر والكرامة بالمؤمنين والمؤمنات ، وأن تنظر إلى كل مالاترضى فعله لنفسك ، فلاتفعله بأحد من المؤمنين، ولاتملّ من فعل الخير، ولا تثقل على أحد ، ولاتمنّ على أحد إذا أنعمت عليه ، و أن تكون الدنيا عندك سجناً حتى يجعل الله لك جنّة .

فهذه أربعون حديثاً من استقام عليها وحفظها عنّي من امتي دخل الجنة برحمة الله وكان من افضل الناس وأحبّهم إلى الله عزوجل بعد النبيين والصديقين و حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين وحشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً »

٢٦- في رواية : عن النبي الكريم ﷺ « انه كان يحدث إنساناً فأوحى الله تعالى إليه : انه لم يبق من عمر هذا الرجل الذى تحدثه إلّا ساعة ، وكان هذا وقت العصر فأخبره الرسول ﷺ بذلك فاضطرب الرجل وقال : يا رسول الله دلّني على أوفق عمل في هذه الساعة قال ﷺ : إشتغل بالتعلم فاشتغل بالتعلم و

قبض قبل المغرب »

ولايخفى على القارىء الخبير: انه لو كان شيء أفضل من العلم لأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم به في ذلك الوقت .

وقد ورد في المقام بعض الكلام ينبغي ذكره :

يقال : ان من كلام أردشير بن بابك في رسالته إلى أبناء الملوك: بحسبكم دلالة على فضل العلم انه ممدوح بكل لسان ، يتزيّن به غير أهله ، ويدّعيه من لا يلصق به . قال : وبحسبكم دلالة على عيب الجهل أن كل أحد ينتفي منه ويغضب أن يسمّى به .

و قيل لأنوشروان : مابالكم لاتستفيدون من العلم شيئاً إلّا زادكم ذلك عليه حرصاً ؟ قال :لأنالا نستفيد منه شيئاً إلّا ازددنا به رفعة و عزّاً . وقيل له: مابالكم لاتأنفون من التعلم من كل أحد ؟قال : لعلمنابأنّ العلم نافع من حيث أحد .

وقيل لبزرجمهر: بمَ أدركت من العلم ؟ قال ببكور كبكور الغراب وحرص كحرص الخنزير، وصبر كصبر الحمار.

وقيل له : العلم أفضل أم المال ؟ فقال : العلم،قيل:فمابالنا نرى أهل العلم على أبواب أهل المال أكثر مما نرى أصحاب الأموال على أبواب العلماء ! قال : ذاك أيضاً عائد إلى العلم والجهل ، وإنّما كان كما رأيتم لعلم العلماء بالحاجة إلى المال ، و جهل أصحاب المال بفضيلة العلم .

وحقاً : ان الاسلام مادعا أبنائه إلى شيء ولاحثهم على الاهتمام به والحرص عليه وبذل الجهد والعمر في سبيله بعد التربية كدعوته إياهم لطلب العلم وتحصيله والاستزادة منه حتى ان الانسان الذي يتابع إهتمامات الاسلام بالعلم ويستقرىء موارد الحث على طلبه يقتنع بأن الاسلام يريد أن يجعل من الحياة مدرسة دؤوبة ينفق فيها العمر كله من أجل العلم وتحصيله ، وقد عبّر رسول الاسلام محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الهدف السامي والاتجاه العلمي في الدين الاسلامي بقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

« أيها الناس إعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به » .

وذلك لان يؤ كّد أن العلم فى نظر الاسلام أقدس شيء يطلب ، وأكرم حقيقة في هذا الوجود لابد منها لكل إنسان ، بل ان الوجود كله معرفة و علم فى نظر الاسلام والادراك البشرى أداة لاستيعاب كل محتوى هذا الوجود العلمى الضخم و بالعلم تكتمل إنسانية الانسان ، ويدرك مغزى الحياة اللائق للانسان ، و يستثمر كل شيء في هذا الوجود لصالحه وفق منطق العلم وغاياته . . .

وبالجهل تموت الانسانية وتنحطّ إلى مستوى الحيوانية وحياة الغاب والحالة التي هذه لاتدرك لهذا العالم معنى، ولاتعرف للحياة قيمة أكثر من معرفة الحيوان للذة والنزوة والألم و إحساسه بالجوع والشبع . . . و إنما الاسلام الذى دعا إلى تكريم الانسان واستهدف الحفاظ على إنسانيته يستنكر هذا المستوى المتردى من العيش والأهداف ، و يقاوم الجهل . . . بكل قوة ووسيلة مستطاعة ، فأنوار الاسلام أشرقت فى دنيا الانسان لتضيء للبشرية طريق الحياة و تبعث فيها روح الوعى والتفكر لاحياءِ إنسانيتها ، والأخذ بيدها إلى معرفة السّر الكامن خلف وجودها .

ولايمكن للاسلام أن يحقق هذه الأهداف السامية أو يأخذ بيد الانسان تجاهها وهو يعيش فى ظلمات الجهل، وينساق إلى مهاوى الضلالة والشقاء والحرمان، بعيداً عن إكتشاف هذه الحقيقة والانتفاع بها ، فالجاهل لا يستطيع أن يستثمر خيرات الوجود، ولايعرف كيف يعيش فى هذه الحياة ، ولايمكنه التوصل إلى معرفة الحق ، ولايتمكن من اكتشاف علاقته بخالقه ، ولايعرف كيف يتوجه إليه: « إنما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر : ٢٨)

وبالتالى لايستطيع أن يكون لنفسه رؤية سليمة عن الكون والحياة أو يحدّد العلاقة بهما و لذلك خصّص الاسلام جانباً كبيراً من دعوته التغييرية العظمى ، ورسالته الالهية الخالدة للحث على طلب العلم ، و تعظيم العلماء و ذمّ

الجهل والدعوة إلى تعليم الجهّال ، فأوّل شيء إستأثر باهتمام الاسلام هو الحثّ على طلب العلم والاستزادة منه لانه الطريق إلى معرفة الله جل وعلا والسبيل الموصل إليه ، ولذلك خاطب القرآن الكريم نبيه العظيم فيأوّل سورة نزلت :

« إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذى علّم بالقلم علّم الانسان مالم يعلم » العلق : ١ ـ ٥)

ليجعل العلم مفتاح دعوته وعنوان رسالته ، ثم تتابعت الآيات و توالى الحثّ و اثير الاهتمام بالعلم والتوجه إلى طلبه والاهتمام به ، فبعث الاسلام بذلك روحاً علمية نشطة ، وأحدث حركة فكرية يقظة لم تشهد لها البشرية من مثيل، فشملت علوم الدين والفلسفة والطبيعة والطب والفلك والرياضيات والحيوان والنبات والتأريخ والجغرافية والنفس والفن والأدب . . . فكانت بداية للنهضة الانسانية ، ومنطلقاً للتفكير العلمى البناء بماحوت من دقة المنهج ، وسعة الشمول وعمق البحث ، فانتقلت من محيطها الاسلامى الام إلى اوروباعن طريق الاندلس وصقليا ، والحروب الصليبية والبعثات الاوروبية ، والتى وفدت للتعلم فى بلاد المسلمين ، فأكمل الاوروبيون بناءهم العلمى على أساسها وشادوا نهضتهم العلمية على قواعدها ، فتطورت على أيديهم الصناعات والاكتشافات والنظريات التى استمدّوا اصولها ، وطرق تفكيرها ، وقواعدها الأساسية الناضجة من ثمار عقولنا ونتاج علمائنا ومفكرينا .

وقدكانوا من قبل يغطون فى جهل عميق ، ويعانون إنحطاطاً فكرياً رهيباً وتحجّراً ذهنياً مميتاً ، فرضته عليهم الكنيسة ورهبانها الذين حرموا العلم و البحث العلمى ، وطاردوا العلماء و أقاموا المحاكم لتتبعهم واعدامهم و حرقهم أحياء . . . وعملت الكنيسة بكل جهودها ومساعيها على تجهيل الشعوب المسيحية ، وشدّها إلى عصور الجهل والانحطاط والخرافة ، لولا أن هذه الشعوب إحتكت بتيار الفكر الاسلامى ، واستقبلت أنواره الساطعة فانتصر الاسلام فياوروبا بجيشه

العلمي وسلاحه الذي يقدس الفكر والعقل كما انتصر بعلمه وعقيدته وحضارته في بقية شعوب الأرض ، فقبلت اوروبا العلم من المسلمين ، ورفضت الدين ، فكان لهذا الفصل الجاهلي الذي مارسته اوروبا بين العلم والاسلام ، أثره السيّئ على حياة البشرية وسعادتها . . . فاوروبا عندما احتكت وتفاعلت مع العالم الاسلامي الذي حمل إليها رسالته وعقيدته ومبادئه وعلومه ودعوته ، رفضت الاسلام وقاومته بعد أن اقتبست العلوم واكتسبتها .

وعندما عملت اوروبا ذلك لجأت إلى إنشاء حضارة جاهلية كانت شرورها وأخطارها لاتقل خطراً عن شرور الجهل والانحطاط الفكري الذي عانت منه الانسانية في عصورما قبل بزوغ شمس الاسلام ، ويشهد كثيرمن مؤرخي الغرب والعالم بفضل الاسلام على المدنية والنهضة العلمية الحديثة ، فلقد كانت اوروبا بزعامة الكنيسة تحارب العلم والمعرفة حتى انها اعدمت في بداية النهضة العلمية في اوروبا آلافاً من العلماء والباحثين والمفكرين والمعارضين لموقف الكنيسة من العلم ، وقدتمّ احراق الكثيرمنهم في النارلأنهم إشتغلوا بالعلوم الطبيعية،وخالفوا نظريات الكنيسة الخرافية عن الكون والطبيعية والفلك والتأريخ والجغرافية .

وهذا ماجعل الحضارة المادية الحديثة تجارب الدين والايمان نتيجة لموقف الكنيسة السيىء الذي صور للاوربين ان الدين يعادي العلم في حين أن العقل الكنسي المتحجر هو الذي يعادي العلم ، ويحارب العقل العلمي المستنير، وما الدين والعلم الاصنوان لايفترقان ، وحليفان لايختلفان ، وهذا ماحققه الاسلام دعوة وعملاً ، وفقد حفل القرآن الكريم بالعديد من الآيات الداعية إلى التأمل و طلب العلم و تكريم العلماء . . .

قال الله عزوجل: « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات» المجادلة : ١١)

وقال : « وقل رب زدني علماً » طه : ١١٤)

وقال : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر اولو الألباب » الزمر:٩)

وكما حث القرآن الكريم على طلب العلم ونادى بتكريم العلماء تعرض كذلك للجهل والجهال بالذم والتنديد إذقال : « قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » البقرة : ٦٧)

وقال : « إنى أعظك أن تكون من الجاهلين » هود : ٤٦)

وبعد أن أوضح القرآن الكريم موقفه من العلم والجهل جاء دور السنة النبوية فكانت حافلة بالنصوص والتوجيهات الداعية إلى طلب العلم وربطه بالايمان لان العلم هو الأداة الفعالة فى فتح آفات العقل والنفس وصقل مواهب الشخصية الانسانية وتنمية مستوى وعيها وإدراكها لحقائق الكون والحياة والدين .



﴿فضيلة العلم والعالم﴾

ومن البديهي : أن فضيلة العلم وإرتفاع درجة العالم وعلوّ رتبته أمر نفسي كنورانية النور لاتحتاج إلى دليل خارجي ولكن لماوردت الأدلة العقلية والنقلية تقريراً لفضل العلم وجلالة العالم نكتفي بذكرمايسعه المقام :

ومن العقلية : ان المعقولات تنقسم إلى موجود ومعدوم ، ومن الضرورة ان الشرف للموجود ، و ان الموجود على ضربين : جماد ونام ، و من غيرمراء : أن النامي أشرف ثم النامي على قسمين : حسّاس وغيره ، ولاريب أن الحساس أشرف ، ثم الحساس ينقسم إلى عاقل وغيرعاقل ، ومن البديهي ان العاقل أشرف ، ثم العاقل ينقسم إلى عالم و جاهل ، ولا ريب ان العالم أشرف حتى عند الجاهل ، فالعالم حينئذ أشرف المعقولات . . .

وأما النقلية فأوّلها أوّل مانزل من القرآن الكريم : « إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذى علّم بالقلم علّم الانسان مالم يعلم » العلق : ١ ـ ٥)

فبدأ الوحى السماوى على محمّد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بأول العلم وهو القراءة: آمراًبها : « إقرأ » ثم ذكر نعمة الايجاد : « خلق خلق الانسان » تنبيهاً على أن غرض الايجاد هو العلم والمعرفة كما قال جل وعلا : « وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون » الذاريات : ٥٦) أى ليعرفون : فلو كان لنعمة الايجاد غرض غير المعرفة والعلم لذكره الله تعالى -

كيف لاوقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بزيادته : « وقل رب زدني علماً » طه : ١١٤) ؟

وقال : « الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً » الطلاق :١٢)

فجعل الله عزوجل العلم علّة لخلق العالم العلوى والسفلى طراً وكفى بذلك جلالة وفخراً . . .

واعلم أن الآيات القرآنية والروايات الواردة فى فضل العلم ، وفضيلة العالم على مالايسع مقام الاختصار بذكر جميعها ، ولكن الميسور لايترك بالمعسور :

قال الله عزوجل : « شهد الله أنه لاإله إلاّهو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط » آل عمران : ١٨)

فتدبّر أيها القارىء الخبير فى الآية الكريمة كيف بدأ جل وعلا بذاته المقدسة ، وثنى بالملائكة ، وثلّث بأهل العلم ؟ وناهيك بهذا فضلاً وشرفاً ، ونبلاً و جلاء ...

وقال : « قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » الرعد :٤٣)

وقال : « يرفع الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » المجادلة:١١)

عن إبن عباس : « للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمأة درجة مابين الدرجتين مسيرة خمسمأة عام »

وقال عزوجل : « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به » النمل:٤٠) وفى الآية الكريمة تنبيه على أنه إقتدر بقوّة العلم .

وقال : « وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً » القصص : ٨) وفيها دلالة على أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم .

و قال : « وتلك الأمثال نضربها للناس و مايعقلها إلاّ العالمون » العنكبوت : ٤٣)

وقال : « ولوردّوه إلى الرسول وإلى اولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه

منهم » النساء : ٨٣) ردّ حكمه في الوقائع إلى إستنباطهم ، وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله جل وعلا .

وقال تعالى ممتناً على الانسان بعد إعطاء الوجود له : « خلق الانسان علّمه البيان » الرحمن : ٣-٤)

وغيرها من الايات الكريمة في فضيلة العلم و فضل العالم . . . وأما الروايات الواردة :

فمنها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده »

ومنها : قال النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « يستغفر للعالم ما في السموات والأرض » وأيّ منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض والبحار والجبال والسحاب والطيور والسماك . . . بالاستغفار له .

ومنها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً، وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك » وقد نبّه بهذا على ثمراته في الحياة الدنيا ومعلوم أن الآخرة خير وأبقى .

ومنها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خصلتان لا تجتمعان في منافق : حسن سمت وفقه في الدين » ولا ريب في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان ، فانه ما أراد به الفقه الذى ظننته ، وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا ، وهذه المعرفة إذا صدقت وغلبت عليه برىء بها من النفاق والرياء . .

ومنها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أفضل الناس المؤمن العالم الذى إن احتيج إليه نفع وإن استغنى عنه أغنى نفسه »

ومنها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم »

ومنها : قال الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد:

أما أهل العلم فدلّوا الناس على ما جائت به الرسل ، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جائت به الرسل »

ومنها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من تفقه في دين الله عزوجل كفاه الله تعالى ما أهمّه ورزقه من حيث لايحتسب » .

ومنها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أوحى الله عزوجل إلى إبراهيم عليه السلام : يا ابراهيم إنى عليم أحبّ كل عليم » .

ومنها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا أتى عليّ يوم لاأزداد فيه علماً يقرّبني إلى الله عزوجل فلابورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » .

ومنها: وقد ورد : قيل : يا رسول الله أيّ الأعمال أفضل ؟ فقال : العلم بالله عزوجل ، فقيل : أيّ العلم تريد ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : العلم بالله سبحانه ، فقيل له : نسئل عن العمل وتجيب عن العلم ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ان قليل العمل ينفع مع العلم بالله ، وان كثير العمل لاينفع مع الجهل بالله » والمراد بالعلم بالله تعالى هو المعرفة به جل وعلا وقدرته المطلقة وعلمه الشامل و تدبيره التام وحكمته البالغة . . .

وقد أنشد الامام علي عليه السلام :

ما الفخر إلّا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حياً به أبداً	الناس موتى و أهل العلم أحياء

وقد قال أبو الأسود : ليس شيء أعزّ من العلم : الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك . وقال إبن عباس : خيّر سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك ، فاختار العلم فاعطى المال والملك معه .

و سئل إبن المبارك : من الناس ؟ فقال : العلماء قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهّاد قيل : فمن السفلة؟ قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميّز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم ، فالانسان

إنسان بما هو شريف لأجله ، وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل أقوى منه ، ولا بعظمه فان الفيل أعظم منه ، ولابشجاعته فان السبع أشجع منه ، ولا بأكله فان الثور أوسع بطناً منه ، ولاليجامع فان أخس العصافير أقوي علي الفساد منه ، بل لم يخلق إلا للعلم .

وعن بعض العلماء : ليت شعرى أى شيء أدرك من فاته العلم ؟ وأى شيء فاته من أدرك العلم ؟

ومنها : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من اوتى القرآن فرآى أن أحداً اوتى خيراً منه فقد حقر ماعظم الله تعالى » .

قال الله تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً ومايذكر إلا اولوا الألباب » البقرة : ٢٦٩)

فهل الحكمة إلا القرآن الحكيم : « يس والقرآن الحكيم » يس : ١) و « تلك آيات الكتاب الحكيم » يونس:١) فهوحكيم نزل من لدن حكيم:«تنزيل من حكيم حميد » فصلت : ٤٢) « وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم»النمل:٦)

و قال بعض الظرفاء : « أليس المريض إذا منع الطعام والشراب والدواء يموت ؟ قالوا : بلى قال : كذلك القلب ، إذامنع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت » .

نعم: ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والمعرفة والحكمة وبها حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ، ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ، ولكنه لايشعر به ، إذحب الدنيا وإشتغاله بها أبطل إحساسه ، إذحب الشيء يعمى ويصم، كماأن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح فى الحال وإن كان واقعاً ، فاذاحط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسر تحسراً شديداً ثم لا ينفعه ، و ذلك كاحساس الآمن خوفه ، والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات في حالة السكر أو الخوف .

وعن إبن عباس انه قال : « تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلي من إحيائها »

وقيل لبعض الحكماء : « أي الأشياء تقتني ؟ قال : الأشياء التي إذا غرقت سفينتك سبحت معك » يعني العلم. وقيل : أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت.

و منهم من قال : « من اتخذ الحكمة لجاماً إتخذه الناس إماماً »

ومنهم من قال: « من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار »

و قال بعض العلماء : « من شرف العلم أن كل من نسب إليه ولو في شيء حقير فرح »

و قال بعضهم : «كاد العلماء أن يكونوا أرباباً و كل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره » وقال سالم بن أبي الجعد : « إشتراني مولاي بثلاثمأة درهم وأعتقني فقلت بأي شيء أحترف ؟فاحترفت بالعلم ، فماتمت لي سنة حتى أتاني أمير المدينة زائراً فلم آذن له »

ومن الحكماء: من قال : « العالم إذا اغترب فمعه من علمه كاف كالأسد معه قوته التي يعيش بها حيث توجه »

و منهم من قال : « العلم أشرف الأحساب والمودة أشد الأسباب »

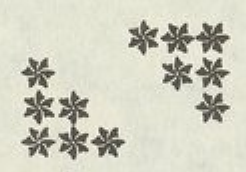
وقد حكي: ان كسرى كتب إلى بوذرجمهر وهو في الحبس : « كانت ثمرة علمك أن صرت بها أهلاً للحبس والقتل » فكتب إليه بوذرجمهر: « أما ما كان معي الجد فقد كنت انتفع بثمرة العلم فالآن إذلاجد فقد صرت أنتفع بثمرة الصبر مع أني إن كنت فقدت كثير الخير فقد استرحت من كثير الشر.

أقول: كافيك في فضل العلم غضب الجاهل إذاقلت له : أنت جاهل.

ومنها : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام « تعلّموا العلم صغاراً تسودوا به كباراً ، تعلّموا العلم ولو لغير الله فانه سيصير لله ، العلم ذكر لايحبه إلاّ ذكر من الرجال » .

وتلك هي منزلة العلم ومكانة العالم، وقيمة الجهود المبذولة من أجل تحصيله

في الدين الاسلامي ، وقد قال رسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم : « تعلّموا العلم ، فان تعلّمه حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لايعلمه صدقة وبذله لأهله قربة لانه معالم الحلال والحرام وسالك بطالبه سبل الجنة ، ومؤنس في الوحدة، وصاحب في الغربة ، ودليل على السراء وسلاح على الأعداء وزين الاخلاء يرفع الله به أقواماً يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم، ترمق أعمالهم وتقتبس آثارهم، وترغب الملائكة في خلتهم لان العلم حياة القلوب ونور الأبصار عن العمى وقوّة الأبدان من الضعف ، وينزل الله حامله منازل الأحياء ويمنحه مجالسة الأبرار في الدنيا والآخرة» فطلب العلم عبادة والسعي من أجله جهاد ، ونشره صدقة وهدفه صلاح البشرية و حملها في سفينة الانقاذ والخلاص .



﴿العلم وأقسامه﴾

في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « العلم علمان : مطبوع ومسموع ، ولاينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع » .

في الشرح : هذه قاعدة كلية مذكورة في الكتب الحكمية ، إن العلوم منها ماهو غريزي ، ومنها ماهو تكليفي ، ثم كل واحد من القسمين يختلف بالأشد والأضعف ، أما الأول فقد يكون في الناس من لايحتاج في النظر إلى ترتيب المقدمات ، بل تنساق النتيجة النظرية إليه سوقاً من غير إحتياج منه إلى التأمل والتدبر ، و قد يكون فيهم من هو دون ذلك ، وقد يكون من هو دون الدون ، وأما الثاني فقد يكون في الناس من لايجدي فيه التعليم ، بل يكون كالصخرة الجامدة بلادة وغباوة. ومنهم من يكون أقل تبلداً وجنوع ذهن من ذلك ، ومنهم من يكون الوقفة عنده أقل ، فيكون ذا حال متوسطة ، و بالجملة فاستقراء أحوال الناس يشهد بصحة ذلك .

وقال الامام عليه السلام : « لاينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع » : إذا لم يكن هناك أحوال إستعداد لم ينفع الدرس والتكرار ، و كثيراً ما يشاهد مثل هذا في حق أشخاص كثيرة إشتغلوا بالعلم الدهر الأطول ، فلم ينجع معهم العلاج ، وفارقوا الدنيا ، وهم على الغريزة الاولى في الساذجية وعدم الفهم جداً .

و في تحف العقول : قال الامام على عليه السلام : « العلم ثلاثة : الفقه للأديان ،

والطبّ للأبدان والنّحو للّسان » .

وفيه: قال الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : « العلم ثلاثة : آية محكمة ، و فريضة عادلة وسنّة قائمة »

وفي الكافي : باسناده عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد فاذا جماعة قد أطافوا برجل ، فقال : ما هذا ؟ فقيل : علاّمة فقال : وما العلاّمة ؟ فقالوا له : أعلم النّاس بأنساب العرب و وقائعها ، وأيام الجاهليّة ، والأشعار العربيّة ، قال : فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ذاك علم لا يضرّ من جهله ، ولا ينفع من علمه ، ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إنّما العلم ثلاثة : آية محكمة ، أو فريضة عادلة أو سنّة قائمة ، وما خلاهنّ فهو فضل » .

إنّما المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » هو العلم باحدى هذه الثلاثة : إمّا معرفة آية محكمة من القرآن المجيد ترشده ، وإمّا معرفة فريضة من فرائض القرآن الكريم وهي الأحكام التي لا مندوحة عن معرفتها والعمل بها ، أو سنّة صالحة قائمة على اصولها : الروايات الصحيحة الواردة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين يكون العمل بها سبباً لتزكية المرء وأدبه في الدين والدنيا وأمّا باقي المعارف فهو فضل وصاحبه في الشرع فاضل لا عالم .

و في تفسير الكشاف : « إنّ الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق ، فقال لعلي بن الحسين بن واقد : ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان فقال له : قد جمع الله الطبّ كلّه في نصف آية من كتابه قال : وما هي ؟ قال : قوله تعالى : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا » الأعراف : ٣١)

فقال النصراني : ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب ؟ فقال : قد جمع رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم الطبّ في ألفاظ يسيرة قال : وما هي ؟ قال : قوله صلى الله عليه وآله وسلم . « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء واعط كل بدن ما عوّدته » فقال النّصراني : ما ترك كتابكم

ولانبيكم لجالينوس طباً »

و في تفسير المنهج : « انه كان إسم الطبيب النصراني بختيشوع »

وفي تفسير روح المعاني : قال : « و ما نسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « العلم علمان : علم الابدان وعلم الأديان » هو من كلام الحرث بن كلدة طبيب العرب، ولايصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ».

وفي محاسن التأويل : عن المقاصد : « إنه من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب أوغيره ».

وقال بعض المفسرين : « إن العلم علمان ... » فيه إشارة إلى أن كمال الانسان بحسب النشأتين منوط باصلاح هذين الروحين أو الجسم والروح، فان العبادة الكاملة من الجسم الصحيح ، والانسان الكامل في روحه الكامل ، فبمعرفة علم الأبدان تتسلح الأبدان للعبادة ، وبعلم الأديان يتكامل و يسير إلى الكمال الروحي ، ففي الأول نمو الابدان وصحتها و كمالها وسلامتها ، وفي الثاني كمال الروح وسلامتها ، وبالأول يصلح أمر المعاش ، وبالثاني يصلح أمر المعاد ،فيعيش الانسان بكماله الروحي والجسمي عيشاً هنيئاً في الدارين »

وقال بعض المحققين : إن العلم بالأبدان لايقصر في علم الطب، بل كل علم له دخل في أمر المعاش : من علم الفيزياء والهندسة ، من علم الاجتماع والسياسة ، ومن علم النفس والزراعة ... ومنها علم الطب ، فكل علم له دخل في تنمية الجسم ورشده وسلامة البدن ، فهو من علم الأبدان ، و كل علم له دخل في نمو الروح ورشدها و كمالها فهو من علم الأديان ...

وقوله تعالى : « علّم الانسان ما لم يعلم » العلق : ٥) تنبيه إلى إستعداد الانسان لكلا القسمين من العلم الذين بهما الكمال الجسمي والروحي ، و ان كل رشد جسمي بلا رشد روحي فهو نقص وضلالة ، أشار إليه بقوله تعالى: « كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » العلق : ٦ ـ ٧) كما أن الرشد الروحي

فقط فقد يوجب النقص إذقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من لامعاش له لامعادله »لاعلى الاطلاق .

وقد ورد : « العلم علمان : فعلم في القلب فذلك العلم النافع ، و علـم على اللسان فذلك حجةالله على إبن آدم » وإلى القسم الأوّل أشيربقول النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء » بالجذبة الالهيّة عند تطهير القلب وتزكيته من الأخلاق الرّذيلة والمعاصي والآثام . . . ومن اتصف بهذا العلم فهو مشمول لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء » وهم الّذين قال الله تعالى فيهم : « شهدالله أنّه لاإله إلاّ هو والملائكة واولوا العلم » و « والذين اوتوا العلم درجات » و « إنّما يخشى الله من عباده العلماء » و « وما يعقلها إلاّ العالمون »

وقال تعالى في عبده الصالح ـلعله الخضر عليه السلام ـ: « فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنّا علماً قال لـه موسى هل أتّبعك على أن تعلّمن مما علمت رشداً » الكهف : ٦٥ـ٦٦)

والمراد بالعلم هنا علم الاشارة والوراثة والباطن والحقيقة ،ولذلك عبّر عنه بلفظ العلم بناء على التعبير بالمطلق على الفرد الكامل ،إذ العلم الباطني من العلم الظاهري بمنزلة الرّوح واللبّ من الجسد والقشر ،وبمنزلة المعنى من الصورة ، فلاجرم انّ العلم الباطني من العلم الظاهري بمنزلة الفرد الكامل من الفرد الناقص ،والعلم الظاهري من العلم الباطني بمنزلة الفرد الناقص من الفرد الكامل ،والنقصان الموهوم المعتبر في العلم الظاهري بحب الاضافة والنسبة إلى العلم الباطني باعتبار المقام الّذي يوجب الامتياز بينهما من جهة الصّورة لايقدح في كماله الذّاتي في عينه ونفسه .

كما أن الكمال المعتبر في العلم الباطني بحسب الاضافة والنسبة إلى العلم الظاهري باعتبار المقام الموجب للافتراق بينهما من جهة التعيّن لايزيد في كماله الذاتي الحقيقي في نفسه وذاته بل كل منهما من حيث هو بالنّظر إلى ذاته مع

قطع النظر إلى الاضافة والنسبة المعتبرة بينهما بحسب المقامات والتّعلّقات ،وغير ذلك كمال محض لايتصور في واحد منهما نقصان أصلاً فكما أنّ الجهل والغفلة في أنفسهما محض نقصان حقيقي ،فكذلك العلم والمعرفة في أنفسهما محض كمال حقيقي، وإنما الاعتبارات لئلا تبطل حقائق الاحكام . .

ولهذا قيل : لولا الاعتبارات (أي الاضافات والنسب المعتبرة)بين الأشياء لبطلت الحقائق . . . ولمّا كان مقام هذا الباطني مقام القرب الذاتي عبّر عن مقام ما يعبّر به عن مقام القرب الذاتي من قوله : « من لدنّا » أي من مقام أحدية ذاتنا ومرتبتها بغير واسطة عبارة يعنى بطريق الفيض الالهى والالهام الربّاني والقذف لابطريق التعليم اللفظي والتدريس القولي والقيل والقال و لكون مقام العلم الظاهري من مقام العلم الباطني بمنزلة الظاهر من الباطن حيث يتعلق العلم الظاهري بظواهر الشّريعة وصورها ، والعلم الباطني بمنزلة الباب من البيت ، ومن أراد دخول البيت فليأت من بابه ، وبيت العلم و مدينته هو النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و باب هذا البيت والمدينة هو مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا مدينة العلم وعليّ بابها » .

وقد كان طريق تعليم الخضر العلم بموسى عليه السلام طريق الاشارة لا العبارة .

فى الكافى : باسناده عن أبي مريم قال : قال أبو جعفر عليه السلام لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة : شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلّا شيئاً صحيحاً خرج من عندنا أهل البيت .

وفيه: باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث ـ قال : فليشرّق الحكم وليغرّب أما والله لايصيب العلم إلّا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل .

و فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن يونس بن ظبيان عن الصّادق عليه السلام ـ في حديث ـ قال : لاتغرّنك صلاتهم وصومهم و كلامهم و رواياتهم وعلومهم فانّهم

حمرة مستنفرة ، ثم قال : يا يونس إن أردت العلم الصحيح فعندنا أهل البيت، فانا ورثنا واوتينا شرع الحكمة و فصل الخطاب ، فقلت : يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّ من كان من أهل البيت ورث ما ورثت من كان من ولد عليّ و فاطمة عليهما السلام ؟ فقال : ما ورثه إلّا الأئمة الاثنى عشر .

وفيه: بالاسناد عن شعيب العقرقوفي قال : كنت عند الصّادق عليه السلام إذ دخل عليه يونس بن ظبيان فسئله ـ وذكر الحديث ـ إلّا أنه قال : إن أردت العلم الصحيح فعندنا أهل البيت ، فنحن أهل الذّكر الّذين قال الله : « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون » .

وقد اختلفت أنظار الحكماء والفلاسفة والمتكلمين قديماً وحديثاً في أنواع العلوم إختلافاً كثيراً :

فمن الحكماء : الّذين قالوا : إن العلم ينقسم على ثلاثة أقسام :

أحدها ـ : علم ما ،وهو العلم الّذي يطلب فيه ماهيات الأشياء وهو العلم الالهي وموضوعه هو الوجود المطلق ،ومسائله : البحث عن أحوال الوجود من حيث هو وجود .

ثانيها ـ : علم كيف ،وهو العلم الّذي يطلب فيه كيفيّات الأشياء ،وهو العلم الطبيعي ،وموضوعه هو الجسم ،ومسائله : البحث عن أحوال الجسم من حيث هو جسم .

ثالثها ـ علم كم وهو العلم الّذي يطلب فيه كمّيات الأشياء، وهو العلم الرّياضي سواء كانت الكمّيات مجرّدة عن المادّة أوكانت مخالطة بعد، وموضوعه هو الأبعاد والمقادير. . . و بالجملة : الكمّية من حيث إنّها مجرّدة عن المادّة و مسائله : البحث عن أحوال الكمّية من حيث هي كمّية .

وان العلم في نظر (أرسطو)هو حركة العقل ، وهذه الحركة لها شكلان رئيسيان : وهما النظر والعمل ، ومن هنا قسم العلم إلى قسمين : علم نظري تأمّلي،

وعلم عملي ،فالعلم الأوّل تدخل تحته العلوم النظرية : (علوم ماوراء الطبيعة و العلوم الرياضيّة) و العلوم التجريبيّة : (التاريخ الطبيعي وعلم النفس) والعلوم المختلطة : (علم الطبيعة العموميّة التي ليست في ذاتها إلّا تطبيق علوم ماوراء الطبيعة على الحوادث العامّة للكون) أما القسم الثاني وهي العلوم العمليّة فعلم الأخلاق والسّياسة والاقتصاد ·

هذا هو التقسيم الّذي يمكن إستنتاجه من فلسفة أرسطو و كتبه ،ومن يعتني باستقصاء مرامي أتباع هذا المذهب على الأخلاق و الفضيلة و السّياسة و الاقتصاد و العمران يرى أن مبدأهم في الأخلاق التوفيق بين أحكام العقل ،ومطالب الشهوة وتوخي الاعتدال في تلك المطالب حتّى تكون خاضعة لأحكام العقل تمام الخضوع .

وقال فيثاغورس : لايرى مجد الحكمة إلّا من بصر عينيه في قلبه لامن بصر قلبه في عينيه .

وقد أخذ هذا المعنى أفلاطون فخاطب به رجلاً سئله : أهيهنا جنة غير هذه الجنة ، وإنسان غير هـذا الانسان ؟ فقال : نعـم قال : رأيته ؟ فقال له : ليس لك الّذي به تراه : ثم شرح هذا المعنى فقال : العلم نوعان : روحاني وهيولاني ، فالروحاني لايدرك بالبصر بل بالفكر اللطيفة ، والهيولاني يدرك بالبصر أو بأحد الحواس الخمسة .

وانّ العلوم على مذهب الفلاسفة سبعة :

أولها ـ العلم الالهي الأوّلي العقلي الضّروري ، وهو الّذي يعلمه الانسان بقوّة العقل فهو موجود في فطر العقول مسلّماً مجمعاً عليه بلاطلب ولافحص ،وقد أجمع عليه أعلام الفلاسفة ، مثل الفرق بين الحق والباطل ، بين النّور والظلمة، بين الخير والشرّ، و بين الحسن والقبح ، فانّ هذا علم يجده الانسان في نفسه ضرورة بلاتعليم ولاطلب .

ثانيها ـ العلم الفلسفي وهو علم الحكمة ومعرفة مافوق الطبيعة من الحركات

العلوية الّتي تثبت في العقل ببرهان الهندسة .

ثالثها ـ العلم الجدلي ، وهوعلم الاستدلال الّذي يكون بالفكر الصحيح والقياس المؤدّي إلى علم حقيقة الشّيء .

رابعها ـ العلم الحسي وهوما أدّاه الحسّ إلى العقل ، فيشهد بصحته ووصل به إلى معرفة حقائق الأشياء . . .

خامسها ـ العلم الشرعي وهوعلم الأديان والشرائع ، ومايلزم الانسان من طاعات باريه فيما أمربه ونهى عنه في دينه ، وإختيار الأفضل في عقله والتمسك به.

سادسها ـ العلم الطبيعي وهوعلم الأبدان والطبائع وخواصّها وكيفيّاتها والتوصل إلى حفظ الصحّة وتقريب جسد الانسان من الاعتدال بحسب الطاقة والامكان على التمام غير ممكن وجوده في شخص من الأشخاص المكوّنة في عالم الكون والفساد .

سابعها ـ العلم الصّناعي وهو الآلي مثل الصّباغة والزّراعة والحياكة وما شاكلها ممايحتاج في تمامه إلى آلة صناعيّة . . .

وقد اتفق المتكلّمون على أنّ العلم على قسمين : أحدهما ـ علم ضروري . ثانيهما ـ علم إستدلالي .

أما الاول : فتعرف الضرورة لغة بأنها الالجاء كقوله جلّ وعلا : « إلاّ ما اضطررتم إليه » الانعام : ۱۱۹) أى ألجأتم إليه ، أما الاضطرار إصطلاحاً فهوما يعلم باضطرار كالعلم بالمدركات وسكون النفس ، فاذا نازع فيه منازع علم كذبه بمجرّد منازعته لأنّ العلوم الضرورية واجبة المعرفة إذلاشيء أوضح من العلم الضّروري « فانّه ما يحصل فينا لا من قبلنا »أي إنّه يكون من خلق الله جلّ و علا فينا ، شريطة أن يكون مما نقدرعليه حتّى يقع التمييز بين ما يمكن للانسان فعله كالحركة الاضطرارية الّتي يجوزأن يفعلها الانسان إضطراراً أوإكتساباً ـ والعلم من هذا النوع وبين مالايمكنه فعله كاللون فانّه لايقع تحت مقدور العباد .

ويعرف العلم الضروري بأنه : « العلم الذي يحصل فينا لا من قبلنا ولا يمكن نفيه عن النفس بوجه من الوجوه » ويشمل هذا التعريف أمرين : أولهما ـ بيان أن هذا النوع من العلم ليس من قبل الانسان أو فعله ، وإنما هو من الله الذي يخلقه فيه ، وثانيهما ـ أنه لا مجال للشك أو الشبهة في كونه يدل على حقيقة المعلوم ، فأهم صفات العلم الضروري أنه صحيح لا ريب فيه ، ولا يستطيع الانسان التحول عنه أو الانفكاك منه ، مضافاً إلى أنه ليس من فعلنا .

العلوم الضرورية ثلاثة أنواع :

النوع الاول : ان العلوم التي تحصل فينا مبتدأة مباشرة أى قبل غيرها من العلوم وبلا واسطة كعلمنا بأحوال أنفسنا من كوننا قادرين أو مريدين أو كارهين أو ظانين إلى غير ذلك .

الثاني : ما يحصل فينا بواسطة كالعلم بالمدركات الواردة عن طريق الحواس فان الادراك طريق إليه ، فالطريق هنا يبدو وأنه ليس من فعلنا لأنه مجرد الآلة التي يتم بها الحس أو الادراك ، وهو يتم مباشرة ودون توسط النظر .

الثالث : ما يحصل فينا بواسطة ما يجري مجرى الطريق ، وذلك كالعلم بالحال مع العلم بالذات ، مثل العلم أن الله قادر ومريد ، فالعلم بالذات أصل للعلم بالحال ، ويجري مجرى الطريق إلى العلم بالحال .

وقد فرق بعضهم بين النوعين : (الثاني والثالث) لأن العلم الذي طريقه الادراك يجوز أن يبقى مع إنعدام الطريق إليه إذ يصح أن يخلق الله تعالى فينا العلم بالمدركات دون طريق الحواس ، بينما لا يخلق فينا العلم بالحال دون العلم بالذات لأنه أساس له ومرتبط به ، ولا ضرورة في الواقع لافراد هذا النوع الثالث لأنه إذا كان يقصد به العلم بأحوال أنفسنا ، فهو من نوع العلوم المبتدأة وإذا كان يعنى به العلم بأحوال غيرنا فانه علم إستدلالي لا ضروري مبتدأ .

وقد سمي النوع الأول من العلوم الضرورية ، كمال العقل أو اصول الأدلة

تارة وسمّاه كمال العقل وجعل اصول الأدلّة فرعاً عليه تارة اخرى .

ولايخفى على المتكلّم الأريب :انه يمكن إعتبار مضمون العقل شاملاً لجميع أنواع العلوم الضّرورية مبتدأة كانت أوغير مبتدأة ، ولايخرج ما يحويه كمال العقل عن ثلاثة امور:

١ـ العلم باصول الأدلّة : وهي تشمل :

أـ المدركات مع ملاحظة انّها تحصل علماً إذا كان المرء عاقلاً ، فاذا وقعت من مجنون فانّها لاتحصل له علماً .

ب ـ كما تشمل معرفة تعلّق الفعل بالفاعل ، وهذا هو الأصل في الدّلالة على أنّنا فاعلون لأفعالنا وانّ الله جل وعلا محدث للعالم .

٢ـ العلم بما يعرف معه المطلوب بالأدلّة ، وهذا يشبه أن يكون معرفة بأحوال النّظر والاستدلال وأحكامها وكونها تؤدي إلى العلم .

٣ـ مالايتمّ العلمان المتقدّمان إلاّ به ، و ذلك كالاختبار والعادات ،والحفظ والدّرس والعلم باصول المقبحات وحسن الحسنات ووجوب أحوال الواجبات ،و يمكن أن نرجع هذا كلّه إلى أسس ثلاثة هي : الاحساس والادراك و إكتمال العقل .

وإذا قلنا ـ كبعض المتكلمين ـ : إنّ العقل هو العلوم الضّروريّة ، فهي تقابل عنده العقل الغريزي والضّروري أو ما تسميه الفلاسفة بالعقل الهيولاني أي القوّة المستعدّة لادراك المعقولات والعقل بالملكة أو بالفعل بمعنى تهيّؤ هذا العقل للمعرفة والاكتساب وهكذا فاعلام الله تعالى للانسان عن طريق العلوم الضّروريّة يكون بخلقه للمبادىء العقليّة الّتي لابدّ منها للنّظر والاستدلال المؤدي إلى العلوم الاكتسابيّة شرعيّة كانت أو عقليّة .

ولمّا كانت العلوم الضروريّة من خلق الله فينا فهي مستغنية عن طريق النّظر وما كان كذلك لايصحّ أن يدخل تحت التّكليف ،وإنّما كلفنا بالعلوم المكتسبة

بعد تقديم بعض العلوم الضّروريّة عن طريق إكمال العقل .

ويقول بعض المتكلمين : إن العلوم الضّروريّة تكون من الانسان وقد خالفه بعضهم ويردّ هذا الرّأي ويستدلّ على ذلك بأنّ العلوم الضرورية لاتتعلق بارادة الانسان وقصده أو كراهته ، بل تحصل فيه ولولم يردها ، وانّ مثل هذه العلوم لا تكون من القادرين بالقدرة، وإنّما تصحّ من الله تعالى فقط لأنّ القادر بالقدرة ـ الانسان ـ إمّا أن يفعل مباشرة أو بالتوليد أمّا الاختراع فلايقدر عليه ، وهذه العلوم من نوع الاختراع لحصولها مباشرة ، ولم يصحّ أن تكون إلّا من الله جلّ وعلا .

وأما الثاني ـ من قسمي العلم ـ فهو العلم الاستدلالي الّذي يقوم على النّظر كالعلم باثبات العلم و كونه مفارقاً لماليس بعلم و إنكار وجود الله جلّ وعلا فانّه يصحّ أن يناقش بالدّليل والحجّة وتلك هي طريقة النّظر والمعارف .

وانّ العلوم الاستدلاليّة هي العلوم الاكتسابيّة الّتي في مقدور الانسان ، و كما أنّ الله تعالى أزاح الفلسفة عن المكلّفين بأن خلق فيهم العلم الضروري فانّه أزاح العلّة عنهم في العلوم المكتسبة بأن نصب لهم الأدلة السمعيّة والعقليّة فأصبحوا بذلك من القادرين على أن يستدلوا بها على معرفة ما كلّفوا به .

ويمكن تعريف العلم الاستدلالي : « بأنّه العلم الّذي يقع عقب إستدلال و تأمّل عن النظر أو تذكّر النّظر » فكلّ ما احتاج من العلوم إلى تقديم الفكر والتامل فهو من العلم النظري المكتسب ، وهو لابد مبنيّ على الضرورة والحسّ وكانّ ما يعلمه الانسان لايتعدّى أحد أمرين : العلم المجمل ، و علم التفصيل فأمّا العلم المجمل فانّنا نعرفه ضرورة إلّا أن علمنا لايتكامل إلّا بالعلوم المكتسبة فالأصل ضروري والتعيين وتحديد الفروع مكتسب .

ولو ضربنا مثالاً على ذلك بالأحكام الخلقية ، فانّنا نجد أنّ كلّ عاقل يعلم بالضرورة قبح الظلم و حسن الانصاف وردّ الوديعة ... و إنّما يشتبه فيه هو فعل أو حكم بعينه ، هل هو موصوف بذلك أم لا ؟

ولولا أنّنا نعتمد على أصول ضروريّة مخلوقة فينا لمايصحّ من العاقل أن يستدلّ على أحكام الأفعال أو غيرها إذ لابدّ أن ينتهي إلى اصول ضروريّة ، و إلا تسلسل العلم إلى مالانهاية .

ولو أنّنا تقصينا العلوم التي يحصلها الانسان لوجدنا أنّها لاتخرج عن ثلاثة أنواع :

أحدها ـ العلم بالأفعال وصفاتها وأحكامها والوجوه التي تقع عليها .

ثانيها ـ العلم بالله تعالى وصفاته وحكمته والأدلة التي تدلّ على وجوده من ثبوت الأجسام والأعراض وغيرذلك .

ثالثها ـ العلم بما يستحق به الأفعال من منافع ومضارّ . . . وإذاكانت هذه هي الامور التي يصح أن تكون موضوعاً للمعرفة الاستدلاليّة فانّ الاكتساب والنّظر يبدوفيها جميعاً ، فأمّا بالنسبة لله تعالى وصفاته فانّ الله تعالى يعلم إجمالاً بعلم ضروري ، وتفصيلاً بالاستدلال والنظر أي أنّ ثبوت وجود المحدثات يتطلب الاعتقاد بوجود فاعل ، أما تعيين هذا الفاعل وتحديده بصفاته فيكون بالاستدال والنظر .

كذلك العلم بصفات الأفعال والحكم عليها ، فانّ فيها ما يعرف ضرورة و هو أصول القبائح والحسن ، وفيها مايعرف بالاستدلال والنظر وهو تحديد كلّ فعل من الأفعال والحكم عليه بحسب مالدينا من أصول ، وما يقع العلم به بنصب الأدلة أي بالاستدلال : عقلي وشرعي ، والعلوم العقليّة فيها ما يعرف ضرورة ، و فيها مايعرف بالاستدلال، أما العلوم الشرعيّة فانّ طريقها أجمع الدّليل والاكتساب.

كلام آخر في أقسام العلوم

واعلم أن العلم باعتبار آخر على قسمين : وذلك ان ّ كل ّ علم فامّا أن يكون مقصوداً لذاته،أو لا .

أما الاول : فهو العلوم الحكميّة والمراد بالحكمة هنا إستكمال النّفس الناطقة قوتيها النظرية و العلمية بحسب الطّاقة الانسانية،والأوّل يكون بحصول الاعتقادات اليقينية في معرفة الموجودات وأحوالها . . . والثّاني يكون بتزكية النفس باقتنائها وإجتنابها عن الرّذائل . . .

وأما الثانى : فهو مالا يكون مقصوداً لذاته بل آلة لغيره ،فامّا للمعاني و هو علم المنطق ،وإمّا لما يتوصّل به إلى المعاني من اللفظ والخطّ وهو علم الأدب.

وانّ العلوم الحكميّة النظريّة تنقسم إلى أعلى وهو العلم الالهي ،وأدنى وهو العلم الطبيعي ،وأوسط وهو العلم الرياضي ،وذلك لأنّ نظره إن كان في امور مجرّدة من المادّة الجسميّة و علائقها في العقل والحسّ فهو العلم الالهي و إن كان في امور ماديّة في الذهن و في الخارج فهو العلم الطبيعي ، و إن كان في امور يصح تجرّدها عن الماديّات في الذّهن فهو العلم الرياضي وعكس هذا القسم ممتنع لاستحالة تجرّد شيء في الخارج دون الذّهن .

وتنحصر العلوم الرّياضية في أربعة: علوم الهندسة والهيئة والعدد والموسيقي لأنّ نظره إمّا أن يكون فيما يمكن أن يفرض فيه أجزاء تتلاق على حدّ مشترك بينها أولا ،و كلّ واحد منها قارّ الذّات أولا ،والأوّل:الهندسة والثاني:الهيئة و

الثالث: العدد والرابع: الموسيقي .

وانّ العلوم الحكمية تنقسم إلى السّياسة والأخلاق وتدبير المنزل، وذلك لأن إعتباره إمّا للامور العامّة فعلم السّياسة أو الامور الخاصّة، فامّا بالشخص وحده فعلم الأخلاق أو مع خاصّته فعلم تدبير المنزل، فهذه العلوم الأصليّة، و ما عداها فهي فرعيّة :

من علم الأدب وتنحصر مقاصده في عشرة علوم وهي: علم اللغة، وعلم التصريف، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم العروض، وعلم القوافي وعلم النحو وعلم قوانين الكتابة، وعلم القراءة .

ومن العلوم الفرعيّة : علم المنطق وعلم النواميس -وهو علم يعرف به أحوال النّبوّة وحقيقتها ووجه الحاجة إليها، ويطلق الناموس على الوحي وعلى الملك النازل به وعلى السّنّة- وعلم الحديث، وعلم التفسير، وعلم الدّراية، وعلم اصول الدّين وعلم اصول الفقه وعلم الجدل، وعلم الفقه، والعلم الطبيعي، وعلم الطب، وعلم البيطرة والبيزرة، وعلم الفراسة، وعلم التعبير، وعلم الهيئة، و علم السحر، و علم الطلسمات، و علم السيمياء، وعلم الكيمياء، وعلم الفلاحة، وعلم الهندسة، وعلم عقود الأبنية، و علم المناظر وعلم الاقتصاد، وعلم المرايا المحرقة، وعلم مركز الأثقال، وعلم المساحة وعلم إنباط المياه، وعلم البنكامات، وعلم الحرب وعلم النجوم، وعلم الزيجات، وعلم المواقيت . . .

وعلم الارصاد، وعلم تسطيح الكرة، وعلم الآلات الظلية، و علم العدد، وعلم الحساب المفتوح، وعلم حساب التخت والميل، وعلم الجبر والمقابلة، وعلم حساب الخطأين، وعلم الدّور والوصايا، وعلم حساب الدّرهم والدينار، و علم الموسيقى، وعلم السّياسة، وعلم الأخلاق، وعلم تدبير المنزل، وعلم الفيزياء وغيرها من العلوم . . .

و من الحكماء الذين قالوا: جملة ماينظر فيه هذا العلم هو أقسام الوجود وهو : الواحد والكثير ولواحقهما، والعلّة والمعلول، والقديم والحادث، والتام

والناقص ، والقوة والفعل ، وتحقيق المقولات العشر ، ويشبه أن يكون إنقسام الوجود إلى المعقولات إنقساماً بالفصول ،وإنقسامه إلى الوحدة والكثرة وأخواتهما إنقساماً بالأعراض والوجود يشمل الكل شمولاً بالتشكيك لابالتواطؤ ، و لهذا لم يصلح أن يكون جنساً ، فانه في بعضها أولى وأول ، و في بعضها لا أولي ولاأول ، وهوأشهرمن أن يحد أويرسم ، ولايمكن أن يشرح بغير الاسم لأنه مبدأ أول لكل شيء ، فلاشرح له ، بل صورته تقوم في النفس بلا توسط شيء .

وينقسم الوجودنوعاً من القسمة إلى واجب بذاته وممكن بذاته ، والواجب بذاته ما إذا اعتبرذاته فقط وجب وجوده ، والممكن بذاته ما إذا اعتبر لذاته لم يجب وجوده ، وإذافرض غيرموجود لم يلزم منه محال ، ثم إذا عرض على القسمين عرضاً حملياً الواحد والكثير كان الواحد أولى بالواجب ، والكثير أولى بالجائز و كذلك العلة والمعلول والقديم والحادث والتام والناقص ، والفعل والقوة ،والغنى والفقر كان أحسن الأسماء أولى بالواجب بذاته ، ولما لم تتطرق إليه الكثرة بوجه لم يتطرق إليه التقسيم ، بل توجه إلى الممكن بذاته .

فانقسم إلى جوهروعرض ، وقدعرفناهما برسميهما ،وأما نسبة أحدهما إلى الآخر فهو أن الجوهر محل مستغن في قوامه عن الحال فيه ، والعرض حال فيه غيرمستغن في قوامه عنه ، فكل ذات لم يكن في موضوع ولاقوامه به فهوجوهر، و كل ذات قوامه في موضوع فهوعرض ، وقد يكون الشيء في المحل ويكون مع ذلك جوهراً لافي موضوع إذاكان المحل القريب الذي هوفيه متقوماً به ، ليس متقوماً بذاته ، ثم مقوماً له ونسميه صورة ، وهذا هوالفرق بينهما وبين العرض .

و كل جوهرليس في موضوع فلايخلو إما أن لايكون في محل أصلاًأويكون في محل لايستغني في القوام عنه ذلك المحل ، فان كان في محل بهذه الصفة فانا نسميه صورة مادية ، وإن لم يكن فى محل أصلاً، فاما أن يكون محلاً بنفسه لاتركيب فيه ، أولايكون ، فان كان محلاً بنفسه فانا نسميه الهيولى المطلقة ، و إن لم يكن

فامّا أن يكون مركّباً مثل أجسامنا المركبة من مادّة وصورة جسمية ، و إمّا أن لايكون ، وما ليس بمركّب فلا يخلو : إمّا أن يكون له تعلّق ما بالأجسام أولم يكن له تعلّق ، فما له تعلّق نسمّيه نفساً ، وماليس له تعلّق فنسمّيه عقلاً .

ومن الفلاسفة: الّذين قالوا في كمّيّة العلوم وتقسيمها : إنّ العلوم مطلقاً على نوعين : أحدهما ـ علم دنيوي . ثانيهما ـ علم اخروي .

أما الاول : فعلى أنواع ثلاثة : أحدها ـ علم الأقوال . ثانيها ـ علم الأفعال ثالثها ـ علم الأحوال . . . وهو كالخطّ الفاصل بين النور والظلمة الجامع للطرفين والبرزخ المتوسط بين المنزلتين .

وأما الثاني: فهو نور يقذفه الله في قلب من يشاء كالعلم بالله جلّ وعلا وصفاته والعلم بملائكته و كتبه ورسله والعلم باليوم الآخر وحسابه وجزائه . . .

أما علم الاقوال : فهو بحسب ما يتعلّق به على قسمين : عامي وخاصّي ، والعامي بحسب الموضوعات الثلاث على أنواع ثلاثة :

الاول : ما يتعلّق بالأصوات الساذجة المشترك فيها الانسان والحيوان والنبات والجماد .

الثاني : ما يتعلّق بالحروف المفردة الحاصلة من حركات الأصوات وهيئاتها.

الثالث : ما يتعلّق بالألفاظ الدّالّة على المعاني الحاصلة من تركيب الحروف في لغة من اللغات العربيّة وغيرها ، وهي في كلّ لغة على ثلاثة أقسام : إسم وفعل وحرف .

و أما الخاصي : فهو ما يتعلّق بلفظ يتكلّم بها العقلاء من ذوي الفطانة والفهم، ويتأدّى بها الحركات والسكنات على وجه الصّواب والتمام ، ففي كلّ مرتبة من مراتب الثلاث المذكورة الّتي هي مباديء القول والحكاية ينبعث علم من العلوم الثلاثة ، فمن معرفة الأصوات و كمّيّتها العددية والنسب النغميّة الحاصلة فيها من مراتب الحدّة والثقل يتولّد علم الموسيقي ، وموضوعه الكمّيّة الحاصلة في

الأصوات . . .ومن معرفة الحروف المسموعة وحركاتها وسكناتها الاعرابية والبنائيّة يتولّد علم الاعراب والعروض ، ومن معرفة معاني اللفظ يتولّد علم اللغة والشعر، وفنّ المعاني والبيان والبديع ، ومن معرفة المعاني الحاصلة في الفكر وكيفية تأليفها لينتج به المطلوب يتولّد علم المنطق الّذي هو ميزان يوزن بـه الأفكار ويكال به الأنظار . . .

و أما علم الاعمال : يعبّر عنه بالعلوم الفعلية ـ فعلى أربعة أقسام :

الاول : ما يتعلّق بالاعضاء والجوارح كصنايع أرباب الصناعات و حرفهم كالحياكة والفلاحة والعمارة . . . وهذا هو أدون أقسام علوم الأفعال وأخسّها .

الثاني : ما هو أرفع قليلاً من الأوّل وهو علم الكتابة وعلم الحيل وصنعة الكيمياء والشعبذة والقيافة وأمثالها . . .

الثالث : ما يتعلّق بتدبير المعاش على وجه ينوط بصلاح أمر الدنيا لبقاء الشخص بانفرادها أو النّوع والهيئة الاجتماعيّة أوعلى وجه ينوط بأمر الدّين و صلاح الآخرة كعلم المعاملات من النكاح والطلاق والعتاق و غيرها و كعلم السيّاسات كالقصاص والديات و الجرائم والحدود وما إليها وهو علم الشريعة .

الرابع : ما يتعلّق باقتناء الأخلاق الفاضلة و إكتساب الملكات والفضائل والاجتناب عن الملكات الرديّة والرذائل وهو علم الطريقة والدين .

و أما علم الافكار : فهو أيضاً على أربعة أنواع :

الاول : معرفة الحدود والبرهان وهما مبدأن لحصول الأشياء وحقائقها . . .
فأحدهما ـ هو الحدّ الّذي يؤدي إلى حضور حقيقة الشيء وتصوّر ماهيته .
ثانيهما ـ يؤدّي إلى حضور وجوده والتصديق بماهيته و كل منهما مشارك للآخر في الحدود فأجزاء الحدّ بعينها أجزاء البرهان مع التفاوت في النظم والترتيب كما بيّن في الميزان .

والثاني : معرفة الحساب والعدد وأنواع الكمّيات المنفصلة و أنواعها و

مراتبها وخواصّها . . .

والثالث: علم الهندسة والكميّات المتّصلة القارّة من الخطّ والسطح والجسم وأنواعها وهيئاتها وأشكالها ، ويتولّد منه علم الهيئة والنجوم وهو معرفة كمّيات الأفلاك وعدد الكواكب ومقادير أبعاد النّجوم وعظم أجرامها وأحوال حركاتها قدراً وجهة ويتفرّع عليه علم الأحكام وعلم الكهانة والتعبير .

والرابع : علم الطبيعة والطب والبيطرة وأمثالها وهو معرفة كيفيات العناصر وحركاتها وإنفعالاتها وإمتزاج بعضها مع بعض ، ومعرفة المزاج وتولّد المركبات التامّة وغيرها منها ، ومعرفة أنواع المواليد الثلاثة من الجمادات والنباتات والحيوانات ، ومباديء حركاتها وسكناتها ، وعلم الحيوان على أصنافه و قواه المدركة والمحركة ، وعلم الانسان و قواه العلميّة والعمليّة ، وفائدة هذا العلم وغايته هي حفظ المزاج وإصلاح النماء وإبقاء الحياة ، فاذا استعمل هذا العلم في الحيوان ـ غير الانسان ـ يسمّى بالبيطرة والرياضة ، وإذا استعمل في غير الحيوان إطلاقاً يسمّى بالفلاحة والدهقنة .

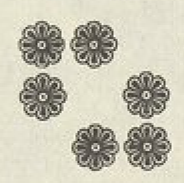
و أما علم الآخرة : فهذا العلم هو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء ، وهو علم لا يفسد بفساد البدن ، ولا يخرب بخراب الدنيا ، وهو علم لا يسكر صاحبه ما زدياده ولا يطغى بكثرته ولا يعصي الله عزّ وجلّ ، و هو علم يخشى الله عزّ وجلّ صاحبه في كلّ حال ويراه شاهداً عليه أينما كان ، فلا يتكلم ولا يتعلّم ولا يدرّس ولا يجادل ولا يسئل ولا يجيب ولا يفعل ولا يمشي ولا يتحرّك ولا يعظ ولا يكتب ولا يقرأ . . . إلّا لرضاء الله جلّ وعلا ، وهو علم جعل صاحبه طوق العبودية على عنقه أشار تعالى إليه بقوله : « إنّما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر : ٢٨)

وهو علم عرف صاحبه نفسه قبل أن يعرف ربه ، و هو علم حصل لصاحبه تربية إسلامية قبل تعلّمه ، وهو علم زكّى صاحبه نفسه وأفلح ، وهو علم لم يتعلم صاحبه للدنيا وشهواتها ، ولا لنيله إلى الرئاسة والاشتهار ، ولا للفخر والرياء ، و

هو علم يطلبه صاحبه من الله تعالى ويسئله عنه لغايته . . .

وهذا العلم هو علم التوحيد لتوحيد الكلمة ، وعلم الملائكة والمرسلين وعلم الكتب السماويّة واليوم الآخر ثم العلم بأوامر الله تعالى للائتمار بها قبل أن يأمر الناس بها ، وبنواهيه لانتهائه عنها قبل أن ينهى غيره عنها ، و بحلاله و حرامه ، فيعمل بما علم قبل أن يدعو الناس إليه فيعلمه الله تعالى بما لا يعلم من غير قيل ولا قال .

ولعمري ان هذا العلم هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء يتطرّق صاحبه طريق مأة عام بسنة واحدة يتحيّر بها المجتهدون والمتعلّمون . . . طوبى ثم طوبى لمن كان علمه نور يقذف الله عز وجل في قلبه .



﴿موضوع العلم وأغراضه وغاياته﴾

ومن البديهي انّ لكل علم موضوعاً ينظر فيه فيبحث عن عوارضه وأحواله، وانّ تقدّم بعض العلوم على بعض إمّا لتقدّم موضوعه وإمّا لتقدّم غايته أولاشتماله على المباديء العلوم المتأخّرة أولغير ذلك من الامور الّتي لا يسع مقام الاختصار بذكرها ، وانّ تقدّم علم التوحيد على سائر العلوم الدينية وغيرها ظاهر لا يخفى على ذي مسكة .

وانّ منهج التوحيد وهوطلب العلم بالله جلّ وعلا وقدرته وعلمه ، وعظمته وحكمته ، وتدبيره وآياته وملكه وملكوته و ملائكته و كتبه و رسله واليوم الآخرهومسلك جميع الأنبياء والمرسلين ، والأولياء والصالحين ، و أن لا خلاف بينهم في شيء من العلوم الالهيّة والاصول الايمانيّة ، وانّ منهجهم في هذا العلم واحد ودينهم واحد ، وإنّما الخلاف بين شرايعهم في المسائل الفرعيّة العمليّة الّتي قد يختلف باختلاف الأزمنة والأوقات والمقتضيات . . .

قال الله عزّوجلّ : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّانوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون » الأنبياء : ٢٥)

وقال : « شرع لكم من الدّين ما وصّى به نوحاً والّذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدّين ولاتتفرّقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب »الشورى : ١٣)

وانّ هذا المنهاج العلمي والايمان الحقيقي في غاية الندرة والشذوذ ولا يوجد منهم في كلّ عصر إلّا عدد قليل كواحد أو إثنين ، وذلك انّ علم التوحيد والايمان الحقيقي نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده كما اشير إليه في الآية الأخيرة و ليس تحصيله بمجرّد الاقرار بالشهادة ولا بالبحث والتكرار والدراسة أو تلفيق الأدلة الكلامية والمصطلحات الفلسفية كما هو شأن أكثر المنتسبين إلى العلم المشهورين بالتدريس والافادة . . .

وهذا العلم نور عزيز المنال وفضل رفيع المثال لا يوجد بمجرّد القيل والقال والبحث والجدال أو رواية الحديث وحفظ الأقوال . . .

نعم ماقال بعض أصحاب هذا العلم لغيره ـ عند المحاورة ـ : « أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحيّ الذي لايموت » وهذا العلم المشار إليه هو علم الـوراثة لا علم الدراسة ، يعني أنّ علوم الأنبياء عليهم السلام لدنية فمن كان علمه مستفاداً من القيل والقال والكتب والدراسة فقط فليس هو من ورثة الأنبياء لأنّ علومهم لايستفاد إلّا من الله عزّ وجلّ إذ قال : « وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم » النساء : ١١٣)

وانّ التعليم من عند الله جلّ وعلا على نوعين : قسم يختصّ بالانبياء والأوصياء عليهم السلام لايتجاوز غيرهم ، وقسم ينال به كل من وصل إلى حقيقة التقوى قال الله تعالى : « واتقوا الله و يعلّمكم الله » البقرة : ٢٨٢) كيف لا والله سبحانه مع المتقين : « إنّ الله مع الذين اتّقوا والّذين هم محسنون » النحل : ١٢٨)

انّ التوحيد مع كونه أمراً فطرياً ولكن علمه من أغمض العلوم و أشرف المقامات ، ولا يختصّ بهذه المعرفة إلّا الأكابر المقربون ، ولا ينال هذه البغية إلّا الشهداء الصالحون والعلماء العاملون و أهل التقوى واليقين إذ صورة هذا العلم لاتكتب إلّا بقلم الحق على لوح القلب : « واعبد ربك حتّى يأتيك اليقين» الحجر ٩٩) واستقامت سريرته واستوت سيرته ، وصار مصيقلاً بنور الايمان والتقوى عن

كون التعلّقات إلى هذه الدنيا الفانية ، والاجتناب عن الركون إلى كثائف هذا العالم الزائل ، وصار مجلوّاً بجلاء التولّي بأصحاب الولاء الحقة والتبرّىء عن الطواغيت والشياطين ، وعن مصلحة الموذيات ومجانسة الحشرات في هذه القرية الوحشاء ، الظالم أهلها : « اولئك كتب في قلوبهم الايمان و أيّدهم بروح منه » المجادلة : ٢٢)

وقد أخبرالله عزّ وجلّ في قوله تعالى : « شهدالله أنّه لاإله إلّاهو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط » آل عمران : ١٨) بشرف العلم وفضيلة العالم حيث وصف نفسه بهذه الصّفة وأشعر أيضاً كمالايخفى على الأديب الأريب الواقف بالأساليب انّ العلماء في الحقيقة هم الموحّدون العدول الّذين ينزّهون الله الحق الغني العليّ عن الحاء الخفي والجليّ.

وان علم التوحيد من أعظم المقامات الانسانية ، ومراتب إرتقاء الانسان في العلم والمعرفة ، حيث ينتهي به إلى قرب الحق جلّ وعلا ومقرّبيه وسفرائه ،و من زلّت قدمه عن صراط التوحيد رسماً أوحالاً فقد وقع في الشرك والسفه : «ومن يرغب عن ملّة إبراهيم إلّامن سفه نفسه » البقرة : ١٣٠)

أمّا من زلّت قدمه رسماً فهو أبدي الشقاوة لاتنفعه شفاعة الشافعين :«لايصلاها إلّا الأشقى الّذي كذّب وتولى » الليل : ١٥ ـ ١٦) « فماتنفعهم شفاعة الشافعين فمالهم عن التذكرة معرضين كأنّهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة » المدثر :٤٨ـ ٥١) و أما من زلّت قدمه حالاً فهو من الغافلين النائمين الّذين يستطيعون أن يتدار كوا غفلتهم ونومهم بالتنبيه والايقاظ والتذكير والارشاد إن لم يكونوا من أهل العناد واللجاج . . « والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا » العنكبوت:٦٩)

ولقد نشأ من زمن بعيد طائفة غير قليلة ،غلبت عليهم الكسالة من جهة والجهل بمقام العلم وفضله من جهة اخرى ، ولعلت بهم الأهواء وحبّ الدنيا والشهوة والرئاسة من جهة ثالثة، وحتى بعضهم تركوا الدنيا للدنيا، وهم يبالغون في إنكارهم ويرون أنفسهم مشتغلين

بالعلوم ،ولكنهم يقولون : ان الانسان لايستطيع أن يفسّر القرآن الكريم غافلين عن أكثر المأة من الآيات القرآنية التي تحث الانسان عن التدبّر في القرآن المجيد «أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها» محمّد ﷺ : ٢٤) فكأنّهم يرون نزول هذا الكتاب السماوي للتقبيل وتلاوته عند القبور وجعله مهور النساء وجهيزة الأعراس . . .

وهم يقولون : ان القرآن الكريم ظنّي الدّلالة ، وان علم التوحيد حجاب.

فاذا كان القرآن المجيد كذلك فما لنا المسلمون دليل على إسلامنا ! ! !

نعم : ولعمري انّ علم التوحيد حجاب عظيم ، و لكنّه يحجب القلب عن الشرك والرياء ، عن الطغيان والفساد ، عن البطالة والكسالة، عن الغفلة والجهالة، عن حبّ الدنيا والانهماك في الشهوة ، عن حب الاشتهار والرئاسة ، عن الرعونة والسفاهة ، عن حبّ الترأس والتبسط في البلاد ، والتورط في الشبهات والاقدام إلى المحرمات للمصالح الشخصية والأغراض النفسية ، عن قبول المناصب والتقرب إلى الحكّام الجابرة ، والطواغيت الفراعنة ، والسلاطين الباغية ، و عن التبرّي عن الفقراء والمنزوين والخاملين ، وإلى غير ذلك من أضداد علم التوحيد و نتائج الجهل . . .

فما أشرف الصفات وأعظم الفضائل من صفة حبانا الله جل وعلا منها بالخطّ الوافر؟ كيف لانفرح بها ولانفتخر مع الخشية من الله جلّ وعلا وحده ؟

وانّ لهذا العلم شرفين عظيمين لايوازيهما شرف : أحدهما - انّ الله تعالى وصفه نفسه به . ثانيهما - انّه مدح به خاصّته ومقرّبيه من أنبيائه وملائكته ، و لم يزل مانّاً علينا بهذا العلم بأن جعلنا ورثة الانبياء عليهم السلام كما قال رسوله الخاتم ﷺ : «العلماء ورثة الأنبياء» فلماذا ننتقل من إسم سمّانا الله تعالى به ونبيّه ﷺ إلى غيره من الألقاب والأسامي ونرجّحه ؟

وقد ثبت بالكتاب والسنة والعقل والاجماع بلامراءٍ انّ أشرف العلوم و

أجلّ المعارف هي معرفة الله تعالى وصفاته اللائقة به .

ولمّا كان لعلم التوحيد طرق عديدة ، وقد أخطأ فيها كثير من الباحثين لابدلنا من الاشارة إلى خطاياهم قبل الاشارة إلى ماتلهمنا الآيات القرآنية والروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

وذلك انّ الفلاسفة الكثيرين قديماً وحديثاً تطرّقوا طرقاً خاطئة في علم التوحيد إذ تكلموا في ماهيّة ذاته جلّ وعلا وأكثروا القليل والقال في حقيقته و صفاته ، وتاه أكثرهم في العجاج عن المنهاج والفلح ، والعلّة في ذلك هو من أجلّ ان هذا المطلب من أبعد المرامي إشارة ، وضرب لهذه المعاني مثلاً فقال :« كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء » النور : ٣٩)

فطلبوه كطلبهم سائر الأشياء الجزئية المحسوسة ، و بحثوا عنه كبحثهم عن سائر الموجودات الكليات المبدعات المخترعات المصنوعات الكائنات : من الجواهر والأعراض والصفات الموصوفات المحتوية عليها الأماكن والأزمان والأكوان والأشخاص والأنواع والأجناس . . . و ذلك انّ كل واحد من هذه الموجودات يطلب فيه ويبحث عنه بمباحث تسعة وهي : هل هو ؟ ماهو ؟ كم هو ؟ كيف هو ؟ أيّ هو ؟ متى هو ؟ ومن هو ؟ ولم هو ؟

ولايخفى على القاريء الخبير : انّ مبدع الهويّات ، وممهي الماهيات ، و موجد الكميّات ، ومكيّف الكيفيّات ، ومميّز الأينيات ، ومرتّب الأنينات ،و علّة اللمّيات لايقال له : ماهو ؟ ولا يسئل عنه كيف هو ؟ و كم هو ؟ و أين هو ؟ و أيّ هو ؟ ومتى هو ؟ ولم كان هو ؟

وإنما يسوغ من تلك المباحث إثنان فقط ، وهما : هل هو ؟ و من هو ؟ كما يقال : هو الذي فعل كيت و كيت ، وهو الذي وضع كيت و كيت ، ومن أجل هذا أجاب موسى بن عمران عليه السلام فرعون إذ سئله : « ما رب العالمين » الشعراء : ٢٣) فلم يجبه موسى عليه السلام عن جواب « ما » بل أجاب عن جواب : « من » الذي

يليق به وبربوبيته إذقال : « ربّ السمٰوات والارض وما بينهما » الشعراء : ٢٤) فلم يرض فرعون عن الجواب فقال لمن حوله : « ألاتستمعون » الشعراء : ٢٥) أسئله : « ماهو ؟ » وهويجيبني عن : « من هو ؟ » و كذا سئل مشركو قريش و معانديهم النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا :نعبد أصناماً وآلهتنا ونحن نراهاونشاهدها ونعرفها، فأخبرناعن إلهك الذي تعبده ماهو؟ فأنزل الله تعالى : « قل هوالله أحد...» فقالوا : لايفهم ولايعرف ! وهم يريدون ماهيّة ذاته:أهوجوهرأم عرض ؟أنورهو أم ظلمة ؟ أهوجسم أم روح ؟ هل هوداخل أم خارج؟ هل قائم هوأم قاعد ؟ هل هو فارغ أم مشغول ؟ ومايشابه هذه المباحث التي لاتليق بربوبيته جلّ وعلا :«سبحانه وتعالى عمايقولون علواً كبيراً » الاسراء : ٤٣)

وقد سلك الحكماء في العلوم الرياضية ونظروا في الطبيعيات، وغرضهم من ذلك الارتقاء إلى العلم الالهي الّذي هوأقصى غرض الحكماء والنّهايةالّتي إليها يرتقي بالمعارف الحقيقية ، ولماكان أوّل رتبة من النظرفي العلوم الالهية هومعرفة جوهرالنفس والبحث عن مبدئها من أين كانت قبل تعلّقها بالجسد والفحص عن معادها إلى أين تكون بعد فراق الجسد الّذي يسمّى الموت ،وعن كيفيّة ثواب المحسنين كيف يكون عالم الآخرة وعن جزاء المسيئين . . .

ولماكان الانسان مندوباً إلى معرفة ربه بل لاخلق لأجلها : « وما خلقت الجن والانس إلّاليعبدون» الذاريات : ٥٦) وأحسن طريق له فيها هومعرفةنفسه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه » وقال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « من عرف نفسه فقدعرف ربه » وجب على كل عاقل طلب علم النفس ومعرفتها وتهذيبها وتزكيتها : « و نفس و ما سوّاها فألهمها فجورها و تقواها قد أفلح من زكاها » الشمس : ٧ ـ ٩)

وقد هدانا الله عزّ وجلّ إلى معرفته من طريقي الانّ واللمّ بقوله تعالى : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحق أولم يكف بربك

أنّه على كل شيء شهيد » فصلت : ٥٣)

وانّ العلم الالهي هوعلم يبحث فيه عن الموجودات كلّها من حيث تعيّنها وثبوتها وتحقق حقائقها وما يعرض لها ونسب ما بينها ومايعمّها وما يخصّهامن حيث هي موجودات مجرّدة عن المادّة وعلائقها، وموضوعه الموجودات وأحوالها من هذه الحيثية ، ويعبّر عنه بالعلم الالهي لاشتماله على علم الربوبية وبالعلم الكلي لعمومه وشموله بالنظر لكلّيّات الموجودات ويعلم مابعد الطبيعة لتجرّدموضوعه عن الموادّ ولواحقها . . .

أجزاؤه الأصليّة خمسة : الأوّل :النظر في الامور العامّة مثل الوجودوالماهيّة والوحدة والكثرة والوجوب والامكان والقدم والحدوث والأسباب والمسببات وما يجري هذا المجرى ،الثاني :النظر في مبادي العلوم كلّهاوتبيين مقدماتها ومراتبها. والثالث:النظر في إثبات الاله الحق والدلالة على وحدته وتفرّده بالربوبيّةوإثبات صفاته وبيان انّهالاتوجب كثرةفي ذاته ، والرابع:النظر في إثبات الجواهر المجرّدة من العقول والنفوس الانسانية والملائكة والجنّ والشياطين وحقائقها وأحوالها... والخامس :أحوال النفوس البشرية بعد مفارقتها الهياكل و حال المعاد و كيفية إرتباط الخلق بالأمر .



﴿العلم والنور﴾

وقد جائت في كثيرمن الآيات القرآنية كلمة النور كناية عن العلم ، و قد عبّرفي الروايات الواردة عن العلم بالنور :

ومن الآيات الكريمة قوله عزّوجلّ : « يا أيّها النّاس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً » النساء : ١٧٤)

وقوله تعالى : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثيرقدجاءكم من الله نور و كتاب مبين » المائدة : ١٥)

وقوله جلّوعلا : « أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » الأنعام : ١٢٢)

انّ الله تعالى قد سمّي العلم نوراً وحياة في الآية الأخيرة ، وسمّي الجهل ظلمة وموتاً لأنّ الانسان بالعلم يهتدي إلى الرشاد كما أنّه بالنور يهتدي في الظلمات إلى المراد ، وتدرك بالعلم الامور كماتدرك بالحياة ، وان الظلمة كالجهل لأنّه يؤدّي إلى الحيرة والهلكة والموت كمالايمكن مع الجهل إدراك الحقيقة .

انّ العلم عين النور الباطني ، و كمالايدرك شيء إلّابالنور الظاهري ولايوجد أمر بدونه كذلك النور الباطني ، فلاتدرك حقيقة إلّابه ، و لشدّة ظهوره لا يمكن تعريفه واقعاً إذ من شرط المعرّف - بكسر الراء - أن يكون أجلى من المعرف - بفتحها - وسابقاً عليه، ومائمّة ماهوأجلى من العلم ولاسابق إلّاالذات الذي لايحيط

به علم أحد غير ذاته الحق المتعال .

وان الانسان وحده يليق بهذا النور أن يكون خليفة الله في أرضه وأن يسجد له الملائكة : « و إذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة ـ و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » البقرة : ٣٠ ـ ٣٤) إذ لا يوصف شيء من الموجودات بهذه الصفة والكرامة لأمرين :

أحدهما: ان الانسان هو الذي يستطيع أن يخلف عن جميع المخلوقات، ولا يخلفه المكنونات بأسرها، وذلك لأن الله عز وجل جمع فيه ما في العوالم كلّها فهو وحده مجمع جميع صفات ما سواه : من الروحانيات والجسمانيات ، من السماوية والأرضية ، من الدنيوية والاخروية ، من النباتات والجمادات ، و من الحيوانات والملكوتيات وزائداً عليها . . .

أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

فهو وحده بالحقيقة خليفة الكل .

وهو الذي أكرمه الله جل وعلا باختصاص كرامه : « ونفخت فيه من روحي » الحجر : ٢٩) وما أكرم بها أحداً من العالمين ، وإلى هذا المعنى أشار بقوله جل وعلا : « ولقد كرّمنا بني آدم » الاسراء : ٧٠) ولهذا الاختصاص ما صلح الموجودات كلّها أن تكون خليفة الانسان ولا للحق جل وعلا .

ثانيهما ـ ان الانسان لهذا النور يليق أن يكون خليفة الله جل وعلا صورة ومعناً ، أمّا الصورة فوجوده في الظاهر يخلف عن وجود الحق في الحقيقة لأن وجوده يدل على وجود موجده كالبناء يدل على وجود الباني ، وذاته عن ذاته ، وصفاته عن صفاته ، وحياته عن حياته ، و قدرته عن قدرته ، و إرادته عن إرادته ، و سمعه عن سمعه ، وبصره عن بصره ، و كلامه عن كلامه ، وعلمه عن علمه ، وليس لنوع من المخلوقات أن يخلف عنه كما يخلف عنه الانسان ، وإن كان فيها بعض الامور ... ولكن تجتمع صفات الحق في أحدها كما تجتمع في الانسان ولا يتجلى صفة من صفاته

لشيء كما يتجلّى لمرآة قلب الانسان صفاته . . .

وأمّا الحيوانات فانّها وإن كان لها بعض هذه الصّفات ولكن ليس لها علم بوجود موجودها ، وأمّا الملائكة فانّهم ،وإن كانوا عالمين بوجود موجدهم،ولكن يبلغ حدّ علمهم إلى أن يعرفوا أنفسهم بجميع صفاتها لا الحق بجميع صفاته ...

ولذا قالوا : « سبحانك لاعلم لنا إلاّ ما علّمتنا » البقرة : ٣٢) وكان الانسان مخصوصاً بمعرفة نفسه بالخلافة ، وبمعرفة جميع أسماء الله جلّ وعلا .

وأمّا معناً فليس في العالم مصباح يستضيء بنور الله تعالى فيظهر أنوار صفاته في الأرض خلافة عنه إلاّ مصباح الانسان ، فانّه مستعدّ لقبول فيض نور الله جلّ و علا لأنّه اعطى مصباح السرفي زجاجة القلب والزّجاجة في مشكاة الجسد ، و في زجاجة القلب زيت الروح يكاد زيتها يضيء من صفات العقل ، وفي مصباح السرّ فتيلة الخفاء ، فاذا أراد الله أن يجعل في الأرض خليفة يتجلّى بنور جماله لمصباح السرّ الانساني فيهدي لنوره فتيلة خفاء من يشاء فيستنير مصباحه بنوره جلّ وعلا فهو على نور من ربه ، فيكون خليفة الله تعالى في أرضه ، فيظهر أنوار صفاته في هذا العالم بالعدل والاحسان والرأفة والرحمة لمستحقيها ، وبالعزّة والقهر والغضب والانتقام لمستحقيها كما قال الله عزّ وجلّ : « ياداود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » ص : ٢٦)

ولاتظهر هذه الصفات من الحيوان والملك ، و مبنى الخلافة على الاستعداد والقابلية ، وليس في غير الانسان هذا الاستعداد والقابليّة ، ولذلك فساد الاستعداد أمر عظيم ، ويوجب العذاب الأليم ، وليس للملائكة الترقي من حدّهم ، و لكن في الانسان سرّاً مستعداً لقبول فيض الأنوار الالهية والارتقاء إلى حدّ لا يتصوّر من لم يرتق إلى هذا الحدّ كالنّبي صلى الله عليه وآله وسلم .

و نعم ماقال بعض المحققين: انّ الانسان كالنّواة بالنسبة إلى قشرها ، فالقشر و إن كان حلواً ، ولكن لايستعدّ لصيرورة النخل ، و لكن النّواة تستعدّ للنخل ،

فالملائكة بالنسبة إلى الانسان كالقشر والانسان بالنسبة إلى الملائكة كالنواة : «لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا» يعني حسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة لنا على ماهو خارج عن دائرة إستعدادنا .

وبالجملة : إنّ الانسان وحده يستعدّ أن يقذف الله تعالى نور العلم في قلبه ، وهذا لا يكون إلاّ أن يكون القلب مطهّراً من رجس الحسد والرياء ، من رجس حبّ الدنيا والجاه . . . مهذّباً من دنس الحقد والغضب ، من دنس التكبّر والتغلب ، ومز كّاً من رجس الحرام والفساد ، و من رجس الشرك والنفاق . . . مخلصاً لله جلّ وعلا ، فيطلبه منه تعالى للعمل به قبل أن يدعو الناس إليه و لصاحب هذا العلم ثواب . . .

في الاحتجاج: باسناده عن أبي يعقوب يوسف بن محمّد بن زياد وأبي الحسن عليّ بن محمّد بن سيّار عن أبي محمّد الحسن بن عليّ العسكري عليهما السلام قال : قال محمّد بن عليّ الباقر عليهما السلام : « العالم كمن معه شمعة تضيء للناس ، فكلّ من أبصر بشمعته دعا بخير ، كذلك العالم معه شمعة تزيل ظلمة الجهل والحيرة ، فكلّ من أضاءت له فخرج بها من حيرة أونجى بها من جهل فهو من عتقائه من النار ، والله يعوضه عن ذلك بكل شعرة لمن أعتقه ماهو أفضل له من الصدقة بمأة ألف قنطار على الوجه الذي أمر الله عزّ وجلّ به ، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها لكن يعطيه الله ماهو أفضل من مأة ألف ركعة يصلّيها من بين يدي الكعبة »

و في البحار : ـ من مواعظ عيسى بن مريم عليه السلام لعلماء السوء وعبيد الدنيا « يا عبيد الدنيا ! تحملون السراج في ضوء الشمس وضوؤها كان يكفيكم، وتدعون أن تستضيؤوا بها في الظلم ، و من أجل ذلك سخّرت لكم ! كذلك إستضأتم بنور العلم لأمر الدنيا وقد كفيتموه وتركتم أن تستضيؤوا به لأمر الآخرة ، و من أجل ذلك أعطيتموه ، تقولون : ان الآخرة حق وأنتم تمهّدون الدنيا و تقولون : إنّ الموت حق وأنتم تفرّون منه ، وتقولون : إنّ الله يسمع ويرى ولا تخافون إحصائه

عليكم ، فكيف يصدّقكم من سمعكم ، فانّ من كذب من غير علم أعذر ممن كذب على علم ، وإن كان لاعذر في شيء من الكذب .

بحقّ أقول لكم : إنّ الدابة إذا لم تركب ولم تمتهن و تستعمل لتصعب و يتغيّر خلقها ، و كذلك القلوب إذا لم ترقق بذكر الموت ويتبعها دؤوب العبادة تقسو وتغلظ .

ماذا يغنى عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم ؟ كذلك لايغنى عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم و أجوافكم منه وحشة معطلة ! فاسرعوا إلى بيوتكم المظلمة ، فأنيروا فيها ، كذلك فاسرعوا إلى قلوبكم القاسية بالحكمة قبل أن ترين عليها الخطايا ، فتكون أقسى من الحجارة ، كيف يطيق حمل الأثقال من لايستعين على حملها ؟ أم كيف تحطّ أوزار من لايستغفر الله منها ؟ أم كيف تنقي ثياب من لا يغسلها ؟ و كيف يبرأ من الخطايا من لا يكفّرها ؟

أم كيف ينجو من غرق البحر من يعبر بغير سفينة ؟ و كيف ينجو من فتن الدنيا من لم يداوها بالجدّ والاجتهاد ؟ و كيف يبلغ من يسافر بغير دليل ؟ و كيف يصير إلى الجنّة من لايبصر معالم الدين ؟ و كيف ينال مرضاة الله من لا يطيعه ؟ و كيف يبصر عيب وجهه من لاينظر في المرآة ؟ و كيف يستكمل حبّ خليله من لايبذل له بعض ما عنده ؟ و كيف يستكمل حبّ ربّه من لا يقرضه بعض ما رزقه ؟ . . . » الحديث .

أقول : ولعمري ان العلوم الحقيقيّة والحكم الاسلامية والمعارف الاخروية لاتحصل إلّا بالانقطاع عن الدنيا والسير إلى الله عزّ وجلّ وحده و التلبس بالتقوى الحقيقية، فلاتدرس إلّا في مدرسة التقوى كما قال الله عز و جل : « و اتقوا الله و يعلمكم الله » البقرة : ٢٨٢) فجعل العلم ميراث التقوى و هذا العلم يحصل بالبصيرة أكثر مما يحصل بالبصر، ومن البديهي انّ نسبة البصيرة إلى مدركاتها كنسبة البصر

إلى مدركاته ، فكما أنّ للبصر نوراً كل مايقع في ذلك النور فهو يدركه فكذا البصيرة نور ، كل مايقع فيه فهو يدركها ، ولايدرك حقيقة هذا النور إلّا من له نور ، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ، ومن لاتقوى لـه لانور له : « و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور » النّور : ٤٠)

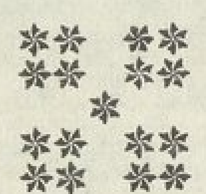
وهكذا إدراكات جميع الأنوار حتّى نورالأنوار ، و كلما ازدادت النفس نورية وشروقاً بالايمان والتقوى ازدادت انبساطاً فيقع فيها المعلومات أكثر ... فلاتحصل هذه العلوم لأهل الدّنيا والراغبين فيهاوالجاه والرئاسة والترفع بخلاف سائر العلوم فانّها ميسّرة لأهل الدنيا، بل مع شدّة الحرص على الترفعات الدنياوية ومحبتها ، والانهماك في شهواتها، ومع شدة محبّة الرئاسات الحيوانية والاهتمام بالشره عند الناس ، بل ربّماكانت معينة على إكتسابها لماترى من المشتغلين تحمل المشاق و سهر الليالي والتكرار والقيل والقال آناء الليل و أطراف النهار والصبر على الغربة والأسفار . . . و لكن للجاه الوهمي والتصدر الخيالي والتبسط في البلاد وتقبيل الأيدى والترفع على العباد . . . و انها كلها مادية دنيوية تدرك بالبصر فينال بها من أرادها ، ولاتحتاج في إدراكها إلى البصيرة كما تحتاج إليها العلوم الالهية والمعارف الاسلامية والحقائق والأسرار والحكم القرآنية . . .

وهذه العلوم نورلايدرك إلّابنورالعقل إذلايهتدي إلى النور غير النور، ولا تظهر صور فردانية إلّا في مرآة فردانية النفس وهي مرآة الله جلّ و علا ، و مرآة الله تعالى لايشبهها مرآة الأجسام . . .

ونعم ماقيل : إذا وضعت على سواد عينك جزءاً من الدنيا لا ترى شيئاً ، فكيف ترى كل الدنيا اذا وضعت على سويداء قلبك ؟

في عدة الداعي : باسناده عن أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام - في حديث- قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « وان العلم حياة القلوب من الجهل ، وضياء الأبصار من الظلمة ، وقوّة الأبدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الأخيار ومجالس

الأبرار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة والفكر فيه يعدل بالصيام ، و مدارسته بالقيام ، وبه يطاع الرب عزّ وجلّ و يعبد ، وبه توصل الأرحام و يعرف الحلال والحرام، والعلم أمام العمل ، والعمل تابعه ، يلهمه السعداء و يحرمه الأشقياء ، فطوبى لمن لايحرمه الله منه حظّه .



﴿ العلم والعقل ﴾

قال الله عزّ وجلّ : « أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم و أنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ـ ومثل الّذين كفروا كمثل الّذي ينعق بما لا يسمع إلّا دعاء ونداء صمّ بكم عمي فهم لا يعقلون » البقرة : ٤٤ و ١٧١)

وقال : « وإذا ناديتم إلى الصّلاة اتّخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون » المائدة : ٥٨)

وقال : « ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصّمّ ولو كانوا لا يعقلون ـ ويجعل الرجس على الّذين لا يعقلون » يونس : ٤٢ و ١٠٠)

و قال : « وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون ـ ومن ثمرات النّخيل والأعناب تتّخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إنّ في ذلك لآية لقوم يعقلون » النحل : ١٢و٦٧)

وقال : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الّتى فى الصدور » الحج : ٤٦)

وقال : « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلّا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً » الفرقان : ٤٤)

وقال : « وتلك الأمثال نضربها للنّاس وما يعقلها إلّا العالمون » العنكبوت : ٤٣)

وقال : « كذلك نفصّل الآيات لقوم يعقلون » الروم : ٢٧)

وقال : « وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنّا في أصحاب السعير» الملك:١٠)

وما يستفاد من الآيات الكريمة : انّ حصول العلم والعمل به ينوط بالتعقل وإتباع العقل .

وقال بعض المحققين : انّ الفرق بين العلم والعقل : أن العقل هو العلم الأوّل الّذي يزجر عن القبائح كلها . . . وكلّ من كان زاجره أقوى كان أعقل ، وان العقل هو الّذي يمنع صاحبه عن الوقوع في الوقوع ، وهومن قولك : عقل البعير إذا شدّه فمنعه من أن يثور ولذا لا يوصف الله تعالى به .

و قال بعضهم : انّ العقل هو الحفظ ، يقال : أعقلت دراهمي أي حفظتها ، و أنشد قول لبيد :

واعقلي إن كنت لما تعقلي و لقد أفلح من كان عقل

قال : ومن هذا الوجه يجوز أن يقال : إنّ الله عاقل كما يقال له : حافظ إلاّ أنّه لم يستعمل فيه ذلك .

وقال بعضهم : إنّ العقل يفيد معنى الحصر والحبس ، وعقل الصبي إذا وجد له من المعارف مايفارق به حدود الصبيان، وقد سمّيت المعارف الّتي تحصر معلوماته عقلاً لأنها أوائل العلوم ألاترى أنّه يقال للمخاطب : اعقل ما يقال لك أي احصر معرفته لئلاّ يذهب عنك ، وخلاف العقل الحمق ، و خلاف العلم الجهل ، و قيل لعاقلة الرجل : عاقلة لأنّهم يحسبون عليه حياته ، والعقال ما يحبس الناقة عن الانبعاث ، وقال : وهذا أحبّ إليّ في حدّ العقل من قولهم : هو علم بقبح القبائح والمنع من ركوبها ، لأنّ في أهل الجنة عقلاً لا يشتهون القبائح ، وليست علومهم منعاً .

ولو كان العقل منعاً لكان الله عزّوجلّ عاقلاً لذاته ، وكنا معقولين لأنّه الّذي منعناوقد يكون الانسان عاقلاً كاملاً مع إرتكابه القبائح ، ولما لم يجز أن يوصف

الله تعالى بأنّ له علوماً حصرت معلوماته لم يجز أن يسمّى عاقلاً ، وذلك أنّه عالم لذاته بمالانهاية له من المعلومات، ولهذه العلّة لم يجز أن يقال : إنّ الله عزّ وجلّ معقول لنا لأنه لايكون محصوداً بعلومنا كمالاتحيط به علومنا .

و قال بعض الحكماء : إنّ العلم هو إعتقاد بأن الشّيء كذا ، وأنّه لايمكن أن لايكون كذا بواسطة توجبه ، والشيء كذلك في ذاته ، و قد يقال : « علم » لتصور الماهية بتحديد ، وإنّ العقل هو إعتقاد بأنّ الشّيء كذا ، وأنّه لايمكن أن لايكون كذا طبعاً بلاواسطة كاعتقاد المبادىء الاولى للبراهين ، وقد يقال : «عقل» لتصور الماهية بذاتها بلاتحديدها كتصور المبادىء الاولى للحدّ .

وقال هرمس الحكيم : « لا يمدح بكمال العقل من لا تكمل عفته ، ولا بكمال العلم من لايكمل عقله »

و قال افلاطون : « من زاد علمه على عقله كان وبالاً عليه »

فى احقاق الحق : قال الامام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام : « إني لا كره أن يكون مقدار لسان الرجل فاضلاً على مقدار علمه كما اكره أن يكون مقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله »

وفى الكافى : باسناده عن هشام بن الحكم قال : قال لي أبوالحسن موسى بن جعفر عليه السلام ـ في حديث ـ « يا هشام إنّ العقل مع العلم فقال : « و تلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلّا العالمون » ياهشام ثم ذمّ الّذين لا يعقلون فقال : « و إذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون » وقال : « ومثل الذين كفروا كمثل الّذي ينعق بمالا يسمع إلّا دعاء ونداء صمّ بكم عمي فهم لايعقلون » وقال : « و منهم من يستمع إليك أفأنت تسمع الصمّ ولو كانوا لايعقلون » وقال: « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلّا كالانعام بل هم أضل سبيلاً » وقال : « لا يقاتلونكم جميعاً إلّا في قرى محصّنة أومن وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتّى

ذلك بأنّهم قوم لايعقلون » وقال : « و تنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » ـ إلى أن قال ـ : ياهشام مابعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده إلّا ليعقلوا عن الله ،فأحسنهم إستجابة أحسنهم معرفة ، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة ـ يا هشام نصب الحق لطاعة الله ولانجاة إلّا بالطاعة ، والطاعة بالعلم ، والعلم بالتعلّم ، والتعلّم بالعقل يعتقد ، ولاعلم إلّا من عالم ربّاني ، ومعرفة العلم بالعقل . . . الحديث

قوله عليه‌السلام : « يعتقد » أي يشدو يستحكم .

و في التبيان : قال الشيخ الطوسي قدّس سرّه في قوله تعالى:« يعقلون بها » : فيها دلالة على أنّ العقل هو العلم لأنّ معنى:« يعقلون بها»: يعلمون بها مدلول مايرون من العبرة وفيها دلالة على أنّ القلب محل العقل والعلوم لأنّه تعالى وصفها بالناهي الّتي تذهب عن إدراك الحق ، فلولا أنّ التبيين يصح أنّ يحصل فيها لماوصفها بأنها تعمى كمالا يصح أن يصف اليد والرجل بذلك »

و قد ورد صحيحاً : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه‌السلام : « ليس شيء أحسن من عقل زانه علم، و من علم زانه حلم ،ومن حلم زانه صدق ، ومن صدق زانه رفق ، ومن رفق زانه تقوى ، و إن ملاك العقل ومكارم الأخلاق صون العرض ، والجزاء بالفرض والأخذ بالفضل ، والوفاء بالعهد والانجاز للوعد ، ومن حاول أمراً بالمعصية كان أقرب إلى مايخاف وأبعد ممايرجو»

وقال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم : « إنّ العقل عقال من الجهل ، والنفس مثل أخبث الدّوابّ فان لم يعقل حارت ، فالعقل عقال من الجهل ، وان الله خلق العقل،فقال له : أقبل فأقبل ، وقال له : أدبر فأدبر ، فقال له الله تبارك و تعالى : و عزّتي و جلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا أطوع منك ، بك أبدي وأعيد ، لك الثواب وعليك العقاب .

فتشعّب من العقل الحلم ، ومن الحلم العلم ، ومن العلم الرشد ، و من

الرشد العفاف ، ومن العفاف الصّيانة، ومن الصّيانة الحياء ، ومن الحياء الرزانة، ومن الرزانة المداومة على الخير وكراهيّة الشر، ومن كراهيّة الشر طاعة الناصح. فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير ، ولكل واحد من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع ، فأما الحلم : فمنه ركوب الجميل ، وصحبة الأبرار ، ورفع من الضّعة ، ورفع من الخساسة ،وتشهّي الخير،ويقرّب صاحبه من معالي الدرجات ، والعفو والمهمل والمعروف ، والصمت ، فهذا ما يتشعّب للعاقل بحلمه .

وأما العلم : فيتشعّب منه الغنى وإن كان فقيراً ، والجود وإن كان بخيلاً ، والمهابة وإن كان هيّناً ،والسلامة وإن كان سقيماً ، والقرب وإن كان قصيّاً، والحياء وإن كان صلفاً ، والرفعة و إن كان وضيعاً ، والشرف و إن كان رذلاً ، والحكمة والحظوظ ، فهذا مايتشعّب للعاقل بعلمه ، فطوبى لمن عقل وعلم . . . »الحديث .

و في الزبور : قال الله تعالى لداود : قل لأحبار بني إسرائيل و رهبانهم : حادثوا من الناس الأتقياء ، فان لم تجدوا فيهم تقياً فحادثوا العلماء ،وإن لم تجدوا عالماً فحادثوا العقلاء ، فان التقي والعلم والعقل ثلاث مراتب ، ماجعلت واحدة منهن ّفي أحد من خلقي وأنا اريد هلاكه »

وقد هبطت رسالة الاسلام في مجتمع بدوي امّي، لاحظّ له من العلم والمعرفة ولانصيب له من الفضل والثقافة ، فأيقظ روح التفكير والعلم ، وأقام بناء امّته وبنى كيانها وحضارتها على أساس العقل والعلم ، و من يقرأ القرآن الكريم متفكّراً فيه يجد أنه ربط ربطاً محكماً بين الدّين والعقل والعلم ، وحثّ على التفكير والتعقّل والفهم وإحترام العلم و جعله طريقاً وحيداً إلى معرفة الله عزّ وجلّ إذ قال : « إنّما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر : ٢٨)

وبذا فتح آفاق البحث والتحقيق أمام العقل وقدّس العلم ، فاندفع المسلمون في مجال البحث والتحقيق والابداع العلمي حتّى شيّدوا صروح العلم ، و أغنوا آفاق المعرفة سواء علوم الشريعة أوعلوم الطبيعة والمجتمع . . . وكانت لهم الريادة

والقيادة العلمية والحضارية ، فكانوا ساسة الدنيا، وقادة العالم بالعلم ورسالة الاسلام : رسالة الخير والهدى ، رسالة السعادة والفلاح ، ورسالة العزة والصلاح . . .

إن الدّين الاسلامي ينظر إلى العلم أنه نعمة إلهية ورحمة ربّانيّة يجب أن يستخدم لصالح البشرية وخيرها وسلاح و قوّة يتسلّح بها العقل ضدّ الخرافة والضلال والفساد . . . و لقد ازدادت مسئولية المسلمين في طلب العلم و كسب المعارف اليوم أكثر من أيّ وقت مضى ، فقد أصبح العلم أداة ووسيلة بيدي القوى الجاهلية والكيانات التي تستهدف إستعباد الانسان وإستغلاله ، وأصبح المسلمون يعانون من الضعف والتخلف والتبعية بسبب تفوق هذه القوى عليهم في مجال العلم والمعرفة ، و أصبح الصراع البشري صراعاً علمياً ، والامّة التي لاتتسلّح بالعلم هي امّة ضعيفة هزيلة لاتقوى على الوقوف في خضم هذا الصراع ، ولذلك يدعو الاسلام المسلمين في كل وقت ومكان إلى طلب العلم والتسلّح به ، يدعوهم إلى طلب العلم ليكون هو وسيلة للقوة والمنعة وحماية معسكر الايمان من هجمات الجاهلية وخططها المضادة . . .

فعلى شبابنا أن يستجيبوا لهذه الدعوة ليكونوا من روّاد العلم والمعرفة لنبدد ضباب الشبهات و نزيح عن الأذهان بصمات الأضاليل التي يحاول أعداء الاسلام تركيزها لتصوير الاسلام بصورة التخلف والرجعية ومعارضة العلوم ، متنكّرين لفضل الاسلام على البشرية ، ودعوته لتحرير العقل وطلب العلم ليصدّوا الناس عن الهدى ويحكموا قبضة الاستعباد والسيطرة على الانسان : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون » التوبة :٣٢)

إن القرآن الكريم يريد ببيانه : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون » العنكبوت : ٤٣) أن يصنع إنسان العقل والعلم ليستطيع أن يدرك رسالته ، ويرتفع إلى مستوى الانسانية ،فيحمل رسالة العلم والدين ، إنّ الاسلام رفيق العقل وداعية العلم ورسول المعرفة ، وهو والجهل ضدّان لايتّفقان ، فقد

جاء الاسلام والبشرية تعيش في جهل وضلالة ، وتتخبط في ظلمات الوهم والشعبذة والخرافة ، فحطم أوّل ما حطم حصون الجهل وأزاح أوّل ما أزاح الغشاوة عن العقل لينطلق بصيراً مدركاً واعياً متمكّناً من إدراك الحق ، قادراً على استكشاف دلائل المعرفة وتشخيص طريق الخير والصواب ، طريق النور والرشاد ، وطريق الجنة والفلاح . . .

و لذلك هبط نداء الوحي الأوّل على رسول الله الأعظم خاتم النبيين محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم : « إقرأ باسم ربك الّذي خلق خلق الانسان من علق إقرأ وربك الأكرم الّذي علّم بالقلم علّم الانسان مالم يعلم » العلق : ١ ـ ٥)

فأوّل نداء ودعوة في الدّين الاسلامي هو نداء العلم والدعوة إلى التعلم وطلب المعرفة ، ومن يستقرىء نصوص القرآن الكريم والروايات الواردة عن طريق أهل بيت النبوة، والتأريخ الحضارى للامة الاسلامية يلاحظ بوضوح وجلاء أنّ الاسلام لم يهتمّ بشيء في الحياة كاهتمامه بالعلم، ولم يحترم حقيقة فيها كاحترامه العقل ، ولذلك أقام دعوته على أساس العقل والمنطق السليم ، وان الدين الاسلامي هو الدين الّذي يدعو الانسان إلى الحوار الهادىء والاسلوب العلمي الرصين ، والجدل المنطقي المتقن ، ويوجّه نظره إلى التفكر والتدبر في هذا الكون ونظامه ، والتعقّل في آياته ودلائل عظمته ، واعتبر التفكير العلمي السديد أعلى درجة من درجات العبادة، فأمر نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخاطب العقل أن يسلك أساليب الحكمة في الخطاب :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالّتي هي أحسن» النحل : ١٢٥)

« قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتّبعني » يوسف : ١٠٨)

فجعل الجدال العلمي والاقناع العقلي القائم على البيّنة والدليل هو الاسلوب و الطريقة إلى الايمان بالله جلّ وعلا والتصديق برسالته ، و رفض الايمان القائم

على الجهل والتبعية والتقليد الأعمى. . . « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آبائنا اولو كان آباءهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون » البقرة : ١٧٠)

وقد امتدح الاسلام الايمان والعبادة القائمة على اساس العلم والمعرفة و اعتبرها أعلى درجة من درجات السمو الايماني : « إنما يخشى الله من عباده العلماء» فاطر : ٢٨) « ان الذين اوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرّون للأذقان سجّدا » الاسراء : ١٠٧)

ولذلك اعطى الاسلام العلم قدسيّة وحرمة ، ورفع أهله إلى أعلى درجات الاحترام والتكريم إذقرنه بصحة الايمان والعبادة واستنكر أن يتساوى العالم والجاهل في الفهم والوعي والموقف والسلوك والعطاء . . .

«قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكّر اولو الألباب» الزمر : ٩)

وذلك ان العالم و حامل العلم والمعرفة حقاً يدرك الامور على حقيقتها و يتعامل معها وفق أصالتها الكونية ، ويعطى كل شيء في الحياة حقه ، وهو يستطيع أن يميّز خيره وخير البشرية معه ، فهو يسير على هدى و بصيرة ويتصدى بوعى و إدراك ، ويقدر الامور حق قدرها ، ولذلك يكون أوّل السائرين بقافلة الايمان ، والداعين إلى رسالة الدين كل من استعمل علمه وحكّم عقله و تحرّر من ميل النفس وإنحرافها ، لان العلم دليل يوصل إلى الحق ، وهاد يرشد إلى الخير ، و نور يهدى من استضاء به سبل الرشاد . . .

وأما الجاهل فهو في نظره إلى الأشياء كالأعمى يراها سوداء على إختلاف ألوانها ، ومراتب جمالها لايدرك الحق من الباطل ، ولايميّز الخير من الشر ، ولا الصلاح من الفساد ، ولا الهدى من الضلال .. يتخبط في سيره ويتعثر في وضع خطواته . . . يضرّ نفسه ويهلك غيره . . . ولذلك شبّه القرآن الكريم العلم بالنور والهدى

وشبّه الجهل بالظلام والضلال :

« قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور» الرعد: ١٦)

« أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها » الأنعام : ١٢٢)

وهكذا كانت دعوة القرآن الكريم توثيق للعلاقة بين العلم والايمان وربط بين العقل والمعرفة ، وهكذا كان اسلوبه فى بناء الحياة . . . حياة أساسها العلم و قائدها العقل وغايتها العبادة ، وما أصدق دعوة القرآن الكريم ، وما أعمق نظرته، فالعلماء وحدهم الذين يستطيعون أن يدركوا حقيقة الايمان ، وهم الذين يستطيعون معرفة الله جلا وعلا بما لديهم من معرفة بالعالم الشاسع والكون الرحيب . . .

وما أروع إنطباق الحادثة التى رواها العالم الهندى الدكتور عناية الله المشرقى على هذه الحقيقة ، فاقرأ هذه الحادثة وتفكّر فيها لتعرف : كيف ان العلم يوصل إلى معرفة الله جل وعلا ؟

قال عالم الطبيعة والرياضيات الشهير الدكتور عناية الله المشرقى ، صاحب الاكتشافات والأبحاث العلمية الرائعة وأوّل من فكّر فى صنع القنبلة الذرية قال : «كان ذلك يوم أحد من أيام سنة ١٩٠٩م وكانت السماء تمطر بغزارة وخرجت من بيتى لقضاء حاجة ما ، فاذا بى أرى الفلكى المشهور جيمس جينز الاستاذ بجامعة كمبرج ـ ذاهباً إلى الكنيسة والانجيل والمظلة تحت إبطه فدنوت منه و سلمت عليه ، فلم يرد علىّ السلام ، فسلّمت عليه مرة اخرى ، فسألنى : « ماذا تريد منى؟ فقلت له : « أمرين يا سيّدى : الأوّل هو أن مظلتك تحت إبطك رغم شدة المطر» فابتسم السير جيمس وفتح مظلته على الفور فقلت له : « و أما الأمر الآخر فهو : ما الذى يدفع رجلاً ذائع الصيت فى العالم ـ مثلك ـ أن يتوجه إلى الكنيسة ؟ »

وأمام هذا السؤال توقف السير جيمس لحظة ثم قال : « عليك اليوم أن تأخذ

شاي المساء عندى » وعند ما وصلت إلى داره فى المساء خرجت « ليدى جيمس » فى تمام الساعة الرابعة بالضبط وأخبرتنى أن السيرجيمس ينتظرنى ، وعندمادخلت عليه فى غرفته وجدت أمامه منضدة صغيرة موضوعة عليها أدوات الشاى ، و كان السيرمنهمكاً فى أفكاره وعند ماشعر بوجودى سئلنى : « ماذاكان سئوالك ؟ »

ودون أن ينتظر ردىء بدأ يلقى محاضرة عن تكوين الأجرام السماوية ، و نظامها المدهش ، وأبعادها وفواصلها اللامتناهية وطرقها و مداراتها وجاذبيتها و طوفان أنوارها المذهلة ، حتى اننى شعرت بقلبى يهتزّ بهيبة الله تعالى وجلاله ، وأما « السيرجيمس » فوجدت شعر رأسه قائماً والدموع تنهمر من عينيه ، و يداه ترتعدان من خشية الله عزوجل وتوقف فجأة ثم بدأ يقول :

« يا عناية الله عند ما القى نظرة على روائع خلق الله يبدأ وجودى يرتعش من الجلال الالهى ، وعند ما أركع أمام الله وأقول له : « إنك لعظيم » أجد أن كل جزء من كيانى يؤيدنى فى هذا الدعاء ، وأشعر بسكون وسعادة عظيمين ، و أحسّ بسعادة تفوق سعادة الآخرين ألف مرّة أفهمت يا عناية الله خان لماذا أذهب إلى الكنيسة ؟ »

ويضيف العلامة عناية الله قائلاً : « لقدأحدثت هذه المحاضرة طوفاناً فى عقلى ، و قلت له : يا سيّدى لقد تأثرت جداً بالتفاصيل العلمية التى رويتموهالى ، و تذكرت بهذه المناسبة آية من آيات كتابى المقدس ، فلوسمحتم لى لقرأتها عليكم »

فهزّ رأسه قائلاً : « بكل سرور » فقرأت عليه الآية التالية : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها و غرابيب سود و من الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر : ٢٧ ـ ٢٨)

فصرخ السيرجيمس قائلاً : « ماذا قلت ؟ إنما يخشى الله من عباده العلماء؟ » مدهش وغريب وعجيب جداً . . . ان الأمر الذى كشفت عنه بعد دراسة ومشاهدة إستمرت خمسين سنة من أنبأ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ؟ هل هذه الآية موجودة فى القرآن

المجيد حقيقة؟ لو كان الأمر كذلك، فاكتب شهادة منى : ان القرآن الكريم كتاب موحى من عندالله »

ويستطرد السير جيمس جينز قائلاً : « لقد كان محمد امياً ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السرّ بنفسه ولكن الله هو الذى أخبره بهذا السرّ مدهش وغريب وعجيب جداً »

ان للقارىء فى هذه الحادثة الطريفة لعبرة . . . وانها لشاهد واحد من آلاف الشواهد التى تؤكد الترابط بين العلم والايمان ، وتشهد بقدرة العالم على معرفة الله عزوجل وفهم رسالة الأنبياء عليهم السلام ، ولذلك إنصبت دعوة الاسلام على الاهتمام بالعلم والعناية به لأنه الطريق إلى وعى هذا العالم والأداة الوحيدة لاكتشاف سنن الوجود والرائد فى طريق الهداية والنور . . .

ان الدين الاسلامى هو اعطى العقل والعلم هذه المنزلة ورفعهما إلى أرقى مراتب الوجود والتكريم جعلهما طريق العبادة والمعرفة بالله عزوجل ووحّد بينهما وبين الدين فى ترابط عملى موحد ورفض الفصام والانفصال بين هذه الاسس الثلاثة فى الحياة - العقل والعلم والدين - فالعقل والعلم إذا انفصلا عن الدين سلكا بالانسان طريق الجاهلية والضلال ، وتخلفا عن تحقيق دورهما ، وأداء رسالتهما فى الحياة، وإن الدين إذا انفصل عن العلم والمعرفة نقض أهدافه وغرضه الذى هو صلاح البشرية وتعبيدها لله سبحانه فهو لا يستطيع النموّ والثبات فى بيئة الجهل والخرافة .

ولذلك يرفض الاسلام الانفصال والفكاك ، ويرى أن العقل والعلم طريق العبادة ، وان العبادة لاتتم إلّا بالمعرفة الحقة والفهم العقلى السليم ، وأثبت القرآن الكريم هذه الحقيقة وأكّدها بقوله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر : ٢٨)

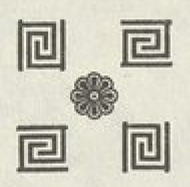
وقوله : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلّا العالمون » العنكبوت : ٤٣)

وقد جمع رسول الله الأعظم ﷺ هذا الترابط الوثيق بين العلم والدين والعبادة بقوله المأثور: « بالعلم يطاع الله ويعبد وبالعلم يعرف الله ويوحّد »

وقال ﷺ: « فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة وأفضل دينكم الورع»

وقال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: « ان كمال الدين طلب العلم والعمل به »

فهذا هو موقف الاسلام من العلم ... وهذا هو فهمه للعلاقة بين العلم والدين ، فهي في نظره علاقة ترابط ووحدة هدف ، فلاجهل مع الاسلام ولا إسلام مع الجهل .



« التعقل وعلوم الطبيعة في القرآن الكريم »

قال الله تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » البقرة : ١٦٤)

ان القرآن الكريم حينما يتحدّث عن العلم و يدعو العقل إلى التحرر والانطلاق ويحثّه على التأمل والاستكشاف لايقصد بذلك المعارف والعلوم الدينية فحسب ،و إنما يدعوه إلى تحصيل كل حقيقة في هذا الكون أيضاً ،فعلوم الطب والفلك والفيزياء والرياضيات والحياة . . كلها تكشف عن حقائق كونية،وتتحدث عن قوانين تسير هذا العالم وتنطق بعظمة الله تعالى وقدرته،بعلم الله جل وعلا وحكمته، وبتدبير الله عزوجل ورحمته . . فالكون ونظام الطبيعة وعاء العلم وكتاب المعرفة الأكبر،يقرأ الانسان على صفحاته غرائب هذا الوجود وأسرار هذا الكون ونواميس هذا العالم ،وإن ما في العالم والطبيعة من قوانين وأسرار ونظام كوني مدهش يعتبر لساناً ناطقاً وحقيقة ناصعة وآية شاهدة على قدرة الخالق وعظمته . .

«قل انظروا ماذا في السموات والأرض وماتغنى الآيات و النذر عن قوم لايؤمنون » يونس : ١٠١)

وان المعرفة هي وسيلة وحيدة للانسان المدرك الواعى إلى التأمل في عظمة الله جل وعلا والتسليم له والخضوع لارادته والايمان برسالته كما أنه خلق لأجله

: « وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون » الذاريات : ٥٦)

فدور المعرفة بأسرار الطبيعة والتأمل فيها لايقل شأناً عن علوم الفقه والعقيدة والتفسير في ترسيخ الايمان وإصلاح المجتمع البشرى و تحقيق رسالة الدين بل هي القاعدة لها ، والداعى إلى الالتزام بها ، ولهذا نشاهد القرآن الكريم يوجّه نظرنا إلى الكون و الطبيعة و عالم الحياة للتأمل والتعقل و الاستنتاج ، ثم يدعونا إلى الاستمرار في سلسلة من التفكير المترابط ، و ينهانا عن فصل الحقيقة الكلية بعضها عن بعض في هذا الوجود .

قال الله عزوجل : « أولم يتفكّروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلّا بالحق و أجل مسمّى و إن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون » الروم : ٨)

وقال : «الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات و الأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار» آل عمران : ١٩١)

و قال : « سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » فصلت : ٥٣)

و قال : « و في الأرض آيات للموقنين و في أنفسكم أفلاتبصرون » الذاريات : ٢٠و٢١)

فتلك دعوة القرآن الكريم صريحة واضحة إلى التعقل والبحث والتحقيق والتأمل والاستنتاج في عالم الوجود و نظام الطبيعة و ناموس الحياة والاستفادة منها والتوصل إلى معرفة الله جل وعلا عن طريقها ، دعوة توقظ روح البحث والتفكير العلمى في مجالات الطبيعة و علومها لدى العلماء و الباحثين المسلمين ، و قد سلك السابقون منهم أرقى مناهجه و ارتادوا أوسع أبوابه ، فكانوا هم الطليعة العلمية السباقة التى وضعت اسس العلوم والحكم والمعارف الطبيعية على اصول منهجية

ومسالك عقلية وتجريبية فذة.

وما أحرى المسلم اليوم باستلام راية العلم ولواء المعرفة، ومواصلة سير الاكتشاف والابداع، وقيادة ركب البشرية نحو حياة تنمو فيها روح العلم و المعرفة تحت ظلال الايمان والقيم الروحية الرفيعة.

دور المسلمين في تأسيس العلوم

وقد بعث القرآن الكريم نهضة علمية وحضارية رائدة، أضائت الطريق أمام أجيال البشرية، وفتحت أبواب التاريخ على مصراعيه أمام خطى الانسان، فاشتغل المسلمون بالعلم و المعرفة، و بدأت النهضة العلمية و الثقافية تنمو في الجزيرة العربية و البلاد الاسلامية الاخرى، وأقبل المسلمون على تعلّم القراءة والكتابة و تدارس القرآن المجيد، وبدأت العلوم تتّسع، فنشأ علم التفسير والحديث والفقه والسيرة والتأريخ والحساب والفلك والفلسفة والعقائد والطب والفيزياء... وراح المسلمون يحملون رسالة الايمان، و يبشرون بمبادیء الاسلام، فأقبلت الشعوب بلهفة و شوق لمارأت عدل الاسلام وسماحته، فكان من نتاج هذا التفاعل البشری أن تلاقحت الأفكار وتلاقت المعارف، وفتحت أبواب جديدة أمام الفكر الاسلامی، فنشأت حركة الترجمة و النقل و التأليف و الدراسة، و النقد و التحليل، فنمت الفلسفة و الطب و الرياضيات و الكيمياء و الفيزياء و الفلك و الجغرافية و شتى علوم الحياة...

وقد كانت المساجد هی المدارس التی يأوی إليها طلاّب العلم و يقيم فيها الأساتذة والعلماء دروسهم وأبحاثهم، ولما ازداد عدد الدارسين، وتعددت العلوم، بنيت المدارس والجامعات والمعاهد والمكتبات والمختبرات اللازمة لهذا الغرض، و اوقفت عليها الأوقاف من العقارات والموارد والبساتين لتوفير الأموال اللازمة لادارة شئون الحياة العلمية، والصرف على الطلبة والأساتذة، وتيسير العلم -مجاناً- للجميع فكثر عدد الطلاب وازداد إقبال الرواد عليه، حتى بلغ في بعض الجامعات

الالوف ،ونما عدد الأساتذة والعلماء والباحثين والأطبّاء نمواً كبيراً حتى بلغ عدد الأطبّاء في بغداد وحدها أيام المقتدر (٨٦٠) طبيباً،واقيمت المختبرات ومستشفيات التدريب الطبّي والمراصد الفلكية ،ونشأالاختصاص في كل علم ،وزودت المدارس والمعاهد والجامعات بالمكتبات الفخمة ، و ملئت بشتّى صنوف العلم والمعـرفة ، و خصّص لها الكتّاب الذيـن يقومـون بالاستنساخ والخط ، و صنـع المسلمون الـورق الصناعى. فتقدّم العلـم و تيسّر وفتحت المكتبات العامة ليدرس فيها الجميع.

وبلغ من إهتمام المسلمين في العلوم و المعارف :ان أصبحت المدارس والجامعات هى أبرز مظاهر الحياة في بلادهم ،و أصبح العلماء و الفلاسفة و المفكرون و الادباء و الأطبّاء هم الفئة المرموقة التى تحظى باحترام الجميع،فنشأت المدارس والجامعات والمكتبات في شتّى مدن العالم الاسلامى و عواصمه ، فكانت بغداد مركزاً للعلم والمعرفة ، نشأت فيها الجامعة المستنصرية و النظامية و مكتبة بيت الحكمة التى كانت من أعظم مكتبات الدنيا ، و مثل بغداد كانت القاهرة بمصر، فقد أنشىء فيها الأزهر و مكتبة دار الحكمة التى كانت مـن أفخم المكتبات التى عرفها التاريخ ، فقد كانت تضمّ (٤٠) خزانة إحتوت إحدى خزائنها على (١٨٠٠٠) كتاباً مـن العلوم المختلفة . .

وأنشئت في القاهرة كذلك مكتبة الخلفاء الفاطميين التى ضمّت مايقارب المليونى كتاب ،وفي طرابلس كانت مكتبة بنى عمار التى كانت تضمّ حوالى مليون كتاب وفيها (١٨٠) ناسخاً ينسخون الكتب . . .

وانه لأمر طبيعى أن ينشأ مع هذه الحركة العلمية والتشجيع للعلماء والمفكرين، جوّ علمى تنموفى ظلاله العلوم وتترعرع المعارف و يكثر الابداع والاكتشاف والعطاء العلمى ،ويزداد عدد العلماء والمتخصصين والأساتذة والباحثين ،فينبغ من المسلمين علماء أفذاذ شادوا صروح العلم و المعرفة التى تجنى ثمارها البشرية

اليوم ،بذلك شهد المستشرق الاوروبى (جيب) بقوله :

« إستطاع العلماء المسلمون بتركيز أفكارهم على الحوادث الفردية أن يطوّروا المنهج العلمى إلى أبعد مما ذهب إليه أسلافهم في الاسكندرية و اليونـان ، و إليهم يرجع الفضل في إستخدام أو إعادة المنهج العلمى إلى اوروبا »

وقد سجل التاريخ بفخر أسماء رعيل من مشاهير العلماء المسلمين في الفلك والرياضيات والطب و الكيمياء والتاريخ والجغرافية والأدب والفلسفة ،وفي شتى شعب العلوم و المعارف ،فظهر منهم بالفلك البتانى و أبوالوفاء وابن يونس مؤسس المدرسة الفلكية في القاهرة ،والبيرونى ونصيرالدين الطوسى صاحب أضخم مرصد فلكى ،و برز في الرياضيات الخوارزمى ،و في الفيزياء إبن الهيثم ، و في الكيمياء جابربن حيان وأبوموسى جعفرالكوفي و أبوبكرالرازى ، و في الطب والجراحة برز أبوبكر الرازى وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية و أبوالقاسم خلف بن عباس القرطبى الجراح الذى إكتشف التخدير للجراحة والعلاج .

وما هذه الطلائع مـن العلماء الآنماذج مـن جيش العلماء الأفذاذ الذين أنتجتهم الحضارة الاسلامية ، فساهموا بنظرياتهم العلمية و بحوثهم التجربية في وضع اسس التفكير العلمى للعلوم الانسانية المختلفة ، و هناك المئات بل الالوف من أمثالهم حفل بهم تاريخ أمّتنا العلمى ،ومازالت أثارهـم تزين مكتبات الدنيا ، وتضيىء أفكارالبشرية وتشيّد خلفية علمية و حضارية رائعة لامتنا وهى في الوقت ذاته دعوة محفزة إلى زيادة العلم و المعرفة ، و بعث نهضة علمية في امتنا لتحتل مركزها القيادى ، ودورها الحضارى في تاريخ البشرية على أساس من العلم والدين لينعم الانسان بنعمة العلم وخيرالاسلام .

﴿ فضل العلم على الجهل، و فضيلة العلماء على الجهال ﴾

قال الله تعالى: « قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون إنّما يتذكّر اولوا الألباب » الزمر: ٩) و قال: « و لقد آتينا داود و سليمان علماً و قالا الحمدلله الّذي فضّلنا على كثير من عباده المؤمنين » النمل: ١٥)

و كافيك من فضل العلم على الجهل: انّ العلم كلّما ازداد ضعف الانانية، وانّ الجهل كلّما ازداد زاد في الانانية، والسرّ فيه انّ جهات الشّرف مجتمعة في العلم لأنّ شرف الأوصاف إمّا بشرف محالّها، ومحلّ العلم بعد الله جلّ وعلا و الملائكة نفس الانسان من جهتها الروحانيّة لامن جهتها الحيوانية، من جهتها العقلانية لامن جهتها الشهوانية، ولاريب انّ نفس الانسان أشرف النفوس، وجهتها الروحانية أشرف جهاتها . . . وإمّا بشرف موصوفاتها، والموصوف بالعلم هو الحق جلّت عظمته، ثم الملائكة ثم الانسان الّذي هو أشرف الموجودات . . .

أو بشرف غاياتها، وإنّما غاية العلم هي معرفة الله تعالى و قدرته وعظمته وجلاله وتدبيره وعلمه وحكمته في نظام التكوين والتشريع، وغاية الانسان وهي الحشر إلى الله جلّ وعلا و الحساب والجزاء، ولاغاية أشرف من معرفة الله تعالى، أو بشرف لوازمها، ولوازم العلم الخلاص من أسر النفس وشهواتها وغضباتها وحيلها الشيطانيّة، والخشية والخشوع والراحة والسرور والالتذاذ بمناجاة الله تعالى و المحادثة مع ملائكته، فأضدادها هي جهات الخساسة ثابتة للجهل كلّما قرب العلم إلى الله جلّ وعلا صاحبه، والجهل أبعد، و كلّما خلا القلب عن الله عزّ وجلّ

قرّ فيه الشيطان يوجب الغرور .

ومن البديهي أنّ العلماء إذا لم يعاندوا كانوا رؤساء بالطبع على من دونهم في العلم ، وأنّ كثيراً ممن كانوا يعاندون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويريدون قتله كانوا إذا وقع بصرهم عليه ألقى الله عزّ وجلّ في قلوبهم الرعب منه ، فهابوه و انقادوا له .

وفيها أوحى الله تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام : « عظّم العلماء وأعرف فضلهم ، فانّ فضلهم على جميع خلقي إلاّ النبيين و المرسلين كفضل الشمس على الكواكب ، و كفضل الآخرة على الدنيا ، و كفضلي على كل شيء » .

أقول: ولعلّ تشبيه فضل العلماء على جميع الخلق بفضل الله عزّ وجلّ على كلّ شيء تشبيه من جانب واحد ، هو الثبوت الّذي يرفض الانكار والتشكيك لامن جميع الجوانب ، فيكون وجه الشبه الثبوت البين ، فيكون المعنى : انّ فضل العلماء على جميع الخلق ثابت لايمكن الانكار و التشكيك ، كما أنّ فضلي على كلّ شيء ثابت يرفض الانكار والتشكيك .

وفي أمالي المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي موسى هارون بن عمر و المجاشمي عن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «العالم بين الجهّال كالحيّ بين الأموات . . . » الحديث .

وفي الكافي: عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ثلاثة ليشكون إلى الله عزّ وجلّ : مسجد خراب لايصلّي فيه أهله ، و عالم بين جهّال ، و مصحف معلّق قد وقع عليه الغبار لايقرأ فيه »

وقال أفلاطون الحكيم : « العالم يعرف الجاهل لأنّه مرّة كان جاهلاً ، و الجاهل لايعرف العالم إذ لم يكن قطّ عالماً »

قال بعض المحققين : إنّ الحكمة في القرآن الكريم على أربعة أوجه :

أحدها ـ مواعظ القرآن المجيد كقوله عزّ وجلّ : «وما انزل عليكم من

الكتاب والحكمة يعظكم به » البقرة : ٢٣١)

ثانيها ـ الحكمة بمعنى الفهم والعلم كقوله تعالى : « ولقد آتينا لقمان الحكمة »لقمان : ١٢)

ثالثها ـ بمعنى النبوّة كقوله جلّ وعلا : « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة »النساء : ٥٤)

رابعها ـ اريد بالحكمة القرآن الكريم نفسه كقوله سبحانه : « يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتي الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً » البقرة : ٢٦٩)

ولايخفى انّ جميع هذه الوجوه عند التحقيق والتأمل ترجع إلى العلم، و من ذلك انّه تعالى فرّق بين خمسة عشر أمراً في كتابه المجيد :

١ـ إذقال : «قل هل يستوي الّذي يعلمون والّذين لايعلمون » الزمر: ٩)

٢ـ قال : « قل لا يستوي الخبيث والطيّب » المائدة : ١٠٠)

٣ـ قال : «لايستوي أصحاب النّار وأصحاب الجنّة » الحشر: ٢٠)

٤ ـ قال : « ومايستوي الأعمى والبصير» ٥ـ«ولاالظلمات ولاالنّور» ٦ـ « و لاالظل ولاالحرور» فاطر: ١٩ـ٢١)

٧ـ قال : «ومايستوي الأحياءو لاالأموات » فاطر: ٣٢)

٨ـ وقال : « ولاتستوي الحسنة ولاالسيئة » فصّلت : ٣٤)

٩ـ وقال : « ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لايقدرعلى شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون » النحل : ٧٥)

١٠ـ وقال : « و ضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لايقدرعلى شيء وهو كلّ على مولاه أينما يوجّهه لايأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهوعلى صراط مستقيم » النحل : ٦٧)

١١ـ وقال : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لايستوون عند الله » التوبة :١٩)

١٢- وقال : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون »السجدة : ١٨)

١٣- وقال : « لايستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم » النساء : ٩٥)

١٤- وقال : « و ما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه و هذا ملح اجاج » فاطر: ١٢)

١٥- وقال : « لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح و قاتل اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » الحديد : ١٠)

فاذا تأملت وجدت كلّ ذلك مأخوذاً من الفرق بين العالم والجاهل فتدبر جيّداً واغتنم جداً .



﴿ العلم وطوائف الناس ﴾

قال الله عزّ وجلّ : « وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظّنّ وإن هم إلاّ يخرصون - وإن كثيراً ليضلّون بأهوائهم بغير علم » الأنعام : ١١٦- ١١٩)

وقال : « ومايتبع أكثرهم إلاّ ظنّاً إنّ الظنّ لا يغنى من الحق شيئاً » يونس : ٣٦)

وقال : « قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون » الأنبياء : ٢٤)

وقال : « وعدالله لايخلف الله وعده ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله الّتي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم ولكن أكثر الناس لايعلمون » الروم : ٦ و٧ و٣٠)

وقال : « وما أرسلناك إلاّ كافّة للناس بشيراً ونذيراً ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون قل إنّ ربّي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكنّ أكثر النّاس لايعلمون» سبأ : ٢٨ و٣٦)

وقال : « لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكنّ أكثر الناس لايعلمون » غافر : ٥٧)

وقال : « وماخلقنا السّموات والأرض ومابينهما لاعبين ما خلقناهما إلاّ بالحق

ولكن أكثرهم لا يعلمون »الدخان : ٣٨ ـ ٣٩)

في نهج البلاغة : ـ ومن كلام لمولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي ّبن أبيطالب عليه السلام لكميل بن زياد النخعي ـ قال كميل بن زياد : أخذ بيدي أمير المؤمنين علي ّبن أبيطالب عليه السلام فأخرجني إلى الجبّان (ذات يوم في المسجد حتّى أخرجني منه خ) فلما أصحر تنفّس الصعداء ثم قال :

« يا كميل بن زياد ! إن ّهذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها ، فاحفظ عنّي ما أقول لك : النّاس ثلاثة : فعالم ربّاني ّ. ومتعلّم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح ، لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجاؤا إلى ركن وثيق ، يا كميل ! العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق ، وصنيع المال يزول بزواله .

يا كميل بن زياد ! هلك خزّان الأموال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر،أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ، ها إن ّهيهنا لعلماً جمّاً ـ وأشار بيده إلى صدره ـ لو أصبت له حملة !بلى اصيب لقناً غير مأمون عليه،مستعملاً آلة الدّين للدنيا ومستظهراً بنعم الله على عباده و بحججه على أوليائه أو منقاداً لحملة الحق ّ،لا بصيرة له في أحنائه ، ينقدح الشك في قلبه لأو ّل عارض من شبهة ، ألا لا ذا ولا ذاك أو منهوماً باللذ ّة سلس القيادة للشهوة أو مغرماً بالجمع والاد ّخار،ليسا من رعاة الدّين في شيء أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه

اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إما ظاهراً مشهوراً ، و إمّا خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله و بيّناته، و كم ذا وأين ! اولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون عند الله قدراً ، يحفظ الله بهم حججه و بيّناته حتّى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة و باشروا روح اليقين ، واستلانوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، و صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحل ّالأعلى اولئك خلفاء الله في أرضه

والدعاة إلى دينه آه آه شوقاً إلى رؤيتهم ! إنصرف يا كميل إذا شئت »

قوله : « الجبّان » الصحراء و « تنفّس الصعداء » : تنفّس تنفّساً ممدوداً طويلاً .

وقوله عليه السلام : « ثلاثة » قسمه صحيحة عميقة ، وذلك لأنّ الانسان باعتبار الامور الالهية : إمّا عالم على الحقيقة يعرف الله جلّ وعلا ، وإمّا شارع في ذلك فهو بعد في السفر إلى الله تعالى يطلبه بالتعلّم والاستفادة من العالم ، وإمّا لاذا و لاذاك وهو العامّي الساقط الّذي لا يعبا الله تعالى به ، وقد صدق الامام عليه السلام في أنهم همج رعاع أتباع كلّ ناعق ، ألا تراهم ينتقلون من التقليد لشخص إلى تقليد الآخر ويتشكل بأشكال مختلفه ، ويتلوّن بألوان عديدة لأدنى خيال وأضعف وهم !

ثم شرع الامام عليه السلام في ذكر العلم وتفضيله على المال ، فقال : « العلم يحرسك وأنت تحرس المال » وهذا أحد وجوه التفضيل ، ثم إبتدأ فذكر وجهاً ثانياً . فقال : المال ينقص بالانفاق منه ، والعلم لا ينقص بالانفاق بل يزكو ، وذلك لأنّ إفاضة العلم على التلامذة تفيد المعلّم زيادة إستعداد ، وتقرّر في نفسه تلك العلوم الّتي أفاضها على تلامذته وتثبّتها وتزيدها رسوخاً .

فأماقوله عليه السلام : « وصنيع المال يزول بزواله » فتحته سرّ دقيق حكميّ ، وذلك لأنّ المال إنمّا يظهر أثره و نفعه في الامور الجسمانيّة والملاذّ الشهوانيّة كالنساء والخيل والمراكب والأبنيّة والمآكل والمشارب والملابس و ما إليها من متاع الدّنيا ، وهذه الآثار كلّها تزول بزوال المال أو بزوال ربّ المال ، ألا ترى أنّه إذا زال المال إضطرّ صاحبه إلى بيع الأبنية والخيل والمراكب والاماء والخدم ورفض تلك العادة من المآكل الشهيّة والملابس البهيّة ! وكذلك إذا زال ربّ المال بالموت ، فانّه تزول آثار المال عنده ، فانّه لا يبقي بعد الموت آكلاً شارباً لابساً ، وأمّا آثار العلم فلا يمكن أن تزول أبداً والانسان في الدنيا ، ولا بعد خروجه عن الدنيا ، أما في الدنيا فلانّ العالم بالله تعالى لا يعود جاهلاً به لأنّ إنتفاء العلوم البديهية

عن الذّهن وما يلزمها من اللوازم بعد حصولها محال .

فاذاً قد صدق الامام قوله عليه السلام في الفرق بين المال والعلم : « ان صنيع المال يزول بزواله » أي وصنيع العلم لايزول ، ولايحتاج إلى أن يقول : « بزواله » لأن تقدير الكلام : وصنيع المال يزول لأنّ المال يزول ، وأمّا بعد خروج الانسان من الدّنيا فانّ صنيع العلم لايزول ، وذلك لأنّ صنيع العلم في النفس الناطقة للذّة العقليّة الدائمة لدوام سببها ، وهو حصول العلم في جوهر النفس الّذي هو معشوق النفس مع إنتفاء ما يشغلها عن التمتع به ، والتلذّذ بمصاحبته ، والّذي كان يشغلها عنه في الدنيا إستغراقها في تدبير البدن وماتورده عليها الحواسّ من الامور الخارجيّة ، ولاريب أنّ العاشق إذا خلا بمعشوقه ،وانتفت عنه أسباب الكدر كان في لذّة عظيمة ، فهذا هو سرّ قوله عليه السلام : « وصنيع المال يزول بزواله » .

ان تسئل: ما معنى قوله عليه السلام : « معرفة العلم دين يدان به » و هل هذا إلا بمنزلة قولك : « معرفة المعرفة أوعلم العلم » وهذا كلام مضطرب .

تجيب عنه : انّ تقديره : معرفة فضل العلم أو شرف العلم أو وجوب العلم دين يدان به أي المعرفة بذلك من أمر الدّين ركن من أركان الدين واجب مفروض كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »

ثم شرح الامام عليه السلام حال العلم الّذي ذكر أنّ معرفة وجوبه أو شرفه دين يدان به ، فقال : « العلم يكسب الانسان الطاعة في حياته » أي من كان عالماً بالله تعالى وصفاته كان مطيعاً له جلّ وعلا كما قال الله عزّ وجلّ :«إنّما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر : ٢٨)

ثم شرع في تفضيل العلم على المال من وجه آخر، فقال : « العلم حاكم والمال محكوم عليه » وذلك لعلمك أنّ مصلحتك في إنفاق هذا المال تنفقه ، ولعلمك بأنّ المصلحة في إمساكه تمسكه، فالعلم بالمصلحة داع ، وبالمضرّة صارف ، وهما الأمران الحاكمان بالحركات والتصرّفات إقداماً وإحجاماً ، ولايكون القادر قادراً مختاراً

إلّا باعتبارهما ، وليسا إلّا عبارة عن العلم أو ما يجري مجرى العلم من الاعتقاد والظنّ ، فاذن قد بان وظهر أنّ العلم من حيث هو علم حاكم ، وأنّ المال ليس بحاكم بل محكوم عليه .

وقوله عليه السلام : « هلك خزّان المال وهم أحياء » وذلك لأنّ المال المخزون لا فرق بينه و بين الصّخرة المدفونة تحت الأرض ، فخازنه هالك لامحالة لأنّه لم يلتذّ بانفاقه ، ولم يصرفه في وجوه البر والاحسان الّتي ندب الله جلّ وعلا إليها ، هذا هو الهلاك المعنوي وهو أعظم من الهلاك الحسّي مضافاً إلى أنّه ربما يكون هلاكاً حسّياً أيضاً .

ثم قال الامام عليه السلام : « والعلماء باقون مابقى الدّهر » ولهذا الكلام ظاهر و باطن ، وأمّا ظاهره فأشار إليه بقوله عليه السلام : « أعيانهم مفقودة و أمثالهم في القلوب موجودة » أي آثارهم ومادوّنوه من العلوم . . . فكأنّهم موجودون ، وأمّا باطنه فانهم موجودون حقيقة لامجازاً على قول من قال ببقاء الأنفس ، وأمثالهم في القلوب كناية ولغز، ومعناه ذواتهم في حظيرة القدّوس ، والمشاركة بينها و بين القلوب ظاهرة لأنّ الأمر العام الّذي يشملها هو الشّرف ، فكما أنّ تلك أشرف عالمها، كذا القلب أشرف عالمه ، فاستعير لفظ أحدهما ، وعبّر به عن الآخر .

و قوله عليه السلام « ها إنّ هيهنا لعلماً جمّاً وأشار بيده إلى صدره » هذا عندي إشارة إلى العرفان والوصول إلى المقام الأشرف الّذي لايصل إليه إلّا الواحد الفذّ من العالم ممّن لله تعالى فيه سرّ وله به إتّصال ، ثم قال الامام عليه السلام : « لو أصبت له حملة » ومن الّذي يطيق حمله ! بل من الّذي يطيق فهمه فضلاً عن حمله !

ثم قال عليه السلام : « بلى اصيب » ثم قسّم الّذي يصيبهم خمسة أقسام :

أحدهم : أهل الرياء والسمعة والجاه والرئاسة ، وهم الّذين يظهرون الدّين والعلم و مقصودهم الدنيا ، فيجعلون الناموس الدّيني شبكة لاقتناص الدنيا وشهواتها . . .

ثانيهم: قوم من أهل الخير والصلاح ليسوا بذوي بصيرة في الامور الالهية الغامضة، فيخاف من إفشاء السرّ إليهم أن تنقدح في قلوبهم شبهة بأدنى خاطر، فان مقام المعرفة مقام خطر صعب لايثبت تحته إلّا الأفراد من الرجال، الّذين أيّدوا بالتوفيق والعصمة.

ثالثهم: رجل صاحب لذّات وطرب مشتهر بقضاء الشهوة، فليس من رجال هذا الباب.

رابعهم: رجل بجمع المال وإدّخاره، لاينفقه في شهواته ولافي غير شهواته فحكمه حكم القسم الثالث.

ثم قال الامام عليه السلام: «كذلك يموت العلم بموت حامليه» أي إذامتّ مات العلم الّذي في صدري لأنّي لم أجد أحداً أدفعه إليه، واورّثه إيّاه، ثم استدرك، فقال: «اللهمّ بلى، لاتخلو الأرض من قائم بحجّة الله تعالى» كيلا يخلو الزمان ممّن هو مهيمن لله تعالى على عباده، ومسيطر عليهم، و هذا يكون تصريحاً بمذهب الاماميّة الاثنى عشرية وهم الشيعة: الفرقة الحقّة الناجية الّذين ثبتت حقانيتهم بالكتاب والسنة فى خلال هذا التفسير، فراجع.

ثم استنزر عددهم فقال عليه السلام: «و كم ذا!» أى كم ذا القبيل! و كم ذا الفريق ثم قال عليه السلام: «وأين اولئك!» إستبهم مكانهم ومحلّهم، ثم قال عليه السلام: «هم الأقلّون عدداً، الأعظمون قدراً» ثم ذكر أنّ العلم هجم بهم على حقيقة الأمر، وانكشف لهم المستور المغطّى، وباشروا راحة اليقين، وبرد القلب و ثلج العلم، واستلانوا ماشق على المترفين من الناس، و وعر عليهم نحو التوحّد و رفض الشهوات وخشونة العيشة.

قال عليه السلام: «وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون» يعني العزلة و مجانبة الناس، وطول الصّمت، وملازمة الخلوة، ونحو ذلك مما هو شعار القوم، و قال عليه السلام: «وصحبوا الدنيا بأرواح أبدانها معلّقة بالمحلّ الأعلى» هذا ممّا يقوله أصحاب

الحكمة من تعلّق النفوس المجرّدة بمبادئها من العقول المفارقة ، فمن كان أزكى كان تعلّقه بها أتم ، قال عليه السلام : « اولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه » لا شبهة أن بالوصول يستحقّ الانسان أن يسمّى خليفة الله في أرضه ، وهو المعنى بقوله سبحانه للملائكة : « إني جاعل في الأرض خليفة » البقرة : ٣٠) و بقوله : « هو هو الّذي جعلكم خلائف في الأرض » الانعام : ١٦٥)

ثم قال الامام عليه السلام : « آه آه شوقاً إلى رؤيتهم ؟ » فالامام عليه السلام يشتاق إلى رؤيتهم لأنه عليه السلام مولاهم وسيّدهم ، وهم شيعته حقاً ، و انّ الجنسية علّة الضمّ والشيء يشتاق إلى ماهو من سخنه وسوسته وطبيعته ، واشتاقت نفسه الشريفة إلى مشاهدة أبناء جنسه . . .

ثم قال الامام عليه السلام لكميل : « إنصرف إذا شئت » وهذه الكلمة من محاسن الآداب ، ومن لطائف الكلم لأنّه لم يقتصر على أن قال : « انصرف » كيلا يكون أمراً وحكماً بالانصراف لامحالة ، فيكون فيه نوع علوّ عليه ، فاتبع ذلك بقوله: « إذا شئت » ليخرجه عن ذلّ الحكم وقهر الأمر إلى عزّة المشيئة والاختيار .

وفي الاحقاق: قال الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : « الرجال أربعة: رجل يعلم ويعلم أنّه يعلم فذاك عالم فتعلّموا منه ، ورجل يعلم ولايعلم أنّه يعلم فذاك نائم فانتبهوه ، ورجل لايعلم ويعلم أنّه لايعلم فذاك جاهل فعلّموه ، ورجل لايعلم ولايعلم أنه لايعلم فذاك أحمق فاجتنبوه »

وفي الكافي: باسناده عن أبي إسحق السبيعي عمّن حدّثه ممن يوثق به قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : «إنّ الناس آلوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ثلاثة : آلوا إلى عالم على هدى من الله قد أغناه الله بما علم عن علم غيره ، و جاهل مدّع للعلم لاعلم له معجب بما عنده ، قد فتنته الدنيا وفتن غيره و متعلّم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة ثم هلك من ادّعى وخاب من افترى »

وفيه: باسناده عن أبي حمزة الثمالي قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : «اغدو

عالماً أو متعلّماً أواحب أهل العلم ، ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم»

وفيه: : باسناده عن جميل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : يغدوا الناس على ثلاثة أصناف : عالم و متعلّم وغثاء ، فنحن العلماء وشيعتنا المتعلّمون وسائر الناس غثاء .

وفي التوحيد: باسناده عن إبن نباته قال : لمّا جلس عليّ عليه السلام بالخلافة ، وبايعه الناس صعد المنبر وقال ؟ سلوني قبل أن تفقدوني ! فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكئاً على عكازة ، فلم يزل يتخطّا الناس حتّى دنا منه ، فقال :يا أمير المؤمنين دلّني على عمل إذا أنا عملته نجّاني الله من النّار، فقال له : اسمع يا هذا ثم افهم ثم استيقن قامت الدنيا بثلاثة : بعالم ناطق مستعمل لعلمه ، و بغنيّ لايبخل بماله على أهل دين الله عزّ وجلّ ، وبفقير صابر، فاذا كتم العالم علمه ،وبخل الغنيّ ولم يصبر الفقير ، فعندها الويل والثبور ، و عندها يعرف العارفون لله أنّ الدارقد رجعت إلى بدئها أي إلى الكفر بعد الايمان ، أيّها السائل فلا تغترّنّ بكثرة المساجد ، وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتّى.

أيّها النّاس إنّما الناس ثلاثة : زاهد وراغب وصابر فأمّا الزّاهد فلا يفرح بشيء من الدنيا أتاه ، ولايحزن على شيء منها فاته ،وأما الصّابر فيتمنّاها بقلبه ، فان أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها ، و أمّا الراغب فلا يبالي من حلّ أصابها أم من حرام ، قال : يا أمير المؤمنين فما علامة المؤمن في ذلك الزمان؟ قال : ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حقّ فيتولاّه ، وينظر إلى ماخالفه فيتبرّ أمنه و إن كان حبيباً قريباً، قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين ! ثم غاب الرجل فلم نره فطلبه النّاس فلم يجدوه ، فتبسّم عليّ عليه السلام على المنبر ثم قال:مالكم هذا أخي الخضر عليه السلام .

وفي الخصال : باسناده عن يزيد بن الحسن عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال : الناس على أربعة أصناف : جاهل متردّى معانق لهواه ، وعابد متغوّى كلّما ازداد عبادة ازداد كبراً ،وعالم يريد أن يوطأ عقباه ، ويحبّ محمدة الناس، و

عارف علي طريق الحق يحب القيام به، فهو عاجز أو مغلوب ، فهذا أمثل أهل زمانك وأرجحهم عقلاً .

وفيه: عن زرارة بن أوفى قال : دخلت على علي بن الحسين عليهما السلام فقال : يازرارة الناس في زماننا على ست طبقات : أسد، وذئب ، وثعلب ، وكلب ، وخنزير ، وشاة : فأمّا الأسد فملوك الدنيا يحب كل واحد منهم أن يغلب ولايغلب ، و أما الذئب فتجار كم يذمّوا إذا اشتروا ، ويمدحوا إذاباعوا ، و أما الثعلب فهؤلاء الذين يأكلون بأديانهم ولايكون في قلوبهم ما يصفون بألسنتهم ، وأمّا الكلب يهر على الناس بلسانه ويكرهه الناس من شره لسانه ، وأمّا الخنزير فهؤلاءِ المخنثون وأشباههم لايدعون إلى فاحشة إلّا أجابوا ، وأما الشاة فالذين تجز شعورهم ، و يؤكل لحومهم ويكسر عظمهم ، فكيف تصنع الشاة بين أسد وذئب وثعلب و كلب وخنزير ؟ .

وفي الكافي: : باسناده عن إبراهيم بن عبدالحميد عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسجد فاذاً جماعة قد أطافوا برجل فقال : ما هذا فقيل : علاّمة فقال : ما العلاّمة ؟ فقالوا (له خ) : أعلم الناس بأنساب العرب و وقايعها و أيّام الجاهلية والأشعار والعربية قال : فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ذلك علم لا يضر من جهله ولاينفع من علمه ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : انّما العلم ثلاثة: آية محكمة أوفريضة عادلة أوسنة قائمة وماخلاهن فضل .

وفيه: باسناده عن سفيان بن عيينة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : « وجدت علم الناس كله في أربع : أوّلها أن تعرف ربّك ، والثّاني أن تعرف ما صنع بك ، والثالث أن تعرف ما أراد منك ، والرابع أن تعرف ما يخرجك من دينك » .

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أوّل العلم معرفة الجبار و آخر العلم تفويض الأمر إليه » .

﴿العلم الممدوح والعلم المذموم﴾

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام قال: « أولى الأشياء أن يتعلّمها الأحداث، الأشياء التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها».

وفى نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام: « واعلم أنّه لاخير في علم لاينفع، ولاتنتفع بعلم لايحق تعلّمه ».

قوله عليه السلام: «لاخير في علم لاينفع » قول حق لأنّه إذا لم ينفع العلم كان عبثاً، وقوله عليه السلام: « ولاينتفع بعلم لايحق تعلّمه » أي لايجب ولايندب إليه، وذلك لأنّ النفع إنّما هو نفع الآخرة، فما لم يكن من العلوم مرغباً فيه، إمّا بايجاب أو ندب فلا إنتفاع به في الآخرة وذلك كعلم السحر والكهانة ونحوهما . . .

قال عروة ابن الزبير لبنيه: « تعلّموا العلم فان تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين».

و قال أفلاطون: كل نفّاع دفّاع، وليس كل دفّاع نفّاعاً، فليستكثر الفيلسوف من النفّاع الدفّاع: وليقصر من الدفّاع غير النفّاع .

وقال أرسطا طاليس: أراد بالنفّاع الدفّاع: العلم لأنّه يجمع بقوّة النفس ودفع الجهالة عنها، وأراد بالدفّاع عن إنتفاع الطعام الّذي يتقوّت به، والثوب الّذي يستره، والمسكن الّذي يسكنه، فأمره بالاقتصار منه على الكفاف الّذي يدفع به الوقت، فانّه إن جاوز القصد فيه، وعاد عليه بالضرر لأنّه إذا اقتصد في المطعم دفع الجوع عنه، و إذا أفرط فيه ضرّه مضرّة السلاح صاحبه إذا أفرط

فيه ، فان المقاتل يدفع عن نفسه بسيفه وجنّته فاذا أفرط عليه ثقل الحديد والسلاح قتله ، فاذاً النفّاع الدفّاع فلا ينقلب على صاحبه إنقلاب السلاح ، ففصل الحكيم بينهما بمارسمه .

وقال أفلاطون : كلّ نافع لنافعك نافع لك ، و كل ضار لنافعك ضارّ لك ، وليس كل ضار لضارّك بنافع لك .

قال أرسطا طاليس : أراد بالنافع : العلم ، وبالضار : الجهل ، فأمّا قوله : « كلّ نافع لنافعك نافع لك » فمعناه أنّه يفعل أفلاطون بما يقنعني من علمه الّذي أدّيته إليك ، ولو كان أسلم إليّ جهلاً سلّمته إليك لكان قد ضرّني وضرّك ، وأمّا قوله : « ليس كل ضار لضارّك بنافع لك » فأخبرك به أنّ العلم على الجهل ، فيضرّه من جهة نقصانه ، والجهل يدخل على الجهل ، فيضرّه من جهة الزيادة فيه ، والجهل فيما بين هذين ضارّ لك فما أضرّ بالجهل من العلم نافع لك ، و ما أضرّ بالجهل ليس بنافع لك . . . » واعلم أنّ العلم على قسمين :

القسم الاول : العلم المحمود على مراتبه ، وهو العلم الّذي يتعلم به الانسان لينتفع به ، وينفع غيره دنيوياً واخروياً ، وكان فيه صلاح نفسه وصلاح مجتمعه ، وسعادته وسعادتهم ، وخيره وخيرهم . . .

القسم الثاني : العلم المذموم ـ ولايخفى على القاريء الخبير ان العلم بما أنّه معرفة الشّيء على ماهو به فليس بمذموم ـ بل هو مذموم لامور :

منها : أن يكون مؤدّياً إلى ضرر على صاحبه أو غيره ديناً او دنياً كعلم السحر والكهانة والنجوم . . . وان معرفة أسباب هذه العلوم من حيث انّها معرفة ليست بمذمومة ، ولكنّها لاتصلح غالباً إلّا للاضرار فكانت مذمومة حيث ان السحر مثلاً سبب يتوصل به إلى التفرقة بين المرء وزوجه قال الله تعالى : « و لكن الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلّمان من أحد حتّى يقولا إنّما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلّمون منهما مايفرّقون

به بين المرء وزوجه وماهم بضارّين به من أحد إلّا باذن الله ويتعلّمون ما يضرّهم ولا ينفعهم » البقرة: ١٠٢).

وقال : « ولايفلح الساحرون » يونس :٧٧).

ومنها . أن يكون مضرّاً بصاحبه وبغيره فانه غيرمذموم لذاته كعلم النجوم وذمّه لوجوه :

أحدها ـ لأنّه سبب غالباً لأكثر الناس حصول الاعتقاد بأنّ النجوم هي المؤثّرة والآلهة المدبّرة .

ثانيها ـ ان أحكام النجوم تخمين محض ، فالحكم به حكم بجهل ، وما يتفق من إصابة المنجم على ندور فهو إتفاق .

ثالثها ـ مالافائدة فيه فأقل أحواله انّه خوض في فضول لايغني وتضييع العمر الّذي هو أنفس بضاعة الانسان في غير فائدة وذلك غاية الخسران .

ومنها : أنّ الخوض في علم لايفيد فهو مذموم كتعلّم دقيق العلوم قبل جليلها او خفيّها قبل جليّها ، وكالبحث عن ذات الله جلّ وعلا والاسرار الالهيّة كما خاض فيه الفلاسفة والمتكلمون ولم يستقلوا بها .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « نعوذ بالله من علم لاينفع».

وقال عيسى بن مريم عليه السلام : «ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر وليس كلها بطيّب».

وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع !

وانّ العلم على ثلاثة أقسام : قسم هو مذموم قليله و كثيره ، وقسم هو محمود قليله و كثيره ، و كلماكان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولايحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه ، فالقسم المذموم منه قليله و كثيره هومالا فائدة فيه في دين ولادنيا إذ فيه ضر يغلب نفعه كعلم السحر والنجوم والكهانة...

«فضل دراسة العلم»

قال الله جلّ وعلا: «كونوا ربّانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون» آل عمران :٧٩).

وقال: «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلاّ الحق و درسوا مافيه والدار الآخرة خيرللّذين يتّقون أفلا تعقلون» الأعراف :١٦٩).

فى أعلام الدين: قال الامام سبط المصطفى سيد الشهداءِ الحسين بن عليّ صلوات الله عليهم أجمعين: «دراسة العلم لقاح المعرفة، و طول التجارب زيادة في العقل، والشرف التقوى، والقنوع راحة الأبدان، و من أحبّك نهاك، ومن أبغضك أغراك».

فى الكافى: باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ان الله عزّ وجلّ يقول: تذاكر العلم بين عبادي مما تحيي عليه القلوب الميّتة إذاهم إنتهوا فيه إلى أمري».

وفيه: باسناده عن أبي الجارود قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: «رحم الله عبداً أحيى العلم قال: قلت: وما إحياؤه؟ قال: أن يذاكر به أهل الدّين وأهل الورع».

وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تذاكروا و تلاقوا و تحدّثوا فانّ الحديث جلاء للقلوب، انّ القلوب لترين كما يرين السيف، جلاؤها الحديث».

وفيه: : باسناده عن منصور الصّيقل قال: سمعت أباجعفر عليه السلام يقول: «تذاكر

العلم دراسة ، والدراسة صلاة حسنة ».

و **في نهج البلاغة** : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « ما أخذ الله علي أهل الجهل أن يتعلّموا حتّى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا » .

وقد ثبت أنّ تعليم العلم فرض كفاية ، وفي الخبر المرفوع : « من علم علماً و كتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» .

وروى معاذ بن جبل عن النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : « تعلّموا العلم فانّ تعلّمه خشية الله ودراسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، و طلبه عبادة ، وتعليمه صدقة ، و بذله لأهله قربة لأنّه معالم الحلال والحرام ، و بيان سبيل الجنّة ، والمؤنس في الوحشة ، والمحدّث في الخلوة ، والجليس في الوحدة ، والصّاحب في الغربة ، والدّليل على السرّاء والمعين على الضرّاء والزّين عند الأخلاء والسلاح على الأعداء ».

ورئى واصل بن عطاء يكتب من صبيّ حديثاً ، فقيل له : مثلك يكتب من هذا ! فقال : أما إنّي أحفظ له منه ، ولكنّي أردت أن اذيقه كأس الرئاسة ليدعوه ذلك إلى الازدياد من العلم .

وقال الخليل : العلوم أقفال ، والسئوالات مفاتيحها.

وقال بعضهم : كان أهل العلم يضنّون بعلمهم عن أهل الدنيا ، فيرغبون فيه ويبذلون لهم دنياهم ، واليوم قد بذل أهل العلم علمهم الدنيا فزهدوا فيه وضنّوا عنهم بدنياهم .

وقال بعضهم : ابذل علمك لمن يطلبه ، وادع إليه من لا يطلبه ، وإلّا كان مثلك كمن اهديت له فاكهة فلم يطعمها ولم يطعمها حتى فسدت .

و **في أمالي المفيد** رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمّد بن أبي عمير العبدي قال : قال أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « ما أخذ الله ميثاقاً من أهل

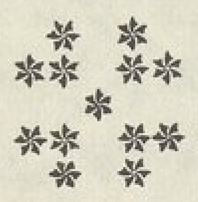
الجهل بطلب تبيان العلم حتّى أخذ ميثاقاً من أهل العلم بتبيان العلم للجهّال لأن العلم كان قبل الجهل ».

وفي الكافي: باسناده عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « قرأت في كتاب علي عليه السلام : ان الله يأخذ على الجهّال عهداً بطلب العلم حتّى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهّال لأن العلم كان قبل الجهل » .

وفيه: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : « زكاة العلم أن تعلّمه عباد الله ».

و عن بعض الحكماء انه قال : « علّم علمك من يجهل ، وتعلّم ممن يعلم فانك إذافعلت ذلك علمت ماجهلت وحفظت ما علمت » .

و في احقاق الحق : قال الامام سيّد الساجدين زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام : « من كتم علماً أحداً أوأخذ عليه أجراً رفداً ، فلاينفعه أبداً ».



﴿ التعليم و التعلم و أقسامهما ﴾

قال الله عزّ وجلّ: « وماكان المؤمنون لينفروا كافّة فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدّين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون » التوبة: ١٢٢)

وقدسبق منّا أنّ العلوم على قسمين: علوم مقصودة بالذّات أهمّها واوليها علم تفسير القرآن الكريم لتقدّمه على كل كتاب وقول، ثم علم الحديث ثم الفقه ... وعلوم هي وسيلة آليّة لهذه العلوم كالعربية والحساب والمنطق واصول الفقه وما إليها من العلوم الآلية ...

فعلى العلماء والمتعلّمين أن يوسعوا الكلام و تفريعه و إستكشاف الأدلّة و الأنظار في العلوم الّتي هي مقاصد، فانّ ذلك يزيد طالبها تمكّناً في ملكتها و ايضاحاً لمعانيها المقصودة، و أمّا العلوم الّتي هي آلة لغيرها فلاينبغي أن ينظروا فيها إلّا من حيث انّها آلية لغيرها، فلايوسعوا فيها الكلام إذ لاحاجة إلى تفرّع المسائل الكثيرة لأنّ ذلك مخرج لها عن المقصود الآلي، فكلّما خرجت عن الآلية خرجت عن المقصود، و صار الاشتغال بها لغواً مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها و كثرة فروعها ...

وربّما يكون ذلك مانعاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذّات لطول وسائلها مع أن شأنها أهمّ و العمر قصير عن تحصيل الجميع على تلك الصورة المفصّلة، فيكون الاشتغال بتوسعة العلوم الآلية تضييعاً للعمر وشغلاً بما لايعنى جدّاً.

فيجب على كلّ مسلم تعليم القرآن الكريم وتعلّمه قبل تعليم العلوم الآلية وتعلّمها لتفسيره ومعارفه، ولما فيه من العلوم الكثيرة و الحقائق ماليس في غيره، ونحن نشير هيهنا إلى بعض ما ورد في تعليم القرآن المجيد و تعلّمه قبل الخوض في التعليم والتعلّم وأقسامهما إطلاقاً :

منها : ماورد صحيحاً : انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي ذر رضوان الله تعالى عليه : «يا أباذر لأن تغدو فتعلّم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلّي مأة ركعة، ولأن تغدو فتعلّم باباً من العلم عمل به أولم يعمل خير من أن تصلّي ألف ركعة».

أقول: قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «أولم يعمل» أي يكون علماً نظرياً فيعتقد به ولا يكون علماً عملياً، أولم يعمل به غيرك أولم يأن وقت العمل . . .

وفي الكافي: باسناده عن سعد الخفّاف عن أبي جعفر عليه السلام قال : «ياسعد تعلّموا القرآن فانّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق - إلى أن قال - فيقول الله : لأثيبن اليوم عليك أحسن الثواب ولأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب . . . الحديث .

وفي نهج البلاغة : قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام - في خطبة - : «و تعلّموا القرآن فانّه ربيع القلوب و استشفوا بنوره فانّه شفاء الصدور وأحسنوا تلاوته فانّه أنفع (أحسن خ) القصص...» الخطبة.

وفي حديث أبي ذر رحمة الله تعالى عليه : «حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل : يارسول الله ومن قراءة القرآن؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : وهل ينفع القرآن إلّا بالعلم؟»

قال الله تعالى : «و إذ أخذ الله ميثاق الّذين اوتوا الكتاب لتبيّننّه للناس ولاتكتمونه» آل عمران : ١٨٧) و هو ايجاب للتعليم، وقال جلّ وعلا : «وانّ فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» البقرة : ١٤٦) وهو تحريم للكتمان كما قال عزّ وجلّ في الشهادة : «ومن يكتمها فانه آثم قلبه» البقرة :٢٨٣).

وقد قال النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «ما آتى الله عالماً علماً إلّا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبيّنوه للناس ولا يكتموه».

وفي تحف العقول : ـ في وصيّة الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام ـ : « ياهشام تعلّم من العلم ما جهلت ، واعلم الجاهل مما علمت ، عظّم العالم لعلمه ودع منازعته ، و صغّر الجاهل لجهله ، ولا تطرده ولكن قرّبه وعلّمه » .

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : «إن الذي يعلّم العلم منكم له أجر مثل أجر المتعلّم وله الفضل عليه ، فتعلّموا العلم من حملة العلم وعلّموه إخوانكم كما علّمكموه العلماء »

وفيه: باسناده عن أبي بصير قال : سمعت أباعبد الله عليه السلام يقول: من علّم خيراً فله مثل أجر من عمل به ، قلت : فان علّمه غيره يجري ذلك له ؟ قال : إن علّمه الناس كلّهم جرى له ، قلت: فان مات ؟ قال : و إن مات .

قوله عليه السلام : « فان علّمه غيره » أي علّمه المتعلّم ثالثاً ، و « يجري ذلك له » أي أيجري للاوّل أجر تعليم الثاني كما يجري له أجر عمله ؟ قال : إن علّمه الناس كلّهم ولو بوسائط ، و « إن مات » أي ذلك المعلّم .

وفيه: باسناده عن حفص بن غياث قال : قال لي أبوعبد الله عليه السلام : « من تعلّم العلم و عمل به و علّم لله دعي في ملكوت السموات عظيماً فقيل : تعلّم لله و اعمل لله وعلّم لله ».

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تعلّموا العلم فانّ تعلّمه قربة إلى الله عزّ وجلّ وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وانّ العلم لينزل بصاحبه في موضع الشرف والرفعة ، والعلم زين لأهله في الدنيا والآخرة » .

وفي العيون : باسناده عن عبد السلام الهروي عن الرضا عليه السلام قال: «رحم الله عبداً أحيى أمرنا قلت : كيف يحيي أمركم ؟ قال : يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس، فانّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا . . » الحديث .

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من تعلّم باباً من العلم ليعلم الناس اعطى ثواب سبعين صديقاً».

وعيسى بن مريم عليه السلام انّه قال: «من علم و عمل و علّم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السموات».

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلّا ذكر الله سبحانه وما والاه أو معلّماً أو متعلّماً».

وفي رواية: قال النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته و أرضه حتّى النملة في جحرها حتى الحوت في البحر ليصلون على معلّم الناس الخير».

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلّمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة».

وفي رواية: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فرآى مجلسين: أحدهما يدعون الله عزّ وجلّ و يرغبون إليه، و الثاني يعلّمون الناس، فقال: أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلّمون الناس، وإنّما بعثت معلّماً ثم عدل إليهم وجلس معهم».

وقال بعض الحكماء: «من تعلّم العلم لفضيلته لم يوحشه كساده، و من تعلّمه لجدواه انصرف عنه بانصراف عنه بانصراف الحظّ عن أهله إلى ما يكسبه».

وقال بعضهم: إنّ العلم هو صورة المعلوم في نفس العالم، كما أنّ الصنعة هي إخراج تلك الصورة الّتي في نفس الصانع العالم و وضعها في الهيولى، و انّ أنفس العلماء علاّمة بالفعل، وأنفس المتعلّمين علاّمة بالقوّة، والتعليم ليس شيئاً سوى إخراج ما في القوّة إلى الفعل، والتعلّم هو الخروج من القوّة إليه، و أنّ كلّ شيء بالقوّة لايخرج إلى الفعل إلّا لشيء هو بالفعل يخرجه إليه.

وقال بعض: إنّ التعليم على ثلاثة أقسام: تعليم بشريّ، وتعليم ملكيّ،

وتعليم إلهي .

أما الأول فكما لسائر الناس ، والثاني فكما لسائر الرسل عليهم السلام كان يمثل لهم الملك ويعلمهم الكتاب ، و الثالث فكما لخواص الأنبياء وعظماء الأولياء عند عروجهم إلى الله جل وعلا وإلى هذه الأقسام الثلاثة أشار بقوله جل وعلا : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أومن وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم » الشورى : ٥١) فالأول هو التعليم الالهي ، والثاني هو الملكي ، والثالث هو البشري وهو تعليم ما في القرآن الكريم من المعارف والأسرار والحقائق. . . وهذا لا يمكن إلا أن يتجلى بنور الحكمة الذي هو حقيقة الكلام ونور الايمان على قلب من كان من عباده الكرام وأحبائه العظام .

وإن تعليم القرآن الكريم من أعظم شعار الدين الاسلامي لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الايمان والعقيدة بآياته ، و انه أصل يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات وذلك ان التعليم في الصغر أشد رسوخاً ، وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات ، و على حسب الأساس و أساليبه يكون حال من يبنى عليه .

ولا يخفى ما بين التعليم و التلقين من الفرق ، حيث ان التلقين هو الذي يكون في الكلام فقط ، والتعليم هو الذي يكون في الكلام وغيره ، تقول : لقنه الشعر وغيره ولا يقال : لقنه النجارة والتجارة والخياطة كما يقال : علمه في جميع ذلك ، و اخرى فان التعليم يكون في المرة الواحـدة ، و التلقين لا يكون إلا في المرات ، و اخرى فان التلقين هو مشافهتك الغير بالتعليم وإلقاء القول إليه ليأخذه عنك ، و وضع الحروف مواضعها ، والتعليم لا يقتضي ذلك ، ولهذا لا يقال : ان الله يلقن العبد كما يقال : ان الله يعلمه .

وفي رواية: قال رسول الله (ص) : « مسئلة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنته و خير له من عتق رقبة من ولد إسمعيل »

وقال بعض الظرفاء : إنّ العلم كالبحر، فاجرى منه واد ، ثم اجرى من الوادي نهر ثم اجرى من النهر جدول ، ثم اجرى من الجدول ساقيه ، فلو اجرى إلى الجدول ذلك الوادي لغرقه ، ولو سال البحر إلى الوادي لأفسده وهو المراد من قوله عزّ وجلّ : «انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها»

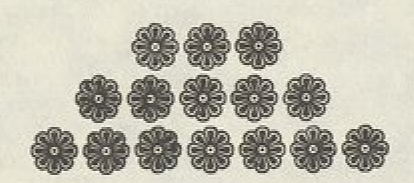
فالعلم عند الله تعالى واعطى الرسل منها أودية، ثم اجرى الرسل أوديتهم أنهاراً ثم اعطت العلماء جداول على قدر طاقتهم ثم اجرت منها إلى أهليهم بقدر طاقتهم .

وفي نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : « و لايستحيينّ أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه . . . » الخطبة .

وحقاً : أن يحسن بالانسان التعلّم مادام يقبح منه الجهل ، و كما يقبح منه الجهل مادام حياً كذلك يحسن به التعلّم مادام حيّاً »

ونعم ماقال الشاعر :

تعلّم فليس المرء يخلق عالماً		وليس أخو علم كمن هو جاهل
و إن كبير القوم لا علم عنده		صغير إذا التفت عليه المحافل



﴿ شرائط التعليم والتعلم ﴾

قال الله جلّ وعلا : «فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً قال له موسى هل أتبعك على أن تعلّمن مما علّمت رشداً قال إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولااعصي لك أمراً قال فان اتبعتني عن شيء حتّى احدث لك منه ذكراً » الكهف : ٦٥ ـ ٧٠)

وقد اشير في هذه الآيات الكريمة إلى أهم شرائط التعليم والتعلّم :

أولها: أن يكون المعلّم عالماً بمايعلّمه .

ثانيها : أن يكون المعلّم عاملاً صالحاً للتعليم .

ثالثها : أن يكون المتعلم راغباً فيما يتعلّم .

رابعها : أن يكون المتعلّم مستعداً لمايتعلّم .

خامسها : أن يكون غرض المتعلّم من تعلّم العلم رشداً وكمالاً لا الدنيا ومتاعها...

سادسها : أن يكون المتعلّم تابعاً لمعلّمه فيما يتعلّم منه ولايعصيه .

سابعها : أن يكون صابراً في طريق التعلّم على مايراه من الأذى والجوع والشدّة وغيرها .

وفي المقام بيان امور يتعلق بالمعلّم قبل ذكرما يتعلّق بالمتعلّم على طريق الاختصار :

الاول : أن يكون المعلّم محيطاً بما يعلّمه على مراتبه وأدواره الابتدائية

والمتوسطة والعالية ،فلا ينبغي لأحد أن ينتصب نفسه للتدريس والتعليم حتّى تكمل أهليته له حيث انّ فاقد الشيء لا يستطيع أن يكون معطيه ، و من لا يكون أهلاً للتعليم وقام عليه ، كان وبالاً على نفسه ، وخيانة على المتعلم ، وضرراً وشراً على المجتمع . . . منها إضلال المتعلم وتضييع عمره ووو

الثاني : أن يعرف إستعداد المتعلّم فيعلّمه حسب قدره ، و أن يعرف قدر العلم وموضعه فلا يضيعه ببذله لغير أهله ، ولا يذهب إلى بيوت الطواغيت والحكام الجابرة لتعليم العلم إلاّ أن تدعو إليه ضرورة وتقتضيه مصلحة دينية بأن يرجى إصلاح المتعلم وإهتداءه لا لمصلحة دنيوية . . .

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « لا تعلّقوا الجواهر في أعناق الخنزير » وقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : قام عيسى بن مريم عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فقال : « يا بني إسرائيل لا تحدثوا الجهّال بالحكمة فتظلموا ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم »

وقال أفلاطون : ينبغي للمعلّم الحاذق بالرياسة أن يستقري طباع المتعلمين منه فيناسب به العلوم التي يتعلّمونها ، وإلاّ تعب بهم وخسّرهم أزمنتهم .

الثالث : أن يكون عاملاً بعلمه مضافاً إلى ما تقدّم من الأمر المشترك ،قال الله عزّ وجلّ : « لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون » الصف : ٢ ـ ٣)

أن يحذر عن مخالفة أفعاله لأقواله ، وإن كانت على الوجه الشرعي مثل أن يأمر بشيء من المستحبّات و هو تاركها حتّى لاشتغاله بماهو أهمّ منها ، فانّ هذا و إن كان جائزاً إلاّ أن العوام ربّما توهّموا انّه تلبيس عليهم ، فانّه ينبغي للعالم كشف ما يلتبس حاله على الناس كما اتفق للنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حين رآه بعض أصحابه يمشى ليلاً مع بعض زوجاته إلى منزلها ، فخاف أن يتوهّم انها ليست من نسائه فقال له : ان هذه زوجتى فلانة ، ونبّهه على العلّة لخوفه من تلبيس إبليس

عليه .

الرابع : أن يكون المعلّم متخلقاً بأخلاق إسلاميّة ليرغب المتعلم فيما يتعلّم وأن يجتنب عن الغضب والشدّة ، والغلظة والغيبة والمعصية . . . لئلا يتنفر عنه المتعلم وعما يتعلّم .

الخامس: أن لايمنّ على المتعلّم بمايعلّمه ، ولايمتنع عن تعليمه لأحدبأعذار غيرموجّهة حيث ان المنّة تمنع من تأثيرالتعليم في المتعلّم . . .

السادس : أن يؤدّب تلاميذه بالآداب الاسلامية والأخلاق الفاضلة علماً وعملاً تدريجاً ، أوّلها أن يحثهم على الاخلاص لله جلّ وعلا في تعلمهم وسعيهم ومراقبة الله جلّ وعلا في كل حال ، وأن يعرفهم انّ ذلك يفتح عليهم أبواب العلم وينابيع الحكمة ، ومعارف الاسلام وحقائق الأشياء . . .

السابع : أن يرغّبهم في العلم ويعرفهم أغراض العلوم وغاياتها ، ويذكّرهم مراتب العلوم في الفضل والغرض والغاية ليكون تعلّمهم عن معرفة ، و يذكّرهم فضائل العلماء الدينية ، وانهم ورثة الأنبياء عليهم السلام ، وانهم على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء . . . ويذكرهم بما ورد في فضائل العلوم والعلماء من الآيات القرآنية والروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ، ومن كلمات العلماء المفسرين ، والحكماء المحققين ، والصلحاء المتكلمين والفقهاء المحدّثين . . . ومافيه من هزّ عظيم للنفوس الانسانية . . .

الثامن : أن يرضى المعلّم لتلاميذه ما يرضى لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر والأذى . . . فانّ ذلك من تمام الايمان وكمال التقوى و مقتضى الاخوة الايمانية والمواساة . . . وقدورد صحيحاً : « لايؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه مايحبّ لنفسه » ومن غير ريب انّ المتعلّم أفضل الأخوان بل الأولاد . . . فانّ العلم كما عرفت قرب روحاني وهوأجلّ من الجسماني ، وانّ المعلّم هوالأب الروحاني .

التاسع : أن يزجره عن سوء الأخلاق ، وإرتكاب المناهى أو ترك الاشتغال أو إساءة أدب أو كثرة كلام لغير فائدة أو معاشرة من لايليق به معاشرته أو نحو ذلك بطريق التعريض لا التصريح لأنّه يهيّج الحرص على الاصرار و قد ورد : « لومنع الناس عن فتّ البعر لفتّوه » وقالوا : مانهينا عنه إلّا وفيه شيء ، فان لم ينته بالتعريض ، فبالتصريح ،وإلّا فيغلظ عليه القول ، فان لم ينته يطرده ،وبالجملة فكما يعلّمهم مصالح دينهم يعلّمهم مصالح دنياهم ليكمل لهم فضيلة الحالتين ...

العاشر : أن لايتعاظم المعلّم على المتعلّم ، بل ينبغي له أن يتواضع له قال الله عزّ وجلّ : « واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » الشعراء : ٢١٥)

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « علّموا ولاتعنفوا فانّ المعلّم (العلم خ) خير من المعنف (العنف خ)» وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « لينوا لمن تعلّمون ولمن تتعلّمون منه » وينبغي أن يخاطب كلّاً منهم سيّما الفاضل المتميّز بكنية ونحوها من الأسماء الحسنة ، وقدكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكنّي أصحابه إكراماً لهم ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ان رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يفقّهون في الدّين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً » .

الحاديعشر : إذا غاب أحد التلاميذ زائداً على العادة يسئل عنه وعن أحواله وموجب إنقطاعه ، فان لم يخبر عنه أرسل إليه أوقصد منزله بنفسه وهوأفضل كما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان كان مريضاً عاده أوفي غمّ فرّجه عنه أومسافراً تفقّد أهله ، وتعرّض لحوائجهم ووصلهم بما أمكن .

و قد حكى لي بعض أصدقائي : ان بعض الطلاب الدينية في الحوزة العلمية :بقم المشرفة حضرت ولادة إمرأته نحو نصف ليلة ، ولم يكن له شيء من المؤنة ولاأحد يعينه في أمرها ، فجاء إلى منزل المرجع الديني للشيعة الامامية الاثني عشرية :آية الله العظمى السيد حسين الطباطبائى البروجردي قدّس سرّه فقرع بابه فجاء السيد إلى بابه وقدكان نائماً ففتح بابه فأخبره الطلبة بأمر زوجته

ليرسل أحداً من خدّامه إلى بيت القابلة لوضع الحمل ، فأخذ السيد عبائه وجعله على رأسه فذهب إلى بيت القابلة، فأذهب بها إلى بيت الطلبة مع كبر سنّه و كفى له المؤنة فرجع فطوبى له ثم طوبى ولغيره فيه اسوة حسنة .

الثاني عشر: أن يستعلم المعلّم أسماء تلاميذه وحاضري مجلسه وأنسابهم و كنائهم ومواطنهم وعن أحوالهم ويكثر الدعاء لهم . . .

الثالث عشر: أن يكون المعلّم سمحاً ببذل ما حصّله من العلم متلطّفاً في إفادته طالبيه ، ولاينبغي أن يدّخرعنهم شيئاً من أنواع العلوم الّتي يحتاجون إليها أويسئلون عنها إذاكان الطالب أهلاً لذلك ، وليكتم عنهم مالم يتأهّلوا له من المعارف لأنّ ذلك مما يفرّق الهمّ ، فان سئله عن شيء من ذلك نبّهه على أنّ ذلك يضرّه وانّه لم يمنعه منه شحّاً بل شفقة ولطفاً .

الرابع عشر: منع المتعلّم أن يشتغل بغيرالواجب قبله ، و بفرض الكفاية قبل فرض العين ، ومن فرض العين إصلاح قلبه و تطهير باطنه بالتقوى ، و كذلك يمنعه من علم الأدب قبل علم السّنة وهكذا . . .

الخامس عشر: أن يكون حريصاًعلى تعليمهم باذلاً وسعه في تقريب الفوائد إلى أفهامهم مهتمّاً بذلك مؤثّراً له على حوائجه ومصالحه مالم يكن ضرورة إلى ماهوأرجح منه ، ويفهم كل واحد منهم بحسب فهمه ، فلا يلقى إليه مالا يحتمله فهمه ، ويخاطب كلّ واحد على قدردرجة فهمه ، ويكرّر المسئلة لمن يحتاج إلى تكريرها ويوضحها بالأمثلة والتمثيلات ، و يذكر لهم مافي المسئلة من الأقوال والدلائل القويّة والضعيفة ، وينبّه على وجه ضعفه .

السادس عشر: أن يذكر في تضاعيف الكلام ما يناسبه من قواعد الفنّ الكليّة الّتي لاتنخرم أويضبط مستثنياتها إن كانت كقوله كلّ ركن يبطل الصلاة بزيادته ونقصانه مطلقاً إلّا مواضع مخصوصة ويذكرها مفصّلة .

السابع عشر: أن يحرصهم على الاشتغال في كلّ وقت و يطالبهم باعادة

محفوظاتهم ويسئلهم عمّا ذكر لهم من المهمّات و المباحث فمن وجده حافظاً مراعياً أكرمه ، وأثنى عليه وأشاع ذكر ذلك ، ومن وجده مقصّراً عنفه في الخلوة، وإن رآى مصلحة في الملأ نعله فانّه طبيب .

الثامن عشر : أن يطرح المعلّم على تلاميذه مايراه مستفاد المسائل الدقيقة والنكت الغريبة يختبر بذلك أفهامهم ليتدبّروا بذلك و يعتادوه .

وقدروى : انّ النبيّ الكريم ﷺ قال : «انّ من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها ، وانها مثل المسلم حدّثوني ماهي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي ، قال ابن عمر ووقع في نفسي انّها النخلة فاستحيت ، ثم قالوا : حدّثنا ماهي يارسول الله ؟ فقال : هي النخلة ، فقال له أبوه : لوقلتها لكان أحبّ إليّ من كذا و كذا» .

و كذا إذا فرغ من التدريس فلابأس بأن يطرح مسائل تتعلّق به على الطلبة وإعادة ذكر ما اشكل منه ليمتحن بذلك فهمهم وضبطهم لما شرح لهم، فمن ظهر إستحكام فهمه له شكره ومن لم يفهمه تلطّف في إعادته له ، وينبغي للمعلّم أن يأمر الطّلبة بالاجتماع في الدّرس لما يترتّب عليه من الفائدة الّتي لاتحصل مع الانفراد وإعادة ما وقع من التقرير بعد فراغه فيما بينهم ليثبت في أذهانهم . . .

التاسع عشر : أن ينصفهم في البحث فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وإن كان صغيراً فان ذلك من بركة العلم .

العشرون : أن لايظهر للمتعلّمين تفضيل بعضهم على بعض عنده في مودّة أو عناية مع تساويهم في الفضل والكمال والصفات من سنّ أوفضيلة أو تقوى أو ديانة... فانّ ذلك مما ينفر القلوب ، وإن كان بعضهم أكثر تحصيلاً و أشدّ إجتهاداً فلا بأس بترجيحه بشرط أن يذكر لهم ان ترجيحه و إكرامه إنّما هو لهذه الفضيلة ، و ذلك لينشط باقي المتعلّمين فيحصّلون صفاته . . .

الحادى والعشرون : أن يقدّم في تعليمهم إذا ازدحموا الأسبق ، ولايقدّمه بأكثر من درس إلّا برضاء الباقين ، ويختار إذا كانت الدروس في كتاب واحد باتفاق

منهم ،وهو المسمّى بالتقسيم أن يبدأ في كل يوم بدرس واحد منهم ، فان الدّرس المبدأ به ربّما حصل فيه من النشاط في التقرير مالايحصل في غيره إلّا إذا علم من نفسه عدم الملالة وبقاء النشاط ، فيترتّب الدّرس ترتيب الكتاب ، فيقدّم درس العبادات على درس المعاملات وهكذا ، وان رآى مع ذلك تقديم الأسبق ليحرص المتأخّر على التقدّم كان حسناً ، وينبغي أن لايقدّم أحداً في نوبة غيره ولا يؤخّره عن نوبته إلّا إذا رآى في ذلك مصلحة كماعرفته ، وإن جاؤا معاً ، وتنازعوا أقرع بينهم بشرطه الآتي . . .

الثاني والعشرون : إذا سلك المتعلّم في التعليم فوق ما يقتضيه حاله وخاف ضجره أوصاه بالرفق بنفسه وذكره قول النّبي الكريم ﷺ : ان المنبت (المنبث) لا أرضاً قطع ولاظهراً أبقى ، وكذلك إذا ظهر له منه نوع ملالة أو ضجر أمره بالراحة وتخفيف الاشتغال وليزجزه عن تعلّم مالايفهمه فان استشاره من لا يعرف حاله في الفهم في قراءة فنّ أو كتاب لم يشر عليه حتّى تجرّب ذهنه ويعلم حاله .

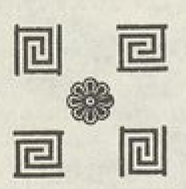
الثالث والعشرون : إذاكان المعلّم عالماً ببعض العلوم لاينبغي له أن يقبّح الطالب غيره من العلوم . . . كما يتّفق ذلك لكثير من جهلة المعلّمين ، فان المرء عدوّ ما جهل حتّى إذاكان غيره أعرف منه بذلك وجب عليه هداية المتعلّم إليه بأن يقول له : هذا العلم الّذي تقرأه عندي فلان أعرف منّي به لأنّ هذا نصح أخيه المسلم بل ولده الروحاني كما عرفت .

الرابع والعشرون : أن لايتأذّى ممّن يقرأ عليه إذاقرأ على غيره لمصلحة راجعة إلى المتعلّم ، فانّ هذه مصيبة يبتلى بها جهلة المعلّمين . ومن لايريد بعلمه وجه الله جلّ وعلا وهو من أوضح الدلائل على فساد النيّة ، فانّه عبد مأمور بأداء رسالة ملك إلى بعض عبيده فاذا ارسل الملك عبداً آخر لأداء الرسالة لاينبغي للأوّل الغضب ، فانّ ذلك لاينقصه عند السيّد بل يزيده قدراً ورفعة عنده إذا وجده راضياً ، فالواجب على المعلّم إذا رآى المتعلّم قابلاً لقراءة درسين وهو يمل من الدرس الآخر

أن يهديه على معلّم آخر ، أمّا لو كان جاهلاً أوفاسقاً أومبتدعاً أو كثير الغلط بحيث يفيد الطالب ملكة ردّيّة ، و كان الطالب جاهلاً بحاله ، فالتحذير من الاغترار به حسن مع مراعاة المقصد الصحيح .

الخامس والعشرون : إذا تكمل الطالب وتأهّل للاستقلال بالتعليم ، و أراد أن يصير مدرّساً فينبغي أن تقوم المعلّم بنظام أمره في ذلك ، و يمدحه في المحافل ، ويأمر الناس بالأخذ عنه ، ولينبّه الناس على قدر معلوماته وتقواه و صلاحه كما أنّه لو رآى منه ميلاً إلى الاستقلال بالتعليم ، ولم يبلغ درجته ينبغي له أن يقبح له ذلك عنده ويشدّد النكير عليه في الخلاء ، فان لم ينجع فليظهر ذلك على وجه صحيح حتّى يرجع إلى الاشتغال .

وبذلك كلّه أن يكون الشخص معلّماً لغيره وإلّا فلا .



«شرائط التعليم و آداب التعلم»

ومن أهمّ شرائط التعليم أن يعلم المعلّم رغبة المتعلم كما أنّ من أهمّ شرائط التعلم إستعداد المتعلّم لما يتعلّم به ، وفي فقدهما تضييع لعمرهما وإجراء الماء في غير مسيله ، ومن لارغبة له فيما يتعلّم فلا يتفكّر فيه ،ولابد للمتعلّم التفكّر فيه ، فلاينال به .

قال أفلاطون : إذا طلبت المال فاجعل زمان الاكتساب له أطول من زمان الاستمتاع ، وإذا طلبت العلم فاجعل زمان الارتياض به والفكر فيه أطول من زمان الجمع له .

وقال : لاينتفع بالعلم ولا بالمال سارق لهما ولامحتال فيهما لأنّ هاتين الرذيلتين لاتكونان إلّا في نفس قبيحة الترتيب والنظام لايزكو فيها شيء تملكه ولايثمر.

وقال : لايكن وكدك تقريب علم الشّيء علم المتعلم وايصاله من غير تعب يلحقه فيه ، فانّ هذا يعمر حفظه ويخرب إستطابته ، ولكن لوح له و خلّ بينه و بين إجالة فكره فيه ، وسدّده إلى طريق الصّواب ، فاذا تبينت الجهل فيه فافتح فيه .

وقد سئل : كيف يخطى الطالب ماطلب من العلوم ؟ فقال : من أفق الوهم الّذي من جهة الفكر إذا استعمله من جهة الصّور أومن افق الصّور نحو الوهم إذا استعمله من جهة الفكر .

وقال بطلميوس : « العلم في موطنه كالذّهب في معدنه ، لا يستنبط إلاّ بالدؤب والتعب والكدّ والنصب ثم يجب تخليصه بالفكر كما يخلص الذهب بالنار» وقد حكى أنّ جالينوس من صغره كان مشتهياً للعلم البرهاني طالباً له شديد الحرص والاجتهاد والقبول للعلم فنال به مانال لرغبة شديدة فيه ، وكان لحرصه على العلم يدرّس ما علّمه المعلّم في الطريق إذا انصرف من عنده حتّى يبلغ إلى منزله ، وكان الفتيان الّذين كانوا معه في موضع التعلّم يلومونه ويقولون له : يا هذا ينبغي أن تجعل لنفسك وقتاً من الزمان تضحك معنا فيه ، وتلعب فربّما لم يجبهم لشغله بما يتعلّمه ، وربما قال لهم : ما الداعي لكم إلى الضحك واللعب ؟ فيقولون : شهوتنا لذلك ، فيقول : والسبب الداعى إلى ترك ذلك وايثار العلم بغضى لما أنتم عليه ، ومحبتّي لما أنا فيه ، فكان الناس يتعجّبون منه .

قيل لبعض الحكماء : لاتنظر فغمض عينيه ، وقيل له : لاتسمع فسدّ اذنيه ، وقيل له : لاتتكلّم فوضع يده على فيه ، وقيل له :لاتعلّم فقال : لاأقدرعليه .

فلايستطيع أحد أن ينال بالعلم إلاّ بالرغبة فيه كمالايستطيع أحد أن ينال به إلاّ من استعدّ له ، و إن كان الانسان ـ سواء كان من ولد العالم أو الجاهل ، من الأبيض أم الأسود ، من الذكر أوالانثى ـ مستعداً لتحصيل العلم على إختلافهم في الاستعداد كاختلافهم في رغباتهم في العلوم والفنون والصنائع والحرف...

ولا بدّ للمتعلّم أن يعرف غرض ما يتعلّم من العلوم ، من الرشد والكمال الانساني ومايتعلق بنفسه وبالاجتماع ، وأن يكون صابراً على الشدائد الّتي يراها في طريق تعلّمه ، فانها أسباب تكاملية لابدّ منها لمن يسير إلى الكمال .

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « من تعلّم العلم ليمارى به السفهاء أو يباهي به العلماء أو يصرف وجوه الناس إليه ليعظّموه فليتبوّأ مقعده من النار فان الرئاسة لاتصلح إلاّ لله ولأهلها ، ومن وضع نفسه في غير الموضع الّذي وضعه الله فيه مقته الله ، ومن دعا إلى نفسه ، فقال أنا رئيسكم وليس هو كذلك لم ينظر الله إليه حتّى يرجع عمّا قال ، ويتوب إلى الله مما ادّعى » .

وقال ﷺ: «من تعلّم العلم للتكبّر مات جاهلاً ، ومن تعلّمه للقول دون العمل مات منافقاً ، ومن تعلّمه للمناظرة مات فاسقاً ، ومن تعلّمه لكثرة المال مات زنديقاً ، ومن تعلّمه للعمل مات عارفاً».

وقال ﷺ: «إنّما العلم بالتعلّم وإنّما الحلم بالتحلّم» فلا علم بلاجدّ و نصب ، ولاحلم بلا تكلّف وتصبّر وجدّ.

وقد ثبت بالبداهة أنّ العلوم الدينية أفضل من سائر العلوم لتقدّم غرضها على غيرها ولذلك لها شرائط وآداب أكثر مما لغيرها فلاينال بكمالها إلّا من اجتمع فيه امور :

أولها : مشيّة الله تعالى قال جلّ وعلا : «ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء» البقرة : ٢٥٥) وقال : «وقل ربّ زدني علماً» طه : ١١٤)

ثانيهما : تزكية النفس وتطهير القلب قال الله عزّ وجلّ : «كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم مالم تكونوا تعلمون» البقرة : ١٥١) .

تزكية النفس من الحسد والعداوة ، من الافتراء والنمامة ، تطهير النفس من البخل والحقد ، ومن سوء الظن ورذائل الأخلاق ومذموم الأصاف . . فانّ العلم عبادة القلب وصلاة السرّ وقربة الباطن إلى الله جلّ وعلا ، فكما لاتصحّ الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلّا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث ،فكذلك لاتصحّ عبادة الباطن و عمارة القلب بالعلم إلّا بعد طهارته عن الخبائث والرذائل والأوصاف المذمومة من الدنيا والرئاسة ، ومن العجب والكبر . . . و ان خبائث الباطن أهمّ بالاجتناب فانّها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل .

حيث انّ العلوم الدينية كالماء العذب الصافي لابد في حفظه وإنتفاعه من الآنية الطاهرة لئلا يتعفّن نفسه ولايوجب مريضاً في شاربه ، فضلاً عن كونها نجساً ، فمن تعلّم وهو غير طاهر القلب فسد نفسه وأفسد العوالم : عالم أبناء زمانه ، وعالم

أبناء المستقبلين في طوال الأعصار بالبدع والسنن السيّئة . . .

ثالثها : أن يتعلّم بما يستعدّ له من العلوم والفنون والصنائع والحرف مع تعرّفه بمراتبها وأغراضها وغاياتها . . بعد أن حصل له معرفة الله جلّ وعلا حسب وسعه قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أوّل العلم معرفة الجبّار . . . » فمن لا معرفة له بالله جلّ وعلا فلا ينتفع بما يتعلّم في الدنيا والآخرة ، فلابدله منها قبل كلّ شيء و قد رؤى صورة حكيمين من الحكماء المتقدّمين في مسجد وفي يد أحدهما رقعة فيها : إن أحسنت كلّ شيء فلا تظنن أنك أحسنت شيئاً حتّى تعرف الله تعالى ، وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء ، وفي يد الآخر : كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب و أظمأ حتّى إذا عرفته رويت بلا شرب .

ثم التعلّم بما يستعدّ له من العلوم والفنون والتبحّر فيه فيكون متخصّصاً به ، فمن يستعدّ مثلاً المرجعيّة الدينية فلابد له من تعلّم ما تحتاج إليه من الفنون والعلوم والتحقيق ، فلاينبغي له أن يتطرّق فيما لاحاجة له إليه أو من يحب أن يكون خطيباً ، فلابدله في بداية تعلّمه مما يحتاج إليه الخطيب الناطق ، وهكذا جميع العلوم الدينية الاخروية الهادية للمجتمع البشري إلى الرشد والكمال الانساني ، أو العلوم المادية الدنيوية النافعة لهم . . .

رابعها : أن يكون مخلصاً في تعلمه لله جل وعلا ولا يريد الدنيا ومتاعها و من لم يكن مخلصاً فيه فلاينال بكمال العلم ، وأمّا ماورد : « تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون إلاّ لله » فانّما ذلك هو علم التفسير و علم الحديث لما فيهما ما يوجد في الانسان الاخلاص ، وليس في غيرهما مافيهما .

خامسها : أن يكون غرضه من التعلّم الرشد لنفسه والارشاد لغيره ، يكون قصده إعلاء كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، يكون هدفه إحقاق الحق و إعانة المظلوم ، يكون مراده صلاح نفسه وإصلاح مجتمعه ، يكون غرضه فهم المعارف و نشرها بين أبناء نوعه ، و يكون له فيه نية خالصة ، ولا يريد به إلاّ وجه الله

عزّ وجل .

سادسها : أن يقلّل علائقه من الاشتغال بالدنيا وزخارفها . . . ويبعد عن الأهل والوطن ، فانّ العلائق شاغلة وصارفة : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » الأحزاب : ٤)

ومهما توزّعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ، ولذلك قيل : « العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيك كلّك فاذا أعطيته كلّك فأنت من إعطائه إيّاك بعضه على خطر » .

وانّ الفكرة المتوزّعة على امور متفرّقة كجدول تفرّق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه ، فلايبقي منه ما يجتمع ويبلغ المزارع .

سابعها : أن لايتكبّر على العلم ، ولايتأمر على معلّم بل يلقي إليه زمام أمره بالكليّة في كلّ تفصيل ، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق ، وينبغي أن يتواضع لمعلّمه و يطلب الثواب والشرف بخدمته . و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ليس من أخلاق المؤمن التملّق (الملق خ) إلاّ في طلب العلم» فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبّر على المعلّم ، ومن تكبّره على المعلّم أن يستنكف عن الاستفادة إلاّ من المرموقين المشهورين، وهوعين الحماقة فانّ العلم سبب النجاة والسعادة ، ومن يطلب مهرباً من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب مشهور أو خامل ، وضراوة سباع النار بالجهّال بالله جلّ و علا أشدّ من ضراوة كلّ سبع ، فالحكمة ضالّة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ، ويتقلد المنّة لمن ساقها إليه كائناً من كان ، فلذلك قيل :

العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي

فلاينال العلم إلاّ بالتواضع وإلقاء السمع قال الله عزّ وجلّ : « انّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ق : ٣٧) ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلاً للعلم فهماً ، ثم لاتعينه القدرة على الفهم حتّى يلقى السمع وهو

شهيد حاضر القلب ليستقيل كلّ ما القى إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنّة، فليكن المتعلّم لمعلّمه كأرض دمثة نالت مطراً غريزاً فتشربت جميع أجزائها وأذعنت بالكليّة لقبوله، ومهما أشار إليه المعلّم بطريق في التعلم فليقدّه وليدع رأيه، فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنّه يعظم نفعها، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوته إلى حدّ يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لاخبرة له به.

وقد نبّه الله عزّ وجلّ بقصة الخضر وموسى عليهما السلام إذ قال الخضر: «انك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على مالم تحط به خبراً» ثم شرط عليه السكوت والتسليم بقوله: «فان اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتّى احدث لك منه ذكراً» ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما.

ان تسئل: كيف لاينبغي السئوال وقد أمر الله تعالى به في قوله: «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون» النحل: ٤٣) ؟

تجيب عنه: انّه كذلك ولكن فيما يأذن المعلّم في السئوال عنه، وللسئوال شرائط في المعلّم والمتعلّم سيأتي ذكرها عن قريب إن شاء الله تعالى، وانّ السئوال عمّا لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم، ولذلك منع الخضر موسى عليهما السلام من السئوال أي دع السئوال قبل أوانه، فالمعلّم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف، ومالم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لايدخل اوان السئوال عنه.

وقد قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام:

«إن من حق العالم أن لاتكثر عليه بالسئوال، ولا تعنته في الجواب، ولاتلح عليه إذا كسل، ولاتأخذ بثوبه إذا نهض، ولاتفشي له سرّاً، ولاتغتابن أحداً عنده ولا تطلبن عثرته، وإن زلّ قبلت معذرته، وعليك أن توقّره وتعظّمه لله تعالى مادام

يحفظ أمر الله تعالى ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته

ثامنها : أن يحذر الخائض في العلم في بداية الأمر عن الاصغاء إلى إختلاس الناس ، سواء كان ما خاض فيه من العلوم الدينية والمعارف الالهية أم من العلوم الدنيوية ، فانّ ذلك يدهش عقله و يحير ذهنه و يفتر رأيه و يؤيسه عن الادراك والاطلاع ، بل ينبغي أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند استاذه، ثم بعد ذلك يصغى إلى الآراء والشبه . . .

وإن لم يكن استاذه مستقلاً باختيار رأى واحد ، و إنما عادته نقل الآراء والأقوال ، وما قيل فيها فليحذر منه، فانّ إضلاله أكثر من إرشاده فلا يصلح الأعمى لقود العميان وإرشادهم ، ومن هذا حاله يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ، ومنع المبتديء عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار ، ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صفّ الكفّار ويندب الشجاع له ، و من الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ، ولم يدر أن وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضعفاء . . .

وفي ذلك قال بعضهم : من رآني في البداية صار صديقاً ، ومن رآني في النهاية صار زنديقاً . وذلك انّ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن و تسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض ، فيتراءى للناظرين أنها بطالة و كسل وإهمال ، وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام ، وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى من ظاهره أنّه هفوة يضاهي إعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء ويتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد يلقي في البحر، والبحر أعظم من الكوز ، فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز ، ولا يدري المسكين أن البحر بقوّته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته في اللون والطعم والرائحة . . .

ولمثل هذا جوز للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم مالم يجوّز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة

إذ كان له من القوّة ما يتعدّى منه صفة العدل إلى نسائه وإن كثرن ، و أما غيره فلا يقدر على بعض العدل ، بل ربّما يتعدّى ما بينهن من الضرار إليه حتّى ينجر إلى معصية الله تعالى في طلبه رضاهن ... فما أفلح من قاس الملائكة بالحدّادين .

تاسعها- أن لا يدع طالب العلم فنّاً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من أنواعه النافعة إلّا وينظر فيه نظراً يطّلع به على مقصده وغايته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحّر فيه، وإلّا إشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية ، فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ، ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله ، فان الناس أعداء ما جهلوا .

قال الله عزّ وجلّ : « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » الأحقاف:١١)

وقال الشاعر :

ومن يك ذافم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله عزّ وجلّ ، أو معينة على السلوك نوعاً من الاعانة ، ولها منازل مرتبة في القرب والبعد من المقصود، والقوّام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور، ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله جلّ وعلا .

عاشرها: أن لا يخوض في فنّ حتّى يستوفي الفنّ الّذي قبله ، فانّ العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً ، وبعضها مقدّمة وطريق إلى بعض ، والموفّق من راعى ذلك الترتيب والتدريج ...

قال الله عزّ وجلّ : « الّذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته » البقرة:١٢١)

أي لا يجاوزون فنّاً حتى يحكموه علماً وعملاً وليكن قصده في كل علم يتحرّاه الترقي إلى ما هو فوقه ، فينبغي ألّا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ، ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل ، فترى جماعة تركوا النظر في العقليات والفقهيّات ... متعلّلين فيها بأنها لو كان لها

أصل لأدركه أربابها . . .

وقد ترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب ، و قد تظن طائفة اخرى بطلان العلوم الدينية لخطأ شاهدوه ممن تلبس بلباس العلوم الدينية، والكل خطأ بل ينبغي أن يعرف الشيء في نفسه، فيكون هو المعيار فينطبق الفرد عليه لا العكس .

وقد قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : «لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله » .

الحادى عشر : أن يعرف السبب الّذي يدرك به أشرف العلوم، و أن ذلك يراد به شيئان : أحدهما ـ شرف الثمرة . ثانيهما ـ وثاقة الدليل وقوّته . وذلك كعلم الدين وعلم الطب ، فانّ ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخر الحياة الفانية ، فيكون علم الدّين أشرف على شرف الآخرة على الدنيا ، ومثل علم الحساب وعلم النجوم ، فان علم الحساب أشرف لوثاقة أدلّته وقوّتها ، وإن نسب الحساب إلى الطب،، كان الطبّ أشرف باعتبار ثمرته ،والحساب أشرف باعتبار أدلّته وملاحظة الثمرة أولى ، ولذلك كان الطب أشرف ، وإن كان أكثره بالتخمين ، وبهذا ظهر أنّ أشرف العلوم العلم بالله جل وعلا وملائكته و كتبه و رسله ، والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم . . .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أوّل العلم معرفة الجبّار وآخر العلم تفويض الأمر إليه » وليس معنى ذلك أن لا يتعلّم أحد غيرها من العلوم والفنون والصنائع والحرف ، بل لابد منها ولكن بعد المعرفة بالله تعالى ليكون علمه نافعاً لنفسه و لغيره .

الثانى عشر : أن يصبر على الأذى والشدائد والاغتراب عن الوطن . . .

قال أفلاطون : من لم يصبر على تعب التعلم فليصبر على شقاوة الجهل .

﴿ كلمات قصار حول العلم وفضله ﴾

غرر حكم ودرر كلم في المقام نشير إلى نبذة منها :

١ـ قال مولى الموحّدين إمام المتقين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « كلّ عالم غير الله سبحانه متعلّم »

٢ـ قال الامام سبط المصطفى سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام ـ في دعاء عرفة ـ : « إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي . . . » الدعاء.

٣ـ قال النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « العلم ثلاثة : آية محكمة ، أو سنّة قائمة، أو فريضة عادلة ، وما كان سوى ذلك فهو فضل »

٤ـ قال الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : « وجدت علم النّاس كلّهم في أربع: أوّلها أن تعرف ربك ، والثاني أن تعرف ما صنع بك ، والثالث أن تعرف ما أراد منك ، والرابع أن تعرف ما يخرجك عن دينك »

٥ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً »

٦ـ قال الامام علي عليه السلام : « أشرف الأشياء العلم ، والله تعالى عالم يحبّ كل عالم »

٧ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم أفضل شرف »

٨ـ وقال عليه السلام أيضاً : « لا عزّ أشرف من العلم »

٩ـ وقال عليه السلام أيضاً : « لا شرف كالعلم »

١٠ـ وقال عليه السلام أيضاً : « كفى في العلم شرفاً انّه يدعيه من لا يحسنه و يفرح

إذانسب إليه ، و كفى بالجهل ضعة أن يتبرّ أمنه من هوفيه ويغضب إذانسب إليه»

١١ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم أشرف هداية »

١٢ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم أفضل شرف من لاقديم له »

١٣ـ وقال عليه السلام أيضاً : « أشرف الشرف العلم »

١٤ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم أصل كلّ خير والجهل أصل كلّ شرّ »

١٥ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم بالله أفضل العلمين »

١٦ـ وقال عليه السلام أيضاً : « أفضل ما منّ الله به على عباده : علم و عقل و ملك وعدل »

١٧ـ وقال عليه السلام أيضاً: « يتفاضل الناس بالعلوم والعقول لابالأموال والاصول»

١٨ـ وقال عليه السلام أيضاً : « غاية الفضل العلم »

١٩ـ وقال عليه السلام أيضاً : « رأس الفضائل العلم »

٢٠ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم أفضل الكنوز وأجملها ، خفيف المحل،عظيم الجدوى ، في الملأجمال ، وفي الوحدة انس »

٢١ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم أعظم كنز »

٢٢ـ وقال عليه السلام أيضاً : « لا كنز أنفع من العلم »

٢٣ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم كنز عظيم لايفنى »

٢٤ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم أفضل الأنيسين »

٢٥ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم أفضل الجمالين »

٢٦ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أفضل الأعمال العلم بالله ، إنّ العلم ينفعك معه قليل العمل و كثيره ، وإنّ الجهل لاينفعك معه قليل العمل ولا كثيره »

٢٧ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً : «أفضل الايمان أن تعلم أنّ الله معك حيثما كنت»

٢٨ـ وقال الامام على عليه السلام : « أفضل إيمان العبد أن يعلم أن الله معه حيث كان»

٢٩ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً : « العلم أفضل من العبادة »

٣٠- وقال الامام على عليه السلام : « العلم أفضل هداية »

٣١- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم أفضل قنية » القنية ـ بالكسر والضم ـ : ما اكتسب.

٣٢- وقال عليه السلام أيضاً : « من لم يكتسب بالعلم مالاً إكتسب به جمالاً »

٣٣- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم أجل بضاعة » البضاعة : طائفة من المال تعد للتجارة والمراد : خيرزاد .

٣٤- وقال عليه السلام أيضاً : « فضيلة العلم العمل به »

٣٥- وقال عليه السلام أيضاً : « فضيلة العلم الاخلاص فيه »

٣٦- وقال عليه السلام أيضاً : « من فضل علمك إستقلالك بعملك »

٣٧- وقال عليه السلام أيضاً : « لاذخر كالعلم »

٣٨- وقال عليه السلام أيضاً : «لاسمير كالعلم » السمير : الذي يشاركك في الحديث ليلاً .

٣٩- وقال عليه السلام أيضاً : « ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم ! بل أي شيء فات من أدرك العلم »

٤٠- وقال عليه السلام أيضاً : « خير العلم مانفع »

٤١- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم سلطان من وجده صال به ، ومن لم يجده صيل عليه »

٤٢- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم أعلى فوز »

٤٣- وقال عليه السلام أيضاً : « رتبة العلم أعلى المراتب »

٤٤- وقال عليه السلام أيضاً : « كفى بالعلم رفعة »

٤٥- وقال عليه السلام أيضاً : « إذا أحب الله عبداً خطر عليه العلم »

٤٦- وقال عليه السلام أيضاً : « عليك بالعلم فانه وراثة كريمة »

٤٧- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم وراثة كريمة ونعمة عميقة »

٤٨- وقال عليه السلام أيضاً : « حسب المرء علمه وجماله عقله »

٤٩- وقال عليه السلام أيضاً: «العلم جمال لايخفى ونسيب لايجفى»

٥٠- وقال عليه السلام أيضاً: «العلوم نزهة الادباء»

٥١- وقال عليه السلام أيضاً: «عليكم بهذا القرآن أحلوا حلاله وحرّموا حرامه، واعملوا بمحكمه وردّوا متشابهه إلى عالمه، فانّه شاهد عليكم وأفضل ما به توسّلتم»

٥٢- وقال عليه السلام أيضاً: «العلم خير ميراث، والعقل خير موهوب، والأدب خير حرفة، والتقوى خير زاد، والعبادة أربح بضاعة، والعمل الصالح خير قائد، وحسن الخلق خير قرين، والحلم خير وزير، والقناعة أفضل غنى، والتوفيق خير عون»

وقد كان الامام علي عليه السلام ينشد هذه الأبيات:

ان المكارم أخلاق مطهّرة	فالعقل أوّلها والدّين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها	والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها	والشكر تاسعها واللين عاشرها
والعين تعلم من عيني محدثها	إن كان من حزبها أو من أعاديها
والنفس يعلم أني لا اصدقها	ولست ارشد إلّا حين أعصيها

٥٣- وقال عليه السلام أيضاً: «ثلاث من كن فيه فقد كمل ايمانه: العقل والعلم والحلم»

٥٤- وقال عليه السلام أيضاً: «نعم وزير الايمان العلم»

٥٥- وقال عليه السلام أيضاً: «لانيّة لمن لاعلم له»

٥٦- قال بعض الحكماء: «العجب كلّ العجب لمن عرف الله و لم يطعه، و لمن رجا ثوابه ولم يعمل له، ولمن خاف عقابه ولم يحترز، ولمن علم شرف العلم و رضى لنفسه بالجهل»

٥٧- في حديث قدسي - قال الله عزّ وجلّ: «التقى والعلم والعقل ثلاث مراتب، وما جعلت واحدة منهن في أحد من خلقي وأنا اريد هلاكه»

٥٨- وقد سئل الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام عن العلم فقال: «أربع كلمات: أن تعبد الله بقدر حاجتك إليه، وأن تعصيه بقدر صبرك على النار، و أن تعمل لدنياك بقدر عمرك فيها، وأن تعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها»

٥٩- وقال عليه السلام أيضاً: «العلوم أربعة: علم ينفع، وعلم يشفع، وعلم يرفع، وعلم يضع، فأمّا الذي ينفع علم الشريفة، وأمّا الذي يشفع فعلم القرآن، وأما الذي يرفع فالنحو، وأمّا الذى يضع فعلم النجوم».

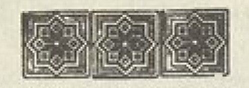
٦٠- وقال عليه السلام أيضاً: «أقل الناس قيمة أقلّهم علماً إذ قيمة كل امرء ما يحسنه»

٦١- وقال عليه السلام أيضاً: «ينبىء عن فضلك عملك وعن إفضالك بذلك»

٦٢- وقال عليه السلام أيضاً: «تفضّل تخدم واعلم تقدّم»

٦٤- وفي دعاء الفرج -: «واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة...» الدعاء.

٦٤- وفي التعقيبات المشتركة - من تعليم النبّي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام لقوّة الحافظة - «اللهم اجعل لي في قلبي نوراً وبصراً وفهماً وعلماً إنك على كلّ شيء قدير».



﴿ غرر حكم ودرر كلم حول العلم والعقل ﴾

كلمات قصار حول العلم والعقل نشير إلى مايسعه المقام :

١ـ قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام :

« العلم عنوان العقل »

٢ـ وقال عليه السلام أيضاً : «العقل والعلم مقرونان في قرن لايفترقان ولايتباينان»

٣ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العقل أصل العلم وداعية الفهم »

٤ـ وقال عليه السلام أيضاً : « جهاد النفس بالعلم عنوان العقل »

٥ـ وقال عليه السلام أيضاً : « انك موزون بعقلك فزكّه بالعلم »

٦ـ وقال عليه السلام أيضاً : « بالعقول تنال ذروة العلوم »

٧ـ وقال عليه السلام أيضاً : « لاشيء أحسن من عقل مع علم ، علم مع حلم ، و حلم مع قدرة »

٨ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العقل أجمل زينة ، والعلم أشرف مزية »

٩ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العقل منفعة والعلم مرفعة والصبر مدفعة »

١٠ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب »

١١ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم يدلّ على العقل فمن علم عقل »

١٢ـ قال بعض الحكماء : « أربعة أشياء تتمّ بأربعة : الأوّل ، العلم يتمّ بالعقل ، الثاني :الطاعة تتمّ بالزهد والورع، الثالث :العمل يتمّ بصدق النيّة، الرابع: النعمة تتمّ بشكرها »

١٣ـ وقيل لبعضهم :فما أكمل العقل ؟ قال: « وقوف الانسان عند علمه »

١٤ـ قال الامام علي عليه السلام : « العلم محيي النفس ومنير العقل ومميت الجهل»

١٥ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم مصباح العقل وينبوع الفضل »

١٦ـ وقال عليه السلام أيضاً « العقل مركب العلم والعلم مركب الحلم »

١٧ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العقل لم يجن على صاحبه قطّ، والعلم من غير عقل يجنى على صاحبه »

١٨ـ وقال عليه السلام أيضاً : « من زاد علمه على عقله كان وبالاً عليه »

١٩ـ وقال عليه السلام أيضاً : « كل علم لايؤيّده عقل مضلّة »

٢٠ـ وقال عليه السلام أيضاً : « ينبغي أن يكون علم الرجل زائداً على نطقه ، و عقله غالباً على لسانه »

٢١ـ وقال عليه السلام أيضاً : « من عقل الرجل أن لايتكلم بكل ما أحاط به علمه»

٢٢ـ وقال عليه السلام أيضاً : « لاتخبر بمالم تحط به عالماً »

٢٣ـ وقال عليه السلام أيضاً : « لاتتكلم بكل ماتعلم ، فكفى بذلك جهلاً »

٢٤ـ وقال عليه السلام أيضاً: « العقل والشهوة ضدّان ومؤيّد العقل العلم،ومؤيّد الشهوة الهوى،والنفس متنازعة بينهما فأيّهما قهر كانت في جانبه »

٢٥ـ وقال عليه السلام أيضاً : « من خالف الهوى أطاع العلم »

٢٦ـ وقال عليه السلام أيضاً : « لايبعدنّ هواك علمك »

٢٧ـ وقال عليه السلام أيضاً : « من عصى الغضب أطاع العلم »

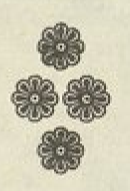
٢٨ـ وقال عليه السلام أيضاً : « حقّ علي العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء و يضمّ إلى علمه علوم العلماء »

٢٩ـ وقال عليه السلام أيضاً : « ليس شيء أحسن من عقل زانه علم، ومن علم زانه حلم ، ومن حلم زانه صدق ، ومن صدق زانه رفق ، ومن رفق زانه تقوى»

٣٠ـ وقال النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «لايكون العبد في السماء ولا في الأرض

مؤمناً حتّى يكون فضولاً ،ولايكون فضولاً حتّى يكون مسلماً ، ولايكون مسلماً حتّى يسلم الناس من يده ولسانه ، ولايسلم الناس من يده و لسانه حتّى يكون عالماً ، ولا يكون عالماً حتّى يكون عاملاً بالعلم ، ولا يكون عاملاً بالعلم حتّى يكون زاهداً، ولايكون زاهداً حتّى يكون ورعاً ،ولايكون ورعاً ، حتى يكون متواضعاً ، ولايكون متواضعاً حتّى يكون عارفاً ، ولا يكون عارفاً بنفسه حتّى يكون عاقلاً »

٣١ـ وقال الامام على عليه السلام : « خدمة النفس صيانتها عن اللذات والمقتنيات، ورياضتها بالعلوم والحكم ، وإجهادها بالعبادات والطاعات ،وفي ذلك نجاة النفس».



﴿العلم والحلم﴾

كلمات قصار حول العلم والحلم نشير إلى مايسعه المقام :

١- قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : «العلم قائد الحلم ، و الحلم ثمرة العلم»

٢- و قال عليه السلام أيضاً : « العلم أصل الحلم »

٣- و قال عليه السلام أيضاً : « الحلم زينة العلم »

٤- و قال عليه السلام أيضاً : « نعم قرين العلم الحلم »

٥- و قال عليه السلام أيضاً : « بالعلم تدرك درجة الحلم »

٦- و قال عليه السلام أيضاً : « تجرّع مضض الحلم فانه رأس الحكمة وثمرة العلم »

٧- و قال عليه السلام أيضاً : «الحلم في العلم »

٨- و قال عليه السلام أيضاً : « يحتاج العلم إلى الحلم ويحتاج الحلم إلى الكظم »

٩- و قال عليه السلام أيضاً : « كمال العلم الحلم و كمال الحلم كثرة الاحتمال والكظم »

١٠- وقال عليه السلام أيضاً : « لن يثمر العلم حتّى يقارنه الحلم »

١١- وقال عليه السلام أيضاً : « من أشرف العلم التحلّي بالحلم »

١٢- وقال عليه السلام أيضاً : « ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك إنّما الخير أن يكثر علمك و أن يعظّم حلمك»

١٣- وقال عليه السلام أيضاً : « من ارتوى من مشرب العلم تجلبب جلباب الحلم »

١٤- وقال عليه السلام أيضاً : « لاعلم لمن لاحلم له »

١٥- قيل لبعض الحكماء : « فما أوفر الحلم ؟ قال : حلم الانسان عند شتمه »

١٦- و قيل لبعضهم : « فأيّ الملوك خير؟ أقربهم من الحلم عند القدرة و أبعد هم من الجهل عند الغضب و من يرى انّه لايملك أمره إلّا بالعدل بين رعيته »

١٧- وقال الامام علي عليه السلام : « حسن الحلم دليل وفور العلم »

١٨- وقال عليه السلام أيضاً : « حبّ العلم وحسن الحلم ولزوم الصواب من فضائل اولى الألباب »

١٩- وقال عليه السلام أيضاً : « رأس العلم الحلم »

٢٠- وقال عليه السلام أيضاً : « زين العلم الحلم »

٢١- وقد روى: «انّه جاء رجل إلى الحسن بن عليّ عليهما السلام فقال : يابن رسول الله ! روى عن جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انه قال : إذا كان لأحد كم حاجة فليطلبها من ثلاثة نفر: من رجل قرشي، أو من رجل حامل كتاب الله، أو من رجل صبيح الوجه ، وقد جمعت فيك هذه الخصال ، قال : و كان متكياً جالساً فقال : إنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنزلوا الناس منازلهم وأنا أسئلك عن ثلاث خصال إن أجبتني أعطيتك ثلاث مأة دينار قال : سل ولاقوة إلّا بالله ! فقال له عليه السلام : مازينة المرء ؟ قال : علم معه حلم ، قال : فان فاته ذلك؟ قال : كرم معه ورع ، قال : فان فاته ذلك؟ قال : فقر معه صبر، قال : فان فاته ذلك؟ قال : صاعقة من السماء تهشم جلده وعظمه ، فتبسّم صلوات الله عليه وضاعف له ماطلب »

٢٢- قال بعض الظرفاء : « ثلاثة من لم تكن فيه فليس بفاضل و هي : حلم يردّ به جهل من جهل عليه ، و ورع يحجزه عن المحارم ، و حسن خلق يدارى به الناس »

٢٣- وقال بعضهم : « ثلاثة لايعرفون إلّا في ثلاثة مواطن : لايعرف الجود إلّا في الجدب ، ولا الشجاع إلّا في الحرب ، ولا الحليم إلّا عند الغضب »

٢٤- وقال بعضهم : « ثلاثة لاتعرفهم إلّا عند ثلاث : الحليم عند الغضب ، والشجاع عند الخوف ، والأخ عند حاجتك إليه »

٢٥- قال الامام على عليه السلام : « غاية العلم السكينة والحلم »

٢٦- وقال عليه السلام أيضاً : « قاتل هواك بعلمك وغضبك بحلمك »

٢٧- وقد سئل الامام علي عليه السلام عن الخير ما هو؟ فقال عليه السلام : «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، و لكن الخير أن يكثر علمك ، وأن يعظّم حلمك ، و أن يباهي بعبادتك ربك ، فان أحسنت حمدت الله ، وإن أسأت استغفرت الله »

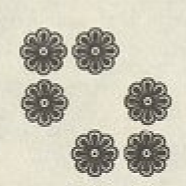
٢٨- وقال عليه السلام : « رأس العلم الرفق »

٢٩- وقال عليه السلام : « أربعة تدل على السعادة : حبّ العلم ، و حسن الحلم ، وصحة الجواب و كثرة الصواب »

٣٠- ومما ينسب إلى الامام عليّ عليه السلام :

حسن الخصال من الصلصال مقصود ... والمرء بالفعل ممدوح ومردود

و إنّما يرفع الانسان أربعة ... الحلم والعلم والاحسان والجود



«الحياة وآثار العلم»

غرر حكم ودرر كلم في المقام نشير إلى نبذة منها :

١ـ قال الامام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « العلم إحدى الحياتين »

٢ـ و قال عليه السلام أيضاً : « إذا كان الآباء هم السبب في الحياة فمعلّمو الحكمة والدين هم السبب في جودتها »

٣ـ و قال عليه السلام أيضاً : « العلم حياة وشفاء »

٤ـ و قال عليه السلام أيضاً : « العلم حياة »

٥ـ و قال عليه السلام أيضاً : « اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة »

٦ـ و قال عليه السلام أيضاً : « بالعلم تكون الحياة »

٧ـ و قال عليه السلام أيضاً : « من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كل معرفة وعلم »

٨ـ و قال عليه السلام أيضاً : « العلم لقاح المعرفة »

٩ـ و قال عليه السلام أيضاً: « العلم أوّل دليل والمعرفة آخر نهاية »

١٠ـ وقال عليه السلام أيضاً . « بالعلم تعرف الحكمة »

١١ـ وقال عليه السلام أيضاً : « ثمرة العلم معرفة الله »

١٢ـ وقال عليه السلام أيضاً : « ليكفّ من علم منكم من عيب غيره لما يعرف من عيب نفسه »

١٣ـ وقال عليه السلام أيضاً : « كلّما زاد علم الرجل زادت عنايته بنفسه »

١٤ـ وقال الامام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : « نجوى العارفين تدور على

ثلاثة اصول : الخوف والرجاء والحب، فالخوف فرع العلم ، والرجاء فرع اليقين ، والحب فرع المعرفة ، فدليل الخوف الهرب ، ودليل الرجاء الطلب ، ودليل الحب ايثار المحبوب على ماسواه ، فاذا تحقق العلم في الصدر خاف ، وإذا صح الخوف هرب وإذا هرب نجى ، وإذا اشرق نور اليقين في القلب شاهد الفضل ، وإذا تمكن منه رؤية الفضل رجى ، وإذا وجد حلاوة الرجاء طلب ، وإذا وفق للطلب وجد ، وإذا تجلّى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبة ، وإذا هاج ريح المحبة إستأنس في ظلال المحبوب ، واذا استأنس في ظلال المحبوب آثره على ما سواه وباشر أوامره واجتنب نواهيه ، واختارهما على كل شيء غيرهما ، فاذا استقام على بساط الانس بالمحبوب مع أداء أوامره واجتناب نواهيه ، وصل إلى روح المناجات والقرب ، ومثال هذه الاصول الثلاثة كالحرم والمسجد والكعبة ، فمن دخل الحرم أمن من الخلق، ومن دخل المسجد امنت جوارحه من أن يستعملها في المعصية، ومن دخل الكعبة امن قلبه من أن يشغل بغير ذكر الله تعالى »

١٥- وقال الامام على عليه السلام : « كفى بالخشية علماً »

١٦- وقال عليه السلام : « أعلم الناس بالله سبحانه أكثرهم خشية »

١٧- وقال عليه السلام « أعلم الناس بالله سبحانه أخوفهم منه »

١٨- وقال عليه السلام : «أعلمكم أخوفكم » أي من الله تعالى وحده .

١٩- وقال عليه السلام أيضاً : « كل عالم خائف » إذا كان تحصيل العلم خالصاً لوجه الله جل وعلا وحده .

٢٠- وقال عليه السلام أيضاً : « من خشي الله كثر علمه »

٢١- وقال عليه السلام أيضاً : « ثمرة العلم العبادة »

٢٢- وقال عليه السلام أيضاً : « سبب الخشية العلم » و لذلك قال الله عز وجل : «إنما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر :٢٨)لامطلق العلماء .

٢٣- وقال عليه السلام أيضاً : « لاعلم كالخشية »

٢٤- وقال عليه السلام أيضاً : « غاية العلم الخوف من الله سبحانه »

٢٥- وقال عليه السلام أيضاً : « إذا زادعلم الرجل زادأدبه وتضاعفت خشيته من ربه »

٢٦- وقال عليه السلام أيضاً : « أعلم الناس من لم يزل الشك يقينه »

٢٧- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم حرز»

٢٨- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم خير دليل »

٢٩- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم دليل »

٣٠- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم نعم الدليل »

٣١- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم داعي الفهم »

٣٢- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم ينجد الفكر »

٣٣- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم ينجد » أي يعين العالم في العمل إذا كان غرضه في التحصيل إبتغاء لوجه الله تعالى .

٣٤- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم ينجيك » أي من الذلة والعذاب ، و من الفقر والشقاء ، والريب والحيرة . . .

٣٥- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم ينجي من الارتباك والحيرة »

٣٦- وقال عليه السلام أيضاً : « بالعلم يستقيم المعوج »

٣٧- وقال عليه السلام أيضاً : « كن عالماً بالحق عاملاً به ينجيك الله سبحانه »

٣٨- وقال عليه السلام أيضاً : « ألزم العلم بك مادلك على صلاح دينك وأبان لك عن فساده »

٣٩- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم يرشدك إلى ما أمرك به والزهد يسهل لك الطريق إليه »

٤٠- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم ثمرة الحكمة والصواب من فروعها »

٤١- وقال عليه السلام أيضاً : « بالحكمة يكشف غطاء العلم »

٤٢- وقال بعض المحققين : « ثمرة العلم أربعة : أحدها ما بينه و بين الله و

هو الخشية ، والثاني ما بينه وبين الخلق و هو الشفقة ، والثالث ما بينه و بين النفس وهو الصبر ، والرابع ما بينه و بين الدنيا وهي الزهادة »

٤٣ـ وقال الامام على عليه السلام : « العلم يهدى إلى الحق » أي من شأن العلم أن يكون كذلك .

٤٤ـ وقال عليه السلام أيضاً : « ان العلم يهدي ويرشد و ينجي ، ان الجهل يغوي ويضل ويردي »

٤٥ـ وقال عليه السلام أيضاً . « كما أن العلم يهدى المرء و ينجيه كذلك الجهل يضله ويرديه »

٤٦ـ وقال عليه السلام أيضاً : « من استرشد علم »

٤٧ـ وقال عليه السلام أيضاً : « من علم اهتدى »

٤٨ـ وقال عليه السلام أيضاً : « لاهداية لمن لاعلم له »

٤٩ـ وقال عليه السلام أيضاً : « من استرشد العلم أرشده »

٥٠ـ وقال عليه السلام أيضاً : « لاعلم لمن لابصيرة له »

٥١ـ وفي وصية النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام ـ : « يا علي ! و للصالح ثلاث علامات : يصلح الله ما بينه وبين الله بالعمل الصالح ، ويصلح دينه بالعلم ، و يرضى للناس مايرضاه لنفسه »

٥٢ـ وقال الامام علي عليه السلام « ثوب العلم يخلدك ولايبلى ويبقيك ولايفنى » أي تحصيل العلم إبتغاء لوجه الله تعالى مع العمل .

٥٣ـ وقال عليه السلام أيضاً : « ثروة العلم تبقي وتنجي »

٥٤ـ وقال عليه السلام أيضاً : « خير العلم ما أصلحت به رشادك وشره ما أفسدت به معادك »

٥٥ـ وقال عليه السلام أيضاً : « علم لا يصلحك ضلال ، ومال لاينفعك وبال »

٥٦ـ وقال عليه السلام أيضاً : « ورع المؤمن يظهر في علمه »

٥٧- وقال عليه السلام أيضاً : « لا يزكوا العلم بغير ورع »

٥٨- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم صبغ النفس، وليس يفوق صبغ الشيء حتّى ينظف من كل دنس »

٥٩- وقال عليه السلام أيضاً : « ردّوا الجهل بالعلم »

٦٠- وقال عليه السلام أيضاً : « إذا أردت العلم والخير فانفض عن يدك أداة الجهل والشر فان الصائغ لايتهيأ له الصياغة إلّا إذا القى أداة الفلاحة عن يده »

٦١- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم جلالة والجهالة ضلالة »

٦٢- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم مجلّة والجهل مضلّة »

٦٣- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم قاتل الجهل ومكسب النبل »

٦٤- وقال عليه السلام أيضاً : « لسان العلم الصدق، ولسان الجهل الخرق »

٦٥- وقال عليه السلام أيضاً : « ضادّوا الجهل بالعلم »

٦٦- وقال عليه السلام أيضاً : « يسير العلم يغنى، كثير الجهل يطغى »

٦٧- وقال عليه السلام أيضاً : « من قاتل جهله بعلمه فاز بالحظّ الأسعد »

٦٨- وقال عليه السلام أيضاً : « العلم زين الأغنياء وغنى الفقراء »

٦٩- وقال عليه السلام أيضاً : « جهل الغني يضعه وعلم الفقير يرفعه »

٧٠- وقال عليه السلام أيضاً : « جهل الشباب معذور وعلمه محقور »

٧١- وقال عليه السلام أيضاً : « من جهل علماً عاداه »

٧٢- وقال عليه السلام أيضاً : « إثنان يهون عليهما كلّ شيء : عالم عرف العواقب، وجاهل يجهل ماهو فيه »

٧٣- وقال عليه السلام أيضاً : « قطع العلم عذر المتعلّلين »

٧٤- وقال عليه السلام أيضاً : « خير علمك ما أصلحت به يومك وشرّه ما أفسدت به قومك »

٧٥- وقال عليه السلام أيضاً : « التواضع ثمرة العلم »

٧٦ـ وقال عليه السلام أيضاً : « أطول الناس عمراً من كثر علمه فتأدّب به من بعده أو كثر معروفه فشرف به عقبه »

٧٧ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال »

٧٨ـ وقال عليه السلام أيضاً « العلم حاكم والمال محكوم عليه »

٧٩ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « زينة الدنيا ثلاثة : المال والولد والنساء ، وزينة الآخرة ثلاثة : العلم والورع والصدقة »

٨٠ـ وفي وصيّة الامام علي عليه السلام لكميل بن زياد ـ : « يا كميل ! العلم خير من المال ، العلم يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق ، العالم حاكم ، والمال محكوم عليه »

٨١ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « تعلّموا العلم فانّ تعلّمه حسنة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة لأنّه معالم الحلال والحرام ، وسالك بطالبه سبيل الجنة ، هو أنيس في الوحشة ، وصاحب في الوحدة ، ودليل على السرّاء والضرّاء ، وسلاح على الأعداء ، وزين للأخلاء ، يرفع الله به أقواماً ليجعلهم في الخير أئمة يقتدى لهم ، ترمق أعمالهم ، وتقتبس آثارهم ، وترغب الملائكة في خلتهم ، يمسحونهم في صلاتهم بأجنحتهم ، و يستغفر لهم كلّ شيء حتّى حيتان البحور وهوامّها ، وسباع البرّ وأنعامها لأنّ العلم حياة القلوب ، ونور الأبصار من العمى ، وقوّة الأبدان من الضعف ، ينزل الله حامله منازل الأخيار ، ويمنحه مجالس الأبرار في الدنيا والآخرة ، بالعلم يطاع الله و يعبد ، بالعلم يعرف الله و يوحد ، و بالعلم توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام ، والعلم أمام العمل ، والعمل تابعه يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء »

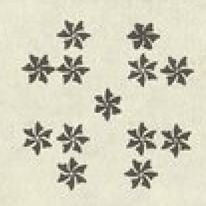
أقول: وقد عدّ في هذه الرواية تسع وعشرون خصلة من خصال العلم وآثاره...

٨٢ـ وقال الامام علي عليه السلام : « لا خير في قلب لا يخشع ، وعين لا تدمع ، وعلم لا ينفع »

٨٣ـ وقال عليه السلام أيضاً : « لاينفع العلم بغير توفيق »

٨٤ـ قال الامام علي عليه السلام : « إذامات الانسان إنقطع عنه علمه إلآمن ثلاث : صدقة جارية ، وعلم كان علّمه الناس فانتفعوا به ، وولد صالح يدعوله »

٨٥ـ وقال عليه السلام أيضاً : « أطع العلم واعص الجهل تفلح » .



« التعليم والتعلم »

غرر حكم ودرر كلم في التعليم والتعلّم نشير إلى ما يسعه المقام :

١- قال الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « ما أخذالله سبحانه على الجاهل أن يتعلّم حتّى أخذ على العالم أن يعلّم »

٢- و قال عليه السلام : « على الامام أن يعلّم أهل ولايته حدود الاسلام والايمان »

٣- و قال عليه السلام : « إنّما النّاس عالم ومتعلّم وما سواهما فهمج »

٤- و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « النّاس إثنان : عالم ومتعلّم والباقي كالهمج لاخيرفيهم »

٥- و قال الامام عليّ عليه السلام : « أنفع الكنوزمعروف تودعه الأحرار ، وعلم يتدارسه الأخيار »

٦- و قال عليه السلام : « بذل العلم زكاة العلم »

٧- و قال عليه السلام : « زكاة العلم بذله لمستحقه وإجهاد النفس بالعمل به »

٨- و قال عليه السلام : « لقاح المعرفة دراسة العلم »

٩- و قال عليه السلام : « ماصين العلم بمثل بذله لأهله »

١٠- وقال عليه السلام : « من أكثرمدارسة العلم لم ينس ماعلم واستفادمالم يعلم»

١١- وقال عليه السلام : « مدارسة العلم لذّة العلماء »

١٢- وقال عليه السلام : « لن يحرز (لايجوز خ) العلم إلاّ من يطيل درسه »

١٣- وقال عليه السلام : « كلّ شيء ينقص على الانفاق إلاّ العلم »

١٤- وقد ورد :«ان أربعة من الرهبانية أتوا علياً عليه السلام ليمتحنوه فقالوا : نسئله عن معنى واحد بلفظ واحد ، فان أجاب بجواب واحد فهو ناقص ، فدخل واحد وقال : أجمع المال أفضل أم جمع العلم ؟ فقال : بل جمع العلم لأنّ المال ينقص بالانفاق والعلم يزداد ، ثم دخل الثّاني فسئله مثل ذلك ؟ فقال : بل العلم إذ العلم يحفظ صاحبه و صاحب المال يحفظ ماله ، ثم دخل الثالث فسئله كذلك ؟ فقال : بل العلم لأنّ من جمع العلم يزداد تواضعه ، ومن جمع المال يزداد تكبّره، ثم دخل الرابع فسئله كذلك ؟ فقال : بل العلم لأنّ من جمع العلم يزداد أحبّائه ومن جمع المال يزداد أعدائه »

١٥- وقال عليه السلام : « كلّ شيء يعزّ حين يندر إلاّ العلم يعزّ حين يغزر »

١٦- وقال عليه السلام : « كلّ وعاء يضيق بما جعل فيه إلاّ وعاء العلم فانّه يتّسع »

١٧- وقال عليه السلام : « على العالم أن يتعلّم علم مالم يكن يعلم ، ويعلّم النّاس ماقدعلم »

١٨- وقال عليه السلام : « لايستنكفنّ من لم يكن يعلم أن يتعلّم »

١٩- وقال عليه السلام : « قوام الدّين بأربعة : عالم يعمل بعلمه ، و جاهل لا يستنكف أن يتعلّم ، وغنيّ يجود بماله على الفقراء ، وفقير لايبيع آخرته بدنياه، فاذا لم يعمل العالم بعلمه إستنكف الجاهل أن يتعلّم ، وإذابخل الغنيّ بماله باع الفقير آخرته بدنياه »

٢٠- وقال عليه السلام : « تعلّموا العلم فانّه زين للغني وعون للفقير ، ولست أقول إنّه يطلب به ، ولكن يدعوه إلى القناعة »

٢١- وقال عليه السلام : « جالس أهل الورع والحكمة وأكثر مناقشتهم ،فانّك إن كنت جاهلاً علّموك وإن كنت عالماً إزددت علماً »

٢٢- وقال عليه السلام : « جالس العلماء يزدد علمك ويحسن أدبك وتزكّ نفسك»

٢٣- وقال عليه السلام : « جاور العلماء تستبصر »

٢٤- وقال عليه السلام : « خيرمن صاحبت ذووالعلم والحلم »

٢٥- وقال عليه السلام : « خيرمن شاورت ذووالنهى والعلم واولو التجارب والحزم »

٢٦- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من تعلم حديثين ينفع بهما نفسه أو يعلمهما غيره فينتفع بهما كان خيراً له من عبادة ستين سنة »

٢٧- وقال الامام علي عليه السلام : « تعلّموا العلم تعرفوا به واعملوا تكونوا به من أهله »

٢٨- وقال عليه السلام : « تعلّموا العلم وإن لم تنالوا به حظّاً فلأن يذمّ الزمان لكم أحسن من أن يذمّ بكم »

٢٩- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « انّ من معادن التقوى تعلّمك إلى ماقد علمت علم ما لم تعلم والنقص فيماقد علمت قلّة الزّيادة فيه ، وإنّما يزهد الزهد في علم مالم يعلم قلّة الانتفاع بما قد علم »

٣٠- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّما العلم بالتعلّم ، وإنّما الحلم بالتحلّم ، ومن يتحرّ الخير يعطه ومن يتق الشر يوقه »

٣١- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « مامن عالم أومتعلّم يمرّ بقرية من قرى المسلمين أو بلدة من بلاد المسلمين ، ولم يأكل من طعامهم ولم يشرب من شرابهم ، و دخل من جانب وخرج من جانب آخر إلّا دفع الله تعالى عذاب قبورهم أربعين يوماً »

٣٢- ومن كلام أبي علي سينا : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، و من أراد الآخرة فعليه بالعمل »

٣٣- ومن أمثال الحكماء : « من لم يحتمل ذلّ التعليم ساعة بقي في ذلّ الجهل أبداً »

٣٤- وفي وصيّة النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام - : « يا عليّ ! ثلاث من حقائق الايمان : الانفاق في الاقتار ، و إنصاف النّاس من نفسك ، و بذل العلم للمتعلّم »

٣٥- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اغد عالماً أو متعلماً أو احبب العلماء ولا تكن رابعاً فتهلك ببغضهم »

٣٦- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أفضل الصدقة أن يتعلّم المرء المسلم علماً ثم يعلّمه أخاه المسلم »

٣٧- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « صدقة العلم وهي بذله لأهله و نشره على مستحقه »

٣٨- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ومن الصّدقة أن يتعلّم الرجل العلم ويعلّمه الناس »

٣٩- وقال الامام عليّ عليه السلام : « زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه»

٤٠- وقال عليه السلام : « زكاة العلم نشره »

٤١- وقال عليه السلام : « ملاك العلم نشره »

٤٢- وقال عليه السلام : « الكاتم للعلم غير واثق بالاصابة فيه »

٤٣- وقال عليه السلام : « من كتم علماً فكأنّه جاهل »

٤٤- وقال عليه السلام : « العلم لا يحلّ منعه »

٤٥- وقال عليه السلام : « أشرف أخلاق الكريم كثرة تغافله عما يعلم » ولا يخفى انّ التغافل في مورد غير الكتمان عند السؤال .

٤٦- وقال عليه السلام : « من أشرف أفعال الكريم تغافله عما يعلم »

٤٧- وقال عليه السلام : « مما تكتسب به المحبّة أن تكون عالماً كجاهل، وواعظاً كموعوظ »

٤٨- وقال عليه السلام : « ليس كلّ مكتوم يسوغ إظهاره لك ، ولا كل معلوم يجوز أن تعلّمه غيرك »

٤٩- وفي رسالة الحقوق الخمسين - التي كتبها الامام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام إلى بعض أصحابه - : « وأمّا حق رعيّتك بالعلم فأن تعلم أن الله عزّ وجلّ إنّما جعلك قيّماً لهم فيما أتاك من العلم وفتح لك من خزائنه ، فان أحسنت في تعلّم الناس ولم تحرق بهم و لم تضجر عليهم زادك الله من فضله ، و إن

أنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقاً على الله عزّ وجلّ أن يسلبك العلم وبهائه ويسقط من القلوب محلّك »

٥٠- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ثلاث يستغفر لهم السموات والأرضون السبع ومن فيهنّ والملائكة المقرّبون والليل والنهار : العلماء والمتعلّمون والعاملون»

٥١- ومن كلام لقمان الحكيم قال لابنه : « يا بنيّ تعلّم من العلماء ما جهلت وعلّم الناس ما علمت »

٥٢- وقال أيضاً لابنه : « يابنيّ ! تعلّم العلم وإن لم تنل بـه حظّاً فلان يذم لك الزمان خير من أن يذمّ بك الزمان »

٥٣- وقال عليه السلام : « بالتعلّم ينال العلم »

٥٤- وقال عليه السلام : « تعلّم تعلم »

٥٥- وقال عليه السلام : « من تعلّم علم »

٥٦- وقال عليه السلام : « من لم يتعلّم لم يعلم »

٥٧- وقال عليه السلام : « تعلّموا القرآن فانّه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانّه شفاء الصدور »

٥٨- وقال عليه السلام : « كن عالماً ناطقاً أو مستمعاً واعياً وإياك أن تكون الثالث »

٥٩- وقال عليه السلام : « إذا لم تكن عالماً ناطقاً فكن مستمعاً واعياً »

٦٠- وقال عليه السلام : « لاخير في المناجات إلّا لرجلين : عالم ناطق أو مستمع واع »

٦١- وقال عليه السلام : « علّموا صبيانكم الصلاة وخذوهم بها إذا بلغوا الحلم »

٦٢- وقال عليه السلام : « كن عالماً بالخير ناهياً عن الشرّ منكراً شيمة الغدر »

٦٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « العالم والمتعلّم شريكان في الخير »

٦٤- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « خير كم من تعلّم القرآن وعلّمه »

٦٥- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « العالم والمتعلم شريكان في الأجر ولاخير في سائر الناس»

٦٦- وقال الامام علي عليه السلام: « أعلم الناس المستهتر بالعلم» المستهتر: المولع في طلب العلم والحريص على تحصيله »

٦٧- وقال عليه السلام: « تعلّموا العلم، وتعلّموا معه السكينة والحلم، فانّ العلم خليل المؤمن والحلم وزيره »

٦٨- وقال عليه السلام: « تعلّم علم من يعلم وعلّم علمك من يجهل، فاذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وانتفعت بما علمت »

٦٩- وقال الامام الحسن المجتبى عليه السلام: « علّم الناس علمك، وتعلّم علم غيرك فتكون قد أنفقت علمك وعلمت مالم تعلم »

٧٠- وقال الامام علي عليه السلام: «لاتتكلّم بين يدي أحد من الناس دون أن تسمع كلامه، وتقيس مافي نفسك من العلم إلى مافي نفسك، فان وجدت مافي نفسك أكثر حينئذ ينبغي لك أن تروم زيادة الشّيء الّذي به يفضل على ماعندك »

٧١- وقال عليه السلام: « مالي أرى الناس إذا قرّب إليهم الطعام ليلاً تكلفوا إنارة المصابيح ليبصروا ما يدخلون بطونهم، ولا يهتمّون بغذاء النفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب في إعتقاداتهم وأعمالهم»

٧٢- وقال عليه السلام: « ألا لايستحيينّ من لايعلم أن يتعلم فانّ قيمة كل امرىء ما يعلم »

٧٣- وقال عليه السلام: « قدر الرجل على قدر همّته، وعلمه على قدر نيّته »

٧٤- وقال عليه السلام: « ينبىء عن قيمة كلّ امرء علمه وعقله »

٧٥- وقال عليه السلام: « لاتعادوا ماتجهلون فانّ أكثر العلم فيما لاتعرفون »

٧٦- وقال عليه السلام: «قليل العلم إذا وقر في القلب كالطّلّ يصيب الأرض المطمئنة فتعشب »

٧٧- وقال عليه السلام: « السعادة التامة بالعلم، والسعادة الناقصة بالزهد، والعبادة من غير علم ولازهادة تعب الجسد »

٧٨- وقال عليه السلام: « خذ بالحزم وألزم العلم تحمد عواقبك »

﴿أقسام العلم وشرائط التعليم﴾

كلمات قصار في المقام نشير إلى نبذة منها :

١- قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « العلم أكثر من أن يحاط به فخذوا من كلّ علم أحسنه »

٢- و قال عليه السلام أيضاً : « العلم لاينتهى »

٣- و قال عليه السلام أيضاً : « العمر أقصر من أن تعلّم كلّ ما يحسن بك علمه، فتعلّم الأهمّ فالأهم »

٤- و قال عليه السلام أيضاً : « من إدّعى من العلم غايته فقد أظهر من الجهل نهايته »

٥- و قال عليه السلام أيضاً : « شيئان لايبلغ غايتهما : العلم والعقل »

٦- و قال عليه السلام أيضاً : « على المتعلّم أن يؤدّب نفسه في طلب العلم ولايملّ من تعلّمه ولايستكثر ماعلم »

٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « خير كم من زاد في علمكم منطقه »

٨- وقال الامام عليّ عليه السلام : « في التجارب علم مستأنف ، والاعتبار يفيدك الرشاد و كفاك أدباً لنفسك ما كرهته من غيرك ، وعليك لأخيك مثل الّذي عليه لك »

٩- و قال عليه السلام أيضاً : « العلم علمان : مطبوع ومسموع ولا ينفع المطبوع إذالم يك مسموع »

١٠- وقال عليه السلام لأبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني : « يا أبا الطفيل ! العلم

علمان : علم لا يسع الناس إلّا النظر فيه وهو صيغة الاسلام ، وعلم يسع الناس ترك النظر فيها وهو قدرة الله عزّ وجلّ »

١١- وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « العلم علمان : فعلم في القلب فذاك العلم النافع ، وعلم علي اللسان فذاك حجّة الله على إبن آدم »

١٢- وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « العلم علمان : علم باللسان وهو الحجّة على صاحبه و علم بالقلب وهو النافع لمن عمل به »

١٣- في تفسير الثعلبي : ان بختيشوع بن جبرئيل المتطبب النصراني كان يخدم الرشيد وكان حاذقاً ، فقال يوماً بحضرة الرشيد لعليّ بن الواقد الواقدي : ليس في كتابكم من علم الطبّ شيء ، والعلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان ، فقال له عليّ بن واقد : قد جمع الله الطبّ في نصف آية من كتابه وهو قوله تعالى : « كلوا و اشربوا ولا تسرفوا » فقال النصراني : أولا يروي عن نبيكم شيء من الطبّ ! فقال الواقدي : جمع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم الطبّ في كلمات وهي قوله : « المعدة بيت الداءِ » و « الحمية رأس كلّ داء » و « اعط كل بدن ما عودته » فقال النصراني : « ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً »

١٤- وقال عليه السلام : « واضع العلم عند غير أهله ظالم له »

١٥- وقال عليه السلام : « لا تعامل العامّة فيما أنعم به عليك من العلم كما تعامل الخاصّة ، واعلم أنّ الله سبحانه رجالاً أودعهم أسراراً خفية و منعهم عن إشاعتها ، واذكر قول العبد الصالح لموسى ، وقد قال له : « هل أتّبعك على أن تعلّمن مما علّمت رشداً قال انك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً »

١٦- وقال عليه السلام : « لا تحدّث الجهّال بما لا يعلمون فيكذّبونك به فان لعلمك عليك حقاً وحقّه عليك بذله لمستحقّه ومنعه عن غير مستحقه »

١٧- وقال عليه السلام : « إحترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه ، ومن ذكر قديم الشرف عند من لا قديم له ، فانّ ذلك مما يحقدهما عليك »

١٨- وقال عليه السلام : « كن صموتاً من غيرعي فان الصمت زينة العالم وستر الجاهل »

١٩- وقال عليه السلام : « وقار المعلّم زينة العلم »

٢٠- وقال عليه السلام : « تواضعوا لمن تتعلّمون منه العلم ، ولمن تعلّمونه ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم جهلكم بعلمكم »

٢١- وقال عليه السلام : « ثلاث لايستحيي منهن : خدمة الرجل ضيفه ، وقيامه عن مجلسه لأبيه ومعلّمه ، وطلب الحق وإن قلّ »

٢٢- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لايصلح الملق إلّا للوالدين والامام العادل »

٢٣- وفي رسالة الحقوق الخمسين- التي كتبها الامام سيد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام إلى بعض أصحابه - : « وحق سائلك بالعلم : التعظيم والتوقير لمجلسه وحسن الاستماع إليه والاقبال عليه، وأن لاترفع عليه صوتك، وأن لا تجيب أحداً يسئله على شيء حتّى يكون الّذي يجيب ولاتتحدّث في مجلسه أحداً ولا تغتاب عنده أحداً ، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء ، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه ، ولاتجالس له عدواً ولاتعادى له ولياً ، فاذا فعلت ذلك شهدلك ملائكة الله بانك قصدته وتعلمت علمه لله جلّ إسمه لا للناس »

٢٤- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « انّ الله تعالى وضع أربعاً في أربع : بركة العلم في تعظيم الاستاد ، وبقاء الايمان في تعظيم الله ، ولذّة العيش في برّ الوالدين، والنجاة من النار في ترك ايذاء الخلق »

٢٥- وقال عليه السلام أيضاً : « لايؤخذ العلم إلّا من أربابه »

٢٦- ومن كلام أرسطو : « تعليم الأحمق ابطال العمر »

٢٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من لم ينفعه علمه ضرّه جهله »

٢٨- وقال الامام علي عليه السلام : « لقاح العلم التصور والتفهّم »

٢٩- وقال عليه السلام : « إذا سمعتم العلم فانطوا عليه ولاتشوبوه بهزل فتمجّه

القلوب »

٣٠- وقال عليه السلام : « من أكثر الفكر فيما تعلّم أتقن علمه و تفهّم مالم يكن يفهم »

٣١- وقال عليه السلام : « ما أفاد العلم من لايفهم ولانفع الحلم من لايحلم »

٣٢- وقال عليه السلام : « لايوبى العلم إلاّ من سوء فهم السامع »

٣٣- وقال عليه السلام : « إذا رمتم الانتفاع بالعلم ، فاعملوا به وأكثروا الفكر في معانيه تعه القلوب »

٣٤- وقال عليه السلام : « من فهم علم غور العلم »

٣٥- وقال عليه السلام : « من عدم غور العلم صدّ عن شرائع الحكم »

٣٦- وقال عليه السلام : « مجلس العلم روضة الجنة »

٣٧- وقال عليه السلام : « إسمع تعلم واصمت تسلم »

٣٨- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ذهب عمر من لم يصرفه في صالح العلم ، و ذهب علم من لم يصرفه في صالح العمل ، وذهب عمل من لم يضبطه بالاخلاص ،و ذهب إخلاص من لم يحطه بالاستقامة وذهبت إستقامة من لم يحطها بالخاتمة ، و ذلك لأنّ ملاك الأعمال خواتيمه »

٣٩- وقال الامام عليّ عليه السلام : « خذ بالحزم وألزم العلم تحمد عواقبك »

٤٠- وقال عليه السلام : « خدمة النفس صيانتها عن اللذّات والمقتنيات ،ورياضتها بالعلوم والحكم ، وإجهادها بالعبادات والطاعات ، وفي ذلك نجاة النفس »

٤١- وقال عليه السلام : « من لم يصبر على مضض التعليم بقي في ذلّ الجهل »

٤٢- وقال عليه السلام : « لايدرك العلم براحة الجسم »

٤٣- وقال عليه السلام : « من لم يذب نفسه في إكتساب العلم لم يحرز قصبات السبق »

٤٤- وقال بعض الحكماء : « من التمس العلم براحة الجسد إلتمس مالا يكون »

٤٥- وقال الله عزّ وجلّ : « انّ العبد إذا جاع بطنه وحفظ لسانه علمته الحكمة »

٤٦- وقال أفلاطون : « الجوع سحاب يمطر العلم والحلم ، والشبع سحاب يمطر الحمق والجهل »

٤٧- وقال الامام علي عليه السلام : «من كلّف - مبنياً للمفعول - بالعلم فقد أحسن إلى نفسه »

٤٨- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أجوع الناس طالب العلم وأشبعهم الذي لا يبتغيه »

٤٩- وفيما أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام : أن قال : «يا موسى ستة أشياء في ستة مواضع والناس يطلبونها في ستة أشياء فلم يجدوه أبداً : انّي وضعت الراحة في الجنّة والناس يطلبونها في الدنيا ، انّي وضعت العلم في الجوع والناس يطلبونه في الشبع، انّي وضعت العز في قيام الليل والناس يطلبونه في أبواب السلاطين ، انّي وضعت الراحة والدّرجة في التواضع والناس يطلبونها في التكبر، انّي وضعت إجابة الدعاء في لقمة الحلال والناس يطلبونه في القيل والقال ، إنّي وضعت الغنى في القناع والناس يطلبونه في كثرة العروض ولم يجدوه أبداً »

٥٠- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لاسهر إلّا في ثلاث : متهجّد بالقرآن ، و في طلب العلم أو عروس تهدى إلى زوجها »

٥١- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كلّ صاحب علم غرثان إلى العلم » الغرثان: الجوّاع الذي لايشبع .

٥٢- وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً : «لا يشبع عالم من علم حتّى يكون منتهاه الجنة»

٥٣- وقال الامام جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام : « أربعة لايشبعن من أربعة : الأرض من المطر، والعين من النظر، والانثى من الذكر، والعالم من العلم »

٥٤- وقال عليه السلام أيضاً : « منهومان لايشبعان منهوم علم ومنهوم مال »

٥٥- قال بعض الحكماء : « أربعة لايشبع من أربعة : عاقل من أدب، وعالم من كتب، وأصيل من نسب، وجاهل من لعب »

٥٦ـ وقال الامام علي عليه السلام : « العالم الّذي لايملّ من تعلّم العلم »

٥٧ـ وقال عليه السلام : « العالم من لايشبع من العلم ولايتشبّع به »

٥٨ـ وقال عليه السلام : « لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نبي‌الله موسى وقد سمعتم قوله : « هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً »

٥٩ـ وقال رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ثمانية أشياء لاتشبع من ثمانية : العين من النظر، والأرض من المطر، والانثى من الذكر، والعالم من العلم ، والسائل من المسئلة ، والحريص من الجمع ، والبحر من الماء ، والنار من الحطب »

٦٠ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما عبدالله تعالى إلّا بالعقل، ولايتمّ عقل المرء حتّى يكون فيه عشر خصال : الخير منه مأمول ، والشرّ منه مأمون ، يستقلّ كثير الخير من عنده ، ويستكثر قليل الخير من غيره ، ولايتبرم من طلب الحاجة ، ولا يسأم من طلب العلم طول عمره ، الفقر أحبّ إليه من الغنى ، والذّل أحبّ إليه من العزّ، نصيبه من الدنيا القوت ، والعاشر الّذي لايرى أحداً من الناس إلّا قال هو خير منّي»

٦١ـ وقال عليه السلام : « من خلا بالعلم لم توحشه خلوة »

٦٢ـ وقال عليه السلام : « الانس بالعلم من نبل الهمّة »

٦٣ـ وقال عليه السلام : « من تعلم العلم للعمل به لم يوحشه فساده »

﴿ طلاب العلم والسؤال عنه ﴾

غرر حكم ودرر كلم في المقام نشير إلى نبذة منها :

١ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد »

٢ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اطلبوا العلم ولو بالصين ، فان طلب العلم فريضة على كل مسلم ، إن الملائكة تضع (لتضع خ) أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يطلب »

٣ـ وقال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « خصلتان فريضتان على كل ذي ايمان : طلب العلم وطلب الكسب ، طلب العلم لصلاح دينه ، وطلب الكسب لصلاح دنياه ، فمن طلب العلم ولم يطلب الكسب جاء يوم القيامة مفلساً »

٤ـ وقال الامام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام : « اطلب العلم تزدد علماً »

٥ـ وقال عليه السلام أيضاً : « على العالم أن يعمل بما علم ثم يطلب تعلم ما لم يعلم »

٦ـ وقال عليه السلام : « من المفروض على كل عالم أن يصون بالورع جانبه ، وأن يبذل علمه لطالبه »

٧ـ وقال عليه السلام : « اطلبوا العلم ترشدوا »

٨ـ وقال عليه السلام : « اطلبوا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله »

٩ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ، ولا تكن الخامسة فتهلك ، اغدوا في طلب العلم فان الغدو بركة ونجاح »

١٠ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من طلب العلم تكفل الله برزقه »

١١ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ان من طلب العلم جهلاً » وذلك إذا لم يكن الطلب

لله تعالى أولم يتطرق في طلبه طريقاً صحيحاً ».

١٢- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من مشى في طلب العلم خطوتين و جلس عند العالم ساعتين وسمع منه كلمتين أعطاه الله تعالى جنّتين كلّ جنّة على قدر الدنيا مرتين »

١٣- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من كان في طلب العلم كانت الجنة في طلبه ، و من كان في طلب الدّنيا كانت النار في طلبه »

١٤- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « منهومان لايشبعان : طالب علم وطالب دنياً »

١٥- وفي وصيّة النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام - : « يا عليّ وللتائب ثلاث علامات : إجتناب المحارم ، والحرص في طلب العلم ، و أن لايعود إلى الذّنب كمالايعود الحليب إلى الضّرع »

١٦- وقال الامام عليّ عليه السلام: « كسب العلم الزهد في الدنيا »

١٧- وقال عليه السلام : « إقتن العلم فانك إن كنت غنياً زانك ، و إن كنت فقيراً صانك » أي اكتسب وخذه من أين وجدته .

١٨- وقال عليه السلام : « تعلّم العلم فانك إن كنت غنياً زانك ، و إن كنت فقيراً صانك »

١٩- و في وصية لقمان لابنه قال : - « وانّ للدين ثلاث علامات : العلم والايمان والعمل ، وللايمان ثلاث علامات : العلم بالله وبما يحبّ ومايكره ... »

٢٠- وقال الامام جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام لحماد بن عيسى : « فكن ياحمّاد طالباً للعلم في آناء الليل والنهار »

٢١- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أفضل الأعمال من امّتي ثلاثة : طالب العلم حبيب الله ، والغازي وليّ الله ، والكاسب من يده خليل الله »

٢٢- وقال الامام عليّ عليه السلام : « طلاّب العلم على ثلاث أصناف فاعرفوهم بصفاتهم ونعوتهم : طائفة طلبته للمراء والجدل ، وطائفة طلبته للاستطالة والحيل ، وطائفة للفقه والعمل ، أما صاحب المراء والجدل موذ ممار متصدّ للمقال في أندية الرجال ،

فهو كاس السجع عارمن الورع ، فأعمى الله من هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره ، وأمّا صاحب الاستطالة والحيل فذوحبّ وملق، مائلاً إلى أشكاله مضاه لأمثاله، وهو لحلوائهم هاضم ، ولدينه حاطم ، فهشم الله من هذا خيشومه و قطع منه حيزومه، وأمّا صاحب التفقه والعمل فذوحزن وكابة ، كثير الخوف والبكاء ،طويل الابتهال والدعاء عارفاً بزمانه مقبلاً على شانه ، مستوحشاً من أوثق اخوانه قد خشع في برنسه ، وقام الليل في حندسه ، فشدالله من هذا أركانه وأعطاه ممايخاف أمانه »

٢٣- وقال عليه السلام : « ياطالب العلم لكل شيء علامة بها يشهد له وعليه، فللدين ثلاث علامات : الايمان بالله وبكتبه وبرسله، وللعلم ثلاث علامات : المعرفة بالله وما يحبّ ويكره . . . »

٢٤- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إذاجاء الموت بطالب العلم مات وهوشهيد»

٢٥- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من طلب علماً فأدركه كتب له كفلان من الأجر ، و من طلب علماً فلم يدركه كتب له كفل من الأجر »

٢٦- قال صلى الله عليه وآله وسلم - في بكاء الملائكة لثلاث طوائف - : « فالأوّل الغريب إذا خرج لطلب العلم فأدركه الموت »

٢٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من تعلّم العلم للتكبّرمات جاهلاً ، و من تعلّم للقول دون العمل مات منافقاً ، و من تعلّمه للمناظرة مات فاسقاً ، و من تعلّمه لكثرة المال مات زنديقاً ، ومن تعلّمه للعمل مات عارفاً »

٢٨- وقال الامام علي عليه السلام : « لايتعلم من يتكبّر»

٢٩- وقال عليه السلام : « السفلة إذا تعلّموا تكبّروا ، وإذاتموّلوا إستطالوا ، والعلية إذا تعلّمواتواضعوا وإذا افتقروا صالوا »

٣٠- وقال عليه السلام : « حصّن علمك من العجب ووقارك من الكبر »

٣١- وقال بعض الحكماء : « العلم له ثلاثة أشبار: من دخل في شبره الأوّل

تكبّر، ومن دخل في شبره الثاني تواضع، ومن دخل في شبره الثالث علم انّه لايعلم»

٣٢- وقد روى انّ الامام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام كان إذا جاءه طالب علم فقال: مرحباً بوصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يقول: «ان طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولايابس من الأرض إلّا سبحت له إلى الأرضين السبع»

٣٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «انّ الله لم يبعثنى معنّتاً ولامتعنّتاً، ولكن بعثنى معلّماً ميسّراً»

٣٤- وقال الامام عليّ عليه السلام «إذا سئلت فاسئل تفقّهاً، ولا تسئل تعنّتاً فانّ الجاهل المتعلّم شبيه بالعالم، وإنّ العالم المتعنّت شبيه بالجاهل»

٣٥- وقال عليه السلام: «ينبغي للعاقل إذا علم أن لايعنّف وإذا علم أن لايأنف»

٣٦- وقال عليه السلام: «من سئل علم» - وقال عليه السلام: «أعلم الناس بالله سبحانه أكثرهم له مسئلة»

٣٧- وقال عليه السلام: «من علم أحسن السئوال»

٣٨- وقال عليه السلام: «من أحسن السئوال علم»

٣٩- وقال عليه السلام: «من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم بلجام من النار»

٤٠- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حسن السئوال نصف العلم»

٤١- وقال الامام عليّ عليه السلام: «العلم لايحصل إلّا بخمسة أشياء: أوّلها بكثرة السئوال، والثاني بكثرة الاشتغال، والثالث بتطهير الأفعال، والرابع بخدمة الرجال والخامس باستعانة ذي الجلال»

٤٢- وقال عليه السلام: «إذا كنت جاهلاً فتعلّم، وإذا سئلت عمالاتعلم فقل الله و رسوله أعلم»

٤٣- وقال عليه السلام: «ألالايستقبحن من سئل عمالايعلم أن يقول: لاأعلم»

٤٤- وقال عليه السلام: «لاتقل مالاتعلم فانّ الله قدفرض عليك على كلّ جوارحك

فريضة يحتج بها عليك يوم القيامة »

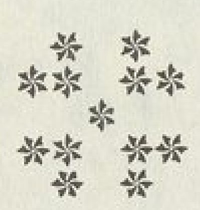
٤٥- وقال عليه السلام : « لاتقل مالاتعلم فتتّهم باخبارك بما تعلم »

٤٦- وقال عليه السلام : « قول لاأعلم نصف العلم »

٤٧- وقال عليه السلام : «لايستحين أحد إذا سئل عما لايعلم أن يقول : لاأعلم»

٤٨- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ان الله تعالى يسئل العبد عن فضل علمه كما يسئل عن فضل ماله »

٤٩- وقال بعض المحققين : « من أراد العلم فعليه بخمس خصال : تقوى الله في السرّ والعلانية ، وقراءة آية الكرسي ، ودوام الوضوء ، وصلاة الليل ولو بركعتين ، والأكل للقوّة لا للشهوة »



﴿العلم والعمل﴾

غرر حكم و درر كلم حول العلم والعمل نشير إلى مايسعه المقام :

١ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّي لاأخاف عليكم فيما لاتعلمون ، ولكن انظروا كيف تعملون فيما تعلمون »

٢ـ و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « انّ قليل العمل مع العلم كثير، و كثير العمل مع الجهل قليل»

٣ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا اعلّمك خصلات ينفعك الله تعالى بهن ؟ عليك بالعلم، فانّ العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره ،والعقل دليله،والعمل قيّمه،والرفق أبوه، واللين أخوه، والصبر أمير جنوده »

٤ـ وقال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « يحتاج الإسلام إلى الايمان ، و يحتاج الايمان إلى الايقان ، و يحتاج العلم إلى العمل »

٥ـ وقال عليه السلام أيضاً :«ملاك العلم العمل به »

٦ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العلم بغير عمل وبال ،والعمل بغير علم ضلال »

٧ـ وقال عليه السلام أيضاً : « العاقل إذا علم عمل وإذا عمل أخلص ، وإذا أخلص إعتزل »

٨ـ وقال عليه السلام أيضاً : « علم المؤمن في عمله »

٩ـ وقال عليه السلام أيضاً : « آفة العمل ترك الاخلاص فيه »

١٠- وقال عليه السلام أيضاً : « ثمرة العلم إخلاص العمل»

١١- وقال عليه السلام أيضاً : « ثروة العاقل في علمه وعمله»

١٢- وقال الامام التاسع جواد الأئمة محمد بن عليّ عليهم السلام : « أربع خصال تعين المرء على العمل : الصحّة والغنى والعلم والتوفيق »

١٣- وقال الامام علي عليه السلام : « طوبى لمن أخلص لله عمله و علمه ، و حبّه و بغضه ، وأخذه وتركه ، و كلامه وصمته »

١٤- وقال عليه السلام : « رحم الله امرءاً علم أنّ نفسه خطاه إلى أجله فبادر عمله وقصّر أمله »

١٥- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من سمع الناس بعلمه سمع الله له سامع خلقه يوم القيامة، وحقّره وصغّره »

١٦- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « من لم يكن له ورع يصدّه عن معصية الله إذا خلا لم يعبد الله في شيء من علمه »

١٧- وقال الامام عليّ عليه السلام : « إنّكم إلى العمل بما علمتم أحوج منكم إلى تعلّم مالم تكونوا تعلمون »

١٨- وقال عليه السلام : « أوجب العلم عليك ما أنت مسئول عن العمل به »

١٩- وقال عليه السلام : « مروّة الرجل علمه وعمله »

٢٠- وقال عليه السلام : « تمام العلم العمل بموجبه »

٢١- وقال عليه السلام : « كمال العلم العمل »

٢٢- وقال عليه السلام : « من عمل بالعلم بلغ بغيته من العلم ومراده »

٢٣- وقال عليه السلام : « من كمال العلم العمل بما يقتضيه »

٢٤- وقال عليه السلام : « من علم عمل » أي من كان علمه للعمل فعمل ، إذ كان علمه عندئذ دليل العمل .

٢٥- وقال يحيى بن معاذ : « العلم دليل العمل ، والفهم وعاء العلم، والعقل

قائد الخير، و الهوى مركب الذنوب ، و الأمل زاد المتكبرين ، و الدنيا سوق الآخرة »

٢٦ـ وقال النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « طوبى لمن عمل بعلمه »

٢٧ـ قيل لمحمدبن إدريس الشافعي : ما تقول في عليّ عليه السلام : ؟ فقال : « ما أقول في شخص إجتمعت له ثلاثة لا يجتمعن قطّ لأحد من بني آدم : الجود مع الفقر، والشجاعة مع الرأي ، والعمل مع العلم »

٢٨ـ وقال عليه السلام : « العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل » أي لابدّ وأن يكون العلم مقروناً بالعمل ، فمن تعلّم للعمل فيعمل بما علم»

٢٩ـ وقال عليه السلام : « لن يزكّى العمل حتى يقارنه العلم »

٣٠ـ وقال عليه السلام : « ما زكى العلم بمثل العمل به »

٣١ـ وقال عليه السلام : « أفضل الذخائر علم يعمل به ومعروف لايمنّ به »

٣٢ـ وقال عليه السلام : « ثمرة العلوم العمل بالمعلوم »

٣٣ـ وقال عليه السلام : « ثمرة العلم العمل به »

٣٤ـ وقال عليه السلام: « أحمد العلم عاقبة مازاد في علمك في العاجل وأزلفك في الآجل »

٣٥ـ وقال عليه السلام : « بحسن العلم تجنى ثمرة العلم لابحسن القول »

٣٦ـ وقال عليه السلام : « إتقوا الله تقيةمن سمع فخشع ، واقترف فاعترف ،وعلم فوجل ، وحاذرفبادر ، وعمل فأحسن »

٣٧ـ وقال عليه السلام : « العلم يرشدك ، والعمل يبلغ بك الغاية »

٣٨ـ وقال عليه السلام : « غاية العلم حسن العمل »

٣٩ـ وقال عليه السلام : « العلم يهتف بالعمل فان أجابه ، وإلّا إرتحل »

٤٠ـ وقال عليه السلام : « العمل بالعلم من تمام النعمة »

٤١ـ وقال عليه السلام : « العلم بالعمل »

٤٢ـ وقال عليه السلام: «إعمل بالعلم تدرك غنماً»

٤٣ـ وقال عليه السلام: «إعملوا بالعلم تسعدوا»

٤٤ـ وقال عليه السلام: «إعملوا إذا علمتم»

٤٥ـ وقال عليه السلام: «أنفع العلم ما عمل به»

٤٦ـ وقال عليه السلام: «خير العلم ما قارنه العمل»

٤٧ـ وقال عليه السلام: «أحسن العلم ماكان مع العمل»

٤٨ـ وقال عليه السلام: «إن أحببت أن تكون أسعد الناس بما علمت فاعمل»

٤٩ـ وقال عليه السلام: «لاخير في عمل بغير علم»

٥٠ـ وقال عليه السلام: «لاخير في العمل إلاّ مع العلم»

٥١ـ وقال عليه السلام: «عمل الجاهل وبال وعلمه ضلال»

٥٢ـ وقال عليه السلام: «لن يصفو العمل حتّى يصحّ العلم»

٥٣ـ وقال عليه السلام: «ما علم من لم يعمل بعلمه» ـ وقال عليه السلام: «ما أكثر من يعلم العلم ولايتبعه»

٥٤ـ وقال عليه السلام: «أوضع العلم ما وقف على اللسان» أي أدنى وأخسّ العلم ما ينحصر في اللسان ولايعمل به.

٥٥ـ وقال عليه السلام: «علم المنافق في لسانه»

٥٦ـ وقال عليه السلام: «تارك العمل بالعلم غير واثق بثواب العمل»

٥٧ـ وقال عليه السلام: «لايترك العمل إلاّ من شك في الثواب عليه»

٥٨ـ وقال عليه السلام: «لايعمل بالعلم إلاّ من أيقن بفضل الأجر فيه»

٥٩ـ وقال عليه السلام: «لايزول قدم إبن آدم يوم القيامة حتّى يسئل عن عمره: فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين إكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ و عما عمل فيم علم؟»

٦٠ـ وقال عليه السلام: «كونوا ممن عرف فناء الدنيا فزهد فيها، و علم بقاء

الآخرة فعمل لها »

٦١- وقال عليه السلام: « كونوا قوماً علموا أنّ الدنيا ليست بدارهم فاستبدلوا »

٦٢- وقال عليه السلام: « أولى العلم بك مالا يتقبّل العمل إلاّ به »

٦٣- وقال عليه السلام: « ثواب العمل ثمرة العلم »

٦٤- وقال عليه السلام: « أوجب العلم عليك ما انت مسئول عن العمل به »

٦٥- وقال عليه السلام: « علم بلاعمل كشجر بلاثمر »

٦٦- وقال عليه السلام: « علم بلاعمل كقوس بلاوتر »

٦٧- وقال عليه السلام: « علم بلاعمل حجّةالله على العبد »

٦٨- وقال عليه السلام: « من لم يعمل بالعلم كان حجّة عليه ووبالاً »

٦٩- وقال عليه السلام: « من ازداد علماً فليحذرمن توكيد الحجّة عليه »

٧٠- وقال عليه السلام: « علم لاينفع كدواء لاينجع »

٧١- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إنّ علماً لاينتفع منه ككنز لاينفق منه »

٧٢- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « خلق أربعة لأربعة: المال للانفاق لاللامساك: والعلم للعمل لاللمجادلة، والعبد للتعبد لاللتنعم، والدنيا للعبرة لاللعمارة »

٧٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه »

٧٤- وقال عليه السلام: « العامل بالعلم كالسائرعلى الطريق الواضح »

٧٥- وقال عليه السلام: « جمال العالم عمله بعلمه »

٧٦- وقال عليه السلام: « ما أحسن العلم يزيّنه العمل، وما أحسن العمل يزيّنه الرفق! »

٧٧- وقال عليه السلام: « جمال العلم نشره وثمرته العمل به، وصيانته وضعه في أهله »

٧٨- وقال عليه السلام: « شكر العالم على علمه، عمله به وبذله لمستحقه »

٧٩- وقال ﷺ : « العالم من شهدت بصحة أقواله أفعاله »

٨٠- وقال ﷺ : « أفضل العلم ماظهر في الجوارح والأركان » أي فيعمل به و يظهر آثاره منهما .

٨١- وقال ﷺ : « يقبح بالرّجل أن يقصر علمه عن عمله، و يعجز فعله عن قوله»

٨٢- وقال ﷺ : « العلم كثير والعمل قليل »

٨٣- وقال ﷺ : « إعقلوا الخبر إذا سمعتوه عقل دراية لا عقل رواية ، فانّ رواة العلم كثير ورعاته قليل »

٨٤- وقال ﷺ : « قليل العلم مع العمل خير من كثير بلا عمل »

٨٥- وعن أبى كبشة الأنماري انّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث اقسم عليهن واحدثكم حديثاً فاحفظوه : فأمّا الّذين اقسم عليهن فانّه مانقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلّا زاده الله بها عزّاً ، ولا فتح عبد باب مسئلة إلّا فتح الله عليه باب فقر، وأما الّذي احدثكم فاحفظوه فقال : إنّما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقى فيه ربه ويصل رحمه ويعمل لله فيه بحقه ، فهذا بأفضل المنازل ، ورجل رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النّية يقول : لو أنّ لى مالاً لعملت بعمل فلان فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يتخبط في ماله بغير علم لا يتقى فيه ربّه ولا يصل فيه رحمه ولا يعمل فيه بحق فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أنّ لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو كذا نيته ووزرهما سواء »

٨٦- وكان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم إنّي أعوذبك من الأربع : من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع »

٨٧- وفي الدعاء - بعد صلاة العصر - : « اللهم إنّي أعوذبك من نفس لا تشبع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن علم لا ينفع ، ومن صلاة لا ترفع ، ومن دعاء لا يسمع ... » الدعاء .

« العلماء العاملون وفضائلهم »

غرر حكم ودرر كلم في الصلحاء من العلماءِ نشير إلى ما يسعه المقام جعلنا الله تبارك وتعالى من الصالحين منهم ومن أنصار دينه و أعوان وليّه : الإمام الثاني عشر الحجّة بن الحسن العسكري بحق محمّد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين :

١- قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام :
« العالم مصباح الله في الأرض فمن أراد الله به خيراً إقتبس منه »

٢- وقال عليه السلام أيضاً في حق أئمة الهداة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين:
« هم مصباح الظلم وينابيع الحكم ومعادن العلم ومواطن الحلم »

٣- وقال عليه السلام أيضاً في حق من أثنى عليهم : « هجم بهم العلم على حقيقة الايمان ، وباشروا روح اليقين فاستهلوا ما استوعر المترفون ، وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى ، اولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة في دينه آه آه واشوقاً إلى رؤيتهم »

٤- وقال عليه السلام أيضاً : « والّذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر، و ما أخذ الله سبحانه على العلماءِ أن لا يقارّوا على كظّة ظالم ، ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها ولألفيتم دنياكم هذه عندي أزهد من عطفة عنز »

٥- وقال عليه السلام : « الملوك حكّام على الناس والعلماء حكّام على الملوك »

٦- وقال عليه السلام : « العلماء حكّام على الناس »

٧- وقال عليه السلام: «كما ترك لكم الملوك الحكمة والعلم فاتركوا لهم الدنيا»

٨- وقال عليه السلام: «ما ساد العلماء مثل الجهال»

٩- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أراد الله بقوم خيراً ولى عليهم حلماءهم، وقضى بينهم علماؤهم وجعل المال في سمحائهم، وإذا أراد بقوم شراً ولى عليهم سفهاءهم، وقضى بينهم جهالهم، وجعل المال في بخلائهم»

١٠- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أكرموا العلماء فانهم ورثة الأنبياء فمن أكرمهم، فقد أكرم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم».

١١- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ان العلماءهم ورثة الأنبياء ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظوافر»

١٢- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خيار امتي علماؤها، وخيار علماؤها حلماؤها»

١٣- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ان مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى به في ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة»

١٤- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «العلماء امناء الله على خلقه»

١٥- وقال الامام علي عليه السلام: «العلماء أطهر الناس أخلاقاً وأقلهم في المطامع أعراقاً» أي لابدوأن يكونوا كذلك.

١٦- وقال أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام: «بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم في بعض أسفاره إذا لقاه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول الله فالتفت فيهم، وقال: ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون قال: فما حقيقة ايمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله، والتفويض إلى الله، فقال رسول الله: علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فان كنتم صادقين فلا تبنوا مالاتسكنون، ولاتجمعوا مالاتأكلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون»

١٧- وقال بعض الحكماء: «أربعة أشياء توجب سعادة الدارين: الأول طاعة الله ورسوله والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، الثاني طاعة

الوالدين ، الثالث خدمة العلماء ، الرابع الشفقة على خلق الله سبحانه وتعالى »

١٨- وقال الامام علي عليه السلام : « أفضل الناس أعلمهم بالرفق وأكيسهم أصبرهم على الحق »

١٩- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه »

٢٠- وقال الامام علي عليه السلام : « العالم من عرف قدره »

٢١- وقال عليه السلام : « ينبغي لمن عرف نفسه أن لايفارقه الحذر والندم خوفاً أن تزل به بعد العلم القدم »

٢٢- وقال عليه السلام : « العالم ينظر بقلبه وخاطره »

٢٣- وقال عليه السلام : « ينبغي لمن علم سرعة زوال الدنيا أن يزهد فيها »

٢٤- وقال عليه السلام : « العالم كل العالم من لم يمنع العباد الرجاء لرحمة الله ولم يؤمنهم مكر الله »

٢٥- وقال عليه السلام : « ينبغي للعالم أن يكون صدوقاً ليؤمن على ماقال ، وأن يكون مشكوراً ليستوجب المزيد ، وأن يكون حمولاً ليستحق السيادة ، وأن يعمل بعلمه ليقتدي الناس به »

٢٦- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « حرمة العالم العامل بعلمه كحرمة الشهداء والصديقين »

٢٧- وقال الامام علي عليه السلام : « إنما العالم من دعاه علمه إلى الورع والتقى والزهد في عالم الفناء والتوله بجنة المأوى »

٢٨- وقال عليه السلام : « لايكون العالم عالماً حتى لايحسد من فوقه ، ولايحتقر من دونه ، ولا يأخذ على علمه شيئاً من حطام الدنيا »

٢٩- وقال عليه السلام : « بخ بخ لعالم علم فكف ، وخاف البيات فأعد واستعد ، إن سئل أفصح ، وإن ترك صمت ، كلامه صواب ، وسكوته عن غير عي في الجواب »

٣٠- وقال عليه السلام : « لاتستفز خدع الدنيا العالم » أي لاتزعج ولاتضطرب بخدع

الدنيا العالم العامل لاطمئنانه بما علم .

٣١- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « انّ الفتنة تجيىء فتنسف العباد نسفاً وينجو العالم منها بعلمه »

٣٢- وقد سئل الامام عليّ عليه السلام عن العالم العلوى ؟ فقال : « صور عارية عن المواد، عالية عن القوة والاستعداد تجلّى لها ،فأشرقت وطالعها فتلألأت ، وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله ، وخلق الانسان ذا نفس ناطقة إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها ، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد »

٣٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ثلاثة لايخالفهم إلاّ شقيّ : العالم العامل ، واللبيب العاقل ، والامام المقسط »

٣٤- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ياعليّ ! تمنّى جبرئيل أن يكون من بني آدم بسبع خصال : وهي الصّلاة في الجماعة ، ومجالسة العلماء ، والصلح بين الاثنين، وإكرام اليتيم ، وعيادة المريض ، وتشييع الجنازة وسقى الماء فى الحج فاحرص على ذلك »

٣٥- و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لاتقعدوا إلاّ إلى عالم يدلكم من ثلاث إلى ثلاث : من الكبر إلى التواضع ، ومن المداهنة إلى المناصحة ، ومن الجهل إلى العلم »

٣٦- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إجلسوا عند كلّ عالم يدعوكم من خمس إلى خمس : من الشك إلى اليقين ، ومن الرياء إلى الاخلاص ، ومن الرغبة إلى الزهد، و من الكبر إلى التواضع ، ومن العداوة إلى المحبّة »

٣٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ياعليّ للسعيد ثلاث علامات : قوت الحلال في بلده ، ومجالسة العلماء والصلاة الخمس بالامام . . . » الحديث

٣٨- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا من الدنيا احبّ ثلاثة أشياء : ألمشي إلى المساجد ، ومجالس العلماء وصلاة الجنائز »

٣٩- وقال الامام عليّ عليه السلام : « جالس العلماء تسعد »

٤٠- وقال عليه السلام: « جالس العلماء تزدد علماً »

٤١- وقال عليه السلام: « خالف نفسك تستقم وخالط العلماء تعلم » أي العلماء العاملين.

٤٢- وقال عليه السلام: « مناقشة العلماء تنتج فوائدهم وتكسب فضائلهم »

٤٣- وقال عليه السلام: « صاحب العقلاء وجالس العلماء و اغلب الهوى ترافق الملأ الأعلى »

٤٤- وقال عليه السلام: « عجبت لمن يرغب في التكثّر من الأصحاب كيف لا يصحب العلماء الأزكياء والأتقياء الذين يغنم فضائلهم وتهديه علومهم وتزيّنه صحبتهم »

٤٥- وقال عليه السلام: « لا تصحب إلّا عاقلاً ولا تعاشر إلّا عالماً زكيّاً ولا تودع سرّك إلّا مؤمناً وفيّاً »

٤٦- وقال عليه السلام: « ينبغي للعاقل أن يكثر من صحبة العلماء الأبرار ويجتنب مقاربة الأشرار والفجّار »

٤٧- وقال عليه السلام: « من وقّر عالماً فقد وقّر ربه » إنما المراد بالعالم هو الذي يعمل بعلمه ويتعلّم إبتغاء لوجه الله تعالى.

٤٨- وقال عليه السلام: « يكرم العالم بعلمه، والكبير لسنّه، وذو المعروف لمعروفه، والسلطان لسلطانه »

٤٩- وقال عليه السلام: في وصيته لكميل بن زياد: « محبة العالم دين يدان بها تكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد مماته يا كميل مات خزّان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة -يموت العلم بموت حامليه، اللهم بلى لم تخلو الأرض من قائم لله بحجّة لكيلا تبطل حجج الله وبيناته وأين اولئك والله الأقلون عداداً الأعظمون عند الله قدراً، بهم يحفظ الله حججه حتّى يؤدّوها إلى نظرائهم ويزرعوها في قلوبهم أشباههم، هجم بهم العلم على حقائق الامور، باشروا روح اليقين استلانوا ما استوعره المترفون،

وانسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بأبدان ، أرواحها معلّقة في المحل الأعلى ، اولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه ، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم و استغفر الله لي ولك . . . »

٥٠- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام : « وخمسة تنوّر القلب : كثرة قراءة قل هو الله أحد ، وقلّة الأكل ، ومجالسة العلماء ، والصلاة في الليل ، والمشي في المساجد ، يا عليّ وخمسة تجلو القلب وتذهب القساوة ، ومجالسة العالم ، و مسح رأس اليتيم و كثرة الاستغفار بالأسحار ، والسهر الكثير ، والصوم ، ياعليّ : وخمسة تزيد في النظر : النظر إلى الكعبة ، والنظر في المصحف ، والنظر إلى الوالدين ، والنظر إلى وجه العالم ، والنظر إلى الماء الجاري »

٥١- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « خمسة أشياء حسنة في خمسة من الناس : العلم والعدل والسخاوة والصبر والحياء ، العلم في العلماء ، والعدل في السلاطين ، والسخاوة في الأغنياء ، والصبر في الفقراء ، والحياء في النساء ، العلم بلاعمل كالبيت بلا سقف ، والسلطان بلاعدل كالنهر بلاماء ، والغنى بلا سخاوة كالشجر بلاثمر ، والفقير بلاصبر كالقنديل بلاضياء والنساء بلاحياء كالطعام بلاملح »

٥٢- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « عالم ورع أجره كأجر عيسى بن مريم عليهما السلام ، وغني سخى أجره كأجر الخليل إبراهيم عليه السلام وفقير صبور أجره كأجر النّبي أيوب عليه السلام و أمير عادل أجره كأجر سليمان بن داود عليهما السلام ، وشاب تائب أجره كأجر يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وامرأة خيبة أجرها كأجر مريم إبنة عمران عليهما السلام ».

٥٣- وقال الامام علي عليه السلام : « ستّة أشياء حسن ولكنها من ستّة أحسن : العدل حسن ، وهو من الامراء أحسن ، والصبر حسن وهو من الفقراء أحسن ، والورع حسن وهو من العلماء أحسن ، والسخاء حسن وهو من الأغنياء أحسن ، والتوبة حسن وهي من الشباب أحسن ، والحياء حسن وهو من النساء أحسن ، و أمير لاعدل له كغمام لاغيث له ، وفقير لاصبر له كمصباح لاضوء له ، وعالم لاورع له كشجرة لا ثمر لها ، وغني لاسخاء له كمكان لانبت له ، وشاب لاتوبة له كنهر لاماء له ، وامرأة

لاحياء لها كطعام لاملح له »

٥٤- وقال عليه السلام: « العلماء غرباء لكثرة الجهّال »

٥٥- وقال عليه السلام: « العالم يعرف الجاهل لأنّه كان قبل جاهلاً ، والجاهل لا يعرف العالم لأنّه لم يكن قبل عالماً »

٥٦- وقال عليه السلام: « العالم حيّ بين الموتى والجاهل ميّت بين الأحياء »

٥٧- وقال عليه السلام: « لايستخفّ بالعلم وأهله إلاّ أحمق جاهل »

٥٨- وقال عليه السلام: « إياك أن تستخفّ بالعلماء فانّ ذلك يزرى بك و يسيىء الظنّ بك والمنحيلة فيك »

٥٩- وقال عليه السلام: « أحق الناس بالرحمة عالم يجري عليه حكم جاهل ،و كريم يستولى عليه لئيم،وبرّ تسلط عليه فاجر »

٦٠- وقال عليه السلام: « لاينتصف عالم من جاهل »

٦١- وقال عليه السلام: « إذا علوت فلاتفكّر فيمن دونك من الجهّال ، ولكن اقتد بمن فوقك من العلماء »

٦٢- وقال عليه السلام: « لاتزدرينّ العالم وإن كان حقيراً »

٦٣- وقال عليه السلام: « عالم معاند خيرمن جاهل مساعد »

٦٤- وقال عليه السلام: « الجاهل صغيروإن كان شيخاً ، والعالم كبيروإن كان حدثاً»

٦٥- وقال عليه السلام: « عليكم بالعلم والأدب ، فانّ العالم يكرم وإن لم ينتسب، ويكرم وإن كان فقيراً و يكرم وإن كان حدثاً »

٦٦- وقال أبوعبدالله عليه السلام: « انّى أرحم ثلاثة ، وحقّ لهم أن يرحموا :عزيز أصابته المذلة بعد العزّ ،وغنى أصابته حاجة بعد الغنى،وعالم يستخفّ به أهله والجهلة »

٦٧- وقال عليه السلام: « العلماء باقون مابقي الليل والنهار » وهم الّذين بقيت صالح آثارهم العلمية ...

٦٨- وقال عليه السلام: « ليس لسلطان العلم زوال »

٦٩- وقال عليه السلام: « مامات من أحيى علماً ولاافتقرمن ملك فهماً »

٧٠- وقال عليه السلام: « هلك خزّان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الليل والنّهار ، أعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة »

٧١- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « أربعة لاتبلى : الأنبياء والشهداء والعلماء وحملة القرآن »

٧٢- و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ،فأعظم مرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة »

٧٣- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « ثلاث يشفعون إلى الله عزّ وجلّ فيشفعون : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء »

٧٤- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « انّ الله لايقبض العلم إنتزاعاً ينتزعه ولكن يقبض العلم بقبض العلماء »

٧٥- وقال الامام عليّ عليه السلام: « ثلمة الدّين موت العلماء »أي العاملين بعلمهم .

٧٦- وقال عليه السلام: « زوال العلم أهون من موت العلماء »

٧٧- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « خمسة من مصائب الآخرة : فوات الصلوة ، وموت العالم ، وردّ السائل، ومخالفة الوالدين ، وفوت الزكاة ، وخمسة من مصائب الدنيا : فوت الحبيب، و ذهاب المال ، وشماتة الأعداء، وترك العمل، و امرأة السوء »

٧٨- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « إذا اجتمع العالم والعابد على الصّراط ، وقيل للعابد: ادخل الجنة وتنعّم بعبادتك ، وقيل للعالم : قف هنا فاشفع لمن أحببت ، فانك لا تشفع لأحد الاشفّعت فقام مقام الأنبياء »

﴿العلماء الفاجرون و مفاسدهم﴾

غررحكم وددركلم في العلماء الفاجرين ومفاسدهم نشيرإلى مايسعه المقام عصمنا الله عزّ وجلّ من زلّةالأقدام بحق محمد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين :

١ـ قال مولى الموحدين إمام المتقين أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : «آفة العامة العالم الفاجر»

٢ـ وقال عليه السلام : «آفة الفقهاء عدم الصيانة»

٣ـ وقال عليه السلام فى الفقهاءالذين هم أهل الدنيا وشهواتها . . . : « قدخاضوا بحارالفتن ، وأخذوا بالبدع دون السنن ، وتوغّلوا الجهل وأطرحوا العلم»

٤ـ وقال عليه السلام : « آفة العلماء حب الرياسة »

٥ـ وقال عليه السلام : « كم من عالم فاجر ، و عابد جاهل ، فاتقوا الله الفاجر من العلماء ، والجاهل من المتعبّدين »

٦ـ وقال عليه السلام : « أمقت العباد إلى الله سبحانه : الفقيرالمزهوّ ، والشيخ الزاني ، والعالم الفاجر» المزهوّ : المعجب بنفسه ، والمتكبّر على غيره ، وقدقال الله عزوجل فى العالم الفاجر: « كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالاتفعلون » الصف : ٣) وقال : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » البقرة : ٤٤)

٧ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « آفة العلم النسيان »

٨ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اتقوا زلّة العالم وانتظروا فيئته »

٩ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « احذروا زلّة العالم فانّ زلّته تكبكبه في النار »

١٠ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « العلماء رجلان : رجل عالم أخذ بعلمه فهذاناج ، و عالم تارك لعلمه فهذا هالك ، وانّ أهل النار ليتأذّون من ريح العالم التارك لعلمه»

١١ـ وقال الامام علي عليه السلام : « يا حملة العلم ! أتحملونه ! فانّما العلم لمن علم ثم عمل ، ووافق عمله علمه ، وسيكون أقوام يحملون العلم لايجاوز تراقيهم ، تخالف سريرتهم علانيتهم ، ويخالف عملهم علمهم ، يقعدون حلقاً ، فيباهي بعضهم بعضاً ، حتّى انّ الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ، اولئك لاتصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله سبحانه »

١٢ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « احذروا الشهوة الخفية : العالم يحب أن يجلس إليه »

١٣ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا علم العالم فلم يعمل كان كالمصباح يضيء للناس و يحرق نفسه »

١٤ـ وقال الامام علي عليه السلام : « من لم يتعاهد علمه في الخلاءِ فضحه في الملأ»

١٥ـ وقال عليه السلام : « زلّة العالم تفسد العوالم »

١٦ـ وقال عليه السلام : « زلّة العالم كانكسار السفينة تغرق و تغرق معها غيرها (خلق خ) »

١٧ـ وقال عليه السلام : « زلّة العالم كبيرة الجناية »

١٨ـ وقال عليه السلام : « لازلّة أشدّ من زلّة العالم »

١٩ـ وقال عليه السلام : « شر العلم ما أفسدت به رشادك »

٢٠ـ وقال عليه السلام : « شرّ العلم علم لايعمل به »

٢١ـ وقال عليه السلام : « أشدّ الناس ندماً عند الموت العلماء غير العاملين »

٢٢ـ وقال عليه السلام : « أبغض العباد إلى الله سبحانه العالم المتجبّر»

٢٣ـ وقال عليه السلام :«شين العلم الصلف» الصلف ـ كفرس ـ:التمدح بماليس عنده أو

المجاوزة عن قدر الظرف، وإدّعاء فوق ما فيه إعجاباً وتكبّراً يعبّر عنه في الفارسية: « لاف زدن و گزاف گفتن »

٢٤- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أشدّ ما أتخوّف على امتي ثلاثة : زلّة عالم، أو جدال منافق بالقرآن، أو دنيا تقطع رقابكم فاتهموها على أنفسكم »

٢٥- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنما أتخوّف على امتي من بعدي ثلاث خصال : أن يتاوّلوا القرآن على غير تأويله ، ويتبعوا زلّة العالم ، أو يظهر فيهم المال حتى يطغوا ويبطروا وسانبئكم بالمخرج من ذلك، أمّا القرآن فاعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه، وأمّا العالم فانتظروا فيئه ولا تتبعوا زلّته ، وأمّا المال فانّ المخرج منه شكر النعمة وأداء حقّه »

٢٦- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّي أخاف على امّتي بعدي أعمالاً ثلاثة : زلّة عالم ، وحكم جائر ، وهوى متبعاً »

٢٧- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « إنّ شرّ الأشرار أشرار العلماء، وإن خير الأخيار خيار العلماء »

٢٨- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ألا انّ شرّ الشرّ أشرار العلماء ، وانّ خير الخير خيار العلماء »

٢٩- وقال الامام علي عليه السلام : « لو أنّ أهل العلم حملوه بحقّه لأحبّهم الله تعالى وملائكته ولكنّهم حملوه لطلب الدنيا فمقتهم الله تعالى وهانوا عليه»

٣٠- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « انّ اناساً من امّتي يستفقهون في الدين ، و يقرؤون القرآن ، ويقولون : نأتي الامراء فنصيب من دنياهم و نعتزلهم بديننا ولا يكون كذلك كما لا يجتنى من القتاد إلّا الشوك لا يجتنى من قربهم إلّا الخطايا»

٣١- و قال صلى الله عليه وآله وسلم : « انّ الصفا الزلّال الذي لا تثبت عليه أقدام العلماء الطمع »

٣٢- وقال الامام علي عليه السلام : « كم من عالم قد أهلكته الدنيا »

٣٣ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « ان الله يبغض كل عالم بالدنيا، جاهل بالآخرة »

٣٤ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: « من ازداد في العلم رشداً، ولم يزدد في الدنيا زهداً لم يزدد من الله إلّا بعداً »

٣٥ـ وقال الامام علي عليه السلام: «لاتبيعوا الآخرة بالدنيا، ولاتستبدلوا الفناء بالبقاء، ولاتجعلوا يقينكم شكاً ولاعلمكم جهلاً »

٣٦ـ وقال عليه السلام: « من لم يغنه العلم فليس يغنيه المال »

٣٧ـ وقال عليه السلام: « من سكّن قلبه العلم بالله سبحانه سكّنه الغنى عن خلق الله»

٣٨ـ وقال عليه السلام: « من أضاع علمه إلتطم »

٣٩ـ وقال عليه السلام: « ربّ عالم قتله علمه »

٤٠ـ وقال عليه السلام: « ربّ عالم قد قتله جهله وعلمه لاينفعه »

٤١ـ وقال عليه السلام: « ربّ علم أدّى إلى مضلّتك »

٤٢ـ وقال عليه السلام: « ربّ مدّع للعلم ليس بعالم »

٤٣ـ وقال عليه السلام: « ربّ عالم غيرمنتفع »

٤٤ـ وقال عليه السلام: « خمس يستقبحن من خمس: كثرة الفجر من العلماء، والحرص في الحكماء، والبخل في الأغنياء، والقحة في النساء، ومن المشايخ الزنا»

٤٥ـ وقال عليه السلام: « ينبغي للعاقل أن يحترس من سكر المال، وسكر القدرة، وسكر العلم، وسكر المدح، وسكر الشباب، فانّ لكل ذلك رياحاً خبيثة تسلب العقل وتستخفّ الوقار »

٤٦ـ وقال عليه السلام: « ما أصعب على من استعبدته الشهوات أن يكون فاضلاً؟»

٤٧ـ وقال عليه السلام: « معصية العالم إذاخفيت لم تضرّ إلّاصاحبها، وإذا ظهرت ضرّت صاحبها والعامة » وذلك لاتباع العامة إياه في أعماله وأقواله وعقائده بل في حركاته . . .

٤٨- وقال عليه السلام: « يا عالم قدقام عليك حجة العلم فاستيقظ من رقدتك»

٤٩- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « العلماء رجلان: رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وان أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه، وان أشد أهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله تبارك وتعالى فاستجاب له، وقبل منه فأطاع الله تعالى الجنة، وادخل الداعي النار بترك علمه واتباعه الهوى »

٥٠- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « وقود النار يوم القيامة كل بخيل بماله على الفقراء وكل عالم باع الدين بالدنيا »

٥١- وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام في ذم إختلاف العلماء في الفتيا: ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم تجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آرائهم جميعاً، وإلههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد، فأمرهم الله سبحانه وتعالى بالاختلاف فأطاعوه أم نهاهم عنه فعصوه، أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله تعالى ديناً تاماً فقصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه وتعالى يقول: « ما فرطنا في الكتاب من شيء » و « فيه تبيان لكل شيء » وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضاً، وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه و تعالى: « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » وان القرآن ظاهره أنيق و باطنه عميق لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تنكشف الظلمات إلا به »

٥٢- وقال عليه السلام: « قطع ظهري رجلان من الدنيا: رجل عليم اللسان فاسق، ورجل جاهل القلب ناسك، هذا يصد بلسانه عن فسقه، وهذا بنسكه عن جهله، فاتقوا الفاسق من العلماء والجاهل من المتعبدين، اولئك فتنة كل مفتون، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: يا علي هلاك امتي على يدي كل منافق عليم اللسان»

٥٣- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أوّل الناس يقضى عليه يوم القيامة ثلاث: رجل إستشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتّى استشهدت، قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال: رجل جرىء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القى في النار، ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلّمت العلم وعلّمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكنك تعلّمت العلم ليقال: هو عالم و قرأت القرآن ليقال: هو قارىء فقد قيل، ثم امر به فسحب على وجهه حتّى القي في النار، ورجل وسع الله عليه و أعطاه من أصناف الاموال كلّها فأتى به فعرفه نعمه فعرفها، وقال: فما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلاّ أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال: رجل جواد فقد قيل، ثم امر به فسحب على وجهه حتّى القي في النار».

٥٤- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ستّة تدخل النار بستّة أشياء: السلطان بالجور، والعرب بالعصبية والدهاقين بالكذب والتاجر بالخيانة وأهل القرى بالجهل والعلماء بالحسد».

٥٥- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ذات يوم لإبليس لعنه الله: كم أصدقاؤك من امّتي يا ابليس؟ قال: عشرة نفر: أوّلهم الأمير الجائر، والغنى المتكبّر، والذي لا يبالي من أين يكتسب وفيماذا ينفقه، والعالم الّذي صدق الأمير على جوره، والتاجر الخائن، والمحتكر، والزاني، وآكل الربا، والبخيل والذي لايبالي من أين يجمع المال»

٥٦- وقال الامام علي عليه السلام: «كفى بالعالم جهلاً أن ينافي علمه عمله»

٥٧- وقال عليه السلام: «من لم يفده العلم أضلّه الجهل»

٥٨- وقال عليه السلام: «عجبت لمن علم شدّة إنتقام الله وهومقيم على الاصرار»

٥٩- وقال عليه السلام: «عجبت لمن يعلم أنّ للأعمال جزاء كيف لايحسن عمله»

٦٠- وقال عليه السلام: «من علم أنّه مؤاخذ بقوله فليقصر من المال»

٦١ ـو قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ان الله تعالى يعافي الاميين يوم القيامة مالا يعافي العلماء »

٦٢ ـوقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: «عشرة يفتنون غير أنفسهم وغيرهم: ذوالعلم القليل يتكلّف أن يعلّم الناس كثيراً ، والرجل الحكيم ذوالعلم الكثير ليس بذي فطنة، والذي يطلب مالا يدرك و لاينبغي له، والكاد عند المتأيّد ، والمتأيّد الذي ليس له مع تؤديته علم ،وعالم ليس مؤيّداً للصلاح ، ومريد للصلاح ليس بعالم ، و عالم يحبّ الدنيا ، والرحيم بالناس يبخل بما عنده ، وطالب العلم يجادل فيه من هو أعلم منه ، فاذا علمه لم يقبل منه »

٦٣ ـ وعن بعض الزهّاد : « أضيع الأشياء عشرة : عالم لا يسئل، و علم لا يعملوا به، ورأى صواب لايقبل ،و سلاح لا يستعمل ، ومسجد لا يصلّى فيه ، و مصحف لايقرأ فيه ، و مال ينفق منه، وخيل لاير كب ، و علم في بطن من يريد به الدنيا ، وعمر طويل لايتزوّد فيه لسفره »

٦٤ـ وعن بعض الحكماء : « عشر خصال يبغضها الله من عشرة أنفس : البخل من الأغنياء ، والكبر من الفقراء ، والطمع من العلماء ، و قلّة الحياء من النساء ، وحبّ الدنيا من المشايخ ، والكسل من الشباب ، والحدّة من السلطان ، والجبن من الغزاة ، والعجب من الزّهّاد ، والرياء من العباد »

٦٥ـ وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : « عجبت لمن علم أنّ الله قد ضمن الأرزاق وقدّرها وأنّ سعيه لايزيده فيما قدّر له منها و هو حريص دائب في طلب الرّزق » ولايخفى أنّ الرواية ليست بصدد النهي عن السعي إطلاقاً ، بل بصدد النهي عن الحرص والولع وإتعاب النفس في طلب الرزق . . .

٦٦ـ وقال عليه السلام : « ماقصم ظهري إلاّ رجلان : عالم متهتّك ، و جاهل متنسّك ، هذا ينفر عن حقّه بتهتكه ، وهذا يدعو إلى الباطل بتنسّكه »

٦٧ـ وقال عليه السلام أيضاً : «قصم ظهري رجلان : عالم متهتّك وجاهل متنسّك ،

هذا يضرّ الناس بتهتّكه ، والآخر يغرّ الناس بتنسّكه »

٦٨- وقال عليه السلام : «لا خير في الكذّابين ولا في العلماء الأفّاكين »

٦٩- وقال عليه السلام : « أعظم الناس وزراً العلماء المفرطون »

٧٠- وقال عيسى بن مريم عليه السلام : « انه لقى إبليس وهو يسوق خمسة أحمر عليها أحمال ، فسئله عن الأحمال ؟فقال : تجارة اطلب لها مشترين ، فقال : و ما هذه التجارة ؟ قال : أحدها الجور قال : ومن يشتريه ؟ قال : السلاطين ، والثاني الكبر قال : ومن يشتريه ؟ قال : الدهاقين ، والثالث الحسد قال ، ومن يشتريه ؟ قال : العلماء و الرابع الخيانة قال : و من يشتريه ؟ قال : التجار والخامس الكيد قال : ومن يشتريه ؟قال : النساء »

٧١- وقد سئل الامام عليّ صلوات الله عليه عن أحوال العامة : « إنما هي من فساد الخاصة ، و إنّما الخاصّة ليقسمون على خمس : ١- العلماء وهم الأدلاء على الله.٢- والزهّاد وهم الطريق إلى الله.٣- والتجار وهم امناءالله.٤- والغزاة وهم أنصار دين الله. ٥- والحكام وهم رعاة خلق الله، فاذا كان العالم طمّاعاً وللمال جمّاعاً فبمن يستدل ؟ وإذا كان الزهد راغباً ولما في أيدي الناس طالباً فبمن يقتدى ؟وإذا كان التاجر خائناً وللزكاة مانعاً فبمن يستوثق؟وإذا كان الغازي مرائياًوللمكسب ناظراً فبمن يذبّ عن المسلمين؟ وإذا كان الحاكم ظالماً وفي الاحكام جائراً فبمن ينصر المظلوم على الظالم ،فوالله ماأتلف الناس إلاّ العلماء الطمّاعون، والزهاد الراغبون ، والتجّار الخائنون، والغزاة المرائون، والحكّام الجائرون وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون»

٧٢- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «علماء هذه الامة رجلان : رجل آتاه الله تعالى علماً فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعاً ولم يشر به ثمناً ، فذلك يستغفر له حيتان البحر ودواب البرّ والطير في جوّ السماء ، ويقدم على الله سيّداً شريفاً حتّى يرافق المرسلين ، ورجل آتاه الله تعالى علماً فبخل به على عباد الله تعالى وأخذ عليه طمعاً وشرابه ثمناً ، فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار وينادي مناد هذا الّذي آتاه الله

تعالى علماً فبخل به على عباد الله تعالى وأخذ عليه طمعاً و اشترى به ثمناً و كذلك حتّى يفرغ من الحساب »

٧٣- وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «لاتصلح عوام امّتي إلّا بخواصّها ، قيل : ما خواص امّتك يا رسول الله ؟ فقال : خواص امّتي أربعة : الملوك والعلماء و العباد و التجّار، قيل: كيف ذلك ؟ قال عليه السلام : الملوك رعاة الخلق فاذا كان الراعى ذئباً فمن يرعى الغنم، والعلماء أطباء الخلق ، فاذا كان الطبيب مريضاً فمن يداوى المريض ؟ والعبّاد دليل الخلق فاذا كان الدليل ضالّاً فمن يهدى السالك ؟ والتجّار امناء الله في الخلق ،فاذا كان الأمين خائناً فمن يعتمد؟ »

٧٤- وقال الامام علي عليه السلام : « ختمت التوراة بخمس كلمات ، فأنا احبّ أن اطالعها في صبيحة كل يوم : الأوّل العالم الّذي لايعمل بعلمه فهو وإبليس سواء ، والثاني سلطان لايعدل برعيته فهو وفرعون سواء والثالث فقير يتذلّل لغنى طمعاً في ماله فهو والكلب سواء والرابع غنى لاينتفع بماله فهو والآجر سواء والخامس إمرأة تخرج من بيتها بغير ضرورة هي والأمة سواء »

٧٥- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « انّ من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، و يظهر الجهل ويفشو الزنا ، و تشرب الخمر ، ويذهب الرجال ، ويبقى النساء حتّى يكون لخمسين إمرأة قيّم واحد »

٧٦- و قال الامام على عليه السلام : « كفاك مؤبّخاً على الكذب علمك بأنّك كاذب »

٧٧- وقال عليه السلام : «لاخير في علوم الكذّابين »

٧٨- وقال عليه السلام : « نكد العلم الكذب »

٧٩- وقال عليه السلام : « عجبت لمن يقال له الشر الّذي يعلم أنّه فيه كيف يسخط»

٨٠- وقال عليه السلام : « عجبت لمن يوصف بالخير الّذي يعلم أنّه ليس فيه كيف يرضاه »

٨١ـ وقال عليه السلام : « من علم ما فيه ستر على أخيه »

٨٢ـ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أشدّ الناس حسرة يوم القيامة : رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه ، ورجل علّم علماً فانتفع به من سمعه منه دونه »

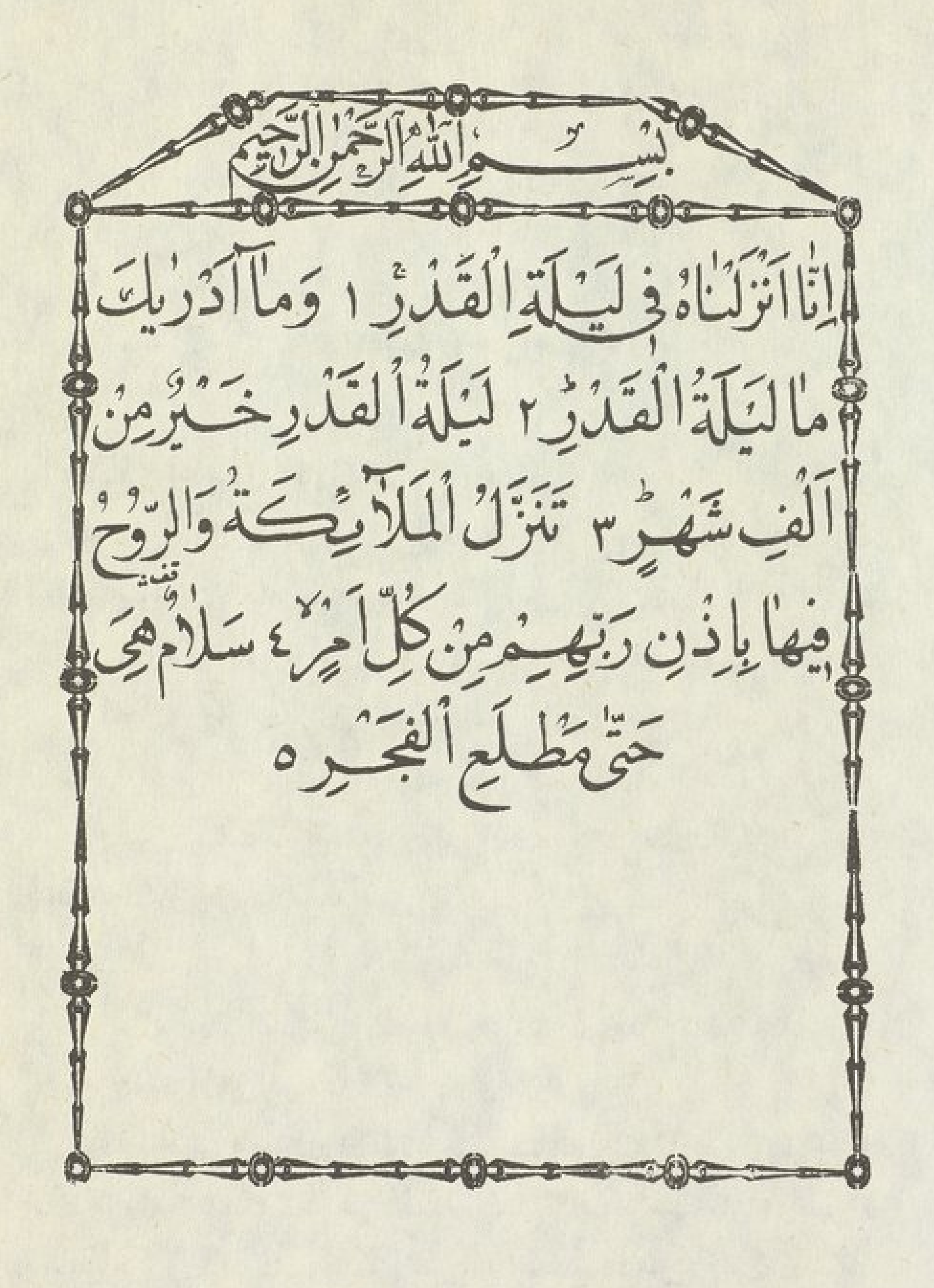
٨٣ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر »

٨٤ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه »

٨٥ـ وقال الامام علي عليه السلام : « ان في جهنم رحاً تطحن أفلا تسئلوني ماطحنها؟ فقالوا : ماطحنها يا أمير المؤمنين ؟ فقال : العلماء الفجرة ، والفقراء الفسقة ، والجبابرة الظلمة ، والوزراء الخونة ، والعرفاء الكذبة »

٨٦ـ وقام الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « ان في العلماء من يحب أن يخزن عليه ولايؤخذ عنه فذاك في الدّرك الأوّل من النّار ، ومن العلماء من يرى إذا وعظ أنف ، وإذا وعظ عنف فذاك في الدّرك الثاني من النار ، ومن العلماء من يرى أن يضع العلم عند ذوى الثروة والشرف ، ولايرى له في المساكين وضعاً ، فذاك في الدّرك الثالث من النّار ، ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابرة والسلاطين ، فان رد عليه شيء من قوله أوقصر في شيء من أمره غضب ،فذاك في الدرك الرابع من النار، ومن العلماء من يطلب أحاديث اليهود والنصارى ليعزز به علمه ويكثر به حديثه ، فذاك في الدّرك الخامس من النار، ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول: سلوني ولعلّه لايصيب حرفاً واحداً ، والله لايحبّ المتكلفين فذاك في الدرك السادس من النار، ومن العلماء من يتخذ علمه مروة وعقلاً فذاك في الدرك السابع من النار ».

تمت سورة العلق والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين.


بسم الله الرحمن الرحيم
إنا أنزلناه في ليلة القدر ١ وما أدريك
ما ليلة القدر ٢ ليلة القدر خير من
ألف شهر ٣ تنزل الملائكة والروح
فيها بإذن ربهم من كل أمر ٤ سلام هي
حتى مطلع الفجر ٥

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الأعمال باسناده عن سيف بن عميرة عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام قال : من قرأ « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » فجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله عزّ وجلّ ، ومن قرأها سرّاً كان كالمتشحّط بدمه في سبيل الله ، ومن قرأها عشر مرات محى الله عنه ألف ذنب من ذنوبه .

أقول : رواه الكليني في الكافي ، والطبرسي في المجمع ، والحويزي في نور الثقلين ، والبحراني في البرهان ، والمجلسي في البحار .

وفيه: باسناده عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبدالله عليه السلام قال :من قرأ « إنّا أنزلناه » في فريضة من فرائض الله نادى مناد :يا عبدالله ! غفر الله لك ما مضى فاستأنف العمل .

أقول : رواه الطبرسي في المجمع ، والحويزي في نور الثقلين ، والمجلسي في البحار، والبحراني في البرهان .

وفي أمالي الصدوق عليه الرّحمة، باسناده عن النوفلي عن الكاظم عليه السلام قال: إنّ لله يوم الجمعة ألف نفحة من رحمته ، يعطى كل عبد منها ماشاء ، فمن قرأ « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » بعد العصر يوم الجمعة مأة مرّة وهب الله له تلك الألف ومثلها .

وفيه: بهذا الاسناد عن الكاظم عليه السلام أنه سمع بعض آبائه عليهم السلام رجلاً يقرأ : « إنّا أنزلناه » فقال : صدق وغفر له .

وفي ثواب الاعمال: باسناده عن إسمعيل بن سهل قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام: علّمني شيئاً إذا أنا قلته كنت معكم في الدنيا والآخرة، قال: فكتب بخطّه أعرفه: أكثر من تلاوة «إنّا أنزلناه» ورطّب شفيتك بالاستغفار.

وفي الكافي: باسناده عن إسمعيل بن سهل قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام: اني قدلزمني دين فادح، فكتب: أكثر من الاستغفار ورطّب لسانك بقراءة «إنّا أنزلناه».

وفيه: باسناده عن أحمد بن الفضل أبي عمر الحذّاء قال: ساءت حالي، فكتبت إلى أبي جعفر عليه السلام فكتب إليّ أدم قراءة: «إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومه» قال: فقرأتها حولاً فلم أرشيئاً، فكتبت إليه اخبره بسوء حالي، وأني قد قرأت: «إنّا أرسلنا نوحاً إلى قومه» حولاً كما أمرتني، ولم أرشيئاً قال: فكتب إليّ: قد و فى لك الحول فانتقل عنها إلى قراءة: «إنّا أنزلناه» قال: ففعلت فماكان إلّا يسيراً حتّى بعث إليّ إبن أبي داود فقضى عنّي ديني وأجرى عليّ وعلى عيالي، ووجّهني إلى البصرة في وكالته بباب كلتاء وأجرى عليّ خمس ماة درهم، و كتبت من البصرة على يدي عليّ بن مهزيار إلى أبي الحسن صلوات الله عليه كنت سئلت أباك عن كذا و كذا، وشكوت إليه كذا و كذا وانّي قد نلت الّذي احببت، فأحببت أن تخبرني يامولاي كيف أصنع في قراءة: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر»؟ أقتصر عليها وحدها في فرائضي وغيرها؟ أم أقرأ معها غيرها؟ أم لها حدّ أعمل به؟ فوقع عليه السلام و قرأت التوقيع: لاتدع من القرآن قصيرة وطويلة، ويجزئك من قراءة: «إنّا أنزلناه» يومك وليلتك ماة مرة.

قوله عليه السلام: «كلتاء»: موضع بالبصرة.

وفي عيون الاخبار: باسناده عن ياسر الخادم عن أبي الحسن العسكري عن أبيه عن جدّه عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أنّه كان يلبس ثيابه ممما يلي يمينه، فاذا لبس ثوباً جديداً دعا بقدح من ماء فقرأ عليه: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر»

عشر مرّات و « قل هو الله أحد» عشر مرّات و « قل يا أيّها الكافرون » عشر مرّات ثم نضحه على ذلك الثوب ثم قال : من فعل هذا بثوبه من قبل أن يلبسه لم يزل في رغد من عيشه مابقي منه سلك .

أقول: إنّ ياسراً خادم الامام الثامن علي بن موسى الرّضا عليه السلام وهومولى حمزة بن اليسع الأشعري القمّي ، وهوقد لقى الرضا عليه السلام وحديثه عن أبي الحسن العسكري عليه السلام غريب .

وفي عدة الداعي : قراءة : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » على ما يدّخر و يخبى حرز له وردت بذلك الرّواية عنهم عليهم السلام .

وفي تفسير البرهان : عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم انّه قال : من قرأ هذه السورة كان له من الأجر كمن صام شهر رمضان ، وإن وافق ليلة القدر وكان له ثواب كثواب من قاتل في سبيل الله ومن قرأها على باب مخزن سلمه الله تعالى من كلّ آفة ،وسوء إلى أن يخرج صاحبه ما فيه .

وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأها كان له يوم القيامة خير البرية رفيقاً وصاحباً وإن كتبت في إناء جديد ونظر فيه صاحب اللقوة شفاه الله تعالى .

وفي طب الائمة : بالاسناد عن محمد بن بكر الأزدي عن أبي عبدالله عليه السلام واوصى أصحابه وأوليائه : من كان به علّة فليأخذ قلّة جديدة ، وليجعل فيها الماء وليستقي الماء بنفسه ، وليقرأ على الماء سورة : « إنّا أنزلناه » على الترتيل ثلاثين مرّة ثم ليشرب من ذلك الماء وليتوضأ وليمسح به و كلّما نقص زاد فيه ، فإنّه لا يظهر ذلك ثلاثة أيّام إلّا ويعافيه الله تعالى من ذلك الداء .

و في مكارم الاخلاق : من أخذ قدحاً و جعل فيه ماء و قرأ فيه : « إنّا أنزلناه » خمساً وثلاثين مرّة ورشّ ذلك الماء على ثوبه به لم يزل في سعة حتّى يبلى ذلك الثوب .

وفي البرهان : قال الصادق عليه السلام ، من قرأها بعد عشاء الآخرة خمس عشرة

مرّة كان في أمان الله إلى تلك الليلة الاخرى ، ومن قرأها في كل ليلة سبع مرّات أمن في تلك الليلة إلى طلوع الفجر، ومن قرأها على ما يدّخر ذهباً أو فضّة أو أثاث بارك الله فيه من جميع ما يضرّه ، وإن قرأت على ما فيه غسله نفعه بإذن الله تعالى.

و في مهج الدعوات لابن طاووس رضوان الله تعالى عليه انّه قيل للصادق عليه السلام : بما احترست من المنصور عند دخولك عليه؟ فقال: بالله وبقراءة : « إنّا أنزلناه » ثم قلت : يا الله سبعاً انّي أتشفع إليك بمحمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم من أن تقلبه لي ،فمن ابتلى بذلك فليصنع مثل صنعي ، ولولا انّنا نقرأها ونأمر بقراءتها شيعتنا لتخطفهم الناس ، ولكن هي والله لهم كهف .

وفى الاحتجاج : روى في ثواب القرآن في الفرائض وغيرها : انّ العالم عليه السلام قال : عجباً لمن لم يقرأ في صلاته : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » كيف تقبل صلاته ؟

وفى البحار : « بسم الله الرحمن الرحيم »

قال الكفعمي في بعض كتب أدعيته: ذكر الشيخ عزّ الدين الحسن بن ناصر بن إبراهيم الحدّاد العاملي في كتابه طريق النجاة عن الجواد عليه السلام أنّه من قرأ سورة القدر في كلّ يوم وليلة ستّاً وسبعين مرّة ، خلق الله له ألف ملك يكتبون ثوابها ستّة وثلاثين ألف عام ، ويضاعف الله إستغفارهم له ألفي سنة ألف مرّة ، وتوظيف ذلك في سبعة أوقات :

الاول بعد طلوع الفجر ، و قبل صلاة الصبح سبعاً ليصلّي عليه الملائكة ستّة أيام .

الثاني : بعد صلاة الغداة عشراً ليكون في ضمان الله إلى المساء .

الثالث : إذا زالت الشمس قبل النافلة عشراً لينظر الله إليه ويفتح له أبواب السماء .

الرابع : بعد نوافل الزوال إحدى وعشرين ليخلق الله تعالى له منها بيتاً طوله ثمانون ذراعاً، وكذا عرضه ،وستّون ذراعاً سمكه ، وحشوه ملائكة

يستغفرون له إلى يوم القيامة ، ويضاعف الله إستغفارهم ألفي سنة ألف مرّة .

الخامس : بعد العصر عشراً لتمرّ على مثل أعمال الخلائق يوماً .

السادس: بعد العشاء سبعاً ليكون في ضمان الله إلى أن يصبح .

السابع : حين يأوي إلى فراشه إحدى عشر ليخلق الله له منها ملكاً راحته أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين ، في موضع كلّ ذرّة من جسده شعرة ينطق كلّ شعرة بقوّة الثقلين يستغفرون لقارئها إلى يوم القيامة .

وفيه: وعن الصادق عليه السلام : النور الّذي يسعى بين يدي المؤمنين يوم القيامة نور « إنّا أنزلناه » .

وفيه: وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأها في صلاة رفعت في علّيّين مقبولة مضاعفة ، ومن قرأها ثم دعا رفع دعاؤه إلى اللوح المحفوظ مستجاباً ، ومن قرأها حبّب إلى الناس ، فلو طلب من رجل أن يخرج من ماله بعد قرائتها حين يقابله لفعل ، ومن خاف سلطاناً فقرأها حين ينظر إلى وجهه غلب له ، ومن قرأها حين يريد الخصومة اعطى الظفر ، و من يشفع بها إلى الله تعالى شفّعه وأعطاه سؤله .

وفيه: وقال عليه السلام : «لو قلت لصدقت أنّ قارئها لا يفرغ من قرائتها حتّى يكتب له براءة من النار »

وروى الشيخ في متهجّده قرائتها بعد نافلة الليل ثلاثاً ويوم الجمعة بعد العصر يستغفر الله سبعين مرّة ثم يقرأها عشراً فيكون أوقاتها تسعة .

وفي عدة الداعي : قرائتها (سورة القدر) في الثلث الأخير من ليلة الجمعة خمس عشرة ، فمن قرأها كذلك ثم دعا استجيب له .

وفي البحار : عن الباقر عليه السلام من قرأها (سورة القدر) بعد الصبح عشراً وحين نزول الشمس عشراً وبعد العصر أتعب ألفي كاتبه ثلاثين سنة .

وعنه عليه السلام : ما قرأها عبد سبعاً بعد طلوع الفجر إلّا صلّى عليه سبعون صفّاً سبعين صلاة وترحّموا عليه سبعين رحمة .

وعنه عليه السلام : من قرأها في ليلة مائة مرّة رأى الجنّة قبل أن يصبح .

وعنه عليه السلام : من قرأها ألف مرّة يوم الاثنين ، وألف مرّة يوم الخميس خلق الله تعالى منه ملكاً يدعى القوىّ ، راحته أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين ، و خلق في جسده ألف ألف شعرة ، وخلق في كلّ شعرة ألف لسان ينطق كلّ لسان بقوّة الثقلين ، يستغفرون لقائلها ، ويضاعف الله تعالى إستغفارهم ألفي سنة ألف مرّة .

وكان علي عليه السلام إذا رأى أحداً من شيعته قال : رحم الله من قرأ « إنّا أنزلناه »

وعنه عليه السلام : لكلّ شيء ثمرة ، وثمرة القرآن : « إنّا أنزلناه » ولكلّ شيء كنز ، و كنز القرآن : « إنّا أنزلناه » ولكلّ شيء عون ، وعون الضعفاء : « إنّا أنزلناه » ولكلّ شيء يسر و يسر المعسرين : « إنّا أنزلناه » و لكلّ شيء عصمة ، و عصمة المؤمنين : « إنّا أنزلناه » ولكلّ شيء هدى ، وهدى الصالحين : « إنّا أنزلناه » و لكلّ شيء سيّد ، وسيّد القرآن : « إنّا أنزلناه » ولكلّ شيء زينة ، وزينة القرآن : « إنّا أنزلناه » ولكلّ شيء فسطاط ، وفسطاط المتعبّدين : « إنّا أنزلناه » ولكلّ شيء بشرى ، وبشرى البرايا : « إنّا أنزلناه » و لكلّ شيء حجّة ، والحجّة بعد النبيّ في : « إنّا أنزلناه » فآمنوا بها ، قيل : وما الايمان بها ؟ قال إنها تكون في كلّ سنة ، و كلّ ما ينزل فيها حقّ .

وعنه عليه السلام : هي (سورة القدر) نعم رفيق المرء ، بها يقضي دينه ، و يعظّم دينه ، ويظهر فلجه ، ويطوّل عمره ، ويحسّن حاله ، ومن كانت أكثر كلامه لقي الله تعالى صدّيقاً شهيداً .

وعنه عليه السلام : ما خلق الله تعالى ، ولا أعلم إلّا لقارئها في موضع كلّ ذرّة منه حسنة .

وعنه عليه السلام : أبى الله تعالى أن يأتي على قارئها (سورة القدر) ساعة لم يذكره باسمه ويصلّي عليه ، ولن تطرف عين قارئها إلّا نظر الله إليه ، وترحّم عليه ، أبى الله

أن يكون أحد بعد الأنبياء والأوصياء أكرم عليه من رعاة: « إنّا أنزلناه » ورعايتها: التلاوة لها، أبى الله أن يكون عرشه وكرسيّه أثقل في الميزان من أجر قارئها، أبى الله تعالى أن يكون ما أحاط به الكرسي أكثر من ثوابه، أبى الله أن يكون لأحد من العباد عنده سبحانه منزلة أفضل من منزلته، أبى الله أن يسخط على قارئها و يسخّطه، قيل: فما معنى يسخّطه؟ قال: لا يسخّطه بمنعه حاجته، أبى الله أن يكتب ثواب قارئها غيره أو يقبض روحه سواه، أبى الله أن يذكره جميع ملائكته إلّا بتعظيم حتّى يستغفروا لقارئها، أبى الله أن ينام قارئها حتّى يحفّه بألف ملك يحفظونه حتّى يصبح، وبألف ملك حتّى يمسي، أبى الله تعالى أن يكون شيء من النّوافل أفضل من قراءتها، أبى الله أن يرفع أعمال أهل القرآن إلّا ولقارئها مثل أجرهم.

وعنه عليه السلام: ما فرغ عبد من قراءتها (سورة القدر) إلّا صلّت عليه الملائكة سبعة أيّام وروى عن الباقر عليه السلام أنّه قال: من قرأ سورة القدر حين ينام إحدى عشرة مرّة، خلق الله له نوراً سعته سعة الهواء عرضاً وطولاً ممتدّاً من قرار الهواء إلى حجب النور فوق العرش، في كل درجة منه ألف ملك، لكلّ ملك ألف لسان، لكل لسان ألف لغة، يستغفرون لقارئها إلى زوال الليل، ثم يضع الله ذلك النور في جسد قارئها إلى يوم القيامة.

وعنه عليه السلام: من قرأها حين ينام ويستيقظ ملأ اللوح المحفوظ ثوابه.

أقول: كلّ ذلك إذا تدبّر القارىء في هذه السورة وعلم بمضامينها وآمن و عمل صالحاً.

﴿الغرض﴾

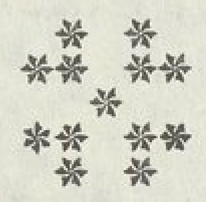
غرض السورة تنبيه تنويهي بليلة القدر وعظم شأنها وخيرها وشمولها ببركة الله جلّ وعلا وسلامه، تنويه بعظم حادث بدء نزول القرآن الكريم، وجلالة قدره وبخطورة الليلة التي شرّف الله عزّ وجلّ قدرها بحدوث هذا الحادث العظيم فيها، وكان هو حقاً أعظم حادث في تاريخ الإسلام، وإليه يرجع كلّ حادث فيه، وكلّ ذكر من ذكرياته، وكلّ خير من خيراته، وكلّ بركة من بركاته . . .

وهو الجدير بأن يكون تاريخه موضع تنويه وإشارة وتكريم وإحتفاء في كلّ جيل من أجيال الإسلام، بل في كلّ جيل من أجيال البشر، و في كلّ مكان من الأرض، فالنبوّة المحمّدية التي بدأت به هي نبوّة الخلود والبشرية جمعاء، وانّ الكتاب الذي بدء بانزاله على النّبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الليلة هو كتاب الله الخالد الّذي فيه رحمة وخير وبركة وعزّة وسعادة وصلاح وفلاح وشفاء لجميع الناس في كلّ وقت ومكان، والّذي إحتوى مافيه الكفاية لرجع امور الدين والدنيا إلى نصابها الحق ولاقامة إخاء عام بين البشر، ونظام إجتماعي وسياسيّ وإقتصادي مرتكز على قواعد الحق والحرية، والعدل والكرامة، والخير والمساواة . . .

وهذا التاريخ هو التاريخ الوحيد المعروف في مثله من تاريخ الأنبياء و كتبهم، وانّ هذا الكتاب هو الكتاب الوحيد الّذي بقي في أيدي الناس كما بلغه رسولهم الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم سليماً تامّاً فوق كلّ مظنّة، وانّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو النّبيّ الوحيد الّذي لم يدر حول وجوده وشخصيّته وتاريخه مادار حول غيره من

الشكوك والأقوال . . .

وتحتوي هذه السورة إشارة إلى نزول الملائكة في هذه الليلة و على رأسهم عظيمهم بأوامر الله جل وعلا وتبليغاته ، وبركاته وشمولها بالسلام والتجلّيات الربانية بالروح منه جلّ وعزّ قصد إلى بيان عظمة شأنها ورفعة قدرها أولاً ، ودعوة ضمنيّة إلى المسلمين إلى احيائها في كلّ عام بتفضيلها على ألف شهر إقتداء بالملائكة، و تحصيلاً للبركة الربّانية والسلام فيها ، وتكريماً للذكرى المقدّسة التي إنطوت فيها .



«النزول»

سورة «القدر» مكيّة نزلت بعد سورة «عبس» و قبل سورة «الشمس» وهي السّورة الخامسة والعشرون نزولاً، والسابعة والتسعون مصحفاً.

و تشتمل على خمس آيات، سبقت عليها (٤٣٩) آية نزولاً، و (٦١٢٥) آية مصحفاً على التحقيق.

ومشتملة على (٣٠) كلمة، وقيل: (٣٣) كلمة، وعلى (١١٢) حرفاً، وقيل: (١٢٠) حرفاً، وقيل: (١٢١) حرفاً على مافي بعض التفاسير.

وماورد في نزولها على إختلافه لاينا في مكيّتها، فانّ التراتيب المرويّة و اسلوبها ووصفها في المصحف بعد سورة «العلق» تسلكها في عداد السور المكيّة و تبكيرها في النزول.

في جامع الاصول: لابن الأثير عن يوسف بن سعد قال: قام رجل إلى الحسن بن عليّ عليهما السلام بعد ما بايع معاوية، فقال: سوّدت وجوه المؤمنين أو يا مسوّد وجوه المؤمنين! فقال: لاتؤنبني فانّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أرى بني اميّة على منبره فسائه ذلك، فنزلت: «إنّا أعطيناك الكوثر» يا محمّد يعني نهراً في الجنّة، ونزلت: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر» يملكها بعدك بنواميّة يا محمّد قال القاسم بن الفضل: عددنا فاذاً هي ألف شهر لايزيد ولاينقص.

وفي تفسير جامع البيان: للطبري عن عيسى بن مازن قال: قلت للحسن بن

علي عليه السلام: يا مسود وجوه المؤمنين عمدت إلى هذا الرجل، فبايعت له يعني معاوية بن أبي سفيان، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرى في منامه بني امية يعلون منبره خليفة خليفة فشق ذلك عليه صلى الله عليه وآله وسلم فأنزل الله: «إنّا أعطيناك الكوثر» و «إنّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر» يعني ملك بني امية قال القاسم بن الفضل: فحسبنا ملك بني امية، فاذاً هو ألف شهر.

أقول: رواه الفخر الرازي في تفسيره، والسيوطي في الدرّ المنثور.

وفي تفسير القمي قدّس سرّه: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نومه كان قروداً تصعد منبره فغمّه ذلك، فأنزل الله: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر» تملكه بني امية ليس فيها ليلة القدر.

وفي تاريخ ابن عساكر: عن يوسف بن مازن قال: عرض للحسن بن علي عليه السلام رجل فقال: يا مسود وجوه المسلمين فقال الحسن عليه السلام: لاتعذلني فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رآهم يثبون (أريهم ينزون خ) على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك، فأنزل الله تعالى: «إنّا أعطيناك الكوثر» نهر في الجنة «إنّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر» يملكونه بعدي يعني بني اميّة.

وفي استدراك شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي: وقال المدائني: دخل سفيان بن أبي ليلى الهندي عليه (أي على الامام الحسن عليه السلام) فقال: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين؟! فقال الحسن: إجلس يرحمك الله، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رفع له ملك بني امية، فنظر إليهم يعلون منبره واحداً فواحداً فشق ذلك عليه، فأنزل الله تعالى في ذلك قرآناً، قال له: «وما جعلنا الرؤيا الّتي أريناك إلّا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن» وسمعت أبي علياً رحمه الله يقول: سيلي أمر هذه الامة رجل واسع البلعوم، كبير البطن، فسئلته من هو؟ فقال: هو معاوية، و قال لي: إنّ القرآن قد نطق بملك بني امية ومدّتهم قال تعالى: «ليلة القدر خير من ألف شهر» قال أبي: هذه ملك بني امية.

وفي الكافي: باسناده عن علي بن عيسى القماط عن عمه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامه بني امية يصعدون على منبره من بعده ويضلون الناس عن الصراط القهقرى، فأصبح كئيباً حزيناً ؟ قال : فهبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال : يا رسول الله مالى أراك كئيباً حزيناً ؟ قال : ياجبرئيل إني رأيت بني امية في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي ، ويضلون الناس عن الصراط القهقرى ، فقال : والذي بعثك بالحق نبياً ان هذا شيء ما اطلعت عليه ، فعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بآي من القرآن يؤنسه بها قال : « أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ماكانوا يوعدون ما أغنى عنهم ماكانوا يمتعون »

وأنزل عليه : « إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر » جعل الله عز وجل ليلة القدر لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم خيراً من ألف شهر ملك بني امية .

أقول : إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم إضلال بني امية عليهم الهاوية للناس عن الدين الاسلامي القهقرى فوقعت الضلالة كما أراه الله عز وجل فان الناس من أتباعهم كانوا يظهرون الاسلام ويصلون إلى القبلة ، ومع هذا كانوا يخرجون من الدين شيئاً فشيئاً كالذي يرتد عن الصراط السوي القهقرى، ويكون وجهه إلى الحق حتى إذا بلغ غاية سعيه ، فرآى نفسه في نار جهنم .

وفيه: باسناده عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً كئيباً حزيناً ، فقال له علي عليه السلام : مالى أراك يارسول الله كئيباً حزيناً ؟ فقال: وكيف لاأكون كذلك ، وقد رأيت في ليلتي هذه ان بني تيم وبني عدي و بني امية يصعدون منبري هذا يردون الناس عن الاسلام القهقرى ؟! فقلت : يا رب في حياتي أو بعد موتي ؟ فقال : بعد موتك .

وفي منتخب كنز العمال: في حديث أخرجه عن مستدرك الصحيحين عن إبن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : عرضت على النار فيما بينكم و بيني حتى رأيت

ظلّي وظلّكم فيها ، فأومأت إليكم ان استأخروا فأوحى إليّ أن أقرّهم . . فأولت ذلك ما يلقى امّتي بعدي من الفتن .

وفيه: وروى أيضاً انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : أتاني جبرئيل آنفاً، فقال : « إنّا لله وإنّا إليه راجعون » قلت :فمم ذلك ؟ قال : إنّ امتك مفتتنة بعدك بقليل من الدّهر غير كثير قلت : فتنة كفر أوفتنة ضلال ؟ قال : كلّ ذلك سيكون . . . الحديث .

و في سنن ابن ماجه: كتاب الفتن الباب(٣٤) ولفظه: بينما نحن عند رسول الله إذ أقبل فتية من بني هاشم ، فلما رآهم النّبي صلى الله عليه وآله وسلم اغرورقت عيناه وتغيّر لونه ، قال : فقلت : ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه ، فقال : إنّا أهل بيت إختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً و تطريداً . . . الحديث .

وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الاسكافي : أنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل على فاطمة فوجد علياً نائماً ، فذهبت تنبهه ، فقال:دعيه! فربّ سهر له بعدي طويل ، وربّ جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة ، فبكت فقال: لاتبكي فانكما معي وفي موقف الكرامة عندي .

وفي الكافي: باسناده عن زرارة قال :كان أبو جعفر عليه السلام في المسجد الحرام فذكر بني اميّة ودولتهم ، فقال له بعض أصحابه : إنّما نرجو أن تكون صاحبهم، وأن يظهر الله عزّ وجلّ هذا الأمر على يديك ، فقال : ما أنا بصاحبهم ولا يسرّني أن أكون صاحبهم إنّ أصحابهم أولاد الزنا ، انّ الله تبارك وتعالى لم يخلق منذ خلق السموات والأرض سنين ، ولا أيّاماً أقصر من سنينهم وأيّامهم ، إنّ الله عزّ وجلّ يأمر الملك الّذي في يده الفلك فيطويه طيّاً .

قوله عليه السلام « إن أصحابهم أولاد الزنا » أي من يستأصلهم ويقتلهم أولاد الزنا بني العباس وأتباعهم وقوله عليه السلام : « من سنينهم » أي بني اميّة ويحتمل بني العباس

و في كنز الفوائد: للكراجكي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي يحيى الصنعاني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : قال لي أبي محمد بن علي : قرأ علي بن أبيطالب عليه السلام : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » وعنده الحسن والحسين عليهما السلام، فقال له الحسين عليه السلام : يا أبتا كأنّ بها من فيك حلاوة ؟ فقال له : يابن رسول الله وابني ! إني أعلم فيها مالم تعلم انها لما نزلت بعث إلي جدّك رسول الله ، فقرأها عليّ ثم ضرب علي كتفي الأيمن ، وقال : ياأخي ووصيي وولي امّتي بعدي وحرب أعدائي إلى يوم يبعثون هذه السورة لك من بعدي ولولدك من بعدك ان جبرئيل أخي من الملائكة حدّث إلي أحداث امّتي في سنتها ، و انّه ليحدّث ذلك إليك كأحداث النبوّة ، ولها نور ساطع في قلبك وقلوب أوصيائك إلى مطلع فجر القائم عليه السلام .

وفي أسباب النزول للواحدي النيسابوري باسناده عن مجاهد قال : ذكر النّبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً من بني إسرائيل لبس السّلاح في سبيل الله ألف شهر فتعجّب المسلمون من ذلك ، فأنزل الله تعالى : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر » قال : خير من الّتي لبس فيها السلاح ذلك الرجل .

و في أسباب النزول للسيوطي عن مجاهد قال: في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتّى يصبح ، ثم يجاهد العدوّ بالنهار حتّى يمسي ، فعمل ذلك ألف شهر ، فأنزل الله : « ليلة القدر خير من ألف شهر » عملها ذلك الرّجل .

وفي الجامع لاحكام القرآن للقرطبي : وقال إبن مسعود : إنّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السّلاح في سبيل الله ألف شهر ، فعجب المسلمون من ذلك ، فنزلت : « إنّا أنزلناه » الآية « خير من ألف شهر » الّتى ليس فيها الرجل سلاحه في سبيل الله ، و نحوه عن إبن عباس . وهب بن منبّه : انّ ذلك الرجل كان مسلماً وان امّه جعلته نذراً لله وكان من قرية قوم يعبدون الأصنام، وكان سكن قريباً منها ، فجعل يغزوهم وحده ويقتل ويسبي ويجاهد ، وكان لايلقاهم إلاّ بلحيي بعير، وكان إذا قاتلهم وقاتلوه وعطش انفجر له من اللحيين ماء عذب فيشرب

منه ، وكان قد اعطى قوّة في البطش لا يوجعه حديد ولا غيره وكان إسمه شمسون .

قوله : « بلحيي بعير » اللحى : عظم الحنك وهو الّذي عليه الأسنان .

وفيه: وقال كعب الأحبار: كان رجلاً ملكاً في بني إسرائيل فعل خصلة واحدة فأوحى الله إلى نبيّ زمانهم قل لفلان يتمنّى، فقال : يارب" أتمنّى أن اجاهد بمالي وولدي ونفسي ، فرزقه الله ألف ولد ، فكان يجهز الولد بماله في عسكره و يخرجه مجاهداً في سبيل الله : فيقوم شهراً ويقتل ذلك الولد ، ثم يجهز آخر في عسكر، فكان كل ولد يقتل في الشهر ، والملك مع ذلك قائم الليل صائم النهار، فقيل الألف ولد في ألف شهر، ثم تقدّم فقاتل،فقتل فقال الناس : لا أحد يدرك منزلة هذا الملك، فأنزل الله تعالى : « ليلة القدر خير من ألف شهر » من شهور ذلك الملك في القيام و الصيام والجهاد بالمال والنفس والأولاد في سبيل الله .

وفيه : وقال علي عليه السلام وعروة : ذكر النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعة من بني إسرائيل فقال : عبدوا الله ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين فذكر أيّوب وزكريّا و حزقيل بن العجوز ويوشع بن نون ، فعجب أصحاب النّبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك، فأتاه جبرئيل، فقال : يا محمّد عجبت امتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوا الله طرفة عين، فقد أنزل الله عليك خيراً من ذلك، ثمّ قرأ : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » فسرّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي نور الثقلين : عن إبن عبّاس قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل من بني إسرائيل انه حمل السّلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فعجب من ذلك رسول صلى الله عليه وآله وسلم عجباً شديداً وتمنّى أن يكون ذلك في امّته، فقال : يارب" جعلت امّتي أقصر الناس أعماراً واقلّها أعمالاً ، فأعطاه الله ليلة القدر وقال : « ليلة القدر خير من ألف شهر » الّذي حمل الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولامّتك من بعدك إلى يوم القيامة في كلّ رمضان .

و فيه : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن أبي حدّثني عن أبيه عن جدّه عن

علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذته نعسة ، و هو على منبره فرآى في منامه رجال ينزون على منبره نزو القردة يردون الناس على أعقابهم القهقرى، فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً والحزن يعرف في وجهه ، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: « و ماجعلنا الرؤيا التي أريناك إلاّ فتنة للناس و الشجرة الملعونة في القرآن و نخوفهم فما يزيدهم إلاّ طغياناً كبيراً »

يعني بني امية قال : ياجبرئيل أعلي عهدي يكونون و في زمني ؟ قال : لاولكن تدوررحى الاسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشراً ثم تدوررحى الاسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك، فتلبث بذلك خمساً ثم لابد من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها ثم ملك الفراعنة قال : وأنزل الله تعالى في ذلك: « إنّا أنزلناه في ليلة القدر-ليلة القدرخيرمن ألف شهر. . . » يملكها بنواميّة ليس فيها ليلة القدر قال : فاطلع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان بني امية تملك سلطان هذه الامّة وملكها طول هذه المدّة ، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم ، و هم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت و بغضنا أخبر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما يلقى أهل بيت محمد وأهل مودتهم و شيعتهم منهم في أيامهم وملكهم .

و في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام - في خطبة - : « فعند ذلك لايبقى بيت مدرولا وبر إلاّ و أدخله الظلمة ترحة ، و أولجوا فيه نقمة ، فيومئذ لايبقى لهم في السماء عاذرولا في الأرض ناصر، أصفيتم بالأمر غيرأهله ، و أوردتموه غيرمورده وسينتقم الله ممّن ظلم ،ما كلاً بمأ كل ،ومشرباً بمشرب ، من مطاعم العلقم ومشارب الصبر و المقر، ولباس شعار الخوف ، ودثار السيف ، و إنّما هم مطايا الخطيئات و زوامل الآثام ، فاقسم ثم اقسم ، لتنخمنّها اميّة من بعدي كما تلفظ النخامة ، ثم لاتذوقها ، ولاتطعم بطعمها أبداً ما كرّ الجديدان »

أقول: إن هذا إخبار من الإمام علي عليه السلام عن ملك بني اميّة بعده وزوال

أمرهم عند تفاقم فسادهم في الأرض بأن يحيق بهم العذاب ويبعث الله تعالى عليهم من ينتقم منهم. قوله عليه السلام: «ترحة»: حزناً. و قوله عليه السلام: «أصفيتم» خطاب لأولياء هؤلاء الظلمة و من كان يؤثر ملكهم. من أصفيت فلاناً بكذا: خصصته به، وصفيّة المغنم: شيء كان يصطفيه الرئيس لنفسه من الغنيمة. وقوله عليه السلام: «وأوردتموه غير مورده»: أنزلتموه عند غير مستحقّه.

ثم قال الإمام عليه السلام: سيبدّل الله جلّ وعلا مأكلهم اللذيذة الشهيّة بما كل مريرة علميّة، و «المقر»: الممرّ وجعل شعارهم الخوف لأنّه باطن في القلوب، ودثارهم السيف لأنّه ظاهر في البدن كما أنّ الشعار ماكان إلى الجسد والدّثار ماكان فوقه «مطايا الخطيئات»: حوامل الذنوب، و «زوامل الآثام»: جمع زاملة وهي بعير يستظهر به الانسان يحمل متاعه عليه، و «لتنخمنّها» النخامة: النخاعة و «الجديدان»: الليل والنهار.

وقوله عليه السلام: «ثم لاتذوقها ولاتطعم بطعمها أبداً» قال إبن أبي الحديد: فان قلت: كيف قال: «ثم لاتذوقها أبداً» وقد ملكوا بعد قيام الدولة الهاشميّة بالمغرب مدة طويلة؟ قلت: الاعتبار بملك العراق والحجاز وماعداهما من الأقاليم النائية لا إعتداد به.

وفي نهج البلاغة: قال الامام عليّ عليه السلام - في خطبة له -: «حتّى ظنّ الظانّ أنّ الدنيا معقولة على بني اميّة، تمنحهم درّها، وتوردهم صفوها، ولا يرفع عن هذه الامّة سوطها و لاسيفها، وكذب الظانّ لذلك، بل هي مجّة من لذيذ العيش يتطعّمونها برهة، ثم يلفظونها جملة»

قوله عليه السلام: «معقولة»: محبوسة بعقال كما تعقل النّاقة، و «تمنحهم»: تعطيهم، و «درّها» الدّرّ في الأصل: اللبن، جعل الدنيا كناقة معقولة عليهم تمنحهم لبنها، ثم استعمل الدّرّ في كلّ خير ونفع، فقيل: لادرّ درّه أي لا كثر خيره ويقال في المدح: لله درّه أي عمله. و «مجّة» مصدر مجّ الشراب من فيه

أي رمى به وقذفه ، ويقال : انمجّت نقطة من القلم أي ترشّشت ، وشيخ ماجّ أي كبير يمجّ الريق ، ولايستطيع حبسه لكبره و « يتطعّمونها » أي يذوقونها و « برهة » : مدّة من الزمان فيها طول و « يلفظونها » من لفظت الشيء من فمي : رميته ، أي يلفظونها كلّها لايبقى منها شيء معهم .

وفي حديث : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » سورة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين .

أقول : وذلك باعتبار تقدير الولاية لهم في هذه الليلة المباركة ونزول الملائكة عليهم فيها دون غيرهم ، وإختصاص الرّوح بهم فانّها الرّوح القدس الّتي لاتناسبها إلاّ الولاية الالهية ، وانّ أهل البيت هم المخصوصون بتنزل الملائكة عليهم في ليلة القدر دون غيرهم ، فنسبت السورة إليهم لذلك.

وفي معاني الاخبار : باسناده عن الفضل بن عثمان قال : ذكر عند أبي عبد الله عليه السلام « إنّا أنزلناه في ليلة القدر» قال : ماأبين فضلها على السور؟ قال : قلت : وأي شيء فضلها ؟ قال نزلت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فيها قلت: في ليلة القدر الّتي نرجّيها في شهر رمضان ؟ قال : نعم هي ليلة قدّرت فيها السموات والأرض و قدّرت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فيها .

وفي الخصال باسناده عن الحسن بن العبّاس عن أبي جعفر الثاني عليه السلام : انّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لابن عباس : إنّ ليلة القدر في كلّ سنة ، وانّه يتنزّل في تلك الليلة أمر السنة ، و لذلك الأمر ولاة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال إبن عبّاس : من هم ؟ قال : أنا وأحد عشر من صلبي أئمّة محدّثون.

وفيه : بهذا الاسناده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه : آمنوا بليلة القدر انّها تكون لعليّ بن أبيطالب عليه السلام و ولده الأحد عشر من بعدي .

وفي معاني الاخبار : باسناده عن إبن نباتة عن عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ياعليّ أتدري مامعنى ليلة القدر؟ فقلت : لايارسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم : انّ الله تبارك وتعالى قدّر فيها ما هو كائن إلى يوم القيامة ، فكان فيما قدّر عزّ وجلّ ولايتك وولاية الأئمة من ولدك إلى يوم القيامة .

و في **بصائر الدرجات** للصفّار رحمة الله تعالى عليه باسناده عن بريدة قال : كنت جالساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله و عليّ عليه السلام معه إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم : ياعليّ ألم أشهدك معي سبعة مواطن : المواطن الخامسة ليلة القدر خصّصنا ببركتها ليست لغيرنا .

وفي نهج البلاغة : قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام ـ في خطبة ـ : « إن لبني اميّة مروداً يجرون فيه ، ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم لو كادتهم الضباع لغلبتهم » قال السيّد الرّضي رضوان الله تعالى عليه : و هذا من أفصح الكلام وأغربه ، والمرود هيهنا : مفعل من الارواد وهو الامهال و الانظار فكأنّه عليه السلام شبّه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى الغاية ، فاذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها .

قال إبن أبي الحديد في الشرح : هذا إخبار عن غيب صريح لأنّ بني اميّة لم يزل ملكهم منتظماً لمّا لم يكن بينهم إختلاف ، وإنّما كانت حروبهم مع غيرهم كحرب معاوية في صفين و حرب يزيد أهل المدينة ، و إبن الزبير بمكة ، وحرب مروان الضحاك ، وحرب عبدالملك إبن الأشعث ، وإبن الزبير ، وحرب يزيد ابنه بني المهلّب ، وحرب هشام زيد بن عليّ ، فلمّا ولى الوليد إبن يزيد وخرج عليه إبن عمّه يزيد بن الوليد و قتله إختلفت بنو اميّة فيما بينها ، وجاء الوعد ـ وصدق من وعده ـ فانّه منذ قتل الوليد دعت دعاه بني العبّاس بخراسان ، أقبل مروان بن محمّد من الجزيرة يطلب الخلافة ، فخلع إبراهيم بن الوليد ، و قتل قوماً من بني اميّة ، و اضطرب أمر الملك و انتشر و أقبلت الدولة الهاشميّة ، و زال ملك بني اميّة ، و كان زوال ملكهم على يد أبي مسلم ، وكان في بدايته أضعف خلق الله و أعظمهم فقراً ومسكنة ، وفي ذلك تصديق قوله عليه السلام : « ثم لو كادتهم الضباع لغلبتهم »

﴿ القراءة ﴾

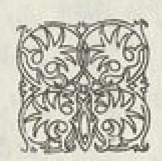
قرءشاذاً « شهر تنزّل » بتشديد التاء والجمهور على تخفيفها ،ومن الشواذّ قراءة إبن عباس وعكرمة والكلبى « من كلّ امرء » والجمهور « من كلّ أمر » و من الشواذّ قراءة الكسائي وخلف « مطلع » بكسر اللام ، على أنّ المصادر التي تكون على المفعل ماقد كسر كقولهم : علاه المكبر والمعجزة ، والجمهور على فتحها ،على أنّ « مطلع » هنا مصدر بدلالة أنّ المعنى : سلام هي حتّى وقت طلوع الفجر، و إلى وقت طلوعه نحو مقدم الحاج ،وخفوق النجم يجعل المصدر فيه زماناً على تقدير حذف المضاف ، فالقياس أن يفتح اللام كما أنّ مصادر سائر ماكان من فعل يفعل مفتوح العين نحو المخرج والمدخل.



ولايخفى على القاريء الخبير الأديب : انّ الفتح والكسر لغتان في المصدر ، وانّ الفتح هو الأصل في فعل يفعل نحو : المقتل والمدخل والمخرج ، وورد بالكسر كثيراً نحو : المسجد و المشرق و المغرب . . . وقد حكى في ذلك كلّه الفتح و الكسر على أنّ يراد به المصدر لا الاسم .

﴿الوقف والوصل﴾

«في ليلة القدرج» للنفي والاستفهام، والوصل أولى لاتّصال المبالغة في التعظيم به، و«ماليلة القدرط» لأنّ مابعدها مبتدأ وإن كانت الجملة التالية بيانا لما قبلها، و«شهرط» لأنّ مابعده مستأنف تعليلي، و«ربهم ج» لاحتمال تعلّق «من كلّ» بقوله: «تنزّل» ولاحتمال تعلّقه بقوله: «سلام» أي هي من كلّ عقوبة سلام، أو من كلّ واحد من الملائكة سلام من المؤمنين، وعلى هذا يوقف على أمر ويوقف على سلام. وقيل: لايوقف على سلام أيضاً والتقدير: هي سلام من كلّ أمر حتّى مطلع الفجر.



﴿ اللغة ﴾

٣٠- النزول - ١٥٠٥

نزل ينزل نزولاً و منزلاً ـ من باب ضرب ـ : إنحطّ و انحدر من علو إلى سفل، و من هذا نزول المطر، و نزول الملك، و نزول الوحي السماوي من القرآن الكريم والكتب السماوية قبله عكس الصعود. و نزول الوحي: بلوغه من انزل عليه لأنّه ينزل بنزول الملك به في معظم الأمر.

قال الله تعالى: « إنّا أنزلناه في ليلة القدر ـ تنزّل الملائكة و الروح » القدر: ١-٤).

و نزل بكذا و أنزله بمعنى. النزول: الهبوط، و منه الحديث: « نزل به الكتاب و نزل به جبرئيل » أي هبط وجاء به. ويقال: نزل عن دابته و نزل في مكان كذا: حطّ رحله فيه و أنزله غيره، والنزول: الحلول، و قد نزلهم و نزل عليهم و نزل بهم ينزل نزولاً و منزلاً ـ بكسر الزاء و فتحها ـ: حلّ، و أنزل الضيف: أحلّه و أقام نزله، و نزل فلان عن الحق: تركه كأنّه كان مستعلياً عليه مستولياً، يقال: أنزل لي عن هذه الأبيات: اتركها، و استنزل فلان: انحطّ عن مرتبته.

و يقال: نزل العذاب بالقوم: حلّ بهم و وقع، و أصل هذا أن يقال: نزل المسافر: إذا نزل عن راحلته، و من إنزال العذاب قوله جلّ و علا: « انّا

منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء » العنكبوت : ٣٤) .

والمنزل : موضع النزول ، جمعه منازل ، وللشمس والقمر منازل يتنقّلان فيها في مسيرهما و هي نجوم لها أسماء خاصّة في العربية و هي على ما هو مقرّر ثمانية و عشرون منزلاً . قال الله تعالى : « هو الّذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً و قدّره منازل » يونس : ٥) .

و المنزل : الدرجة و الرتبة ، و منه : فلان ذومنزل عند السلطان ، و هو عندي بتلك المنزلة أي المرتبة ، و هي في الامور المعنوية كالمكانة ، يقال : هو رفيع المنزلة ، و منه الحديث : « اعرفوا منازل الرجال على قدر رواياتهم عنّا » أي مراتبهم في الفضل و درجاتهم في حبّنا و ولائنا .

و المنزل يأتي مصدراً بمعنى الإنزال وإسماً لمكان الإنزال . قال الله تعالى : « و قل ربّ أنزلني منزلاً مباركاً و أنت خير المنزلين » المؤمنون : ٢٩) يحتمل أن يكون المنزل بمعنى الإنزال ، و أن يكون مكان الإنزال . و في الحديث : « لعن الله المتغوّط في ظلّ النزال » أي المسافرين . المنزل : مكان النزول تقول : هو من الكرم بمنزل ، و من اللؤم بمعزل ، و المنزل دون الدار و فوق البيت ، و أقلّه بيتان أو ثلاثة جمعه منازل ، و قرن المنازل : ميقات أهل نجد .

النزل - كقفل و عنق - : المنزل و ما يعدّ للضيف إذا نزل عليه ، و يقال : إنّ فلاناً لحسن النزل والنزل أي الضيافة ، و النزل ما يهيّىء للنزيل من طعام وغيره والجنّة نزل المتقين قال الله تعالى : « فلهم جنات المأوى نزلاً » السجدة : ١٩) والنار نزل الكافرين قال الله جلّ وعلا : « إنّا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً » الكهف : ١٠٢) و هذا على التهكّم بهم .

و في الحديث : « اللهم إني أسئلك نزل الشهداء » يريد ما للشهداء عندالله من الأجر والثواب ، و منه حديث الدعاء للميت : « وأكرم نزله » ورجل ذو نزل - كفرس - : كثير الفضل والعطاء والبركة ، و النزل - كقفل - : الريع و الفضل

والجمع : الأنزال ، وأرض نزلة : زاكية الزرع والكلاء ، وثوب نزيل : كامل نزل الرجل نزلة ـ من باب علم ـ : زكم ، و نزل الزرع نزلاً : راع و زكى و نمى و النزلة كالزكام تعرض عن برد يقال : به نزلة ، ونزل المكان : سال من أدنى مطر لصلابته ، و طعام قليل النزل ـ على وزني قفل وفرس ـ : قليل الريع والعطاء والبركة ، يقال : فلان ليس له نزل أي ليس له عقل ولامعرفة .

و النزالة ـ بالكسر ـ : السفر والضيافة ، يقال : كنّا في نزالة فلان أي في ضيافته ، و النزيل : الضيف و الطعام ذوالبركة ، و النزيل : المقيم ، و جمعه : نزلاء . و أنزل المسافر: هيّأ له مكاناً ينزل فيه و أعانه في النزول .

و مكان نزل : ككتف ـ : المكان الصلب السريع السيل ، مكان نزل :ينزل فيه خير كثير، وخطّ نزل : مجتمع . ونزال ـ بفتح النون ـ : إسم فعل للأمر بمعنى أنزل ، يأتي للواحد والجمع و المؤنث ، و النزالة ـ بالفتح ـ سيلان الأرض من أدنى مطر لصلابتها . و النزالة ـ بالضم ـ و النزل ـ بالضم ثم السكون ـ يكنّى بهما عن ماء الرجل إذا خرج عنه بالجماع ، يقال : فلان من نزالة سوء إذاكان لئيم الأب ، و طعام نزل ـ بضمتين ـ و ذونزل : له ريع و حظّ ، و نزل ـ بالفتح ثم الكسر ـ : مجتمع تشبيهاً بالطعام النزل . و مكان نزل ـ ككتف ـ : واسع بعيد .

والنزلة : المرّة الواحدة من النزول ، و تقول : فعلت ذلك نزلة أي مرّة واحدة . قال الله عزّوجلّ : « و لقد رآه نزلة اخرى » النجم : ١٣) أي مرّة اخرى ، جمعها : نزلات ، يقال : تركتهم على نزلاتهم ـ بكسر الزاء و فتحها ـ : على إستقامة أحوالهم و يقال : وجدت القوم على نزلاتهم : منازلهم .

أنزله : نزله و يقال : أنزل الله الشّيء من نعمة أونقمة : خلقه أوهدى إليه، و ذلك انّ هذه الأشياء ترجع إلى أسباب سماوية كالمطر و أشعّة الكواكب أوأنّها مقضيّة مكتوبة في اللوح المحفوظ، وتنزل الملائكة الموكّلة باظهارها في العالم

السفلي ، فينسب الانزال بذلك إليها ، و من ذلك إنزال الأنعام وإنزال الحديد .

قال الله تعالى : « و أنزلنا معهم الكتاب و الميزان ليقوم الناس بالقسط و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد » الحديد : ٢٤) .

فانزال الميزان الهداية إليه أو الأمر به في الكتب السماويّة ، و إنزال الحديد خلقه ، وإنزال اللباس هداية النّاس إليه : « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم و ريشاً » الاعراف : ٢٦) أي خلقنا ، و قد عبّر عنه بالانزال لأنّه بتدبيرات سماوية أو يرجع إلى النبات الناشيء عن المطر ، فأسباب اللباس من السماء فهو من القطن أونحوه و هو يفتقر إلى المطر ، فذلك إمّا بانزال الشّيء نفسه كإنزال القرآن و إمّا بانزال أسبابه و الهداية إليه كانزال الحديد واللباس ونحوهما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : « ان ّالله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض : أنزل الحديد والماء و النار و الملح »

و أنزل حاجته على كريم : سئله قضائها ، و في الحديث : « نازلت ربّي في كذا » أي واجعته و سئلته مرّة بعد مرّة .

النازلة : الشدة و المصيبة الشديدة من شدائد الدهر و نوائبها تنزل بالناس جمعها : نوازل و نازلات يقال : أصابته نازلة من نوازل الدّهر ، نسئل الله تعالى العافية .

و النزال من الحرب : المنازلة ، نازلة في الحرب منازلة ونزالاً : قاتله ، و نزل كل واحد في مقابلة الآخر ، و يقال : حاربوا بالنزال وهو أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا ، و تنازل القوم : نزلوا عن إبلهم إلى خيلهم فتضاربوا .

نزّل القرآن الكريم - من باب التفعيل - : جعله ينزل نجوماً .

قال الله تعالى : « ذلك بأنّ الله نزّل الكتاب بالحق » البقرة : ١٧٢)

وقال «وقرآنا فرقناه لتقرأه على النّاس على مكث و نزّلناه تنزيلاً » الاسراء:١٠٦)

نزّلة : صيّره نازلاً و نزّل القوم : أنزلهم المنازل ، و نزّل الشيء : رتّبه و نزّل عيره : قدّر لها المنازل ، و نزّل الشّيء مكان الشّيء: أقامه ، والتنزيل: الترتيب . و الفرق بين الإنزال و التنزيل في وصف القرآن الكريم و الملائكة أنّ التنزيل يختصّ بالموضع الّذي يشير إليه إنزاله مفرّقاً ، و مرّة بعد اخرى ، و الإنزال عام .

قال الله تعالى : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » و إنّما خصّ لفظ الإنزال دون التنزيل لماروى انّ القرآن نزل دفعةواحدةإلى سماء الدنيا ، ثم نزل منجّماً بحسب المصالح ، و أما التنزيل فهو كالنزول به يقال : نزل الملك بكذا ، وتنزّل ، ولا يقال : نزل الله بكذا ولا تنزّل .

تنزّل ـ من باب التفعّل ـ نزل في مهلة ، ويقال : نزل في تمهّل وتدرّج يقال : تنزّل الملك بالوحي : « تنزّل الملائكة والروح » القدر : ٤) تنزّل : أصلها تتنزّل ، فحذفت إحدى التائين تخفيفاً . ولا يقال المفترى والكذب و ما كان من الشيطان : إلّا التنزل ، و تنزّل الشيطان على وليّه بالخبر يسترقه من السماء : « و ما تنزّلت به الشياطين » الشعراء : ٢١٠) و يقال : يتنزّل أمر الله في السموات والأرض: يظهر خلقه وأفعاله ،و تنزّل البركة من السماء تنزّل في مهلة.

فى النهاية: في الحديث : « انّ الله تعالى ينزل كلّ ليلة إلى سماء الدنيا »

النزول و الصعود و الحركة و السكون من صفات الأجسام ، والله يتعالى عن ذلك و يتقدّس ، والمراد به نزول الرحمة والألطاف الالهيّة وقربها من العباد و تخصيصها بالليل و الثلث الأخير منه لأنّه وقت التهجّد و غفلة الناس عمن يتعرّض لنفحات رحمة الله و عند ذلك تكون النيّة خالصة ، و الرغبة إلى الله وافرة ، و ذلك مظنّة القبول و الإجابة .

وفى المجمع : نزلة الحوراء هي الّتي أنزل الله تعالى على آدم من الجنّة

فزوّجها إبنه شيث ، و يقال : نزلة و منزلة كلاهما إسم لحوريتين من حور الجنة أنزلهما الله تعالى علي آدم زوّج بهما إبنيه شيث و يافث ، فولد لأحدهما غلام ، و للأخر جارية ، فأمر الله آدم حين أدركا أن يزوّج إبنة يافث من إبن شيث ، ففعل .

وروى : انّ الله أنزل على آدم حوراء من الجنّة ،فزوّجها أحد إبنيه ،وتزوّج الآخر إبنة الجانّ ، فما كان من الناس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء ، وما كان منهم من سوء خلق فهو من إبنة الجانّ .

وفي القاموس وشرحه : إذا وصلت مادّة النزل من الملأ الأعلى كانت بغير واسطة تعديتها بعلي المختصّ بالعلوّ ، و مالم تكن كذلك فتعدى بإلى المختصّ بالإتصال ، و التنزيل : الترتيب ، و التنزّل : النزول في مهلة ، وفرق جماعة من أرباب التحقيق فقالوا : التنزيل تدريجيّ ، والإنزال دفعيّ .

١٣- القدر - ١٢٠٥

قدرالله تعالى الرزق يقدره قدراً - بفتح القاف وسكون الدال - وقدراً - بفتح القاف و كسر الدال - من باب ضرب و نصر - :قسّمه وجعله محدوداً ضيقاً ، و قدرعليه رزقه : ضيّق و قتر و جعله على قدر البلغة ، وقدر الشّيء يقدره : حدّد مقداره أو زمانه أو مكانه ، فهو قادر وهم قادرون ، و قدرفلان الرزق على عياله : ضيّقه عليهم .

قال الله عزّوجلّ : « وأمّا إذا ما ابتلاه فقدرعليه رزقه »الفجر:١٦) أي ضيّقه عليه ، و قدر الشيء : جمعه وأمسكه ، و منه سمّيت القدر- بكسر القاف وسكون الدال - لجمعها ما فيها و إمساكه ، و قدر الشّيء قدارة : هيّأه و وقّته ، و منه : « فــان غمّ عليكم الهلال فاقــدروا له » أي فقدّروا عدد الشهر حتّى تكملوه أي فكمّلوا شعبان ثلاثين يوماً .

وقدر الله الأمر يقدره : دبّره أو أراد وقوعه بحسب تدبيره فهو قادر .

قال الله تعالى : « فقدرنا فنعم القادرون » المرسلات : ٢٣) أي دبّرنا الامور . أو أردنا وقوعها بحسب تدبيرنا ، والماضي المبني للمفعول منه قدر أي دبّر أو اريد وقوعه . وقال تعالى : « فظنّ أن لن نقدر عليه » الأنبياء :٨٧) أي أن لن ندبّر له أمراً كالعقوبة أو أن لن نضيّق عليه في أمر يحبس ونحوه أو أن لن نضيق عليه رزقه، والمراد : انا نرزقه من غير تضييق سواء كان مقيماً بين أقوامه أو مهاجراً عنهم.

و قدر الشيء بالشيء : قاسه به وجعله على مقداره . قال الله تعالى : «على أمر قد قدر» القمر: ١٢) أي على حال قدرها الله جلّ وعلا كيف يشاء أو على حال جائت مقدرة مستوية بأن قدرما أنزل من السماء كقدرما أخرج من الأرض سواء بسواء .

وقدر المؤمن الله تعالى يقدره قدراً : عظّمه وأنزل المنزلة اللائقة بساحة قدسه ، وعظم جلاله . قال الله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره » الانعام : ٩١) أي ماعظّموه أو أنزلوه منزلة لائقة بقدره الرفيع . والقدر ـ بفتح القاف وسكون الدال ـ : الشرف و العظمة و التزيين و تحسين الصورة ، وبه فسّر قوله تعالى : « فقدرنا فنعم القادرون » أي صوّرنا فنعم المصوّرون .

وقدر على الشيء يقدر: قوى أو استطاع أن يتناوله يتغلب عليه ، يقال : قدرت على الشيء : قويت عليه وتمكّنت منه . ويقال : قدر على العمل ، و قدر على الشخص .

قال الله تعالى : « إلّا الّذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم » المائدة: ٣٤) أي من قبل أن تتغلبوا عليهم . والمقدرة ـ مثلثة الدال ـ : القوّة واليسار والغنى، والأخيران مأخوذان من القوّة لأنّ كلاً منهما قوّة ـ كالقدرة ـ بالضمّ ـ يقال: رجل ذو قدرة ومقدرة أي غني ويسار.

قال الله تعالى : « ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء » النحل:٧٥)

أي لايقوى أو لايستطيع أن يتصرف في شيء ، وقدرعليه قدراً - بفتح الدال ثم السكون - وقدرة - بالضم فالسكون - ومقدرة - مثلثة الدال - ومقداراً - بكسر الميم ثم سكون القاف - وقدارة - بفتح القاف - وقدورة وقدوراً - بضم القاف - وقدراناً - بكسر القاف و قداراً - بفتح القاف و كسرها - : قوى عليه فهو قادر و قدير. وقدرالله عليه الأمر: قضى وحكم به عليه ، وأمر مقدور عليه : محتوم عليه .

القادر : إسم فاعل من قدر، وجمعه : قادرون . قال الله عزّ وجلّ : « قل إنّ الله قادرعلى أن ينزل آية » الأنعام : ٣٧) أي ذوقدرة بالغة ليس فوقها قدرة وهو مقدّر كلّ شيءوقاضيه . و قال تعالى : « و غدوا على حرد قادرين » القلم : ٢٥) أي محدّدين للزمن الذي ينفذهم فيه عزمهم ، و هو أن يستولوا هم وحدهم على ثمارالبستان . و قال : « بلى قادرين على أن نسوّي بنانه » القيامة : ٤)أي مستطيعين تمام الإستطاعة . وليلة قادرة : هيّنة لينة السيرلاتعب فيها .

القدرة : بالضمّ فالسكون - إسم : القوّة على الشيء والتمكّن منه ، و في التعريفات : القدرة هي الصّفة التي يتمكّن بها الحيّ من الفعل و تركه بالارادة، و انّ القادر والمقتدر إذا وصف الله تعالى بهما ، فالمراد نفي العجزعنه فيما يشاء و يريد ، و محال أن يوصف بالقدرة المطلقة غيرالله و إن اطلق عليه لفظاً .

فاذا وصف الانسان بالقدرة فهي إسم لهيئة له يتمكّن بها من فعل شيءما، و إذا وصف الله جل و علا بها فهي نفي العجزعنه ، و محال أن يوصف غيرالله بالقدرة المطلقة معنىً وإن اطلق عليه لفظاً ، بل حقّه أن يقال : قادر على كذا ، و متى قيل : هو قادر فعلى سبيل معنى التقييد ، و لهذا لا أحد غيرالله يوصف بالقدرة من وجه إلاّ و يصحّ أن يوصف بالعجزمن وجه ، و انّ الله تعالى هو الّذى ينتفي عنه العجزمن كلّ وجه .

القدير - فعيل للمبالغة - : العظيم القدرة، الفاعل لما يشاء على قدرماتقتضي به الحكمة الالهية لازائداً عليه ولا ناقصاً ، و لذلك لا يصحّ أن يوصف به إلاّ الله

جلّ وعلا ، و هو من صفات الله تعالى و أسمائه الحسنى بمعنى ذي القدرة المطلقة.

قال الله تعالى : « يخلق ما يشاء والله على كلّ شيء قدير » المائدة : ١٧)

و القدير: اللحم المطبوخ في القدر ـ بكسر القاف فسكون ـ كقوله :« صفيف شواء أوقدير معجّل » .

القدر ـ بفتح القاف وسكون الدال ـ : العظمة و الشرف قال الله تعالى : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » القدر :١) أي ليلة العظمة و الشرف الّتي شرّفها الله تعالى بيده إنزال القرآن الكريم فيها ، و هي الليلة الّتي تقدر فيها الأرزاق ، و تقضي ، قال تعالى : « فيها يفرق كلّ أمر حكيم »الدخان: ٤) ليلة قيّضها للامور كلها . والقدر ـ بفتح القاف و سكون الدال و فتحها ـ : القضاء و الحكم و هو ما يقدّره الله عزّ وجلّ من القضاء و يحكم به من الامور . و منه حديث الإستخارة: « فاقدره لي ويسّره » أي إقض لي به و هيئه . و في حديث الإستخارة الآخر: « اللهم إنّي أستقدرك بقدرتك » أي اطلب منك أن تجعل لي عليه قدرة .

و قدر الشّيء : كميّته المقدّرة له ، قال الله عزّ وجلّ : « قد جعل الله لكلّ شيء قدراً » الطلاق : ٣) أي كميّة أوحدوداً معيّنة ينتهي إليها في حياته.

وقدر الشخص : منزلته المعنوية أومركزالإجتماعي . قال الله تعالى : « و ما قدروا الله حق قدره»الانعام :٩١)أي ما عظّموه حق التعظيم اللائق به الواجب له أوماعرفوا كنهه .

قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : «هلك امرء لم يعرف قدره » و ذلك لأنّ من لم يعرف قدره في مظنّة أن يتجاوزه .

و قال الإمام عليّ عليه السلام : « العالم من عرف قدره و كفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره » حصر العالم فيمن عرف قدره لأنّ ذلك يستلزم معرفته لنفسه ، فلا يتجاوز حدّه ، و في ذلك تمام العلم و يلزمه من ذلك انّ من لا يعرف قدره لا يكون عالماً لأنّ سلب اللازم يستلزم سلب الملزوم ، فيكون إذاً جاهلاً . و يقال : له عندي قدر أي حرمة و وقار .

و قال الإمام علي عليه السلام : « قدر الرجل على قدر همّته» قدره : منزلته في إعتبار الناس من تعظيم وإحتقار و هو من لوازم علو همّته أودنائتها فعلوّ همّته أن لا يقتصر على بلوغ أمر من الامور التي يراد بها شرفاً و فضيلة حتّى يسموّ إلى ما ورائها مما هو أعظم ، و يلزم من ذلك تعظيمه وصغرها أن لايقتصر على محتقرات الامور و بحسب ذلك يكون قدره .

و قيل للإمام الخامس محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام : « من أعظم الناس قدراً ؟ قال : من لا يرى الدنيا لنفسه قدراً »

القدر ـ بالفتح ثم السكون ـ : رأس الكتف ، و القدر : الوسط من الرحال و السروج و نحوهما ، تقول : هذا سرج قدر يخفف و يثقل . و القدر : تدبير الأمر، يقال :قدره: تدبيره .

القدر ـ بفتح القاف و الدال ـ : المقدار أو الكمّيّة . قال الله عزّ وجلّ : « و إن من شيء إلّا عندنا خزائنه و ماننزّله إلّا بقدر معلوم » الحجر : ٢١) أى بمقدار أو كمّيّة معلومة . و القدر : وقت الشّيء المقدّر له ، و المكان المقدّر له. قال الله جلّ وعلا : « إلى قدر معلوم » المرسلات : ٢٢) و قال : « فسالت أودية بقدرها » الرعد : ١٧) أي بقدر المكان المقدّر لأن يسعها . و قال : « و غدوا على حرد قادرين » القلم : ٢٥) أي قاصدين أي معيّنين اوقت قدّروه .

و القدر : الموعد ، و قدر الانسان الشّيء : حرزه ليعرف مبلغه ، و قدر الشّيء : زمانه و مكانه . قال الله تعالى : « ثم جئت على قدر يا موسى » طه : ٤٠) أي في وقت حدّد لك . و قدر الرجل : طاقته ، قال تعالى : « و متّعوهن على الموسع قدره و على المقتر قدره » البقرة : ٢٣٦) أي بحسب طاقته ومقدرته المالية.

والقدر : ما يقدّره الله تعالى من القضاء ، و عرفه بعضهم بأنّه تعلّق الإرادة بالأشياء في أوقاتها . . فقدر الله تعالى : قضائه المحكم أو حكمه المبرم على مخلوقاته . قال تعالى : « وكان أمر الله قدراً » الأحزاب : ٣٨) أي قضاء محكماً و

حكماً مبرماً .

والقدر : مبلغ الشّيء ، والقدر : الطاقة ، و جمعه : أقدار، والقدر: القضاء الموفق ، يقال : قدّر الإله كذا تقديراً، وإذا وافق الشّيءالشّيءقلت : جاءه قدره. و قال اللحياني : القدر ـ بفتح القاف و الدال ـ : إسم و ـ بفتح القاف وسكون الدّال ـ : مصدر .

والقدرة ـ محركة ـ : القارورة الصغيرة ، و القدرة : حدّ معلوم بين كلّ نخلتين ، يقال : كم قدرة نخلك و غرس على القدرة .

القدرية: قوم يجحدون القدر ، يقولون : إنّ كلّ عبد خالق افعله ، و لايرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى ومشيّته ، فنسبوا إلى القدر لانه بدعتهم و ضلالتهم .

فى شرح المواقف : قيل : القدرية هم المعتزلة لإسنادأفعالهمإلى قدرتهم. و في الحديث: « لايدخل الجنة قدريّ » و هو الّذي يقول : لايكون ماشاء الله و يكون ماشاء إبليس .

القدر ـ بكسر القاف و سكون الدال ـ : إسم لإناء من نحاس أونحوه يطبخ فيه يقال : قدرت اللحم : طبخته في القدر،والقدير: المطبوخ فيها،والقدرـ بضمّ القاف ـ : الطابخ في القدر ، والقدار : الّذي ينحر ويقدر، والقدار : الثعبان العظيم و قيل : الحيّة . و جمع القدر: قدور قال تعالى : « و جفان كالجواب و قدور راسيات » سبأ : ١٣) والقدر : الغلام الخفيف الروح ، الثقيف اللقيف ، و قدار بن سالف هوأحيمر ثمود عاقر ناقة صالح عليه السلام .

المقدور : المقضيّ أوالمحكوم به قال الله تعالى : « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » الأحزاب : ٣٨) فقدر : إشارة إلى ماسبق به القضاء والكتابة في اللوح المحفوظ ، والمقدور : إشارة إلى ما يحدث عنه حالاً فحالاً مما قدّر وهو المشار إليه بقوله جلّ وعلا : « كلّ يوم هوفي شأن» الرحمن: ٢٩) وعلى ذلك قوله عزّ وجلّ :



« و ما ننزّله إلّا بقدر معلوم » الحجر: ٢١)

المقدار - بالكسر - مقدار الشيء : كميّة المقدورة له من وزن أومساحة أوزمان و نحوها . . . قال الله تعالى : « و كلّ شيء عنده بمقدار » الرعد: أي له كميّة معيّنة . و قال : « ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون» السجدة : ٥) أي طوله أو إمتداده .

و مقدار الشّيء للشيء : المقدور له وقتاً كان أوزماناً أوغيرهما .

و قدر كلّ شيء و مقداره : مقياسه و مبلغه و ما يعرف به قدر الشيء من معدود أومكيل اوموزون جمعه مقادير.

وقدر الرجل يقدرقدراً - بفتح القاف والدال - من باب حسب وفرح -: قصرعنقه ، فهو الأقدر : قصيرالعنق ، والأقدر : فرس إذا سار وقعت رجلاه مواقع يديه . و قيل : الأقدر : الّذي يضع رجليه حيث ينبغي ، و الأقدر : القصيرمن الرجال ، و رجل مقتدر .

أقدره الله تعالى عليه : جعله قادراً متمكّنا منه .

قدر الشيء يقدره تقديراً - من باب التفعيل - حدّد مقداره أوإمتداده.

قال الله عزّوجلّ: « و بارك فيها و قدّر فيها أقواتها في أربعة أيام » فصلت : ١٠) أي حدّد كميّات الأقوات اللازمة لأهلها . و قال : «والقمر قدّرناه منازل » يس : ٣٩) أي حدّدنا سيره في منازل معيّنة ، و قيل : قضينا بأن يكون سيره في منازل معينة .

و قدّرالله الشّيء : جعله بحيث ينهج منهجاً صالحاً له في حياته، قال الله عزّوجلّ : « و الّذي قدّر فهدى » الأعلى : ٣) أي جعل المخلوقات بحيث ينهج كلّ منها منهجاً صالحاً في حياته و هداه لما فيه خلاصه إمّا بالتسخيروإمّا بالتعليم كما قال : « أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى» أوحدّده على مايليق به أوقسم أحواله...

و قدر الله تعالى الشيء : دبّر أمره . قال الله جلّ وعلا : « وخلق كلّ شيء

فقدّره تقديراً » الفرقان : ٢) أي دبّر أموره أو جعله بحيث ينهج منهجاً صالحاً له في حياته أو حدّده على ما يليق به . وقال: « إلّا إمرأته قدّرنا انها لمن الغابرين الحجر: ٦٠)

و قدّر في الأمر: تمهّل و تروّى في إنجازه . قال الله تعالى : « انه فكّر و قدّر » المدثر: ١٨) أي تمهّل و تروّى ليتبيّن ما يقوله في القرآن الكريم . وقال تعالى : « وقدّر في السرد» سبأ ١١) أي تمهّل وتروّ في السرد كي تحكمه . و قدّر فلان على عياله : فكّر في تسوية أمرهم .

التقدير- مصدر قدّر- تحديد قيمة الشّيء أو مقداره أو منهجه . . .

قال الله عزّ وجلّ : « و خلق كلّ شيء فقدّره تقديراً » الفرقان : ٢) أي حدّد مقداره تحديداً تامّاً أو حدّد المناهج الصالحة له في حياته . و في الحديث قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قدّر التقادير ودبّر التدابير قبل أن يخلق آدم بألفي عام »

التقدير: التدبير المحكم ، قال الله تعالى: «والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم » الانعام : ٩٦) أي تدبيره المحكم . والله تعالى مقدّر كلّ شيء و قاضيه .

إنّ تقدير الله عزّ وجلّ الأشياء على وجهين . **أحدهما** - باعطاء القدرة . **ثانيهما** - بأن يجعلها على مقدار مخصوص و وجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة ، و ذلك انّ فعل الله تعالى على ضربين : ضرب أوجده بالفعل ، و معناه : إبداعه كاملاً دفعة لا تعتريه الزيادة والنقصان إلى أن يشاء أن يفنيه أو يبدّله كالسموات وما فيها ، ومنها ماجعل اصوله موجودة بالفعل و أجزائه بالقوة ، و قدّره على وجه لا يتاتّى منه غير ما قدّره فيه كتقديره في النّواة أن ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون ، و تقدير منيّ الإنسان أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوانات . . .

فتقدير الله تعالى على وجهين : أحدهما بالحكم منه أن يكون كذا أولا يكون كذا ، إمّا على سبيل الوجوب ، وإمّا على سبيل الإمكان ، وعلى ذلك قوله تعالى : « قد جعل الله لكل شيء قدراً » **والثاني:** باعطاء القدرة عليه .

والتقدير من الإنسان على وجهين : أحدهما ـ التفكّر في الأمر بحسب نظر العقل و بناء الأمر عليه و ذلك محمود . ثانيهما ـ أن يكون بحسب التمنّي و الشهوة و ذلك مذموم كقوله تعالى :« فكّر وقدّر فقتل كيف قدّر »المدثر:١٧و١٨)

القدار ـ كشدّاد ـ الحجر ينصب على مصبّ الماء .

قادره يقادره مقادرة ـ من باب المفاعلة ـ : قايسه ، وفعل مثل فعله ، يقال : فلان يقادرني : يطلب ماوأتي . وتقادر الرجلان : طلب كلّ واحد مساواة الآخر . والمقادرة ـ بفتح الدال ـ: الدار الضيّقة ، وقادر الشيء بالشيء : قاسه به ، و قادرت الرجل مقادرة : إذا قايسته و فعلت مثل فعله ، أقادر بـذرك بيننا أي أبصر و أعرف قدرك .

الاقتدار : إقتدر : قـدر ، و اقتدر عليـه : قـوى عليه و تمكّن منه ، و المقتدر : الوسط من كلّ شيء و رجل مقتدر الخلـق : وسطـه ليس بالطـويل ولا القصير .

إقتدر :كان عظيم القدرة فهو مقتدر ، والمقتدر من صفات الله تعالى: العظيم القدرة ، المطلق السيطرة . قال الله عزّ وجلّ :« وكان الله على كلّ شيء مقتدراً » الكهف : ٤٥) و جمعه : مقتدرون .

المقتدر: يقارب القدير ولكن قد يوصف به البشر، وإذا استعمل في الله تعالى فمعناه معنى القدير ،وإذا استعمل في البشر فمعناه المتكلّف و المكتسب للقدرة.

المقتدر: الطابخ في القدر ـ بكسر القاف فالسكون ـ والمقتدر : الـرقيق بالعمل ، يقال : صانع مقتدر ، والمقتدر: الوسط من كلّ شيء ، و رجـل مقتدر الطول : ربعة . رجل مقتدر الخلق أي وسطه ليس بالطويل و القصير و كذلك الوعل

و الظبي و غيرهما .

تقدرله كذا يتقدر - من باب التفعّل - : تهيّأ ، و تقدّر الثوب عليه : جاء على مقداره . وفي الحديث : « كان يتقدّر في مرضه أين أنا اليوم » أي قدّر أيام أزواجه في الدور عليهن .

١٧ - الدراية - ٤٧٦

دري الشّيء ودرى به يدري دريا - بفتح الدال و كسرها وسكون الراء - ودراية ودرية - بفتح الدال و كسرها وسكون الراء - ودرياناً - بكسر الدال وسكون الراء - ودريانا - بفتحتين - ، ودريّاً - بفتح الدال و كسر الراء ناقص يائيّ - من باب ضرب نحو رمى - : علمه . وقيل : توصّل إلى علمه بضرب من الحيلة .

يقال : لاأدري ماهذا الأمر : لاأعلمه . و يقال : لاأدر بحذف الياء تخفيفاً لكثرة الإستعمال كقوله تعالى : « لم يك» الانفال : ٥٣) و يحذف بالجزم كقوله تعالى : « ولم أدر ما حسابيه » الحاقة : ٢٦) يقال : دريت به ودريته درية : فطنت وشعرت بنوع من الحيلة ، ولذلك لاتستعمل الدراية في الله تعالى و درى الصيد : ختله ، ودرى رأسه : حكّه بالمدرى .

والدريّة - بفتح الدال وسكون الراء - : لما يتعلّم عليه الطعن ، و للناقة الّتي ينصبها الصائد ليأنس بها الصّيد فيستتر من ورائه فيرميه .

الدراية بالشيء : العلم به ، وقيل : مع تكلّف وحيلة ، و الدراية : المعرفة المدركة بضرب من الختل ، وفي الإصطلاح العلمي : اخذ بالنظر والاستدلال الّذي هو ردّ الفروع إلى الاصول ، والدراية هي أخصّ من العلم . وقيل : درى يكون فيما سبقه شك. و قيل : علم الدراية : علم الفقه و اصول الفقه . و قيل : باتحاد العلم و الدّراية .

وفي الحديث : « حديث تدريه خير من ألف ترويه » يقال : أتى هذا الأمر من

غير دراية أي من غير علم . و يقال : دريت الشيء أدريه : عرفته وأدريته غيري : إذا أعلمته .

أدراه الشيء وأدراه به ـ من باب الافعال ـ : أعلمه ، يقال : ما أدراك ما هذا الأمر . قال الله تعالى : « وما أدراك ما ليلة القدر» القدر : ٢)

و كلّ موضع ذكر في القرآن الكريم : « و ما أدراك» فقد عقّب ببيانه كالآية المتقدّمة ونحوها . أدراه به أعلمه . ومنه قوله تعالى : « ولا أدراكم به » يونس : ١٦) و كلّ موضع ذكر فيه : « وما يدريك لعلّه يزّكى » عبس : ٣) لم يعقّبه بذلك كهذه الآية .

داراه مداراة ـ من باب المفاعلة ـ : خاتله و لاطفه . و في الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « امرت بمداراة الناس » وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أمرني ربّي بمداراة الناس » وفي الحديث : « كان يدارى ولا يمارى » المداراة : حسن الخلق والمعاشرة مع الناس . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « رأس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس» أي ملاينة الناس وملائمتهم وحسن صحبتهم وإحتمالهم لئلاّ ينفروا عنك.

المدراة : حديدة يحك بها الرأس يقال لها : سرخاره . يقال : نطحه بالمدراء وبالمدرية : شبّه بمدرى الشعر في حدّه طرفه ، وجمعهما : مدار ومدارى .

والمدرى : قرن الشاة لكونها دافعة بـه عن نفسها ، و المدرى و المدراة : شيء يعمل من حديد أوخشب على شكل سنّ من أسنان المشط وأطول منه ، يسرّح به الشعر المتلبّد ، ويستعمله من لم يكن له مشط .

وفي الحديث : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في يده مدرى يحكّ بها رأسه فنظر إليه رجل من شقّ بابه قال صلى الله عليه وآله وسلم : لوعلمت أنّك تنظر لطعنت به في عينك.

إدّرت المرأة تدرّى إدّراء : سرّحت شعرها بالمدرى ، و أصلها تدترى ـ تفتعل ـ من إستعمال المدرى فادغمت التاء في الدال . المدراء والمدرية : المشط وادّريت غفلته : تحيّنتها . تـدرّى الصيد تـدرّياً وإدّراءاً : ختله .

﴿ النحو ﴾

١- (انا أنزلناه فى ليلة القدر)

« إنّ » حرف تأكيد ، وضمير المتكلم مع الغير: « نا » في موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد ، و « أنزلنا » فعل ماض للتكلّم مع الغير من باب الإفعال ، و ضمير الوصل : « ه » في موضع نصب ، مفعول به ، والجملة في موضع رفع على الخبرية لحرف التأكيد ، والضمير الغائب راجع إلى القرآن الكريم ، و إن لم يجر له ذكر هنا لظهوره كقوله تعالى : « حتّى توارت بالحجاب » ص : ٣٢) يعني بالشمس ، و « في ليلة » متعلق بـ« أنزلنا » و « ليلة » اضيفت إلى « القدر » .

٢- (وما أدراك ما ليلة القدر)

الواو تحتمل الحال و الإستيناف ، و« ما » إسم إستفهام في موضع رفع على الإبتداء ، و « أدرى » فعل ماض من باب الافعال ، و فيه ضمير الفاعل يعود على « ما » و الكاف : « ك » في موضع نصب ، مفعول أوّل ، و « ما » الثانية إستفهام ، إبتداء ثان ، و « ليلة » اضيفت إلى « القدر » خبر عن الثاني ، و الجملة في موضع المفعول الثاني ا « أدرى » و « أدراك » و مفعولاها خبر ا « ما » الاولى .

٣- (ليلة القدر خير من ألف شهر)

« ليلة » مبتداء ، اضيفت إلى « القدر » و « خير» خبر المبتداء ، و « من ألف شهر» المجرور بالإضافة موصوف على حذف الصّفة ، على تقدير: ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

٤- (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر)

« تنزّل » فعل مضارع من باب التفعّل،على حذف إحدى التائين ،فالأصل: « تتنزل » و « الملائكة » فاعل الفعل ، و في « والروح » وجهان : أحدهما -أنّ الواو للاستئناف ، و « الرّوح » مبتداء و « فيها » متعلّق بمحذوف ، وهو خبر المبتداء . ثانيهما - أنّ الواو للعطف ، و « الروح » عطف على «الملائكة »و«فيها» ظرف أوحال ، والضمير راجع إلى « ليلة القدر »

قوله تعالى: « باذن ربهم » في الباء وجهان : أحدهما - سببيّة . ثانيهما- زائدة . و في الجار والمجرور أيضاً وجهان:أحدهما - متعلّق بـ« تنزّل » ثانيهما- أن يكون في موضع نصب ، حالاً للملائكة أوللروح أوهما معاً .

قوله تعالى: « من كل أمر» في « من » وجوه : أحدها - أن تكون لإبتداء الغاية و تفيد السببيّة . والمعنى : تتنزّل الملائكة والروح في ليلة القدر باذن ربهم مبتدءاً تنزّلهم و صادراً من كل أمر إلهيّ. ثانيها - أن تكون بمعنى الباء فتفيد السببيّة ، ثالثها - أن تكون بمعنى اللام للتعليل بالغاية أي لأجل تدبير كل أمرمن الامور والحق ،بناء على أنّ المرادبالأمر من الامور الكونيّة والحوادث الواقعة . والمعنى : تتنزّل الملائكة والروح في ليلة القدر باذن ربهم لأجل تدبير كل أمرمن الامور الكونيّة . رابعها - على تقدير: من أجل كل أمر.

خامسها - بمعنى « على » و المعنى : انّ جبرئيل كان يتنزّل في ليلة القدر مع الملائكة فيسلّمون على كلّ امريء مسلم ، ويصلّون على كلّ عبد قائم أوقاعد يذكرالله تعالى فيها .

٥- (سلام هى حتى مطلع الفجر)

في « سلام هي » وجوه : أحدها - أنّ « هي »مبتداء مؤخر، و« سلام »خبر مقدّم ، ولا يجوز أن يكون خبر« حتىمطلع الفجر» لعدم الفائدة فيه ، لأنّ كلّ ليلة بهذه الصفة ، و إنّما وجب هذا التقدير ليصح أن تعلّق « حتى » به لأنّه لو

حمل الكلام على ظاهره لكان يؤدّي إلى تقديم الصلة ، و هي « حتّى » على الموصول وهو « سلام » و تقديم الصلة على الموصول لايجوز ، و يجوز أن يكون متعلّقاً بقوله : « تنزّل الملائكة »

والمعنى : هذه الليلة ما هي إلّاسلامة وخير كلّها لاشرّ فيها ، و أمّا سائر الليالي فيكون فيها بلاء وسلامة أوما هي إلّاسلام لكثرة سلام الملائكة على المؤمنين.

ثانيها - أن يكون « هي » بمعنى مسلمة أي تسلم الملائكة على المؤمنين و« حتّى » متعلّق بـ« سلام » أي الملائكة و الروح مسلمة إلى مطلع الفجر.

ثالثها - أي ليلة القدر سلام من كلّ أمر وامريء . إن قلت : كيف جاز تقديم معمول المصدر الّذي هو « سلام » عليه ، وقد عرفنا عدم جواز تقديم صلة الموصول أوشيء منها عليه ؟ قلت : إنّ سلاماً في الأصل مصدر ولكنّه هنا موضوع موضع إسم الفاعل الّذي هوسالمة. والمعنى : هي سالمة أومسلمة ،فكأنّه قال : من كلّ أمر سالمة أومسلمة هي أي هي سالمة أومسلمة منه .

وقوله تعالى : « حتّى مطلع الفجر» « حتّى » للغاية بمعنى « إلى » أي إلى مطلع الفجر. ويقرأ « مطلع » بفتح اللام كالمدخل والمقتل والفتح هو القياس لأنّه من طلع يطلع بضم العين من المضارع ، و يقرأ «مطلع» بكسر اللام كالمسجد والمشرق والمغرب وهو خلاف القياس ، وهما لغتان . وقيل :«مطلع» بالفتح مصدر بمعنى الطلوع أي طلوع الفجر، وبالكسر إسم زمان .

﴿ البيان ﴾

١- (انا أنزلناه في ليلة القدر)

تنويه بليلة القدر وتقرير إنزال القرآن الكريم فيها ، وفي الجملة تعظيمات ثلاث : تعظيم للمنزل - صيغة إسم فاعل - لمكان نوني التعظيم حيث ان ّ صيغة الجمع تدل ّ على عظم رتبة المنزل إذ هو واحد في نفسه نقلاً وعقلاً ، وتعظيم للمنزل - صيغة إسم مفعول - وهذا على ثلاثة وجوه : أحدها - ان ّ الله عز ّ وجل ّ اسند إنزاله إليه وجعله مختصاً به جل ّ وعلا دون غيره إذ في تقديم ضمير التكلم إختصاص الإسناد بالله تعالى وحده ، و في إسناد إنزاله إلى نون العظمة المنبيء عن كمال العناية به تفخيم لوقت إنزاله كما ينبّه بذلك قوله تعالى : «وما أدراك ما ليلة القدر» وقيل : إن ّ نون الجمع تدل ّ على الذ ّات والصّفات والأسماء . . .

ثانيها - انّه جاء بضميره دون إسمه الظاهر من غير ذكره سابقاً ، شهادة له بالنباهة و العظمة و كمال الظهور و الاشتهار بحيث يستغنى عن التصريح باسمه كأنّه حاضر في جميع الأذهان . . . وظاهره انّه راجع إلى جملة القرآن الكريم لا بعض آياته ، ويؤيّده التعبير بالانزال الظاهر في إعتبار الدفعة دون التنزيل الظاهر في التدريج على ما مر ّ في البحث اللغوي . ثالثها - الرفع من مقدار الوقت الّذي أنزله فيه ، و هو ليلة القدر لما لها عنده تعالى من مكانة وللعالمين فيها بركة ، وتعظيم للمنزل إليه بالتلازم كقوله تعالى : « إنّا نحن نز ّلنا الذكر و إنّا له لحافظون » الحجر : ٩)

فالضمير في « أنزلناه » يعود إلى القرآن الكريم ، وهو وإن لم يجر له ذكر سابق في السورة إلّا أنّه مذكور بماله من إشعاع يملأ الوجود ، فاذا انزل شيء من عند الله جل وعلا فهو هذا القرآن المجيد أو فيض من فيوض هذا القرآن الكريم، فالضمير راجع إليه إمّا لأنّ القرآن كلّه في حكم سورة واحدة وإما لشهرته ومن نباهة شأنه كأنّه مستغن عن التصريح بذكره .

وقد عظم القرآن الكريم في الآية من وجه آخر وهو إسناد إنزاله إلى نفسه دون غيره كجبرئيل عليه السلام مثلاً .

ان تسئل: كيف حكم بأنّه أنزل القرآن الكريم في ليلة القدر مع أنّه أنزله نجوماً في ثلاث وعشرين سنة ؟

تجيب: ان القرآن الكريم نزل على النّبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم مرّة دفعة واحدة جملة واحدة قبل نزوله نجوماً كما يستفاد هذا من قوله تعالى :«لا تحرّك به لسانك لتعجل به » القيامة : ١٦)

وقد نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم القرآن الكريم جملة واحدة في شهر رمضان المبارك أشار إليه في قوله تعالى : «شهر رمضان الّذي انزل فيه القرآن »البقرة :١٨٥)ولم يكن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مأموراً ببيان ما نزل عليه القرآن جملة واحدة كما يدلّ عليه قوله جلّ وعلا : « لا تحرّك به لسانك لتعجل به - فاذا قرأناه فاتبع قرآنه » القيامة : ١٦-١٨) ولذلك كان الكافرون يقولون : « لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة» الفرقان : ٣٢)

قوله تعالى : « ليلة القدر » سمّيت ليلة القدر بهذا الإسم لأنّها ذات شأن عظيم ، وقدر جليل لأنّها الليلة الّتي نزل فيها القرآن الكريم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، أنّها الليلة التي توزن فيها أقدار الناس حسب قربهم و بعدهم من الله جلّ وعلا والعمل بكتابه المجيد ، وهو يفرّق فيها بين المحقين والمبطلين، بين المطيعين والعاصين ، بين المصلحين والمفسدين ، وبين المفلحين والفاجرين : «

فيها يفرق كلّ أمر حكيم » أي يبيّن فيها حكم الله تعالى فيماهو حلال أو حرام، حق أو باطل ، هدى أو ضلال ، صلاح أو فساد ، طاعة أو معصية . . . و ذلك بما نزل فيها من آيات الله عزّ وجلّ .

وليس في السورة مايبيّن أنّ هذه الليلة أيّة ليلة هي غيرما في قوله تعالى : « شهر رمضان الّذي انزل فيه القرآن » البقرة : ١٨٥) فانّ الآية بانضمامها إلى آية القدر تدلّ على أنّ ليلة القدر من ليالي شهر رمضان المبارك بلا تعيينها منها، ففي إخفائها بين بعض ليالي شهر رمضان تحريض على أن يحيى من يريدها بعض الليالي على ماوردت فيه الروايات الكثيرة طلباً لموافقتها ، فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه ، وأن لايتكل الناس عند إظهارها على إصابة الفضل فيها، فيفرطوا في غيرها.

٢- (وما أدراك ماليلة القدر)

في الجملة الإستفهامية دلالة على أن شرف هذه الليلة وعلوّ قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق ، وليس مماتسهل إحاطة العلم به كما يشعر به قوله تعالى: « ليلة القدر خير من ألف شهر » لأنّه بيان إجمالي لشأنها إثر تشويقه صلى الله عليه وآله وسلم إلى درايتها ، فانّ ذلك معرب عن الوعد بادرائها .

جملة تنبيهية لخطورة نزول القرآن الكريم في ليلة القدر، تنويه بشأن هذه الليلة وتفخيم لقدرها ، وأنّها ليلة لايدرى أحد كنه عظمتها ولا حدود قدرها، وتعجيب منه ، و في إظهار « ليلة القدر » مرّة بعد مرّة إذ قال : « ماليلة القدر ليلة القدر خير» ولم يقل : «وما أدراك ما هي هي خير» تأكيد للتفخيم . والمعنى: وما أدراك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما خطر ليلة القدر وما حرمتها ،وهذا حثّ على العبادة فيها.

وفي الآية الكريمة ايماء إلى أن شرفها ممالايحيط به علم العلماء ،وإنّما يعلمه علّام الغيوب الّذي خلق العوالم وأنشأها من العدم .

ولايبعد أن يكون تكرير الليلة ثلاث مرّات ترديدها بين ثلاث ليال: ليلة التاسع عشر، وإحدى وعشرين ، والثلاث وعشرين من شهر رمضان المبارك .

وقال بعض الظرفاء : إن ليلة القدر تسعة أحرف ، فاذا ضربت التسعة في الثلاثة تكون سبعاً وعشرين ليلة ، فهي ليلة القدر من شهر رمضان .

وما يستفاد من تكرار ليلة القدر وإبهامها هو تكرّرها بتكرر السنين في شهر رمضان المبارك ، ففيه من كلّ سنة قمريّة ، ليلة تقدّر فيها امور السنة من الليلة إلى مثلها من سنة قابلة من حياة وموت ، من صحّة وسقم ، من غنى وفقر ، من سعادة وشقاء ، من صلاح وفساد ، ومن عزّة وذلّة . . . وما إليها من الامور . .

وان نزل القرآن الكريم في ليلة من ليالي القدر جملة واحدة على رسول الله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم غير نزوله التدريجي الّذي تمّ في مدّة ثلاث وعشرين سنة على ما يدلّ على النزولين من قوله تعالى: «والكتاب المبين إنّا أنزلناه في ليلة مباركة» الدخان : ٢و٣) وقوله عزّ وجلّ : «وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلاً» الاسراء : ١٠٦)

٣- (ليلة القدر خير من ألف شهر)

بيان إجمالي لما أشير إليه بقوله جلّ وعلا : «وما أدراك ما ليلة القدر» من فخامة أمر ليلة القدر ومقدار فضلها وعظم شأنها وخيرها وشمولها ببركة الله تعالى وسلامه، وبشارة عظيمة للمطيعين لأنّه تعالى ذكر انّ هذه الليلة خير من ألف شهر من غير بيان قدر الخير، وتهديد بليغ للعاصين .

٤- (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر)

إشارة إلى بعض مزايا ليلة القدر المباركة ، وإخبار بما يكون فيها ، و ان الآيتين أعني قوله عزّ وجلّ : «تنزّل الملائكة . . . » إلى آخر السورة في معنى التفسير لقوله جلّ وعلا: «ليلة القدر خير من ألف شهر» .

مستأنف بيانيّ لمناط فضل هذه الليلة على تلك المدة المتطاولة من ألف شهر .

و في ايثار المضارع : «تنزّل» إشارة إلى نزول الملائكة والروح في هذه الليلة في كلّ مكان لأجل كل أمر من الامور الكونيّة ، غير ما نزلوا لنزول الوحي

السماوي على النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وإشعار باستمرار نزول الملائكة والروح في تلك الليلة في كلّ عام على أوصيائه المعصومين بعده صلوات الله عليهم أجمعين .

وقيل: إنما عبّر بالمضارع في الآية الكريمة و في قوله تعالى : «فيها يفرق كل أمر حكيم» مع أنّ المعنى ماض لأنّ الحديث عن مبدإ نزول الوحي لوجهين: الأول : لإستحضار الماضي ولعظمته على نحوما في قوله تعالى : «وزلزلوا حتّى يقول الرسول» البقرة : ٢١٤) فانّ المضارع بعد الماضي يزيد الأمر تصويراً. والثاني: لأنّ مبدأ النزول كان في ليلة القدر وأمّا بقيّة الكتاب وما فيه من تفصيل الأوامر والأحكام، فكان فيما بعد ، فكأنّه يشير إلى أنّ ما ابتدأ فيها يستمرّ في مستقبل الزمان حتّى يكمل الدين .

ان تسئل : انّ الروح من الملائكة فلم نسق عليهم ؟

تجيب : انّ العرب قد تنسق الشيء على الشيء نفسه وتخصّه بالذكر تفضيلاً كقوله تعالى : «فيهما فاكهة ونخل ورمان» الرحمن : ٦٨) والنخل و الرمان من الفاكهة . وقوله عزّ وجلّ : «من كان عدوّاً لله وملائكته ورسله و جبرئيل وميكال» البقرة : ٩٨) هذا بناء على أنّ المراد بالروح جبرئيل عليه السلام فخصّ بالذكر لزيادة شرفه ومزيد فضله .

قوله تعالى: «باذن ربهم» في تقييد التنزّل بالإذن المضاف إلى الرب المضاف إلى ضميرهم في كلّ أمر إشارة إلى أنّهم لايفعلون شيئاً إلّا باذن الله تعالى لقوله : « وما نتنزّل إلّا بأمر ربك » مريم : ٦٤)

وفي «ربهم» تعظيم لشأن الملائكة كأنّه قال : كانوا هم لي فكنت لهم ، و في الحديث : «ان داود عليه السلام في مرض الموت قال : إلهي كن لسليمان كما كنت لي فنزل الوحي: قل لسليمان: فليكن لي كما كنت لي» وفيه توبيخ للعصاة والمستكبرين.

وقوله تعالى: « من كل أمر» إشارة إلى فائدة نزول الملائكة والروح أي من أجل كلّ أمر قدّر في ليلة القدر إلى قابل ، ومعنى العدول من لام التعليل إلى

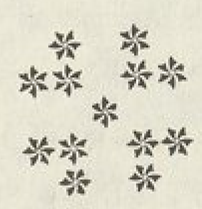
«من» : ان السائل كأنه يقول : من أين جئتم ؟ فيقولون : مالكم وهذا السؤال؟ ولكن قولوا : لأي أمر جئتم لأنه حظكم .

٥- (سلام هى حتى مطلع الفجر)

إشارة إلى العناية الالهية بشمول الرحمة للعباده المقبلين إليه تعالى، وسد باب نقمة جديدة تختص بليلة القدر ويلزمه بالطبع وهن كيد الشياطين على ما اشير إليه في بعض الروايات الواردة .

وفي توصيف «ليلة القدر» بالمصدر: «سلام» مبالغة كزيد عدل فكأنها ليلة يولد فيها الأمن والسلامة من بدئها إلى ختامها ، فانها ليلة القرآن الكريم، والقرآن من مبدأه إلى ختامه سلام وأمن وطمأنينة . . . كله ورسالة القرآن هي الإسلام الذي هو السلام والنجاة لمن طلب النجاة والسلامة والفلاح والطمأنينة . . .

وقوله تعالى: «حتى مطلع الفجر» «حتى» متعلقة بـ «تنزل» على أنها غاية لحكم التنزل أي لمكثهم في محل التنزل أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجاً بعد فوج إلى طلوع الفجر. ولا إشكال أن تتعلق بـ «سلام» بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتداء مغتفر في الجار أو يكون «سلام» بمعنى : «سالمة» أو «مسلمة».



﴿ الاعجاز ﴾

ومن البيّن انّ في القرآن الكريم شيئاً له على النفوس سطوة، وله على القلوب قهر وسلطان . . . ! هذا الشيء لا يستدلّ عليه المرء من نسق اللفظ أو سموّ المعنى أو من أيّ وجه من وجوه الآراء التي يعتمد عليها في نظم الكلام، وتجلّية المعاني على الوجه الّذي تقوم عليه أساليب البيان عند الناس !

إنّما هذا الشّيء هو روح يلبس جسد الكلمات، وينتظم حروفها، فيجعل من العبارة الواحدة شخوصاً قائمة تعمل متساندة بكلّ قواها وجوارحها على إشعاع المعنى المنتصب في جوهرها، وتمثيله على مسرح الحياة، ونقله إلى موطن الإقناع من العقل، وإلى مجرى التأثير في الوجدان . . .

وهذا الشّيء هو الّذي أفرد الكلام القرآني عن سائر الكلام، وقطع على الناس السبيل إلى معارضته ! «وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين» البقرة : ٢٣)

والدليل لامراء فيه علي ذلك: انك تقرأ آية من آيات الله جلّ وعلا، فتأخذك منها روعة، ويعروك من جهتها حال من الرهبة والجلال والعجب والدهش . . .

وما في الآية - إن نظرت في كلماتها - إلّا كلمات مألوفة، وما في نظمها و اسلوبها - إن داورت كلماتها - إلّا ماجرى عليه نظم الكلام البليغ الفصيح . . و ليس في المعنى الّذي حملت الآية إلّا ماتعارفت عليه العقول السليمة، و اطمأنت إليه القلوب غير السقيمة . . . ومع هذا فأنت من الآية على ما عرفت !

وليس هذا الشيء: «الروح» في الآية أو الآيات من القرآن الكريم، بل تجده في كل كلمة من كلمات الكتاب المبين، بل في كل حرف من حروف الفرقان العظيم، و لست أزعم هذا زعماً يدفعني إليه حماس ديني، أو تأخذني فيه حمية العقيدة، أو تسوقني إليه حال من الوجد الذي يأخذ الواقف بين يدي آيات القرآن المجيد من روعة وجلال ودهش وعجب... فذلك ان يكن بغير حجة، فهو حماس فارغ أشبه بالطلقات الطائشة من سلاح فاسد، وتلك حمية إن لم تسندها الحقيقة فهي عواء في الهواء.

وإذا أردت أن تعرف الحقيقة فخذ أية كلمة من كلمات الله عز وجل، واقرأها في آيات كتابه، ثم عد إليها وحدها وردّدها على لسانك في جهر أو تخافت... فانك تجد لها حلاوة، وتجد عليها طلاوة، وتجدها مغدقة مثمرة... كأنها روضة أريضة، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض! انها كلمة من كلام الله تعالى وروح من روحه...! «ينزّل الملائكة بالروح من أمره - قل نزّله روح القدس من ربك بالحق ليثبّت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين» النحل: ٢-١٠٢)

ثم اقرأ هذه السورة القصيرة الوجيزة التي لا يتجاوز آيها خمساً، تذكر إنزال القرآن الكريم في ليلة القدر، وتعظّم هذه الليلة بتفضيلها على ألف شهر، و تنزّل الملائكة والروح فيها، ثم اعمد إلى كلماتها كلمة كلمة... واملأ بها فمك... تجد في كل كلمة منها طعماً طيّباً أو أرجاً زكيّاً... وتجد منها على اللسان نداوة وحلاوة...

فاذا أنت تركت الآية الكريمة، وعدت إلى الكلام الذي عهدته من أساليب الناس، وأخذت واحدة من تلك الكلمات، وأردت أن تعيد تجربتك معها، وجدتها قد فقدت كل شيء كنت تعهده فيها، وأنت تقطفها من بين كلمات الآية... انها الآن شيء لا شيء فيه... مادّة ميتة لا طعم لها ولا ريح فيها...!

خذ أبلغ بيت تمدحت به العرب أو تغنت به كقول جرير يمدح به الخليفة الأموي: يقال فيه: إنه أمدح بيت قالته العرب:

ألستم خير من ركب المطايا	وأندى العالمين بطون راح

ولاتحمل نفسك على مقابلة هذاالكلام على الآية الكريمة ، حتّى لاتمجّ هذا البيت من فمك، ولايتغيّر طعمه عليك،ولكن خذكلماته مفردة . . . وردّدها واحدة واحدة . . . ! انك تعدّ حصىً وتجمع حجراً إلى حجر!

هذه واحدة من زوايا إعجازها . . .

واخرى أوجزمن قبلها : انّ في هذه السورة إخباراً بملك بني امية عليهم نارجهنم والهاوية ، بمدة ثم زواله بعدها على ما وردت الروايات الكثيرة عن طريق الفريقين ، فوقع على ما اخبربه فتأمّل جيّداً واغتنم جدّاً .



﴿ التكرار ﴾

و اعلم أنّ البحث في المقام يدور على وجوه خمسة :

أحدها ـ انّ السور التي ختمت نفسها مع تمام آيها بحرف الراء أربع سور:

١ـ سورة القمر. ٢ـ سورة القدر . ٣ـ سورة العصر . ٤ـ سورة الكوثر.

ثانيها ـ انّ السور التي ابتدأت بحرف التأكيد مع نون التكلم مع الغير للتعظيم أربع سور على الترتيب التالي :

١ـ سورة الفتح . ٢ـ سورة نوح . ٣ـ سورة القدر . ٤ـ سورة الكوثر.

ثالثها ـ انّ السور التي يشتمل كلّ واحد منها خمس آيات أربع سور :

١ـ سورة القدر . ٢ـ سورة الفيل . ٣ـ سورة المسدّ . ٤ـ سورة الفلق .

رابعها ـ قال الله تعالى: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر» القدر: ٢) ثم قال : « ليلة القدر خير من ألف شهر» : ٣) فصرّح به ، وقد كان حقّه الكناية رفعاً لمنزلتها ، فانّ الإسم قد يذكر بالتصريح في موضع الكناية تعظيماً وتخويفاً .

و نعم ما قال الشاعر:

لا أرى الموت يسبق الموت حتّى نغّص الموت ذا الغنى والفقيرا

إذ صرّح باسم الموت ثلاث مرّات تخويفاً ، و هو من أبيات الكتاب .

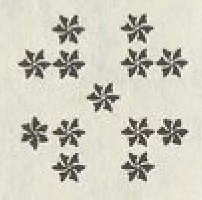
خامسهاـ نشير في المقام إلى صيغ ثلاث لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الإستقصاء في بحث اللغة ـ الصيغ التي جائت في هذه السورة وفي غيرها من

السور القرآنية :

١ـ جائت كلمة (النزول) على صيغها في القرآن الكريم نحو:/ ٢٩٣مرّة .

٢ـ » » (القـدر) » » » :/ ١٣٢ » » .

٣ـ » » (الدراية) » » » :/ ٢٨ » » .



« التناسب »

و اعلم أنّ البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة و ما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة و ما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى: فانّ هذه السورة نزلت بعد سورة «عبس» فالتناسب بينهما فبوجوه:

منها: انّ الله جلّ وعلا لما أشار في سورة « عبس » إلى بعض أوصاف القرآن الكريم من كرامته و رفعته وطهارته ، و إلى بعض صفات الملائكة الّتي تنزل به على رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلّم و أشار إلى خلق الانسان و تقديره وجوده على ما يناسبه بقوله تعالى : « كلّا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرّمة مرفوعة مطهّرة بأيدى سفرة كرام بررة قتل الانسان ما أكفره من أيّ شيء خلقه من نطفة خلقه فقدّره ثم السبيل يسّره » عبس : ١١-٢٠)

أخذ في سورة « القدر » بذكر نزول القرآن المجيد في أفضل الأوقات و الأزمان ، و تقدير الامور الكونية إلى قابل ، و ما للإنسان من خير وشر، من صحة و سقم ، من عزّة و ذلّة ، من صلاح وفساد ، و من سعادة و شقاء . . .

ومنها : انّ الله تعالى لما أشار في سورة « عبس » إلى القضاء بقوله : « لما يقض ما أمره » أشار في سورة « القدر » إلى القدر . وغيرهما من المناسبات، فعلى القاريء الخبير التأمل جداً .

وأما الثانية: فمناسبة هذه السورة لما قبلها مصحفاً فبامور أيضاً :

منهـا : ان الله عز وجل لما أمر نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في سورة « العلق » بالقرائة مبتدئاً باسم ربه الخالق الأكرم في أولها ، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، و أمره صلى الله عليه وآله وسلم بالسجود و التقرب إلى ربه جل وعلا في ختامها ، أخذ هذه السورة : « القدر » بذكر نزول القرآن الكريم في أفضل الأوقات و الأزمان ، و انه من عند ربه ذي العظمة والجلال ، العليم بمصالح الناس ، و بما يسعدهم في دينهم ودنياهم ، و انه أنزله في ليلة، لها من العظمة والكمال ما قصته السورة الكريمة، ليلة يقدر ما فيه السعادة و الشقاء، والرحمة والنقمة، والخير والشر للانسان ، فالتقرب في هذا الوقت الشريف ، وهذا الزمان العظيم إلى الله تعالى يزيد على التقرب إليه جل وعلا من سائر الأوقات والأزمان من الليالي و الأيام ، فكأنه عز وجل قال : إقترب أيها الإنسان إلى الله تعالى في كل وقت ، و خاصة في ليلة القدر لفضلها على سائر الليالي بحيث لاتقاس بها .

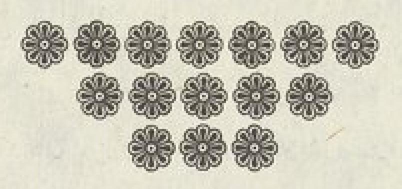
ومنها : لما ختمت سورة « العلق » بقوله تعالى : « كلا لاتطعه و اسجد و اقترب » جائت بعدها سورة « القدر » تنويهاً بشأن هذا الوحي السماوي الذي أنزله على نبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم والذي هداه ربه ، وملأ قلبه ايماناً ويقيناً بعظمته وجلاله ، وبهذا الايمان الوثيق يتجه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلى ربه لايخشى وعيداً ولا يرهب تهديداً .

وأما الثالثة: فان الله تعالى لما بدأ هذه السورة بنزول القرآن الكريم في ليلة القدر ، أردفه بذكر إستفهام إنكاري على سبيل التعجب ، ثم أشار إلى عظمة هذه الليلة ، و فضلها على شهور و شهور و على سنين و سنين ثم أشار إلى ما فيه مناط فضلها على تلك المدة المتطاولة من نزول الملائكة والروح المأذونين من جانب الله عز وجل في كل أمر من الامور الكونية من تشريعياتها وتكوينيتها..

ثم ختم السورة بما فيه إشارة إجمالية إلى أن ذلك كله عناية إلهية بشمول الرحمة لعباده المقبلين إليه تعالى ، والمحيين تلك الليلة الكريمة الشريفة .

﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

ولم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أنّ في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً ، ولامتشابهة فأيها محكمات على ظواهرها والله تعالى هو أعلم .



﴿ تحقيق في الأقوال ﴾

١- (انا أنزلناه في ليلة القدر)

في قوله : «إنا أنزلناه» أقوال: ١ ـ عن الشعبي : أي إنا إبتدأنا إنزال القرآن في ليلة القدر ، إذ نزل القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين وقت وآخر ولم يوح إليه جملة واحدة وهي ليلة من ليالي رمضان ، ليلة إفتتح فيها الوحي ، واتصل فيها جبرئيل بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً له : « إقرأ باسم ربك الّذي خلق » وانّ المبعث كان في رمضان.

٢- عن إبن عباس : أي نزل بالقرآن جبرئيل عليه السلام جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا إلى بيت العزّة ، وأملاه جبرئيل على السفرة وهم الملائكة ثم كان جبرئيل نزله على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم نجوماً أي جزءاً جزءاً : الآية والآيتين وأكثر، وكان بين أوّله وآخره ثلاث وعشرون سنة بحسب الحوادث التي كانت تدعو إلى نزول شيء منه تبياناً لما أشكل من الفتوى فيها أو عبرة بما قصّ فيه من قصص وزواجر . . .

٣- عن إبن عبّاس أيضاً : أي نزل القرآن في شهر رمضان ، وفي ليلة القدر، ليلة مباركة جملة واحدة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجّمته السفرة الكرام الكاتبون على جبرئيل عشرين سنة ، ونجّمه جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عشرين سنة . ٤- عن مقاتل : أي إنّا أنزلنا القرآن من اللوح المحفوظ إلى السفرة ، وهم الكتبة من الملائكة في السماء الدنيا ، وكان ينزل ليلة القدر من الوحي على قدر ما ينزل به جبرئيل عليه السلام على

النبي ﷺ في السنة كلها إلى مثلها من القابل.

٤ـ قيل: أي إنّا أنزلنا هذه السورة في فضل ليلة القدر، والقدر بمعنى التقدير فالضمير راجع إلى بعض القرآن لا كلّه. ٥ـ قيل: أي إنّا أنزلنا القرآن كلّه جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر على رسولنا محمّد ﷺ في أوّل سنة بزوغ البعثة ثم كان ينزل عليه ﷺ جزءاً جزءاً بحسب الحوادث التى تقتضي الحكمة تبياناً لما أشكل من الفتوى فيها أو عبرة بما يقصّ فيه من قصص وزواجر، ولا شك أنّ البشر كان في حاجة إلى دستور يبيّن لهم ما التبس عليهم من أمر دينهم ودنياهم، ويوضح لهم أمر النشأة الاولى، وأمر النشأة الآخرة لأنّهم كانوا أعجز من أن يفهموا مصالحهم الحقّة حتّى يسنّوا لأنفسهم من النظم ما يغنيهم عن الدّين والتدين، وحوادث الكون التى نراها رأى العين كفيلة بأن تبين وجه الحق في ذلك، فانّ الناس من بدء الخليقة يبدؤن ويعيدون، و يصححون ويراجعون في قوانينهم الوضعية، ثم يستبين لهم بعد قيل من الزمن أنّها لا تكفي لهدى المجتمع والأخذ بيده إلى موضع الرشاد، وتمنعه من الوقوع في مهاوي الزلل، ومن ثم قيل: لا غنى للبشر عن دين ولا عن وازع روحي يضع لهم مقاييس الأشياء وقيمها بعد أن أبان لهم العلم وصفها وخواصّها، كما لا غنى لـه عن الاعتقاد في قوّة غيبية يلجأ إليها حين يظلم عليه ليل الشك، وتختلط عليه صروف الحياة وألوان مآسيها.

أقول: والأخير هو الأنسب بالتعبير بالإنزال الظاهر في إعتبار الدفعة دون التنزيل الظاهر في التدريج، ولا ينافيه الأقوال الاخر، وما ورد من نزول القرآن الكريم جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، وبيت المعمور، ثم نزوله من البيت على رسول الله ﷺ في مدة ثلاث وعشرين سنة، وذلك ان الله عزّ وجلّ أنزل القرآن المجيد جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت المعمور في ليلة القدر ثم أنزله جملة واحدة في هذه الليلة على رسوله الخاتم ﷺ في أوائل البعثة، ثم أنزله عليه ﷺ متفرقاً بحسب الحوادث الواقعة ومقتضى الحكمة الالهية.

في قوله تعالى : « ليلة القدر » أقوال : ١ـ عن مجاهد: أي في ليلة الحكم التي يقضي الله تعالى فيها قضاء السنة بأجمعها من كل أمر من الحوادث الواقعة فيها ، فيقدّرها الله تعالى و يقضيها ، و هي الليلة التي قدّر الله تعالى فيها مقادير الكون و ما فيه . ٢ـ قيل : القدر هنا بمعنى الضيق ، و ذلك ان الأرض في هذه الليلة تضيق عن الملائكة النازلين فيها .٣ـ قيل : أي ليلة الشرف العظيم من قولهم لفلان : قدر عند فلان أي عظمة و منزلة و شرف ومكانة ،و معنى ليلة القدر ليلة الشرف لشرفها على سائر الليالي . . . وعن إبن عباس : ان الله تعالى يقضي القضايا في ليلة النصف من شهر شعبان المعظّم ثم يسلمها إلى أربابها « في ليلة القدر »أي ليلة الشرف والعظمة قال الله تعالى : « ما قدروا الله حق قدره » أي ما عظموه حق عظمته .

أقول: و لكلّ وجه من غير تناف بينها ، فتأمّل جيّداً .

٢ـ (وما أدراك ما ليلة القدر)

في معنى «ليلة القدر » وتسميتها أقوال : ١ـ قيل: أي ليلة التقدير ،سمّيت بذلك لأنّ الله تعالى يقدّر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق وغيره ، و يسلمه إلى مدبّرات الامور وهم أربعة من الملائكة : إسرافيل وميكائيل و عزرائيل و جبرئيل عليهم السلام .

و عن إبن عبّاس انّه قال : يكتب في امّ الكتاب ما يكون في السنة من رزق ومطر وحياة وموت حتّى الحاجّ . و عن سعيد بن جبير وعكرمة : يكتب حاجّ بيت الله تعالى في ليلة القدر بأسمائهم و أسماء آبائهم ما يغادر منهم أحد و لا يزاد فيهم .

٢ـ عن إبن عبّاس أيضاً والزهري : ان الله تعالى يقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان ، و يسلمها إلى أربابها في ليلة القدر . ٣ـ عن الزهري أيضاً : إنّما سمّيت بليلة القدر لعظم شأنها و رفعة قدرها ومكانة شرفها من قولهم: لفلان

قدر عن الناس أي شرف و منزلة . و منه قوله تعالى : « ما قدروا الله حق قدره» أي ما عظموه حق عظمته . فالشرف راجع إلى نفس هذه الليلة . ٤ـ قيل : سمّيت بليلة القدر لأنّ للطاعات فيها قدراً عظيماً و ثواباً جزيلاً . فالشرف يرجع إلى الفعل لأنّ الطاعة فيها أكثر ثواباً و أحسن قبولاً . ٥ـ عن أبي بكر الورّاق: سمّيت بذلك لأنّ من لم يكن له قدر ولا خطر يصير في هذه الليلة ذا قدر إذا أحياها ، فالشرف يرجع إلى الفاعل ، فمن أتى فيها بالطاعة صار ذا قدر و شرف .

٦ـ قيل : سمّيت بذلك لأنّه أنزل فيها كتاباً ذا قدر على رسول ذي قدر ، على يدي ملك ذي قدر و على امّة ذات قدر ، و لذلك ذكر لفظ القدر في هذه السورة ثلاث مرّات . ٧ـ قيل : سمّيت بذلك لأنه ينزل فيها ملائكة ذو وقدر و خطر. ٨ـ قيل : سمّيت بليلة القدر لأنّ الله تعالى ينزّل فيها الخير والبركة و المغفرة للذنوب وتكفيرها، وفيها يعظّم منزلة الحسنات على ما يقع في سائر الليالي: ٩ـ عن سهل : سمّيت بذلك لأنّ الله تعالى قدّر فيها الرحمة على المؤمنين . ١٠ـ عن الخليل : سمّيت بليلة القدر لأنّ الأرض تضيق فيها بالملائكة كقوله تعالى : « قدر عليه رزقه » أي ضيّق .

١١ـ عن الحسن و مجاهد : سمّيت بها لأنّ الله تعالى قدّر فيها إنزال القرآن الكريم ، و قدّر فيها الامور الكونية و حوادث السنة إلى مثلها من قابل من حياة و موت و رزق و سعادة و شقاء و ما إليها من الامور . والقدر: هو كون الشّيء مساوياً لغيره من غير زيادة ولا نقصان. وقدر الله هذا الأمر يقدره قدراً إذا جعله على مقدار ماندعو إليه الحكمة . فسمّيت بها لأنّها ليلة يحكم الله تعالى فيها ، و يقضى بما يكون في السنة بأجمعها من كلّ أمر.

أقول: و الأخير هو المرويّ وفي معناه بعض الأقوال الاخر.

و في كون « ليلة القدر » في أيّ ليلة هي من شهر رمضان المبارك أقوال :١ـ عن إبن زيد العقيلي و إبن رزين : هي أوّل ليلة منه . لما روى عن وهب : انّ

كتب الأنبياء كلّها نزلت في رمضان وكانت الليلة الاولى منه. ٢ـ عن الحسن البصري: هي ليلة سبع عشرة منه لأنّ وقعة بدر كانت في صبيحتها. قيل: إنّها ليلة الفرقان و في صبيحتها إلتقى الجمعان. ٣ـ قيل: هي في العشر الأواخر من شهر رمضان و هو مذهب الشافعي. ٤ـ قيل: إنّها ليلة إحدى وعشرين. و هو مذهب أبي سعيد الخدري و إختيار الشافعي.

٥ـ قيل: هي ليلة ثلاث و عشرين منه. ٦ـ عن ابيّ بن كعب وعائشة: انّها ليلة سبع وعشرين. ٧ـ قيل: انّها ليلة تسع و عشرين. ٨ـ عن عكرمة: انّها ليلة البراءة. ٩ـ قيل: هي الليلة الأخيرة لأنّ الطاعات في الشهر تتمّ وقتئذ، و انّ أوّل رمضان كآدم عليه السلام و آخره كخاتم محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. ١٠ـ قيل: انّها ليلة تاسع عشر منه. ١١ـ قيل: انّها غير معلومة بل هي مجهولة في ليالي السنة ليجدّ الناس في جميع حياته.

أقول: إنّ الروايات الواردة عن طريق أهل بيت النبوة عليهم السلام حولها لا تعيّنها، بل تردّدها في ليال ثلاث: تاسع عشر، و إحدى وعشرين، و ثلاث وعشرين و سيأتي البحث تفصيلاً إن شاء الله تعالى في علل إخفائها فانتظر.

و في تكرير «ليلة القدر» أقوال: ١ـ قيل: انّها كانت ليلة واحدة واحدة بعينها نزل فيها القرآن الكريم من غير أن تتكرّر بعدها. ٢ـ قيل: انّها كانت تتكرّر بتكرّر السنين في زمن النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ثم رفعها الله تعالى بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم. ٣ـ قيل: انّها واحدة بعينها في جميع السنة. ٤ـ قيل: انّها في جميع السنة غير أنها تتبدّل بتكرّر السنين، فسنة في شهر رمضان المبارك، وسنة في شهر شعبان المعظّم، و سنة في غيرهما. ٥ـ قيل: إنّها ليلة متكرّرة بتكرّر السنين في طوال الأعصار إلى يوم القيامة، ففي شهر رمضان من كلّ سنة قمريّة ليلة تقدّر فيها امور السنة الكونية من الليلة إلى مثلها من قابل.

أقول: و الأخير هو المؤيّد بالروايات الواردة، وهو المستفاد من قوله تعالى: « تنزّل الملائكة » و هو فعل مضارع ، ظاهر في الإستمرار، و يؤيّده قوله جلّ و علا : « فيها يفرق » الدخان : ٤) فلا معنى لفرض ليلة واحدة بعينها، أو ليال معدودة في طول الزمان، تقدّر فيها الحوادث الواقعة الّتي قبلها و الّتي بعدها، و إن صحّ فرض واحدة من ليالي القدر المتكررة ينزل فيها القرآن الكريم جملة واحدة .

٣- (ليلة القدر خير من ألف شهر)

في الآية الكريمة أقوال : ١- قيل : إنّ ليلة القدر بنفسها شريفة يزيد فضلها على ألف شهر و لهذا الفضل قدّر نزول القرآن الكريم و الملائكة والروح فيها، وقدّرت فيها الحوادث الواقعة طول السنة ، و بالمآل يزيد فضل العبادة فيها على عبادة في غيرها لتأثير فضل الزمان والمكان على فضل العمل . ٢- قيل : إنّها شريفة يزيد فضلها على ألف شهر لنزول القرآن الكريم و الملائكة والروح و تقدير الامور الكونية فيها ، فانّ فضيلة الزمان إنّما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل ، و في تلك الليلة الخير الكثير الّذي لا يوجد مثله في ألف شهر، وفيها يغفر الذنوب التي لا تغفر في غيرها، و فيها يتوب المذنبون ، لا يتوبون في غيرها وفيها يجتنب العاصون عن المعاصي لا يجتنبون في غيرها . . .

٢- قيل : إنّ العبادة و قيام الليل و صالح الأعمال و الاحسان والدعاء و المناجات فيها خير من العبادة وقيام الليل . . . في ألف شهر ليست فيها ليلة القدر. وعن أبي العالية : أنّه قال : أي ليلة القدر خير من ألف شهر لا تكون فيه ليلة القدر.

٣- قيل : عنى بألف شهر جميع الدهر لأنّ العرب تذكر الألف في غاية الأشياء كقوله جلّ وعلا : « يودّ أحدهم لو يعمّر ألف سنة » يعني جميع الدهر، فيكون التحديد بالألف جارياً على ما يستعملونه في تخاطبهم من إرادة الكثرة منه لا إرادة العدد المعيّن . و المعنى : ليلة القدر خير من زمن كثير جداً ، فهذا التعبير

كذكر سبعين في قوله تعالى: «إن تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم» و إنّما فضلت الزمان الكثير لأنّ طول الحياة لا قيمة له إذا لم يتبعه الكمال، و الكمال إنّما يكون بالحكمة و صالح العمل اللذين أمر الله تعالى أنبيائه بهما، و أن يدعوا الناس إليهما، و لذلك تنزّل الملائكة والروح في هذه الليلة لذلك.

٤ـ قيل: إنّ العابد كان فيما مضى لا يسمّى عابداً حتّى يعبد الله تعالى ألف شهر ثلاثاً و ثمانين سنة و أربعة أشهر، فجعل الله تعالى لامّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم عبادة ليلة خيراً من ألف شهر كانوا يعبدونها. ٥ـ قيل: و روى في تخصيص هذه المدّة انّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون و تقاصرت إليهم هممهم، فاعطوا ليلة هي خير من مدّة ذلك الغازي.

٦ـ عن أبي بكر الورّاق: أنّه قال: كان ملك سليمان خمسمأة شهر، و ملك ذي القرنين خمسمأة شهر فصار ملكهما ألف شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيراً من ملكهما. ٧ـ قيل: دولة الحق خير من دولة يملكها بعدك بنواميّة. قال القاسم بن الفضل الحدّاني: فعددناها فاذا هي ألف شهر لا تزيد يوماً ولا تنقص يوماً.

٨ـ قيل: إنّ خيريّة ليلة القدر من ألف شهر من حيث فضيلة العبادة، وهو المناسب لغرض القرآن الكريم، وعنايته بتقريب الناس إلى الله تعالى، فاحيائها بالعبادة خير من ألف شهر، و يمكن أن يستفاد ذلك من كلمة «مباركة» في قوله تعالى: «في ليلة مباركة».

٩ـ عن مجاهد و مقاتل و قتادة: أي قيام ليلة القدر وعمل الصالح فيها، و العبادة فيها خير من ألف شهر ليس فيها هذه الليلة، و ذلك انّ الأوقات إنّما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير والنفع والبركة، فلمّا جعل الله تعالى الخير الكثير في ليلة القدر كانت خيراً من ألف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما يكون في هذه الليلة، فمن أحيى ليلة القدر فكأنّه عبد الله تعالى نيفاً و ثمانين

سنة ، و من أحياها كلّ سنة فكأنّه رزق أعماراً كثيرة ، و من أحيى ليالي الشهر لينالها بيقين فكأنّه أحيى ليلة القدر ثلاثين قدراً ، ومن عمل الخير في ليلة القدر كتب الله له أجر من عمل الخير من ألف شهر.

و في تفسير الرازي قال : و هذا كقول النّبي ﷺ لعلي عليه السلام : « لمبارزة علي مع عمرو بن عبدود أفضل من عمل امّتي إلى يوم القيامة » فلم يقل مثل عمله بل قال : أفضل كأنّه يقول : حسبك من هذا من الوزن والباقي جزاف .

١٠- قيل : ليس المراد من ذكر ألف شهر وزن هذه الليلة بهذا العدد من الأيّام و الليالي و السنين ، و أنّها ترجح عليها في ميزانها ، و إنّما المراد هو تفخيم هذه الليلة و تعظيمها ، و أنّ ذكر هذا العدد ليس إلّا دلالة على عظم شأنها ، إذ كان عدد الألف هو أقصى ما تعرفه العرب من عقود العدد : عشرة ، و مأة، وألف، و مضاعفاتها . . . و إذن فهي ليلة لاحدود لفضلها ، ولا عدل لها من أيّام الزمن و لياليه ، و إن بلغت ما بلغت عدّاً .

و قدر هذه الليلة إنّما هو في أنّها كانت الظرف الّذي نزل فيه القرآن الكريم ، و الوعاء الّذي حمل هذه الرحمة العامة إلى الإنسانية كلّها . . . إنّها الليلة الولود الّتي بزغت فيها شمس الهدى ، على حين أنّه قد تمضي مئات والوف من الليالي عقيماً لا تلد شيئاً ينتفع به ، ولا تطلع على الناس ببارقة من خير يتلقونه منها .

انّ شأن هذه الليلة في الليالي ، شأن رسول الله ﷺ في الإنسانية ، انّه ﷺ واحد الإنسانيّة و مجدها و شرفها ، و هي واحدة ليالي الزمن و مجده و شرفه . . . فكان إلتقاؤها بالنّبي ﷺ على رأس الأربعين من عمره - و قد توّجه ربه بتاج النبوة - كان إلتقاء جمع بين الزمن مختصراً في ليلة ، و بين الإنسانية مختصرة في إنسان هو رسول الله ﷺ وكان ذلك قدراً مقدوراً من الله العزيز الحكيم.

١١- قيل : أي ليلة القدر خير من ألف شهر حمل الإسرائيلي السلاح في

سبيل الله لك ولامّتك من بعدك إلى يوم القيامة في كلّ رمضان . ١٢- قيل : ان وصف الليلة بأنّها خيرمن ألف شهرإنّما جاء بقصد التوكيد لما في الليلة من خير و بركة ، تفوق ما يكون من خيروبركة في ألف شهر.

أقول: إنّ الثاني من الأقوال هو المؤيّد بقوله تعالى : « تنزّل الملائكة و الروح فيها باذن ربهم من كل أمر » فانّه بيان إجمالي لفخامة أمرالليلة فهي ليلة مباركة بهذا الإعتبار وبواسطتين يزيد فضل العبادة فيها على عبادة في غيرها و هكذا غيرالعبادة من صالح الأعمال . . .

٤- (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر)

في قوله تعالى : « تنزّل الملائكة و الروح » أقوال : ١- قيل : تهبط الملائكة وجبرئيل في ليلة القدر من سدرة المنتهى ، ومن كلّ سماء إلى السماء الدنيا ، و جبرئيل على وسط الملائكة فينزلون إلى الأرض ليسمعوا ثناء الدنيا على الله تعالى و يسمعوا قراءتهم القرآن وأذكارهم لله جل وعلا ، و يؤمّنوا على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر. ٢- قيل : أي تنزّل الملائكة والروح بكلأمر إلى السماء الدنيا ليعلم ذلك أهل السماء الدنيا فيكون لطفاً لهم .

٣- قيل : أي تنزّل الملائكة والروح إلى أهل الأرض ليسلمواعلى المؤمنين العابدين بأمرالله تعالى . و انّ المكان لايسعهم إلاّ على سبيل التناوب و النزول فوجاً فوجاً كأهل الحجّ ، فانّهم على كثرتهم يدخلون الكعبة أفواجاً . . . و من فوائد نزولهم في ليلة القدر أنّهم يرون في الأرض من أنواع الطاعات مالم يروها في سكان السموات ، و يسمعون أنين العصاة الّذي هو أحبّ إلى الله تعالى من زجل المسبحين، فيقولون : تعالوا نسمع صوتاً هو أحبّ إلى ربّنا من تسبيحنا ، ولعلّ للطاعة في الأرض خاصّية في هذه الليلة ، فالملائكه أيضاً يطلبونها طمعاً في مزيد الثواب كما أنّ الرجل يذهب إلى مكّة لتصيرطاعاته هناك أكثرثواباً .

٤- قيل : أي تنزّل الملائكة والروح في الليلة باذن ربهم مبتدءاً تنزلهم و

صادراً لأجل تدبير كل أمر من الامور الكونية .

أقول: و الأخير هو الأنسب بظاهر السياق من غير تناف بينه و بين الاقوال الآخر. و في « الروح » أقوال : ١- قيل : الروح : جبرئيل عليه السلام وهو ملك الله تعالى الخاص لنزول الوحي .

٢- عن القشيري : ان الروح صنف الملائكة جعلوا حفظة على سائرهم ، و ان الملائكة لايرونهم كما لانرى نحن الملائكة . وعن كعب و مقاتل بن حيان : الروح : طائفة من الملائكة لاتراهم الملائكة إلّا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس إلى طلوع الفجر. ٣- عن مقاتل : الروح أشرف الملائكة وأقربهم من الله تعالى. ٤-عن إبن عباس : الروح جند من جنود الله عز وجل من غير الملائكة. ٥- عن القشيرى أيضاً : الروح صنف من خلق الله تعالى يأكلون الطعام ولهم أيدو أرجل وليسوا ملائكة . ٦- قيل : الروح خلق عظيم يقوم صفاً والملائكة كلهم صفاً. ٧- قيل : الروح : الرحمة ينزل بها جبرئيل عليه السلام مع الملائكة في هذه الليلة على أهلها ، دليله : « ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » أي بالرحمة . ٨- قيل : الروح هو الوحي كما قال تعالى : « و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » أي تنزّل الملائكة و معهم الوحي بتقدير الخيرات والمنافع .

٩- قيل : أي يتنزّل جبرئيل عليه السلام الذي هو مختصّ بتبليغ الوحي والإتصال بالنّبي صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة القدر ، و أمّا الملائكة الذين يحفون به فهم وفد الله معه لحمل هذه الرحمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى عباد الله . . . وهم إنّما يتنزّلون بأمر الله تعالى كما قال : « و ما نتنزّل إلّا بأمر ربك » مريم : ٦٤) فجبرئيل لم يكن ينزل وحده بالوحي ، و إنّما كان ينزل في كوكبة عظيمة من الملائكة تشريفاً و تكريماً لما يحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من آيات الله تعالى .

١٠- قيل : الروح طائفة من الملائكة لايراهم غيرهم إلّا في هذه الليلة .

١١- قيل:الروح خلق من خلق الله يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة ولامن الانس

و لعلّهم خدم أهل الجنة .

١٢- قيل : الروح هو عيسى بن مريم عليه السلام ينزل ليلة القدر في جماعة من الملائكة ليطالع امة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ١٣- قيل : الروح القرآن لقوله تعالى: «و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا » . ١٤- قيل : الروح هم كرام الكاتبين الّذين هم يطالعون اللوح ، فيرون فيه طاعة المكلفين مفصّلة ، فاذا وصلوا إلى معاصيهم أرخى الستر فلا يرونها ، فحينئذ يقولون: سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح و يشتاقون إلى لقائهم ، فينزلون لذلك .

١٥- قيل : الروح : هو الروح الّذي من الأمر قال الله تعالى : «قل الروح من أمر ربّي » الاسراء : ٨٥) .

أقول: والسادس هو المروي ، من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الاخر.

و في قوله تعالى : « باذن ربّهم » أقوال : ١- قيل : أي بأمر ربّهم كما قال تعالى : « و ما نتنزّل إلاّ بأمر ربك » ٢- قيل : أي بعلم ربّهم كما قال : « أنزله بعلمه » ٣- قيل : أي برخصة من ربهم . والاذن في الشّيء : الرخصة فيه و هو إعلام عدم المانع منه .

أقول: ولكلّ وجه من غير تناف بينها .

و في قوله تعالى : « من كل أمر » أقوال : ١- قيل : أي بكلّ أمر من الخير والبركة كقوله تعالى: «يحفظونه من أمر الله» أي بأمر الله. ٢- عن قتادة: أي بكل أمر قضاه الله في تلك السنة من أجل ورزق إلى مثلها من العام القابل . و عن إبن عباس : أي بكل أمر قدّره الله تعالى و قضاه في تلك السنة إلى قابل كقوله عزّ وجلّ : « يحفظونه من أمر الله » الرعد : ١١) أي بأمر الله تعالى . ٣- عن إبن عباس أيضاً: أي من كل ملك . و تأوّلها الكلبي على أنّ جبرئيل عليه السلام ينزل فيها مع الملائكة، فيسلمون على كل امرىء مسلم فـ « من » بمعنى « على »

٤- قيل : أي تتنزّل الملائكة حاملة من كلّ أمر من أوامر الله تعالى و من

أحكامه ما يأذن الله تعالى لها به كما تقضي بذلك حكمته . ٥- قيل : إن الله تعالى يأمر في ليلة القدر الملائكة بالنزول إلى كلّ مكان من أجل كل شيء . ٦- قيل: أي من خير وشر. ٧- قيل : أي بسبب كل أمر إلهيّ . ف« من » لابتداء الغاية ، و تفيد السببية . والمعنى : تتنزّل الملائكة والروح في ليلة القدر باذن ربهم مبتدءاً تنزّلهم و صادراً من كل أمر إلهي . ٨- قيل : أي لأجل تدبير كلّ أمر من الامور. على أنّ « من » للتعليل بالغاية و المعنى : تتنزّل الملائكة و الروح في هذه الليلة باذن ربّهم لأجل تدبير كل أمر من الامور الكونية .

٩- قيل : للملائكة والروح في ليلة القدر عملان : عمل في نظام العالم و أحكامه بأمر ربّهم ، و عمل أعلى، و هو انّهم يتنزّلون بأمر ربهم ليعلموا العباد والملائكة في تلك الليلة يكون لهم عمل أعظم مجهول للناس ، و ليس لهم به علم إلّا ما جاء في الشريعة والأحاديث الصحيحة .

أقول: والأخير هو الأنسب بسياق الإطلاق .

٥- (سلام هى حتى مطلع الفجر)

في الآية الكريمة أقوال : ١- عن الضحاك : أي ليلة القدر ما هي إلّا سلامة و خير، فأما سائر الليالي فيكون فيها بلاء و سلامة . ٢- قيل : أي ما هي إلّا سلام لكثرة سلام الملائكة على المؤمنين ، و اهل الطاعة والناجين. وعن الشعبي: هو تسليم الملائكة على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر يمرّون على كل مؤمن ، و يقولون : السلام عليك أيّها المؤمن . ٣- عن أبي مسلم : أي هذه الليلة ماهي إلّا سلامة عن الرياح المزعجة والصواعق و نحوها .

٤- عن مجاهد : أي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً و لا أذى . و قيل : أي سلامة عن تسلّط الشيطان و جنسه . ٥- قيل : أي سالمة عن تفاوت العبادة في شيء من أجزائها بخلاف سائر الليالي فانّ الفرض فيها يستحب في الثلث الاوّل ، و النفل في الأوسط والدعاء في السحر. ٦- عن مجاهد أيضاً

و قتادة و إبن زيد و عبدالرحمن بن أبي ليلى : أي سلام ليلة القدر من الشرّ كلّه من أوّلها إلى طلوع الفجر من ليلتها، فتلك الليلة كلّها سلامة و أمان من الشرور و البلايا وآفات الشيطان وهو تأويل قوله تعالى : « في ليلة مباركة » .

٧- قيل : أي سلام على أولياءِ الله تعالى وأهل طاعته من حين تغيب الشمس إلى أن تطلع الفجر، و الضمير: « هي » راجع إلى « ليلة القدر » فيسلّمهم الملائكة تماماً . و عن عطاء و الكلبي : انّ الملائكة يسلّمون على من مرّوا به من المؤمنين المتعبّدين . ٨- قيل: أي تبشّر الملائكة في هذه الليلة المؤمنين والمؤمنات بالسلامة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر على أنّ السلام بمعنى السلامة والضمير عائد إليها .

٩- قيل : انّ تمام الكلام عند قوله تعالى : « باذن ربّهم » ثم ابتدأ فقال : « من كل أمر سلام » أي بكل أمر فيه سلامة و منفعة وخير وبركة لأنّ الله جلّ و علا يقدّر في تلك الليلة كلّ ما فيه خير وبركة ثم قال : « هي حتّى مطلع الفجر» أي السلامة و البركة والفضيلة تمتدّ إلى وقت طلوع الفجر ولا يكون في ساعة منها فحسب بل يكون في جميعها .

١٠- قيل : أي سلام الملائكة بعضهم بعضاً في هذه الليلة . ١١- قيل : انّ السلام بمعنى السلامة و هي التعرّي عن الآفات الظاهرة والباطنة ، ففي قوله تعالى : « سلام هي » إشارة إلى العناية الالهية بشمول الرحمة لعباده المقبلين إليه ، و سدّ باب نقمة جديدة تختصّ بليلة القدر ، و بالمآل يوهن كيد الشيطان فيها.١٢- قيل : أي ليلة القدر ذات سلامة من أن يؤثّر فيها شيطان في مؤمن ومؤمنة .

أقول: و الثاني هو المرويّ وفي معناه بعض الأقوال الاخر فتأمّل جيداً .

﴿ التفسير و التأويل ﴾

١ـ (انا أنزلناه في ليلة القدر)

إنّا أنزلنا بقدرتنا وعظمتنا حسب إقتضاء حكمتنا القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى بيت المعمور ، ومن البيت إلى قلب النّبيّ الكريم محمّد المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم جملة واحدة في ليلة القدر المباركة ، وهي ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك بواسطة أمين الوحي جبرئيل عليه السلام .

قال الله عزّ وجلّ : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين » الشعراء : ١٩٣)

وقال : « حم والكتاب المبين إنّا أنزلناه في ليلة مباركة » الدخان : ١ـ٣)

وقال : « شهر رمضان الّذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان » البقرة : ١٨٥)

فآية القدر تصرح : انّ إنزال القرآن الكريم كان في ليلة القدر، و آية الشعراء تصرح : انّ القرآن نزل بواسطة أمين الوحي ، وآية الدخان تؤكّد ذلك وتبيّن انّ النزول كان في ليلة مباركة ، وآية البقرة ترشد إلى أنّ نزول القرآن المجيد كان في شهر رمضان المبارك.

فللقرآن الكريم نزولان : نزول جمليّ في ليلة القدر عند بزوغ البعثة ، وفي كل سنة في ليلة القدر ،وهو إنزال حقيقة القرآن إلى قلب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم دفعة واحدة . وقد ورد : انه لمّا كانت السنة الّتي توفّى صلّى الله عليه وآله وسلّم فيها عارضه مرّتين

تأكيداً وتثبيتاً .

ونزول نجومي تفصيلي على قلبه ﷺ تدريجاً في مدة الدعوة النبوية ، وهي ثلاث وعشرون سنة حسب الحوادث الواقعة ومقتضي الحكمة الإلهية .

قال الله تعالى : « قل من كان عدوّاً لجبريل فانّه نزّله على قلبك باذن الله مصدّقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » البقرة : ٩٧)

وقال : « وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ـ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلاً » الاسراء : ١٠٥و١٠٦)

وقال : « وقال الّذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبّت به فؤادك ورتّلناه ترتيلاً » الفرقان : ٣٢)

ويدلّ قوله تعالى : « لاتحرّك به لسانك لتعجل به انّ علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه » القيامة : ١٦-١٩) على أنّ نزول القرآن الكريم جملياً غير نزوله تدريجاً ويؤكّده قوله تعالى : « ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه » طه : ١١٤)

٢- (وماأدراك ماليلة القدر)

وماأعلمك ونبّهك يامحمد ﷺ ما خطر ليلة القدر ؟ ماجلالة قدرها وعظم منزلتها؟وماحرمتها؟ ليلة لم تبلغ درايتك غاية فضلها ، ولاعلمك منتهى علوّ قدرها ، ليلة لايدرى أحد كنه عظمتها ولاحدود قدرها ورفعة شأنها ، وإنّما يعلم قدر ليلة القدر من هو علاّم الغيوب الّذي خلق العوالم ، وأنشأها من العدم ، وإن أراد أعلمك قدرها ؟ ليلة شريفة خطيرة في شهر رمضان كل سنة ، ولها مكانة على سائر الليالي لبيان المصالح الدينية و الدنيوية ، ونزول الخير و البركات والمغفرة فيها على المقبلين إلى الله تعالى ، ليلة يقدّر فيها الحوادث الواقعة في السنة ، ويفرق فيها من كل أمر حكيم ، من الآجال والأرزاق والبلايا والأعراض والأمراض ، ليلة يكون لله تعالى فيها البداء والمشيئة ، يقدّم مايشاء وينقص ، ويلقيها إلى رسوله

صلى الله عليه وآله وسلم مادام حياً ، وإلى وصيّه بعد وفاته واحداً بعد واحد إلى يوم القيامة ، و يلهم عبادهما فيه سعادتهم وشقائهم،فجورهم وتقواهم،خيرهموشرّهم ، وصلاحهم وفسادهم ، وفلاحهم وخسرانهم ...

ليلة مباركةيشيرإليها قوله تعالى : « إنّا أنزلناه في ليلةمباركة » الدخان : ٣) ليلة للطاعات والطائعين فيها قدرعظيم ، وثواب جزيل ، ليس لها ولهمذلك في غيرها ، وفيها تحديد الخطّة لنبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم في دعوة الناس إلى ماينقذهم مما كانوا فيه من الشرك والضلالة ، من الجهل والغواية ، من العنادواللجاجة ، و من الإثم والجناية . . .

قال الله عزّوجلّ في صفة الليلة : « إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين فيها يفرق كلّ أمرحكيم أمراً من عندنا إنّا كنا مرسلين رحمة من ربك » الدخان : ٣ ـ ٦) وليس في الأمرالحكيم إلااحكام الحادثة الواقعة بخصوصياتها بالتقدير .

قال الله عزّوجلّ : « وكلّ شيء عندنا بمقدار» الرعد : ٨)

وقال : « وإن من شيءإلاّ عندنا خزائنه وما ننزّله إلاّبقدرمعلوم »الحجر:٢١)

وقال : « إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر » القمر : ٤٩)

وقال : « وخلق كلّ شيء فقدّره تقديراً » الفرقان : ٢)

فليلة القدرلهاقدرسواء كان لهابذاتها أم باعتبار مايقع فيها من نزول الوحي السماوي والملائكة والروح ، وتقدير الامورالكونية ، ويؤكّد ذلك إظهارها مرّة بعد مرّة إذلم يقل : « وماأدراك ماهي خيرمن ألف شهر »

٣ـ(ليلة القدرخيرمن ألف شهر)

ليلة القدر خيرمن ألف شهر لنزول القرآن الكريم والملائكة والروح ، ونزول الخير والبركة والمغفرةوالرحمةالشاملةالالهية فيها،وتقدير الامورالكونية والحوادث الواقعة في طول السنة إلى قابل . . .

ليلة القدر ليلة مباركة نزل فيها القرآن الكريم على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الذي يهدى به الناس، ويخرجون به من الظلمات إلى النور: ظلمات الجهل والضلالة إلى نور العلم و الهداية، ظلمات الشرك واللجاجة إلى نور الإخلاص و الصداقة، ظلمات الكبر والنخوة إلى نور التواضع والسيادة، و ظلمات الخسران و الشقاوة إلى نور الصلاح والسعادة...

ليلة القدر مباركة أنزل الله تعالى فيها آخر كتابه السماوي على خاتم أنبيائه صلى الله عليه وآله وسلم وفيه تبيان كل شيء من الامور الدينية والدنيوية، وما فيه صلاح البشرية وفلاحهم، وعزتهم وخيرهم...

قال الله تعالى: « حم والكتاب المبين إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنّا كنّا مرسلين رحمة من ربك إنّه هو السميع العليم » الدخان: ١-٦)

وقال: « وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتّقوا لعلكم ترحمون » الأنعام: ١٥٥)

وقال: « كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظمات إلى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » ابراهيم: ١)

وقال: « و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا » الشورى: ٥٢)

وقال: « انّ هذا القرآن يهدى للّتى هي أقوم » الاسراء: ٩)

وقال: « الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني - ذلك هدى الله يهدي به من يشاء » الزمر: ٢٣)

وقال: « ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » النحل: ٨٩)

وقال: « فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الّذي أنزل معه اولئك هم المفلحون » الاعراف: ١٥٧)

ولاتقاس بليلة القدر من ليالي السنة ، ولا الليالي ليس فيها هي ،ومن كونها خيراً من ألف شهر ليس من باب المفاضلة .

ولايبعد أن يكون من الحكم في إنزال القرآن الكريم ليلاً ، وجعله وقت التقدير لاالنهار أنّ أكثر الكرامات ونزول النفحات والاسراء كان في الليل ،و انّه وقت الاستراحة ، وزمن حظّ الفراش والوصال ، وانّ العبادة فيه أفضل منها في النهار، وأن قلب الانسان فيه أفرغ للعبادة من النهار ، وانّ النهار وقت التعب والمعاش والمشاغل . . .

قال الله عزّ وجلّ : « ياأيّها المزّمّل قم الليل إلّا قليلاً ـ إنّ ناشئة الليل هي أشدّ وطئاً و أقوم قيلاً » المزمل : ١ـ٦)

وقال : « ومن الليل فاسجد له وسبّحه ليلاً طويلاً » الانسان : ٢٦)

وقال : « سبحان الّذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الّذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انّه هو السميع البصير ـ ومن الليل فتهجّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » الاسراء : ١ـ٧٩)

وقال : « و واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة» الاعراف : ١٤٢)

وقال بعض أصحاب التأويل : يمكن أن يفهم من ليلة القدر طرف الأزل من الامتداد الوهمي الزماني قدر فيه ماكان وماسيكون إلى يوم الدين ، بل إلى الأبد ، وإنّما عبّر عنه بالليلة لأنّ الأشياء كلّها إذ ذاك في حيّز العدم أو الخفاء : « كنت كنزاً مخفياً » وإنّما كانت خيراً من ألف شهر بل من ثلاثين ألف ليلة ، بل من ثلاثين ألف سنة كما قال : « وانّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون» وهي الدور الأعظم دور الثواب لما تقرّر في المعقول والاصول أنّ العناية الأزلية هي الكفاية الأبدية ، ولهذا كانت الامور بخواتيمها ، و كل ميسّر لما خلق له فلولم يكن للشخص سعادة مقدّرة في الأزل لم تفده الطاعة ثلاثين ألف سنة وأ كثر

فانزال القرآن في هذه الليلة عباره عن الإحصاء في اللوح المحفوظ والإمام المبين، وهو وقت صدور الروح الأعظم وملائكة المقربين بسبب كل أمر وهو « كن » من غير توسّط مادّة ومدّة ولكنّها سالمة عن شوائب الجسمانية والعلائق الجرمانية إلى ظهور فجر عالم الأشباح الظاهرة للحواس المعرضة المتعهد والقوى وإليه المصير والمآب. إنتهى كلامه.

أقول: ومـاورد من الروايات: أنّ المراد بليلة القدر أئمتنا أهـل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين وخلافتهم الحقة، والمراد بألف شهر دولـة بني اميّة وحكومتهم الجائرة عليهم نـارجهنم والهاوية فمـن بـاب التأويـل وهو اللبّ الّذي لايخفى على اولى الألباب والله جلّ وعلا هو أعلم.

٤- (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر)

تتنزّل الملائكة والروح القدس من عالمها الروحاني إلى الأرض في ليلة قدر كلّ سنة من شهر رمضان المبارك بأمر ربهم بكل أمر إلهي من الامور الكونية و الحوادث الواقعة الّتي قدّرها الله جلّ وعلا وقضاها في تلك السنة إلى قابل مثلها : « وماتتنزّل إلاّ بأمر ربك » مريم : ٦٤) فيدفعونها إلى رسول الله ﷺ مادام حيّاً وإلى وصيّه المعصوم عليه السلام من بعد مـوته ﷺ إلى يوم القيامة واحداً بعد واحد وهم اثنى عشر إماماً آخرهم المهدي الحجة بن الحسن العسكري صـلوات الله عليهم أجمعين فهم مطلعون على مايحدث في السنة على إختلاف الظروف...

تتنزّل الملائكة وعلى رأسهم عظيمهم في ليلة القدر حاملة من كلّ أمر من أوامر الله تعالى وأحكامه مايأذن الله عزّ وجلّ لها به كماتقضي بذلك حكمته، وهذا مايشير إليه قوله : « أمراً من عندنا إنا كنّا مرسلين رحمة من ربك انّه هـو السميع العليم » الدخان : ٥ و٦)

وقد وردت كلمة « الروح » في القرآن الكريم كثيراً في سياق الاشارة إلى نسمة الحياة كقولـه تعالـى : « ويسئلونـك عن الـروح قـل الـروح من أمر

ربي» الاسراء : ٨٥)

وإلى هبة نسمة الحياة لآدم والمسيح والناس مضافة إلى الله عز وجل كقوله : « فاذا سويته ونفخت فيه من روحي » الحجر : ٢٩) وقوله : « و التي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا» الأنبياء: ٩١) وقوله : « ثم سواه ونفخ فيه من روحه » السجدة : ٨)

وقدورت أيضاً في صدد الاشارة إلى وحي الله تعالى وأوامره وإلى الملك الذي كان ينزله بالقرآن على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كقوله تعالى: « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » النحل : ٢)

٥- (سلام هي حتى مطلع الفجر)

ليلة القدر المباركة التي حفها الخير والبركة بنزول القرآن الكريم فيها، وشهود ملائكة الله جل وعلا والروح ليلة كلها سلامة وأمن ، كلها خير وبركة من أولها إلى آخرها ، ليلة ولدفيها الرحمة والأمن والسلام من بدئها إلى ختامها، فهي ليلة القرآن الكريم . والقرآن من مبدأه إلى ختامه سلام وأمن ورحمة و نور وشفاء وهدية وبرهان . . . كله .

قال الله تعالى : « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » البقرة : ١٨٥)

وقال : « انا أنزلناه في ليلة مباركة ـ رحمة من ربك» الدخان : ٣-٦)

وقال : « وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً » النساء : ١٧٤)

وقال : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً-وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين » الاسراء : ٩-٨٢) ورسول القرآن الكريم هو محمد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ورحمة للعالمين كافة وللمسلمين خاصة .

قال الله عز وجل : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن

أكثر الناس لا يعلمون » سبأ : ٢٨)

و قال : « فبما رحمة من الله لنت لهم » آل عمران : ١٥٨)

و رسالة القرآن هي الإسلام الّذي هو السلام والنجاة والفلاح لمن طلب السلامة و النجاة والفلاح . . .

قال الله تعالى : « إنّ الدين عند الله الإسلام - و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » آل عمران : ١٩-٨٥)

و قال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» المائدة : ٣)

و قال : « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهوعلى نور من ربه » الزمر:٢٢)

و قال : « الّذين يتبعون الرسول النبيّ الامّي - و اتبعوا نور الّذي انزل معه اولئك هم المفلحون » الأعراف : ١٥٧)

و قال : « يا أيها الّذين آمنوا هل ادلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله - وبشّر المؤمنين » الصف : ١٠-١٣)

وقال : « قدجاء كم من الله نورو كتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم» المائدة : ١٥-١٦)

ليلة القدر هي ليلة فرّج الله تعالى فيها الكرب عن نبيّه الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم و فتح له سبيل الهداية و الإرشاد .

قال الله تعالى : « و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي إلى صراط مستقيم » الشورى : ٥٢)

ليلة القدر ليلة تبشّر الملائكة والروح المقبلين إلى الله جلّ وعلا في شهر

العبادة و الإقبال إلى الله تعالى بالسلامة والتعرّي من الآفات الظاهرة والباطنة، و شمول العناية الإلهية ، والرحمة الربوبية لهم ، و سدّ باب الآفات و البلايا و الحوادث . . . ووهن كيد الشيطان عنهم في طول السنة . . .

قال الله تعالى : « انّ الّذين قالوا ربّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا و أبشروا بالجنّة الّتي كنتم توعدون نحن أوليائكم في الحياة الدنيا و في الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون نزلاً من غفور رحيم و من أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انّني من المسلمين » فصلت : ٣٠-٣٣)

و قال تعالى حكاية عن الشيطان :«وماكان لي عليكم من سلطان»إبراهيم:٢٢)

وقال تعالى حكاية عنه أيضاً : « ولا غوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط عليّ مستقيم انّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلاّ من اتبعك من الغاوين » الحجر: ٣٩-٤٢)

و قال تعالى : « انّه ليس له سلطان على الّذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون إنّما سلطانه على الّذين يتولّونه » النحل : ٩٩-١٠٠)

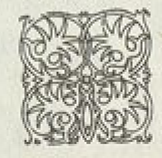
و قال : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصّيام كما كتب على الّذين من قبلكم لعلّكم تتقون ـ و أن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » البقره:١٨٣-١٨٤)

ليلة القدر ليلة تبشّر الملائكة والروح فيها بالبشارة الّتي تظهر آثارها من سيما الصائمين القائمين التائبين الساجدين والداعين إلى الله جل وعلا عند إفطارهم من فرحهم و سرورهم و سلامة أنفسهم و طمأنينة قلوبهم . . . من الجوع والعطش في النهار كما تظهر آثار النقمة من الحزن والغمّ والإضطراب . . . من سيما غير الصائمين الشاردين المتمردين عندئذ . .

و تمتدّ ليلة القدر من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، و أيّ عمل صالح

فيها لوجه الله تعالى فهو أمان لفاعله من غضب الله تعالى وعذابه يوم تجزى كل نفس بما كسبت .

و فقّنا الله تبارك وتعالى بما يحبّه و يرضاه بحق حبيبه محمّد المصطفى و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .



﴿ جملة المعانى ﴾

٦١٣٦- (انا أنزلناه فى ليلة القدر)

إنّا أنزلنا القرآن الكريم دفعة واحدة على قلب رسولنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة القدر في شهر رمضان المبارك عند بزوغ البعثة ثم أنزلناه نجوماً عليه حسب الحوادث الواقعة، و مقتضى الحكمة الالهيه في مدة ثلاث وعشرين سنة.

٦١٣٧- (وما أدراك ما ليلة القدر)

وما أعرفك وأعلمك أيّها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ماجلالة ليلة القدر وشأنها ومكانتها عندنا، فعلينا البيان لك و هو على طريق الإجمال و الإختصار :

٦١٣٨- (ليلة القدر خير من ألف شهر)

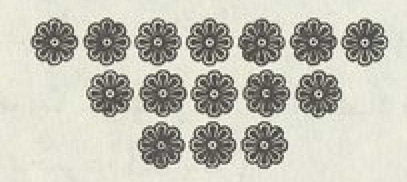
ليلة القدر عندنا خير من ألف شهر ليس فيه ليلة القدر، فلها عظمة ومنزلة عندنا لاتقاس بها الشهور الّتي ليست هي فيها و ذلك أن :

٦١٣٩- (تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر)

تتنزّل ملائكة الله جل وعلا والروح القدس في هذه الليلة المباركة بالرخصة من جانب ربهم بكل أمر إلهيّ من الامور الكونية والحوادث الواقعة في طول السّنة إلى مثلها من قابل بسبب أعمال العباد في هذا الشهر المبارك تارة، فيعرف فيه المطيع و العاصي، و المؤمن والمنافق، فيقدّر على كل بحسب مقتضى عمله، و يقدّر على كل مسلم وكافر بحسب مقتضى الحكمة الإلهية تارة اخرى.

٦١٣٠- (سلام هى حتى مطلع الفجر)

ليلة القدر هي سلام و أمن للمقبلين إلى الله تعالى بالصوم والصلاة والدعاء و صالح الأعمال في شهر رمضان المبارك هي سلام لهم من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، و تبشّرهم فيها بالسلامة و التعرّي من الآفات الظاهرة والباطنة، و بشمول الرحمة والعناية الإلهية لهم و سدّ باب النقمة و وهن كيد الشياطين عنهم في طول السنة.



﴿ بحث روائی ﴾

فی كتاب الغيبة للشيخ الطوسي قدّس سرّه - في حديث طويل - باسناده عن المفضّل بن عمر عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام انّه قال : يا مفضّل إنّ القرآن نزل في ثلاث وعشرين سنة ، والله يقول : « شهر رمضان الّذي انزل فيه القرآن » و قال : « إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين فيها يفرق كلّ أمر حكيم أمراً من عندنا إنّا كنّا مرسلين » وقال : « لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبّت به فؤادك » قال المفضّل : يا مولاي فهذا تنزيله الّذي ذكره الله في كتابه، و كيف ظهر الوحي في ثلاث وعشرين سنة ؟ قال : نعم يا مفضّل أعطاه الله القرآن في شهر رمضان ، و كان لا يبلّغه إلاّ في وقت إستحقاق الخطاب ، ولا يؤدّيه إلاّ في وقت أمر ونهي ، فهبط جبرئيل عليه السلام بالوحي فبلّغ ما يؤمر به ، وقوله : « لا تحرّك به لسانك لتعجل به » فقال المفضّل : أشهد أنكم من علم الله علمتم ، و بقدرته قدرتم ، و بحكمه نطقتم ، و بأمره تعملون .

و فی أمالی الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عمرو الشامي عن الصادق عليه السلام قال : « إنّ عدّة الشهور عند الله إثنى عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض » فغرّة الشهور شهر الله عزّ وجل و هو شهر رمضان وقلب شهر رمضان ليلة القدر ، ونزل القرآن في أوّل ليلة من شهر رمضان فاستقبل الشهر بالقرآن .

وفيه: باسناده عن حفص قال : قلت للصادق عليه السلام : أخبرني عن قول الله

عزّ وجلّ: « شهر رمضان الّذي انزل فيه القرآن » كيف انزل القرآن في شهر رمضان ، وإنّما انزل القرآن في مدّة عشرين سنة ، أوّله وآخره ؟ فقال عليه السلام : انزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم انزل من البيت المعمور في مدة عشرين سنة .

أقول: إنّ المراد من قوله عليه السلام : « نزل القرآن في أوّل ليلة من شهر رمضان » انّه أخذ نزوله منجّماً في أوّل ليلة من شهر رمضان المبارك بعد أن نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سورة العلق و الفاتحة ، وكان نزوله جملة واحدة في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك .

و في قول السائل: « في مدّة عشرين سنة» على سبيل التقريب ، فأجاب الإمام عليه السلام على تقريبه و إلاّ نزل القرآن الكريم منجّماً في مدّة ثلاث وعشرين سنة بلا خلاف .

وفيه: ـ في خطبة خطبها الحسن بن عليّ عليهما السلام بعد وفاة أبيه ـ : قال :أيّها الناس في هذه الليلة نزل القرآن ، و في هذه الليلة رفع عيسى بن مريم ، و في هذه الليلة قتل يوشع بن نون ، و في هذه الليلة مات أبي أمير المؤمنين عليه السلام .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « إنا أنزلناه » : القرآن إلى بيت المعمور « في ليلة القدر » دفعة (جملة واحدة خ) و على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طول ثلاث و عشرين سنة « و ما أدراك ما ليلة القدر » و معنى ليلة القدر : انّ الله تعالى يقدر فيها الآجال و الأرزاق ، و كل أمر يحدث من موت أو حياة أو خصب أو جدب أو خير أو شرّ لقوله تعالى : « فيها يفرق كل أمر حكيم » إلى سنة « ليلة القدر خير من ألف شهر تنزّل الملائكة والروح » : روح القدس على إمام الزمان ، ويدفعون إليه ما قد كتبوه من هذه الامور : « فيها » : في هذه الليلة « باذن ربّهم من كل أمر سلام » تحيّة يحيّى بها الإمام « هي حتّى مطلع الفجر » إلى أن يطلع الفجر.

وفيه: في قوله تعالى : « في ليلة مباركة » الدخان : ٣) و هي ليلة القدر أنزل الله القرآن فيها إلى بيت المعمور جملة وأحدة ، ثم نزل من البيت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طول ثلاث وعشرين سنة « فيها يفرق كل أمر حكيم» يعني في ليلة القدر كل أمر من الحق والباطل ، وما يكون في تلك السنة ، وله فيه البداء والمشيئة يقدم ما يشاء و ينقص ما يشاء من الآجال والأرزاق والبلايا و الأعراض والأمراض ، و يزيد فيها ما يشاء ، و ينقص ما يشاء و يلقيه رسول الله إلى أمير المؤمنين ، و يلقيه أمير المؤمنين إلى الأئمة حتّى ينتهي إلى صاحب الزمان عليه السلام و يشترط له ما فيه البداء والمشيّة والتقديم و التأخير.

وفي الكافي: باسناده عن حسّان بن مهران عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئلته عن ليلة القدر فقال : إلتمسها في ليلة إحدى وعشرين أو ليلة ثلاث وعشرين .

وفي المجمع : و عن حمّاد بن عثمان عن حسّان بن أبي عليّ قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن ليلة القدر قال: اطلبها في تسع عشرة وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين.

أقول: إنّ الإمام عليه السلام لم يعيّنها تعظيماً لأمرها أن لا يستهان بها بارتكاب المعاصي ، و سيأتي الكلام في إختفائها تفصيلاً إن شاءالله تعالى فانتظر.

وفي الكافي: باسناده عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فقال له أبو بصير: جعلت فداك الليلة الّتي يرجى فيها ما يرجى ؟ فقال : في إحدى و عشرين أو ثلاث وعشرين قال : فان لم أقو على كلتيهما ؟ فقال : ما أيسر ليلتين فيما تطلب ، قلت : فربّما رأينا الهلال عندنا و جائنا من يخبر بخلاف ذلك من أرض اخرى ، فقال : ما أيسر أربع ليال تطلبها فيها قلت : جعلت فداك ليلة ثلاث و عشرين ليلة الجهنيّ ، فقال : إن ذلك ليقال قلت : جعلت فداك انّ سليمان بن خالد روى في تسع عشرة يكتب و فدالحاج فقال لي :

يا أبا محمّد و فدالحاج يكتب في ليلة القدر والمنايا والبلايا والأرزاق ، وما يكون إلى مثلها في قابل ، فاطلبها في ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين، وصلّ في

كل واحدة منهما مأة ركعة ، وأحيهما إن استطعت إلى النور و اغتسل فيهما قال : قلت : فان لم أقدر على ذلك و أنا قائم ؟ قال : فصل وأنت جالس قلت :فان لم أستطع ؟ قال : فعلى فراشك لاعليك أن تكتحل أول الليل بشيء من النوم ان أبواب السماء تفتح في رمضان ، و تصفد الشياطين و تقبل أعمال المؤمنين ،نعم الشهر رمضان كان يسمى على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرزوق .

قوله عليه السلام : « الليلة التي يرجى فيها ما يرجى » أي من الرحمة والمغفرة وقبول الطاعات و تضاعف الحسنات في ليلةالقدر ، و «ليلة الجهنى» إسم الجهنى عبدالله بن أنيس الأنصاري ، و حديثه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان منزلي نأى عن المدينة ، فمرني بليلة أدخل فيها فأمره بليلة ثلاث وعشرين . و « يكتب و فد الحاج » : هم القادمون إلى مكة للحج فان تلك الليلة تكتب أسماء من قدر له أن يحج في تلك السنة ، و « إلى النور » كناية عن إنفجار الصبح بالفلق ، و « تصفد » أي تقيد و تشد .

وفيه: باسناده عن أبي بصيرعن أبي عبدالله عليه السلام قال : نزلت التوراة في ست مضت من شهر رمضان ، و نزل الانجيل في إثني عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، و نزل الزبور في ليلة ثماني عشرة مضت من شهر رمضان ، و نزل القرآن في ليلة القدر .

و فى تفسير العياشي : باسناده عن عمرو بن سعيد قال : خاصمني رجل من أهل المدينة في ليلة الفرقان حين إلتقى الجمعان ، فقال المديني : هي ليلة سبع عشرة من رمضان ، قال : فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت له و أخبرته ، فقال لي : جحد المديني أنت تريد مصاب أميرالمؤمنين انه اصيب ليلة تسع عشرة من رمضان ، و هي الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم عليه السلام .

وفى الكافى: باسناده عن إسحق بن عمار قال: سمعته يقول : وناس يسئلونه يقولون : الأرزاق تقسم ليلة النصف من شعبان ، قال : فقال : لا والله ماذاك إلا في

ليلة تسع عشرة من شهر رمضان ، و إحدى وعشرين ، وثلاث وعشرين ، فانّ في ليلة تسع عشرة يلتقى الجمعان ، و في ليلة إحدى وعشرين يفرّق كل أمر حكيم، و في ليلة ثلاث وعشرين يمضي ما أراده الله عزّ وجلّ من ذلك ، و هي ليلة القدر التي قال الله عزّ وجلّ : « خير من ألف شهر » قال : قلت : ما معنى قوله : « يلتقى الجمعان » ؟ قال : يجمع الله فيها ما أراد من تقديمه وتأخيره و إرادته وقضائه قال : قلت : فما معنى يمضيه في ثلاث و عشرين ؟ قال : إنّه يفرقه في ليلة إحدى و عشرين إمضاؤه و يكون له فيه البداء فاذا كانت ليلة ثلاث وعشرين أمضاه فيكون من المحتوم الذي لا يبدو له فيه تبارك و تعالى .

وفيه : باسناده عن زرارة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : التقدير في ليلة عشرة والابرام في ليلة إحدى وعشرين ، والامضاء في ليلة ثلاث وعشرين .

وفى تحف العقول : ـ في حديث ـ حين قال للحسن بن علي عليهما السلام معاوية بن أبي سفيان بعد الصلح : يا أبا محمد أخبرنا عن ليلة القدر؟ قال : نعم عن مثل هذا فاسئل انّ الله خلق السموات سبعاً، والأرضين سبعاً والجن من سبع ، والإنس من سبع ، فتطلب من ليلة ثلاث وعشرين إلى ليلة سبع وعشرين ثم نهض عليه السلام .

وفى الخصال : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : الغسل في سبعة عشر موطناً : ليلة سبع عشرة من شهر رمضان وهي ليلة التقاء الجمعين :ليلة بدر و ليلة تسع عشرة وفيها يكتب الوفد : وفد السنة ، وليلة إحدى وعشرين وهي الليلة التي مات أو صياء النبيين صلوات الله عليهم وفيها رفع عيسى بن مريم ، و قبض موسى عليه السلام وليلة ثلاث وعشرين ترجى فيها ليلة القدر .

وقال عبدالرحمن بن أبي عبد الله البصري : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : إغتسل في ليلة أربعة وعشرين فما عليك أن تعمل في الليلتين . . . الحديث .

وفى البحار : بالإسناد عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال :الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ينزل فيها مايكون في السنة إلى مثلها من خير أو

شرّ ورزق أو أمر أو موت أو حياة ، ويكتب فيها وفد مكّة ، فمن كان في تلك السنة مكتوباً لم يستطع أن يحبس ، وإن كان فقيراً مريضاً ، ومن لم يكن فيها مكتوباً لم يستطع أن يحجّ وإن كان غنيّاً صحيحاً .

وفيه : عن عباية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إعتكف عاماً في العشر الأوّل من شهر رمضان ، واعتكف في العام المقبل في العشر الأوسط منه ، فلمّا كان العام الثالث رجع من بدر فقضى إعتكافه فنام ، فرأى في منامه ليلة القدر في العشر الأواخر كأنّه يسجد في ماء وطين ، فلمّا استيقظ رجع من ليلته وأزواجه واناس معه من أصحابه ثم انهم مطروا ليلة ثلاث وعشرين ، فصلّى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حين أصبح فرئى في وجه النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الطين ، فلم يزل يعتكف في العشر الأواخر من رمضان حتّى توفّاه الله .

وفيه : بالاسناد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ الله إختار من الأيّام الجمعة ، و من الشهور شهر رمضان ، ومن الليالي ليلة القدر .

وفيه : عن عليّ عليه السلام انه قال : سلوا الله الحج في ليلة سبع عشرة من شهر رمضان ، وفي تسع عشرة ، وفي إحدى وعشرين ، وفي ثلاث وعشرين ، فانه يكتب الوفد في كل عام ليلة القدر وفيها يفرق كل أمر حكيم .

وفي تفسير القمي : عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : « ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها » قال : إنّ عند الله كتباً موقوفة يقدّم منها مايشاء ويؤخّر فاذا كان ليلة القدر أنزل الله فيها كل شيء يكون إلى مثلها ، فذلك قوله : « ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها » إذا أنزل و كتبه كتّاب السموات وهو الّذي لايؤخّره .

وفي عيون الاخبار : باسناده عن الحسن بن محمّد النوفلي قال : قال سليمان المروزي للرضا عليه السلام : ألاتخبرني عن : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » في

أيّ شيء انزلت ؟ قال : ياسليمان ليلة القدر يقدّر الله عزّ وجل فيها مايكون من السنة إلى السنة من حياة أوموت أو خيرأو شرّ أو رزق ، فما قدّره في تلك الليلة فهو من المحتوم .

وفي الكافي : باسناده عن حمران انه سئل أباجعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجل : « إنّا أنزلناه في ليلة مباركة » قال : نعم ليلة القدر وهي في كل سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر فلم ينزل القرآن إلاّ في ليلة القدر قال الله عزّ وجلّ : « فيها يفرق كل أمر حكيم » قال : يقدّر في ليلة القدر كل شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل ، خير وشرّ وطاعة ومعصية ومولود و أجل أو رزق ، فما قدّر في تلك السنة ، و قضى فهو المحتوم ، ولله عزّ وجلّ فيه المشيئة ، قال : قلت : « ليلة القدر خيرمن ألف شهر » أيّ شيءعنى بذلك ؟ فقال : العمل الصالح فيها من الصلاة والزكاة وأنواع الخير ، خيرمن العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ولولا مايضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين مابلغوا ولكن الله يضاعف لهم الحسنات بحبّنا .

قوله عليه السلام : « ولله عزّ وجل فيه المشيّة » أراد الإمام عليه السلام به إطلاق قدرته جلّ وعلا ، فله أن يشاء ما يشاء وإن حتم ، فانّ ايجابه الأمر لايقيّد القدرة المطلقة فله أن ينقض القضاء المحتوم وإن كان لايشاء ذلك أبداً .

وقوله عليه السلام : « مابلغوا » أي غاية الفضل والثواب .

وفي تفسير العياشي: عن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الأجل الّذي يسمّى في ليلة القدر هو الأجل الّذي قال الله تعالى : « فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون »

وفي الكافي : باسناده عن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال : سئلته عن علامة ليلة القدر فقال : علامتها أن تطيب ريحها، وإن كانت في برد دفئت وإن كانت في حرّ بردت ، فطابت قال : وسئل عن ليلة القدر فقال : تنزل فيها الملائكة

والكتبة إلى السماء الدنيا ، فتكتبون مايكون في أمر السنة ، ومايصيب العبادو أمره عنده موقوف له ، وفيه المشيئة ، فيقدّم منه مايشاء ويؤخّر منه مايشاء و يمحو ويثبت و عنده ام الكتاب .

وفي روضة الكافي : باسناده عن يعقوب بن شعيب انّه سئل أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ: «كان الناس امة واحدة» فقال : كان الناس قبل نوح امة ضلال فبدالله فبعث المرسلين، وليس كما يقولون : لم يزل و كذبوا يفرق الله في ليلة القدر ماكان من شدّة أو رخاء أو مطر بقدر مايشاء الله عزّوجلّ أن يقدّر إلى مثلها من قابل .

وفي البحار : عن أبي عبدالله عليه السلام : انّ ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان هي ليلة الجهني ، فيها يفرق كل أمر حكيم ، وفيهاتثبت البلايا والمنايا والآجال و الأرزاق والقضايا ، وجميع مايحدث الله فيها إلى مثلها من الحول ، فطوبى لعبد احياها راكعاً وساجداً ، ومثّل خطاياه بين عينيه و يبكي عليها، فاذا فعل ذلك رجوت أن لايخيب إن شاء الله .

وفي الكافي : باسناده عن داود بن فرقد قال : حدّثني يعقوب قال : سمعت رجلاً يسئل أباعبد الله عليه السلام عن ليلة القدر فقال: أخبرني عن ليلة القدر كانت أو تكون في كل عام ؟ فقال أبوعبدالله عليه السلام: لو رفعت ليلة القدر لرفع القرآن .

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انّه قال : إذا أتى شهر رمضان فاقرأ كل ليلة : «إنّا أنزلناه» ألف مرّة فاذا أتت ليلة ثلاث وعشرين ، فاشدد قلبك وافتح اذنيك بسماع العجائب مماترى قال : وقال رجل لأبي جعفر عليه السلام : يابن رسول الله كيف أعرف ان ليلة القدر في كل سنة ؟ قال : إذا أتى شهر رمضان فاقرأ سورة الدخان في كل ليلة مرّة ، وإذا أتت ليلة ثلاث وعشرين فانك ناظر إلى تصديق الذي عنه سئلت .

وفي البحار : عن أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه انه قال : قلت :

يارسول الله ليلة القدر شيء يكون على عهد الأنبياء ينزل فيها عليهم الأمر، فـاذا مضوا رفعت ؟ قال: لا بل هي إلى يوم القيامة .

أقول : رواه البحراني قدّس سرّه في تفسير البرهان ، وفي معناه غير واحد من الروايات عن طرق العامة .

وفيه : عن الصادق عليه السلام انّه قال : انها ـ ليلة القدر ـ باقية إلى يوم القيامة لأنّها لو رفعت لارتفع القرآن .

أقول : وقد اتفقت الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين: انّ ليلة القدر باقية متكررة تكرر السنين ، وأنّها ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك وأنها إحدى الليالى الثلاث ،ويدلّ على الإستمرار ايثار المضارع : « تنزّل الملائكة والروح » فتنزّل الملائكة والروح في كل عام بالأمر المحتوم لكل قوم ، ولولا ذلك لما كان بكل أمر ، ففي زمن النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كان هو المنزل عليه ومن بعده على أوصيائه أوّلهم مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام وآخرهم القائم صلوات الله عليهم أجمعين فهو المنزل عليه إلى يوم القيامة حيث انّ الأرض لاتخلو من حجّة الله عليها وهو عليه السلام الحجّة الباقية إلى يوم القيامة .

وفى التهذيب : عن إبن أبي عمير عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ليلة القدر في كل سنة ويومها مثل ليلتها .

وفى مجالس الشيخ : قدّس سرّه باسناده عن سماعة قال : قال لي : صلّ في ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان في كل واحدة منهما ان قويت على ذلك مائة ركعة سوى الثلاثة عشر وأسهر فيها حتّى تصبح ، فـانّ ذلك يستحبّ أن يكون في صلاة ودعاءٍ وتضرّع ، فانّه يرجى أن يكون ليلة القدر في أحدهما ، وليلة القدر خير من ألف شهر ، فقلت له : كيف هي خير من ألف شهر؟ قال : العمل فيها خير من العمل في ألف شهر وليس في هذه الأشهر ليلة القدر ،

و هي تكون في رمضان و فيها يفرق كل أمر حكيم ، فقلت : و كيف ذلك؟ فقال: ما يكون في السنة ، و فيها يكتب الوفد إلى مكة .

وفي الكافي: باسناده عن إبن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام قالوا : قال له بعض أصحابنا ـ قال : ولا أعلمه الاسعيد السمّان ـ : كيف يكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟ قال : العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

وفي بصائر الدرجات : أحمد بن إسحق عن الحسن بن عبّاس بن جريش (حريش ظ) عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئل أبا عبدالله عليه السلام رجل من أهل بيته عن سورة : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » فقال : و يلك سئلت عن عظيم ! إيّاك و السئوال عن مثل هذا ، فقام الرجل قال : فأتيته يوماً، فأقبلت عليه ، فسئلته فقال: « إنّا أنزلناه » نور عند الأنبياء والأوصياء لايريدون حاجة من السماء ولا من الأرض إلّا ذكروها لذلك النور فأتاهم بها ، فانّ ممّا ذكر علي بن أبيطالب عليه السلام من الحوائج أنّه قال لأبي بكر يوماً : «لاتحسبنّ الّذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم » فاشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله مات شهيداً فايّاك أن تقول : إنّه ميّت ، والله ليأتينّك فاتق الله إذا جاءك الشيطان غير متمثّل به .

فبعث به (فعبث به خ) (فلعب به خ) أبو بكر فقال : إن جائني والله أطعته و خرجت ممّا أنا فيه ، قال : و ذكر أمير المؤمنين عليه السلام لذلك النور فعرج إلى أرواح النبيين ، فاذا محمد صلى الله عليه وآله قد البس وجهه ذلك النور و أتى وهو يقول : يا أبابكر آمن بعليّ عليه السلام و بأحد عشر ولده إنهم مثلي إلّا النبوّة ، وتب إلى الله بردّ ما في يديك إليهم ، فانّه لاحقّ لك فيه قال : ثم ذهب فلم ير.

فقال أبو بكر: أجمع الناس فأخطبهم بما رأيت و أبرأ إلى الله ممّا أنا فيه إليك يا عليّ على أن تؤمنني ، قال: ما أنت بفاعل ولولا أنك تنسى ما رأيت لفعلت قال : فانطلق أبو بكر إلى عمر ورجع نور : « إنّا أنزلناه » إلى علي عليه السلام فقال له :

قد اجتمع أبو بكر مع عمر فقلت : أوعلم النور ؟ قال : إن له لساناً ناطقاً و بصراً نافذاً يتجسّس الأخبار للأوصياء و يستمع (يسمع خ) الأسرار و يأتيهم بتفسير كل ّأمر يكتتم به أعداءهم .

فلمّا أخبر أبو بكر الخبر عمر قال : سحرك و إنها لفي بني هاشم لقديمة قال: ثم قاما يخبران الناس فما دريا ما يقولان قلت : لماذا ؟ قال : لأنهما قد نسياه و جاء النور فأخبر علياً عليه السلام خبرهما ، فقال : بعداً لهما كما بعدت ثمود .

قوله عليه السلام : « لفعلت » أي لفعلت أشياء اخر من التشنيع والنسبة إلى السحر و غيرهما كما يؤمي إليه آخر الخبر.

وفي البحار: بالإسناد عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قوله عزّ وجلّ : « خير من ألف شهر» هو سلطان بني اميّة ، و قال :ليلة من إمام عادل (عدل خ) خير من ألف شهر من ملك بني اميّة ، وقال: « تنزّل الملائكة والروح فيها باذن ربهم » أي من عند ربهم على محمد و آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بكل أمر سلام .

وفي البحار: عن الأصبغ بن نباتة : انّ رجلاً سئل علياً عليه السلام عن الروح قال: ليس هو جبرئيل قال علي عليه السلام : جبرئيل من الملائكة والروح غير جبرئيل ، و كان الرجل شاكاً ، فكبر ذلك عليه فقال : لقد قلت : عظيماً ما أحد من الناس يزعم أنّ الروح غير جبرئيل قال عليه السلام : أنت ضالّ تروي عن أهل الضلال يقول الله لنبيه: « أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه و تعالى عمّا يشركون ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » النحل : ١ و ٢)

فالروح غير الملائكة و قال : « ليلة القدر خير من ألف شهر تنزّل الملائكة والروح فيها باذن ربهم » و قال : «يوم يقوم الروح والملائكة صفّاً » النبأ : ٣٨) و قال لآدم وجبرئيل يومئذ مع الملائكة : «انّي خالق بشراً من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » ص ٧٢) فسجد جبرئيل مع الملائكة للروح و قال لمريم : « فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سويّاً »مريم :١٧)

و قال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم : « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانّه لفى زبر الأوّلين » الشعراء : ١٩٣) والزبر: الذكرو الأوّلين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم فالروح واحدة والصور شتّى .

قال سعد : فلم يفهم الشاك ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام غير أنّه قال : الروح غير جبرئيل فسئله عن ليلة القدر فقال :إنّي أراك تذكر ليلة القدر تنزّل الملائكة والروح فيها قال له عليّ عليه السلام : إن عمى عليك شرحه ، فسا عطيك ظاهراً منه تكون أعلم أهل بلادك بمعنى ليلة القدر قال : قد أنعمت عليّ إذاً بنعمة قال له عليّ عليه السلام : إنّ الله فرد يحبّ الوتر، وفرد إصطفى الوتر فأجرى جميع الأشياء على سبعة ، فقال عزّوجل : « خلق سبع سموات و من الأرض مثلهن » الطلاق:١٢)

و قال : « خلق سبع سماوات طباقاً » الملك : ٣)

و قال في جهنم : « لها سبعة أبواب » الحجر: ٤٤)

و قال : « سبع سنبلات حضر واخر يا بسات » يوسف : ٤٦)

و قال : سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف » يوسف : ٤٣)

و قال : « حبّة أنبتت سبع سنابل » البقرة : ٢٦١)

و قال : « سبعاً من المثاني والقرآن العظيم » الحجر: ٨٧)

فأبلغ حديثي أصحابك لعلّ الله يكون قد جعل فيهم نجيباً إذا هو سمع حديثنا نفر قلبه إلى مودّتنا ، و يعلم فضل علمنا و ما نضرب من الأمثال التي لايعلمها إلّا العالمون بفضلنا .

قال السائل : بيّنها في أيّ ليلة أقصدها ؟ قال : اطلبها في سبع الأواخر والله لئن عرفت آخر السبعة لقد عرفت أوّلهن ، ولئن عرفت أوّلهن لقد أصبت ليلة القدر قال : ما أفقه ما تقول قال : انّ الله طبع على قلوب قوم ، فقال : « إن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً » الكهف : ٥٧)

فأمّا إذا أبيت و أبى عليك أن تفهم فانظر فاذا مضيت ليلة ثلاث وعشرين

من شهر رمضان فاطلبها في أربع و عشرين ، و هي ليلة السابع و معرفة السبعة ، فانّ من فاز بالسبعة كمل الدين كلّه ، و هي الرحمة للعباد والعذاب عليهم ، و هم الأبواب الّتي قال الله تعالى : « لكل باب منهم جزء مقسوم » يهلك عند كل باب جزء و عند الولاية كل باب .

وفي بصائر الدرجات : باسناده عن داود بن فرقد قال : سئلته عن قول الله عزّ وجل : « إنا أنزلناه في ليلة القدر و ما أدراك ما ليلة القدر » قال : نزل فيها ما يكون من السنة إلى السنة، من موت أو مولود قلت له : إلى من؟ فقال: إلى من عسى أن يكون ؟ انّ الناس في تلك الليلة في صلاة و دعاء و مسئلة و صاحب هذا الأمر في شغل تنزّل الملائكة إليه بامور السنة من غروب الشمس إلى طلوعها من كل أمر سلام هي له إلى أن يطلع الفجر.

وفيه: باسناده عن هشام قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : قول الله تعالى في كتابه : « فيها يفرق كل أمر حكيم» قال : تلك ليلة القدر يكتب فيها وفد الحاج، و ما يكون فيها من طاعة أو معصية أو موت أو حياة ، و يحدث الله في الليل والنهار ما يشاء ثمّ يلقيه إلى صاحب الأرض . قال الحارث بن المغيرة البصري فقلت : و من صاحب الأرض ؟ قال : صاحبكم .

وفيه: باسناده عن أبي بصير قال : كنت مع أبي عبدالله عليه السلام فذكر شيئاً من أمر الامام إذا ولد قال : و استوجب زيارة الروح في ليلة القدر فقلت : جعلت فداك أليس الروح جبرئيل ؟ فقال : جبرئيل من الملائكة والروح خلق أعظم من الملائكة أليس الله يقول : «تنزّل الملائكة والروح »

وفي تفسير الفرات الكوفي: محمّد بن القاسم بن عبيد معنعنا عن أبي عبدالله عليه السلام انّه قال : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » الليلة : فاطمة سلام الله عليها والقدر: الله فمن عرف فاطمة حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر ، و إنّما سمّيت فاطمة لأنّ الخلق فطموا عن معرفتها .

وفى البحار: بالإسناد عن زرارة عن حمران قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عمّا يفرق في ليلة القدر هل هو ما يقدّر الله فيها ؟ قال : لاتوصف قدرة الله إلّا أنّه قال : « فيها يفرق كل أمر حكيم » فكيف يكون حكيماً إلّا ما فرق ولا توصف قدرة الله سبحانه لأنّه يحدث ما يشاء ، و أمّا قوله : « ليلة القدر خير من ألف شهر » يعني فاطمة عليها السلام و قوله : « تنزّل الملائكة والروح فيها » والملائكة في هذا الموضع المؤمنون الّذين يملكون علم آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم والروح روح القدس وهو في فاطمة سلام الله عليها « من كل أمر سلام » يقول : من كل أمر مسلّمة « حتّى مطلع الفجر » يعني حتّى يقوم القائم عليه السلام .

أقول: إنّ التأويل في الرواية ممالا يخفى على من له الدراية، فانّ تأويله عليه السلام ليلة القدر» بفاطمة سلام الله عليها فهذا بطن من بطون الآية الكريمة، وتشبيهها بالليلة إمّا لسترها وعفافها ، و إمّا لما يغشاها من ظلمات الظلم والجور بعد أبيها صلّى الله عليه وآله وسلّم .

كما ورد في تأويل قوله تعالى : « و الكتاب المبين إنّا أنزلناه في ليلة مباركة ـ فيها يفرق كل أمر حكيم » انّ الكتاب المبين هو الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام و الليلة المباركة هي فاطمة الزهراء سلام الله عليها ، وانّ المراد بالمؤمنين هم أئمتنا أهل بيت النبوّة عليهم السلام أو العلماء العاملون ، فانّهم يملكون علم آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم و سمّوا ملائكة لانّهم يحفظونها ونزولهم فيها كناية عن حصولهم منها ، و تأويل الفجر بقيام القائم عليه السلام بغشيان الظلم أنسب فانّه عليه السلام عند ذلك يسفر الحق وتنجلي عنهم ظلمات الجور و عن أبصار الناس أغشية الشبه فيهم ، و يحتمل أن يكون طلوع الفجر إشارة إلى طلوع الفجر من جهة المغرب الّذي هو من علائم ظهوره عليه السلام .

و فى محاسن البرقى بالإسناد عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : حججنا مع أبي عبدالله في السنة الّتي ولد فيها إبنه موسى عليه السلام فلمّا نزل الأبواء وضع لنا الغذاء وكان إذا وضع الطعام لأصحابه أكثره وأطابه ، قال:

فبينا نحن نأكل إذ أتاه رسول حميدة فقال : إنّ حميدة تقول لـك : أنّي قـد أنكرت نفسي ، وقد وجدت ما كنت أجد إذا حضرتني ولادتي ، وقد أمرتني أن لا أسبقك با بني هذا ، قال : فقال أبوعبدالله عليه السلام فانطلق مع الرسول فلما إنطلق قال له أصحابه : سرّك الله وجعلنا فداك ما صنعت حميدة؟ قال : قد سلّمهـا الله و وهب لي غلاماً و خيرمن برأ الله في خلقه ، و قـد أخبرتني حميدة ظنّت أنّي لا أعرفه و لقد كنت أعلم به منها ، فقلت : و ماأخبرتك به حميدة ؟ قال:ذكرت انّه لما سقط من بطنها سقط واضعاً يـده على الأرض رافعـاً رأسه إلى السمـاء فأخبرتها انّ تلك أمارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أمارة الوصي من بعده .

فقلت : و ما هذا من علامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ و علامة الوصي من بعده ؟

فقال : يا أبا محمد انّه لما أن كانت الليلة التي علق فيها با بني هـذا المولود أتـاني آت فسقاني كما سقاهم ، و أمرني بمثل الذي أمرهم به ، فقمت بعلم الله مسروراً بمعرفتي ما يهب الله لي ، فجامعت ، فعلق با بني هذا المولود ، فدونكم فهووالله صاحبكم من بعدي ان نطفة الإمام مما أخبرتك ، فاذا سكنت النطفة في الرحم أربعة أشهر وأنشأ فيه الروح بعث الله تبارك وتعالى إليه ملكاً يقال له : حيوان، فكتب على عضده الأيمن : « وتمّت كلمة ربك صدقاً و عدلاً لامبدّل لكلماته »

فاذا وقع من بطن امّه وقع واضعاً يديه على الأرض ، رافعاً رأسه إلى السماء فاذا وضع يده على الأرض فانّ منادياً يناديه من بطنان العرش من قبل ربّ العزّة من الافق الأعلى باسمه و إسم أبيه : « يا فلان بن فلان أثبت ثلاثاً لعظيم خلقتك أنت صفوتي من خلقي و موضع سرّي و عيبة علمي و أميني على وحيي وخليفتي في أرضي لك ولمن تولاّك ، أوجبت رحمتي و منحت جناني و أحللت جواري ثم و عزّتي لاصلينّ من عاداك أشدّ عذابي ، و ان وسّعت عليهم في الدنيا سعة رزقي».

قال : فاذا انقضى صوت المنادي أجابه هو، و هوواضع يده على الأرض، رافعاً

رأسه إلى السماء و يقول : « شهد الله أنّه لا إله إلّا هو والملائكة و اولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلّا هو العزيز الحكيم »

قال : فاذا قال : ذلك أعطاه الله العلم الاوّل والعلم الآخر، و استحقّ زيارة الروح في ليلة القدر ، قلت : والروح ليس هوجبرئيل؟ قال : لا الروح خلق أعظم من جبرئيل انّ جبرئيل من الملائكة ، و انّ الروح خلق أعظم من الملائكة ، أليس يقول الله تبارك و تعالى : « تنزّل الملائكة و الروح »

وفي الكافي: باسناده عن الحسن بن العباس بن الحريش عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال : قال رجل لأبي جعفر عليه السلام :أرأيت قولك في ليلة القدر: و تنزّل الملائكة والروح فيها إلى الأوصياء يأتونهم بأمر لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدعلمه أو يأتونهم بأمر كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمه ، وقد علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات و ليس من علمه شيء إلّا وعليّ عليه السلام له واع؟ قال أبوجعفر عليه السلام : ما لي ولك أيّها الرجل ؟ و من أدخلك عليّ؟ قال : أدخلني عليك القضاء لطلب الدين .

قال : فافهم ما أقول لك: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أسرى به لم يهبط حتّى أعلمه ذكره علم ما قدكان وما سيكون ، وكان كثيرمن علمه ذلك جملاً يأتي تفسيرها في ليلة القدر و كذلك كان عليّ بن أبيطالب عليه السلام قد علم جمل العلم ، و يأتي تفسيره في ليالي القدر كماكان مع رسول الله قال السائل : أوماكان في الجمل تفسير؟ قال : بلى ولكنّه إنّما يأتي بالأمر من الله تبارك و تعالى في ليالي القدر إلى النّبي صلى الله عليه وآله وسلم و إلى الأوصياء افعل كذا و كذا لأمر كانوا قد علموه امروا كيف يعملون فيه قلت : فسّر لي هذا قال : لم يمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا حافظاً لجملة العلم وتفسيره قلت : فالّذي كان يأتيه في ليالي القدرعلم ما هو؟ قال: الأمر واليسر فيماكان قد علم . . . الخبر.

وفي المجمع : روى إبن عبّاس عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : إذاكان ليلة

القدر تنزّل الملائكة الذين هم سكّان سدرة المنتهى ومنهم جبرائيل ، فينزل جبرائيل ومعه ألوية ينصب لواء منها على قبري و لواء على بيت المقدّس ، ولواء في المسجد الحرام ، ولواء على طور سيناء و لا يدع فيها مؤمناً ولا مؤمنة إلاّ سلّم عليه إلاّ مدمن الخمر وآكل لحم الخنزير والمتضمّخ بالزعفران .

وفي تفسير نور الثقلين: بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال الله عزّ وجلّ : « في ليلة القدر » « فيها يفرق كل أمر حكيم » يقول : ينزل فيها كل أمر حكيم، والمحكم ليس بشيئين ، إنّما هو شيء واحد ، فمن حكم بما ليس فيه إختلاف فحكمه من حكم الله عزّ وجلّ ، و من حكم بأمر فيه إختلاف فرآى انّه مصيب قد حكم بحكم الطاغوت انه لينزل في ليلة القدر إلى وليّ الأمر تفسير الامور سنة سنة ، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا و كذا ، و في أمر الناس بكذا و كذا ، و انه ليحدث لولي ّ الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله عزّ ذكره الخاص والمكنون العجيب المخزون مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر ثم قرأ : « ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله انّ الله عزيز حكيم »

وفيه: عن عليّ بن أبي حمزة عن أبي الحسن عليه السلام قال : سمعته يقول : ما من ملك يهبطه الله في أمر ما يهبطه إلاّ بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه ، وانّ مختلف الملائكة من عندالله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر.

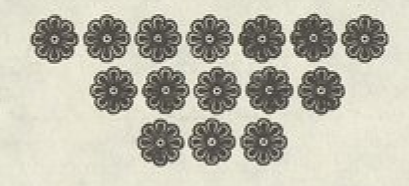
وفي الجامع لاحكام القرآن للقرطبي : و في الحديث : « انّ الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتّى يضيىء فجرها و لا يستطيع أن يصيب فيها أحداً بخبل و لا شيء من الفساد و لا ينفذ فيها سحر ساحر»

وفيه: و قد روى عبدالله بن عامر بن ربيعة : انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من صلّى صلاة المغرب و العشاء الآخرة من ليلة القدر في جماعة فقد أخذ

بحظّه من ليلة القدر »

وفي المجمع : و عن علي عليه السلام : انّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يوقظ أهله في العشر الأواخر من شهر رمضان قال : وكان إذا دخل العشر الأواخر دأب و أدأب أهله .

وفيه: و روى أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال :كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل العشر الأواخر شدّ المئزر و اجتنب النساء وأحيى الليل و تفرغ للعبادة .



﴿ بحث فقهي ﴾

وقد اختلفت كلمات الفقهاء في صحّة تعليق النذر بليلة القدر و وجوب الوفاء به و عدمهما :

فمنهم من قال : لا يصح لأنّ ليلة القدر مجهولة ، غيرمخصوصة بليلة من ليال ثلاث في شهر رمضان المبارك أو أربع ليال منه ، فلا يجب الوفاء بالنذر إذا كان معلّقاً بزمان مردّد بين الأزمنة ، ولم يثبت انّ ليلة القدر مخصوصة بوقت ، فلا يحصل اليقين بوفاء النذر فمن نذر بالإطعام في ليلة القدر إطلاقاً فلا يجب عليه الوفاء .

ومنهم من قال : يجب عليه الوفاء في ليال ثلاث أوأربع ليال كلّها : ليلة تاسعة عشر، و إحدى و عشرين ، و ثالثة وعشرين و سابعة و عشرين جميعها .

وعندي: يصح النذر و يجب عليه الوفاء باحدي الليالي الثلاث الاولى ، فمن نذر بالإطعام في ليلة القدر لزم ، و إذا أطعم في إحداها و فى بنذره .

﴿ بحث مذهبي ﴾

ذهب الأشعري و أذنابه من المشبهة والمجسّمة إلى أنّ الله سبحانه كائن في جهة « فوق » مستوياً على عرشه فوق اطباق الثرى ، و انه سبحانه ينزل ويصعد و يتحرّك من مكان إلى مكان ، فيحويه مكان و يخلو منه مكان و تشبثوا بآيات جاء فيها التعبير بالنزول من عندالله تعالى :

منها : قوله عزّ وجل : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر ـ تنزّل الملائكة والروح باذن ربهم من كل أمر » القدر : ١ـ٤)

أقول: هذا خطأمر دود فانّ الآيات الّتي جاء فيها التعبير بالنزول من عندالله سبحانه لاتعني الجهة الّتي هي إحدى الجهات الستّ الّتي تحدّد بها الأجسام :من فوق و تحت و يمين و يسار و خلف و أمام إذ بعد ما انتفت الجسميّة عن ذاته المقدّسة لم يبق مجال لتصوير الجهة له سبحانه إطلاقاً .

و ذلك انّ الله عزّ وجلّ كان ولا مكان ، لاخلاء ولاملاء فلم يكن فوق ولا تحت ولاجهة من الجهات ، إذ لا موجود سوى الله جلّ وعلا ، ولماخلق الله تعالى هذا الكون ذا الجهات الستّ ، انتزعت له عزّ وجلّ صفة الخالقيّة و الابداع و تكوين الأكوان، ولاشك أنّه عزّوجلّ قبل أن يخلق الكون لم يكن في كون، و هكذا بعد ما خلق الكون لم يحلّ في كون ، فلم يزل كائناً لا في كون ، ولم يزل موجوداً لا في جهة ، كماكان قبل أن يكوّن الكون ، و يوجّه الجهات .

و بعد فنسبة ذاته المقدّسة إلى الأكوان والجهات نسبة الترفّع والتعالى

عنها ، لأنّها محدثات ، ولا تناسب بين الحادث الممكن بالذات والأزليّ الواجب بالذات ، انّه تعالى فوق كل شيء و متعال عن الأكوان والجهات لأنّه سبحانه أوجدها وأحدثها ، والمخلوق تحت الخالق ، والصانع فوق المصنوع ، تحتيّة لا بالجهة ، و فوقيّة لا بالجهة ، بل بالإعتبار و السببيّة المنتزعة ممّا بينهما من نسبة قائمة .

و هذا إذا مالا حظنا من تباين ما بين عالم المادّة و عالم ماوراء المادّة ، و بما أنّناعائشون في وسط من العالم الماديّ ، فاذا أردنا الإشارة إلى العالم الآخرغيرالماديّ ، أشرنا ـ طبعاً ـ إلى خارج عالمنا هذا ، وهذه الإشارة تقع إلى جهة « فوق » لا بما أنه « فوق » بل باعتبارأنّ كلخارجعنهذاالعالم المادي ـ في المحسوس ـ فوق من كل الجهات ، حيث الواقف في مر كز كرة إذا أراد الإشارة إلى خارجها ، لابد و أن يشيرإلى خارج سطح الكرة ، الّذي هو فوق بالنسبة إليه من كل الجهات .

و هكذا بالنسبة إلينا ، و نحن عائشون على الأرض إذا أردنا الإشارةإلى خارج عالمنا هذا ، إشارة بالحسّ ، لابدو أن تقعإشارتنا إلى خارج هذاالمحيط، و هو فوق في جميع جوانب هذه الأرض .

و عليه فاذا ما اعتبرنا ان تدابيرهذا العالم الماديّ في جميع أرجائه ، تنحدر من عالم ما وراء المادّة من عند ربّنا العزيز الحكيم ، صحّ إطلاقالفوق عليه تعالى ، و هكذا التعبيربالنزول من عنده سبحانه والصعود إليه وما أشبه، لا إرادة التحديد والجهة الماديين ، بل الإعتبارين بالنظرإلى ما بين العالمين من تباين و فرق ، ذاك إلى ذروة العلى والشرف والغنى ، و هذا إلىحضيض الخسّة والذلّ والإفتقار .

قال الله عزّوجلّ : « و إن من شيء إلّا عندنا خزائنه و ما ننزّله إلّا بقدر معلوم » الحجر: ٢١) أي ننزّله إلى عالم المادّة تنزيلاً بالاعتبار حتّى إذا ما

نبت زرع أو استخرج معدن من تحت الأرض أو اصطيد سمك من جوف الماء، قلنا: إنّه من بركات الله النازل علينا أهل الأرض.

و على ضوء هـذا البيان يبدو أن لا غموض على وجـه الآيات الّتي تشبّثوا بها الأشعري و أتباعه، ممّا لا دلالة لها على مقصودهم لودققنا فيها الأنظار.

فآيات جاء فيها التعبيربالنزول من عندالله عزّوجل فالمراد به هـو نزول من مكان عليّ، علوّاً بالشرف والمنزلة، لا علوّاً بـالحسّ والجهة، إذكان لعالـم ماوراء المادة رفعة شأنية على عالم المادة، وباعتبار إحاطة ذلك العالم بهذاالكون المحسوس إحاطة تدبيرو تربية، توجّه أهل الأرض إلى خارج محيطهـا لتصوّر هذا المعنى في مرتكزهم فصوروه في صورة المحسوس، و من ثـم توقعوا نـزول البركات من جهة العلوّ تشبيهاً لغيرالمحسوس بالمحسوس، وقياساً للغائب بالمشهود.



﴿ في فضل ليلة القدر و حقيقتها ﴾

و قد نزل القرآن الكريم في شهر المبارك وهو شهر رمضان خير الشهور، وفي ليلة مباركة منه، وهي ليلة القدر الّتي هي خير من ألف شهر قال الله عزّ وجلّ: « إنّا أنزلناه في ليلة القدر ـ سلام هي حتّى مطلع الفجر» القدر: ١ـ٥)

و قد امتاز شهر رمضان المبارك بميزة نزول القرآن الكريم فيه، و لذلك خصّه الله تعالى بفريضة الصيام تكريماً له و تعظيماً: « يا أيّها الّذين آمنوا كتب عليكم الصيام ـ و أن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون شهر رمضان الّذي أنزل فيه القرآن هدى للناس و بيّنات من الهدى و الفرقان » البقرة ١٨٣ـ١٨٥)

و قد سمّيت ليلة القدر بها تنويهاً بمكانتها و قدرها، و قد وردت في فضلها روايات كثيرة نشير إلى ما يقتضيه مقام الإختصار :

في غيبة النعمانية: باسناده عن الحسن بن العبّاس بن الحريش عن أبي جعفر محمّد بن علي عليهما السلام عن آبائه عليهم السلام: أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لإبن عباس: إنّ ليلة القدر في كل سنة، و إنّه ينزل في تلك الليلة أمر السنة و ما قضى فيها، و لذلك الأمر ولاة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال إبن عباس: من هم يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنا و أحد عشر من صلبي أئمّة محدّثون.

وفيه: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: إنّ الله عزّ وجلّ إختار من كلّ شيء شيئاً، إختار من الأرض مكّة، و اختار من مكّة المسجد، و اختار من المسجد الموضع الّذي فيه الكعبة، واختار

من الأنعام إناثها و من الغنم الضأن ، و اختار من الأيّام يوم الجمعة ، و اختار من الشهور شهر رمضان ، و من الليالي ليلة القدر ، و اختار من الناس بني هاشم، و اختارني و عليّاً من بني هاشم ، و اختار منّي و من عليّ الحسن و الحسين ، و يكمّله إثنى عشر إماماً من ولد الحسين ، تاسعهم باطنهم و هو ظاهرهم و هو أفضلهم و هو قائمهم .

أقول: لعل المراد بظاهرهم الّذي يظهر ويغلب على الأعادي ، و بباطنهم الّذي يبطن و يغيب عنهم .

وفي التهذيب: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : نزلت التوراة في ستّ مضين من شهر رمضان ، و نزل الإنجيل في إثنتى عشرة مضت من شهر رمضان ، و نزل الزبور في ثماني عشرة مضت من شهر رمضان ، ونزل الفرقان في ليلة القدر .

وفي فروع الكافي: باسناده عن محمّد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال : سئلته عن علامة ليلة القدر فقال : علامتها أن يطيب ريحها ، و إن كانت في برد دفئت ، و إن كانت في حرّ بردت فطابت ، قال : و سئل عن ليلة القدر ، فقال : تنزّل فيها الملائكة والكتبة إلى السماء الدنيافيكتبون ما يكون في أمر السنة، و ما يصيب العباد و أمر عنده موقوف ، وفيه المشيّة فيقدّم ما يشاء و يؤخّر منه ما يشاء و يمحو و يثبت و عنده امّ الكتاب .

وفيه: عن إبن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام قالوا : قال له بعض أصحابنا : قال : ولا أعلمه إلّا سعيد السمّان : كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟ قال : العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر .

وفيه: باسناده عن حمران أنّه سئل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « إنّا أنزلناه في ليلة مباركة » قال : نعم هي ليلة القدر ، و هي في كلّ سنة في

شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلّا في ليلة القدر قال الله عزّ وجلّ: « فيها يفرق كل أمر حكيم » قال: يقدّر في ليلة القدر كلّ شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل من خير وشرّ، و طاعة و معصية، و مولود و أجل ورزق، فما قدر في تلك السنة و قضى فهو المحتوم، ولله عزّ وجلّ فيه المشيّة، قال: قلت: ليلة القدر خير من ألف شهر أيّ شيء عنى بذلك؟ فقال: العمل الصالح فيها من الصلاة والزكاة و أنواع الخير، خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، و لولا ما يضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين ما بلغوا ولكن الله يضاعف لهم الحسنات.

و في وسائل الشيعة: بالإسناد عن عمر بن الشامي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ عدّة الشهور عندالله إثنى عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات و الأرض فغرّة الشهور شهر رمضان، وقلب شهر رمضان ليلة القدر، .. الحديث.

وفيه: بالاسناد عن رفاعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: رأس السنة ليلة القدر يكتب فيها ما يكون من السنة إلى السنة.

وفي فروع الكافي: باسناده عن إسحق بن عمّار قال: سمعته يقول و ناس يسئلونه، يقولون: الأرزاق تقسم ليلة النصف من شعبان، قال: فقال: لا والله ما ذلك إلّا في ليلة تسعة عشرة من شهر رمضان، و إحدى وعشرين، و ثلاث وعشرين فانّ في ليلة تسع عشرة يلتقى الجمعان، و في ليلة إحدى و عشرين يفرق كلّ أمر حكيم، و في ليلة ثلاث و عشرين يمضى ما أراد الله عزّ وجلّ من ذلك، وهي ليلة القدر الّتي قال الله عزّ وجلّ: « خير من ألف شهر » قال: قلت: ما معنى قوله: « يلتقى الجمعان » قال: يجمع الله فيها ما أراد من تقديمه و تأخيره و إرادته و قضائه، قال: قلت: فما معنى يمضيه في ثلاث و عشرين؟ قال: إنّه يفرقه في ليلة إحدى و عشرين و إمضائه، و يكون له فيه البداء فاذا كانت ليلة ثلاث وعشرين أمضاه فيكون من المحتوم الّذي لايبدو له فيه تبارك وتعالى.

وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان التقدير،

و في ليلة إحدى و عشرين القضاء ، و في ليلة ثلاث و عشرين إبرام ما يكون في السنة إلى مثلها ، و لله جلّ ثناؤه أن يفعل ما يشاء في خلقه .

وفي التهذيب : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئلته عن ليلة القدر قال : هي ليلة إحدى و عشرين أو ثلاث وعشرين ، قلت : أليس إنّما هي ليلة ؟ قال : بلى قلت : فأخبرني بها ، قال : ما عليك أن تفعل خيراً في ليلتين .

وفيه: باسناده عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ليلة القدر في كلّ سنة ويومها مثل ليلتها .

وفيه: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قرأ سورتي العنكبوت والروم ليلة ثلاث وعشرين في شهر رمضان ، فهو والله يا با محمّد من أهل الجنة لا أستثنى فيه أبداً ولا أخاف أن يكتب الله عليّ في يميني إثماً ، وإن لهاتين السورتين من الله مكاناً .

وفي المقنعة : عن أبي يحيى الصنعاني عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : لو قرأ رجل ليلة ثلاث و عشرين من شهر رمضان إنّا أنزلناه ألف مرّة لأصبح وهو شديد اليقين بالإعتراف بما تختصّ فينا ، و ما ذلك إلّا لشيء عاينه في نوعه .

وفي الكافي: باسناده عن الحسن بن العبّاس ابن الحريش عن أبي جعفر الثاني عليه السلام : -في حديث طويل- في شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر قال السائل : يا بن رسول الله كيف أعرف أنّ ليلة القدر تكون في كلّ سنة ؟ قال : إذا أتى شهر رمضان فاقرأ سورة الدخان في كلّ ليلة مأة مرّة ، فاذا أتت ليلة ثلاث وعشرين ، فانك ناظر إلى تصديق الّذي سئلت عنه .

أقول: و قد اختلفت كلمات الباحثين المحققين في فضل ليلة القدر هل هو ذاتيّ لها أم باعتبار ما يقسم فيها من الخير الكثير الّذي لا يكون مثله في ألف شهر، فكانت أفضل من ألف شهر لهذا المعنى ، و إنّما وجه تفضيل الأوقات و الأماكن بعضها على بعض لما يكون فيها من الخير الجزيل و النفع الكثير.

و بعبارة اخرى : هل للأيّام و الليالي و الاسبوع و الشهور والسنين فضل لبعضها على بعض بذاتها من حيث هو زمان أومكان أم لا ؟ فقيل : لا فضل لواحد منهما على الآخرمن حيث هو زمان أومكان ، و إنّما فضّل كلّ باعتبارما حلّ به من عبادة أو عمل صالح أوعلم أوظهور حكمة ، كما أنّ فضيلة ليلة القدرعلى سائر الليالي باعتبار نزول القرآن الكريم فيها ، و فضل شهر رمضان المبارك على سائر الشهور لكثرة العبادة فيه ، و فضل شهر رمضان المبارك على سائر الشهور لكثرة العبادة فيه ، و فضل يوم الجمعة علي سائر الأيام باعتبار زيادة العبادة و صالح الأعمال فيه ، و فضل المسجد على سائر الأمكنة باعتبار كونه محلاً للعبادة، حيث انّ شرف المكان بشرف المكين .

وقيل : إنّ الصلاة الّتي تصلّى في بعض الليالي و الأزمان تفضل علىغيرها ، و ذاك انّ لكل عبادة فضلاً و لعابدها أجراً بنفسها ، ولكن قد يزيد على فضلها الزمان و المكان و الأحوال المخصوصة الّتي تترتب عليها الآثار أكثرمن غيرتلك الأحوال . . . و كذلك الأزمان و الأمكنة يتفضّل بعضها علي بعضلكثرة ترتب الآثار للفاضل دون المفضول . فالصلاة مثلاً لها فضل في نفسها و لكن إذا صلّتفي المسجد أو في أوّل الوقت أو بالجماعة يزيد عليها الفضل ، و قد يكون الفضل بهويّة نفس العمل ، و قديكون بظرف العملأو بعضالعوارض الّتي يعرض عليه.

فكما أنّليلة القدر لها فضل على ليالي ألف شهر كذلك العبادة الّتيتعمل فيها فتزيد على فضلها .

وقيل : لا ريب في ثبوت التفاضل بين الأعراض والأعيان من المحسوسات والمعقولات وأمّا حصول الفضل فامّا ذاتيّ ،وإمّاعرضيّ كالتفاضل بينأنواع الذهب و الفضة ، والنبات و الحيوان و الأزمنة و الأمكنة و حتى بين الانبياء والمرسلين و الملائكة و الارواح . . . و هذا التفاضل إمّا باعتبار جريان الخير الكثير و النفع الجزيل من بعضها دون بعض ، و إمّا باعتبار القرب و الاتصال بالمبدأ

الأعلى أسرع من غيره .

وقيل : إنّ لبعض الزمان فضلاً على بعض حيث انّ طول الحياة لاقيمة له إذا لم يتبعه الكمال والكمال إنّما يكون بالعلم والحكمة اللذين بهما يوحى إلى الأنبياء ، و على رتبة الكمال فضل للكامل .

وقيل : إنّ الليالي عند الجاهل متساوية ، و لكن لليلة زفافه فضل عنده على سائر الليالي ، فليلة الزفاف ليل وسائر الليالي ليل فشتّان بينهما .

فى فتح البيان الى مقاصد القرآن لأبي طيّب صديق بن الحسن البخاري الهندي عن الشيخ الرحماني في حاشيته على التحرير: « ان أفضل الليالي ليلة المولد ، ثم ليلة القدر ، ثم ليلة الاسراء فعرفة ، فالجمعة فنصف شعبان فالعيد و أفضل الأيّام يوم عرفة ، ثم يوم نصف شعبان المعظم ، ثم يوم الجمعة ، والليل أفضل من النهار » .

يقال : إنّ هذه الليلة ليلة حسنة لولادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها ،وهذاالنهار لاينبغي لأحد أن يفرح فيه لوفاة النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم في مثله. و أمّا ليلة القدر ففيها نزلت قوانين حرّية الانسان و سعادته ، و فيها طلقت أحبال الرقية عن عنقهم للطغاة ، و العبودية للأصنام ، و فيها سطع بدر المعارف الالهية على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و فيها جمع الله تعالى الناس بعد شملهم و تفرّقهم وقدكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم الله تعالى و ألّف بين قلوبهم ، فعظمة ليلة القدر بعظمة النعمة الّتي أنعمها الله تعالى على الإنسان .

وقيل : إنّ النحوسة والسعادة اللتين تنسبان إلى الأيّام قد تكونان باعتبار نفس الأيام بأن يكون بعض أيّام الاسبوع أو السنة نحساً ، و بعضها الآخر منهما سعادة ، و قد تكونان باعتبار الأفعال و الحوادث الواقعة فيها بأنّ هذا اليوم نحس لوقوع حادثة فيه ، و هلاك قوم بها بالنسبة إلى الهالكين ، و إن كان هذا اليوم يوم سعادة لغيرهم كاليوم الّذي هلك فيه فرعون و أذنابه ، و نجى فيه موسى عليه السلام

و من معه .

و قال بعض الأعلام : « و لا سبيل لنا إلى إقامة البرهان على سعادة يوم من الأيام أو زمان من الأزمنة ، ولانحوسته و طبيعة الزمان المقدارية متشابهة الأجزاء و الأبعاض ، و لا إحاطة لنا بالعلل والأسباب الفاعلة المؤثرة في حدوث الحوادث و كينونة الأعمال حتّى يظهر لنا دوران اليوم أو القطعة من الزمان مع علل و أسباب تقتضي سعادته أو نحوسته و لذلك كانت التجربة الكافية غير متأتية لتوقفها على تجرد الموضوع لأثره حتّى يعلم أن الأثر أثره وهو غير معلوم في المقام ، و لما مر بعينه لم يكن لنا سبيل إلى إقامة البرهان على نفي السعادة و النحوسة كما لم يكن سبيل إلى الإثبات ، و إن كان الثبوت بعيداً فالبعد غير الإستحالة ، هذا بحسب النظر العقلي .

و أمّا بحسب النظر الشّرعي ففي الكتاب ذكر من النحوسة وما يقابلها قال تعالى : « إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر » القمر : ١٩) وقال: « فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات » حم السجدة : ١٦) لكن لا يظهر من سياق القصّة و دلالة الآيتين أزيد من كون النحوسة والشؤم خاصّة بنفس الزمان الّذي كانت تهبّ عليهم فيه الريح عذاباً و هو سبع ليال و ثمانية أيّام متوالية يستمرّ عليهم فيها العذاب من غير أن تدور بدوران الأسابيع وهو ظاهر وإلّا كان جميع الأزمان نحساً ولا بدوران الشهور والسنين .

و قال تعالى : « و الكتاب المبين إنّا أنزلناه في ليلة مباركة » الدخان:٣) والمراد بها ليلة القدر الّتي يصفها الله تعالى بقوله : « ليلة القدر خير من ألف شهر» القدر: ٣) و ظاهر أنّ مباركة هذه الليلة و سعادتها إنّما هي بمقارنتها نوعاً من المقارنة لامور عظام من الإضافات الباطنيّة الإلهيّة ، و أفاعيل معنوية كابرام القضاء و نزول الملائكة والروح و كونها سلاماً قال تعالى: « فيها يفرق كل أمر حكيم» الدخان : ٤) و قال : « تنزّل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام

هي حتّى مطلع الفجر» القدر : ٥) و يؤل معنى مباركتها و سعادتها إلى فضل العبادة والنسك فيها و غزارة ثوابها و قرب العناية الإلهية فيها من المتوجّهين إلى ساحة العزّ و الكبرياء »

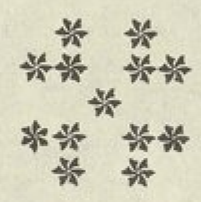
أقول: إنّ التفاضل بين الأعيان و الأزمان و الأماكن مما ينادي به العقل حتّى التفاضل بين أفراد نوع واحد كالدرجات بين الأنبياء والمرسلين قال الله عزوجل : « تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض منهم » البقرة : ٢٥٣) وبين أفراد الإنسان قال تعالى : « للرجال عليهنّ درجة » البقرة : ٢٢٨) و قال : « وهو الّذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم »الانعام: ١٦٥) و حتّى التفاضل بين أعضاء الجسم الواحد مما لا يخفى على عاقل فضلاً عن فاضل ، وبين الأماكن قال الله تعالى : « قل رب أنزلني منزلاً مباركاً و أنت خير المنزلين » المؤمنون : ٢٩) و بين قطع الارض وما فيها قال تعالى : « وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد و نفضّل بعضها على بعض في الاكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون » الرعد : ٤)

و بين الأوقات و الأزمان كفضيلة العصر والفجر على سائر الساعات . . .

و في دعاء أيام رمضان المبارك بعد الفرائض ـ : « و هذا شهر عظّمته و كرّمته و شرّفته و فضّلته على الشهور و هو الشهر الّذي فرضت صيامه عليّ و هو شهر رمضان الّذي أنزلت فيه القرآن هدى للناس و بيّنات من الهدى والفرقان و جعلت فيه ليلة القدر و جعلتها خيراً من ألف شهر. . . » الدعاء

وفيه أيضاً: « اللهم هذا شهر رمضان الّذي أنزلت فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى و الفرقان ، و هذا شهر الصيام ، و هذا شهر القيام ، وهذا شهر الإنابة ، و هذا شهر التوبة ، وهذا شهر المغفرة والرحمة ، و هذا شهر العتق من النار و الفوز بالجنّة ، و هذا شهر فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر أللّهم فصلّ على محمّد وآل محمّد و أعنّي على صيامه و قيامه و سلّمه لي و سلّمني فيه ـ

ألّلهم صلّ على محمد و آل محمد و اقسم لي فيه أفضل ما تقسمه لعبادك الصالحين و أعطني فيه أفضل ما تعطي أو لياءك المقربين من الرحمة والمغفرة والتحنّن و الإجابة و العفو و المغفرة الدائمة و العافية و المعافاة و العتق من النار و الفوز بالجنة و خير الدنيا و الآخرة ... » الدعاء



﴿ أئمتنا أهل بيت الوحي عليهم السلام كليلة القدر ﴾
لايقاس بهم أحد

و قد وردت روايات كثيرة عن الطريقين : أن أئمتنا أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين كليلة القدر لا يقاس بهم أحد ، فنشير إلى ما يسعه المقام و أما ما ورد عن طريق العامة ، و أوردها أعلامهم في أسفارهم فمنها:

١ـ روى محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ١٧ ط القدسي بمصر) عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « نحن أهل بيت لايقاس بنا أحد » رواه بعينه سنداً و متناً جماعة منهم :

١ـ المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند ج ٥ ص ٩٤ ط الميمنية بمصر)

٢ـ المناوي في (كنوز الحقائق ص ١٦٥ ط بولاق بمصر)

٣ـ البدخشي في (مفتاح النجا ص ٧)

٤ـ القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ١٧٨ و ١٨١ و ١٩٢ ط إسلامبول)

٥ـ والأمرتسري الحنفي في (أرجح المطالب ص ٣٣٠ ط لاهور)

٢ـ روى البدخشي في (مفتاح النجا ص ٢)

عن علي عليه السلام أنه قال كرم الله وجهه على منبر الجماعة : « نحن أهل بيت لايقاس بنا أحد من الناس »

ثم قال البدخشي : صدق كرم الله وجهه كيف يقاس بقوم منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأطيبان علي وفاطمة ، والسبطان الحسن والحسين .

أقول: و من البيّن عند المحققين الخبراء : أنّ من شرائط التفاضل بين الشيئين أن يكون كل واحد منهما في عرض آخر لافي طوله ، كما أنّ من شرائطه هو السنخيّة بينهما فيما يتفاضل أحدهما على الآخر، فلا يجوز التفاضل بين عالم و جاهل في العلم ، ولا بين غنيّ ذي ثروة كثيرة و فقيرسائل عن الثراة ، و لا بين الأبيض و الأسود في البياض ، و لا بين القصير والطويل ، ولا بين الرجل والمرأة في الرجولية . .. وإنّما يصح بين عالم وعالم آخر أحدهمافي عرض آخر لافي طوله،وغنيّ و غني آخر. . . فاذاً كيف يصح أن يقاس بمحمد رسول الله و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين غيرهم في الفضل والكمال ، و في العلم والجمال . . .

و نعم ما قال الشيخ أبوعلي سينا في مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام : « فكان شمس فلك الحقيقة وقطب سماء المعرفة وكان عليه السلام فيما بين أصحابه رضوان الله عليهم كالمعقول فيما بين المحسوس»

و قال الجاحظ من أعلام العامة في الإمام عليّ عليه السلام :«نحن لانقدر أن نصفه بما هو متصف به إذلن نقدر على إدراك صفاته و كمالاته ، و لا نقدرعلى أداء حقه إذلا نعرف حقّه حق معرفته فانّ العرق صحيح ، والنسب صريح ، والمولد مكان معظّم ، والمنشأ مبارك مكرّم ، و الشأن عظيم ، والعمل حسيم ، والعلم كثير، و ليس له نظير، والبيان عجيب ، واللسان خطيب ، والصدررحيب ، و أخلاقه وفق أغراقه ، و حديثه يشهد على تقديمه »

و من أشعار معاوية بن أبي سفيان عليهما الهاوية والنيران في الإمام عليّ عليه السلام:

خيرالورى من بعد أحمد حيدر و الناس أرض و الوصيّ سماء

أقول: و قدسافرت في شهر رمضان المبارك سنة : ١٣٨٧ هـ ق ببلدة زاهدان للوعظ و الخطابة ، فوقع بيني و بين أحد أعاظم العامة محاورة لطيفة جيّدة ، فدعاني ليوم الثالث و العشرين من هذا الشهر لإستماع ما هويعتقد به في فضل مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام فذهبت إلى

مسجده الجامع وقت العصر و قدكان معي خمسة من الوعّاظ والطلّاب المحترمين حفظهم الله تعالى من كلّ شرّ وسوء ، فأخذ بالخطبة بعد صلاة العصر وله نحو مأة مستمع من العامّة ، ثم قال :

« هل يمكن أن يقاس أحد من الخلفاء الثلاثة - أبي بكر وعمر وعثمان - و غيرهم من الصحابة والتابعين إلى زماننا هذا بعليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه؟ ثم قال :كلّا ثم كلّا ! !

و ذلك انّ من أهمّ الشرائط في باب المفاضلة أن يكون أحد المتفاضلين في عرض آخر لا في طوله ، و لم يكن أحد من الصحابة ولا غيرهم في فضل من الفضائل والمناقب في عرض عليّ كرّم الله وجهه .

و أمّا ما ورد من الروايات الكثيرة عن الفريقين : أنّ عليّاً كرّم الله وجهه اعلم الناس ، أعدل الناس ، أشجع الناس ، أكرم الناس ، أحلم الناس ، أعبد الناس ، أفضل الناس ، أحبّ الناس عندالله و رسوله ﷺ أقضى الناس أصدق الناس ، اورع الناس و و و . . . فانّما معناه : أنّ عليّاً كرّم الله وجهه هو الميزان والمقياس والمعيار لتلك الفضائل لا الموزن ولا المقيس ولا المعيور، إنّما يوزن غيره بفضله كرّم الله وجهه ولا يقاس به حيث انّ أفعل التفضيل إذا اضيف كان لبيان أنّ المضاف هو المعيار لوصف المضاف إليه غالباً لا لبيان أنّه إحدي كفتّي الفضل الراجح ثم قال : بل لا يقاس الصحابة بقنبر رضي الله عنه مولى عليّ كرّم الله وجهه فضلاً عنه كرّم الله وجهه إذ استفاد قنبر منه ما لم يستفد منه غيره كما لا يقاس المبتديء بالمجتهد في العلم والفضل . . . ».

و قد ذكرها في (مفتاح النجا) جماعة من أعلام العامة فمنهم :

١- القندوزي الحنفي في (ينابيع المودّة ص ١٥٢ ط إسلامبول)

٢- الأمرتسري في (أرجح المطالب ص ٣٣٠ ط لاهور) و غيرهما تركناهم للإختصار .

٣- روى الهروى في (الأربعين ص ٦٥) ما لفظه :

عن عليّ رضي الله عنه أبيات في هذا المعنى و هي هذه :

قد يعلم الناس أنا خيرهم نسباً و نحن أفخرهم بيتاً إذا فخروا

رهط النبيّ وهم مأوى كرامته وناصر الدين و المنصور من نصروا

و الارض تعلم أنا خير ساكنها كما به تشهد البطحاء والمدر

و البيت ذوالستر و الأركان لو سئلوا نادى بذلك ركن البيت والحجر

٤- قال أبو بكر الحضرمي في (رشفة الصادي ص ٥٢ ط القاهرة) مالفظه :

ولقد أخبرني الثقة عندي بمكّة : إن شخصاً كان يكره ما يفعله الشرفاء بمكّة في الناس ، فرآى في المنام فاطمة إبنة رسول الله صلى الله عليه وآله و هي معرضة عنه، فسلم عليها و سئلها من إعراضها ، فقالت له : إنك تقع في الشرفاء قال : فقلت : يا سيّدتي الاترين ما يفعلونه في الناس ؟ فقالت : أليس هم بني ؟ قال : فقلت لها: من الآن تبت إلى الله ، فأقبلت عليّ وتبسّمت فلا تعدل يا أخي بأهل البيت أحداً لأنّهم أهل الشهادة ، فبغض الإنسان لهم خسران حقيقيّ ، و حبّهم عبادة شرعيّة و ذكر هاتين البيتين :

فلا تعدل بأهل البيت خلقاً فأهل البيت هم أهل السعادة

و بغضهم لأهل العقل خسر حقيقيّ و حبّهم عبادة

و ذكر الحضرمي في (الكتاب ص ٤) ما أنشأه بعض العامة في ذلك :

جلّوا قدوراً أن يحدّد فضلهم و أثيل مجدهم بحصر الحاصر

اني لما دحهم إحاطته بما يحوون من كرم ومجد شاهر

يا من يروم إحاطة بكمالهم أيحاط بالبحر المحيط الزاخر

فهم الاولى جلّت مناقبهم وقد ورثوا السيادة كابراً عن كابر

فالله يرضيهم و يرضى عنهم وعليهم أزكى السلام العاطر

ثم قال الحضرمي : ولعمري إنّ ما رقمته بالنسبة إلى علوّ مفخرهم و عظيم

مظهرهم كقطرة من البحر وكلحظة من الدهر ثم قال: «اولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم الغالبون» و «اولئك أولياءه الّذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون يسبّحون الليل والنهار لا يفترون اولئك يسارعون في الخيرات و هم لها سابقون»

أقول: إنّ الروايات الواردة في المقام عن طريق العامة كثيرة جداً وا كتفينا بما أوردناه إتماماً للحجّة منّا عسى الله تعالى أن يهدينا و إياهم إلى صراط مستقيم بحق محمّد و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

و أما ورد عن طريق الشيعة الامامية الحقّة الإثنى عشرية فكثيرة لا يسعها مقام الإختصار فمنها:

١ـ في معاني الأخبار: باسناده عن إسمعيل الفرّاء عن رجل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أليس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أبي ذر رحمة الله عليه: «ما أظلّت الخضراء وأقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»؟ قال: بلى: قال: قلت: فأين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أمير المؤمنين؟ و أين الحسن والحسين؟ قال: فقال لي: كم السنة شهر؟ قال: قلت: إثنى عشر شهراً قال: كم منها حرم؟ قال: قلت: أربعة أشهر قال: فشهر رمضان منها؟ قال: قلت: لا قال: إنّ في شهر رمضان ليلة أفضل من ألف شهر إنا أهل البيت لايقاس بنا أحد.

أقول: رواه الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه في الإختصاص إلّا أنّه بعد قوله: «إنّ في شهر رمضان ليلة» ذكر «العمل فيها أفضل من ألف شهر»

وفي العلل: باسناده عن عبّاد بن صهيب قال: قلت للصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: أخبرني عن أبي ذر أهو أفضل أم أنتم أهل البيت؟ فقال: يابن صهيب كم شهور السنة؟ فقلت: إثنى عشر شهراً فقال: وكم الحرم منها؟ قلت: أربعة أشهر قال: فشهر رمضان منها؟ قلت: لا قال: فشهر رمضان أفضل أم الأشهر الحرم؟ فقلت: بل شهر رمضان قال: فكذلك نحن أهل البيت لايقاس بنا أحد.

و إنّ أباذر كان في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتذاكروا فضائل هذه

الامة ، فقال : أبوذر! أفضل هذه الامّة عليّ بن أبيطالب ، وهو قسيم الجنّة والنار وهو صدّيق هذه الامّة وفاروقها وحجّة الله عليها ، فما بقي من القوم أحـد إلاّ أعرض عنه بوجهه و أنكر عليه قوله و كذّبه ، فذهب أبو أمامة الباهليّ من بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بقول أبي ذر و إعراضهم عنه وتكذيبهم له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء » يعني منكم يا أبا أمامة « من ذي لهجة أصدق من أبي ذر »

وفي الاختصاص: باسناده عن عليّ بن اسباط عن غير واحد من أصحاب ابن دأب ، قال : لقيت الناس يتحدّثون انّ العرب كانت تقـول : أن يبعث الله فينا نبيّاً يكون في بعض أصحابه سبعون خصلة من مكارم الدنيا والآخرة ، فنظروا و فتشوا هل يجتمع عشر خصال في واحد فضلاً عن سبعين ، فلم يجدوا خصالاً مجتمعة للدين والدنيا ، ووجدوا عشر خصال مجتمعة في الدنيا ، وليس في الدنيا منها شيء و وجدوا زهير بن جبّاب الكلبي و وجدوا شاعراً طبيباً فارساً منجّماً شريفاً أيّداً كاهناً قائفاً عائفاً راجراً و ذكروا انّه عاش ثلاثمأة سنة وأبلى أربعة لحم .

قال إبن دأب: ثم انظروا وفتّشوا في العرب ـ وكان الناظر في ذلك أهـل النظر ـ فلم يجتمع في أحد خصال مجموعة للدين والـدنيا بـالإضطرار على مـا أحبّوا و كرهوا إلاّ في عليّ بن أبيطالب عليه السلام فحسدوه عليها حسداً أنغل القلوب، و أحبط الأعمال وكان أحقّ الناس و أولاهم بذلك إذ هدم الله عزّ وجل بـه بيوت المشركين و نصر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و اعتزّ به الدين في قتله من قتل من المشركين في مغازي النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

قال إبن دأب : فقلنا لهم : و مـا هذه الخصال ؟ قالوا : المـواساة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم و بذل نفسه دونه ، والحفيظة و دفع الضيم عنه، والتصديق للرسول بالوعد والزهد و ترك الأمل والحياء والكرم والبلاغة في الخطب والرئاسة والحلم والعلم والقضاء بالفصل و الشجاعة ، و ترك الفرح عند الظفر و ترك إظهار المرح الخديعة

والمكر والغدر وترك المثلة ، وهو يقدر عليها ، والرغبة الخالصة إلى الله ، و إطعام الطعام على حبّه و هو انّ ما ظهر به من الدنيا عليه ، و تركه أن يفضّل نفسه و ولده على أحد من رعيّته و طعامه أدنى ما تأكل الرعيّة و لباسه أدني ما يلبس أحد من المسلمين و قسمه بالسويّة ، و عدله في الرعيّة والصرامة في حربه .

و قد خذ له الناس وكان في خذل الناس و ذهابهم عنه بمنزلة إجتماعهم عليه طاعة لله و إنتهاء إلى أمره ، والحفظ وهو الّذي تسمّيه العرب العقل حتّى سمّي اذناً واعية والسماحة ، و بثّ الحكمة و إستخراج الكلمة و الإبلاغ في الموعظة ، و حاجة الناس إليه إذا حضر حتّى لا يؤخذ إلّا بقوله ، و إنفلاق ما في الأرض على الناس حتّى يستخرجه ، والدفع عن المظلوم و إغاثة الملهوف ، و المروة ، و عفّة البطن و الفرج ، وإصلاح المال بيده ليستغنى به عن مال غيره وترك الوهن والإستكانة ، و ترك الشكاية في موضع ألم الجراحة ، و كتمان ما وجد في جسده من الجراحات من قرنه إلى قدمه ، وكانت ألف جراحة في سبيل الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، و إقامة الحدود ولو على نفسه ، و ترك الكتمان فيما لله فيه الرضى على ولده و إقرار الناس بما نزل به القرآن من فضائله ، وما يحدّث الناس عن رسول الله ﷺ من مناقبه .

و إجتماعهم على أنّه لم يردّ على رسول الله ﷺ كلمة قطّ ولم يرتعد (ولم ترتعد خ) فرائصه في موضع بعثه فيه قطّ ، و شهادة الذين كانوا في أيّامه انه وفر فيئهم ، و ظلف نفسه عن دنياهم ، ولم يرز شيئاً في أحكامهم وزكاء القلب وقوّة الصدر عنه ما حكّمت الخوارج عليه ، وهرب كلّ من كان في المسجد ، وبقي على المنبر وحده ، و ما يحدّث الناس انّ الطير بكت عليه .

و ما روى عن إبن شهاب الزهري : أنّ حجارة أرض بيت المقدّس قلبت عند قتله ، فوجد تحتها دم عبيط ، والأمر العظيم حتى تكلّمت به الرهبان و قالوا فيه ، و دعاؤه الناس إلى أن يسئلوه عن كل فتنة تضل مأة أو تهدى مأة

و ما روى الناس من عجائبه في إخباره عن الخوارج و قتلهم وتركه مع هذا أن يظهر منه إستطالة أو صلف بل كان الغالب عليه إذا كان ذلك غلبة البكاء عليه و الإستكانة لله حتّى يقول له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما هذا البكاء يا علي؟ فيقول: أبكى لرضا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنّي قال: فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله وملائكته و رسوله عنك راضون.

و ذهاب البرد عنه في أيّام البرد و ذهاب الحرّ عنه في أيّام الحرّ فكان لا يجد حرّاً ولا برداً والتأييد بضرب السيف في سبيل الله والجمال قال: أشرف يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما ظننت إلّا أنّه أشرف عليّ القمر ليلة البدر ومباينته للناس في أحكام خلقه قال: وكان له سنام كسنام الثور بعيد ما بين المنكبين و ان ساعديه لا يستبينان من عضديه من إدماجهما من إحكام الخلق لم يأخذ بيده أحداً قط إلّا حبس نفسه فاذا زاد قليلاً قتله.

قال إبن دأب: فقلنا: أيّ شيء معنى أوّل خصاله بالمواساة؟ قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له: إن قريشاً قد أجمعوا على قتلي فنم على فراشي، فقال: بأبي أنت وامّي السمع والطاعة لله ولرسوله فنام على فراشه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوجهه و أصبح عليّ وقريش يحرسه فأخذوه فقالوا: أنت الّذي غدرتنا منذ الليلة فقطعوا له قضبان الشجر فضرب حتّى كادوا يأتون على نفسه ثم أفلت من أيديهم، و أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في الغار ان اكتر ثلاثة أباعر واحداً لي وواحداً لأبي بكر، و واحداً لله ليل و احمل أنت بناتي إلى أن تلحق بي ففعل.

قال: فما الحفيظة والكرم؟ قالوا: مشى على رجليه وحمل بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الظهر وكمن النهار و سار بهنّ الليل ماشياً على رجليه، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد تفلّقت قدماه دماً و مدّة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل تدري ما نزل فيك؟ فاعلمه بما لا عوض له لو بقي في الدنيا ماكانت الدنيا باقية، قال: يا عليّ نزل فيك: «فاستجاب لهم ربّهم انّي لا اضيع عمل عامل منكم

من ذكر أو انثى » فالذكرانت والاناث بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تبارك و تعالى : « فالّذين هاجروا » في سبيل الله « و اخرجوا من ديارهم و اوذوا في سبيلي و قاتلوا و قتلوا لاكفّرن عنهم سيّئاتهم ولادخلنّهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عندالله والله عنده حسن الثواب »

قال : فما دفع الضيم ؟ قالوا : حيث حصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الشعب حتّى أنفق أبوطالب ماله و منعه ـ أي حامي عنه و صانه من أن يضام ـ في بضع عشرة قبيلة من قريش ، و قال أبوطالب في ذلك لعلي عليه السلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اموره و خدمته وموازرته و محاماته .

قال : فما التصديق بالوعد ؟ قالوا: قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أخبره بالثواب والذخر وجزيل المآل لمن جاهد محسناً بماله و نفسه ونيّته ، فلم يتعجّل شيئاً من ثواب الدنيا عوضاً من ثواب الآخرة ، ولم يفضّل نفسه على أحد للّذي كان عنده و ترك ثوابه ليأخذه مجتمعاً كاملاً يوم القيامة ، و عاهد الله أن لاينال من الدنيا إلّا بقدر البلغة ، ولا يفضل له شيء مما اتعب فيه بدنه ورشح فيه جبينه إلّا قدّمه قبله ، فأنزل الله : « وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عندالله »

قال : فقيل لهم : فما الزهد في الدنيا ؟ قالوا : لبس الكرابيس ، و قطع ما جاوز من أنامله و قصّر طول كمّه و ضيّق أسفله كان الكمّ ثلاثة أشبار وأسفله إثنى عشر شبراً وطول البدن ستّة أشبار .

قال : قلنا : فما ترك الأمل ؟ قالوا : قيل له: هذا قد قطعت ماخلف أناملك فما لك لا تلفّ كمّك ؟ قال : الأمر أسرع من ذلك ، فاجتمعت إليه بنوهاشم قاطبة ، و سئلوه و طلبوا إليه لمّا وهب لهم لباسه و لبس لباس الناس ، و انتقل عمّا هو إليه من ذلك ، فكان جوابه لهم البكاء و الشهيق ، وقال : بأبي وامّي من لم يشبع من خبز البرّ حتّى لقى الله و قال لهم : هذا لباس هدى يقنع به الفقير و يستر به المؤمن قالوا : فما الحياء ؟ قالوا : لم يهجم على أحد قطّ أراد قتله ،

فأبدى عورته إلّا انكفاء عنه حياء منه .

قال : فما الكرم ؟ قالوا : قال له سعد بن معاذ وكان نازلاً عليه في المزّاب في أوّل الهجرة : ما منعك أن تخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إبنته ؟ فقال عليه السلام : أنا أجترىء أن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ والله لوكانت أمة له ما اجترأت عليه ، فحكى سعد مقالته لرسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قل له : يفعل فانّي سأفعل قال : فبكى حيث قال له سعد قال : ثم قال : لقد سعدت إذاً أن جمع الله لي صهره مع قرابته .

فالذي يعرف من الكرم هو الوضع لنفسه ، وترك الشرف على غيره وشرف عليّ بن أبي طالب ما قد علمه الناس ، وهو إبن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبيه أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم وامّه فاطمة بنت أسد بن هاشم الّتي خاطبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في لحدها و كفّنها في قميصه و لفّها في ردائه ، و ضمن لها على الله أن لاتبلى أكفانها و أن لاتبدى لها عورة ولا يسلّط عليها ملكي القبر وأثنى عليها عند موتها ، و ذكر حسن صنيعها به ، و تربيتها له وهو عند عمّه أبي طالب ، و قال : ما نفعني نفعها أحد .

ثمّ البلاغة مال الناس إليه حيث نزل من المنبر فقالوا : ما سمعنا يا أمير المؤمنين أحداً قطّ أبلغ منك ، ولا أفصح فتبسّم ، و قال : وما يمنعني وأنا مولد مكّي ولم يزدهم على هاتين الكلمتين ، ثم الخطب فهل سمع السامعون من الأوّلين و الآخرين بمثل خطبه و كلامه؟ و زعم أهل الدواوين لولا كلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام و خطبه و بلاغته في منطقه ما أحسن أحد أن يكتب إلى أمير جند ولا إلى رعيّة .

ثمّ الرئاسة فجميع من قاتله و نابذه على الجهالة والعمى والضلالة، فقالوا: نطلب دم عثمان ولم يكن في أنفسهم ولا قدروا من قلوبهم أن يدّعوا رئاسته معه و قال هو : أنا أدعوكم إلى الله و إلى رسوله بالعمل بما أقررتم لله و رسوله

من فرض الطاعة و إجابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإقرار بالكتاب والسنة، ثم الحلم قالت له صفيّة بنت الحارث زوجة عبدالله بن خلف الخزاعي : أيتم الله نسائك منك كما أيتمت نساءنا، وأيتم الله بنيك منك كما أيتمت أبناءنا من آبائهم، فوثب الناس عليها، فقال: كفّوا عن المرأة فكفّوا عنها فقالت لأهلها: ويلكم الّذين قالوا هذا سمعوا كلامه قطّ عجباً من حلمه عنها ـ أقول : و ذلك انّ صفية بنت الحارث الثقفية زوجة عبدالله بن خلف الخزاعي قالت يوم الجمل لعلي عليه السلام بعد الوقعة : يا قاتل الأحبّة يا مفرق الجماعة ، فقال عليه السلام: إنّي لا ألومك أن تبغضيني يا صفية وقد قتلت جدّك يوم بدر و عمّك يوم احد و زوجك الآن ولو كنت قاتل الأحبّة لقتلت من في هذه البيوت ، ففتش فكان فيها مروان و عبدالله بن الزبير ـ ثم العلم فكم من قول قد قاله عمر: لو لا عليّ لهلك عمر.

ثم المشورة في كل أمر جرى بينهم حتّى يجيئهم بالمخرج ، ثم القضاء لم يقدم إليه أحد قطّ فقال له : عد غداً أو دفعه إنّما يفصل القضاء مكانه ثم لوجائه بعد لم يكن إلاّ ما بدر منه أوّلاً ، ثمّ الشجاعة كان منها على أمر لم يسبقه الأوّلون ولم يدركه الآخرون من النجدة والبأس ومباركة الأخماس ـ أي مبارزة الشجعان و أذلا لهم ـ على أمر لم ير مثله لم يولّ دبراً قطّ ولم يبرز إليه أحد قطّ إلاّ قتله و لم يكع ـ أي لم يجبن ولم يخف ـ عن أحد قطّ دعاه إلى مبارزته ، ولم يضرب أحداً قطّ في الطول إلاّ قدّه ولم يضربه في العرض إلاّ قطعه بنصفين ، و ذكروا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حمله على فرس فقال : بأبي أنت و امّي انا مالي و للخيل ؟ أنا لا أتبع أحداً و لا أفرّ من أحد و إذا إرتديت سيفي لم أضعه إلاّ للذي أرتدي له.

ثم ترك الفرح و ترك المرح أتت البشرى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تترى بقتل من قتل يوم احد من أصحاب الألوية ، فلم يفرح ولم يختل وقد اختال أبودجّانة و مشى بين الصفين مختالاً فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّها لمشية يبغضها الله إلاّ في هذا الموضع ، ثم لما صنع بخيبر ما صنع من قتل مرحب وفرار من فرّ بها ،قال

رسول الله (ص) لاعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرّار فاختاره انه ليس بفرّار معرّضاً عن القوم الذين فرّوا قبله فافتتحها، و قتل مرحباً و حمل بابها وحده فلم يطقه دون أربعين رجلاً فبلغ ذلك رسول الله (ص) فنهض مسروراً فلما بلغ أنّ رسول الله (ص) قد أقبل إليه إنكفاء إليه، فقال رسول الله (ص): بلغني بلاوك فأنا عنك راض، فبكى علي (ع) عندذلك، فقال له رسول الله (ص): أمسك ما يبكيك؟ فقال: و مالي لا أبكي ورسول الله (ص) عنّي راض، فقال له رسول الله: فانّ الله و ملائكته و رسوله عنك راضون، و قال له: لولا أن تقول فيك الطوائف من امّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لاتمرّ بملاءمن المسلمين قلّوا أو كثروا إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك يطلبون بذلك البركة.

ثم ترك الخديعة والمكر والغدر إجتمع الناس عليه جميعاً، فقالوا له: اكتب يا أميرالمؤمنين إلى من خالفك بولايته ثم اعزله، فقال: المكر و الخديعة والغدر في النار، ثم ترك المثلة قال لابنه الحسن: يا بنيّ اقتل قاتلي وإيّاك المثلة، فانّ رسول الله (ص) كرهها ولو بالكلب العقور ثم الرغبة بالقربة إلى الله بالصدقة، قال له رسول الله (ص): يا عليّ ما عملت في ليلتك؟ قال: ولم يا رسول الله؟ قال: نزلت فيك أربعة معالي قال: بأبي أنت وامّي كانت معي أربعة دراهم، فتصدّقت بدرهم ليلاً و بدرهم نهاراً و بدرهم سرّاً، و بدرهم علانية، قال: فانّ الله انزل فيك: «الّذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون»

ثم قال له: فهل عملت شيئاً غيرهذا؟ فانّ الله قد أنزل عليّ سبعة عشر آية يتلو بعضها بعضاً من قوله: «إنّ الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً» إلى قوله ـ «انّ هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً» قوله «ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً و يتيماً و أسيراً» فقال العالم: أمّا انّ عليّاً لم يقل في موضع:

« إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً » ولكن الله علم من قلبه إنّما أطعم الله فأخبره بما يعلم من قلبه من غيرأن ينطق به ، ثم هو ان ما ظفربه من الدنيا عليه انه جمع الأموال ثم دخل إليها فقال :

هـذا جنـاى و خياره فيـه　　　و كل جـان يـده إلى فيه

ابيضّي و اصفرّي و غرّي غيري أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك ، وقال : أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة .

ثم ترك التفضيل لنفسه وولده على أحد من أهل الإسلام دخلت عليه اختهام هاني بنت أبي طالب ، فدفع إليها عشرين درهماً فسئلت ام ّهاني مولاتها العجميّة فقالت : كم دفع إليك أميرالمؤمنين ؟ فقالت : عشرين درهماً ، فانصرفت مسخطة ، فقال لها : إنصرفي رحمك الله مـا وجدنا في كتاب الله فضلاً لاسمعيل على إسحق ، و بعث إليه من خراسان بنات كسرى، فقال لهن ّ: ازوّجكن ّ؟ فقلن له : لاحاجة لنا في التزويج ، فانّه لا أكفاء لنا إلاّ بنوك ، فان زوّجتنا منهم رضينا فكره أن يؤثرولده بما لا يعمّ به المسلمين ، وبعث إليه من البصرة من غوص البحر بتحفة لا يدرى ما قيمته ؟

فقالت له إبنته امّ كلثوم : يا أميرالمؤمنين ! أتجمّل به و يكون في عنقي ؟ فقال لها : يا بارافع أدخلـه إلى بيت المال ليس إلـى ذلك سبيل حتّى لاتبقـى إمرأة من المسلمين إلاّولها مثل ذلك ، وقام خطيباً بالمدينة حين ولّى فقال : يـا معشرالمهاجرين والأنصار يا معشرقريش إعلموا والله أنّي لا أرزؤكم من فيئكم شيئاً ما قام لي عذق بيثرب أفتروني مانعاً نفسي ، و ولدي ومعطيكم ؟ ولاسوّين ّ بين الأسود و الأحمرفقام إليه عقيل بن أبي طالب ، فقال : لتجعلني و أسوداً من سودان المدينة واحداً ؟ فقال لـه : إجلس رحمك الله تعالى أمـاكان هيهنا مـن يتكلّم غيرك ؟ وما فضلك عليه إلاّ بسابقة أوتقوى .

ثم اللباس استعدى زياد بن شدّاد الحارثي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على

أخيه عبدالله بن شدّاد فقال : يا أميرالمؤمنين ذهب أخي في العبادة ، وامتنع أن يساكنني في داري و لبس أدنى ما يكون من اللباس ، قال : يا أميرالمؤمنين تزيّنت بزينتك و لبست لباسك قال : ليس لك ذلك انّ إمام المسلمين إذا ولّى امورهم لبس لباس أدنى فقيرهم لئلّا يتبيّغ بالفقيرفقره فيقتله، فلأ علمن ّما لبست إلّا من أحسن زيّ قومك « و أمّا بنعمة ربك فحدّث » فالعمل بالنعمة أحبّ من الحديث بها .

ثم القسم بالسّوية والعدل في الرعيّة ولّى بيت مال المدينة عماربن ياسرو أباالهيثم بن التيهان ، فكتب : العربي و القرشي و الأنصاري والعجميّ و كل من في الإسلام من قبائل العرب و أجناس العجم، فأتاه سهل بن حنيف بمولى لهأسود، فقال : كم تعطي هذا ؟ فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام : كم أخذت أنت ؟ قال : ثلاثة دنانيرو كذلك أخذ الناس قال : فاعطومولاه مثل ما أخذ ثلاثة دنانير، فلمّاعرف الناس انّه لافضل لبعضهم على بعض إلّا بالتقوى عندالله أتى طلحة والزبيرعمّار بن ياسروأبا لهيثم بن التيهان . فقالا : يا أبا اليقظان إستأذن لنا على صاحبك قال : و عليّ صاحبي إذن قد أخذ بيده أجيره ، و أخذ مكتله و مسحاته و ذهب يعمل في نخلة في بئرالملك وكانت بئر لينبع سميت بئرالملك ، فاستخرجها عليّ بن أبيطالب عليه السلام وغرس عليها النخل ، فهذا من عدله في الرعيّة وقسمه بالسوية .

قال إبن دأب : فقلنا : فما أدنى طعام الرعيّة ؟ فقال : يحدّث الناس انه كان يطعم الخبز واللحم ، ويأكل الشعير والزيت ، ويختم طعامه مخافة أن يزاد فيه ، وسمع مقلى في بيته فنهض وهو يقول في ذمّة عليّ بن أبيطالب مقلى الكراكر؟ قال : ففزع عياله ، وقالوا : ياأميرالمؤمنين انّها امرأتك فلانة نحرت جزور في حيّها ، فأخذلها نصيب منها فأحدى أهلها إليها ، قال : فكلوا هنيئاً مريئاً : قال : فيقال : انه لم يشتكى ألماً إلّا شكوى الموت ، وإنّما خاف أن يكون هديّة من بعض الرعيّة وقبول الهدية لوالي المسلمين خيانةللمسلمين قال : قيل فالصرامة ؟

قال : إنصرف من حربه فعسكر في النخيلة وانصرف الناس إلى منازلهم و استأذنوه فقالوا : ياأمير المؤمنين كلّت سيوفنا ، و تنصّلت أسنّة رماحنا ، فائذن لنا ننصرف ، فنعيد بأحسن من عدّتنا وأقام هو بالنخيلة ، وقال : إنّ صاحب الحرب الأرق الّذي لايتوجّد من سهر ليله وظمأ نهاره ولافقد نساؤه وأولاده فلا الّذي إنصرف فعاد فرجع إليه ، ولاالّذي أقام فثبت معه في عسكره أقام فلما رآى ذلك دخل الكوفة ، فصعد المنبر فقال : لله أنتم ما أنتم إلّا اسد الشرا في الدعة ، وثعالب روّاغة ، ما أنتم بركن يصال به ولا ذوائر يعتصر إليها أيّها المجتمعة أبدانهم والمختلفة أهوائهم ، وما عزّت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم ، مع أيّ إمام بعدي تقاتلون ؟ وأيّ دار بعد دار كم تنعون ؟ فكان في آخر حربه أشدّ أسفاً وغيظاً وقد خذله الناس .

قال : فما الحفظ ؟ قال : هو الّذي تسميّه العرب العقل لم يخبره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بشيء قطّ إلّا حفظه ولا نزل عليه شيء إلّا وعنى به ولا نزل من أعاجيب السماء شيء قطّ إلى الأرض إلّا سئل عنه حتّى نزل فيه : « وتعيها اذن واعية » وأتى يوماً باب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وملائكته يصلّون عليه وهو واقف حتّى فزعوا ثم دخل على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال له : يارسول الله سلّم عليك أربعمأة ملك ونيّف قال : « وما يدريك » ؟ قال : حفظت لغاتهم فلم يسلّم عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم ملك إلّا بلغة غير لغة صاحبه قال السيّد :

فظلّ يعقد بالكفين مستمعا	كأنّه حاسب من أهل دارينا
أدّت إليه بنوع من مفادتها	سفائن الهند معلقن الربابينا

قال إبن دأب : « وأهل دارينا » قرية من قرى أهل الشام وأهل جزيرة وأهلها أحسن قوم ، ثم الفصاحة وثب الناس إليه ، فقالوا : ياأمير المؤمنين ماسمعنا أحداً قطّ أفصح منك ولا أعرب كلاماً منك قال : وما يمنعني وأنا مولدي بمكة .

قال إبن دأب : فادركت الناس وهم يعيبون كل من استعان بغير الكلام الّذي يشبه الكلام الّذي هو فيه ، ويعيبون الرجل الّذي يتكلّم ويضرب بيده على

بعض جسده أو على الأرض أو يدخل في كلامه ما يستعين به ، فأدركت الاولى وهم يقولون : كان عليه السلام يقوم فيتكلّم بالكلام منذ ضحوة إلى أن تزول الشمس لا يدخل في كلامه غير الّذي تكلّم به ولقد سمعوه يوماً وهو يقول :

والله ما أتيتكم إختياراً ولكن أتيتكم سوقاً - أما والله لتصيرنّ بعدي سبايا)

سبايا يغيرونكم ويتغاير بكم أما والله انّ من ورائكم الادبر لا تبقى ولا تذر والنهّاس الفرّاس القتّال الجموح يتوارثكم منهم عشرة يستخرجون كنوز كم من حجالكم ليس الآخر بأرأف بكم من الأوّل ثم يهلك بينكم دينكم ودنيا كم ، والله لقد بلغني انكم تقولون: إنّي أكذب فعلى من أكذب؟ أعلى الله فانا أوّل من آمن بالله أم على رسوله فانا أوّل من صدّق به كلاّ والله أيّها اللهجة عمتكم شمسها ، ولم تكونوا من أهلها ، و ويل لامّة كيلا بغير ثمن لو أنّ له وعاء « ولتعلمنّ نبأه بعد حين » انّي لو حملتكم على المكروه الّذي جعل الله عاقبته خيراً إذا كان فيه ، وله فان استقمتم هديتم ، و إن تعوّجتم أقمتكم وإن أبيتم بدأت بكم لكانت الوثقى الّتي لا تعلى ، ولكن بمن؟ وإلى من ؟ أؤدّيكم (اداويكم خ) بكم واعاتبكم بكم كنناقش الشوكة بالشوكة أن يقطعها بها ياليت لي من بعد قومي قوماً وليت ان أسبق يومي :

هنالك لو دعوت أتاك منهم رجال مثل أرمية الحميم (الحميرخ)

اللهمّ ان الفرات ودجلة نهران أعجمان اصمّان أعميان أبكمان اللهمّ سلّط عليهما بحرك و انزع منهما نصرك لا النزعة بأسكان الركيّ دعوا إلى الإسلام فقبلوه و قرؤوا القرآن فاحكموه و يصّجوا إلى الجهاد فولهوا و له اللقاح إلى أولادها ،وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الرماح زحفاً زحقاً وصفّاً صفّاً صفّ هلك وصفّ نجي لا يبشّرون بالنجاة ولا يقرون على الفناء (ولا يغزون عن الفناء خ) اولئك إخواني الذاهبون ، فحقّ الثناء لهم ان بطئنا(فحق لنان نظماً إليهم خ) ثم رأيناه و عيناه تذر فان و هو يقول : « إنّا لله و إنّا إليه راجعون » إلى عيشة بمثل بطن الحيّة متى ؟ لامتى لك منهم لامتى .

قال إبن دأب : هذا ماحفظت الرواة الكلمة بعد الكلمة ، وما سقط من كلامه أكثر وأطول ممالايفهم عنه ثم الحكمة ، وإستخراج الكلمة بالفطنة التي لم يسمعوها من أحد قطّ بالبلاغة في الموعظة ، فكان مما حفظ من حكمته وصف رجلاً ان قال : ينهى ولاينتهي ويأمر الناس بما لا يأتي ويبتغي الإزديادفيهابقي ويضيّع ماأوتي يحبّ الصالحين ، ولا يعمل بأعمالهم ويبغض المسيئين وهو منهم يبادر من الدنيا مايفنى ، ويذر من الآخرة ما يبقى يكره الموت لذنوبه ولايترك الذنوب في حياته .

قال إبن دأب : فهل فكّر الخلق إلى ماهم عليه من الوجود بصفته إلى ما قال غيره ثمّ حاجة الناس إليه ، وغناه عنهم انّه لم ينزل بالناس ظلماءعمياءكان لها موضعاً غيره مثل مجيىء اليهود يسئلونه ويتعنتونه ويخبر بما في التوراة ، و مايجدون عندهم ، فكم من يهودي قد أسلم وكان سبب إسلامه هو .

وأمّا غناه عن الناس فانّه لم يوجد على باب أحد قطّ يسئله عن كلمة و لايستفيد منه حرفاً ثم الدفع عن المظلوم وإغاثة الملهوف قال : ذكر الكوفيّون ان سعيدبن قيس الهمداني رآه يوماً في شدّة الحرّ في فناء حائط ، فقال : ياأمير المؤمنين بهذه الساعة ؟ قال : ماخرجت إلا لاعين مظلوماً أو اغيث ملهوفاً ، فبينا هو كذلك إذ أتته إمرأة قدخلع قلبها لاندري أين تأخذ من الدنيا حتّى وقفت عليه ، فقالت : ياأمير المؤمنين ظلمني زوجي وتعدّى عليّ وحلف ليضربني، فاذهب معي إليه ، فطأطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول : حتّى يؤخذ للمظلوم حقّه غير متعتع و أين منزلك ؟ قالت : في موضع كذا و كذا فانطلق معهاحتّى إنتهت إلى منزلها فقالت :هذا منزلي قال : فسلّم فخرج شابّ عليه إزار ملوّنة ، فقال عليه السلام : إتق الله فقد أخفت زوجتك ، فقال : وما أنت وذاك والله لاحرّقنها بالنار لكلامك قال : وكان إذا ذهب إلى مكان أخذ الدرّة بيده والسيف معلّق تحت يده فمن حلّ عليه حكم بالدرّة ضربه ، ومن حلّ عليه بالسيف عاجله ، فلم يعلم الشابّ إلاّ

وقد أصلت السيف ، وقال له : آمرك بالمعروف وأنهاك عن المنكر وترد ّ المعروف؟ تب وإلّا قتلتك قال : وأقبل الناس من السك يسئلون عن أمير المؤمنين عليه السلام حتّى وقفوا عليه قال : فأسقط في يده الشاب ّ ، وقال : ياأمير المؤمنين اعف عنّي عفى الله عنك ، والله لأكونن ّ أرضاً تطأني فأمرها بالدخول إلى منزلها وانكفاء وهو يقول : « لاخير في كثير من نجواهم إلّا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » الحمدلله الّذي أصلح بي بين مرأة وزوجها ، يقول الله تبارك وتعالى : « لاخير في كثير من نجواهم إلّا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك إبتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً »

ثم ّ المروّة وعفّة البطن والفرج ، وإصلاح المال ، فهل رأيتهم أحداً ضرب الجبال بالمعاول ، فخرج منها مثل أعناق الجزر كلّها خرجت عنق ، قال : بشّر الوارث ثم ّ يبدوله فيجعلها صدقة بتلّة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ليصرف النار عن وجهه ، ويصرف وجهه عن النار ليس لأحد من أهل الأرض أن يأخذوا من نبات نخلة واحدة حتّى يطبق كلّما ساخ عليه ماؤه .

قال إبن دأب : فكان يحمل الوسق فيه ثلاثمأة ألف نواة فيقال له : ماهذا؟ فيقول : ثلاثمأة ألف نخلة إن شاء الله ، فيغرس النوى كلّها فلا تذهب منه نواة ينبع وأعاجيبها ، ثم ترك الوهن والإستكانة انّه انصرف من احد وبه ثمانون جراحة يدخل الفتائل من موضع ، ويخرج من موضع ، فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عائداً وهو مثل المضغة على نطع ، فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى ، وقال له إن ّ رجلاً يصيبه هذا في الله لحق ّ على الله أن يفعل به ويفعل ، فقال مجيباً له وبكى : بأبي أنت وامّي الحمدلله الّذي لم يرني ولّيت عنك ولا فررت بأبي أنت وامّي كيف حرمت الشهادة؟ قال : انها من ورائك إن شاء الله .

قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن أباسفيان قد أرسل موعدة بينناوبينكم حمراء الأسد فقال : بأبي أنت وامّي والله لو حملت على أيدي الرجال ما تخلّفت

عنك قال : فنزل القرآن : « وكأيّن من نبيّ قاتل معه ربيّون كثير فماوهنوا لماأصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحبّ الصابرين »

ونزلت الآية فيه قبلها : « وما كان لنفس أن تموت إلّا باذن الله كتاباً مؤجّلاً ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين » ثم ترك الشكاية في ألم الجراحة شكت المرأتان إلى رسول الله ﷺ ما يلقى وقالتا : يارسول الله قد خشينا عليه ممّا تدخل الفتائل في موضع الجراحات من موضع إلى موضع وكتمانه ما يجد من الألم قال : فعدّ مابه من أثر الجراحات عند خروجه من الدنيا ، فكانت ألف جراحة من قرنه إلى قدمه صلوات الله عليه .

ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال : خطب الناس فقال : أيّها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، فانّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لايقرّب أجلاً ولايؤخّر رزقاً وذكروا انّه عليه السلام توضّأ مع الناس في ميضأة المسجد فزحمه رجل فرمى به ، فأخذ الدرّة فضربه ثم قال له : ليس هذا لما صنعت بي ولكن يجيىء من هو أضعف منّي فتفعل به مثل هذا فتضمن .

قال : واستظلّ يوماً في حانوت من المطر فنحّاه صاحب الحانوت ، ثم إقامة الحدود ولو على نفسه وولده أحجم الناس عن غير واحد من أهل الشرف والنباهة أقدم هو عليهم باقامة الحدود فهل سمع أحد أنّ شريفاً أقام عليه أحد حداً غيره ؟ منهم عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، ومنهم قدامة بن مظعون ، ومنهم الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، شربوا الخمر فأحجم الناس عنهم وانصرفوا وضربهم بيده حيث خشى أن يبطل الحدود (أن تعطل الحدود خ) ثم ترك الكتمان على إبنته ام كلثوم أهدى لها بعض الامراء عنبراً ، فصعد المنبر فقال :

أيها الناس ! انّ ام كلثوم بنت علي عليه السلام خانتكم عنبراً وأيم الله لو كانت سرقة لقطعتها من حيث اقطع نساءكم ، ثم القرآن ومايوجد فيه من مغازي

النّبي ﷺ مما نزل من القرآن وفضائله ومايحدّث الناس مما قام به رسول الله ﷺ من مناقبه الّتي لاتحصى ، ثم أجمعوا انه لم يردّ على رسول الله ﷺ كلمة قطّ ولم يكع عن موضع بعثه وكان يخدمه في أسفاره ويملأ رواياه وقربه ويضرب خباءه ويقوم على رأسه بالسيف حتّى يأمره بالقعود والإنصراف ، ولقدبعث غير واحد في إستعذاب ماء من الجحفة وغلظ عليه الماء فانصرفوا ولم يأتوا بشيء ثمّ توجّه هو بالراوية ، فأتاه بماء مثل الزلال واستقبله أرواح ، فاعلم بذلك النّبي ﷺ فقال : ذلك جبرئيل في ألف ، وميكائيل في ألف ، ويتلوه إسرافيل في ألف ، فقال السيد الشاعر :

أعنى الّذي سلّم في ليلة	عليه ميكال وجبرئيل
جبريل في ألف وميكال في	ألف ويتلوهم سرافيل

ثم دخل الناس عليه قبل أن يستشهد بيوم فشهدوا جميعاً انّه قد وفّر فيئهم وظلف عن دنياهم، ولم يرتش في اجراء احكامهم، ولم يتناول من بيت مال المسلمين ما يساوي عقالاً ، ولم يأكل من مال نفسه إلّا قدر البلغة، و شهدوا جميعاً ان أبعد الناس منهم بمنزلة أقربهم منه .

أقول : إذا قيس أحد بأحد فامّاأن يقاس به بالخصال الحسنة والأخلاق الفاضلة : من كمال العقل وجودة الفكر و العلم و الحكمة و العدل و الايمان و المعرفة ، و من الكرم و السخاء و الشجاعة و العفة و ما إليها من الصفات الممدوحة ، وإمّا أن يقاس به بالمال والمقام والجاه والاشتهار . . .

أمّا المال فليس إلّامتاع الحياة الدنيافلا يعتنى به المؤمنون فكيف أئمتهم المعصومون، وأمّا المقام و الجاه و الإشتهار ... اللاتي ليست من عند الله جل وعلا فلا شأن لها. فكيف يقاس أحد بأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين - في واحد من الخصال و الصفات الممدوحة و الأخلاق الفاضلة وهم عليهم السلام نواتها وقطبها.

﴿ الحوادث الواقعة في ليالي القدر وايامه ﴾

واعلم أنّ من اعظم حادثة وقعت في تلك الليالي هو قتل الإمام الأوّل مولى الموحدين أمير المؤمنين وصيّ خاتم الانبياء والمرسلين عليّ بن أبيطالب عليه السلام وفي أيّامها هو جرى الدّم تحت الأحجار والحصاة لتلك المصيبة العظمى .

أورد في ذلك جماعة من أعلام العامة روايات كثيرة بأسانيد عديدة في مآخذهم وأسفارهم نشير إلى نبذة منها :

١ـ روى الحاكم النيشابوري في (المستدرك ج ٣ ص ١١٣ ط حيدر آباد الدكن) باسناده عن إبن شهاب قال : قدمت دمشق وأنا اريد الغزو فأتيت عبدالملك لاسلم عليه فوجدته في قبّة على فرش بقرب القائم وتحته سماطان فسلّمت ثم جلست فقال لي : يا ابن شهاب أتعلم ما كان في بيت المقدس صباح قتل عليّ بن أبيطالب عليه السلام فقلت : نعم فقال : هلمّ فقمت من وراء الناس حتّى أتيت خلف القبّة فحوّل إليّ وجهه فأحنا عليّ فقال : ما كان ؟ فقلت: لم يرفع حجر من بيت المقدس الا وجد تحته دم فقال : لم يبق أحد يعلم هذا غيري وغيرك لا يسمعن منك أحد فما حدّثت به حتّى توفّى .

أقول : إنّ إخفاء عبدالملك الأمر والنهي عن إظهاره ليس أول قارورة كسرت في الإسلام فانّ إخفاء فضائل عليّ أمير المؤمنين عليه السلام و كتمان مناقب أهل البيت عليهم السلام كان من المخالفين منذ عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليوم عسى الله تعالى أن يهدينا وإياهم إلى صراط مستقيم ـ .

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة من أعاظم العامّة :

١ـ الطبري في (ذخائر العقبى ص ١١٥ ط القدسي بمصر)

٢ـ الذّهبي في (تلخيص المستدرك المطبوع بذيل المستدرك ج ٣ ص ١١٣ ط حيدرآباد)

٣ـ الزرندي في (نظم درر السمطين ص ١٤٨ ط القضاء)

٤ـ الحمويني في (فرائد السمطين)

٥ـ القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٢٠ ط إسلامبول)

٦ـ الأمر تسري في (أرجح المطالب ص ٦٥٦ ط لاهور)

٢ـ روى الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٢٧٠ ط تبريز)

باسناده عن الزهري قال : قال عبدالملك بن مروان أيّ واحد أنت ان حدّثتني ماكانت علامة يوم قتل عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال : والله يا أمير المؤمنين ما رفعت حصاة من بيت المقدّس إلّا كان تحتها دم عبيط .

رواه جماعة منهم :

١ـ إبن الصباغ المالكي في (الفصول المهمّة ص ١٢٢ ط الغرى) إلّا أنّه زاد (قال لي)

٢ـ السيوطي في (الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٢٤ ط حيدرآباد) بأدني تفاوت

٣ـ الشبلنجي في (نور الأبصار ص ١٠٠ ط العامرة بمصر)

٣ـ روى البدخشي في (مفتاح النجاص ٩٠)

مالفظه : اخرج البيهقي عن الزهري انّه قال : قدمت الشام اريد الغزو فدخلت على عبدالملك بن مروان فقال لي : أيّ واحد أنت ان حدّثتني ماكان علامة يوم قتل علي عليه السلام؟ قلت: لم يرفع حجر ببيت المقدس إلّا وجد تحته دم فقال عبدالملك :لم يبق من يعرف هذا غيري وغيرك ولا تخبر به أحداً فما اخبرت به إلّا بعدموته .

قال البيهقي والّذي صحّ عنه انّ ذلك كان حين قتل الحسين رضي الله عنه

ولعلّه وجد عند قتلهما جميعا.

٤- روى الحاكم النيشابوري في (المستدرك ج ٣ ص ١٤٤ ط حيدر آباد)

باسناده عن الزهري ان أسماء الأنصارية قالت: مارفع حجر بايلياء ليلة قتل علي عليه السلام الاووجد تحته دم عبيط.

رواه جماعة منهم:

١- الحمويني في (فرائد السمطين)

٢- الذهبي في (تلخيص المستدرك المطبوع بهامش المستدرك ج ٣ ص ١٤٤ ط حيدر آباد)

٣- الزرندي الحنفي في (نظم درر السمطين ص ١٤٩ ط الغرى)

٥- روى الحاكم في (المستدرك ج ٣ ص ١٤٣ ط حيدر آباد)

باسناده عن حريث بن المخشي ان علياً عليه السلام قتل صبيحة إحدى وعشرين من رمضان قال: فسمعت الحسن بن علي عليه السلام يقول: وهو يخطب وذكر مناقب علي عليه السلام فقال: قتل ليلة انزل القرآن وليلة اسرى بعيسى وليلة قبض موسى قام وصلّى عليه الحسن بن علي عليه السلام. قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد.

رواه بعينه جماعة منهم:

١- الذهبي في (تلخيص المستدرك المطبوع بذيل المستدرك ج ٣ ص ١٤٣ ط حيدر آباد)

٢- الحمويني في (فرائد السمطين)

٣- الامرتسري في (أرجح المطالب ص ٤٨٢ ط لاهور)

وفي الأخير زاد «وفي ليلة قتل يوشع بن نون فتى موسى»

٦- روى إبن عبدالبر في (الإستيعاب ج ٢ ص ٤٦٩ ط حيدر آباد)

عن عائشة قالت: لما بلغها قتل علي بن أبيطالب لتصنع العرب ماشاءت فليس لها أحد ينهاها.

رواه جماعة منهم :

١- محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ١١٤ ط القدسي بمصر)

٢- البدخشي في (مفتاح النجا ص ٩١)

٣- الابى في (شرح ارجوزته ص ٢٩٠)

٤- الامرتسري في (أرجح المطالب ص ٦٥٨ ط لاهور)

٧- روى إبن الطقطقى البغدادي في (الفخري ص ٨٢ ط القاهرة)

مالفظه : ولما بلغ عائشة قتل علي عليه السلام قالت :

فألقت عصاها واستقر بها النوى - كماقر عينا بالإياب المسافر)

٨- في (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٣٤٤ ط مصر)

مالفظه : وقال أبو بكر بن عياش لقد ضرب علي بن أبيطالب عليه السلام ضربة ما كان في الإسلام أيمن منها ضربته عمراً يوم الخندق ولقد ضرب علي ضربة ما كان في الإسلام أشأم منها يعني ضربة إبن ملجم لعنه الله .

٩- في (الإستيعاب ج ٢ ص ٤٧١ ط حيدر آباد) مالفظه : قال بكر بن حماد القاهري :

قل لابن ملجم والاقدار غالبة ... هدمت ويلك للاسلام اركانا

قتلت أفضل من يمشي على قدم ... وأول الناس إسلاما و ايمانا

وأعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سن الرسول لنا شرعا وتبيانا

صهر النبي ومولاه و ناصره ... أضحت مناقبه نوراً وبرهانا

وكان منه على رغم الحسود له ... ماكان هارون من موسى بن عمرانا

وكان في الحرب سيفا صارما ذكرا ... ليثا إذا لقى الأقران أقرانا

ذكرت قاتله والدمع منحدر ... فقلت سبحان رب الناس سبحانا

اني لأحسبه ماكان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا

اشقى مراد اذا عدت قبائلها ... وأخسر الناس عندالله ميزانا

كعاقر الناقة الاولى التي جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسرانا
قد كان يخبرهم ان سوف يخضبها ... قبل المنيّة أزمانا فأزمانا)

الأبيات . . .

ثم ذكر ما أنشأه بكر بن حمّاد أيضاً :

و هزّ عليّ بالعراقين لحية ... مصيبتها جلّت على كل مسلم
وقال سيأتيها من الله حادث ... و يخضبها أشقى البرية بالدّم)

الأبيات . . .

ثم ذكر ما قال أبو الأسود الدئلي أو امّ الهيثم بنت العريان النخعيّة على الاختلاف ـ :

ألا يا عين و يحك اسعدينا ... ألا تبكي أمير المؤمنينا
تبكي امّ كلثوم عليه ... بعبرتها و قد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا ... فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طرّاً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... و ذلّلها و من ركب السفينا
و من لبس النعا ومن حذاها ... و من قرء المثاني و المبينا
و كل مناقب الخيرات فيه ... و حبّ رسول ربّ العالمينا
لقد علمت قريش حيث كانت ... بانك خيرها حسباً و دينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر خير الناظرينا
و كنّا قبل مقتله بخير ... نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحق لا يرتاب فيه ... و يعدل في العدا والأقربينا
و ليس بكاتم علما لديه ... ولم يخلق من المتجبّرينا
كأنّ الناس إذ فقدوا عليّاً ... نعام حار في بلد سنيناً)

الأبيات . . .

﴿ ليلة القدر و خفائها ﴾

و قد اختلفت كلمات الأعلام في تسمية ليلة القدر و حدّها و خفائها ، فأكثرهم يقولون : سميّت بها لأنّها الليلة التي يحكم الله عزّ وجلّ فيها ، و يقضى بما يكون في السنة بأجمعها من كل أمر، و هي الليلة المباركة في قوله تعالى : « إنّا أنزلناه في ليلة مباركة » الدخان : ٣) و ذلك ان الله جلّ وعلا أنزل القرآن الكريم جملة واحدة على قلب محمّد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة القدر، ثم أنزله نجوماً في مدة ثلاث وعشرين سنة حسب الحوادث الواقعة و مقتضى الحكمة الالهية ، ولا شيء في نظر النبوّة أعظم من القرآن المجيد و التعليم والهداية ، فهذه الليلة أعظم ليالي السنة عنده صلى الله عليه وآله وسلم لأنّها الليلة التي قد اعطى فيها كلّ ما يريد لرقيّ نفسه و لرقيّ امته، ونجاة البشرية من الجهل والضّلالة، من الكفر والمعصية ، و من العناد واللجاجة . . . فهل المال والولد والصحّة و الجمال والملك والنعمة والحظوظ العاجلة توازي شيئاً مما نزل في هذه الليلة؟!

و ان الله تعالى ينزل في ليلة القدر الخير والبركة والكرامة والمغفرة ، و يقدّر فيها الأعمار و الأرزاق إلى مثلها في السّنة القادمة ، و على ليلة القدر من الجلال الالهي والجمال الربوبي ما يجعل ثواب الإنقطاع من الله تعالى و العمل والتوبة فيها ثواب من عمل طيلة ألف شهر، ليس في هذه الأشهر ليلة قدر.

و إن أحسن الأوقات لكل مؤمن حقاً أن يكون له وقت يهتدى فيه قلبه، و يعرف الحقائق و يعلم بالمعارف و الحكم ، و يفهم المقصود من هذه الحياة ،

و تتجه نفسه إلى المعالي ، فيحقر اللذّات و الشهوات والمتاع والمال ، وينصرف بكلّيته إلى رقيّ نفسه و إخوانه المؤمنين، فهذا الوقت يكون عنده أعظم الأوقات في حياته ، وليس هذا الوقت إلّا ليلة القدر .

و أمّا حدّها فالروايات الواردة كثيرة نشير إلى نبذة منها :

فى أمالي الشيخ الطوسي قدّس سرّه باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئلته عن ليلة القدر قال : هي إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين قلت : أليس إنّما هي ليلة ؟ قال : بلى قلت : فأخبرني بها قال : وما عليك أن تفعل خيراً في ليلتين .

وفى السرائر: عن حمران قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن ليلة القدر؟قال: هي ليلة ثلاث أوأربع قلت : أفردلي إحداهما ، قال : وما عليك أن تعمل في الليلتين هي إحداهما .

وفى شرح ابن أبى الحديد : ـ في حديث ـ قيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام: فأخبرنا عن ليلة القدر ؟ قال : ما أخلو من أكون أعلمها فأستر علمها و لست أشك ان الله إنّما يسترها عنكم نظراً لكم لأنّه لو أعلمكموها عملتم فيها ، و تركتم غيرها ، و أرجو أن لا تخطئكم إن شاء الله انهضوا رحمكم الله .

وفى تفسير القمي : باسناده عن أبي المهاجر عن أبي جعفر عليه السلام قال: ياأبا المهاجر لايخفى علينا ليلة القدر أن الملائكة يطوفون بنا فيها .

وفى البحار: قيل لأبي جعفر عليه السلام : تعرفون ليلة القدر ؟ فقال : و كيف لا نعرف والملائكة تطوفون بنابها .

وأما خفاء ليلة القدر في ليالي ثلاث: ليلة تاسعة عشر، وإحدى وعشرين، و ثالثة وعشرين من شهر رمضان المبارك فمن حكمه أن ينشط العباد على العمل طيلة الشهر المبارك ، و أن يجتهد الناس في العبادة، ويحيوا جميع الليالي الثلاث، و يتركوا المعاصي كلها : صغيرها و كبيرها طمعاً في إدراك هذه الليلة ليفوزوا

ببركتها ، و ليحظوا بخيرها .

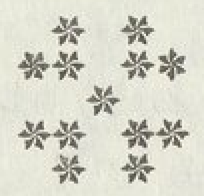
إنّما لم تعيّن ليتوفّر العباد على صالح الأعمال في سائر الليالي ، ففي إخفائها تعريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالي رجاءاً لموافقتها ، ولم تعيّن تعظيماً لأمرها ، و أن لا يستهان بها بارتكاب المعاصي فيها أو الغفلة عنها ، و عما وقع فيها من نزول القرآن الكريم والخير والبركة والمغفرة وتقدير الأعمار و الآجال ، والأرزاق . . . إلى السّنة المقبلة .

فالاشفاق أن لا يعرفها المكلّف بعينها لئلّا يكون بالمعصية فيها خاطئاً متعمّداً ، وهاتكاً لقدرها ، و أيضاً إذا اجتهد في طلب ليلة القدر باحياء الليالي المظنونة باهى الله عزّ وجلّ ملائكته ، ويقول : كنتم تقولون في الانسان : «أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدّماء . . . » البقرة : ٣٠) فهذا جدّهم في الأمر المظنون ، فكيف لوجعلتها معلومة لهم ، فهنا لك يظهر سرّ قوله تعالى : « إنّي أعلم مالا تعلمون » و إن إخفاء ليلة القدر في ليال ثلاث أشبه باخفاء الصّلاة الوسطى في قوله عزّ وجلّ : « حافظوا على الصلوات والصّلاة الوسطى » البقرة : ٢٣٨) لئلّا تترك ، و أن يأتيها العبد كلّها ، و أن يرغب المكلف في الطاعات ، و يزيد في الإجتهاد ولا يتغافل ولا يتكاسل ولا يتكل ، و أشبه باخفاء ساعة الإجابة في ساعات الجمعة لئلّا يغفل عنها العبد .

و قد أخفى الله تعالى إسمه الأعظم في أسمائه الحسنى لئلّا يكتفى به العبد في ذكره و دعائه ولكل إسم من أسمائه الحسنى تأثير خاص لابدّ من ذكره ، و أخفى رضاه تعالى في الطاعات حتّى يرغبوا في الكلّ ، و أن يأتيها العبد جميعها ، و أخفى غضبه في المعاصي ليجتنبوا عن الكل : صغيرها و كبيرها ، و أخفى وليّه بين الناس حتّى يعظّموا الكل ، و أخفى وقت الوفاة لئلّا ينسى العبد الموت ، ولا يؤخّر العاصي التوبة إلى وقته ، و أخفى عبده الصالح بين عباده لئلّا تهتك

حرمة غيره ، و أخفى قيام الساعة لئلّا يغفل عنها العبد في غيروقتها . . .

و قد تكون ليلة غيرمعلومة للناس يفتح فيها على امريء وغيره غافل،وجهل هذه الليلة نعمة كجهل نهاية العمروجهل وقوع الساعة . . . كل ذلك نعمةمن الله تعالى على العباد ، و المقصود من هذا هو الإجتهاد والكمال : « و أن ليس للانسان إلّا ما سعى و أن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » النجم : ٣٩-٤١)



﴿ ليلة القدر واحيائها ﴾

و من البيّن : أنّ ليلة القدر ليلة سطع فيها نور الخير والهدى ، نور الحق و الفلاح ، و نور البركة والصلاح ، ليلة كانت فاتحة التشريع الجديد الّذي أنزل لخير البشر ، وكان فيها وضع الحجر الأساسى لهذا الدّين القيّم الكامل الّذي هو آخر الأديان الصالح لهم كل في زمان ومكان ، و انّ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء ، و كتابه آخر الكتب السماوية، و لا يقبل عندالله عزّ وجل دين غير هذا الدّين النازل في ليلة القدر .

قال الله تعالى : « فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرة الله الّتي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم » الروم : ٣٠)

و قال : « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً » المائدة : ٣)

وقال : « ماكان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله وخاتم النبيين» الاحزاب : ٤٠)

و قال : « إنّ الدّين عندالله الإسلام ـ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين »آل عمران : ١٩ـ٨٥)

ليلة القدر ليلة مباركة خير من ألف شهر من شهورهم الّتي كانوا يتخبطون فيها في ظلام الشرك و ضلال الوثنيّة، في ظلام العناد و ضلال اللجاجة ، و في ظلام الطغيان و ضلال المعصية . . . حيارى لايهتدون إلى غاية ولا يقفون عند

حدّ، و أيّ عظمة أعلى من عظمة ليلة نزل فيها نور الهدى و الرحمة للناس كافّة بعد أن مضت عليهم حقب متتابعة، وهم في ظلام الكفر وضلال الجناية، وظلام الباطل و ضلال الغواية، و في ظلام الإستبداد و ضلال القساوة...

قال الله تعالى: «و اذكروه كما هداكم و إن كنتم من قبله لمن الضالّين» البقرة:١٩٨)

و قال: «لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته و يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب والحكمة و إن كانوا من قبل لفي ضلال مبين» آل عمران: ١٦٤)

و قال: «وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين قل إنّما يوحى إليّ أنّما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون» الأنبياء: ١٠٧ و ١٠٨)

و قال: «و ما أرسلناك إلاّ كافّة للناس بشيراً و نذيراً و لكنّ أكثر الناس لا يعلمون» سبأ: ٢٨)

و أيّ شرف أرفع من شرف سطع فيها بدر المعارف والحكم الالهية علي قلب خاتم رسله صلّى الله عليه وآله وسلّم رحمة بعباده يبشّرهم و ينذرهم، و يهديهم إلى صراط مستقيم، و يجعل منهم امّة تحرّر الناس من إستعباد القياصرة المستبدين، و جبروت الأكاسرة المستكبرين، و إستثمار الفجرة المترفين، و من إستغلال طلاقة العنان المجرمين... و يجمعهم بعد الفرق و يلمّ شعثهم بعد الشتات، و ينجيهم وهم على شفا حفرة من النار.

قال الله عزوجل: «و اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا و اذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلّكم تهتدون و لتكن منكم امّة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و اولئك هم المفلحون» آل عمران: ١٠٣-١٠٤)

و قال : « و ألّف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألّفت بين قلوبهم ولكنّ الله ألّف بينهم انه عزيز حكيم » الأنفال : ٦٣)

فحقّ على المسلمين كافّة أن يحيوا ليلة القدر في ثلاث ليال من شهر رمضان المبارك إذ فيها نزل ذلك الدستور السماوي الّذي وجّه المسلمين تلك الوجهة الصالحة النافعة و يجدّدوا العهد أمام ربّهم بحياطته تعالى بأنفسهم و أموالهم شكراً له على نعمه و رجاء مثوبته ، أن يحيوها بالذكر والدعاء ، و العبادة حتّى الصباح .

في وسائل الشيعة : عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال موسى : إلهي اريد قربك ؟ قال : قربي لمن استيقظ ليلة القدر ، قال : إلهي اريد رحمتك ؟ قال : رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر ، قال : إلهي اريد الجواز على الصراط؟ قال: ذلك لمن تصدّق بصدقة في ليلة القدر ، قال : إلهي اريد من أشجار الجنة و ثمارها ؟ قال : ذلك لمن سبّح تسبيحة في ليلة القدر ، قال : إلهي اريد النجاة من النار ؟ قال : ذلك لمن استغفر في ليلة القدر قال: إلهي اريد رضاك؟ قال: رضائي لمن صلّى ركعتين في ليلة القدر .

وفيه: بالاسناد عن الرضا عن آبائه عن علي عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من أحيى ليلة القدر غفرت له ذنوبه ولو كانت عدد نجوم السماء و مثاقيل الجبال و مكائيل البحار .

وفي الكافي: باسناده عن سليمان الجعفري قال : قال أبو الحسن عليه السلام : صلّ ليلة إحدى وعشرين و ليلة ثلاث وعشرين مأة ركعة تقرأ في كل ركعة : « قل هو الله أحد » عشر مرّات .

وفي التهذيب: باسناده عن سماعة قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : صلّ في ليلة إحدى و عشرين ، و ليلة ثلاث و عشرين من رمضان في كلّ واحدة منهما إن قويت على ذلك مأة ركعة سوى الثلاثة عشر ، و أسهر فيهما حتّى تصبح ، فانه

يستحب أن تكون في صلاة و دعاء و تضرّع فانّه يرجى أن تكون ليلة القدر في إحداهما ، و ليلة القدر خيرمن ألف شهر، فقلت له : كيف هي خيرمن ألف شهر؟ قال : العمل فيهاخيرمن العمل في ألف شهر، وليس في هذه الأشهر ليلةالقدر. الحديث.

وفي روضة الواعظين: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن شهر رمضان يضاعف الله فيه الحسنات - إلى أن قال - إن شهر كم هذا ليس كالشهور إنّه إذا أقبل إليكم أقبل بالبركة و الرحمة ، وإذا أدبر عنكم أدبر بغفران الذّنوب هذا شهر الحسنات فيه مضاعفة ، و أعمال الخيرفيه مقبولة ، من صلّى منكم في هذا الشهر ركعتين يتطوّع بهما غفرالله له .

وفيه: و قال الباقر عليه السلام : من أحيى ليلة ثلاث و عشرين من شهر رمضان ، و صلّى فيها مأة ركعة وسّع الله عليه معيشته في الدنيا ، و كفاه أمرمن يعاديه ، و أعاذه من الغرق والهدم والسّرق ومن شرّ السباع ، و دفع عنه هول منكر و نكيرو خرج من قبره و نوره يتلألأ لأهل الجمع ، و يعطى كتابه بيمينه ويكتب له براءة من النار و جواز على الصراط ، و أمان من العذاب ، ويدخل الجنة بغير حساب و يجعل فيها من رفقاء النبييّن والصدّيقين والشهداء والصّالحين و حسن اولئك رفيقاً .

وفي وسائل الشيعة : عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : من صلّى في ليلة القدر ركعتين فقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة و « قل هوالله أحد » سبع مرّات فاذا فرغ يستغفر سبعين مرّة ، فما زاد لايقوم من مقامه حتّى يغفرالله له ولأبويه و بعث الله ملائكة يكتبون له الحسنات إلى سنة اخرى ، و بعث الله ملائكة إلى الجنان يغرسون الأشجار ويبنون القصور و يجرون له الأنهار ولا يخرج من الدنيا حتّى يرى ذلك كلّه .

وفي البحار: عن الصّادق عليه السلام أنّه قال : إغتسل ليلة تسع عشرة من شهر رمضان و إحدى و عشرين و ثلاث وعشرين ، و اجهد أن تحييهما و ذكران

ليلة القدر يرجى في ليلة إحدى و عشرين و ثلاث و عشرين ، و قال عليه السلام : ليلة ثلاث و عشرين الليلة التي فيها يفرق كل أمر حكيم ، و فيها يكتب وفد الحاج و ما يكون من السنة إلى السنة ، و قال عليه السلام : يستحب أن يصلي فيها مأة ركعة تقرأ في كل ركعة الحمد وعشرمرات : «قل هوالله أحد»

وفيه: عن أبي جعفرعن آبائه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن تغفل عن ليلة إحدى و عشرين ، و ليلة ثلاث وعشرين أوينام أحد تلك الليلة .

وفيه: عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : من وافق ليلة القدر فقامها غفرالله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر.

وفيه: كانت فاطمة عليها السلام لا تدع أحداً من أهلها ينام تلك الليلة ـ ليلة ثلاث و عشرين ـ و تداويهم بقلة الطعام و تتأهب لها من النهار و تقول : محروم من حرم خيرها .

وفيه: عن علي عليه السلام : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يطوى فراشه ويشد مئزره في العشرالأواخرمن شهر رمضان ، وكان يوقظ أهله ليلة ثلاث وعشرين وكان يرش وجوه النيام بالماء في تلك الليلة .

وفي التهذيب: باسناده عن سفيان بن السمط قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : الليالي التي يرجى فيها من شهر رمضان ؟ فقال : تسع عشرة و إحدى وعشرين و ثلاث و عشرين ، قلت : فان أخذت إنساناً الفترة أوعلة ما المعتمد عليه من ذلك؟ فقال : ثلاث وعشرين .

و في وسائل الشيعة : عن إبن أبي عميرقال : قال موسى بن جعفر عليه السلام : من اغتسل ليلة القدر و أحياها إلى طلوع الفجرخرج من ذنوبه .

وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قام ليلة القدر ايماناً و احتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحييه ولا يختمه .

وفي البحار: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : يفتح أبواب السموات في ليلة

القدر فما من عبد يصلّي فيها إلّا كتب الله تعالى بكل سجدة شجرة في الجنّة لو يسير الراكب في ظلّها مأة عام لا يقطعها، وبكل ركعة بيتاً في الجنّة من درّ وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وبكل آية تاجاً من تيجان الجنّة، وبكل تسبيحة طايراً من العجب، وبكل جلسة درجة من درجات الجنّة، وبكل تشهّد غرفة من غرفات الجنّة، وبكل تسليمة حلّة من حلل الجنّة، فاذا انفجر عمود الصبح أعطاه الله من الكواعب المألفات والجواري المهذّبات والغلمان المخلّدين والنجائب المطيرات والرياحين المعطّرات، والأنهار الجاريات والنعيم الراضيات والتحف والهديّات والخلع والكرامات، وما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وأنتم فيها خالدون.

وفيه: بالاسناد عن عبدالعظيم الحسني عن أبي جعفر الثاني عليه السلام ـ في حديث ـ قال: من زار الحسين عليه السلام ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، وهي الليلة التي يرجى أن تكون ليلة القدر وفيها يفرق كل أمر حكيم، صافحه روح أربعة وعشرين ألف ملك ونبي كلّهم يستأذن الله في زيارة الحسين عليه السلام في تلك الليلة.

وفيه: بالاسناد عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا كان ليلة القدر يفرّق الله عزّ وجلّ كل أمر حكيم نادى مناد من السماء السابعة من بطنان العرش انّ الله عزّ وجلّ قد غفر لمن أتى قبر الحسين عليه السلام.

أقول: هذا إذا كان الانسان قادراً، وخلّى له السبيل أن يزور قبر مولانا سبط المصطفى سيّد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام وإلّا فمن زاره من مكان بعيد بما نقل في زيارته فهو في زمرة الزائرين، ويثاب بما يثابون به.

وفيه: بالاسناد عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: من أحيى ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، وصلّى فيه مأة ركعة وسّع الله عليه معيشته في الدنيا، وكفاه أمر من يعاديه وأعاذه من الغرق والهدم والسرق، ومن شرّ السباع ودفع عنه هول منكر ونكير وخرج من قبره نور يتلألأ لأهل الجميع، ويعطى كتابه بيمينه، ويكتب له براءة من النار وجواز على

الصّراط ، و أمان من العذاب و يدخل الجنة بغير حساب ، و يجعل فيها من رفقاء النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً .

أقول: إنّ الرواية ليست بصدد تعيين ليلة القدر بل بصدد بيان فضلها ، والعمل فيها من الليال الثلاث التي تردّد فيها ليلة القدر .

ولا ينبغي لذي مسكة أن يغفل عن هذه الليلة العظيمة الكريمة الشريفة في ليال ثلاث التي يكون فيها تدبير السّنة كلّها ، و إطلاق العطايا و دفع البلايا و تدبير الامور و تقديرها إلى السّنة المقبلة ، فضلاً عن مسلم صائم ومؤمن متعبّد.

ينبغي الرجوع إلى الله جل وعلا و الإنقطاع عما سواه مع تطهير الجسد بالماء واللسان بالذكر، والقلب بالتوبة ، فيطلب من الله تعالى ما فيه خيره و صلاحه ، عزّته و فلاحه و سعادته في الدنيا والآخرة ، فانّها أشرف ليلة لا يقاس بها ليل ، و فيها يغفر المذنب ، و يرحم الضعيف و يعطى السائل و يستجاب الدعاء، و ينال المنيب سروراً في السنة ، و يدفع عنه المكروه والمحذور . . . أوليس شقيّاً من لا يكون فيها نشيطاً ، ولا مهتمّاً بها .

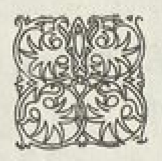
فهل تجد العقل قاضياً انّ سلطاناً رؤفاً عادلاً حكيماً يختار ليلة شريفة من بين ليال السنة للإطلاق و العتاق و المواهب و نجاح المطالب ، و يأذن فيها إذناً عاماً ، و يدعو الكل بضيافته فيتخلف العبد العاجز المضطر الفقير العاصي ، و بابه مفتوح و مائدته مبسوطة وعطاؤه عميم؟!.

أوليس الظلم ان حضر ببابك رسول بعض الملوك ، فيعرض عليك مأة درهم أوشيئاً ممّا تحتاج إليه من المسارّ ، و دفع الأخطار فكنت نشيطاً بذلك ، و مسروراً بالاقبال و القبول ، فيزول عنك النوم والكسل في ليلتك تماماً ، و كنت نائماً غافلاً أو كسلاً سنة ـ بكسر السين و فتح النون ـ تجاه الدعوة الإلهيّة ، و مواهب مالك الملك و عطاياه؟.

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي وقت السحر: « و اجعلني من أوفر عبادك

عندك نصيباً في كل خير أنزلته وتنزله في شهر رمضان في ليلة القدر وما أنت منزله في كل سنة من رحمة تنشرها ، و عافية تلبسها و بليّة تدفعها، وحسنات تتقبّلها، و سيّئات تتجاوز عنها . . . » الدعاء .

وفي دعاء شهر رمضان المبارك ـ : « أن تصلّي على محمّد و آل محمّد وأن تجعل شهرنا هذا أعظم شهر رمضان مرّ علينا منذ أنزلتنا إلى الدنيا بركة في عصمة ديني و خلاص نفسي و قضاء حوائجي ، و تشفّعني في مسائلي وتمام النعمة عليّ وصرف السوء عنّي و لباس العافية لي فيه ، و أن تجعلني برحمتك ممّن خرت له ليلة القدر وجعلتها خيراً من ألف شهر في أعظم الأجر و كرائم الذخر وحسن الشكر و طول العمر و دوام اليسر. . . » الدعاء .



﴿ رحمة الله تعالى وغضبه في ليلة القدر ﴾

و قد وردت روايات كثيرة على أنّ ليلة القدر كما تكون فيها براءة للسعداء و المنيبين، والأتقياء والمتعبّدين من غضب الرحمن، فكذلك فيها براءة للأشقياء والمتشردين والفجّار والمجرمين من رحمة القهّار، فالله جلّ وعلا في هذه الليلة المباركة رحمن و رؤف و ستّار و غفور لقوم، و قهّار و جبّار و غضب ومنتقم على قوم آخرين فنشير إلى نبذة منها:

في تفسير نور الثقلين: بالاسناد عن إبن عبّاس عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم - في حديث - قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: فاذا كانت ليلة القدر يأمر الله تبارك و تعالى جبرئيل عليه السلام فيهبط في كبكبة من الملائكة، و معهم لواء خضر فيركن اللواء على ظهر الكعبة، و له ستمأة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلّا في ليلة القدر فيتجاوزان المشرق والمغرب، و يبثّ جبرئيل الملائكة في هذه الامّة، فيسلمون على كلّ قاعد وقائم ومصلّ وذاكر، ويصافحونهم ويؤمّنون على دعائهم حتّى يطلع الفجر فاذا طلع الفجر نادى جبرئيل معشر الملائكة: الرحيل الرحيل فيقولون: يا جبرئيل ما صنع الله تعالى في حوائج المؤمنين من امّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فيقول: إنّ الله عزّ وجلّ نظر إليهم هذه الليلة، فعفى عنهم و غفر لهم إلّا أربعة، فقيل لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من هذه الأربعة؟ قال: رجل مات مدمن خمر وعاق لوالديه، و قاطع رحم وشاحن، قيل: يا رسول الله وما الشاحن؟ قال: الصارمة.

وفي البحار: بالإسناد عن عبدالله بن سنان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا

كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان انزلت صكاك الحاج، و كتبت الآجال والأرزاق، و اطلع الله على خلقه، فغفر لكل مؤمن ما خلا شارب مسكر أو صارم رحم ماسّة مؤمنة.

وفي بصائر الدرجات: بالاسناد عن محمد بن عمران عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: إنّ الناس يقولون: إنّ ليلة النصف من شعبان تكتب فيها الآجال، و تقسم فيها الأرزاق، و تخرج صكاك الحاج، فقال: ما عندنا في هذا شيء، ولكن إذا كانت ليلة تسع عشر من رمضان يكتب فيها الآجال، و يقسم فيها الأرزاق و يخرج صكاك الحاج، و يطّلع الله على خلقه، فلا يبقى مؤمن إلّا غفر له إلّا شارب مسكر فاذا كانت ليلة ثلاثة و عشرين: «فيها يفرق كل أمر حكيم» أمضاه ثم أنهاه قال: قلت: إلى من جعلت فداك؟ فقال: إلى صاحبكم، و لولا ذلك لم يعلم ما يكون في تلك السنة.

وفي البحار: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: يأمر الله ملكاً ينادي في كل يوم من شهر رمضان في الهواء: أبشروا عبادي، فقد وهبت لكم ذنوبكم السالفة، و شفّعت بعضكم في بعض في ليلة القدر إلّا من أفطر على مسكر أو حقد على أخيه المسلم.

وفي دعاء الليلة الاولى من شهر رمضان المبارك: - «اللهمّ لا تسلّط علينا وصباً ولا تعباً ولا سقماً ولا عطباً، اللهم ارزقنا الافطار من رزقك الحلال، اللهم سهّل لنا فيه ما قسمته من رزقك و يسّر ما قدّرته من أمرك و اجعله حلالاً طيّباً نقيّاً من الآثام خالصاً من الآصار والأجرام، اللهم لا تطعمنا إلّا طيّباً غير خبيث ولا حرام، و اجعل رزقك لنا حلالاً لا يشوبه دنس ولا أسقام...» الدعاء.

﴿ ليلة القدر وتقدير الأمر ﴾

قال الله عزّ وجلّ : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر ـ تنزّل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر »القدر: ١ ـ ٤)

وقد وردت روايات كثيرة في المقام ، ومايستفاد منها : انّ الله تعالى يقدّر في ليلة القدر الحوادث الواقعة في طول السنة ، وانّ التقدير على قسمين : أحدهما ـ تقدير جزئيّ يجري فيه البداء باختلاف العلل والأسباب . ثانيهما ـ تقدير كليّ لايجري فيه البداء .

في عيون الاخبار : في باب مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي ـ قال سليمان للرضا عليه السلام : ألاتخبرني عن : « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » في أيّ شيء نزلت ؟ قال : ياسليمان ليلة القدر يقدّر الله عزّ وجلّ فيها مايكون من السنة إلى السنة : من حياة أو موت ، أو خير أو شر أو رزق ، فما قدره في تلك الليلة فهو من المحتوم ، قال سليمان : الآن فهمت جعلت فداك.

وفي الكافي: باسناده عن حمران : أنّه سئل أباجعفر عليه السلام عن قول الله تعالى : « إنّا أنزلناه في ليلة مباركة » قال : نعم ليلة القدر، وهي في كلّ سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر، فلم ينزل القرآن إلّا في ليلة القدر، قال الله تعالى : « فيها يفرق كل أمر حكيم » قال : يقدّر في ليلة القدر كلّ شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل ، خير وشرّ وطاعة ومعصية ومولود وأجل ورزق ، فما قدّر في تلك السنة وقضى فهو المحتوم ، ولله تعالى فيه المشيّة . الحديث .

وفي الدعاء: بعد زيارة الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء : « أسئلك بالقدرة النافذة في جميع الأشياء وقضائك المبرم الّذي تحجبه بأيسر الدعاء . . . »

وفي تفسير القمي: باسناده عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتبة إلى السماء الدنيا ، فيكتبون ما يكون من قضاء الله تبارك وتعالى في تلك السنة ، فاذا أراد الله أن يقدّم شيئاً أو يؤخّر أو ينقص أمر الملك أن يمحو مايشاء ثم أثبت الّذي أراد ، قلت : و كل شيء هو عنده ومثبت في كتاب ؟ قال : نعم ، قلت : فأيّ شيء يكون بعده ؟ قال : سبحان الله ثم يحدث الله أيضاً مايشاء تبارك وتعالى .

أقول : إنّ المستفاد من الروايات والأدعية المأثورة عن طريق أهل بيت النبوّة صلوات الله عليهم أجمعين : انّ الله تعالى يقدّر في ليلة القدر الامور الكونية والحوادث الواقعة في كل سنة إلى قابل مثلها بحسب الحكمة الالهية ومقتضاها من الحوادث الآفاقية والأنفسية ، والحياة والموت، والرزق والصحة والسقم والسعادة والشقاء والخير والشر، وانّ بعضها معلّق بأسباب توجد من جانب الانسان كالموت الناشيء عن الإنتحار الناشيء عن الحزن والغم اللذين عرضا عليه ولم يصبر عليهما ، وذلك إمّا بايجاد أسبابهما من جانب نفسه أيضاً ، وإمّا من الله عز وجل إبتلاء يمكن فيه البداء طول السنة ، فاذا قدّر في ليلة القدر وقضى بوقوع الزلزلة أو السيل أو الصاعقة وماإليها بسبب طغيان قوم طول السنة أو قبلها فيمكن دفعها بالتوبة و الدعاء والصدقة وصالح الأعمال . . .

وفي دعاء الجوشن الصغير : ـ: « إلهي وكم من سحائب مكروه جلّيتها، وسماء نعمة مطرتها ، وجداول كرامة أجريتها ، وأعين أحداث طمستها، وناشئة رحمة نشرتها ، وجنّة عافية ألبستها ، وغوامر كربات كشفتها ، وامور جارية قدّرتها ، لم تعجزك إذ طلبتها ، ولم تمتنع منك إذ أردتها ،فلك الحمد يارب

من مقتدر لايغلب ، وذي أناة لاتعجل صلّ علي محمد وآل محمد . . . » الدعاء .

وإن للتقدير مرتبتين :

احداهما ـ مرتبة تعمّ جميع ماسوى الله تعالى ، وهي تحديد أصل الوجود بالامكان والحاجة ، وهذا يعمّ جميع الموجودات ماخلا الله سبحانه ، قال الله جلّ وعلا : « وكان الله بكلّ شيء محيطاً » النساء : ١٢٦)

ثانيهما ـ مرتبة تخصّ عالمنا المشهود ، وهي تحديد وجود الأشياء الموجودة فيه من حيث وجودها وآثار وجودها ، وخصوصيّات كونها بما أنّها متعلّقة الوجود والآثار بامور خارجة من العلل والشرائط ، فيختلف وجودها و أحوالها باختلاف عللها وشرائطها ، فهي مقلوبة بقوالب من داخل وخارج تعيّن لها من العرض والطول والشكل والهيئة ، وسائر الأحوال والأفعال ماينماسبها .

فالتقدير يهدى هذا النوع من الموجودات إلى ماقدّر لهافي مسير وجودها .

قال الله عزّ وجلّ : « الّذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى » طه : ٥٠)

وقال : « الّذي خلق فسوّى والّذي قدّر فهدى » الأعلى : ٣) أي هدى ماخلقه إلى ما قدّر له ، ثم ذلك بامضاء القضاء ، وفي معناه قوله تعالى في الانسان : « من نطفة خلقه فقدّره ثم السبيل يسّره » عبس : ٢٠)ويشير بقوله عزوجل : « ثم السبيل يسّره » إلى أنّ التقدير لاينافي إختياريّة أفعاله الاختيارية . وهذا النوع من القدر في نفسه غير القضاء الّذي هو الحكم البتّيّ منه تعالى بوجوده : « والله يحكم لامعقّب لحكمه » الرعد : ٤١)

وفي دعاء العديلة : ـ « لاجور في قضيّته ، ولاميل في مشيّته ، ولاظلم في تقديره ، ولا مهرب من حكومته »

فربّما قدّر ولم يعقّبه القضاء كالقدر الّذي يقتضيه بعض العلل والشرائط الخارجة ثم يبطل لمانع أو باستخلاف سبب آخر، قال الله عزوجل : « يمحوا الله مايشاء ويثبت » الرعد : ٣٩) وقال : « مانسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها

أو مثلها» البقرة : ١٠٦)وربّما قدّ روتبعه القضاء كما إذا قدّر من جميع الجهات باجتماع جميع علله و شرائطه وإرتفاع موانعه . . . وإلى ذلك يشير قول الإمام الرضا عليه السلام سيأتي ذكره : « إذا قضى أمضاه فذلك الّذي لامردّ له »

وفي الدعاء لاذن دخول الحرم لأئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين- : « فلك الحمد على تقديرك الحسن الجميل ، ولك الشكر على قضائك المعلّل بأكمل التعليل ... »الدعاء .

وفي الدعاء المشترك بين أيام شهر رمضان ولياليه : - :«ألّلهم إنّي أسئلك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تجعل فيما تقضي وتقدّر من الأمر العظيم المحتوم في ليلة القدر من القضاء الّذي لايردّ ولايبدّل أن تكتبني من حجّاج بيتك الحرام ، المبرور حجّهم ، المشكور سعيهم ، المغفور ذنوبهم ، المكفّر عنهم سيّئاتهم ، وأن تجعل فيما تقضي وتقدّر أن تطيل عمري ، وتوسّع رزقي وتؤدّي عنّي أمانتي وديني آمين ربّ العالمين » الدعاء

وفي التوحيد: باسناده عن إبن نباتة أن أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر فقيل له : ياأمير المؤمنين تفرّ من قضاء الله ؟ قال : أفرّ من قضاء الله إلى قدر الله عزّ وجلّ .

وأمّا النوع الأوّل من الموجودات الّذي قدره حدّ وجوده من إمكانه ، و حاجته ، فحسب فالقدر والقضاء فيه واحد ولا يتخلّف القدر فيه عن التحقّق ألبتّة. وإن البحث العقلي يؤيّد ماتقدّم فان الامور الّتي لها علل مركّبة من فاعل ومادّة وشرائط ومعدّات وموانع ، فان لكل منها تأثيراً في الشيء بما يسانخه ، فهو كالقالب الّذي يقلب به الشيء ، فيأخذ لنفسه هيئة قالبه وخصوصيّته ، وهذا هو قدره ثم العلّة التامّة إذا اجتمعت أجزائه أعطته ضرورة الوجود ، وهذه هي القضاء الّذي لامردّ له .

وفي الفقيه : « لما ساقني القضاء إلى بلاد الغربة وحصلني القدر منها »

الحديث. وربّما اعترض علي هذا بأنّ ظاهر الخبر يعطي في الأفعال . . .

فيدفع بامور: **أحدهـا** ـ ان أفعال العباد لمّا كانت منهم على وفق القضاء الثابت في الأزل والقدر الكائن فيما لايزال كانا كأنّهما هما المؤثّران في ذلك الفعل ، فاسنده إليهما على طريق المجاز لاالحقيقة .

ثـانيها ـ أن يقال : ليس المراد بهما القضاء والقدر اللازمين ، بل المراد بهما الحكم والأمر من الله سبحانه كقوله تعالى : « وقضى ربك أن لاتعبدوا إلّا إيّاه» على مابيّنه الإمام عليه السلام في مسئلة من سئله عن مسيرهم إلى الشام .

ثـالثها أن يقال : سبق علم الله تعالى في حدوث الكائنات أوجب صدورها من العباد وإلّا لانقلب العلم جهلاً ، وذلك لاينافي القدرة الإختيارية للعبد من حيث الامكان الذاتي لإمكان إجتماع الإمكان والوجوب باعتبارين .

وفي الحديث: « التقدير واقع على القضاء بالامضاء » أي واقع على القضاء المتلبس بالامضاء فـ « على »هنا ـ على ماقيل ـ : نهجية ليست للاستعلاء وفي كلامه إشارة إلى شيئين : الأوّل : ان التقدير مشتمل على كلّ التفاصيل الموجودة في الخارج والثاني : انّه واسطة القضاء والامضاء .

ومعنى القضاء : هو النقش الحتمي .

وفي دعاء كميل بن زياد: ـ : «إلهي وسيّدي فاسئلك بالقدرة التي قدّرتها وبالقضية التي حتمتها وغلبت من عليه أجريتها . . . »الدعاء .

« تقدير الأمر قبل الخلق »

إعلم أن الآيات القرآنية تدل على تقدير الخلق قبل تكوينه و هو علمه السابق بالخلق قبل وجوده و كتابته قبل تبرمه وتحديده وجوده و قواه على ما يناسبه ، و ما به حياته و حركاته في مداره مما تكرر ذكره في كلامه عزوجل فيما تكلّم فيه في أمر الخلقة :

قال الله تعالى : « إنّا كل شيء خلقناه بقدر » القمر: ٤٩)

و قال : « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » الأحزاب : ٣٨)

و قال : « و كل شيء عنده بمقدار » الرعد : ٨)

و قال : « و إن من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزله إلّا بقدر معلوم »: الحجر: ٢١)

و قال : « قدّر فيها أقواتها في أربعة أيام » فصلت : ١٠)

و قال : « والشمس تجري لمستقر لهاذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل » يس : ٣٨-٣٩)

و قال : « أنزلنا من السماء ماء بقدر » المؤمنون : ١٨)

و قال : « و فجّرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر » القمر:١٢)

القدر: هو هندسة الشيء وحدّ وجوده وهو ملازم للانزال من الخزائن الموجودة عندالله عزّوجلّ : « و إن من شيء إلّا عندنا خزائنه وما ننزله إلّا بقدر معلوم » وإن الخزائن و هي من إبداعه تعالى لامحالة غيرمقدّرة بهذا القدر

الذي يلازم الإنزال. والإنزال هو إصداره إلى هذا العالم المشهود كما يفيده قوله عزّ وجل: «وأنزلنا الحديد» الحديد: ٢٥) وقوله: «وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج» الزمر: ٦)

في الكافي: باسناده عن منصور بن حازم قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بل قبل أن يخلق الخلق.

وفي عيون الأخبار: باسناده عن أحمد بن عبدالله الجويباري عن عليّ بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انّ الله عزّ وجل قدّر المقادير و دبّر التدابير قبل أن يخلق آدم بألفي عام.

وفي دعاء الجوشن الكبير: ـ: «يا مدبّر النور يا مقدّر النور ـ يا من قدّر الخير والشرّ ـ يا من قدّر بحكمته يا من حكم بتدبيره ـ يا مقدّر كل قدرـ يا منشيء كل شيء و مقدّره... » الدعاء.

وفي دعاء ام داود: ـ: «يا من إليه التدبير وله المقادير... » الدعاء.

أقول: و هذا التقدير هو تقدير كلّي لا يجري فيه البداء.

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام ـ: «أمّا بعد فان الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطرات المطر إلى كل نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان».

وفي الدعاء بعد زيارة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «اللهمّ لابدّ من أمرك، و لابدّ من قدرك، ولابدّ من قضائك، ولا حول ولا قوّة إلّا بك اللهمّ فما قضيت علينا من قضاء أو قدّرت علينا من قدر فأعطنا معه صبراً يقهره ويدمغه، و اجعله لنا صاعداً في رضوانك ينمي في حسناتنا و تفضيلنا و سوددنا وشرفنا و مجدنا و نعمائنا و كرامتنا في الدنيا و الآخرة ولا تنقص من حسناتنا... » الدعاء.

وقد فسّر القدر في الروايات الواردة في المقام بمثل العرض والطول وسائر

الحدود و الخصوصيات الطبيعيّة الجسمانية منها :

في المحاسن: عن أبيه عن يونس عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : لا يكون إلّا ما شاء الله و أراد و قدّر و قضى ، قلت : فما معنى شاء ؟ قال : إبتدأ الفعل ، قلت : فما معنى أراد ؟ قال : الثبوت عليه ، قلت : فما معنى قدّر ؟ قال : تقدير الشيء من طوله و عرضه ، قلت : فما معنى قضى ؟ قال : إذا قضى أمضاه فذلك الّذي لامردّ له.

وفيه: عن أبيه عن إبن أبي عمير عن محمّد بن إسحق عن الرضا عليه السلام - في حديث طويل - : فقال : أوتدرى ما قدر ؟ قال : هو الهندسة من الطول والعرض و البقاء . الخبر.

و من هنا يظهر أنّ المراد بكل شيء في قوله عزّ وجلّ : « و خلق كل شيء فقدّره تقديراً » الفرقان : ٢) الأشياء الواقعة في عالمنا المشهود من الطبيعيات الواقعة تحت الخلق و التركيب .

وفي المجمع : في قوله تعالى : « إنّا كل شيء خلقناه بقدر » القمر : ٤٩) قال : أي خلقنا كل شيء خلقناه مقدّراً بمقدار توجبه الحكمة ، لم تخلقه جزافاً، فخلقنا العذاب أيضاً على قدر الإستحقاق ، و كذلك كل شيء خلقناه في الدنيا والآخرة خلقناه مقدّراً بمقدار معلوم .

وقيل : معناه خلقنا كلّ شيء على قدر معلوم ، فخلقنا اللسان للكلام ، واليد للبطش ، والرجل للمشي ، والعين للنظر، والاذن للسماع ، والمعدة للطعام، ولو زاد أونقص عمّا قدّرناه لما تمّ الغرض .

وقيل : معناه : جعلنا لكل شيء شكلاً يوافقه ، و يصلح له كالمرأة للرجل والأتان للحمار و ثياب الرجال للرجال ، و ثياب النساء للنساء . و قيل : خلقنا كلّ شيء بقدر مقدّر و قضاء محتوم في اللوح المحفوظ .

قال العجّاج :

و اعلم بأنّ ذاالجلال قد قدر في الصحف الاولى الّتي كان سطر

و قال شاعر:

فكم من فتى يمسي و يصبح آمناً و قد نسجت أكفانه و هو لايدري

و كم من شيوخ ترتجى طول عمرهم و قدر هقت أجسادهم ظلمة القبر

و كم من عروس زيّنوها لزوجها و قد قبضت أرواحهم ليلة القدر

وفي نهج البلاغة: قال الإمام علي ـ عليه السلام ـ : « ولكل أمر عاقبة سوف يأتيك ما قدّر لك » قال إبن أبي الحديد في الشرح : قوله عليه السلام : « ولكل أمر عاقبة » هذا مثل المثل المشهور : « لكل سائلة قرار » وقوله : « سوف يأتيك ماقدّر لك» هذا من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « و أن يقدّر لأحد كم رزق في قبّة جبل أو حضيض بقاع يأتيه »

و قال الإمام علي عليه السلام : « ما من عبد إلا ومعه ملك يقيه ما لم يقدّر له ، فاذا جاء القدر خلّاه و إيّاه »

وقال عليه السلام أيضاً : « انّ مع كل إنسان ملكين يحفظانه ، فاذا جاء القدر خلّيا بينه و بينه و انّ الأجل جنّة حصينة »

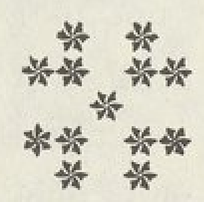
و قال عليه السلام أيضاً : « كفى بالأجل حارساً »

أقول: إنّ هذا الأجل هو الأجل الّذي إذا جاءلا يستقدم ساعة ولا يستأخر قال الله عزّ وجلّ: « فاذا جاءأجلهم لا يستأخرون ساعة ولايستقدمون » الاعراف: ٣٤) فانّ لله تعالى فيهملائكة موكّلة تحفظ البشرمن التردّى في بئرومن إصابة سهم معترض في طريق ، و من رفس دابّة ، و من نهش حيّة أولسع عقرب و ما إليها من الحوادث ، فالأجل على هذا جنّة حصينة من حيث كان الله تعالى باعتبار ذلك الأجل مانعاً من قتله و إبطال حياته ، ولا جنّة أحصن من ذلك ، وهذا بخلاف الأجل الّذي قد توجد أسبابه قبل وقته المقدّر بالكفر والطغيان ، والظلم والعصيان . . .

وفي الكافي: باسناده عن عبدالرحمن العزرمي عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان قنبر غلام علي عليه السلام يحب علياً حباً شديداً فاذا خرج علي عليه السلام خرج على أثره بالسيف فرآه ذات ليلة، فقال عليه السلام: يا قنبر! مالك؟ فقال: جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني؟ أومن أهل الأرض؟ فقال: لابل من أهل الأرض، فقال عليه السلام: إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلّا باذن الله من السماء فارجع فرجع.

قوله عليه السلام: « **إلّا** باذن الله من السماء » فنسب الامام عليه السلام **إلى** السماء باعتبار التقدير فيها.

وفي دعاء المشلول: ـ: « يا رازق البشر يا مقدّر كلّ قدر يا عالي المكان يا شديد الأركان ـ يا من له التدبير والتقدير... » الدعاء.



« العلم و تقدير الأمر »

و اعلم أنّ تنظيم الطبيعة على هذا الشكل بالغاً هذه الدقّة الفائقة يدعو الانسان إلى الايمان بالله وحده الّذي قدّرها بعلمه السابق قبل تكوينها ، وجعل كلّ ما فيها على ما قدّره أوليس تلك حركة الكواكب حول الشمس ، وهذه الأبعاد الّتي نشاهدها بين الأنجم السابحة في الفضاء كلّ بتقدير خاص .

قال الله تعالى : « والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر و لا الليل سابق النهار و كلّ في فلك يسبحون » يس : ٣٨- ٤٠)

و قال : « هو الّذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً و قدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق يفصّل الآيات لقوم يعلمون يونس : ٥)

وفي دعاء السمات : ـ : «وجعلت لها ـ أي للكواكب ـ مشارق ومغارب، و جعلت لها مطالع و مجاري ، وجعلت لها فلكاً ومسابح ، وقدّرتها في السماء منازل ، فأحسنت تقديرها وصوّرتها فأحسنت تصويرها وأحصيتها بأسمائهم إحصاء و دبّرتها بحكمتك تدبيراً . . . » الدعاء .

أوليس من الواضح المعلوم : أنّ الأرض تدور حول محورها في كل/ ٢٤ ساعة مرّة واحدة ، و سرعة حركتها في هذه المدة / ١٠٠٠ ميلاً في الساعة .

فلو كانت تدور بسرعة / ١٠٠ ميلاً في الساعة لكان طول الليل عشرة أمثال

ما عليه الآن ، و كذا طول النهار و كانت الشمس المحرقة في الصيف تحرق في تلك الأيام الطوال جميع النباتات ، وما ينمو على وجه الأرض ، و في الليالى البارة الطوال كان ينجمد كل ما على ظهر الأرض من نبات و إنسان و حيوان و مياه و كذا لو كانت الحركة أسرع ، ولو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي بمقدار عشرة أقدام لامتص ثاني اكسيد الكربون الاوكسيجين لما أمكن وجود حيات النبات .

ولو كان الهواء أرفع كثيراً مما هو عليه الآن لا يمكن الحياة للانسان والحيوان . . . ولو كان الاكسيجين بنسبة (٥٠) في المأة مثلاً أو أكثر في الهواء بدلاً من (٢١) في المأة لاحترق جميع ما يقبل الإحتراق في الأرض .

ولو كان البعد بين الأرض والقمر عشر ما عليه الآن لكان المد الحاصل لمياه البحار والأنهار نتيجة جذب القمر لكان ما على الأرض من مياه أضعاف ما عليه الآن ، ولا نغمرت الأراضي والبقاع كلها تحت المياه ولما وجد مكان جاف للسكنى .

وهكذا القول بالنسبة إلى بعد الشمس عن الأرض ، فان الشمس تبعد عن الأرض نحو : ٨/ دقائق ، و ١٨/ ثانية بحساب السنة الضوئية أي ان الطائرة لو كانت سرعتها في الساعة نحو ١٠٨٠/٠٠٠/٠٠٠/ كيلومتر لوصلت إلى الشمس خلال هذه المدة ٨/ دقائق و ١٨/ ثانية .

فلو كان هذا البعد نصف ما عليه الآن لكانت درجة الحرارة على وجه الأرض أربعة أضعاف ما عليه الآن ، فاحترق كل شيء وتبخرت المياه و إستحالت الحياة على وجه البسيطة و قد قال الله تعالى: « و كل شيء عنده بمقدار » فيرى ان كل تغيير فيما قدره الله تعالى من « قدر » يؤدي إلى إنتفاء الحياة على وجه البسيطة ، و ان الأرض تسير في مدارها حول الشمس بسرعة ١٨/ ميلاً في الثانية .

فلو كانت هذه السرعة ٦/ أميال في الثانية أو ٤٠/ ميلاً فيها لكان بعدها أو قربنا من الشمس مقداراً يستحيل معه الحياة على وجه الأرض ، ولو كانت الأرض بقدر القمر وكان قطرها ربع ما عليه الآن لما كانت قوة الجذب على سطح

الأرض تكفى لجذب المياه الهواء ، ولما استقر الماء على سطحها لأن قوة الجذب تكون إذ ذاك سدس قوة جاذبية الأرض اليوم ، ولا رتفعت درجة الحرارة إلى حد يؤدي إلى إبادة الحياة عليها ، كما أن قطرها لوكان ضعف ما عليه الآن لاشكلت الحياة على وجهها . فلو لا وجود هذا الضابط الطبيعي لما أمكن وجود إنسان و نبات و حيوان على ظهر الأرض ، و لكن ينكشف للانسان يوماً فيوماً شيء من تقدير الله العجيب في الخلق و تدبيره الدقيق في الكون ، فيدرك شيئاً من مدلولات قوله تعالى : « و خلق كل شيء فقدره تقديراً » الفرقان : ٢)

و في الآية الكريمة رد على من زعم بعدم الحد والتقدير لعمر الانسان ، و ان طول العمر لا يدل على أن لا يكون لعمره حد ، و إنما الطول والقصر حد ان بيد الله جل وعلا .

فلكل شيء تقدير تكويني لا يتجاوز عنه فللانسان و قواه الظاهرة من العين و رؤيتها والسمع و إستماعه واللسان ، وتكلمه واليد و بطشها والرجل وعدوه و ما إليها ، وقواه الباطنة من العقل و تعقله والفكر و تفكره ، والشعور ودركه حد محدود ، و ذلك تقدير العزيز العليم ، كما أن لكل حال من أحواله من صبائه و شبابه ، و كهله و كبره وشيخوخيته حداً محدوداً .

و للشمس و دورانها وقطرها و جذبتها ، و وزنها ونورها و حرارتها و طلوعها ، و غروبها . . . و للقمر و بعده عن الكواكب والسيارات وإضائته تقدير من العزيز الحكيم ، والبحار و مياهها وللحيوانات التي تعيش فيها ، و للأرض و من فيها وعليها ، والليل و ظلمتها ،و للنهار وجلائه ، وللسهل وسهولتها، وللجبال و شواهقها حد محدود:«خلق كل شيء فقدره تقديراً» تقديراً في الزمان والمكان تقديراً في المقدار والصورة وتقديراً في جميع الملابسات والأحوال...فمامن شيء إلا وهو على مقدار معين و حد محدود من الجواهر والأعراض من العناصر والصفات بحيث لا يزيد ولا ينقص عما ينبغي أن تكون ، و ما من شيء إلا و قدرتب فيه ترتيباً دقيقاً

محكماً ، و وضع في مكان يناسبه ، قال الله تعالى : « قدجعل الله لكل شي قدراً» الطلاق : ٣)

وما نشاهد في علم الكيمياء من شتّى المعادلات ، وأنواع التعادلات تحت مقادير معيّنة وشروط محدودة ، ومانرى من ضروب الدساتير في الفيزياء والفلك والمكانيك السماوي والأرضي خير دليل على أنّ العدد ـ أو المقدار ـ يحكم على الكون عن تدبّر وحكمة فائقة ، وتحت قوانين ثابتة .

نعم : انّ تنظيم الأحوال الطبيعية يتمّ على نظام عددي متقن من جانب الله تعالى والأنظمة الكونية مبنيّة على حسابات رياضيّة دقيقة ، لايبقى معها لعاقل سليم القلب مجال لإحتمال تأثير الصدفة في تنظيم هذا الكون كماثبت في حساب الإحتمالات من مواضيع الرياضيات العالية .

فالعلوم جميعها تبرهن على أنّ المقادير متحكمة في الكون من جانب الله جلّ وعلا ، وأنّ هذه العلوم يرتبط بعضها ببعض في تفسير قوله تعالى : « و كل شيء عنده بمقدار» فكلّما وجدومايوجد من معادلات ودساتير تفسّرها هذه الآية : « وان من شيء إلاّ عندنا خزائنه وماننزله إلاّ بقدرمعلوم »

وفي الآية الكريمة ردّ على الذين زعموا أنّ زيادة النسل البشري توجب القحط في الأطعمة والأشربة والألبسة والأمكنة كما أنّ في قوله تعالى : « وقدّر فيها أقواتها » ردّاً عليهم . حتّى لو تصوّر الأبنية على السهل والجبال على طباق ، وكانت إحداها داراً لأحد مع زوجته وأولاده لما توجب الزيادة القحط في تلك الامور فانّ الله عزّ وجل لن يخلق إنساناً إلاّ قدّر له مافيه حياته . . .

نعم ! من كان كافراً بالله ومنكراً وراء المادّة ، فهو يقول بما يوسوسه الشيطان ويطأقلبه باستمرار: انّ تكثير النسل والإزدواج يوجب القحط ، وانّ صيد السماك والحيوان اللذين يحلّ لحومهما يوجب إنهدام نسلهما ، وانّ إستخراج النفط والماء من تحت الأرض يوجب تمامهما وماإليها من الأقاويل التي

يأخذها السياسيّون آلة لاستثمار الناس وتحميقهم . . .

وأمّا المسلم العاقل الحرّ سليم العقل ، فيكذّب تلك الوساوس الشيطانية بما لامراء فيه لذي مسكة ، فيقول : وانظروا كيف خلق الله عزّ وجلّ اللبن في ثدي الام قبل أن يولد الطفل على ما يناسب أحواله . . . وكلّما كبر الجنين إزداد اللبن في الثدي حتّى إذا ماتمّ حمله ، وكانت الولادة درّ له لبن مناسب لسنّه ، فكلّما كبر سنّه إقترب اللبن من طبعه وتناسب مع قوّته حتّى أنّ علماء الطبّ حرّموا أن يرضع حديث الولادة من إمرأة قديمة العهد لأنّ الطفل لا يتحمّل لبنها ، فكيف وقد قدّر الله جلّ وعلا الأقوات لعباده قبل أن يخلقهم ؟

وكيف وقد نظر الله تعالى بعلمه القديم إلى سكّان الدار فبنى الدار؟ فلم يخلق الأرض بلا سكّان ولا السكّان بلا دار، ولم يجعل الظرف بلا مظروف ولا المظروف بلا ظرف ، فلن تقع الأرض بلا سكّان ولا السكان بلا سكنى مادامت السموات والأرض ، ولن تقع الثمار بلا آكل ، ولا الآكل بلا ثمار ما لم يكفر الآكل بنعم الله عزّ وجلّ .

ولعوامل الحياة والبقاء ، ولعوامل الموت والفناء تقدير لن يمكن البقاء في هذه الدنيا كما لن يمكن إبقاء الصباوة والشبابة . . .

وإنّما لكل نوع من أنواع المخلوقات حدّ لا يتجاوز عنه كما أنّ الجوارح من الطير التي تتغذّى بصغار الطيور قليلة العدد ، لأنّها قليلة البيض ، قليلة التفريخ فضلاً على أنها لا تعيش إلّا في مواطن خاصّة محدودة ، وهي في تجاه هذا طويلة الأعمار، فلو كانت مع عمرها الطويل كثيرة الفراخ ، مستطيعة الحياة في كل موطن لقضت على صغار الطيور وأفنتها على كثرتها ، وكثرة تفريخها ، أو قلّلت من أعدادها الكبيرة اللازمة بدورها لطعام هذه الجوارح ، وسواها من بني آدم وللقيام بأدوارها الاخرى ، و وظائفها الكثيرة في وجه الأرض .

وذلك للحكمة التي قدّرها الله عزّ وجل كما رأينا كي تتعادل عوامل

البقاء وعوامل الفناء بين الجوارح والبغاث والذبابة تبيض ملايين البويضات ولكنّها لاتعيش أكثر من اسبوعين، فلو كانت تعيش بضعة أعوام تبيض فيها بهذه النسبة لغطى الذباب وجه الأرض بنتاجه، ولغدت حياة كثيرة من الأجناس - أوّلها الانسان - مستحيلة على وجه هذه الأرض.

ولكن عجلة التوازن التي لاتختلّ في يد القدرة التي تدبّر هذا الكون وازنت بين كثيرة النسل وقصر العمر...

فكل صغير وكبير: برّيها وبحريها وجوّيها... مخلوقة بقدر مصرفة بقصد، مدبّرة بحكمة، فلا شيء بجزاف، ولاشي بعبث، ولا شيء بمصادفة، ولاشيء بارتجال: «أولم يتفكّروا في أنفسهم ماخلق الله السموات والأرض ومابينهما إلاّ بالحق وأجل مسمّى» الروم: ٨) «وما خلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين» الدخان: ٣٨) «وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما باطلاً ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للذين كفروا من النار» ص: ٢٧) إنّما كل ناطق وصامت، كل متحرّك وساكن، كل ماض وحاضر، كل معلوم ومجهول، كل صغير وكبير، وكل شاهد ومشهود ماسوى الله سبحانه خلق بقدر، حدّد حقيقته وصفته، وحدّد مقداره وزمانه ومكانه، وحدّد إرتباطه بسائر ماحوله من الأشياء وتأثيره في كيان هذا الوجود ونظام العالم كله، حدّد أوله وآخره، وحدّد ظاهره وباطنه...

قال الله عزّ وجلّ: «وخلق كل شيء فقدّره تقديراً» الفرقان: ٢)

وقال: «إنّا كل شيء خلقناه بقدر» القمر: ٤٩)

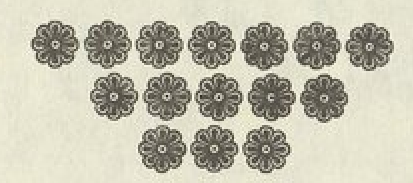
وقال: «وكلّ شيء عنده بمقدار» الرعد: ٨)

وقال: «وما كنّا عن الخلق غافلين» المؤمنون: ١٧)

وقال: «ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربّكم تضرّعاً وخفية» الأعراف: ٥٤ و٥٥)

وقال : « إنّ في خلق السموات والأرض وإختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الألباب الّذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار» آل عمران ١٩٠ - ١٩١)

وفي دعاء المجير : - : « سبحانك يامصور، تعاليت يامقدّر أجرنا من النار يامجير» الدعاء .



﴿ أفعال العباد وتقديرها ﴾

جدير لنا أن نشير هيهنا إلى معنيي الجبر والتفويض اللذين ذهبت إليهما القدرية من الأشاعرة و المعتزلة نشاءا من عدم تمييزهم خلق التقدير من خلق التكوين ، ثم نشير إلى ما ذهب إليه الشيعة الحقّة الاثنى عشرية الامامية من الأمر بين الأمرين نشاءا من تفريقهم خلق التقدير من خلق التكوين بسبب رجوعهم إلى مهبط الوحي و خزّان العلم ، و سئوالهم أهل الذكر ومعادن الحكمة من أهل بيت النبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

أما الجبر: فهو الحمل على الفعل والإضطرار إليه بالقسر والغلبة ، وحقيقة ذلك ايجاد الفعل في الخلق من غير أن يكون له قدرة على دفعه ، والإمتناع من وجوده فيه ، و قد يعبّر عمّا يفعله الانسان بالقدرة الّتي معه على وجه الإكراه له على تخويف و إلجاءٍ انّه جبر، ولكن الأصل فيه ما فعل من غير قدرة على إمتناعه منه على ما قدّمناه و إليه ذهبت المجبّرة ، فزعمت أنّ الله سبحانه خلق في العبد الطاعة من غير أن يكون للعبد قدرة على ضدّها و الإمتناع منها ، وخلق فيهم المعصية كذلك ، ومالت إليه الأشاعرة من العامّة ..

وأما التفويض : فهو انّ الأفعال مخلوقة للانسان ، و إن كانت القوى والأدوات مخلوقة لله سبحانه ، و مالت إليه المعتزلة من العامّة .

وأما الشيعة الحقة : فقد ذهبوا إلى ما يصرّح به القرآن الكريم والروايات الواردة عن طريق أهل بيت النبوّة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فهو

ان ّالله عزّ وجلّ أقدر العباد على الأفعال : خيرها وشرها ، و مكّنهم من الأعمال : صغيرها و كبيرها ، وحدّ لهم الحدود في ذلك ، و رسم لهم الرسوم ، و نهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف ، والوعد والوعيد ، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال ، و إقدارهم على الأفعال مجبراً لهم عليها ، ولم يفوّض إليهم الأعمال لمنعهم من أكثرها ، و وضع لهم الحدود فيها ، فأمرهم بحسنها ، و نهاهم عن قبيحها : « إن تكفروا فان ّالله غنيّ عنكم و لا يرضى للعباده الكفر و إن تشكروا يرضه لكم » الزمر: ٧)

و هذا هو الفصل بين الجبر والتفويض .

و أمّا الروايات الواردة فكثيرة جداً فنشير إلى ما يسعه المقام :

في الاحتجاج : عن هشام بن الحكم قال : سئل الزنديق أباعبدالله عليه السلام فقال : أخبرني عن الله عزّ وجل كيف لم يخلق الخلق مطيعين موحّدين ، وكان على ذلك قادراً ؟ قال عليه السلام : لوخلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب لأنّ الطاعة إذا ماكانت فعلهم لم تكن جنّة ولا نار ولكن خلق خلقه ، فأمرهم بطاعته و نهاهم عن معصيته ، و احتجّ عليهم برسله، و قطع عذرهم بكتبه ليكونوا هم الّذين يطيعون و يعصون ، و يستوجبون بطاعتهم له الثواب ، و بمعصيتهم إيّاه العقاب، قال : فالعمل الصالح من العبد هو فعله، والعمل الشرّ من العبد هوفعله ؟ قال: العمل الصالح العبد يفعله ، والله بهأمره ، والعمل الشرّ العبد يفعله، والله عنه نهاه .

قال : أليس فعله بالآلة التي ركّبها فيه ؟ قال : نعم ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قدر بها على الشر الّذي نهاه عنه ، قال : فالى العبد من الأمر شيء ؟ قال : ما نهاه الله عن شيء إلّا وقد علم أنّه يطيق تركه ولا أمره بشيء إلّا و قد علم أنّه يستطيع فعله لأنّه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد مالا يطيقون .

قال : فمن خلقه الله كافراً يستطيع الايمان وله عليه بتركه الايمان حجّة؟

قال عليه السلام: إنّ الله خلق خلقه جميعاً مسلمين أمرهم و نهاهم ، والكفر إسم يلحق الفعل حين يفعله العبد و لم يخلق الله العبد حين خلقه كافراً انّه إنّما كفر من بعد ان بلغ وقتاً لزمته الحجّة من الله ، فعرض عليه الحق فجحده فبانكاره الحق صار كافراً قال: فيجوز أن يقدّر على العبد الشرّ و يأمره بالخير وهو لا يستطيع الخيرأن يعمله و يعذّبه عليه ؟ قال: إنّه لا يليق بعدل الله و رأفته أن يقدّر على العبد الشرّ و يريده منه ثم يأمره بما يعلم أنّه لايستطيع أخذه والانزاع عما لا يقدر على تركه ثم يعذّبه على تركه أمره الّذي علم أنّه لايستطيع أخذه... الخبر.

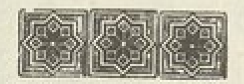
قوله عليه السلام: « نعم ولكن بالآلة الّتي عمل بها الخير قدر بها على الشرّ الّذي نهاه عنه » أي ان الآلة الّتي جعلها الله تعالى في العبد لا تقتضي طرفاً من الفعل، دون طرفه الآخر حتّى يكون العبد مقهوراً لها ، و مجبوراً على الفعل بسببها ، فيستند الفعل إلى الله سبحانه ، فينفي عن العبد ، بل الآلة و هي قدرة العبد على إتيان الفعل و تركه ، و بها صار مختاراً ، وما يقتضي طرفي الفعل من الوجود والعدم هو إرادته ، فيمكن أن يستعمل تلك القدرة في الخير والشرّ ، فتخصيص طرفي الفعل أوالخير والشر بالوجود من العبد ، وهذا معنى ان أفعال العباد مخلوقة، خلق تقدير لاخلق تكوين ، و معنى ذلك انّه لم يزل عالماً بمقاديرها .

و في كتاب صفات الشيعة : للشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن الفضل عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: من أقرّ بتوحيد الله و نفى التشبيه عنه و نزّهه عما لا يليق به و أقرّ ان له الحول والقوّة والارادة والمشيّة والخلق والأمر والقضاء والقدر، و ان أفعال العباد مخلوقة ،خلق تقدير لاخلق تكوين ، وشهد أن محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم و أن عليّاً والأئمّة بعده حجج الله ووالى أولياءهم و عادى أعداءهم و اجتنب الكبائر و أقرّ بالرجعة والمتعتين، وآمن بالمعراج والمسئلة في القبر والحوض والشفاعة ، و خلق الجنة والنار والصراط والميزان و البعث و النشور والجزاء والحساب ، فهو مؤمن حقاً وهو من شيعتنا أهل البيت .

وفي عيون الأخبار: باسناده عن حمدان بن سليمان قال : كتبت إلى الرضا عليه السلام أسئله عن أفعال العبادأ مخلوقة أم غيرمخلوقة ؟ فكتب عليه السلام : أفعال العبادمقدّرة في علم الله عزّوجلّ قبل خلق العبادبألفي عام .

وفي البحار: عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنّه سئل عن أفعال العباد أهي مخلوقة لله تعالى ؟ فقال عليه السلام : لوكان خالقاً لها لما تبرّأ منها وقد قال سبحانه : « انّ الله بريء من المشركين » و لم يرد البراءة من خلق ذواتهم ، و إنّما تبرّأ من شركهم و قبائحهم .

أقول: إنّ الإمام عليه السلام نفى ما أراد به السائل من أنّ أفعال العباد مخلوقة بخلق تكوين ، ولم ينف خلق تقدير بأن الله عزّوجلّ قدّر أعمالهم بأن بيّن مقاديرها و أحوالها من حسن وقبح ، و فرض و نافلة ، و ما إليها من الأحوال ، و يفعل من الأدلّة على ذلك ما يعرّف به تلك الأحوال لهذه الأفعال ، فيكون الله تعالى مقدّراً لها في الحقيقة ، ولم يقدّرها ليعرف مقدارها بل ليبيّن لمن لا يعرف ذلك حال ما قدّره بتقديره إيّاه و هذا أظهر من الشمس لايحتاج إلى إستشهاد، ألا ترى انك قد ترجع إلى أهل المعرفة بالصناعات في تقديرها لك ، فلا يمنعهم علمهم بمقاديرها أن يقدّرها لك ليبيّنوا لك مقاديرها . . .



﴿ حول القدر و حقيقته ﴾

وقـد اختلفت أنظار الحكماء والمتكلّمين ، والادباء والمفسّـريـن ، وعلماء الملل والنحل والفلاسفة قديماً وحديثاً في معنى القضاء والقدر إختلافـاً كثيراً لايهمّنا بذكر جميعها ، فنشير إلـى أهمّها على طريق الإختصار:

فمن الحكماء من قال : إنّ القضاء عبارة عن وجـود جميع الموجودات بحقائقها الكلّيّة وصورها العقليّة في العالم العقلي مجتمعة ، ومجملة على سبيل الابداع ، وتلك مرتبطة بالحق الأوّل ، موجودة في صقع الالهية ، لاينبغي عدّها مـن جملة العالم بمعنى ماسوى الله جلّ وعلا ، بل الحق انها معدودة من لوازم ذاته الغير المجعولة ، لأنّها صور علمه التفصيلي بما عداه ، ولذلك قال الله عزّ وجل : « وإن مـن شيء إلاّ عندنا خـزائنه » فـالعالم كلّه جوده ورحمته ، وخزائن جوده ورحمته يجب أن يكون قبل الجـود والرحمة ، فلو كانت تلك الخزائـن مـن جملة جوده أي مـن مخلوقاته ومقدوراته ، فلابدّ لها أيضاً من خزائن سابقة عليها ، فظهر، انّ خزائـن الله تعالـى ليست مـن جملة المصنوعات والأفاعيل ، بـل هي سرادقات نوريّة ولمعان جماليّة وجلاليّة .

وأما القدر: فهو قدران: قدر علمي، وقدر خارجي ، فالأول عبارة عن وجود تلك الأشياء مقدّرة مصوّرة بشخصياتها وجزئياتها في قوّة إدراكيّة ونفس إنطباعيّة ، وأمّا الثاني فهو عبارة عن وجودهـا في موادّهـا الخارجيّة ، مفصّلة واحداً بعد واحـد ، مرهونة بأوقاتها وأزمنتها ، موقوفة على موادّها وإستعداداتها، متسلسلة

من غير إنقطاع كما قال : « وإن تعد وانعمة الله لاتحصوها » وقال : « ومانُنزّله إلّا بقدرمعلوم » وأشارإلى القدرالعلمي بقوله : « انّا كل شيء خلقناه بقدر» وقوله : « يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده امّ الكتاب »

فالعالم الروحاني بجوهره المجرد القدسي مخزن القضاء الربّاني ، و كذلك العالم النفساني بجرمه السماوي مظهر لقدره ، إذ الصّور الإلهية الّتي في عالم القضاء في غاية الوحدة والصفاء لاينفصل ولاتتمثل في معلوميتها لغيرها لشدّة نوريتها كمرآة مضيئة ترد البصر عن إدراك مافيها من الصّور بشعاعها كما قال تعالى : « وعنده مفاتيح الغيب لايعلمها إلّا هو » فينتسخ من تلك الصور بالعقل الكلّي الّذي بمنزلة القلم الناسخ في لوح النفس الناطقة الكلّيّة الّتي هي قلب الانسان الكبير كما ينسخ بالقلم في اللوح صوراً معلومة مضبوطة بعللها وأسبابها على وجه كلّي كما يظهر في قلوبنا عند إستحضارنا للمعلومات الكلّيّة كالصور النوعيّة و كبريات القياس عند الطلب للأمر الجزئي المنبعث عنه العزم على الفعل ، وهو اللوح المحفوظ لانضباط تلك الصور فيها وإنحفاظها عن التغير كما قال : « وعندنا كتاب حفيظ » وقال : « انّه لقرآن كريم في لوح محفوظ »

ثم ينبعث ويتمثّل منها في النفوس السماوية الجزئية الّتي هي قواها الخيالية نقوشاً ومثالاً جزئية مشخّصة بهيآت وأشكال وأوضاع معيّنة مقارنة لأوقات معيّنة مثل مايوجد في الخارج كما يتمثّل في خيالنا الصور الجزئية ، و صغريات القياس مثلاً ليحصل بانضمامها إلى تلك الكلّيّات والكبريات رأياً جزئياً ينبعث عنه إرادة وقصد جازم إلى الفعل المعيّن ، فيجب عنه الفعل و ذلك العالم هو لوح القدر أي مرآته ومظهره وهو خيال العالم والسماء الدنيا الّتي تنزل إليها الكائنات الجزئية أولاً من غيب الغيوب ، ثمّ يظهر في عالم الشهادة على وجه يطابق لما فيها ، وتلك الصور و النقوش من قوى النفس الناطقة السماوية

كالصّور الخيالية من قوّة الخيال لنفوسنا، وكل منها كتاب مبين، وما من غائبة في السماء والأرض إلّا في كتاب مبين «وما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها»

وقال تعالى: «ومامن دابة في الأرض إلّا على الله رزقها ويعلم مستقرّها و مستودعها كل في كتاب مبين»

وقال الشاعر:

واعلم بأنّ ذا الجلال قدقدر		في الصحف الاولى الّتي كان سطر

وحصول تلك الصور المعيّنة الموقّتة بوقتها المعيّن في موادّها الخارجية هو القدر الخارجي كما قال: «وماننزّله إلّا بقدر معلوم» ولاشكّ انّ وقوعها في الخارج عند حضور ذلك الزمان ضروري ولامردّ لحكمه ولادافع لقضائه لأنّها موجودة قبل وقوعها الخارجي في عالم آخر، وذلك العالم هو عالم الملكوت العمّالة باذن الله أي المسخّرة لأمره المطيعة لكلمته المدبّرة لامور العالم بتحريك الموادّ وإعدادها وتهيئة القوابل وإستعداد اتها، وحامل القدر بما فيه هو عالم الملكوت كما أنّ لوح القضاء بما هو فيه هو عالم الجبروت. هذا كلام صدر المتألهين في أسرار الآيات.

وقال أفلاطون: «القضاء والقدر فوق كل شيء والتواني والبطالة تحت كل شيء»

ومن الادباء المتكلمين: من قال: القضاء عبارة عن الحكم الكلّيّ الالهي في أعيان الموجودات على ماهي عليه من الأحوال الجارية من الأزل إلى الأبد والقدر هو: تفصيل ذلك الحكم بايجادها في أوقاتها وأزمانها الّتي تقتضي الأشياء وقوعها فيها باستعداد اتها الجزئية، فتعليق كل حال من أحوال الأعيان بزمان معيّن و سبب معين عبارة عن القدر.

وسرّ القدر أنّه لايمكن لعين من الأعيان الخلقية أن يظهر في الوجود

ذاتاً وصفة وفعلاً إلّا بقدر خصوصيّة قابليته وإستعداده الذاتي ، وسرّ سرّ القدر انّ هذه الأعيان الثابتة ليست اموراً خارجة عن الحق - قدعلمها أزلاً و تعيّنت في علمه على ماهي عليه - بل هي نسب أو شئون ذاتية ، فلا يمكن أن تتغيّر عن حقائقها ،فانّها حقائق ذاتيات،وذاتيات الحق سبحانه لاتقبل الجعل والتغيير والتبديل و المزيد والنقصان ، فبهذا علم أنّ الحق سبحانه لايعيّن من نفسه شيئاً أصلاً - صفة كان أو فعلاً أو حالاً أوغيرذلك- لأنّ أمره واحد كما أنّه واحد وأمره الواحد عبارة عن تأثيره الذاتي الوحداني بافاضة الوجود الواحد المنبسط على الممكنات القابلة له الظاهرة به ، والمظهرة إيّاه ، متعدّداً متنوّعاً ، مختلف الأحوال والصفات بحسب ما اقتضته حقائقها الغير المجعولة المتعيّنة في علم الأزل.

فكان من مقتضى حقيقة عزير عليه السلام واحكام لوازمها انبعاث رغبة منه نحو معرفة سرّ القدر وإنتشاء فكره في القرية الخربة بصورة إستبعاد اعادتها على ماكانت عليه، فأظهر الله تعالى له بواسطة فكره وإستبعاده أنواعاً من صور الاعادة وأنواعاً من أحكام القدرة :

احدها - حفظ الصّورة المعهودة سرعة تغيّرها وعدم بقائها ، فحرسها عن التغيّر وأبقاها على ماكانت عليه ، وهذا كان شأن طعام عزير وشرابه .

ثانيها - حفظ صورته عليه السلام من التحليل وإنفكاك الأجزاء مع إعراض الروح المدبّر لصورته ، ثم إمدادها بقوّة وامر يكسبها ضرباً من الإعتدال إتصلت بها الحياة ، واستعدّت لعود إقبال الروح عليها .

ثالثها - حفظ جواهر صورة حماره - وإن تحلّلت أجزاؤها - ثم إنشاء أعراض اخر حاملة لتلك الجواهر شبيهة بالأعراض المتقدمة .

فلما ذكر من إنبعاث رغبته نحو معرفة سرّ القدر وظهور أحكام القدرة له نسب رضى الله عنه الحكمة القدرية إلى الكلمة العزيرية .

«لله الحجة البالغة» التامّة القوية على خلقه فيما يعطيهم ويحكم به عليهم

من الكفر والايمان والطاعة والعصيان - لا للخلق عليه كما قالت الجهلة البطلة الظلمة في حكمهم على الله سبحانه أنّه قدّر على الكافر والجاهل والعاصي الكفر والجهل والمعصية ، ثم يؤاخذهم عليها بما ليس في قوّتهم و وسعهم - لأنهم أي الخلق هم المعلومون له ، وهو العالم بهم . والمعلوم كائناً ما كان يعطي العالم به كائناً من كان أي يجعله بحيث يدرك ماهو عليه في نفسه أي في حدّ ذاته من الأحوال الجارية عليه من الأزل إلى الأبد وإستعداد اتها وهو أي ذلك الادراك هو العلم ، ولا أثر للعلم في المعلوم بأن يحدث فيه مالا يكون له في حدّ ذاته ، بل هو تابع للمعلوم - ان المراد بكون العلم تابعاً للمعلوم هو كون العلم والمعلوم متطابقين على وجه إذا تصوّرهما العقل حكم بأنّ الأصل في هيأة التطابق هو ماعليه المعلوم ، وكأنّه محكيّ عنه وماعليه العلم فرع عليه وكأنّه حكاية عنه - والحكم على المعلوم تابع له ، فلا حكم من العالم على المعلوم إلّا به أي بالمعلوم وبما يقتضيه بحسب إستعداده الكلّي والجزئي، فما قدّر الله سبحانه على الخلق الكفر والعصيان من نفسه ، بل باقتضاء أعيانهم ، وطلبهم بلسان إستعداداتهم أن يجعلهم كافراً أو عاصياً ، كما يطلب عين الكلب صورته الكلبية والحكم عليه بالنجاسة العينية ، وهذا هو عين سرّ القدر.

فان قلت : الأعيان وإستعداد اتها فائضة من الحق تعالى ، فهو جعلها كذلك ؟

قلت : الأعيان ليست مجعولة كما مرّ غير مرة ، بل هو صور علميّة للأسماء الالهية التي لا تأخّر لها عن الحق سبحانه إلّا بالذات ، لا بالزمان ، فهي أزلية أبدية غير متغيّرة ولا متبدّلة ، والمراد بالافاضة : التأخّر بحسب الذات لا غير. إنتهى كلام الجامي في شرح الفصوص .

ومن البين : ان كلّ شيء في عالم الوجود يبتني على أساس قوانين دقيقة محسوبة مقدّرة تكتسب حدودها من قبل عللها ، فكل موجود كما

يحصل على وجوده من قبل علّته كذلك يأخذ كل خصائصه الظاهرة والباطنة من ناحيّة علّته، ويتحدّد بحدودها ويتقدّر بقدرها، وحيث لابدّ من المجانسة والسنخيّة بين العلة ومعلولها فلا تعطى العلّة لمعلولها سوى الأثر المناسب لذاتها.

وان القضاء والقدر عند المحققين يعني الأحكام الالهيّة القطعيّة في مجارى امور العالم ومقاديرها وحدودها، و كل ظاهر وحادث في نظام الكون ومنها أعمال الانسان تصل إلى مرحلة التحديد القطعي بعللها، ولا يعني هذا سوى شمول أصل العلّية العام حتّى بالنسبة إلى أفعال الانسان الإختيارية، وانّ القضاء هو عبارة عن العمل المحتوم المبرم الّذي لا رجوع فيه وهو من فعل الله جل وعلا، وانّ القدر هو عبارة عن المقدار و كيفيّة جريان نظام الوجود والتقنية الكونية، فالقدر أيضاً من خالقيّة الله الماضية في جميع موجوداته، و انّ المراد بالتقدير هو التحديد العملي والعينيّ الخارجي لا التقدير الذهني كتقدير المهندس حدود البناء المقصود وجميع خصوصياته في ذهنه قبل تجسيدها.

وانّ القرآن المجيد يرى تلك الأحجام الثابتة بجميع خصوصياتها وحدود كل شيء من قدر الله عزّ وجلّ إذ قال: « وخلق كل شيء فقدّره تقديراً» الفرقان:٢)

وقد جاء القضاء في القرآن الكريم تعبيراً عن الضرورات الطبيعية والعقلية وعن العلل وتحقق معلولاتها، بمعنى أنّ ما لم تتمّ تلك المقادير المعيّنة بشروطها و لم تتكامل المقتضيات لا يتحقق القضاء الالهي في الوجود أي إنّ الله تعالي قدّر الموقع المكاني والزمني و حدود الحوادث ثم حكم عليها بقضائه، فأيّ عامل يظهر في هذا العالم ويؤثّر إنّما هو مظهر لارادة الحق وعلمه و وسيلة لتنفيذ قضائه.

و انّ المادّة المحكومة بقانون « الحركة » تضمر إستعداد النموّ والتكامل، وهي على إستعداد لتقبّل الصور المختلفة والأحوال المتنوّعة حسب آثار العوامل، فتأخذ الوقود الباعث على الحركة من بعض العوامل وتفقد وجودها في صورها باصطدامها ببعض العوامل الاخرى، قد تتقدّم وتطّرد و تطوى المراحل

المختلفة إلى الكمال وقد تتوقّف في مسيرتها التقدمية قد تسرع في حركتها بصورة عاجلة، وقد تفقد سرعتها اللازمة في طيّ التقدّم و الكمال و تبطيء في مسيرتها، إذن فمصيرها ليس نوعاً واحداً من القضاء والقدر والعلّة هي الّتي تعيّن مصير المعلول، و حيث انّ الموجودات المادية تتعلّق بعلل مختلفة لذلك تجد التفاوت في مصير بعضها عن بعض، وإن كلّ علّة تجعل المعلول الموجود في مسيرة خاصة.

فلو ابتلى أحد بمرض «المصران الأعور = الزائدة الدودية» فهو لعلّة خاصّة، و مصيره أحد الأمرين: إن خضع لعمليّة جراحيّة استعاد سلامته و بذلك يتغيّر مصيره، و إن لم يخضع للعمليّة ومات كان ذلك مصيره الآخر، إذن فالمصير مختلف ومتغيّر وتابع لتصميم المريض نفسه، ولا يخرج تصميمه عن حوزة القضاء الالهي، و لا يجوز أن يقعد و يقول: لو كان من المقدّر أن أعيش، فسوف أعيش، و إن لم يكن المقدّر أن أعيش فسأموت مهما سعيت للعلاج، لا يجوز شرعاً ولا يجوز عقلاً ولا يجوز تكويناً أيضاً، فلو مضيت للعلاج وتحسّنت حالك فالتقدير كذلك، ولو متّ تاركاً العلاج فالتقدير أيضاً كذلك، إن ذهبت أم لم تذهب أو عملت أم لم تعمل كلّ ذلك من التقدير.

انّ الّذين تكاسلوا عن العمل ولم يحاولوه كان ذلك باختيارهم حتّى إذا ما ضاقوا بالفقر حملوا اللوم على تقدير الله عزّ وجلّ (صحيح انّ التقدير هنا هو الفقر ولكن كان ذلك باختيارهم) ولو كانوا يصمّمون على العمل والفعليّة و سعوا للرزق سعيه كان ما يحصلون عليه أيضاً من التقدير، فسواء إن عملت أو كسلت لم تعمل شيئاً خلاف القدر، إذاً فتقرير لتغيير المصير المتصوّر لا يعني مقاومة القضاء والقدر أو خلاف قانون العلّيّة، فانّ كل عامل مؤثّر ليس خارجاً عن قانون العلية الكلّية، وما يغيّر المصير هو بدوره حلقة من حلقات سلسلة العلل والمعلولات، وعامل آخر من عوامل القضاء والقدر الإلهي، وبكلمة: إنّ القضاء والقدر يتغيّر بحكم قضاء وقدر آخر.

إنّ القوانين الميتافيزيقية (إن صحّ التعبير) لا تتعلّق بالحوادث على وضع واحدفقط كمالا تساعد قواعد العلوم على أكثرمن ذلك إنها ـ أي القوانين الميتافيزيقية ـ تحكم الظواهر والحوادث ولكنّها لاتتحكّم في إتجاهاتها و في الحقيقة : الحوادث والظواهر وإتجاهاتها كلّها محكومة للقوانين الميتافيزيقية الشاملة ، فأينما إتجهت الحوادث كانت في اطارها غيرخارجة عنها تماماً كأنّما الحوادث موجودات حيّة متحرّكة كماشية تسرح في واد معيّن واسع ، فأينما إتجهت يساراً ويميناً ، شمالاً وجنوباً لم تكن تخرج عن محيط ذلك الوادي المعيّن ، وانّ القضاء والقدر الالهي هو شمول أصل العلية حسب القوانين الميتافيزيقية ، وأصل العلّية لايقول بأكثرمن : أنّ لكل حادثة دليلاً،ثم لايهتدى هذا الأصل إلى أيّ تنبّوء بشأن الحوادث ، انّ القانون الميتافيزيقي الّذي هو صعيد مجاري الامور المختلفة ، سواء عليه ما يحدث ، تماماًكالشارع العام الّذي يمهّد المرور للمارّة ولكنّه لايختلف عنده إتجاهاتهم . . .

وفي الخبر: «انّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام عدل عن جدار مائل مشرف على السقوط إلى جدار آخر. . فقيل له : يا أمير المؤمنين ! أتفرّ من قضاء الله ؟ قال عليه السلام : أفرّ من قضاء الله إلى قدره » أي أفرّ من تقدير إلى تقدير آخر، فالجلوس والخلوص كلاهما مشمولان للتقدير على سواء ، فلو تهدّم الجدار و أصابني منه شيء كان ذلك بقضاء وقدر ، ولو بعدت عن الخطر وسلمت كان ذلك أيضاً قضاء و قدراً وهذا هو معنى شمول وإستيعاب التقدير.

و إنّ القرآن الكريم يعبّر عن قوانين الطبيعية السائدة في العالم والسنن الكونيّة الحتمية انها سنن إلهيّة إذ يقول : « ولن تجد لسنّة الله تبديلاً» الاحزاب: ٦٣) و كذلك يرى من سنّة الله عزّ وجلّ : « وعد الله الّذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض وليمكّننّ لهم دينهم الّذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك

فاولئك هم الفاسقون » النور : ٥٥) وكذلك يرى من سنّة الله تعالى : « إنّ الله لايغيّرما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم » الرعد : ١١)

وفي الرؤية الإلهيّة لاتنحصر الواقعيات في العلل الماديّة ، ولا ينبغي قصر النظرعلى العلاقات الحسيّة والأبعاد الماديّة للحوادث فحسب ، فانّ العوامل المعنوية تصل إلى حدود ليس الوصول إليها بامكان العوامل الماديّة ، و لها دور مستقلّ مصيري في وقوع الحوادث . . . لايستوي العمل الصالح والآخرالسيّىء ، ولعمل الانسان ردود فعل في الحياة ، فالاحسان إلى بني نوع الإنسان و إرادة الخيرلهم والخدمة والمحبّة والمودّة لخلق الله جلّ وعلا ، كلّ ذلك من العوامل الّتي تؤدّي إلى تغييرالمصيرإلى السعادة والنعيم الدائم ، والظلم وإرادة السوء والعدوان وإتّباع الهوى وحبّ النفس غيرالمشروع يستتبع ثماراً مرّة وآثاراً مضرّة ونتائج خاسرة لاتجتنب ، وكأنّما العالم بنفسه بصيرسميع ! بل إن عواقب الأعمال أيضاً من القضاء والقدر.

وانّ القرآن الكريم يقول بصدد الدورالمصيري للعوامل المعنوية : «ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بماكانوا يكسبون » الأعراف : ٩٥) « وما كنّا مهلكي القرى إلاّ وأهلها ظالمون » القصص : ٥٨) وإنّ مسئلة القضاء والقدرأصبحت مستمسكاً للجبريين قائلين : لايستقلّ الإنسان بصدورأيّ عمل منه ، إذ قدقدّر الله تعالى أعمال الإنسان كلّيّها وجزئيّها صالحها وفاسدها ، وعلى هذا فلايبقى مورد لعمل إختياريّ للانسان .

وانّ الفرق بين الجبر والمصيرالمحتوم هو : انّ وقوع كل ظاهرة تصبح ضرورة بعد تحقّق جميع أسبابها وعللها ، ومن سلسلة العلل والأسباب إرادة الانسان ، وبما أنّ الانسان لايحقّق أعماله إلاّ بأهداف معيّنة بصفته موجوداً مختاراً ، إذاً فهو لايسيرخلف أعماله متابعاً لها كقطرة المطر الّتي تسقط في مجرى

خاضعة: لقانون الجاذبيّة، ولو كان هو أيضاً كذلك لم يكن يمكنه أن يتابع أهدافه التي يفكّر فيها في حين أن مدرسة الجبر تنظر إلى الانسان و كأنّه موجود قد عطّلت إرادته مع حريّته، و ترى أنّ العلل خارجة عن ذات الانسان و لا تتعلق إلاّ بالله جل وعلا، إذاً فالقضاء والقدر إنما يؤدّي إلى الجبر فيها لو أصبح بديلاً عن إرادة البشر، ولم يبق أيّ دور لارادته في أعماله، بينما ليس القضاء والقدر الالهيّ سوى نفس نظام الأسباب والمسبّبات . .

ولاريب اننّا ندرك كل ما نتمنّاه إلاّ أنّ هذه الحقيقة لا تشكّل أقلّ دليل على الجبر، إذ لا منافاة بين إثبات الاختيار للبشر مع محدوديّة إختياره لأعماله، وأدلة إثبات الاختيار لا تتضمّن الدلالة على عدم محدودية إختياره، وإنّ الله عزّ وجلّ قد أجرى عوامل عديدة على صعيد الوجود قد تبدو واضحة، واخرى لا تبدو كذلك، وأنّ التفسير الدقيق الواقعي لمفهوم القضاء والقدر يبعث الشخص على السعي الأكثر في سبيل إستزادة الافادة من طاقاته في اطار معلوماته، ولكي يتمكّن من التعرّف على الواقع ومحاسبة الواقعيات، وبالتالي يتمكّن من الوصول إلى إمكانات أكثر، إنّ محدوديّة قدرات الانسان هي العلّة في عدم توصّله إلى عوامل أكثر في سبيل الوصول إلى انتصارات أكبر و بالتالي لا يصل إلى تحقيق آماله ...

إذن فمصير كل موجود مرتبط بعلله السابقة على أساس أصل العليّة العامّة، وسواء كنّا مؤمنين بالمبدإ الالهي أم لا فانّ ذلك غير مؤثّر في مسئلة الحريّة والمصير أي سواء كان الانسان يرى نظام الأسباب والمسبّبات في العالم مستنداً إلى إرادة الله جلّ وعلا ومشيئته أو كان يفترض إستقلال هذا النظام عن الاستناد إلى الخالق، إذاً فلا يمكن أن نرى أنّ عقيدة الجبر ناتجة عن العقيدة بالقدر، إنّ الغرض من المصير هو علاقة كلّ حادثة بعللها التي منها إختيار الانسان وإرادته، وليس المقصود من تقدير المصير إنكار الأسباب والعلل . . .

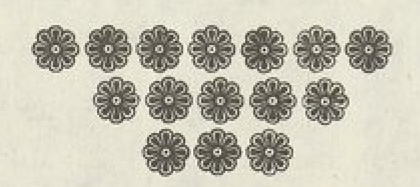
ان الله تعالى قدقدّر وقضى أن تبدو كل ظاهرة من مجاري عللها الخاصّة ، وان مشيئة الخالق تسود العالم كقانون عام ، وان كل تغيير إنّما يتحقّق على أساس السنن الكونيه الالهية ، وإلّا فلا يتحقّق ذلك، وإنّ كل مدرسة علمية تؤمن بأصل العلّيّة العامة لابدّ لها من أن تؤمن كذلك بهذه الروابط و العلاقات ، سواء كانت مدرسة ماديّة أو إلهيّة ، إذاً فلو كان ظهور أيّة حادثة - ومنها أفعال الانسان - قطعياً من قبل علله وأسبابه ، وكان هذا الحدوث القطعي مفيداً للجبر نتيجة كلا المذهبين ، ولو لم تكن قطعية حدوث الحوادث مفيدة للجبر فما الفرق بين المدرسة الالهية والماديّة ؟

أجل: ان التفاوت الثابت هو انّ التصور الديني - بخلاف التصور الماديّ- يرى أنّ هناك سلسلة من الامور المعنوية ، وهي جزء من العوامل المؤثرة جداً في حدوث كثير من الحوادث ، إنّ هذا التصور يرى وجود أسرار ورموز معنوية في الوجود هي أدقّ و أعقد من العوامل الماديّة ، انّ هذا التصور يهب الحياة روحاً و هدفاً ومعنىً ، والانسان نشاطاً وعمقاً في البصيرة ، وقوّة في الفكر ، و إتّساعاً في الافق ويمنعه من السقوط في هوّة الفراغ المهولة ، ويدفعه في سيره نحو الكمال دون توقّف ور كود ، وعلى هذا فانّ المؤمن الالهي الّذي يؤمن بالقضاء والقدر ويدرك انّ هناك أهدافاً حكيمة في خلقة الإنسان والعالم كلّه ، يكون أوثق وآمل من غيره نتائج فعّالياته وثمارها مع ما هو عليه من الإعتماد والتوكّل على الله جلّ وعلا في مسيرته في الحياة الدنيا وهو يرى نفسه محاطاً بحماية الله جل وعلا وتأييداته . . .

أما الأسير في سدى ولحمة التصور الماديّ ، وله تصوّره الخاص عن القضاء والقدر في اطار تفكيره الخاص ، فلا يتمتّع بهذه المزايا الايمانية الالهية قطعاً فانّه لايطمئن بتأييد في تحقق آماله ، وبديهيّ ما بين هذين المذهبين من الفواصل العميقة بالنظر إلى الآثار الاجتماعية والتربوية والنفسية . . .

يقول (أناطول فرانس) : « إن من قدرة الأديان أن تعلّم الانسان الأسباب و العواقب في الأعمال ، وحينما نطرد نحن اصول فلسفة العقائد الالهية ـ كما نحن عليه الآن في عصر العلم والحرية ـ لاتبقى أيّة وسيلة اخرى نفهم منها : لماذا أتينا إلى هذه الحياة ؟ ولما ذا أقدمنا إليها ؟ إن سرّ المصير قد أحاطنا بماله من هيمنة وعلينا أن لا نفكّر في شيء قطّ ، كي لانحسّ بالّلغز المبهم للحياة ، وانّ جذور أحزاننا و آلامنا إنّما هي في جهلنا المطلق بعلّة وجودنا في هذه الحياة ، و انّ آلامنا الجسميّة والروحية كانت تصبح مما يطاق فيما لو كنّا ندرك فلسفتها ولو بالاعتقاد بمشيئة الله سبحانه ، انّ المؤمن ليلتذّ حتّى من عذابه الروحي و حتّى الأخطاء التي تصدر منه لاتسلبه أمله ، أمّا مع خمود شعلة الايمان فلامعنى حتّى للأمراض والأدواء إلّا أن تحسب مزاحاً قبيحاً و إستهزائاً مرّاً من الطبيعة للانسان »

ومن المتكلمين من قال: انّ القدر هو ثبوت الأمر الجاري في العلم الأزلي مع إعطاء القدرة على الفعل والترك مع تعريف الخير والشر و تبيان عاقبة الأوّل و مغبّة الأخير ، فالقدر لايستلزم جبراً ، و انّ علم الله تعالى بمقادير ما يختاره العبد من النجدين ويأتي به من العمل من خير أو شر لاينا في التكليف كمالا أثر له في إختيار المكلّفين ، ولا يقبح معه العقاب على المعصية، ولا يسقط معه الثواب على الطاعة.



﴿ القدر و الايمان به ﴾

و اعلم أنّ من أركان الايمان في الدين الاسلامي أن يؤمن المسلم بالقضاء والقدر خيره وشرّه من الله عزّ وجلّ على ما وردت الروايات الكثيرة، وقد كانت هذه العقيدة مجالاً لأبحاث كثيرة، ألحقت بمشكلة الجبر والاختيار، وقدرة الانسان على ايجاد أفعاله أو إنعدام هذه القدرة، وكانت المشكلة الرئيسية تبدو في كيفيّة التوفيق بين إحاطة علم الله تعالى و إرادته و قدرته، و بين عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار، و زاد في حدّة المناقشة وجود آيات وأحاديث كثيرة يفيد ظاهرها: انّ الله سبحانه قدر على العباد كلّ شيء منذ الأزل، و انّ عملهم لا يقدم فيما كتب عليهم ولا يؤخّر شيئاً، و وجود آيات اخرى ظاهرها العكس، فكيف يمكن تفسير هذه الأقوال على صورة يبقى فيها ما للانسان وما لله جلّ وعلا.

وما يستفاد من الآيات الكريمة والروايات الواردة في باب التقدير: انّ الله تعالى تقديرين:

أحدهما - تقدير كلّي قبل الخلق كتقدير الأرض ومساحتها، وتقدير الجبال والبرّ والبحر، وتقدير الانسان وقواه الظاهرة والباطنة، وتقدير السماء بالسبع وسعتها، وتقدير الشمس وقطرها ونورها و حرارتها وبعدها عنّا وعن سائر الكواكب، وتقدير القمر وإضائته وما إليه من التقادير، وهكذا سائر الأفلاك... وتقدير الجنة، ونعيمها، وتقدير النار وعذابها، و تقدير الملائكة ووظائفها، و تقدير الأنبياء والأوصياء و عددهم، وتقدير الكتب النازلة إليهم، و تقدير النوم

واليقظة والموت والحياة للانسان والحيوان وما إليها من التقادير قبل الخلق: « إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر » القمر : ٤٩) ولايكون لشيء في هذا القسم دخل ولافيه بداء.

وقد عبّر عنه بـ « القضاء المقرون بـالقدر » قيل : اريد بالقضاء الخلق كقوله تعالى: « فقضاهنّ سبع سموات » والمراد بالقدر: التقدير وهما متلازمان لاينفك أحدهما عن الآخر لأنّ أحدهما كالأساس وهو القدر والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، ويؤيّده قوله عليه السلام : « القضاء : الابرام وإقامة العين » وقوله عليه السلام : « و إذا قضى أمضى و هو الّذي لايردّ له » وقدسئل إبن عباس عن القدر؟ فقال : هو تقدير الأشياء كلّها أوّل مرّة ثم قضاها وفصلها.

ولعلّ إليه مايشير في نهج البلاغة إذسئل الامام علي عليه السلام عن القدر؟ فقال عليه السلام : « طريق مظلم فلا تسلكوه ، وبحر عميق فلا تلجوه، وسرّ الله فلا تتكلفوه» و قال بعض الشارحين : معنى القدرهنا مالانهاية له من معلومات الله عزّ وجل، فانّه لاطريق لناولاإلى مقدوراته . وقيل : القدرهنا : مايكون مكتوباً في اللوح المحفوظ و ماد للناعلي تفصيله ،وليس لناأن نتكلفه.ويقال: اللوح المحفوظ: هو القدرو الكتاب: القدركان كلّ شيء قدرالله كتبته.وفي حديث جميل بن درّاج قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن القضاءو القدر؟قال:«هماخلقان من خلق الله تعالى والله يزيد في الخلق مايشاء» كأنّه جواب إقناعي، وربما أشعربأنّ السؤال عن معرفة كنهه وحقيقته غير لائق لبعدمعرفةذلك عن عقول المكلفين.

وفي دعاء آخر شعبان المعظم: ـ : « ولايعلم العباد علمك، ولايقدر العباد قدرك، و كلّنا فقير إلى رحمتك،فلا تصرف عنّي وجهك، واجعلني من صالحي خلقك في العمل والأمل والقضاء والقدر».

ثانيهما ـ تقدير جزئيّ وهو في ليلة القدر في كلّ سنة،تقدر فيها حوادث السنة، وقد تكون لأعمال الانسان ونيّاته من الخير والشر ،من العدل والظلم،من الدعاء والشراد،

من الصلاح والفساد، و من الصدقة والامساك...دخل في هذا التقدير، فيجري فيه البداء.

قال الله تعالى : « فيها يفرق كلّ أمر حكيم » الدخان : ٤)

وفي دعاء ليلة النصف من شهر شعبان المعظم:ـ: «ونوره الّذي لا يخبو وذو الحلم الّذي لا يصبو، مدار الدهر ونواميس العصر وولاة الأمر، والمنزّل عليهم ما يتنزّل في ليلة القدر»

وفي الزيارة المطلقة للامام الحسين بن علي عليه السلام :ـ : « وبكم فتح الله، وبكم يختم الله وبكم يمحو ما يشاء ويثبت، وبكم يفكّ الذلّ من رقابنا، وبكم يدرك الله ترة كل مؤمن يطلب بها، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأرض ثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها، وبكم يكشف الله الكرب، وبكم ينزّل الله الغيث، وبكم تسبح الأرض الّتي تحمل أبدانكم، وتستقرّ جبالها عن مراسيها، إرادة الربّ في مقادير اموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم...»

وفي الكافي: باسناده عن حمران قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : أرأيت ماكان من أمر قيام عليّ بن أبيطالب والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ ذكره وما اصيبوا من قتل الطواغيت إيّاهم والظفر بهم حتّى قتلوا وغلبوا؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : ياحمران! إنّ الله تبارك قد كان قدر ذلك عليهم و قضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار ثم أجراه فبتقدّم علم عليهم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قام عليّ والحسن والحسين عليهم السلام، وبعلم صمت من صمت منّا، ولو أنّهم ياحمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عزّ وجلّ وإظهار الطواغيت عليهم سئلوا الله عزّ وجلّ أن يدفع عنهم ذلك، وألحّوا عليه في طلب إزالة ملك الطواغيت وذهاب ملكهم إذاً لأجابهم ودفع ذلك عنهم، ثم كان إنقضاء مدّة الطواغيت و ذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم إنقطع فتبدّد وماكان ذلك الذي أصابهم ياحمران لذنب اقترفوه ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها، ولكن لمنازل كرامة من الله أراد أن يبلغها فلا تذهب بك المذاهب فيهم»

وفي الحديث: عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال : « الناس في القدر على ثلاث منازل : من جعل العباد في الأمر مشيّة فيه فقد ضادّ الله ، ومن أضاف إلى الله تعالى شيئاً هو منزّه عنه فقد افترى على الله كذباً ، ورجل قال : ان رحمت فبفضل الله عليك، وإن عذبت فبعدل الله فذاك الّذي سلم له دينه ودنياه»

وفي حديث آخر : عن مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام أنّه قال : « الأعمال ثلاثة أحوال : فرائض وفضائل ومعاصي ، فأمّا الفرائض فبأمر الله ورضى الله وبقضاء الله وتقديره ومشيّته وعلمه تعالى ، وأمّا الفضائل فليس بأمر الله ولكن برضى الله وبقضاء الله وبمشيّة الله وبعلم الله عزّ وجل، وأمّا المعاصي فليست بأمر الله ولكن بقضاء الله ومشيته وبعلمه ثم يعاقب عليها »

قوله عليه السلام :«المعاصي بقضاء الله » معناه نهى الله تعالى لأنّ حكمه على عباده الانتهاء عنها .

و **قوله** عليه السلام : «بقدر الله » معناه : بعلم الله تعالى بمبلغها وتقديرها مقدارها .

و **قوله** عليه السلام : « وبمشيته » أي انّ الله عزوجل شاء أن لايمنع العاصي من المعاصي إلّا بالزجر و القول و النهي و التحذير دون الجبر و المنع بالقوّة و الدفع بالقدرة .

وقد وردت روايات كثيرة في وجوب الايمان بالقدر ـ بفتح القاف والدال ـ على كل مسلم نشير إلى مايسعه المقام :

في الخصال: باسناده عن ربعي بن خراش عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : لايؤمن عبد حتّى يؤمن بأربعة : حتّى يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لاشريك له ، وأنّي رسول الله بعثني بالحق ، وحتّى يؤمن بالبعث بعد الموت ، و حتّى يؤمن بالقدر .

أقول: كان ربعي بن خراش وأخوه مسعود من خواصّ الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من مضر وكان ثقة عابداً مخضرماً من الثانية مات سنة مأة على ما في الوسيط وهامشه .

وفيه : باسناده عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أربعة لاينظر الله إليهم يوم القيامة : عاقّ، ومنّان ، ومكذّب بالقدر، ومدمن خمر .

وفيه : باسناده عن عبد الله بن ميمون عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ستّة لعنهم الله و كل نبيّ مجاب : الزائد في كتاب الله ، والمكذّب بقدر الله ، والتارك لسنّتي ، و المستحلّ من عترتي ماحرّم الله ، والمتسلّط بالجبروت ليذلّ من أعزّه الله و يعزّ من أذلّه الله ، والمستأثر بفيء المستحلّ له .

وفي بعض الروايات : « سبعة » بدل « ستة » الستّة السابقة والسابعة : المتكبّر عبادة الله عزّ وجلّ .

وفي الخصال : باسناده عن زكريا بن عمران عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال : لايكون شيء في السموات والأرض إلّا بسبعة : بقضاء وقدر وإرادة ومشيّة وكتاب وأجل واذن ، فمن قال غير هذا فقد كذب على الله أورد على الله عزّ وجلّ .

وفي حديث: عن إبن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : ياعديّ أسلم تسلم ، قلت : وما الاسلام ؟ قال : تشهد أن لا إله إلّا الله ، و تشهد أنّي رسو ل الله صلى الله عليه وآله وسلم وتؤمن بالأقدار كلّها : خيرها وشرّها وحلوها ومرّها .

و في عيون الاخبار باسناده عن عليّ عليه السلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : قال الله جلّ جلاله :من لم يرض بقضائي ولم يؤمن بقدري فليلتمس إلهاً غيري .

وفي تعقيب صلاة العشاء : ـ : «ولا تعنّني مالم تقدّر لي فيه رزقاً »

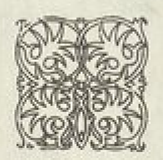
وفي دعاء ليلة الجمعة وقت السحر : ـ : « ألّلهم صلّ على محمّد وآله وهب لي ثبات اليقين ، ومحض الإخلاص ، وشرف التوحيد ، ودوام الإستقامة ، و معدن الصبر والرضا بالقضاء والقدر »

وفي دعاء الامام سبط المصطفى، سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام ـ يوم عرفة

ـ : « أللهمّ اجعلني أخشاك كأنّي أراك، وأسعدني بتقواك ولا تشقني بمعصيتك، و خرلي في قضائك، وبارك لي في قدرك حتّى لا احبّ تعجيل ما أخّرت، ولا تأخير ما عجّلت . . . » الدعاء

وفي زيارة أمين الله : ـ : « أللّهمّ فاجعل نفسي مطمئنّة بقدرك راضية بقضائك . . . »

وفي الادعية اليومية : ـ : « ولكلّ ضيق حسبي الله ، ولكلّ قضاء وقدر توكّلت على الله ، ولكلّ عدوّ إعتصمت بالله ، ولكلّ طاعة ومعصية لاحول ولاقوّة إلّا بالله العليّ العظيم »



﴿ شبهات حول القدر و دفعها ﴾

و من المطاعن الّتي وجّهها أعداء الإسلام إليه : انّ عقيدة القدر الّتي تعد من اصول العقائد في الإسلام هي الّتي كانت من أهم الأسباب لضعف المسلمين و تخلفهم عن الغربيين في العلوم والفنون والملك ، لأنّ عقيدة القدر تعطل المدارك والقوى وتميل بمعتقدها إلى الكسل إنتظاراً لما يأتيه به الغيب ، وانّ العقيدة بالقدر عامل من عوامل الجمود والركود وعائق للانسان عن أيّ سعي اوعمل في الحياة.

و من هؤلاء الأعداء الّذين فسّروا القضاء والقدر تفسيراً ناقصاً هو (جان پول سارتر) من مفكّر الغربيين ، فزعم أنّه لايمكن الجمع بين العقيدة بالقدر الالهي وقبول إختيار الانسان وحرّيته في أعماله ، و أنّ لابد من إختيار أحد الأمرين : إمّا العقيدة بالله وقضائه وقدره و إمّا العقيدة بحرّية الإنسان وإختياره فقال : « بما أنّني أعتقد بالحرّية فلا أتمكّن من أن أعتقد بالله إذلو آمنت بالله وجب عليّ الخضوع لقضائه و قدره و إن قبلت ذلك كان عليّ أن أغضّ النظر عن الحرّية ، وبما أنّني أحبّ الحرية فلا اومن بالله »

وقد قلّده بعض بريق الأفكار من المسلمين تقليداً عمياناً ، و قالوا : إذا رجعنا إلى القرآن نراه لم يذكر القدر على أنّه من اسس الدين الاسلامي مثل الإعتقاد بالله والملائكة و الكتب والرسل واليوم الآخر، و إنّما جاء الكلام عن القدر على أنّه نظام سماوي كسائر القوانين السماوية الاخرى ، ولم يتعرّض

القرآن لوجوب الايمان به .

ومن غير مراء ان من أسباب نشؤ هذا التصور الخاطيء في الغرب هو عدم إطلاعهم على المعنى الصحيح لمسئلة القضاء والقدر ولا سيّما في تعاليم الاسلام ، وقد سرى ذلك التصور الغربي الخاطيء عن القضاء والقدر إلى أفكار شعوب الشرق لإنحطاطهم و إنهزامهم أمام الغرب و كل ما هو غربي وتقليدهم عنهم حتى في تعاليم الإسلام ، وان كل شخص أو أي شعب لم يصل إلى آماله و أمانيه المادية والمعنوية يحاول أن يسلّي خاطره بكلمات من قبيل : الحظ والمصير والصدفة و التوفيق والقضاء والقدر . . .

و إذا نظرنا إلى معنى لفظة القدر التي جاءت في القرآن الكريم في مواضع متعددة رأينا القدر ـ بفتح الدال وسكونها ـ والمقدار والتقدير وردت بمعنى جعل الشيء بقياس مخصوص أو وزن محدود أو وجه معيّن يجري على سنة معلومة ، قال الله تعالى : « و أنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض» المؤمنون : ١٨) أي بمقدار معين ،و قال : « و كل شيء عنده بمقدار » الرعد:٨) أي ان لكل شيء من مخلوقات الله تعالى سنناً ونواميس ومقادير منتظمة كسننه في حمل الاناث وعقمها ، و زيادة الذرية ونقصها والانسان جزء من الوجود و ينطبق عليه النظام الذي إقتضته حكمة الله و تقديره قال تعالى : « من نطفة خلقه فقدّره » عبس : ١٨ـ١٩) وجاء في الزمن قوله عزّ وجل : « والله يقدّر الليل و النهار » المزمّل : ٢٠) و جاء في التعميم قوله عزّ وجل : « وخلق كل شيء فقدّره تقديراً » الفرقان : ٢)

ويتبيّن لنا من هذه الشواهد كلها : ان عقيدة القدر في القرآن الكريم هي التي تعلم المؤمنين ان لهذا الكون نظاماً محكماً ، وسنناً مطردة إرتبطت فيها الأسباب بالمسبّبات ، و أن ليس في خلق الله خلل ولا مصادفات ، ومن فائدة هذا الإعتقاد أن أهله يكونون أجدر الناس بالبحث في نظام الكائنات ، وتعرف

سنن الله في المخلوقات ، وطلب الأشياء من أسبابها والجري إليها في سننها .

وقد ذكر النبي الكريم ﷺ القدر - عندما سئل عن الايمان - من جملة أركان الايمان : « و أن تؤمن بالقدر خيره وشره من الله » والمعنى : ان كلاً من الخير والشر يجرى في الكون بمقادير وموازين وسنن و أسباب اقتضتها حكمة الله ، وان الله لم يخلق شيئاً إلا بارادته ، و ان جميع ما وجد في الكون موافق لما سبق في علمه و إرادته .

و إن الاعتقاد بالقضاء والقدر لايتنافي مع سعي الانسان للوصول إلى أهدافه في الحياة بل ان المطلعين على الوعي الديني الضروري في هذه المسئلة يعلمون بأن الاسلام قد دعا الناس إلى بذل غاية الجهد في سبيل تنظيم الحياة المادية إلى جانب الروح والمعنى ، وهي دعوة تؤثر في تسريع مساعي الانسان للحياة ، ولا منافاة بين قضاء الله تعالى و قدره العام من ناحية ، و حرية الانسان من ناحية اخرى ، و بعد ذلك نلقى نظرة إلى القرآن الكريم في مسئلة إختيار العبد لنرى مبلغ ضعف التهمة التي يرمون بها الاسلام وهو برىء منها ، ويتجلى لنا ذلك في كلام الله سبحانه عن المشركين ، فقد احتجوا بأن أعمالهم السيئة إنما كانت بارادة الله و مشيئته و كيف رد الله تعالى عليهم : « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آبائنا ولاحرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين » الأنعام :١٤٨-١٤٩)

والمعنى : سيقول المشركون انه لوشاء الله ما أشركوا أي انه تعالى شاء أن يشركوا ، وقد رد الله جل وعلا شبهتهم بحجتين : أحدهما - ان الله تعالى عاقب المشركين السابقين لسوء فعلهم ، ولو أن أعمالهم السيئة كانت بمشيئة الله لما عاقبهم عليها ، و ان الاعتذار بالمشيئة نوع من الكذب على الله سبحانه . ثانيهما - ان الله تعالى لم يقل مثل هذا القول على لسان واحد من رسله وطالب المشركين بدليل

علمى على زعمهم : « قل هل عند كم من علم فتخرجوه لنا » ثم أثبت الله عزّ وجلّ دحض زعمهم بقوله : « فلو شاء لهدا كم أجمعين » وواضح من هذا أنّه تعالى لو شاء أن يكون الناس على طريق واحد لكان هذا الطريق هو طريق الهداية ، « ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم » الزمر: ٧)

ولكن الناس غير مجبرين على سلوك طريق بعينه ، فقد توضحت مشيئة الله تعالى في إرسال رسله ليبيّنوا للناس الحق من الباطل ، الخير من الشر ، الهدى من الضلالة ، الصلاح من الفساد ، والفلاح من الخسران ، والسعادة من الشقاء... و ترك للانسان تفضيل أحد الطريقين على الآخر وسلوك السبيل الّذي يختاره ، و انّ القرآن الكريم يعترف للانسان بدوره الحرّ والفعّال إلى جانب مشيئة الله العامّة ، و يراه قادراً على تربية نفسه تربية واعية بمعرفة الحسن والقبيح وإختيار أحدهما ، و يقول : « إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » الانسان : ٣) ويقول: «ليس للانسان إلّا ما سعى» النجم:٣٩) ويقول: «وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» الكهف:٢٩) ويلوم من يقول يوم القيامة : « لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آبائنا ولا حرّمنا من دونه من شيء » النحل :٣٤)

و على ذلك فمشيئة الله تعالى تتجلّى في إرسال الرسل لهداية الناس و تعليمهم سبيل الرشاد والتحذير من سبيل الضّلال ، و مشيئة الانسان تتوضح في إختياره لأحد السبيلين ، وانّ القرآن الكريم في كثير من آياته يثبت الاختيار للانسان ، و انّه مسئول عن أعماله ، وانّ الفساد الّذي يشكومنه في نظمه الإجتماعية ، وضروب الشرّ الشائعة في شئونه المعيشية كلّ ذلك نتائج لمقدمات وضعها بنفسه قال الله عزّ وجل : « ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس » الروم : ٤١) و قال: «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » الشورى : ٣٠) وقال : «من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها » فصلت : ٤٦)

و انّ القرآن الكريم يدعو إلى التعويل على الذات في احداث الانقلابات

الاصلاحية التي ترفع بالجماعة إلى حياة طيبة و أمن و إستقرارقال الله تعالى : « ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروامابأنفسهم »الرعد : ١١) هذا ماذكره القرآن وهو صريح على أن إرادة الانسان وعمله هما مصدر مثوبته و عقابه ، وهذالايتفق مع ما يقوله أعداؤه و أذنابهم : من أن الاسلام دين تواكل يمنع أهله من الترقي في حياتهم الدنيوية .

فالقدر لا ينتهي إلى سلب إختيار الإنسان ولايمنعه عن السعي للوصول إلى حياة سعيدة رغيدة بل هو من البواعث على الفكروالعمل والسعي والمحاولة للاستزادة من المعلومات والاستفادة والافادة منها ، و ان العقيدة بالقدرلتؤثر في التقدم بأهداف الانسان و حاجاته لابالعكس . فالايمان بالقدر يسوق معتقده دائماً إلى السعي والعمل ، فيرى منفعته في السعي قائلاً : إن لم يثمرأحدهما فيثمرالآخر، و مؤملاً خيراً من أسرار القدر لأن المقدر غيرمعلوم ولا أمارة له غيرأفعاله و أعماله . . . ومن حكمه السامية أن الله جل وعلا دعا الأنفس البشرية للايمان بالقدر ليكون مخففاً لجزعها إذا نزلت بها النوائب ، مثبتاً لها عند ملاقاة المصائب و تجشم المصائب ، فاذاها جم اليأس قلب امريء من مطلب يطلبه ، أوقامت العقباب دون رغبة يرغبها ، قام الايمان بالقدر والاعتماد على الله عز وجل لنجدته فهو يفتح له الأبواب المغلقة و يذلل المصاعب الشديدة فيأخذالعدة من حيث أمره الله تعالى باتخاذها .

كما أنه عند التوفيق في أعماله ، وما يطرأ عليه من مفاجآت سارة لاينسى أن يزينها بالتواضع ، ولا يفقد رشده من شدة الفرح ، ولهذا المعنى الرائع يشيرالقرآن : « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسيرلكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » الحديد : ٢٢ و ٢٣) فالله جل وعلا يخبرفي الآيتين بأن ما يصيب الأرض والأنفس ثابت في كتاب ، ثم طلب من الانسان ألا يهلكه الحزن ، و ألا تذهب

نفسه حسرات إذا أصابه شر لأن هذا مقدر له في كتاب ، ولم يكن هناك بد من أن يختاره ، و إذا قدر له خير عليه أن يذكر أن هذه النعمة ثابتة في كتاب لم يكن هناك بد من حصولها ، ولم يكن هناك بد من إختيارها فيجب أن لا يطغيه الفرح وأن لا تطغيه النعمة .

والاعتقاد بالقدر يتبعه خلق الشجاعة والبسالة و يحليها بحلى الجود والسخاء فالذي يعتقد بأن الأجل محدود والرزق مكفول ، والأشياء بيد الله تعالى يصرفها كما يشاء كيف يرهب الموت في الدفاع عن حقه و إعلاء كلمة امته أوملته بما فرض الله تعالى عليه من ذلك ، و كيف يخشى الفقر بما ينفق من ماله في تعزيز الحق وتشييد المجد على حسب الأوامر الالهية . . .

﴿ بحث روائي في معنى القدر ﴾

و قدوردت روايات كثيرة في معنى القدر - بفتح القاف والدال - فنشير إلى ما يسعه المقام ونحن على جناح الإختصار :

١ - في الكافي: باسناده عن يونس بن عبدالرحمن - في حديث - قال : قال لي أبوالحسن الرضا عليه السلام : يا يونس تعلم ماالمشيئة ؟ قلت : لا ، قال : هي الذكر الأوّل ، فتعلم ماالارادة ؟ قلت : لا ، قال : هي العزيمة على مايشاء فتعلم ماالقدر ؟ قلت : لا ، قال : هي الهندسة ، و وضع الحدود من البقاء والفناء قال : ثم قال : و القضاء هو الابرام و إقامة العين ، قال : فاستأذنته (فسئلته أن يأذن لي خ) أن اقبّل رأسه ،وقلت : فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة .

٢ - في فقه الرضا عليه السلام : مما كتبه الامام سبط المصطفى الحسين بن علي عليهما السلام جواباً لما كتب إليه عليه السلام الحسن البصري يسئله عن القدر - : « فاتّبع ماشرحت لك في القدر ممّا افضى إلينا أهل البيت ، فانّه من لم يؤمن بالقدر خيره وشرّه كفر ، و من حمل المعاصي على الله جلّ وعزّ فقد إفترى على الله إفتراء عظيماً ، إنّ الله تبارك و تعالى لايطاع باكراه ، ولايعصى بغلبة ، ولايهمل العباد في الحكمة لكنّه المالك لماملكهم والقادر لماعليه أقدرهم ، فان ائتمروا بالطاعة لم يكن الله صادّاً عنها مبطئاً ، و إن ائتمروا بالمعصية ، فشاء أن يمنّ عليهم فيحول بينهم و بين ما ائتمروا به فعل ، و إن لم يفعل فليس هو حملهم عليها قهراً ، و لا كلّفهم جبراً .

بل بتمكينه إيّاهم بعد إعذاره و إنذاره لهم ، و إحتجاجه عليهم ، طوّقهم و مكّنهم و جعل لهم السبيل إلى أخذ ما إليه دعاهم ، و ترك ماعنه نهاهم ، جعلهم مستطيعين لأخذ ما أمرهم به من شيء غير آخذيه ، و لترك مانهاهم عنه من شيء غير تاركيه ، والحمدلله الذي جعل عباده أقوياء لما أمرهم بـه ، ينالـون بتلك القوّة و مـانها هم عنـه ، و جعل العذر لمن يجعل له السبيل ، حمداً منقبلاً ، فأنا على ذلك أذهب و به أقول و الله ، و أنا و أصحابي أيضاً عليه ، وله الحمد»

٣ ـ في البحار : انّ رجلاً سئل جعفر بـن محمد الصادق عليه السلام عن القضاء و القدر ؟ فقال : ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه ، و ما لم يستطع أن تلوم العبد عليه فهو من فعل الله يقول الله تعالى للعبد : لم عصيت ؟ لم فسقت ؟ لم شربت الخمر؟ لم زنيت ؟ فهذا فعل العبد ولا يقول له: لم مرضت ؟ لم قصرت ؟ لم ابيضت؟ لـم اسوددت؟ لأنّه من فعل الله تعالى .

٤ ـ في الاحتجاج : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن القضـاء و القدر فقال : لا تقولوا : و كّلهم الله إلى أنفسهم فتوهّنوه و لا تقولوا: أجبرهم على المعاصي فتظلّموه و لكن قولوا : الخير بتوفيق الله و الشرّ بخذ لان الله و كل سابق في علم الله .

٥ ـ في حديث : « التقدير واقع على القضاء بالامضاء » أي واقع على القضاءِ المتلبّس بالامضاءِ ففيه أمران : أحدهما ـ انّ التقدير مشتمل على كل التفاصيل الموجودة في الخارج. ثانيهما ـ انّه واسطة بين القضاءِ و الامضاءِ . ومعنى القضاءِ هو النقش الحتمي .

٦ ـ في الاحتجاج : روى انّ الرجل قال: فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال : الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية ، والتمكين من فعل الحسنة و ترك المعصية، والمعونة على القربة إليه والخذلان لمن عصاه والوعد والوعيد والترغيب والترهيب ، كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا ، أمّا غير ذلك فلا

تظنّه فانّ الظنّ له محبط للأعمال ، فقال الرجل : فرّجت عنّي يا أمير المؤمنين فرّج الله عنك .

٧ - في كنز الفوائد : قال الصادق عليه السلام لزرارة بن أعين : يا زرارة أعطيك جملة في القضاء والقدر؟ قال: نعم جعلت فداك ، قال: إذا كان يوم القيامة ، وجمع الله الخلائق سئلهم عما عهد إليهم ، ولم يسئلهم عما قضى عليهم .

أقول : رواه الصدوق عليه الرحمة في التوحيد باسناده عن إبن اذينة عن الصادق عليه السلام .

٨ - في التوحيد: باسناده عن المعلّي قال : سئل العالم عليه السلام كيف علم الله ؟ قال ، علم و شاء و أراد و قدّر وقضى و أمضى ، فأمضى ماقضى ، وقضى ماقدّر ،و قدّر ما أراد ،فبعلمه كانت المشيّة ، وبمشيّته كانت الارادة ، و بارادته كان التقدير، و بتقديره كان القضاء ، وبقضائه كان الامضاء ، فالعلم متقدّم على المشيّة ، والمشيّة ثانية ، و الارادة ثالثة ، و التقدير واقع على القضاء بالامضاء ، فلله تبارك و تعالى البداء فيما علم متى شاء و فيما أراد لتقدير الأشياء ، فاذا وقع القضاء بالامضاء فلابداء .

فالعلم بالمعلوم قبل كونه ، والمشيّة في المشاء قبل عينه ، والارادة في المراد قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها و توصيلها عياناً و قياماً ، والقضاء بالامضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذي لون وريح و وزن و كيل و مادبّ و درج من إنس و جنّ وطير و سباع ، و ذلك ممايدرك بالحواس ، فلله تبارك وتعالى فيه البداء ممالاعين لـه ، فاذا وقع العين المفهوم المدرك فلابداء والله يفعل مايشاء ، وبالعلم علم الأشياء قبل كونها، و بالمشيّة عرف صفاتها و حدودها و أنشأها قبل إظهارها ، و بالارادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها وحدودها، وبالتقدير أقواتها (أوقاتهاخ) وعرّف أوّلها وآخرها، و بالقضاء أبان للناس أماكنها ، و دلّهم عليها، وبالامضاء شرح عللها، و أبان أمرها

ذلك تقدير العزيز العليم .

٩ ـ في المحاسن : عن إبـن أبي عمير عن هشام بن سالم قال أبو عبدالله عليه السلام : انّ الله إذا أراد شيئاً قدّره فاذا قدّره قضاه فاذاقضاه أمضاه .

١٠ ـ في عيون الاخبار: باسناده عن إبن عباس قالوا : لمّا انصرف أمير- المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام من صفّين قام إليه شيخ ممّن شهد الوقعة معه ، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا هذا أبقضاء من الله وقدره؟ و قال الرضا عليه السلام في روايته عن آبائه عن الحسين بن عليّ عليهما السلام :دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين ، فقال : أخبرني عن خروجنا إلى أهل الشام أبقضاء من الله تعالى وقدره؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام أجل يا شيخ فوالله ماعلوتم تلعة ولاهبطتم بطن وادإلاّ بقضاء من الله وقدره.

فقال له الشيخ : عندالله احتسب عنائي يا أمير المؤمنين ، فقال عليه السلام : مه يا شيخ فوالله لقدعظم الله الأجر في مسيركم و أنتم سائرون وفي مقامكم، وأنتم مقيمون وفي منصرفكم، و أنتم منصرفون و لم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولا إليه مضطرّين ، فقال له الشيخ : و كيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين و لا إليه مضطرّين ، وكان بالقضاء و القدر مسيرنا ومنقلبنا و منصرفنا ؟ فقال له : و تظنّ أنّه كان قضاء حتماً و قدراً لازماً لو كان كذلك لبطل الثواب و العقاب ، و الأمر و النهي و الزجر و لسقط معنى الوعد و الوعيد و لم تكن على مسيء لائمة ولا لمحسن محمدة و لكان المحسن أولى باللائمة من المذنب و المذنب أولى بالاحسان من المحسن ، تلك مقالة عبدة الأوثان و خصماء الرحمن و قدريّة هذه الامّة و مجوسها .

ياشيخ ! انّ الله عزّ وجلّ كلّف تخييراً و نهي تحذيراً ، و اعطى على القليل كثيراً و لم يعص مغلوباً و لم يطع مكرهاً ، ولم يخلق السموات والأرض و ما بينهما باطلاً ، ولم يبعث النبيين مبشّرين و منذرين عبثاً: « ذلك ظنّ الّذين كفروا

فويل للذين كفروا من النار» قال : فنهض الشيخ وهو يقول :

أنت الامام الّذي نرجو بطاعته　　يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أو ضحت من ديننا ماكان ملتبساً　　جزاك ربك عنّا فيه إحسانا
فليس معذرة في فعل فاحشة　　قد كنت راكبها فسقاً وعصيانا
لا لا ولا قابلاً ناهية أوقعه　　فيها عبدت إذا يا قوم شيطانا
ولا احبّ ولا شاء الفسوق ولا　　قتل الولي له ظلماً وعدوانا
أنّى يحبّ وقد صحّت عزيمته　　ذو العرش أعلن ذاك الله إعلانا

أقول: رواه الكليني في الكافي ، والمجلسي في البحار بمواضع عديدة بأدنى تفاوت ، والطبرسي في الاحتجاج،والبحراني في البرهان ، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة والمفيد في الارشاد وغيرهم .

قوله عليه السلام : « تلك مقالة اخوان عبدة الأوثان » لعلّه إشارة إلى الأشاعرة، وقوله عليه السلام : « وقدرية هذه الامة » إشارة إلى المعتزلة كما صرّح به في الروايات . . . فقوله عليه السلام : « قدرية هذه الامة ومجوسها » بصدد بيان كلا المذهبين : الجبري والتفويضي للقدرية إن ذهب الأوّلون إلى أنّ الله سبحانه هو خالق أفعال العباد كلّها ، وذهب الآخرون إلى أنّ خالق الأفعال الاختيارية هو الانسان والله تعالى خالق لما وراء ذلك ، فأثبتوا إلهين إثنين كما أثبت المجوس إلهين اثنين : خالق الخير وخالق الشر.

١١- في شرح ابن أبي الحديد : - في الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام - : « سئل عن القدر فقال عليه السلام : اقصر أم اطيل ؟ قيل : بل تقصر فقال : جلّ الله أن يريد الفحشاء وعزّ عن أن يكون له في الملك إلّا مايشاء ».

١٢- في الكافي: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من زعم أنّ الله يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله ، ومن زعم أنّ الخير والشرّ إليه فقد كذب على الله .

۱۳-وفيه : باسناده عن حفص بن قرط عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من زعم أنّ الله يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله ، و من زعم أنّ الخير والشر بغير مشيّة الله فقد أخرج الله من سلطانه ، ومن زعم أنّ المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ومن كذب على الله أدخله الله النار.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من زعم أنّ الله يأمر بالسوء والفحشاء » وهو القائل بالجبر إذ يقول : بالارادة الحتمية في المعاصي فقد كذب على الله سبحانه ونسبه إلى الكذب في قوله تعالى : « ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون» الأعراف : ۲۸) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « ومن زعم أنّ الخير و الشر بغير مشيّة الله » أي و من زعم أنّ الخير والشر من الأفعال بغير مشيّة الله وهم المفوّضة إذ يقولون :إنّ الأفعال كلّها مخلوقة بمشيّة الانسان دون الله « فقد أخرج الله من سلطانه » وقد قال تعالى :«وله الملك»وقال:«وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « و من زعم أنّ المعاصي بغير قوّة الله » بل بقوّة الانسان فقد كذب على الله سبحانه حيث يقول : « ماشاء الله لاقوّة إلاّ بالله »

۱۴-وفيه : باسناده عن الحسين بن علي الوشّاعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سئلته فقلت : الله فوّض الأمر إلى العباد ؟ قال : الله أعزّ من ذلك، قلت : فجبرهم على المعاصي ؟ قال : الله أعدل وأحكم من ذلك ، قال : ثم قال : قال الله : يابن آدم أنا أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي ، عملت المعاصي بقوّتي التي جعلتها فيك .

۱۵-في عيون الاخبار : باسناده عن سليمان بن جعفر الحميري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : ذكر عنده الجبر والتفويض ، فقال : ألا اعطيكم في هذا أصلاً لاتختلفون فيه ، ولا يخاصمكم عليه أحد إلاّ كسرتموه قلنا : إن رأيت ذلك، فقال : إنّ الله تعالى لم يطع باكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملكهم ، والقادر على ما أقدرهم عليه ، فان ائتمروا العباد بطاعته

لم يكن الله عنها صاداً ولامنها مانعاً ، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل ففعلوا ، فليس هو الّذي أدخلهم فيه، ثم قال عليه السلام من يضبط حدود هذا الكلام فقد خاصم من خالفه .

١٦ـفي الكافي: باسناده عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : إن بعض أصحابنا يقول بالجبر وبعضهم يقول : بالاستطاعة ، قال : فقال لي: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال عليّ بن الحسين : قال الله عزّ وجل : « يابن آدم بمشيئتي كنت أنت الّذي تشاء ، وبقوّتي أدّيت إليّ فرائضي ، وبنعمتي قويت على معصيتي ، جعلتك سميعاً بصيراً ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيّئة فمن نفسك وذلك أنّي أولى بحسناتك منك، وأنت أولى بسيّئاتك منّي وذلك أنّي لاأسئل عمّا أفعل ، وهم يسئلون » قد نظمت لك كل شيء تريد .

أقول: إنّ معنى الرواية مبنيّ على القدر وهو أنّ الانسان إنّما يفعل ما يفعل بمشيئة وقوّة الله عزّ وجلّ هو الّذي شاء أن يشاء الانسان، ولو لم يشأ لم تكن من الانسان مشيئة وهو الّذي ملك الانسان قوّة من قوّته ، وانّ القوّة لله تعالى جميعاً ، فلا إستغناء للانسان في فعله عنه عزّ وجل ، ثم إنهما نعمتان قوى الانسان بهما على المعصية كما قوى على الطاعة ، ولازم ذلك أن تكون الحسنات لله عزّ وجلّ وهو أولى بها لأنّ الله تعالى هو المعطي للقوّة عليها، والأمر باتيانها وفعلها ، وأن تكون السيئات للانسان وهو أولى بها دون الله سبحانه لانّه سبحانه لم يعطها إلّا نعمة للحسنة،ونهى عن إستعمالها في السيئة ، فاللوم على الانسان ،وذلك أنّه تعالى لايسئل عما يفعل وهم يسئلون لأنّه تعالى إنّما يفعل الجميل وهو إفاضة النعمة والهداية إلى الحسنة والنهي عن السيّئة و كل ذلك جميل ولاسئوال عن الجميل، والانسان إنّما يفعل الحسنة بنعمة من الله تعالى والسيئة بنعمة منه ، فهو المسئول عن النعمة الّتى اعطيها ماصنع بها ، ثم أتم الله الحجّة ، وأقام المحنة بأن نظم كل

ما يريده الانسان ليعلم ماذا يصير إليه حال الانسان بفعاله .

وقد ثبت مما تقدم ان الله تعالى في خلقه قضاء و قدراً و في أفعالهم أيضاً قضاء و قدراً ، وان الله عز وجل قد قضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها وفي أفعالهم القبيحة بالنهي عنها ، و في أنفسهم بالخلق لها ، و فيما فعله تعالى فيهم بالايجاد له والقدر منه تعالى فيما فعله ايقاعه في حقه و موضعه ، و في أفعال عباده ما قضاه فيها من الأمر والنهي والثواب والعقاب ، و ان ذلك كله واقع موقعه ، و موضوع في محله لم يقع عبثاً ولم يصنع باطلاً ،ولاريب أن في أفعالنا الإختيارية مشيئة و إرادة و تقديراً و قضاءاًو هو الحكم البتي ، و حيث عد الله عز وجل الموجودات أفعالاً لنفسه صادرة عن علمه و قدرته فلابد و أن نذعن في فعله تعالى بالجهات التي لايخلو عنها فعل إختياري بما أنه فعل إختياري من المشيئة والارادة والتقدير والقضاء .

فالمشيئة والأرادة هما معنى الذي لابد في الفعل الاختياري من تحققه في نفس الفاعل منا بعد العلم و قبل الفعل ، وهذا المعنى من حيث إرتباطه بالفاعل يسمى مشيئة به ، و من حيث إرتباطه بالفعل يسمى إرادة ، وان التقدير هو تعيين مقدار الفعل من حيث تعلق المشيئة به .

و ان القضاء هو الحكم الأخير الذي لا واسطة بينه وبين الفعل مثلاً إذا قربنا ناراً من قطن والنار تقتضي الإحتراق ،فينتزع من المورد مشيئة الاحراق، ثم بزيادة قربهاإرادة الاحراق ، ثم من كيفية قربها وشكل القطن ، و وضعه منها و سائرما يقارن المورد تقدير الاحراق ، فان كان القطن مثلاً مرطوباً لايؤثرفيه النار كان ذلك بداء لظهورماكان خفياً من الفعل ، و إن كان يابساً لامانع معه من الاحتراق كان ذلك قضاء وامضاء وهو الإحتراق والإحراق، و بذلك يتحقق في كل حادث حدث عن أسبابه من حيث تهيؤ سببه و تمام التهيؤوتحقق محل الفعل ، و تحقق آخرجزءمن سببه مشيئة و إرادة و قدر و قضاء هو الامضاء والاجراء .

﴿ المثال والقدر ﴾

ويمكن لنا أن نبين معنى القدر على طريق المثال ، وذلك: انّ كل جماعة و امّة دخلت تحت جامعة واحدة ، وجهة عامّة لامحالة تحتاج إلى وضع نواميس تجري عليها ، و تخرج بها عن الفوضى والسراح المؤدّي بها ، والمؤدّي إلى هلاكها لولا تلك النواميس والحدود والموازين مهماكان واضعها فرداً أو جماعة عدلاً أوجوراً .

و لنفرض انّ ملكاً عادلاً حكيما نظرفي صالح رعاياه فرآى أن يضع لهم قوانين تتكفل بسعادتهم ، و تجعلهم في صفوف الامم الراقية على ما ينهج على ذلك كل جمعيّة في العالم لايرى لنفسه حياة و مجداً إلاّ به مهما إختلفت القوانين والموازين ، فانّ الضرورة إلى النظام لاتختلف على حال من الأحوال ، و إن كانت سعادة كل امّة وجماعة ، وحظّهم من التمدّن والعمران منوطة على صحّة القوانين والعكس بالعكس ، فيضع هذا الملك العدل الحكيم كل حكم من الأحكام و كل حدّ من الحدود التي يتوقّف عليها النظام والسير إلى السعادة النوعيّة حسب علمه بصالح الامّة ، فيضع قانوناً كلّياً يجري لكل فرد و على كلّ واحد منهم : الجندي ومؤنته ، والزارع وضريبته ، و صانع وصنعته ، وجان وجنايته ، وجائر وجوره ، و متوان و توانيه ، و أمين و أمانته ، و خائن و خيانته ، و عاص و معصيته ، و صادق و صدقه . . .

و يجعل لكل ذلك أسباباً و مسبّبات و عللاً و غايات يوجب بعضها بعضاً ،

و ينجر بعضها إلى بعض على نواميس معيّنة و حدود مبيّنة سبقت كلمته ، وقضت حكمته أن تسير على ذلك و لا تقف ولا تنخرم ولا تختلف ، ثم يأمر بعض مهرة كتّابه أن يسجّل تلك القضايا الكلّية والنواميس العامّة بأسبابها ومسبّباتها وعللها و معلولاتها ومباديها و غاياتها ، يأمره بعناية منه ملحوظة أن يسجّلها في ألواح محفوظة لاحذراً أن ينسى الملك الحكيم شيئاً منها ، أومخافة أن تغيب عنه ، أو يغيب عنها كلّا ثم كلّا فانّه الحفيظ الّذي لا ينسى ، والحكيم الّذي لا يغفل والعليم الّذي لا يجهل ، بل إظهاراً لسعة علمه و كمال قدرته و نفوذ مشيّته ، ولكي يوقف عليها الخاصّة من ملازمي حضرته ، والمهيمن على أسراره ، فيتكاملون معرفة و يقيناً و خضوعاً .

ثم بعد ما أبرم أحكامه ، و أجرى في اللوح بما شاء أقلامه منحهم و أعطاهم جوهرين شريفين وهما : جوهر العقل ، وجوهر حرّيّة الإختيار وتلك هي الكلمة الّتي سبقت من ربك ، فلو لاهما لما تأنّست المدن ، ولا تمدّن الانسان ، ولا اعتمر ولا انتظم العمران ، ولا امتاز الانسان من الحيوان ، ولا معنى للكفر والايمان ، ولا الحق والباطل ولا الصلاح والفساد ، ولا السعادة والشقاء ولا الفلاح والخسران... إذ لا عقل ولا حرّية ولا اختيار ولا تكليف ولا حساب ولا عقاب . . .

ثم أعلن الملك العدل الحكيم العليم منشوراً في رعيته يقرأه كل أحد من وجدانه وصحيفة نفسه ، يحسّ ويجد قائلاً يقول له همساً في ضميره قبل كل شيء : « إعملوا ما شئتم انّه بما تعملون بصير» فصلت : ٤٠) ليعمل كل عامل ما أراد و ما اختار لنفسه ، فانّ السبل له مخلّاة و الأسباب عنده مهيّئة ، و غاية كل سبيل له معلومة ، فانّ الحجّة له واضحة والبرهان عليه قاطع . . . « إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » الانسان :٢-٣)«من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدّره ثم السبيل يسّره» عبس : ١٨-٢٠)

ثم يأمر الملك العدل كاتبه الّذي جعله خزانة أسراره أن يسجّل في لوح خصوصيّ له جميع المواد الجزئيّة، والقضايا الشخصيّة، فيملى على كاتبه إظهاراً لمزيد علمه و شمول قدرته و إحاطته بشئون أفراد رعيته، ومقتضيات إستعداداتهم و أهوائهم ورغباتهم وسعاداتهم وشقائهم... يملى كل ما يجرى على حياة كل فرد منهم، وسيختاره بحرّية إرادته دون أدنى إكراه في أفعاله و أقواله، و إعتقاداته و حركاته...

و يسجّل في هذا اللوح كل ما يمرّ عليه مما يدخل في قدرة كلّ فرد منهم، و إرادته وما هو خارج عن دائرة إختياره: من مدّة أجله وغاية عمله، وحظوظه من نعم الحياة وبسط العيش و نعيم الدنيا بالأولاد والأحفاد، والصحّة والملك و إمتداد البقاء و مساعدة الأيّام... فانّ في وسع الإنسان أن يسعى، فيصير عالماً أخلاقيّاً أوطبيباً حاذقاً، اوحكيماً خبيراً، أومخترعاً دقيقاً... ولكن ليس في وسعه أن يسعى فيصير قهرماناً شجاعاً أوذانسل متكاثر بعدد مخصوص أومرتزق برزق ما يشاء.. فانّ لها مقادير حدّدت، و حدوداً قسّمت، ولكن لايعزّبنّ عنك اسلوب ذلك الكتب فيما هومفوّض إلى العبد، و له فيه حرّية الإختيار فانّه كتب في سجلّ التكوين لا التشريع: أن سيفعل كذا، و انّه يختار كذا، و ما كتب عليه أن يفعل كذا، و أن يختار كذا، حتّى تبطل الارادة، فينقلب الاختيار إلى ضدّه، و تتحوّر المشيّة عن حقيقتها.

والفرق بين العبارتين كالفرق بين الحقيقتين في غاية الوضوح، وقد أصبح اليوم بجلاء: أن العلم لا أثر له في المعلوم، وأنّ المعلوم يوجد بأسبابه و سلسلة علله لا بعلم العالم أوجهل الجاهل مع أنّ العلم لا يتعلق إلّا بحقيقة راهنة، فلو أنّ صيرورته حقيقة راهنة بالعلم لدار واستحال، فهناك لوح إجمال، ولوح تفصيل كسجلّ الاجمال وسجلّ التفصيل.

و لمّا قضى الملك الحكيم الخبيرما أراد من النظام جملة و تفصيلاً، وأبرم القضاء فيما شاء إنشاءاً و تسجيلاً ، و بلغ المقام إلى دور العمل و مرحلة العين ، وفسحة الوجود جعل يوجد ما في العين على طبق تلك الألواح المسطورة و النواميس المقرّرة ، و لكلّ ايجاد و إنشاء تعيّن خاص ، وطور من أطوار الملك ، ومظهر قوّة له تعبّر قوّة له نعبّر عنه باسم موعز إلى معنى خصوصيّ يشار به إلى ذات الملك باعتبار هذا الأثر الصادر منه .

و لكثرة الصّوادر تكثّرت الأسماء و الصفات . . . فباعتبار الخلق خلّاق، و بالنظر إلى الرزق رزّاق ، ومن حيث ايجاده موجد ، ونظر إلى رحمته رحيم ، و باعتبار التربية ربّ ، و بالنظر إلى المغفرة غفور ، و من حيث حكمته حكيم ، و من جهة قهره على الفاجر قهّار ، و هكذا سوى أنّ جلالة الملك بعدما كتب و دبّر و ربط تلك القضايا المسطورة خاصّها و عامّها بأسمائه الخاصّة والعامّة،فجعل لنفسه حرّيّة الارادة المقدّسة ، و سراح المشيّة المنيعة كما جعل شيئاً منها لرعيته ، فانّه هوأحق منهم بذلك ، فيتصرف في ملكه كيف ما شاء ومتى أراد ، فأولى أن لا تكون يده مغلولة ،ولانصّ فاته محجورة كما زعمته اليهود المغضوبة.

بل يداه مبسوطتان وهو كل يوم في شأن ، و أن لا تسلبه مستودعات قضائه و مستطرات ألواحه شيئاً من حرّيّة إختياره و إطلاق مشيّته ، بل تكون هي نظراً إلى حسب الاقتضاءات والأغلبية، فانّه هو رابط الأسباب بالمسبّبات ،والعلل بالمعلولات ، فلو شاء في مقام أن لايجعل النار مؤثّرة في الاحراق ، ولا الماء مقتضياً للرواء ولا الدواء ناجعاً من الداء كان له ذلك ، و كثيراً ما يفعله حسب الظروف التي تقتضيه و تخرجه عن نواميسه الاولى : « قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم » الأنبياء : ٦٩) و هذه المرتبة أعني السيطرة والحاكميّة للارادة والمشيّة على تلك المسجّلات هو المقام الّذي إختصّه الملك لنفسه ، و لم يطلع على شيء منه أحداً من رعيّته لاكاتب ، ولا وزير ولانديم له في ذلك .

وهو مقام الغيب وام الكتاب الذي لايغيّر ولا يبدّل ، والذي جفّ القلم ، وبه ترتبط الأسماء المخزونات المكنونات التي لم يظهرعليها أحد من خلقه ، لاملكمقرّب ولانبيّ منتجب ، ولاعبد مصطفى ، وهي التى إستأثربها في علم الغيب عنده وجعل مفاتحها لديه وحدهإذ قال : « وعنده مفاتيح الغيبلايعلمها إلاّ هو ويعلم ما في البرّ والبحروما تسقط من ورقة إلاّ يعلمها ولاحبّةفيظلمات الارض ولارطب ولايابس إلاّ في كتاب مبين » الأنعام : ٥٩)

وهذا الكتاب المبين الذي هو مجموع لوحي الإجمال والتفصيل هومظهر تنزّلات البداء ، وتغيّرات ما يتجلى فيه لمطالعيه من المقرّبين وذوي الكرامة أمّا مباديء البداء فهي تنشاء من ذلك الكتاب المخزون المغلق بمفاتيح الغيب.وأقفال العلم المصون التي لاسبيل لأحد إلىٰ إستطلاع ماورائها ، ومن هنا مقام الخوف والفزع ، والحزن والجزع ، والرهبة والرغبة التي تلازم المقرّبين ، وملازمي الحضرة ، فانّهم وإن وجدوا في ألواح الكتاب المبين ، انّهم من الأولياءالذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ولكن لايعلمون ما خبألهم الغيب وراء أستاره من التقلّبات ، والمحوو الاثبات المنبعثة من الارادة الحرّة والمشيّة المطلقة ، فهم على أبواب حصونها المنيعة ، ضارعون خاشعون خائفون فزعون ، يرصدون أن لايلمّ بخواطرهم وظواهرهم من الخطأ مايتخطّى بنظر العنايةعنهم، فتزلّ بهم مزالق التوفيق إلى حيث لايعلمون .

إذا عرفت جهات التطبيق والموازنة في هذا المثل الجلي ، فليكن الملك هو مالك الملكوعزيمته على وضع النواميس لصالح من في قبضته هي العناية الاولى والكاتب بين يديه هو القلم الأعلى واللوح الذي رسم فيه الكلّيّاتوسلسلة الأسباب والمسبّبات هو لوح القضاء والاخر الذي قدّر ، وفصّل فيه الاختصاصات، وأعيان الموجودات ومجاري الكائنات هو لوح القدر لوح المحوو لوح الاثبات .

فهيهنا امور ثلاثة:

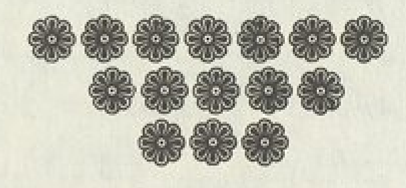
أحدها ـ العناية الاولى . ثانيها ـ القضاء . ثالثها ـ القدر .

أما العناية الاولى : فهي عبارة عن إحاطة علم الله جلّ وعلا بالكلّ إحاطة كلّيّة تامّة في مقام الكشف التفصيلي ، محيطة بالقضاء ومشتملة عليه كما أنّ القضاء مشتمل على القدر، والقدرمحيط بالواقع مشتمل عليه .

وأماالقضاء: فهو عبارة عن ثبوت صور جميع الأشياء على وجه كلّيّ في مجرّد يسمّى بالعالم العقلي ، وعالم القوّة والقدرة ،وجبر نقصانات إمكانها ، و إمكانات مادونها بما تفيضه من فيضان الحق عليها من الكمالات، وباعتبار هذا الجبر والقاهرية تسمّى بعالم الجبروت ، و هي صورة جبّاريّته عزّ وجلّ و معلوم أنّ تلك الحقائق و الكمالات الفائضة منها ، لولم تكن ثابتة فيها حاصلة لها لم يمكن فيضانها عنها ، فاذاً تلك الحقائق الإمكانية بأعيانها و كمالاتها منتقشة فيها ، و هذا النقش و الارتسام هوصورة القضاء الإلهي ، و محلّه عالم الجبروت وام الكتاب و اللوح المحفوظ الّذي رسم القلم الأعلى و العقل الأوّل فيه تلك النواميس ، و عنه يفيض إلينا كل مانصيبه من الحقائق و العلوم الصحيحة ، فمحلّ القضاء هو العالم الروحاني بجوهره المجرّد .

وأماالقدر : فهو عبارة عن حصول صور الموجودات على وجه جزئيّ في مجرّد يسمّى بالعالم النفسي أعني مايرتبط بعض الارتباط بالمادّة ، فلايكون مجرّداً عنها بتّاً كالقضاء ، و لكن ذلك الحصول و الارتسام مطابق لما في الخارج من الكواين المترتبة مستنداً لأسبابها ، واجبة بها ، لازمة لأوقاتها . . . و محلّ القدر هو العالم الجسماني أعني هذه الكرات المتحرّكة على مداراتها ، و النظامات المستديرة على شموسها ، و هذا العالم هوعالم الملكوت تتعاقب الحركات ، و تتلاحق الأوضاع ، فتتوالى الصور على تلك

القوى الجسمانية المعبّر عنها عند الفلاسفة بالنفوس الفلكيّة ، و يتواتر الفيض على المواد متتالية حسب إستعدادها للصور المتعاقبة ، متشخّصة مقدّرة في الأجرام الشخصية ، و إرتسام تلك الصور هو طبق عالم القدر، و فيه يتحقّق المحو و الاثبات ويتبعها الكون والفساد في الجسمانيّات والطبيعيّات من خلع أو لبس .



﴿النهى عن الكلام فى القدر﴾

و قد وردت روايات عديدة في النهي عن الكلام في القدر حيث ان أكثر الناس لا يستطيعون أن يخوضوا فيه لقلة بضاعتهم العلمية والمعرفة ، كيف لا و هم لا يميزون إقدار الانسان على الكفر و الايمان من تقدير الكفر والايمان على الكافر و المؤمن ، لأن سبحانه الله أقدر الانسان على الايمان والكفر، على الهدى والضلالة ، على الحق و الباطل ، على الخير و الشر على السعادة و الشقاء ، على الطاعة و المعصية على الصلاح و الفساد ، على الفلاح و الخسران ، على الصدق و الكذب ، وعلى الأمانة و الخيانة ... وأمره بالاولى وحسنها بالوحي ورضاها عنه و أبلغها إليه بأنبيائه عليهم السلام ، و نهاه عن الثانية ، و قبحها في كتابه ، ولم يرضها عنه ، وحذره عنها برسله عليهم السلام ، فالانسان مختار فيهما من غير إجبار ولا إكراه في أحدهما ، فما قدرهما الله سبحانه عليه .

قال الله عز وجل : « إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » الانسان : ٢ـ٣)

و قال : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » الكهف : ٢٩)

و قال : « ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم » الزمر : ٧)

فى البحار : ـ في حديث ـ : « فقام إليه ـ إلى أمير المؤمنين عليه السلام ـ رجل ممن شهد وقعة الجمل ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أخبرنا عن القدر فقال : بحر عميق فلا تلجه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أخبرنا عن القدر فقال : بيت مظلم فلا تدخله ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أخبرنا عن القدر فقال : سر الله فلا تبحث عنه فقال : يا أمير المؤمنين ! أخبرنا عن القدر فقال : لما أبيت فانه أمر بين أمرين لا جبر ولا

تفويض ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّ فلاناً يقول بالاستطاعة و هو حاضر فقال عليّ عليه السلام : عليّ به فأقاموه فلمّا رآه قال له : الاستطاعة تملكها مع الله أو من دون الله؟ و إيّاك أن تقول : واحدة منهما فترتدّ فقال : و ما أقول : يا أمير المؤمنين ؟ قال : قل : املكها بالله الّذي أنشأ ملكتها .

و في نهج البلاغه : قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام - وقد سئل عن القدر - : «طريق مظلم فلا تسلكوه ثم سئل ثانياً، فقال : بحر عميق فلا تلجوه ثم سئل ثالثاً ، فقال : سرّ الله فلا تتكلّفوه »

وفي الشرح : قال إبن أبي الحديد : قد جاء في الخبر المرفوع : القدر سرّ الله في الأرض .

و روى : سرّ الله في عباده .

والمراد نهي المستضعفين عن الخوض في إرادة الكائنات ، و في خلق أعمال العباد فانّه ربّما أفضى بهم القول بالجبر لما في ذلك من الغموض ، وذلك انّ العاميّ إذا سمع قول القائل : كيف يجوز أن يقع في عالمه مايكرهه ، و كيف يجوز أن تغلب إرادة المخلوق إرادة الخالق ؟ و يقول أيضاً : إذا علم في القدم أنّ زيداً يكفر فكيف لزيد ان لايكفر و هل يمكن أن يقع خلاف ما علمه الله تعالى في القدم إشتبه عليه الأمر ، وصار شبهة في نفسه و قوى في ظنّه مذهب المجبّرة فنهى عليه السلام هؤلاء عن الخوض في هذا النحو من البحث ، و لم ينه غيرهم من ذوي العقول الكاملة و الرياضة القوية والملكة التامّة ومن له قدرة على حلّ الشبه والتقصّي عن المشكلات ...

فان قلت: فانكم تقولون : إنّ العامي والمستضعف يجب عليهما النظر ؟

قلت : نعم إلّا انّه لابدّ لهما من موقف بعد اعمالها ينتهي إليه جهدهما من النظر بحيث يرشدهما إلى الصواب و النهي ، إنّما هو لمن يستبدّ من ضعفاء العامة بنفسه في النظر ولا يبحث مع غيره ليرشده .

و انّ الأخبار الواردة في النهي عن الكلام في القضاء والقدر تحتمل وجهين:

أحدهما ـ أن يكون النهي خاصاً بقوم كان تكلّمهم فيهما يفسد عقيدتهم و يضلّهم عن الدين و يقعوا في الفواحش والمعاصى ... فينبغي الامساك عنه وترك الخوض فيه ، فلا يكون النهي عنه عاماً لكافة الناس إذ قد يصلح بعض الناس بما يفسد به آخرون والعكس ، فدبّر الأئمة أهل بيت النبوّة صلوات الله عليهم أجمعين شيعتهم في الدين بحسب ماعلموه من مصالحهم فيه .

ثانيهما ـ أن يكون النهي عن تفصيل هذه الامور والدخول في الدقائق التي لادليل عليها، ولا حجّة على وجه يؤدّي إلى إثارة الشبهة والشك ، فلا يجوز الكلام فيما خلقه الله عزّ وجلّ وعن علله و أسبابه ، وعمّا أمر به و تعبد لأنّ الله تعالى سترها عن أكثر خلقه ، فلايجوز أن يقول : لم خلق كذا و كذا حتّى يعدّ المخلوقات كلها ، و يحصيها و أن يقول : لم أمر كذا أو تعبد بكذا و نهى عن كذا ، و إن كان قد يجب أن يعلم مجملاً ، انّ الله تعالى لا يفعل بعباده إلّا ماينفعهم ، و انّه عزّ وجلّ لم يخلق شيئاً عبثاً ، وإنما خلق كلّ شيء لحكمة ومصلحة دلّ على ذلك العقل والسمع ...

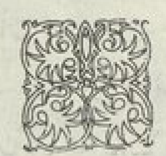
إذ قال الله تعالى : «وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما لاعبين» الأنبياء:١٦)

وقال :«أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً» المؤمنون : ١١٥)

وقال : « إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر » القمر:٤٩)

وقد يصحّ أن يكون الله جلّ و علا خلق حيواناً بعينه لعلمه بأنّه يؤمن عند خلقه كفّار أو يتوب عند ذلك فسّاق ، أو ينتفع به مؤمنون أو يتّعظ به ظالمون أو ينفع المخلوق لنفسه بذلك ، أو يكون عبرة لواحد في الأرض أو في السماء ، و ذلك مغيب عنّا ، وان قطعنا في الجملة ان جميع ما صنعه الله تعالى إنّما صنعه لأغراض حكميّة ولم يصنعه عبثاً ، و كذلك يجوز أن يكون تعبدنا بالصلاة لأنها تقربنا من طاعته ، و تبعدنا عن معصيته، و تكون العبادة بها لطفاً لكافّة المتعبدين

بها أولبعضهم ، فلمّا خفيت هذه الوجوه و كانت مستورة عنّا ، و لم يقع دليل على التفصيل فيها ، وإن كان العلم بأنّها حكمة في الجملة كان النهي عن الكلام في القضاء والقدر ، إنّما هو نهي عن طلب علل لها مفصلة ، فلم يكن نهياً عن الكلام في معنى القضاء و القدر ، وإلّا كان ذلك منعاً من بيان الحق و الباطل، و الخير و الشر ، و الهدى و الضلالة ... إذا كان قصد البحث الوصول إلى الحق على جهة التعلّم و التعرّف لما جائت به الشريعة ، ثم الايمان بالقدر بعد معرفته على الوجه المشروع، فلا يمكن تصور النهي عنه .



﴿ الدعاء و رد القدر ﴾

ومن المعلوم: أنّ البداء من خصائص عقائد الشيعة الامامية الحقّة الإثنى عشرية، بمعنى أن المصير قد يتبدّل بتبدّل عوامله وأسبابه، و أنّ ما كان يبدو بحسب الظاهر خالداً قطعياً يتغيّر بتغيير أعمال الانسان وأفعاله وسيرته ...

فكما أنّ العوامل المادّية تؤثّر في مصير الانسان أحياناً، كذلك قد تؤثّر فيه عوامل معنوية أيضاً، فمن الممكن أن تبدى لنا هذه العوامل المعنوية ما كان خلف الستار خلاف المجارى الظاهرة للامور و الحقيقة أن يبدو لنا أمر جديد من طريق تغيّر الأسباب و الشروط، فينتهي دور حكمة الأمر الأوّل بحدوث مصالح الأمر الثاني كما في النسخ، و كما ليس نسخ القوانين السابقة باللاحقة دليلاً على جهل، أو ندم المشرّع بل إنّما هو كاشف عن إنتهاء حكم التشريعات السابقة، كذلك البداء في التكوين.

و يخطىء من يقول في معنى البداء: أن الأمر كان مخفيّاً على الله جل وعلا ثم ظهر فغيّره الله تعالى! إذ أن عقيدة كهذه تتنافى مع علم الله سبحانه الشامل، ولا يمكن لمسلم أن يقبل بذلك.

و قد وردت روايات عديدة في ردّ القدر بالتوبة و الدعاء و صالح العمل، وذلك فيما يقدّر في ليلة القدر في كلّ سنة، الواقع في ظرف السنة كمن قدّر عليه الموت فيها بسبب الظلم والعصيان، والحسد والطغيان، وما إليها من المعاصي و السيّئات ... فيتوب و يؤدّي حق المظلوم ويسترضي ويعمل عملاً صالحاً أو يذكر

الله جلّ وعلا كثيراً، فيردّ ماقدّر عليه فيها كماأنّ الذنب قديوجب حرمان المقدر وسلب التوفيق لصالح الأعمال ...

فى الدر المنثور: عن علي بن أبيطالب عليه السلام انّه قال :« انّ الحذر لا يردّ القدر وانّ الدعاء يردّ القدر وذلك في كتاب الله تعالى: «إلاقوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا » يونس :٩٨)

و فى شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد -في الحكم المنسوبة إلى أمير-المؤمنين علي عليه السلام - قال: « انّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، ولا يردّ القدر إلّا الدعاء ولا يزيد في العمر إلّا البرّ »

أقول: رواه المجلسي في البحار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

انّ الدعاء من العوامل المعنوية التي لاينبغي التقليل من أهميتها ، إنّ الله عزّ وجل عالم بأسرار الامور وبواطنها، إلّا أنّ دعاء العبد ربه تعالى في عالم الروح و المعنى وعلاقة العبد بربه كنظام العمل في علاقة الانسان بالطبيعة ، وفي كل لحظة تبدو في الطبيعة ظواهر جديدة كانت لها عوامل سابقة ، وفي قسم كبير من عالم الوجود يؤثّر الدعاء أثره العميق ، فكما جعل الله عزّ وجلّ لكل عنصر من عناصر الطبيعة دوراً في نظام العلّيّة كذلك جعل للدعاء دوراً في الطبيعة ، فعلى الانسان حينما يقع في محاصرة المشكلات أن لايتّجه إلى اليأس والقنوط : « قل ياعبادي الّذين أسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله » الزمر : ٥٣) فان أبواب الرحمة الالهية لاتغلق على وجه أحد أبداً ، و لربّما جاء غداً بوضع جديد من حيث لا يحتسب: « كل يوم هو في شأن » الرحمن : ٢٨) فلنفس السبب لاينبغي للانسان أن يترك السعي والعمل في أيّ موقعيّة جنباً إلى جنب مع الدعاء والابتهال ، و التضرع و التوكل على الله تعالى ، فانّ الدعاء بلا عمل كما قال الامام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام :« الداعي بلاعمل كالرامي بلاوتر » بل عليه أن يضع امنيّاته مع ربه تعالى ضمن محاولاته و مساعيه بكل إخلاص و رجاء ، ويطلب من القادر المطلق إمداده

وإعانته وتوفيقه وتسهيل أمره : ولا ريب في عون الله تعالى لعبده المؤمن إذ قال عزّ وجل : « وإذا سئلك عبادي عنّي فاني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجبوا لي و ليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون » البقرة:١٨٥)

نعم : انّ الروح لا يصل إلى أوج كماله ، و لا يستغرق في بحار السعادة إلّا حينما يجد نفسه منقطعاً عن العلل و الأسباب متصلاً بربه فحسب - من دون و قوعه في حضيض اليأس و القنوط - و هنا يرى نفسه مع ربّه و يلمس منه عناية الخاصّة .

و قد قال سيد الساجدين زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام في دعائه الّذي علّمه أباحمزة الثمالي : « اللهمّ إنّي أجد سبل المطالب إليك مشرعة ، و مناهل الرجاء إليك مترعة ، و الاستعانة بفضلك لمن أمّلك مباحة و أبواب الدعاء إليك للصارخين مفتوحة ، و أعلم أنك للراجين بموضع إجابة ، و للملهوفين بمرصد إغاثة »

و فى زيارت امين الله - : « اللهم إنّ قلوب المخبتين إليك والهة ، و سبل الراغبين إليك شارعة ، وأعلام القاصدين إليك واضحة - و جوائز السائلين عندك موفّرة ، و عوائد المزيد متواترة و موائد المستطعمين معدّة و مناهل الظمآء مترعة ... » الدعاء . وللدعاء تأثير في نفس القضاء والقدر كما انّ للذنب تأثيراً فيهما إليهما أشار أئمتنا المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين :

فى الكافى : باسناده عن عبدالله بن جندب عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قل : «اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك ، و أسعدني بتقواك و لا تشقني بنشطي لمعاصيك و خر لي في قضائك وبارك لي في قدرك ، حتّى لا احبّ تأخير ماعجّلت ولا تعجيل ما أخّرت ، و اجعل غناي في نفسي و متّعني بسمعي و بصري ، و اجعلهما الوارثين منّي و انصرني على من ظلمني ، وأرني فيه قدرتك يا ربّ و أقرّ بذلك عيني »

و فيه : باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام سمعته يقول : انّه ما من سنة أقلّ مطراً من سنة ، ولكن الله يضعه حيث يشاء انّ الله عزّ وجلّ إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدّر لهم من المطر في تلك السنة إلى غيرهم وإلى الفيافي و البحار والجبال وانّ الله ليعذب الجعل في جحرها بحبس المطر عن الأرض التي هي بمحلّها بخطايا من بحضرتها، وقد جعل الله لها السبيل في مسلك سوى محلّة أهل المعاصي قال : ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام فاعتبروا يا اولي الأبصار .

وفيه: باسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ العبد ليذنب الذنب فيزوي عنه الرزق .

قوله عليه السلام : «فيزوي» أي يقبض فقد يكون تقتير الرزق بسبب الذنب عقوبة أو لتكفير ذنبه، وليس هذا كليّاً ،بل هو بالنسبة إلى غير المستدرجين ، فانّ كثيراً من أصحاب الكبائر والكفر يوسع عليهم رزقهم .

وفيه: باسناده عن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: انّ الرجل ليذنب الذنب، فيدرأ عنه الرزق وتلا هذه الآية :«إذ أقسموا ليصرمنّها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون » القلم :١٧-١٩)

وفيه: باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : انّ العبد يسئل الله الحاجة فيكون من شأنه قضائها إلى أجل قريب أو إلى وقت بطيء ،فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك وتعالى : للملك لاتقض حاجته واحرمه إيّاها، فانّه تعرّض لسخطي واستوجب الحرمان منّي .

وفيه: باسناده عن إبن فضّال عن أبي عبدالله عليه السلام : إنّ الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل ، وانّ العمل السيّيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم .

وفيه: باسناده عن أبي عمرو المدائني عن أبي عبدالله عليه السلام قال :سمعته يقول : كان أبي عليه السلام يقول : إنّ الله قضى قضاء حتماً ألاّ ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إيّاه حتّى يحدث العبد ذنباً يستحقّ بذلك النقمة .

و فى أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام قال: كاد الفقر أن يكون كفراً وكان الحسد أن يغلب القدر.

و في حديث: قال الامام الصادق عليه السلام: «من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال، ومن يعيش بالاحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار».

و في حديث: قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «موت الانسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبرّ أكثر من حياته بالعمر»

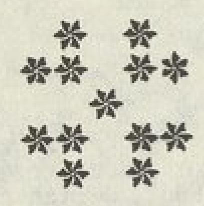
وفي رواية: قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «توقّوا الذنوب فما من بليّة ولا نقص رزق إلّا بذنب حتّى الخدش و الكبوة و المصيبة قال الله عزّ وجلّ: «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير»

أجل: إن أثر الدعاء و بركته هي التي وهبت لزكريّا يحيى عليهما السلام، و انّ الابتهال و التوبة إلى الله جلّ وعلا هي التي أنقذت يونس بن متى و قومه من الهلكة والعذاب و إنّ القوانين التي أجراها الله تعالى في نظام الموجودات في هذا العالم لاتحدّد قدرته سبحانه، ولا تشلّ شمولها وعموميّتها، فكما كانت له الخيرة في ايجادها كذلك له الخيار في إستمرارها أو تغييرها و محوها أو إثباتها: «يمحو الله ما يشاء و يثبت» وليس مغلول اليدين أمام ما وضع هو من قوانين و مظاهر مخلوقه، ولكن ليس معنى قدرة الله جلّ وعلا على تبديل بعض ظواهر الطبيعة في كلّ لحظة، أنّه سبحانه يخرق مقرّراته التي أثبتها هو في نظام العالم، وأنّه يقلب القوانين والسنن والاصول، بل إنّ نفس ذلك التغيير و التبديل أيضاً يتّبع اصولاً و موازين اخرى لاندركها أحياناً، و إنّ حساب الاحتمالات و بعد النظر فيها تمنع الانسان عن التنبّوء القطعي بالحوادث وفق مجاري الطبيعة و اصولها في أيّ زمان.

إنما نعلمه إنّما هو صورة من مظاهر الطبيعة في بعض أبعادها وليس كلّها، وهي قاصرة عن درك الأجزاء و العلاقات و كيفياتها و مقاديرها. و لا تدخل كل إمكاناتها و ضروراتها في حدود ما نعي و ندرك، و انّ دعوى معرفتها و إظهار

النظريّات الحتمية بشأن المسائل الطبيعية المعقّدة و أبعادها المختلفة ، و نظام الوجود العظيم ، إنما هي مجر د دعوى بلادليل .

مهماكانت نظرياتنا بشأن الحياة ، فليس في علم الله تعالى أيضاً كذلك كي يؤدّى التغيير فيه إلى الاختلاف في علم الله تعالى أيضاً ، بل إن كان الاجراء والشئون لهذا الجهاز الوجودي العظيم من الأزل إلى الأبد ، و مجموعة الحوادث المتحقّقة ، و التى ستتحقق لا تشكّل أيّ تبدل أو تغيير في علم الله عزّ وجلّ الأزليّ أقلّ تغير أو تبدّل .



﴿ القدرية وترجمتهم ﴾

وقد اختلفت كلمات الباحثين قديماً وحديثاً في ترجمة القدرية إختلافاً كثيراً، فجدير لنا أن نذكرها ونحن على جناح الإختصار، ثم نورد بعض ما ورد فيهم من الأخبار :

في شرح المقاصد : « لاخلاف في ذمّ القدرية ، و قد ورد في صحاح الأحاديث : لعن الله القدرية على لسان سبعين نبيّاً والمراد بهم القائلون بنفي كون الخير و الشر كلّه بتقدير الله ومشيّته ، سمّوا بذلك لمبالغتهم في نفيه.

وفيه: وقيل : القدرية هم المعتزلة لاسناد أفعالهم إلى قدرتهم .

وفي مجمع البحرين: القدرية وهم المنسوبون إلى القدر و يزعمون أنّ كل عبد خالق فعله ولايرون المعاصي و الكفر بتقدير الله و مشيّته ، فنسبوا الى القدر لأنّه بدعتهم و ضلالتهم .

وقيل : القدرية هم الذين يقولون : لايكون ماشاء الله ، و يكون ماشاء إبليس .

وفي لسان العرب : القدرية قوم يجحدون القدر .

وفي التهذيب: و القدرية قوم ينسبون إلى التكذيب بما قدّر الله من الأشياء .

وقال بعض متكلميهم : لايلزمنا هذا اللقب لأنّا ننفي القدر عن الله عزّ وجلّ ، ومن أثبته فهو أولى به ، قال : و هذا تمويه منهم لأنّهم يثبتون القدر

لأنفسهم ولذلك سموا قدرية .

وفى لسان العرب وشرح القاموس : و قول أهل السنّة : ان علم الله سبق في البشر فعلم كفر من كفر منهم كما علم ايمان من آمن ، فأثبت علمه السابق في الخلق و كتبه ، و كل ميسّر لما خلق له و كتب عليه . و قال أبو منصور : و تقدير الله الخلق : تيسيره كلاً منهم لما علم أنهم صائرون إليه من السعادة و الشقاء و ذلك أنّه علم منهم قبل خلقه إيّاهم ، فكتب علمه الأزلي السابق فيهم.

وفى تعريفات الجرجانى: القدرية هم الّذين يزعمون أنّ كل عبد خالق لفعله ، و لايرون الكفر و المعاصي بتقدير الله تعالى . وقالوا : إنّا خلقنا وملكنا أمرنا و كفّ عنّا مشيّته .

وفى شرح المواقف : إعلم أنّ قضاء الله عند الأشاعرة هو إرادته الأزليّة المتعلّقة بالأشياء على ماهي عليه فيما لايزال وقدره ايجاده إيّاها على وجه مخصوص و تقدير معيّن في ذواتها و أحوالها . . . و أمّا عند الفلاسفة فالقضاء عبارة عن علمه بما ينبغي أن يكون عليه الوجود حتّى يكون على أحسن النظام و أكمل الانتظام و هو المسمّى عندهم بالعناية الّتي هي مبدأ الفيضان الموجودات من حيث جملتها على أحسن الوجوه و أكملها ، و القدر عبارة عن خروجها إلى الوجود العيني بأسبابها على الوجه الّذي تقرّر في القضاء ، و المعتزلة ينكرون القضاء و القدر في الأفعال الإختيارية الصادرة عن العباد و يثبتون علمه تعالى بهذه الأفعال ، و لايسندون وجودها إلى ذلك العلم بل إلى إختيار العبد و قدرتهم .

أقول: إنّ مسئلة القضاء والقدر من أقدم الأبحاث في تاريخ الاسلام ، إشتغل به المسلمون في أوائل إنتشار الدعوة الاسلاميّة و تصادفها مع أنظار الباحثين من علماء الملل و الأديان ، و لمّا كان تعلّق القضاء الحتم بالحوادث ، و من بينها بالأفعال الاختيارية من الانسان يوجب بحسب الأنظار العامية

الساذجة إرتفاع تأثير الارادة في الفعل و كون الانسان مجبوراً في فعله غير مختار، تشعّب جماعة الباحثين (وهم قليل البضاعة في العلم و الادراك) على فرقتين:

احداهما ـ المجبرة و هم الذين زعموا أن تعلق الارادة الحتمية الالهية بالافعال كسائر الأشياء و هو القدر، و قالوا : إنّ الانسان مجبور غير مختار في أفعاله و أقواله و حركاته ، و الأفعال مخلوقة لله تعالى ، و كذا أفعال سائر الأسباب التكوينية مخلوقة لله جل وعلا .

ثانيتهما ـ المفوّضة، وهم يقولون باختيارية الأفعال و ينفون تعلّق الارادة الالهية بالأفعال الانسانية ، و يستنتجون بأنّها مخلوقة للانسان ، ثم فرع كل من الطائفتين على قولهم فروعاً و لم يزالوا على ذلك حتّى تراكمت هناك أقوال و آراء يشمئزّ منها العقل السليم ، كارتفاع العلّيّة بين الأشياء و خلق المعاصي و الارادة الجزافية و وجود الواسطة بين النفي و الاثبات ، و كون العالم غير محتاج في بقائه إلى الصانع إلى غير ذلك من هو ساتهم . . .

و الأصل في جميع ذلك عدم تفقههم في فهم تعلق الارادة الالهية بالأفعال و غيرها أوّلاً و عدم إدراكهم ما بين إقدار الانسان على الكفر و الايمان ، و بين تقدير الكفر و الايمان عليه من الفرق ثانياً، حيث انّ الله تعالى جعل الانسان قادراً على الكفر و الايمان ، و لم يقدّرهما عليه .

في تاريخ الخلفاء للسيوطي ـ ص ٦٥ ـ عن عبدالله بن عمر قال : جاء رجل إلى أبي بكر فقال : أرأيت الزنا بقدر؟ قال : فانّ الله قدّره عليّ ثم يعذّبني ؟ قال : نعم يابن اللخناء أما و الله لو كان عندي إنسان أمرت أن يجأ أنفك.

قول أبي بكر: « يابن اللخناء » سبّ على السائل ، و « أن يجأ » وجأ عنقه: ضربه ، و وجأه : رضّه ودقّه .

أترى أبا بكر عرف معنى القدر الصحيح ؟ من إعطاء القدرة على الفعل والترك، مع تعريف الخير و الشر و تبيان عاقبة الأوّل و مغبّة الأخير:« إنّا هديناه

السبيل إمّا شاكراً و إمّا كفوراً » الانسان : ٣)« وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر » الكهف : ٢٩)« و من يشكر فانّما يشكر لنفسه و من كفر فان الله غني حميد » لقمان : ١٢) « إنّا هديناه النجدين » البلد : ١٠) « و لا يرضى لعباده الكفر و إن تشكروا يرضه لكم » الزمر : ٧)

كل ذلك مع تكافؤ العقل و الشهوة في الانسان ، مع خلق عوامل النجاح تجاه النفس الأمّارة بالسوء ، فمن عامل بالطاعة بحسن إختياره ، و من مقترف للمعصية بسوء الخيرة « قد جائكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه و من عمي فعليها » الانعام : ١٠٤) « فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات » فاطر : ٣٣)

هل عرف أبو بكر معنى القدر فأجاب ما أجاب ؟ لكن السائل لم يفهم ما أراده فانتقده بما انتقد ، غير أنّه لو كان يريد ذلك لما جا به المنتقد بالسباب المقذع و التمنّي بأن يكون عنده من يجأ أنفه قبل بيان المراد فيفيىء الرجل إلى الحق أم لم يعرف من القدر إلّا ما ارتفعت به عقيرة جماهير من أتباعه من القول بخلق الأعمال ؟ فيتّجه إذاً ما قاله المنتقد سبّه أبا بكر أو لم يسبّه .

و الّذي يؤثر عن إبنته عائشة هو الجنوح إلى المعنى الثاني يوم اعتذرت عن إبراز عنادها و خروجها على مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام و تبرجها عن خدرها المضروب لها تبرّج الجاهليّة الاولى بعد أن ليمت على ذلك: بأنّها كانت قدراً مقدوراً، وللقدر أسباب . كما أخرجه الخطيب البغدادي باسناده في (تاريخه ج ١ص ١٦٠)

ولا يخفى على القاريء الخبير: انّ البحث عن القضاء و القدر كان في أوّل الأمر مسئلة واحدة ثم تحوّلت ثلاث مسائل أصليّة :

الاولى: مسئلة القضاء و هو تعلّق الارادة الالهية الحتميّة بكل شيء ، والأخبار تقضي فيها بالاثبات كما مرّ في الابواب السابقة .

الثانية : مسئلة القدر و هو ثبوت تأثير ماله جل و علا في الأفعال ، و الأخبار تدل فيها أيضاً على الاثبات .

و الثالثة: مسئلة الجبر و التفويض ، و الأخبار تشير فيهما إلى نفي كلا القولين ، و تثبت قولاً ثالثاً وهو الأمر بين الأمرين ، لا ملكاً لله سبحانه فقط من غير ملك الانسان ولا بالعكس، بل ملكاً في طول ملك، و سلطنة في ظرف سلطنة .

و ينبغي لنا أن نضرب هيهنا مثلاً نشير به إلى خطأ الفرقتين ، و إلى الصواب الّذي غفلوا عنه و هو : إنّنا إذا فرضنا إنساناً اوتى سعة من المال و المتاع و الدار و العبيد و الاماء ثم اختار واحداً من عبيده و زوّجه إحدي جواريه و أعطاه من الدار و الأثاث ما يرفع حوائجه المنزلية ، و من المال و الضياع ما يسترزق به في حياته بالكسب والتعمير .

فان قلنا: إنّ هذا الاعطاء لا يؤثّر في تملك العبد شيئاً، والمولى هو المالك، وملكه بجميع ما أعطاه قبل الاعطاء و بعده على السواء كان ذلك قول المجبرة .

و ان قلنا: إنّ العبد صار مالكاً و حيداً بعد الاعطاء و بطل به ملك المولى، وإنّما الأمر بيد العبد يفعل ما يشاء في ملكه و يحكم ما يريد كان ذلك قول المفوّضة .

و ان قلنا : ان العبد يتملك ما و هبه له المولى في ظرف ملك المولى و في طوله لا في عرضه ، فالمولى هو المالك الأصلي ، و الّذي للعبد ملك في ملك، كما أنّ الكتابة فعل إختياري منسوب إلى اليد وإلى نفس الانسان بحيث لا يبطل إحدي النسبتين الاخرى .

وإنّما الاخير هو الحق الّذي أشار إليه الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام - في الخبر الشامي - فقوله : « لو كان كذلك لبطل الثواب و العقاب - إلى قوله - واعطى على القليل كثير» إشارة إلى نفي مذهب الجبر بمحاذير ذكرها عليه السلام و معناها واضح . و قوله : « ولم يعص مغلوباً » إشارة إلى نفي مذهب التفويض بمحاذير اللازمة ، فانّ الانسان لو كان خالقاً لفعله كان مخالفته لما كلّفه الله جل و علا من الفعل غلبة من الانسان على الله تعالى و قوله : « ولم

يطع مكرهاً » نفي للجبر ومقابلة للجملة السابقة ،فلو كان الفعل مخلوقاً لله و هو الفاعل فقد أكره العبد على الاطاعة ، و قوله : « ولم يملك مفوّضاً » بالبناء للفاعل وصيغة إسم الفاعل نفي للتفويض أي لم يملك الله ماملكه العبد من الفعل، بتفويض الأمر إليه و إبطال ملك نفسه .

وقوله عليه السلام : « و لم يخلق السموات والارض و ما بينهما باطلاً ولم يبعث الله النبيين مبشرين و منذرين عبثاً » الجملتان تحتملان نفي كل من الجبر و التفويض تماماً ، فانّ الأفعال إذا كانت مخلوقة لله سبحانه قائمة به تعالى كان المعاد الّذي هو غاية الخلقة أمراً باطلاً لبطلان الثواب و العقاب إلى آخر ماذكره الامام عليه السلام و كان بعث الرسل لاقامة الحجّة و تقدمة القيامة عبثاً إذ لامعنى لاقامة الحجة على فعل نفسه ، و إذا كان بعث الرسل لغير ذلك فما كان للبشارة و الانذار معنى ، وإذا كانت الافعال مخلوقة للانسان و لا تأثير لله تعالى فيها لزم أن تكون الخلقة لغاية لايملك الله منها شيئاً وهو الباطل و بعث الرسل لغرض الهداية الّتي لايملكها إلّا الانسان بلاشأن لله سبحانه فيها وهو العبث .

و اعلم أنّ لفظ القدري في الأخبار يطلق على الجبري ، و على التفويضي ، وقد أحال كل من الفريقين ماورد في ذلك على الآخر ، و انّ تسمية هؤلاء الفريقين بالقدرية مأخوذة مما صحّ عن النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « انّ القدرية مجوس هذه الامة » فأخذت المجبّرة تسمّي المفوّضة بالقدرية لأنّهم ينكرون القدر و يتكلّمون عليها ، و انّ المفوّضة تسمّي المجبرة بالقدرية لأنّهم يثبتون القدر، والّذي يتحصّل من أخبار أئمتنا أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين أنّهم يسمّون كلتا الفرقتين بالقدرية ، و يطبقون الحديث النبوي عليهما أمّا المجبرة فانّهم ينسبون الخير و الشر و الطاعة و المعصية والايمان و الكفر كلها إلى غير الانسان كما أنّ المجوس قائلون بكون فاعل الخير و الشر جميعاً

غير الانسان ، و أمّا المفوّضة فلأنّهم قائلون بخالقين في العالم ، وهما الانسان بالنسبة إلى أفعاله ، و الله سبحانه بالنسبة إلى غيرها كما أنّ المجوس قائلون بإله الخير و إله الشر، و انّ الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي عليهم السلام تنفى كلا المذهبين :

فى شرح التجريد: قال أبو الحسن البصري و محمود الخوارزمي وجه تشبيهه صلى الله عليه وآله وسلم المجبّرة بالمجوس من وجوه :

أحدها- انّ المجوس إختصوا بمقالات سخيفة و اعتقادات واهية معلومة البطلان و كذلك المجبرة .

و ثانيها - انّ مذهب المجوس : انّ الله تعالى يخلق فعله، ثم يتبرّأ منه كما خلق إبليس ثم انتفى منه و كذلك المجبرة قالوا : إنّه تعالى يفعل القبائح ثم يتبرّأ منها .

و ثالثها - انّ المجوس قالوا : إنّ نكاح الأخوات و الامهات بقضاء الله وقدره و إرادته ، و وافقهم المجبرة حيث قالوا : إنّ نكاح المجوس لاخواتهم و امّهاتهم بقضاء الله وقدره وإرادته .

و رابعها - انّ المجوس قالوا : إنّ القادر على الخير لايقدر على الشر و بالعكس ، و المجبّرة قالوا إنّ القدرة موجبة للفعل غير متقدّمة عليه فالانسان القادر على الخير لايقدر على ضدّه وبالعكس .

و فى أعلام النبوة : لأبي حاتم الرازي : « و أمّا الخبر قوله : « القدر سرّ الله فلاتخوضوا فيه » و ما ادّعى من الأخبار الّتي ذكر أنّها تنفي القدر، و اخرى تنفى الاجبار ، فانّها كلّها صحيحة و من الّذي نظر في القدر فبلغ الغاية فيه حتّى قطع حجّة خصمه ؟ و من الّذي أثبت القدر؟ أو من الّذي أثبت الاجبار مع كثرة نظر الناس فيه و مجاذباتهم ، و حصلوا إلّا على الوسواس والهذيان ، و نقض بعضهم على بعض ؟ مما يدلّ على أنّ الأخبار الّتي تنفي القدر

هي صحيحة و كذلك التي تنفي الاجبار هي صحيحة .

و أهل النظر في ذلك ـ أعني القدر ـ على ثلاث طبقات : قوم أوجبوا الاجبار ، و ادّعوا أنّ أفعال العباد مخلوقة ، و أنّها بقدر و أنّ العباد مجبورون على أفعالهم ، فهؤلاء أوجبوا أنّهم أطاعوا الله و عصوه مكرهين ، فألزموا الباري الجور ، و أو جبوا أنّ الله أجبر خلقه على المعاصي ، ثم يعاقبهم عليها ، عزّ الله عن ذلك .

و الطائفة الاخرى قالوا : إنّ أفعال العباد ليست بمخلوقة ، و أنّه ليس لله فيها مشيّة و لا إرادة و لا تقدير ، فأوجبوا أنّ العباد يقدرون على فعل ما لا يريده الله و لا يقدّره ، و أنّهم عصوه و أطاعوه غالبين ، فأشركوا أنفسهم مع الله في سلطانه ، إذ كانوا يقدرون على ما لا يقدّر الله و لا يريده و سقطوه عن حكم التنزيل لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : « إنّا كل شيء خلقناه بقدر » و أفعال العباد هي شيء داخل في الكل الّذي ذكره الله أنّه خلقه بقدر ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

وقوم عرفوا الحق و العدل : فنفوا القدر و الاجبار و صحّحوا الأخبار التي أنكرها الملحد وزعم أنّها متناقضة ، وزعم أنّ منها ما ينفي القدر و منها ما ينفي الاجبار جهلاً منه بهذه المنزلة الثالثة ، و أهل الحق و العدل إقتدوا في ذلك بالصّادقين من آل الرسول عليه و عليهم السلام الّذين هم ورثة علم رسول الله صلى الله عليه وآله و صحّحوا هذه الأخبار كلّها التي تنفي القدر و الاجبار ، و قالوا : لا إجبار و لا تفويض كما قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام حين سئل فقيل له : يا ابن رسول الله : الناس مجبرون ؟ قال : الله أعدل من أن يجبر خلقه على المعاصي ، ثمّ يعاقبهم عليها ، قيل : فمفوّض إليهم ؟ قال : هو أعزّ من أن يكون لأحد في ملكه سلطان ، قالوا : فكيف هو ؟ قال : هو أمر بين أمرين : لا إجبار و لا تفويض .

فهذا هو سرّ الله الّذي من ترك القول بالعدل و الحق فيه، و سلك فيه برأيه و قياسه هلك، و هو سرّ الله الّذي اطّلع عليه أنبياءه وأوليائه، ولايوصل إلى معرفته إلّا بتوقيف منهم، و كذلك كل أمر ملتبس في الدين لايلحق إلّا بتوقيف منهم ومن لم يرجع في ذلك إلى الأصل بأخذه عنهم، و قال في ذلك برأيه وقياسه، لم يزل الدهر في إلتباس على نحو ماروى في الحديث الّذي عاب به الملحد، و ذكر أنّ هذا الحديث ينهى عن النظر، و قد ذكرنا في باب النظر مافيه كفاية لمن أنصف، و إنّما هذا الحديث ينهى عن الخوض فيما ليس في وسع المخلوقين أن يدركوه برأيهم و قياسهم، و لايعرفونه إلّا بتوقيف من العلماء البررة كما ذكرنا، الّذين هم قادة الأنام، و من قاس برأيه في مثل هذه الغوامض على غير أصل من اصولهم و ابتدع بقياسه مايعقد به الرئاسة، لايزال الدهر في إلتباس، وهذا هو القياس المنهيّ عنه »

وفي نظرية التكليف -الدكتر عبدالكريم عثمان ص ٣٧٩ ط بيروت » مالفظه : « يرى المعتزلة انّ العبد يقدر على أفعاله في نطاق ما أوجد الله فيه من قوى وملكات، و لذا لقبوا بالقدرية لأنّهم أثبتوا قدرة العبد على فعله، وقد أنكروا أن يكون معنى القضاء و القدر سلب العبد قدرته و إرادته و حرّيته، و ذهب جمهور مشائخ الأشاعرة إلى أنّ القضاء إرادة الله الأزلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص، و أنّ القدر هو تعلّق تلك الارادة بالأشياء في أوقاتها المخصوصة أي تعلق احداث و ايجاد و يعتبر هذا القول فرعاً على مذهبهم في الكسب، و بموجب هذا القول تكون أفعال العباد خيراً أو شرّاً بقدرة الله خلقها في العباد، بل انّ الأشاعرة باعتبارهم انّ القضاء و القدر أزليان و واجبان كأنّهم ينفون الاختيار عن الله في خلق الكائنات»

﴿طوائف القدرية﴾

وما يظهر من الأحاديث المأثورة في قدرة الانسان: أنّ العبد ليس قادراً تامّاً على طرفي فعله كما هو مذهب المعتزلة، وإنّما قدرته التامّة على الطرف الّذي وقع منه فقط، و أمّا على الطرف الآخر فقدرته ناقصة، و السبب في ذلك مع تساوي نسبة الاقدار و التمكين منه تعالى إلى طرفي الفعل أمر يرجع إلى نفس العبد، وهو إرادة أحد الطرفين دون الآخر لا من الله سبحانه فيلزم الجبر كما هو مذهب الأشاعرة، فالقدرة التامّة للعبد على مازعمه المعتزلة باطل، والقول بعدم القدرة على شيء من الطرفين كما أزعمه الأشعرية أظهر بطلاناً، و الحق ما بينهما و هو القدرة التامّة فيما يقع من العبد فعله، و الناقصة فيما لم يقع، و كذا القول في الإستطاعة التامّة والناقصة، و يؤيّده ما:

في الكافي: عن أبي عبد الله عليه السلام «قال: سئل عن الجبر و القدر فقال: لاجبر و لاقدر ولكن منزلة بينهما فيها الحق الّتي بينهما لايعلمها إلّا العالم أومن علّمها إيّاه العالم»

ولايخفى: انّ المراد من القدر هنا قدر العباد حيث زعمت المعتزلة أنّ العباد ماشاؤا صنعوا.

وفي الخصال: باسناده عن حريز عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل زعم أنّ الله عزّ وجلّ أجبر الناس على المعاصي فهذا قدظلم الله عزّ وجلّ في حكمه و هو كافر، و رجل يزعم أنّ الأمر مفوّض إليهم فهذا وهّن

الله في سلطانه فهو كافر ، و رجل يقول : إنّ الله عزّ وجلّ كلّف العباد ما يطيقون ولم يكلّفهم مالا يطيقون ، فاذا أحسن حمد الله و إذا أساء إستغفر الله فهذا مسلم بالغ .

وفي البحار: عن الطرائف : روى جماعة من علماء الاسلام عن نبيّهم صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : لعنت القدرية على لسان سبعين نبيّاً قيل : ومن القدريّة يارسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ؟ فقال : قوم يزعمون أنّ الله سبحانه قدّر عليهم المعاصي وعذّبهم عليها .

وفيه: عن جابر بن عبد الله عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : يكون في آخر الزمان قوم يعملون المعاصي و يقولون : إنّ الله قد قدّرها عليهم ، الرادّ عليهم كشاهر سيفه في سبيل الله .

وفي أمالي الشيخ الطوسي قدّس سرّه باسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : في قول الله تعالى : « و قالت اليهود يد الله مغلولة » فقال : كانوا يقولون : قد فرغ من الأمر .

وفي التوحيد: باسناده عن محمّد بن عجلان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : فوّض الله الأمر إلي العباد ؟ قال : الله أكرم من أن يفوّض إليهم ، قلت : فأجبر الله العباد على أفعالهم ؟ فقال : الله أعدل من أن يجبر عبداً على فعل ثم يعذّبه عليه.

وفي البحار: : عن العالم عليه السلام انّه قال : مساكين القدريّة أرادوا أن يصفوا الله عزّ وجلّ بعدله فأخرجوه من قدرته وسلطانه .

و في تفسير العياشي : انّه بعث عبد الملك بن مروان إلى عامل المدينة: ان وجّه إلى محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام و لا تهيّجه ولاتروعه و اقض له حوائجه ، و قد كان ورد على عبد الملك رجل من القدريّة ، فحضر جميع من كان بالشام فأعياهم جميعاً ، فقال : مالهذا إلاّ محمّد بن عليّ فكتب إلى صاحب المدينة أن يحمل محمّد بن عليّ إليه ، فأتاه صاحب المدينة بكتابه ، فقال أبو جعفر عليه السلام : إنّي شيخ كبير لا أقوى على الخروج و هذا جعفر إبني يقوم مقامي ، فوجّهه

إليه ، فلمّا قدم على الامـوي أزراه لصغره و كره أن يجمع بينه وبين القدريّ مخافة أن يغلبه ، و تسامع الناس بالشام بقدوم جعفر عليه السلام لمخاصمة القدرية ، فلمّا كان من الغد إجتمع الناس بخصومتهما ، فقال الأموي لأبي عبد الله عليه السلام انـه قـد أعيانا أمر هذا القدري .

وإنّما كتبت إليه لأجمع بينه و بينه فانّه لم يدع عندنا أحداً إلاّخصمه ، فقال : إنّ الله يكفيناه قال : فلمّا اجتمعوا قال القدري لأبي عبد الله عليه السلام : سل عمّا شئت ؟ فقال له : إقرأ سورةالحمدقال : فقرأها ، و قال الأموي : وانـا معهما في سورة الحمد غلبنا إنّا لله و إنا إليه راجعون ، قال : فجعل القدري يقرأ سورة الحمد حتّى بلغ قول الله تبارك وتعالى : « إيّاكنعبد و إيّاك نستعين » فقال لـه جعفر عليه السلام : قف من تستعين ؟ وماحاجتك إلى المؤونة ؟ إنّ الأمـر إليك، فبهت الّذي كفر و الله لايهدي القوم الظالمين .

وفي البحار: روى انّ الفضل بن سهل سئل الرضا عليه السلام بين يدي المأمون ، فقال : ياأبالحسن ! الخلق مجبورون ؟ فقال : الله أعدل من أن يجبرخلقه ثم يعذّبهم قال : فمطلقون ؟ قال : الله أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه .

أقول : إنّ الله سبحانـه لـم يفوّض إختيار أمرهونهيه إلى عباده و مـا أهملهم ، فلا جبرو لاتفويض ، و إنّما نقول نحن الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقة: بمنزلةبين المنزلتين بأنّ الله جلّ وعلاجعل الانسانقادراًعلى الايمانوالكفر، على الحق و الباطل ، على الهدى والضلالة ، علي الخيرو الشر ، على الصدقوالكذب و على الطاعة و المعصية . . . و ألهم أنفسنا فجورها و تقواها ، و أمرهـا بما فيه السعادة ، و نهاها عما فيه الشقاوة . . . كل ذلك للابتلاء و الامتحان و التكامل النفسي .

قال الله عزّوجلّ : « و نفس و ماسوّاها فألهمها فجورها و تقواها قدأفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها » الشمس : ٧ـ ١٠)

وقال : « ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين » البلد:٨ـ١٠)

وقال : « الذي خلق الموت والحياة ليبلو كم أيكم أحسن عملاً» الملك: ٢)

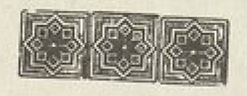
وقال : « ولنبلونّكم حتّى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم» محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٣١)

و قال : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا و هم لا يفتنون و لقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين» العنكبوت :٢ـ٣)

وفي حديث: عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنّه قال : الناس في القدر على ثلاثة منازل : من جعل العباد في الأمر مشيّة فيه ، فقد ضادّ الله ، ومن أضاف إلى الله تعالى شيئاً هو منزّه عنه فقد افترى على الله كذباً ، ورجل قال : إن رحمت فبفضل الله عليك ، وإن عذّبت فبعدل الله فذاك الذي سلم له دينه و دنياه .

ونعم ما قال السيّد محمد الباقر الحجّة الحائري :

ما فعل العبد إليه استندا	إذ منه باختياره قد وجدا
و قدرة العبد هي المؤثرة	في فعله فللعباد الخيرة
و لم تكن في فعلها مجبورة	كما به قد قضت الضرورة
فهل ترى المقعد مثل من قعد	أومن هوى من شاهق كمن صعد



«القدرية و تشبثاتهم»

و اعلم أنّ القدرية ـ على كلتا الفرقتين : الجبرية و التفويضية تشبّثوا على مذاهبهم السخيفة وهوساتهم الشيطانية بما هو أشبه بما يتشبّث به الغريق عند هلاكه، فاستدل الّذين ينسبون أفعال العباد إلى الله سبحانه قضاءً أو قدراً أو خلقاً بقول إبليس الّذي حكاه الله تعالى في القرآن الكريم :

« قال فبما أغويتني» الاعراف:١٦) و«قال ربّ بما أغويتني» الحجر :٣٩)

وهذا اللعين هو أوّل من نسب الذنب والعصيان ، والكفر والطغيان إلى الله سبحانه بعدما أبى واستكبر ، ولم يعترف بأنّ الذنب نشأ من قبل نفسه الخبيثة كما اعترف به آدم عليه السلام وزوجته إذ «قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين » الاعراف:٢٣)

فابليس هو الباني لهذا البناء الّذي سكن فيه أبو بكر ـ على ما ورد عن طريق العامة فأوردناه في الفصل السابق عن تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٥ ـ و تبعه عمر بن الخطاب واستحكم هذا البناء واستقرّ فيه على مارواه السيوطي في تفسيره « الدر المنثور ج٣ ص ١٥٠ ط ايران » مالفظه :

أخرج إبن أبي حاتم و أبو الشيخ عن عمر بن الخطاب : أنّه خطب بالجابية، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : من يهده الله فلا مضلّ له و من يضلل فلا هادي له، فقال له فتى بين يديه : « كلمة بالفارسيّة » فقال عمر لمترجم يترجم له: ما يقول:

قال : يزعم : أنّ الله لا يضلّ أحداً فقال عمر : كذبت يا عدوّ الله بل الله خلقك و هو أضلك و هو يدخلك النار إن شاء الله و لولا ولث عقد لضربت عنقك، فتفرّق الناس (الناسخ) و مايختلفون في القدر .

ثم زيّن هذا البناء الشيطاني المزيّنون من أذنابهما العامّة ومنهم :

الفخر الرازى في (تفسيره ج ١٥ ص ٦٠) فقال في قوله تعالى : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والانس » الأعراف : ١٧٩) ما لفظه : « في الآية حجّة على صحة مذهبنا في مسئلة خلق الأفعال و إرادة الكائنات من قبل الله تعالى » ثم قال : و الخامس : انّ العاقل لا يريد الكفر و الجهل الموجب لاستحقاق النار، وإنّما يريد الايمان و المعرفة الموجبة لاستحقاق الثواب و الدخول في الجنّة، فلما حصل الكفر و الجهل على خلاف قصد العبد و ضدّ جهده و إجتهاده وجب أن لا يكون حصوله من قبل العبد ، بل يجب أن يكون حصوله من قبل الله تعالى .

أقول: أكان أبو لهب يريد الايمان أم لم يكن عاقلاً ؟ وهل كان أبو جهل يريد العلم أم لم يكن عاقلاً بين الناس ففضاحة كلام الفخر بحدّ لا تحتاج إلى بيان و ايضاح .

ثم قال الفخر : في تفسيره (ص ٦٣) ما لفظه : « ان حصول النفرة والعداوة ليس باختيار العبد... وإذا ثبت هذا القول بالجبر لزوماً مالا محيص عنه.. ولا خلاص من الأعتراف بالجبر »

و منهم: الخازن البغدادي في تفسيره (لباب التأويل ج ٢ ص ٢٠٥) في الآية الكريمة : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن و الانس » الاعراف : ١٧٩) ما لفظه : في الآية دليل و حجّة واضحة لمذهب أهل السنة في أنّ الله خالق أعمال العباد جميعها : خيرها و شرّها لأنّ الله سبحانه و تعالى بيّن بصريح اللفظ انّه خلق كثيراً من الجنّ و الانس للنار و لا مزيد على بيان الله عزّ وجلّ لأنّ العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلمّا عمل بما يوجب دخول النار

به علم أنّ له من يضطرّه إلى ذلك العمل الموجب إلى دخول النار و هو الله عزّ وجلّ »

و غيرهما من مردتهما الّذين هم كلهم من مردته ، فكأنّ الآية الكريمة نزلت فيهم إذ تقول : « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها و لهم آذان لايسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضلّ اولئك هم الغافلون » الاعراف: ١٧٩)حيث انّ السياق نفسه يردّ عليهم إذتنسب الأعمال إلى أنفسهم في الآية التالية فتقول: « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها و ذروا الّذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون » الاعراف : ١٨٠)

و تجاه هؤلاء الّذين ينسبون أفعال العباد كلّها إلى الله سبحانه قوم ـ و هم المفوّضة من القدرية ـ يقولون : إنّ أفعال العباد كلها ليست بقدرة الله تعالى و قدره بل باستقلال إراده العبد بها ،و إستواء نسبة الارادتين إليه و صدور أحدهما عنه لا بموجب غير الارادة ، ذهب إليه المعتزلة ، و هم الّذين لا يقولون : بقول أهل الجنة من إسناد الهداية إلى الله تعالي ، و لا بقول أهل النار من إسناد ضلالتهم إلى شقوتهم و لا بقول إبليس من إسناد الإغواء إلى الله سبحانه

في البحار: بالاسناد عن يونس قال : قال الرضا عليه السلام : يا يونس ! لا تقول بقول القدرية ، فانّ القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة ، و لا بقول أهل النار ، و لا بقول ابليس ، فانّ أهل الجنة قالوا : « الحمدلله الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله » و لم يقولوا بقول أهل النار فانّ أهل النار قالوا : « ربنا غلبت علينا شقوتنا » و قال إبليس : « رب بما أغويتني » الحديث .

و **في تفسير القمي :** قال عليّ بن إبراهيم : و أمّا الرّدّ على المعتزلة

في القرآن فكثير وذلك انّ المعتزلة قالوا : نحن نخلق أفعالنا ، و ليس لله فيها صنع و لا مشيّة و لا إرادة و يكون مـا شاء إبليس و لا يكون مـاشاءالله و احتجّوا انهم خالقون بقول الله تعالى : « تبارك الله احسن الخالقين » فقالوا: في الخلق خالقون غيرالله فلم يعرفوا معنى الخلق وعلى كم وجه هو .



﴿ القدرية و لعنهم وعذابهم ﴾

في الخصال: باسناده عن إبن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صنفان من امّتي ليس لهما في الاسلام نصيب: المرجئة والقدرية.

أقول: إنّ المرجئة هم الّذين أخّروا الأعمال، ولم يعتقدوا بفرائض الايمان رجاءاً من عفو الله تعالى، وهم على طوائف على ماذكرناهم في المجلد الرابع والأربعين في ترجمة الفرقة المرجئة من هذا التفسير فراجع.

و انهم كانوا يقولون: لاتضرّ مع الايمان معصية كمالاتنفع مع الكفر طاعة، وانّ الإرجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يحكم عليه بأنّه أهل جنّة أو أهل نار..

وقيل: الإرجاء تأخير عليّ عليه السلام عن الدرجة الاولى إلى الرابعة.

وفي الخصال: باسناده عن عليّ بن سالم على أبيه قال: قال أبوعبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أدنى ما يخرج به الرجل من الايمان أن يجلس إلى غال، ويستمع إلى حديثه ويصدّقه على قوله، ان أبي حدّثني عن أبيه عن حدّه عليهم السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: صنفان من امّتي لانصيب لهما في الاسلام: الغلاة والقدريّة.

و في ثواب الأعمال: باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: يحشر المكذّبون بقدر الله من قبورهم قد مسخوا قردة وخنازير.

وفي تفسير ابن كثير الدمشقي: (ج٤ص٢٦٨) عن عبدالله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لكل امّة مجوس، ومجوس امّتي الّذين يقولون: لاقدر إن مرضوا

فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم .

وفي الكافي: باسناده عن أبي مسروق قال: سئلني أبو عبدالله عليه السلام عن أهل البصرة ماهم؟ فقلت: مرجئة وقدريّة وحرورية ، فقال: لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة الّتي لا تعبد الله على شيء .

وفي حديث: عن عبادة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: القدر على هذا من مات على غيره دخل النار .

و روى الخطيب البغدادى في (الكفاية في علم الرواية ،ر آباد)

عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ أخوف ما أخاف على امّتي لقدريّة والرواية عن غير عدل .

وفيه: أيضاً عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هلاك امّتي بالعصبية و القدرية والرواية عن غير ثبت .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « عن غير ثبت » أي تروي الرواية من غير ضبط أصلها وروايتها بغير لفظها .

وفي تفسير النيشابوري: في قوله تعالى: « كذلك يجعل الله الرجس » الأنعام: ١٢٥) عن القاضي أنّه قال في تفسيره : روى عن محمد بن كعب القرظي انّه قال : تذاكرنا أمر القدرية عند إبن عمر فقال : لعنت القدرية على لسان سبعين نبيّاً، فاذا كان يوم القيامة نادى مناد و قد جمع الناس بحيث يسمع الكل : « أين خصماء الله» فتقوم القدرية ، قال : ولا يخفى انّهم الّذين ينسبون أفعال العباد إلى الله قضاء و قدراً و خلقاً لأنّهم يقولون : الذنب لله ، فأيّ ذنب لنا حتّى تعاقبنا، أنت الّذي خلقته فينا ، و أردته منّا ، وقضيته علينا ، ولم تخلقنا إلّا له ، و لا يسّرت لنا غيره فهؤلاء لا بدّ أن يكونوا خصماء الله ، أمّا الّذين قالوا : إنّ الله قالوا : إنّ الله تعالى مكّن وأزاح العلّه ، و إنّما أتى العبد من قبل نفسه ، فكلامه موافق لما يعامل به من إنزال العقوبة ، فهؤلاء منقادون لله تعالى لا خصمائه . إنتهى

كلام القاضي . ثم قال النيشابوري : وتعجّب من كلام القاضي الأشاعرة .

و في ثواب الأعمال : باسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **إن** أرواح القدرية يعرضون على النار غدوّاً و عشيّاً حتى تقوم الساعة ، فاذا قامت الساعة عذّبوا مع أهل النار بألوان العذاب ، فيقولون : يا ربّنا عذّبتنا خاصّة ، و تعذّبنا عامّة فيردّ عليهم : « ذوقوا مسّ سقر إنّا كل شيء خلقناه بقدر »

و في الحديث : « لا يدخل الجنّة قدري » .

تمت سورة القدر و الحمدلله رب العالمين
وصلى الله على محمد و أهل بيته الطاهرين

سورة البيّنة

ثمانی ایات

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى
تأتيهم البينة ١ رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة ٢ فيها
كتب قيمة ٣ وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما
جاءتهم البينة ٤ وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك
دين القيمة ٥ ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار
جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية ٦ ان الذين امنوا و
عملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ٧ جزاؤهم عند
ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ٨

﴿ فضلها و خواصها ﴾

روى الصدوق رضوان‌الله تعالى عليه في ثواب الأعمال باسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : من قرأ سورة «لم يكن» كان بريئاً من الشرك ، وادخل في دين محمد صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم وبعثه‌الله عزّ وجلّ مؤمناً وحاسبه حساباً يسيراً » .

أقول: رواه الطبرسي في المجمع، والمجلسي في البحار ، والشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة ، والبحراني في البرهان ، والحويزي في نور الثقلين .

وفى الدرالمنثور : عن إسمعيل بن أبي حكيم المزني أحد بني فضيل سمعت رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم يقول: إنّ الله ليسمع قراءة : «الّذين كفروا» فيقول: أبشر عبدي ، فوعزّتي وجلالي لامكّننّ لك في الجنّة حتّى ترضى .

وفى المجمع : عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : لو يعلم الناس ما في «لم يكن» لعطلوا الأهل والمال وتعلّموها ، فقال رجل من خزاعة : ما فيها من الأجر يارسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ؟ فقال : لايقرأها منافق أبداً ولاعبد في قلبه شك في الله عزّ وجلّ والله انّ الملائكة المقربين ليقرؤونها منذ خلق الله السموات والأرض لايفترون عن قرائتها ، و ما من عبد يقرؤها بليل إلّا بعث الله ملائكة يحفظونه في دينه و دنياه و يدعون له بالمغفرة والرحمة ، فان قرأها نهاراً اعطى عليها من الثواب مثل ما أضاء عليه النهار وأظلم عليه الليل ، فقال رجل من قيس عيلان : زدنا يا رسول الله من هذا الحديث فداك أبي و امّي ! فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله تعلّموا « عمّ يتساءلون » و تعلّموا « ق والقرآن المجيد » و تعلّموا « والسماء ذات البروج »

و تعلّموا « والسماء والطارق » فانّكم لو تعلمون ما فيهن لعطلتم ما أنتم فيه ، و تعلمتموهن وتقربتم إلى الله بهن ، وان الله يغفر بهن كل ذنب إلّا الشرك بالله ، واعلموا أن « تبارك الّذي بيده الملك » تجادل عن صاحبها يوم القيامة ، وتستغفر له من الذنوب .

وفيه: ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال : و من قرأها كان يوم القيامة مع خير البرية مسافراً و مقيماً .

وفي البرهان: روى عن النبي ﷺ أنّه قال : من قرأ هذه السورة كان يوم القيامة مع خير البرية رفيقاً وصاحباً وهو علي عليه السلام وإن كتبت في إناء جديد ونظر فيها صاحب اللقوة عينيه برىء منها .

وفيه: وقال رسول الله ﷺ من كتبها على خبز رقاق وأطعمها سارق (سارقاً ظ) غصّ ويفتضح من ساعته ، ومن قرأها على خاتم باسم سارق تحرّك الخاتم .

وفيه: وقال الصّادق عليه السلام : من كتبها وعلّقها عليه وكان فيه يرقان زال عنه ، و إذا علقت على بياض بالعين والبرص و شرب ماؤها دفعه الله عنه ، و إن شربت ماؤها الحوامل نفعها وبسهلها من مشوم الطعام ، وإذا كتبت على جميع الأورام أزالها بقدرة الله تعالى .

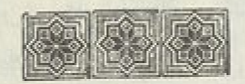
أقول: إنّ في الروايات على ما في بعضها من الضعف بيان امور ثلاثة :

أحدها - انّ لهذه السورة أثراً روحياً في قاريها ، فينقلب الكافر مؤمناً ، والمنافق مخلصاً ، و ذلك انّ من قرأها متدبراً فيما تنطوى ، ومايؤول إليه أمر الشرك والكفر والنفاق والتفرقة وإتصاف أصحابها بشرّ البرية ، و دخولهم في نار جهنم خالدين فيها ، وفيما يؤول إليه أمر كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، وصالح الأعمال ، وإتصاف صاحبيها بخير البرية ، وتنعّمهم بالنعم الاخروية ، ورضوان الله تعالى أكبر من ذلك ، فالسورة تؤثّر في قاريها أثرها الروحي بلامراء .

ثانيها - انّ لها أثراً جسمياً و ماديّاً ، وهذا الأثر هوالذي يتوقّف على

أثرها الأوّل فمن يتأثّر بأثرها الروحي ، فله شفاء بها من دون خفاء لأهلها ، كيف لا ، و قد قال الله عزّوجلّ : « و ننزّل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلاّ خساراً » الاسراء : ٨٢) ؟! .

ثالثها - انّ لقاريها جزاءحسناً ومغفرة ورحمة إلهيّة و رفاقة مع الصلحاء ويحاسب يوم القيامة حساباً يسيراً ، ولاريب لأحد من المؤمنين انّ الثالث من الامور يتعقّب على الأوّل منها ، فمن لم يتأثّر بأثرها الأوّل فليس له من الثاني والثالث منها شيء فاقرأها و تدبّر فيها جيّداً و اغتنم جدّاً .



﴿ الغرض ﴾

غرض السورة إشارة إجماليّة إلى شروط ثلاثة من شرائط الرسالة الالهيّة:

أحدها: إقتضاء الزمان أو الظرف الخاص لمجيئها بسبب نقص الأحكام الدينية، السابقة ومايحتاج إليه المجتمع الانساني في شؤونهم ...

ثانيها: أن يأتي الرسول بكتاب يرتفع به النقص، وينطوي بما يحتاج إليه المجتمع

ثالثها: أن يعرض الرسول كتابه السماوي على الناس ويتلوه عليهم.

وفي السورة تقرير لأحوال أهل الكتاب والمشركين قبل البعثة المحمّدية ﷺ، وإشارة إلى ماكانوا ينتظرونه من رسول وكتاب يتلوه عليهم، ونعي على أهل الكتاب، إذ جاءهم الرسول ﷺ ومعه الكتاب الّذي يتلوه عليهم تنازعوا وتفرّقوا إلّا قليلاً منهم، وصار الناس تجاه الدعوة على طائفين: خير البرية وشرّها.

وفي السورة بيان لدعوة الله جل وعلا وتقرير بأنها لاتتحمل مكابرة ولا إختلافاً، وتنديد بالكفار وإنذار لهم، وتنويه وبشرى للمؤمنين، وفيها إشارة إجمالية اخرى إلى تعميم رسالة محمّد ﷺ لكافّة الناس من أهل الكتاب والمشركين من العرب والعجم، وإلى ختميّة الرسالة المحمّدية لمجيئه بكتاب ينطوي بكل مايحتاج إليه البشر في جميع شؤون حياته في كل وقت ومكان إلى يوم القيامة.

«النزول»

سورة «البيّنة» مدنيّة نزلت بعد سورة «الطلاق» وقبل سورة «الحشر» وهي السورة الواحدة والمأة نزولاً، والثامنة والتسعون مصحفاً.

وتشتمل على ثمان آيات، سبقت عليها (٥٧٣٩) آية نزولاً، و(٦١٣٠) آية مصحفاً على التحقيق.

وهي مشتملة على (٩٤) كلمة، وقيل: (٧٤) كلمة، و(٣٩٠) حرفاً، وقيل: (٣٩٦) حرفاً، وقيل: (٣٩٩) حرفاً على مافي بعض التفاسير.

ولها ثمانية أسماء: ١- سورة «البيّنة» وهي الأشهر ٢- سورة «لم يكن» ٣- سورة «البريّة» ٤- سورة «القيّمة» ٥- سورة «البلد» ٦- سورة «القيامة» ٧- سورة «المنفكين» ٨- سورة «المشركين» ولكل وجه لا يخفى على القارى الخبير:

فى الدر المنثور: عن جابر بن عبدالله قال: كنّا عند النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فأقبل عليّ عليه السلام فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: و الّذي نفسي بيده انّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة ونزلت: «انّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البريّة» فكان اصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا أقبل عليّ عليه السلام قالوا: جاء خير البريّة.

أقول: رواه الشوكاني في تفسيره (فتح القدير)

وروى أبو إسحق الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل) وأبو إبراهيم الاصبهاني في كتاب (مانزل من القرآن فى علي عليه السلام) وأبو بكر الشيرازي فى كتاب (نزول القرآن فى شأن أمير المؤمنين عليه السلام) كما فى (كفاية الخصام ص ٤٢٠ ط طهران) وغيرهم: «انّ قوله

تعالى: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» نزل في علي ﷺ وشيعته.

وفي كنز الفوائد: باسناده عن الحارث قال: قال علي ﷺ: نحن أهل بيت لا يقاس بنا ناس، فقام رجل فأتى عبدالله بن عبّاس، فأخبره بذلك فقال إبن عباس: عليّ أوليس كالنّبي ﷺ للقياس بالناس؟ فقال إبن عباس: نزلت هذه الآية في علي ﷺ: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية»

أقول: قوله: «علي أوليس كالنّبي ﷺ للقياس بالناس» أي فكما أنّ الرسول ﷺ لا يقاس بالناس فكذلك علي ﷺ.

وفي البحار: عن الشعبي: انّ رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله علّمني شيئاً ينفعني الله به قال: عليك بالمعروف، فانّه ينفعك في عاجل دنياك وآخرتك إذ أقبل علي ﷺ فقال: يا رسول الله فاطمة تدعوك قال: نعم فقال الرجل: من هذا يا رسول الله؟ قال: هذا من الّذين قال الله فيهم: «إنّ الّذين آمنوا عملوا الصالحات اولئك هم خير البرية»

وفي الطرائف: إبن مردويه باسناده عن إبن عبّاس قال: نزلت هذه الآية في علي ﷺ.

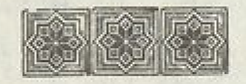
وفي كنز الفوائد: باسناده عن أبي رافع: انّ علياً ﷺ قال لأهل الشورى: انشدكم الله هل تعلمون يوم أتيتكم، وأنتم جلوس مع رسول الله فقال: هذا أخي قد أتاكم ثمّ التفت إلى ثمّ إلى الكعبة، وقال: ورب الكعبة المبنيّة انّ علياً وشيعته هم الفائزون يوم القيامة ثمّ أقبل نحوكم، وقال: أما انّه أوّلكم ايماناً، وأقولكم بأمر الله وأوفاكم بعهدالله وأقضاكم بحكم الله وأعدلكم في الرعيّة، وأقسمكم بالسّوية وأعظمكم عندالله مزيّة، فأنزل الله سبحانه: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» فكبّر النّبي ﷺ وكبّرتم وهنّأتموني بأجمعكم فهل تعلمون أن ذلك كذلك؟ قالوا: ألّلهم نعم.

وفي البرهان: إبراهيم الاصفهاني فيما نزل من القرآن في علي ﷺ بالاسناد عن شريك بن عبدالله عن أبي إسحق عن الحارث قال علي: نحن أهل بيت لا نقاس بالناس

فقام رجل فأتى إبن عباس، فأخبره بذلك فقال: صدق عليّ النّبيّ لايقاس بالناس وقدنزل فى عليّ عليه السلام: «انّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية»

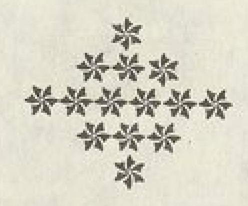
وفيه: أبو بكر الشيرازي فى كتاب نزول القرآن فى شأن أمير المؤمنين عليه السلام انّه حدث قال إبن أنس عن حميد عن أنس بن مالك قال: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات» فى عليّ صدق أوّل الناس برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعملوا الصالحات تمسّكوا بأداء الفرائض اولئك هم خير البرية يعني عليّ أفضل بعد النّبي إلى آخر السورة.

وفيه: الأعمش عن عطيّة عن الخدري وروى الخطيب الخوارزمي عن جابر أنه لمّا نزلت هذه الآية قال النّبي صلّى الله عليه وآله: عليّ خير البرية. وفى رواية جابر: كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البرية.



﴿ القراءة ﴾

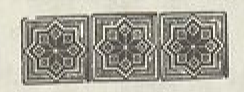
قرأ نافع «البريئة» مهموزة من برأ الله الخلق ، وهو الباريء الخالق وقال: « من قبل أن نبرأها » الحديد : ٢١) فالقياس فيه الهمزة ، و قرأ الباقـون بغير همزة وشدّ الياء بعد الراء مفتوحة في الكلمتين بقلب الهمزة ياء وإدغام الياء فيها ، ولا ياء فيها ومدغمها واحد ، فتركت الهمزة مثل «النّبيّ» فالهمزة فيه كالرّدّ إلى الأصل المتروك في الإستعمال كما أنّ همزة «النّبيّ» كذلك ، فترك الهمزة أجود لأنّه لمّا ترك فيه الهمزة صار كردّه إلى الاصول المرفوضة مثل ظننوا ، و همزة من همّز البريئة تدلّ على فساد قول من قال : إنّه من البرى الّذي هو التراب .



﴿الوقف والوصل﴾

« البيّنةطلا » الوقف عليها على أن « رسول » مرفوع بمبتداء مضمر كأنّه قيل : وما البيّنة ؟ قال : هي رسول ، و ان جعل « رسول » بدلاً من « البيّنة » فلايجوز الوقف عليها للفصل بين البدل والمبدلمنه ، والأوّل هوالأظهر .

و « مطهّرة لا ك » على الوصف والابتداء ، و « قيّمة ط » لتمام الكلام ، و « البيّنة ط » لما تقدّم ، و « القيّمة ط » لما سبق ، و « خالدين فيها ط » و « البرية ط » لتمام الكلام و إبتداء التالي ، و « الصالحات لا » لاتصال الكلام بالوصفية ، و « البرية ط » لابتداء التالي ، و « أبداً ط » لتمام الكلام ، و « عنه ط » لما تقدّم .



﴿ اللغة ﴾

٥٣ - الفكّ - ١١٧٢

فكّ الختام يفكّه فكّاً و فكوكاً و فكّة وفككاً وفكاكة وفكاكاً - بفتح الفاء و كسرها - من باب نصر نحو مدّ -: فضّه و فصله وفكّ الشّيء: أبان بعضه عن بعض.

ومن الحسى: فكّ الخلخال: أخرجه، وفكّ عنه الغلّ والقيد: حلّهما عنه، وفكّ الرهن: خلّصه وأخرجه من يد المرتهن، وافتكّ الرهن من يد المرتهن: خلّصه، وفكّ العظم: أزاله عن مفصله، و إنفكّ الشّيء المشتبك: إنفصل، و انفكّت العقدة: إنحلّت، و فككت الشّيء فانفكّ بمنزلة الكتاب المختوم يفكّ خاتمه، و فكّ يده: فتحها عمّا فيها، و فكّ الصّبيّ: جعل الدواء في فمها، و فكّ قدومه: انفسخت و زالت عند السقوط، و انفكّت إصبعه: إنفرجت، و فكّه: إنكسر أو زاغ عن مركزه، و فكّ منكبه: إنفرج و استرخى.

المكسور الفكّ والّذي إنفرج منكبه عن مفصله ضعفاً و إسترخاء والانثى: الفكّاء، جمعه: الفكّ - بضمّ الفاء - كقفل.

ومن المعنوى المحض: فكّ الرقبة: إعتاقها أو الاعانة في عتقها قال الله تعالى: «فكّ رقبة» البلد: ١٣) و الحديث: «عتق النسمة و فكّ الرقبة» أي

إنفرد بعتق النسمة، وأعان في عتقها. وفكّه فانفكّ: أطلقه فانطلق.

ومنه قوله تعالى: «لم يكن الّذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين» البيّنة:١) أي منتقلين أومنتهين عن كفرهم أولم يكونوا مستريحين حتّى جائهم البيان، فلمّا جائهم ما عرفوا كفروا به.

وفكّ الرجل: هرم، يقال للشيخ الكبير: قد فكّ أي فرّج لحييه لاسترخائهما من الكبر الفاكّ - إسم فاعل -: الهرم من الناس ومن الابل والأحمق جداً، جمعه فككة وفكاك. وفكّ الرجل: حمق في إسترخاء وهو يتفكك: إذا لم يكن به تماسك من حمق وضعف في رأيه. أفكّت الناقة وتفككت: أقربت فاسترخى صلواها وعظم ضرعها ودنا نتاجها فهي مفكّة ومتفكّكة. تفكّكت المخنّث: مشى مشية خلاعة وهوس.

الفكّاك - كشدّاد - للمبالغة، يقال: هو فكّاك هكّاك. رجل فكّاك بالكلام: هو الّذي لا يلائم بين كلامه ومعانيه لحمقه، وفيه فكّة. الفكّ - مصدر -: اللحى، يقال: مقتل الرجل بين فكّيه وهما ملتقى الشدقين من الجانبين أي انّه يخرج من بين فكّيه كلام يجلب البلاء عليه، جمعه: فكوك كفلس وفلوس. الفكّان: مجمع اللحيين عند الصدغ من أعلى وأسفل يكون من الانسان والدابة. وقيل لأعرابيّ: كيف تأكل الرأس؟ قال: أفكّ لحييه وأسحى خديه.

الفكّة: المرّة والحمق في إسترخاء يقال: في فلان فكّة. الفكّة: نجوم مستديرة بحيال بنات نعش خلف السماك الرامح تسميّها صبيان العرب قصعة المساكين لأنّ في جانبها ثلمة.

الأفكّ: مجمع الخطم، وقيل: مجمع الفكّين، يقال: رجل أفكّ المنكب أي مكسور المنكب.

وما انفكّ: مازال وهو من أخوات «كان» من الأفعال الناقصة، ملازم للنفي لانّه يتضمّن معناه فاذا دخل عليه حرف النفي تحوّل إلى الإثبات.

وفكّ العروض دائرة العروض: استخرج مافيها من أبحر الشعر.

فى المفردات : الفلك: التفريج،وفكّ الرهن: تخليصه، وفكّ الرقبة: عتقها. والفكك: إنفراج المنكب عن مفصله ضعفاً.

وفى اللسان : أصل الفكّ : الفصل بين الشيئين ، و تخليص بعضها من بعض .

وفى مجمع البحرين : فككت العظم: أزلته عن مفصله، وفككت الشيّء : أبنت بعضه من بعض.

وفى النهاية : ومنه الحديث: «عودوا المريض وفكّوا العاني» أي اطلقوا الأسير أواعتقوه. والانفكاك: ضرب من الوهن والخلع، وهي أن تنفكّ بعض أجزائها عن بعض .

٨ـ الايتاء والاتيان ـ ٨

أتى يأتي إتياناًوايتاءاً وأتياً وإتيانة ومأتاة وأتيّاً ـ من باب ضرب نحو رمى.: جاء وأتاه: جائه، لازم ومتعدّ وأتى المكان : حضره. وأتى به : جاء به وأتاه به : جائه به وأتى إليه: جاء إليه، وقيل: الايتاء: مصدر والاتيان: إسم منه. والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال في الخير والشرّ وفي الأعيان والأعراض. الايتاء: الاحضار.

وأتى الأمر: فعله، وأتى الذنب : إرتكبه ، وأصل الاتيان: المجيء بسهولة ومنه قيل للسيل المارّ على وجهه: أتيّ وأتاويّ، وبه شبّه الغريب فقيل: أتاويّ و في حديث ظبيان في صفة ديار ثمود قال: « واتّوا جداولها » أي سهّلوا طرق المياه إليها.

وأتى عليه: مضى عليه ومرّ به قال الله تعالى: «هل أتى على الانسان» الانسان:١)

أي قد مضى عليه. وقال: «ماتذرمن شيء أتت عليه إلّاجعلتـه كالرميم» الذاريات: ٤٢) أي مرّت به. وأتى على الشّيء: أنفذه وبلغ آخره، وأتى الدهر عليه: أهلكه. و في الحـديث : «ليأتينّ على الامّة كذا » أي ليغلبنّ عليهم ذلك بقرينة «على» المشعرة بالغلبة المؤذنة بالهلاك. و قال تعـالى: « فأتى الله بنيانهم من القواعد » النحل: ٢٦) كنّى باتيان البنيان في هذه الآية عن هدمه أي هدم بنيانهم وقلعها من قواعـده و أساسه فهدمه عليهم حتّى أهلكهم. وقد كنى بالاتيان عن الوطء قال تعالى: «انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء» الأعراف: ١٨١) وقال : «نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم» البقرة: ٢٢٣) وأتى الرجل امّه: زنا بها، وأتى الحائض: جامعها.

قال الله تعـالى : « و تأتون في ناديكم المنـكر » العنكبوت : ٢٩) أي تفعلون .

وقال : «ولا يأتون الصلاة إلّا وهم كسالى » التوبة : ٥٤) أي يفعلون ولا يتعاطون .

قال الله تعالى: «أتى أمر الله فلا تستعجلوه» النحل: ١) اريد بالاتيان في هذه الآية: قرب ودنا تنزيلاً للمتوقّع منزلة الواقع.

الاتاء: الغلّة وحمل النخل، تقول منه: أتت الشجرة والنخلة، تأتو أتواً وإتاء: طلع ثمرها وزكاؤها يقال: هذه أرض كثيرة الإتاء: الريع. قال تعالى: «فأتت أكلها ضعفين» البقرة: ٢٦٥) أي أعطت ثمرتها ضعفي غيرها من الأرضين.

آت ـ إسم فاعل ـ مؤنثه: آتية من أتى بمعنـى جاء قال تعـالى: «إنّ ما توعدون لآت» الأنعام: ١٣٤) وقال: «قدجاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غيرمردود» هود: ٧٦) وقال: «وانّ الساعة لآتية» الحجر: ٨٥) ومأتي ـ إسم مفعول ـ بمعنى جاء قال تعالى: «وعد الرحمن عباده بالغيب انّه كان وعده مأتياً» مريم: ٦١) اريد به آتياً كقوله تعالى: «حجاباً مستوراً» الاسراء: ٤٥).

وقدجاء الفاعل في القرآن الكريم بمعنى المفعول في موضعين : الأوّل قوله تعالى : « لاعاصم اليوم من أمرالله » هود : ٤٣) أي لامعصوم . والثاني قوله تعالى: « ماء دافق » الطارق : ٦) بمعنى مدفوق . و جاء المفعول بمعنى الفاعل في ثلاثة مواضع: الأوّل قوله سبحانه: « حجاباً مستوراً » الاسراء : ٤٥) أي ساتراً . والثاني قوله عزّوجلّ : « وكان وعده مأتيّاً » مريم : ٦١) أي آتياً . والثالث قوله تعالى: « جزاء موفوراً » الاسراء : ٦٣) .

و قد يكون إسم المفعول على أصله لأنّ ما أتاك من أمرالله تعالى فقد أتيته أنت . والأمر : ايت قال تعالى: « ائت بقرآن غيرهذا أو بدّله » يونس: ١٥) وقد يقال : ت . و اتى ـ مبنيّ للمفعول ـ : أشرف عليه العدوّ . و أتى بمعنى حتّى لغة فيه .

قيل: إنّ الفرق بين الاعطاء والايتاء ـ وهذا الفرق ينبيء عن بلاغة كتاب الله ـ هو انّ الايتاء أقوى من الاعطاء في إثبات مفعوله لأنّ الاعطاء له مطاوع بخلاف الايتاء ، تقول : أعطاني فعطوت ، ولا يقال : آتاني فأتيت ، و إنّما يقال : آتاني فأخذت ، والفعل الّذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله مما لامطاوع له لأنّك تقول : قطعته فانقطع فيدلّ على أنّ فعل الفاعل كان موقوفاً على قبول المحل لولاه ما ثبت المفعول ، و لهذا يصحّ قطعته فما انقطع ، ولا يصحّ فيما لا مطاوع له ذلك .

قال الله تعالى: « تؤتي الملك من تشاء » آل عمران : ٢٦) لانّ الملك شيء عظيم لايعطاه إلّا من له قوّة ، وقال : « إنّا أعطيناك الكوثر » الكوثر : ١) لأنّه مورود في الموقف مرتحل عنه إلى الجنة .

آتاه يؤتيه ايتاء ـ من باب الإفعال ـ : أعطاه وساقه إليه و آتى إليه الشّيء ايتاء : ساقه .

قال الله تعالى: « وآتى المال على حبّه ذوي القربى » البقرة : ١٧٧) وقال :

« وآتوهم ما أنفقوا » أي اعطوا أزواجهن ما أنفقوا أي إدفعوا إليهم المهر . وقال: « آتنا غدائنا » الكهف : ٦٢) أي جئنا بغدائنا . و قال : « آتوني زبر الحديد » الكهف : ٩٦) أي جيئوني بقطع الحديد . الايتاء ـ مصدر ـ : الاعطاء قال تعالى : « إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى » النحل : ٩٠) وخصّ دفع الصدّقة في القرآن الكريم بالايتاء .

إسم الفاعل مؤتي، جمعه : مؤتون قال تعالى: « والمؤتون الزكاة » النساء : ١٦٢) آتا فلاناً : جازاه ، قال تعالى: « وآتاهم تقواهم » أي جازاهم ، وآتاه على الأمر مؤاتاة : وافقه .

وأتّى الماء تأتية وتأتّياً ـ من باب التفعيل ـ : سهّل سبيله . طريق مئتاء : عامر واضح ، مفعال من الإتيان . المتياء : الطريق العامر . و منزلي بمئتاء منزل فلان أي تلقائه . و رجل مئتاء : مجاز معطاء . طريق ميتاء : مسلوك . الميتاء : التلقاء يقال : داري بميتاءِ دار فلان : تلقاء داره . تأتّي الأمر : تهيّأ ، و تأتّى للأمر : ترفّق له . إستاتيته : إستبطأته و سئلت إتيانه . المؤاتاة : حسن المطاوعة والموافقة . ومنه الحديث : « خير النساء المواتية لزوجها » .

وأتيّ : غريب ، رجلان أتاويّان : غريبان . والأتيّ : النهر يسوقه الرجل إلى أرضه . و كلّ مسيل سهّلته لماء أتيّ . والأتو : المرض الشديد أو كسر يد أو رجل أو موت . والأُتو : الاستقامة في السير والسرعة ، وما زال كلامه على أتو واحد أي طريقة واحدة . والأتو : الدفعة .

٨٧- البيان و بين - ١٧١

بان الشّيء يبين بياناً بيناً و بينونة و تبياناً و بيوناً ـ من باب ضرب نحو باع ـ : ظهر و اتضح فهو بيّن وهي بيّنة، جمعها: بينات . و تستعمل البيّنة فيما

يبين الشّيء و يوضحه . البيّنة : الحجّة الواضحة ، والدليل القاطع عقليّاً كان أو حسّيّاً .

قال الله تعالى: « حتّى تأتيهم البيّنة ـ جائتهم البيّنة » البيّنة : ١ ـ ٤) .

وقد سمّي الشاهدان بيّنة لقول النّبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر» قال الله عزّ وجلّ : « ليهلك من هلك عن بيّنة و يحيى من حي عن بيّنة » الأنفال : ٤٢) أبان الرجل : أفصح ، و أصله : أبان كلامه . قال تعالى : « ولايكاد يبين » الزخرف : ٥٢) لمزه بما كان في لسانه من عقدة تمنعه بعض الايضاح ، ولم يدر أنّ الله حلّها وأجابه لسؤاله : « و احلل عقدة من لساني يفقهوا قولي » طه : ٢٧ ـ ٢٨) .

وأبان الشّيء : وضح وظهر ، وأبنت الشّيء : أوضحته وأظهرته ، فهو لازم ومتعدّ وإسم الفاعل منهما مبين، وقد جاء «مبين» بالرفع والكسر / ٨٤ مرّة في القرآن الكريم، و«مبيناً» بالنصب / ٢٢مرّة، و«المبين» / ١٣مرّة، وجائت كلمة «مبين» منكرة ومعرفة بالألف واللام في / ١١٩ موضعاً، وصفاً لأشياء كثيرة ماعدا موضعاً واحداً :

أما الموصوفات: ١ـ «إثم مبين» ٢ـ «افق مبين» ٣ـ «إفك مبين» ٤ـ «إمام مبين» ٥ـ «بلاغ مبين» ٦ـ «بلاء مبين» ٧ـ «ثعبان مبين» ٨ـ «حقّ مبين» ٩ـ «خسران مبين» ١٠ـ «خصيم مبين» ١١ـ «دخان مبين» ١٢ـ «رسول مبين» ١٣ـ «ساحر مبين» ١٤ـ «سحر مبين» ١٥ـ «سلطان مبين» ١٦ـ «شهاب مبين» ١٧ـ «شيء مبين» ١٨ـ «ضلال مبين» ١٩ـ «ظالم لنفسه مبين» ٢٠ـ «عدوّ مبين» ٢١ـ «غوى مبين» ٢٢ـ «فتح مبين» ٢٣ـ «فضل مبين» ٢٤ـ «فوز مبين» ٢٥ـ «قرآن مبين» ٢٦ـ « كتاب مبين» ٢٧ـ « كفور مبين» ٢٨ـ «لسان عربيّ مبين» ٢٩ـ «نذير مبين» ٣٠ـ «نور مبين» ٣١ـ «مضلّ مبين» .

وهي تارة من أبان اللازم بمعنى الظاهر الواضح ، و ذلك في كلّ ماهو صالح لأن يوصف بالظهور والوضوح في نفسه كقوله عزّ وجلّ : « و لا تتبعوا خطوات الشيطان انّه لكم عدوّ مبين » البقرة : ١٦٨) و تارة اخرى من أبان المتعدّي

بمعنى مظهر موضح ، و ذلك في كلّ مايصلح أن يوصف بأنّه مظهر لغيره وموضح له كقوله تعالى: « قدجاء كم من الله نور و كتاب مبين » المائدة: ١٥) أي يبين لكم سبيل الحق والرشاد.

و أمّا الموضع الواحد غير الموصوف ففي قوله تعالى: « وهو في الخصام غير مبين » الزخرف: ١٨) وهومن أبان الرجل: أفصح عمّا في نفسه وأتى بما يحتجّ به.

وأبان: أعطى. وفي حديث الشعبي قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ و طلبت عمرة إلى بشير بن سعد أن ينحلني نحلاً من ماله ، و أن ينطلق بي إلى رسول الله ﷺ فليشهده فقال ﷺ : هل لك معه ولد غيره؟ قال : نعم قال ﷺ : فهل أبنت كل واحد منهم بمثل الّذي أبنت هذا؟ فقال : لا قال ﷺ : فانّي لا أشهد على هذا ، هذا جور ، أشهد على هذا غيري ، إعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبّون أن يعدلوا بينكم في البرّ واللطف ».

قوله ﷺ : « فهل أبنت كل واحد منهم » أي فهل أعطيت كلّ واحد منهم مالاً تفرّده أي هل أعطيتهم مثله مالاً تفرّده ، فلم يشهد ﷺ على شيء وهبه بشير إبنه النعمان إذ لم يهب غيره من أولاده مالاً مثله.

وبان الشّيء عن الشّيء: إنقطع عنه ، وبانت المرأة عن زوجها : إنفصلت عنه بطلاق. و منه : « كنت فبنت » أي كنت زوجة فصرت طالقاً. والبائن : المرأة المنفصلة عن زوجها بطلاق لا رجعة فيه إلّا بعد عقدها لغيره. والبائنة : ذات بينونة ، والبئر الواسعة ، البعيدة القعر ، جمعها : بوائن و في وصف النّبيّ الكريم ﷺ : « ليس بالطويل البائن » أي المفرط طولاً الّذي بعد عن قدّ الرجال.

وبان الشجر: بداورقه وظهر أوّل ماينبت. وبان الحيّ بيناً وبينونة : ظعنوا و أبعدوا وضرب رأسه فأبانه من جسده : فصله ، وفي الخبر : « ما قطع من حيّ وابين منه » أي إنفصل منه وهو حيّ « فهو ميتة » فلا يجوز أكله. والمباينة : المفارقة ، وبان القوم : فارقوا ، وباينه: هاجره ، تباينا: تهاجرا أو تقاطعا، وتباين

الأمران : تباعدا و تفاوتا . تباين الرجلان : بان كل واحد منهما عن صاحبه ، و كذلك في الشركة إذا انفصلا .

البيان : الايضاح والكشف ، و إظهار المقصود بأبلغ لفظ ، وهو من الفهم و ذكاء القلب ، ويسمّى الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود و إظهاره ، ويسمّى ما يشرح به المجمل والمبهم من الكلام بياناً .

قال الله تعالى : « هذا بيان للناس و هدى و موعظة للمتقين » آل عمران ١٣٨) أي ايضاح و كشف . و قال : « خلق الانسان علّمه البيان » الرحمن : ٤) أي ما يكشف به عن المعنى المقصود .

البيان : الفصاحة واللسن وعليه : « انّ من البيان لسحراً » و يقال : فلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاماً . وقيل: معناه : أنّ الرجل يكون عليه الحق وهو أقوم بحجّته من خصمه فيقلب الحق ببيانه إلى نفسه لأنّ معنى السحر قلب الشيء في عين الانسان ، وليس بقلب الأعيان ، ألا ترى أنّ البليغ يمدح إنساناً حتّى يصرف قلوب السامعين إلى حبّه ثمّ يذمّه حتّى يصرفها إلى بغضه . ومنه : « البذاء والبيان شعبتان من النفاق » أراد أنّهما خصلتان منشؤهما النفاق ، أمّا البذاء و هو الفحش فظاهر ، و أمّا البيان فانّما أراد منه بالذم التعمّق في النطق والتفاصح و إظهار التقدّم فيه على الناس و كأنّه نوع من العجب والكبر ، ولذلك قال في رواية اخرى : « البذاء وبعض البيان » لأنّه ليس كلّ البيان مذموماً .

البيان : المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير ، **البيان** : إخراج الشيء من حيّز الاشكال إلى حيّز التجلّي ، البيان : إظهار المعنى للنفس حتّى يتبيّن من غيره وينفصل عمّا يلتبس به .

في المفردات : البيان : الكشف عن الشيء وهو أعمّ من النطق ، مختص بالانسان ، ويسمّى ما بيّن به بياناً . قال بعضهم : البيان على ضربين : أحدهما ـ بالتنجيز وهو الأشياء التي تدلّ على حال من الأحوال من آثار صنعه . ثانيهما ـ

بالاختبار و ذلك إمّا أن يكون نطقاً أو كتابة أو إشارة ، فمما هو يكون بياناً بالحال كقوله تعالى: « ولا يصدّنكم الشيطان انه لكم عدوّ مبين » أي كونه عدوّاً بيّن في الحال . وما هو بيان بالاختبار كقوله تعالى : « فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر » وسمّي الكلام بياناً لكشفه عن المقصود إظهاره نحو : « هذا بيان للناس » وسمّى ما يشرح به المجمل والمبهم من الكلام بياناً كقوله تعالى : « ثم إنّ علينا بيانه » و يقال : بيّنته و أبنته إذا جعلت له بياناً تكشفه نحو : « لتبيّن للناس ما نزّل إليهم » .

وفي المجمع : قال تعالى : « خلق الانسان علّمه البيان » أي فصّل ما بين الأشياء ، والفرق بين البيان والتبيان هو انّ البيان: جعل الشيء مبيّناً بدون حجّة، والتبيان : جعل الشّيء مبيّناً مع الحجّة والبيّن : الواضح قال تعالى: « بسلطان بيّن » أي واضح ، بيّن الشّيء : إذا أوضحه . وفي الحديث : « انّ الله نصر النبيين بالبيان » أي بالمعجزات وبان ألهمهم وأوحى إليهم بمقدّمات واضحة الدلائل على المدّعى عند الخصم مؤثّرة في قلبه .

وانّ البيان والبرهان والفرقان والسلطان نظائر وحدودها مختلفة: فالبيان: إظهار المعنى للنفس كاظهار نقيضه ، والبرهان : إظهار صحّة المعنى و إفساد نقيضه ، والفرقان : إظهار تميز النفس مما إلتبس ، والسلطان : إظهار ما يتسلّط به على نقض المعنى بالابطال .

وفي شرح المقامات : الفرق بين البيان والتبيان: أنّ البيان وضوح المعنى و ظهوره ، والتبيان : تفهيم المعنى و تبيينه ، والبيان منك لغيرك ، والتبيان منك لنفسك مثل التبيين ، وقد يقع التبيين في معنى البيان ، وقد يقع البيان بكثرة الكلام ويعدّ ذلك من النفاق .

التبيان : التبيين وهو مصدر غير قياسي من بيّنت الشيء تبييناً و تبياناً أو هو إسم مصدر ، وهو بالكسر من المصادر الشاذّة . قال الله تعالى: « ونزّلنا عليك

الكتاب تبياناً لكلّ شيء » النحل : ٨٩) أي بياناً كاملاً وشرحاً لكلّ شيء مما جاء لأجله .

بين الشيء تبييناً - من باب التفعيل - : وضح و ظهر ، و بينت الشيء : أوضحته وأظهرته فهو لازم ومتعدّ ، وإسم الفاعل منهما مبيّن ، وهي مبيّنة وهن مبيّنات قال الله تعالى: « قد بيّنّا الآيات لقوم يوقنون » البقرة : ١١٨) .

و في المثل : « و قد بيّن الصبح لذي عينين » أي إتضح ، يقال : آية مبيّنة إعتباراً بمن يبيّنها . التبيين : الايضاح ، والتبيين : الوضوح ، والتثبّت في الأمر والتأنّي فيه .

تبين الشيء تبيناً - من باب التفعّل - : إتّضح وظهر، وتبيّنته أنا: تأمّلته، فوضح وظهر لي فهو لازم ومتعدّ . قال الله تعالى : « من بعد ما تبيّن لهم الحق » البقرة : ١٠٩) أي إتضح وظهر فهو من اللازم . وقال: « قد تبيّن الرشد من الغيّ » البقرة : ٢٥٦) وتبيّن الشّيء لي : إذا ظهر لي عندي و زال خفاه عنّي . و تبيّن الشّيء : تحقّق و منه : « تبيّن زنا الزانية » أي تحقّق زناها ببيّنة أو رؤية . ومن المتعدّي ، قال تعالى: « إن جاءكم فاسق بنبإ فتبيّنوا » الحجرات : ٦) أي تأمّلوا الأمر وتدبّروه غير متعجلين ليظهر لكم بيناً واضحاً، أو اطلبوا بيان الأمر وثباته ، فلا تعجلوا فيه . وفي الحديث : « ألا إن التبيّن من الله تعالى والعجلة من الشيطان فتبيّنوا » أي تثبّتوا وتدبّروا .

استبان الشيء : وضح وظهر واستبنته أنا: تأمّلته حتّى وضح وظهر لي فهو لازم ومتعدّ ، وإسم الفاعل منهما مستبين ، قال الله جلّ وعلا : « و كذلك نفصّل الآيات و لتستبين سبيل المجرمين » الأنعام : ٥٥) و قال : « و آتيناهما الكتاب المستبين » الصافات : ١١٧) أي البليغ في بيانه .

بين: ظرف مبهم متمكّن لا يتبيّن معناه إلّا بالاضافة إلى إثنين فصاعداً أو ما يقوم مقام ذلك كقوله تعالى : « عوان بين ذلك » البقرة : ٦٨) و تكون ظرف

مكان نحو : جلست بين القوم ، وظرف زمان وهو كثير و بين يضاف إلى الضمائر والأسماء الظاهرة ، ولايضاف إلى مايقتضي معنى الوحدة إلّا إذا كرّر نحو : « ومن بيننا وبينك حجاب » .

بين: ظرف لايضاف إلّا إلى متعدّد لفظاً أومعنى، وهو يفيد الخلالة والتوسّط بين زمانين أو مكانين ، و قد يدلّ على توسّط الأحوال والصفات . . .

ولايخفى عليك أيّها الأديب الأريب ما بين البين والوسط من الفرق حيث انّ الوسط يضاف إلى شيء واحد ، وبين تضاف إلى شيئين فصاعداً لأنّه من البينونة تقول : قعدت وسط الدار ولايقال : قعدت بين الدارين أي حيث تباين إحداهما صاحبتها ، وقعدت بين القوم أي حيث يتباينوا من المكان ، والوسط يقتضي إعتدال الأطراف إليه ، ولهذا قيل: الوسط : العدل في قوله تعالى : « و كذلك جعلنا كم امة وسطاً » .

وفي قوله تعالى: « لقد تقطّع بينكم » الأنعام : ٩٤) أي ما بينكم أو الأمر بينكم ، و « بين يديه » إستعمال كنائيّ يراد به ما تقدّمه زماناً أو مكاناً كقوله عزّ وجلّ : « مصدّقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » البقرة : ٩٧) .

ويقال : هو يعمل بين يديه أي في خضوع وتحت سلطانه كقوله سبحانه : « ومن الجنّ من يعمل بين يديه باذن ربّه » سبأ : ١٢) .

بين : قديكون إسماً بمعنى الفراق ، وبمعنى الوصل ، فهو من الأضداد يقال: « وقع بينهما بين » أي فرقة ، ويقال : « تقطع بينهما » أي وصلهما .

وقدجائت لفظة «بين» مجرورة «بمن» تارة بمعنى الظرفية على الأصل وهو الأغلب ، واخرى لافادة معنى الخصوص ، وذلك في مواضع ثلاثة ، وهي قوله تعالى : «أهؤلاء من الله عليهم من بيننا» الانعام : ٥٣) أي خاصة من دوننا وقوله عزّ وجلّ : « ءانزل عليه الذكر من بيننا » ص : ٨) وقوله سبحانه : « ءالقى الذكر عليه من بيننا » القمر : ٢٥) و يصحّ الاضافة إلى الظرف «بين» على سبيل التوسع ، وقدجاء

من ذلك قوله تعالى : « شقاق بينهما » النساء : ٣٥) أي شقاقاً واقعاً بينهما : « شهادة بينكم » المائدة : ١٠٦) أي الشهادة الواقعة بينكم : « و أصلحوا ذات بينكم » الأنفال : ١) أي الأحوال الواقعة بينكم .

وقد جائت لفظة «بين» في القرآن الكريم مضافة إلى الأسماء الظاهرة وسواء كانت الضمائر مجرورة بمن أو غير مجرورة بها و ذلك في مأتين و ستة وستين موضعاً .

وفي الحديث : « بينا نحن رسول الله ﷺ إذجاءه رجل . . . » أصل «بينا» بين فاشبعت الفتحة فصارت ألفاً ، ويقال : بينا و بينما ، وهما ظرفا زمان بمعنى المفاجأة و يضافان إلى جملة من فعل وفاعل ، ومبتداء وخبر ، و يحتاجان إلى جواب يتمّ به المعنى .

و تكون «بين» صفة بمنزلة وسط و خلال ، وهو ظرف ، و إن جعلته إسماً أعربته تقول : « لقد تقطّع بينكم » برفع النون ، فمن قرأه بالفتح جعله ظرفاً غير متمكّن .

و بين بين هما إسمان جعلا إسماً واحداً ، و بينا على الفتح كخمسة عشر كأنّ رجلاً يدخل بين فريقين في أمر من الامور فيسقط ولايذكر فيه من هؤلاء و لا من هؤلاء .

غراب البين : هو الأحمر المنقار والرجلين ، فأما الاسود فانّه الحاتم لأنّه يحتم بالفراق .

ذات البين : الوصل والصداقة والنسب والقرابة والعداوة والبغضاء ، و منه سعى فلان في إصلاح ذات البين بين عشيرته أي إصلاح ما بينهم من الفساد .

البين - بالكسر - : القطعة من الأرض قدر مدّ البصر من الطريق ، والفصل بين الأرضين والناحية ، البين : البعد كالبون يقال : بينهما بون بعيد و بين بعيد ، وبين إرتفاع في غلظ ، البون : الفضل والمزية . والبان : شجر يسمو ويطول في إستواء مثل نبات الأثل . والبائن : كل قوس بانت عن وترها كثيراً ، والبين من

الرجال : الفصيح واللسان الظريف العالى الكلام ، القليل الرتج ، جمعه : أبنياء .
والبائن : الّذي يقوم على يمين الناقة إذا حلبها والجمع : البيّن ـ بضمّ الباء
وتشديد الياء المفتوحة ـ البيون : البئر البعيدة القعر الواسعة ، والبين : الواضح
الجليّ جمعه : أبنياء و أبيان و بيناء . والباناة : مقلوبة عن البانية : النبل الصغار .

١٠ ـ الصحف ـ ٨٤٠

صحّف الكلمة تصحيفاً ـ من باب التفعيل ـ : أخطأ في قرائتها و روايتها في الصحيفة ، وقيل : حرّفها عن وضعها ، و أصحف الكتاب : جعل فيه الصحف ، و تصحّفت عليه الصحيفة : تغيّرت عليه فيها الكلمة .

التصحيف : تغيّر اللفظ حتّى يتغيّر المعنى المراد من الموضع ، وأصله : الخطأ .

الصحيف : وجه الأرض ، والصحيفة : المبسوط من الشيء كصحيفة الوجه وهي بشرة جلده يقال: صن صحيفة وجهك . ومن ذلك الصحيفة الّتى يكتب فيها ، جمعها : صحائف وصحف ككتب .

قال الله تعالى : « رسول من الله يتلوا صحفاً مطهّرة » البيّنة : ٢) و هو القرآن الكريم وجعله صحفاً فيها كتب لتضمّنه زيادة ما في كتب الله المتقدّمة السماويّة .

والمصحف: ماجعل جامعاً للصحف المكتوبة ، وجمعه: مصاحف ، والتصحيف: قراءة المصحف و روايته على غير ما هو لاشتباه حروفه ، وهو تغيير اللفظ حتّى يتغيّر المعنى وأصله: الخطايا، يقال: صحّفه فتصحّف أى غيّره فتغيّر حتّى إلتبس .

والصحف : صحائف الأعمال ، والصحيفة : قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه ومنه صحيفة فاطمة الزهراء سلام الله عليها روى: أنّ طولها سبعون ذراعاً في عرض

أديم فيها كل ما يحتاج إليه الناس حتّى أرش الخدش سئل عليه السلام: و ما مصحف فاطمة عليها السلام ؟ قال: إنّ فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها ، فكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاها على أبيها ويطيب نفسها ، و يخبرها عن أبيها ومكانه ، و يخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها وكان علي عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة عليها السلام .

الصحفة : القصعة العريضة المنبسطة الّتي تشبع خمسة ، جمعها: صحاف .

قال الله عزّ وجلّ: «يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب» الزخرف: ٧١) .

و منه الحديث : « رأيت الملائكة تغسل حنظلة بماء المزن في صحاف من فضّة » .

و في اللسان : الصحيف : وجه الأرض تشبيهاً بالصحيفة الّتي يكتب فيها ، والمصحف ـ بضمّ الميم و كسرها وبفتح الحاء ـ : الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين، وإنّما سمّي مصحفاً لأنّه جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين .

و في النهاية : و فيه : « و لا تسئل المرأة طلاق اختها لتستفرغ صحفتها »

الصحفة : إناء كالقصعة المبسوطة ونحوها وجمعها : صحاف ، وهذا مثل يريد به الاستئثار عليها بحظّها ، فتكون كمن استفرغ صحفة غيره و قلب ما في إنائه إلى إناء نفسه .

٣٠ ـ الطهارة و التطهير ـ ٩٤٧

طهر يطهر طهراً و طهارة ـ من باب نصر و كرم ـ : فهو طاهر و طهر ـ ككتف . وقد تكون الطهارة إسماً يقوم مقام التطهر بالماء : الاستنجاء والوضوء ، وقد يكون الطهور إسماً لما يتطهر به كالحور وقد يكون صفة كالرسول .

من الحسي : الطهر : زوال الدنس والقذر ، ويجيء منه المعنى الإسلامي

الخاص فيكون نقيض النجاسة، ويتمّ بالغسل والوضوء ونحوهما. والطهر: إسم من الطهارة، والطهر: نقيض الحيض، والطهر: نقيض النجاسة، وجمعه: أطهار، والأطهار: أيام طهر المرأة.

الطهور: فعول من أبنيّة المبالغة، فالماء الموصوف به يكون طاهراً في نفسه، ومطهّراً لغيره وقد يكون طهوراً مصدراً أو إسماً كالسعوط أو صفة كالرسول.

قال الله تعالى: «وأنزلنا من السماء ماء طهوراً» الفرقان: ٤٨) الطهور هو البليغ في الطهارة.

ومن المعنوي: طهارة النفس بسلامة الخلق والتنزّه عما لا يجوز من الكفر والشرك والمعاصي والباطل.

فتكون الطهارة على ضربين: أحدهما - طهارة جسم بالمعنوي اللغوي أو الشرعي

ثانيهما - طهارة النفس بالايمان وصالح الأعمال وفضائل الأخلاق...، وعلى المعنيين تحمل عامّة الآيات القرآنية.

طهّره بالماء يطهّره تطهيراً - من باب التفعيل - وتطهّر هو تطهّراً ويدغم فيقال: يطّهّر.

قال الله تعالى: «رسول من الله يتلوا صحفاً مطهّرة» البيّنة: ٢) و قال: «وطهّرك واصطفاك» آل عمران: ٤٢) وقال: «فاذا تطهرن» البقرة: ٢٢٢).

المطهرة - بكسر الميم و فتح الهاء -: الاناء الّذي يتوضّأ به، و يتطهّر به، و المطهرة: الاداوة، و المطهرة: بيت يتطهّر فيه يشمل الوضوء و الغسل والاستنجاء.

وفي الحديث: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور» الطهور: الماء الّذي يتطهر به، وهو الماء الّذي يرفع الحدث ويزيل النجس لأنّ فعولاً من أبنية المبالغة فكأنّه تناهى في الطهارة. وكل طاهر ليس بطهور، وكل طهور هو طاهر، وقد يكون الماء

طاهراً غير رافع للحدث ولا مزيل الخبث ، و يعبّر عنه في الفقه الإسلامي بماء مضاف كماء الورد وما إليه من المياه المضافة ، ولايصحّ الوضوء والغسل بها لقيد الطهورية في ماء الوضوء.

۳۲ - الجزاء - ۲۴۸

جزاه بعمله أو على عمله يجزيه جزاء - ناقص يائي من باب ضرب نحو رمى -: قابله بما يكافئه. جزاه الشيء: كفاه.

قال الله تعالى: «جزاؤهم عند ربّهم جنّات عدن» البيّنة: ۸).

وفي حديث القدسي: «الصّوم لي وأنا اجزى عليه» أي اكافىء عليه، وفيه كناية عن كثرة الثواب، وإلّا فكل عمل يجزيه الله تعالى فكأنّه مستثنى عن قوله جلّ وعلا: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها».

الجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة ويستعمل في الخير والشرّ، إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً، يقال: جزيته بكذا و كذا.

قال الله تعالى : « و أمّا من آمن و عمل صالحاً فله جزاء الحسنى » الكهف: ۸۸).

وقال: «وجزاؤا سيّئة سيّئة مثلها» الشورى:۴۰).

ويقال: جزى الأمر يجزى جزاء مثل قضى يقضى قضاء وزناً ومعنى، يقال: جزيت فلاناً حقّه: قضيته.

وجزى عنه يجزى جزاء: قضى و كفى فهو جاز.

قال الله تعالى: «لايجزي والد عن ولده» لقمان: ۳۳) أي لايقضى ولايكفى ولايغني عنه شيئاً.

وإذا تعدّى جزى إلى مفعولين كان فيه معنى اعطى كقولهم: جزاه الله خيراً

أي أعطاه جزاء ما أسلف من طاعته. والجازية ـ كالعافية ـ إسم للمصدر، جمعها: الجوازي.

جازى يجازي مجازاة ـ من باب المفاعلة ـ: جزى أي قابله بما يكافئه.

قال الله تعالى: «وهل نجازي إلّا الكفور» سبأ: ١٧) أي وهل نجزي إلّا بذلك الجزاء. المجازاة هي المكافاة وهي المقابلة من كل واحد من الرجلين، والمكافأة هي مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها، ونعمة الله تعالى ليست من ذلك، ولهذا لا يستعمل لفظ المكافأة في الله جلّ وعلا وهذا ظاهر.

تجازى دينه عليه وبدينه تجازياً ـ من باب التفاعل ـ: تقاضاه فهو متجاز.

إجتزاه إجتزاء: سئله الجزاء.

الجزية: ضريبة تفرض على الرؤوس يأخذها الإمام المعصوم عليه السلام من الكافر الذمّي في كل عام لتأمينه إياه في الحكومة الإسلامية، وإنتفاعه بما ينتفع به المسلمون فيها وتسميتها بذلك للاجتزاء بها في حقن دمه.

قال الله عزّ وجلّ: «حتّى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون» التوبة: ٢٩)

جمعها: جزى ـ بكسر الجيم ـ كاللحية واللحى.

وفي حديث الامام أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام: «انّ دهقاناً أسلم على عهده فقال له: إن أقمت في أرضك رفعنا الجزية عن رأسك وأخذناها من أرضك وإنّ تحولت عنها فنحن أحقّ بها» ومنه الحديث: «ليس على مسلم جزية» أراد أن الذمّي إذا أسلم لاجزية عليه، فيؤخذ منه الخراج لو كان له أرض يصلحها.

٢ ـ الابد ـ ٢

أبدت الدوابّ تأبد أبوداً ـ من باب ضرب ونصر ـ: توحّشت.

وأبد الرجل يأبد فهوأبد ـ من باب فرح ـ: توحّش ونجبّن، وأبد عليه: غضب وأبد بالمكان ابوداً: أقام، وأبد الشاعر: أتى بالعويص في شعره ولا مالايعرف معناه، وأتان أبد: تلد في كلّ عام، والإبد: الجوارح من المال وهي الأمة والفرس الانثى والأتان: ينتجن في كلّ عام.

الأبد: الدهر، و«أبداً» ظرف زمان لاستغراق النفي أو الاثبات في المستقبل و إستمراره تقول: لا اكلّمه أبداً أي من لدن تكلّمت إلى آخر عمرك، وتقول: سأظلّ في بلدي أبداً أي لا أبرحها مادمت حيّاً.

قال الله تعالى: «جزاؤهم عند ربّهم جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً» البيّنة: ٨).

وقال: «ولولا فضل الله عليكم و رحمته ما زكى منكم من أحد أبداً» النور: ٢١) أي ما تطهر أحد منكم من دنس الكفر والطغيان، والاثم والشرك إلى آخر الدهر.

وحبس الأبد: من لا خلاص منه مادام حيّاً، و الأبدي: مالا نهاية له: الأبد: الدائم و القديم والأزليّ، والأبد: الولد أتت عليه سنة، جمعه: آباد كسبب وأسباب، و ابود ـ بضم الألف والباء ـ يقال: رزقك الله عمراً طويل الآباد، و يقال: ولا آتيه أبد الأبدية وأبد الآبدين، وأبد الآباد وأبد الدهر كلّها واحد. و أبد أبيد كقولهم دهر دهير. وقد تدلّ القرينة على عدم إستمرار النفي أو الاثبات في المستقبل كقوله عزّ وجل حكاية عن موسى عليه السلام: «انّا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها» المائدة: ٢٤) وقوله تعالى: «وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتّى تؤمنوا بالله وحده» الممتحنة: ٤) أي بدت العداوة والبغضاء وتستمرّ حتّى تؤمنوا بالله وحده.

وقيل: أبد ظرف زمان يرد للتأكيد في المستقبل نفياً أو إثباتاً لا لدوامه و إستمراره، فصار كقطّ و ألبتّة في تأكيد الزمان الماضي يقال: مافعلت كذا

قطّ و ألبتّة ولا أفعله أوأفعله أبداً، وفي المثل : طال الأبد على لبد : يضرب لكلّ ما قدم.

أبّده: خلّده، والتأبيد: التخليد.

وتأبّد الرجل: طالت غربته، وتأبّد الوجه: كلف، وتأبّد المنزل: أقفر، و تأبّد الشّيء: صارأبديّاً.

والإبد ـ كابل ـ والأبد ـ ككتف ـ: مايلد كلّ عام من أمة أوأوتان أوفرس انثى .

الآبدة: الداهية الخالدة الذكر والوحش، والقافية الشاردة ، والأمر العظيم تنفّرمنه وتستوحش، جمعها: أوابد وابّد ـ بضمّ الألف وفتح الباء المشدّدة وأوابد الكلام: غرائبه، وأوابد الشعر: مالاتشا كل جودة.

الأوابد: الطير المقيمة بأرض صيفاً وشتاء فاذاكانت تقطع في أوقاتها فهي قواطع،فهي ضدّ القواطع، والأوابد: الوحوش الذكرأبد والانثى آبدة سميّت بذلك لبقائها على الأبد.

في المفردات : الأبد عبارة عن مدّة الزمان الممتدّ الّذي لايتجزّأ كما يتجزّأ الزمان، وذلك انّه يقال: زمان كذا، ولايقال: أبد كذا، وكان حقّه أن لا يثنّى ولايجمع إذ لايتصور حصول أبدآخر يضمّ إليه، فيثنّي به لكن قيل: آباد و ذلك على حسب تخصيصه في بعض ما يتناوله كتخصيص إسم الجنس في بعضه ثم يثنّى ويجمع على أنّه ذكر بعض الناس انّ آباداً مولد، وليس من كلام العرب العرباء، وقيل: أبدأبد وأبيد أي دائم وذلك على التأكيد.

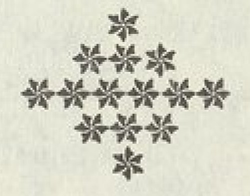
وتأبّد الشّيء: بقى أبداً، ويعبّر به عمّا يبقى مدة طويلة، والآبدة : البقرة الوحشية، والأوابد: الوحشيات، وتأبّد البعيرتوحّش، فصاركالأوابد وتأبّد وجه فلان: توحّش، وأبد كذلك وقد فسّر بغضب.

وفي النهاية : الأبد: الدهرأي لآخر الدهر، جاء بآبدة: أي بأمرعظيم ينفر

منه ويستوحش.

وفي المجمع : الأبد: الدهر الطويل الّذي ليس بمحدود، والتأبيد: التخليد ومنه: «اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً» أي مخلّداً إلى آخر الدهر.

وفي اللسان : أبد بالمكان يأبد بالكسر أبوداً: أقام به ولم يبرحه. الأبيد: نبات مثل زرع الشعير سواء، وله سنبلة كسنبلة الدخنة فيها حبّ صغير أصغر من الخردل، وهي مسمنة للمال جداً.



﴿النحو﴾

١- (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة).

«لم» حرف جحد، و «يكن» فعل مضارع من الأفعال الناقصة، مجزوم بحرف الجحد، وعلامة الجزم سكون النون، وسقطت الواو لالتقاء الساكنين، وكسرت النون لذلك أيضاً، و لم ترد الواو عند حركة النون لأنّ الحركة عارضة لا يعتدّ بها، و مثله: «قم الليل» المزمل: ٢) و هو كثير في القرآن الكريم في كلّ فعل مجزوم كقوله تعالى: «فان يشاء الله» الشورى: ٢٤) أو فعل مبنيّ و عينه واو أو ياء أو ألف مبدلة من أحدهما، ولم تحذف النون في «يكن» كماحذفت في قوله تعالى: «لم يك مغيّراً» الأنفال:٥٣) لأنّها قدتحرّكت، وإنّما يجوز حذفها إذا كانت ساكنة في الوصل، فتشبّه بحروف المدّ واللين، فتحذف للمشابهة و كثرة الإستعمال، وإذا تحرّكت زالت المشابهة فلاتحذف.

و «الّذين» موصولة، في موضع رفع، إسماً ا «يكن» و «كفروا» فعل ماض لجمع المذكّر الغائب، صلة الموصول، و في «مِن» وجوه ثلاثة: أحدها - للبيان. ثانيها - للتبعيض. ثالثها - بيانيّة فيها معنى التبعيض أيضاً إذ ليس كلّ أهل الكتاب كافرين لقوله تعالى: «منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون» آل- عمران: ١١٠).

و «أهل» مجرور بـ «من» اضيف إلى «الكتاب» و في موضع الجار و

المجرور وجهان ـ أحدهما ـ متعلق بـ« كفروا». ثانيهما ـ في موضع نصب، حال من فاعل « كفروا» و «المشركين» في موضع جرّ، عطف على «أهل الكتاب» ولا يعطف على «الّذين» لأنّه ينقلب المعنى، و يصير المشركون من أهل الكتاب وهم ليسوا منهم.

و «منفكّين» منصوب، خبراً لـ«يكن» و «منفكين» تامّة لاخبر لها لأنّها بمعنى «متفرّقين» لقولك: إنفكت يده، و دل على ذلك قوله تعالى بعده: «وما تفرّق الّذين اوتوا الكتاب» و«منفكين» مأخوذ من إنفك الشّيء من الشّيء: إذا انفصل أحدهما عن الآخر مع شدّة الإتصال بينهما، فلا يحتاج «منفكّين» إلى خبر إن كانت بمعنى «متفرّقين» لأنّ الخبر وفائدته في التفرّق، وإن كانت بمعنى «زائلين» لاحتاج إلى خبر فيه الفائدة وعنه المسئلة لأنّهامن أخوات «كان» فلو كان «منفكّين» ناقصة كقولك: ما انفك زيد قائماً أي ما زال زيد قائماً لافتقرت إلى خبر.

وقيل: «منفكّين» ناقصة، والمعنى: زائلين عماهم فيه، وخبره جملة تالية علي أنّها في موضع نصب.

و «حتّى» حرف نصب، و «تأتيهم» الفعل فعل مضارع، منصوب بـ«حتّى» أو بـ«أن» مقدّرة بعد «حتّى» وضمير الجمع في موضع نصب، مفعول به، و «البيّنة» فاعل الفعل.

٢ـ (رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة)

في «رسول» وجوه: أحدها ـ أنّه بدل من «البيّنة» ثانيها ـ خبر لمحذوف أي هي رسول أوهو رسول من الله. ثالثها ـ قرىء «رسولاً» بالنصب على القطع، منصوب على الحال.

وفي «من الله» أيضاً وجوه: أحدها ـ في موضع رفع، صفة لـ«رسول» ثانيها ـ متعلّق بـ«رسول» ثالثها ـ في موضع نصب، حال من «صحفاً» أي يتلوا صحفاً مطهّرة منزّلة من الله تعالى.

وفي «يتلوا» وجهان: أحدهما ـ في موضع نصب، حال من الضمير في الجار ففاعل الفعل هو الضمير في الجار. ثانيهما ـ في موضع رفع، صفة لـ «رسول» وفاعل «يتلوا» ضمير مستتر فيه راجع إلى «رسول».

و «صحفاً» جمع صحيفة، مفعول به، وجمعها إمّا باعتبار تعدد سور القرآن الكريم وإمّا باعتبار أوراقه، و«مطهّرة» إسم مفعول من باب التفعيل، صفة لـ «صحفاً» وقد جائت بالتاء باعتبار جمع الصحف كقوله تعالى: «في صحف مكرّمة» عبس: ١٣) فالمطهّرة نعت للصّحف ظاهراً، ونعت لما في الصّحف من القرآن الكريم معناً.

٣ـ (فيها كتب قيمة)

«فيها» متعلّق بمحذوف، وهو خبر مقدّم، والضمير راجع إلى «صحفاً» و «كتب» جمع كتاب، مبتداء مؤخّر، والجمع باعتبار إشتمال القرآن الكريم لجميع الكتب السماوية مضافاً إلى ما يحتاج إليه البشر إلى يوم القيامة، وللإبتداء بالنكرة هيهنا طريقان من الجواز: أحدهما ـ تقديم الجار: ثانيهما ـ إتصاف المبتداء بالصفة، والجملة صفة لـ «صحفاً» و «قيمة» صفة لـ «كتب» وأصل «قيمة» قيومة، فقلبت الواو ياء ثم ادغمت الياء في الياء.

٤ـ (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جائتهم البينة)

الواو للإستئناف، و «ما» للنّفي، و «تفرّق» فعل ماض من باب التفعّل، و «الّذين» موصولة، في موضع رفع، فاعل لـ «تفرّق» و «اوتوا» فعل ماض لجمع المذكر الغائب، مبنيّ للمفعول، صلة الموصول، وفاعله النيابي هو الضمير المستتر فيه، علامته واو الجمع. وفي «اوتوا» وجوه: أحدها ـ ثلاثيّ، أصله: «اتيوا» نحو: ضربوا مبنياً للمفعول، فلما ثقلت الضمّة على الياء نقلت إلى ما قبلها بعد حذف كسر التاء فالتقى الساكنان، فحذفت الياء، فصار: اتوا فلما

اشبعت ضمّة الألف وجدت الواوعوضاً عن الياء المحذوفة. ثانيها- الأصل: أأتوا بهمزتين فصارت الهمزة الثانية واواً لإنضمام ما قبلها. ثالثها - اصله: اأتيوا - من باب الإفعال نحو اكرموا مبنياً للمفعول - فلما ثقلت الضمّة على الياء نقلت إلى ما قبلها ثم حذفت الياء لا لتقاء الساكنين، وصارت الهمزة الثانية واواً لإنضمام ما قبلها.

و «الكتاب» مفعول ثان اقيم مقام المفعول الأوّل، و «إلّا» حرف إستثناء للتحقيق بعد النفي، و «من بعد» متعلّق بـ «تفرّق» اضيف «بعد» إلى «ما» و «ما» موصولة، و«جاءتهم» الفعل، فعل ماض، وضمير الجمع في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى «الّذين» و «البيّنة» فاعل الفعل، والجملة صلة الموصول.

٥-(وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفآء ويقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيمة)

في الواو الاولى وجوه: أحدها- أنّها للعطف. ثانيها - للإستئناف. ثالثها- للحال.

و «امروا» فعل ماض للجمع المذكّر الغائب، مبنيّ للمفعول، و واو الجمع علامة الفاعل، راجع إلى «أهل الكتاب والمشركين» والفاعل هيهنا مفعول في الأصل إلّا أنّ الفعل إذا بني للمفعول صار المفعول به في موضع الفاعل. وقيل: ضمير الجمع في «امروا» راجع إلى «الّذين اوتوا الكتاب» و«إلّا» حرف إستثناء للتحقيق بعد النفي.

وفي اللام في «ليعبدوا» وجوه: أحدها- أنّها لام أمر، فمدخولها مجزوم بها على حذف نون الرفع. ثانيها- أنّها لام كي، فمدخولها منصوب بها. ثالثها- أنّ اللام بمعنى «أن» كقوله تعالى: «يريد الله ليبيّن لكم» النساء: ٢٦) أي أن يبيّن. رابعها- على تقدير: أن يعبدوا فحذفت «أن» وزيدت اللام. وعلى أيّ تقدير فالفعل للجمع المذكّر الغائب، و«الله» مفعول به.

و «مخلصين» إسم فاعل لجمع المـذكّر من باب الإفعـال ، وفي موضعه و جهان : أحدهما ـ نصب، حال من ضمير الجمع في «ليعبدوا» أي ليعبدوا الله حال إخلاص النيّة. ثانيهمـا ـ حال من ضمير الجمع في «امروا» أي ومـا امروا إلّا مخلصين لـه الدين، و«له» متعلق بـ «مخلصين» والضمير، راجع إلى «الله» تبارك و تعالى، و«الدين» مفعول به لـ «مخلصين».

و «حنفاء» جمع حنيف كالظرفاء جمع الظريف، وفي موضع «حنفاء» و جهان : أحدهما ـ منصوب على الحال من ضمير «مخلصين» ثانيهما ـ حال اخرى من ضمير «ليعبدوا» وقيل: حال من ضمير «امروا» وقيل : حال مترادفة وقيل : متداخلة .

«ويقيموا» الواو للعطف على «ليعبدوا» و مدخولهـا فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب الافعال، منصوب بما نصب به المعطوف عليه، وأصله: يقوموا فلمّا ثقلت الكسرة على الواو نقلت إلى ماقبلها، فانقلبت الواو ياء لإنكسار ماقبلها، و «الصلاة» مفعول بها، «ويؤتوا» الواو أيضاً للعطف، ومدخولها فعل مضارع لجمع المذكّر الغائب من باب الإفعـال، منصوب كما قبله، وأصله : يوتيوا، فلمّا ثقلت الضمّة على الياء نقلت إلى ماقبلها، ثم حذفت الياء لإلتقاء السا كنين: الياء والواو و «الزكاة» مفعول بها.

«وذلك» الواو للإستئناف، و «ذلك» في موضع رفع على الإبتداء، اشـارة إلى ماتقدّم من الامر بالعبادة، والإخلاص في الدين، وإقامة الصلاة، وايتاء الزكاة، و «دين» مرفوع على الخبرية، اضيف إلى «القيّمة» على حذف الموصوف أي دين الملّة القيّمـة أو دين الحنيفية القيّمة أو دين الأمة القيّمة أو دين الجماعـة القيّمة كقوله تعـالى: «حبّ الحصيد» ق: ٩) أي حبّ الزرع الحصيد لمنع إضافة الشّيء إلى نفسه لولا التقدير، وهذا لايجوز فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه. وأمّا الكوفيون فقد أجازوا إضافة الشّيء إلى نفسه إذا اختلف لفظ المضاف والمضاف

إليه، وإن كانا بمعنى واحد.

أقول: ولا يبعد أن يكون المقام من باب إضافة الموصوف إلى صفته للتلازم الدائم بينهما، فلا تقدير قال الله تعالى: «ذلك الدّين القيّم» التوبة: ٣٦) فالتاء في «القيّمة» للمبالغة والمدح.

٦-(ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نارجهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية)

«إنّ» حرف تأكيد، و «الذين» موصولة في موضع نصب بحرف التأكيد، و «كفروا» فعل ماض للجمع المذكّر الغائب، صلة الموصول، وفي «من» وجهان: أحدهما-بيانيّة. ثانيهما- تبعيضيّة. و «أهل» مجرور بـ«من» اضيف إلى «الكتاب» متعلق بـ«كفروا».

«والمشركين» الواو للعطف، وفي موضع «المشركين» وجهان: أحدهما- في موضع جرّ، عطف على «أهل الكتاب» ثانيهما- في موضع نصب، عطف على «الذين» و «في نار» متعلّق بمحذوف، وهو الخبر لحرف التأكيد على قول، و «نار» اضيفت إلى «جهنم» وهي غير منصرفة للتأنيث والتعريف.

وفي «خالدين» وجوه: أحدها- منصوب على الحال من مضمر مقدّر على تقدير: يجزونها خالدين. ثانيها- حال مقدّرة أي مقدراً خلودهم فيها من الله تعالى. ثالثها- حال من الضمير في الخبر، و«فيها» متعلق بـ«خالدين».

و «اولئك» في موضع رفع على الإبتداء، و «هم» مبتداء ثان، و«شرّ» خبر للثاني اضيف إلى «البريّة» والجملة خبر للأوّل، والجملة خبر لحرف التأكيد على قول آخر، ومن المحتمل أن يكون «هم» ضمير الفصل.

و «البريّة» أصلها: البريئة، تركت الهمزة تخفيفاً، وهو من برأ الله الخلق والله الباريء المصوّر، و «البريّة» فعيلة بمعنى مفعولة وهي صفة غالبة لأنّها لايذكر معها الموصوف.

٧- (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية)

«إنّ» حرف تأكيد، و«الذين» موصولة في موضع نصب، إسم لحرف التأكيد، و«آمنوا» فعل ماض لجمع المذكّر الغائب من باب الافعال، صلة الموصول، «وعملوا» الواو حرف عطف، ومدخولها فعل ماض لجمع المذكّر الغائب، عطف على «آمنوا» و«الصالحات» جمع الصالحة، مفعول بها، وكسرت التاء لأنّها غير أصليّة، و«اولئك» مبتداء أوّل، و «هم» مبتداء ثان، و«خير البرية» خبر للثاني، والجملة في موضع رفع خبر لحرف التأكيد. وقيل: انّ الضمير للفصل كما تقدّم.

٨- (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه)

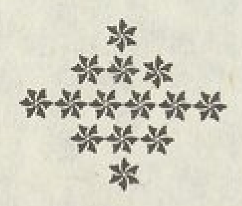
«جزاء» مبتداء اضيف إلى «هم» والضمير راجع إلى «الّذين آمنوا» و «عند» منصوب على الظرفيّة، اضيف إلى «ربّ» اضيف إلى «هم» والضمير راجع إلى «الّذين آمنوا» وفي الظرف وجوه: أحدها- ظرف ل«جزاؤهم» ثانيها- متعلق بمحذوف، صفة لجزاؤهم. ثالثها- متعلق بمحذوف وهو حال من «جزاؤهم» و «جنّات» جمع جنّة، خبر للمبتداء، اضيفت إلى «عدن» و «تجرى» فعل مضارع في موضع رفع، صفة ل«جنات» على حذف حلول أو دخول أي دخول جنات لأنّ الجزاء حدث والجنة عين ولا تكون هي هي.

و «من تحتها» متعلق ب«تجرى» والضمير راجع إلى «جنات» و«الأنهار» جمع قلّة مفرده النهر، فاعل ل«تجرى» وفي «خالدين» وجوه: أحدها- حال من ضمير «جزاؤهم» وذلك جائز لأنّ المصدر ليس بمعنى «أن فعل» و «أن يفعل» فيحتاج ألا يفرق بينه وبين ما تعلّق به، وإنّما يمتنع أن يفرق بينه وبين ما تعلّق به إذا كان بمعنى أن فعل وأن يفعل وليس هذا منه. ثانيها- حال لمقدّر محذوف على تقدير: مقدّراً خلودهم من الله جلّ وعلا في جنّات عدن أو يجزونها خالدين فيها ثالثها- على تقدير: ادخلوها خالدين أو اعطوها. ولا يكون حالاً من الضمير المجرور في «جزاؤهم»

لأنك لو قلت ذلك لفصلت بين المصدر ومعموله بالخبر وقد أجازه قوم واعتلّوا له بأنّ المصدر هنا ليس في تقدير أن والفعل وفيه بعد، و«فيها» متعلّق بـ«خالدين» والضمير راجع إلى «جنّات».

«أبداً» ظرف زمان مستقبل، منصوب على الظرفيّة، متعلق بـ«خالدين» كما أنّ قطّ للماضي، و «رضي» فعل ماض، و«الله» فاعل الفعل، و«عنهم» متعلق بـ«رضي» وضمير الجمع راجع إلى «الّذين آمنوا» و«رضوا» فعل ماض لجمع المذكّر الغائب عطف على «رضي» و«عنه» متعلق بـ«رضوا» والضمير راجع إلى «الله» وأصل «رضوا» رضيوا، فلمّا ثقلت الضمّة على الياء، نقلت إلى ماقبلها، فالتقى الساكنان: الواو الياء فحذفت الياء ولم تحذف الواو لأنّها علامة الجمع، وهي لاتحذف.

«ذلك» في موضع رفع على الإبتداء، وهو إشارة إلى الجنّات وصفتها، وإلى الخلود والأبدية فيها، وإلى رضوان الله تعالى عن المؤمنين، ورضاهم عن الله جلّ وعلا واللام في «لمن» للتمليك والإختصاص، و«من» موصولة، و «خشى» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «من» و«ربه» مفعول به، والضمير راجع إلى «من» والجملة صلة الموصول.



﴿ البيان ﴾

١- (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة)

تقرير لحالة أهل الكتاب والمشركين قبل البعثة المحمدية ﷺ وإشارة إلى ما كانوا ينتظرونه من رسول و كتاب من الله عزّ وجلّ حيث كان كل منهم مستمسكاً بما هو عليه لاينفكّ عنه حتّى تأتيهم حجّة جديدة من الله تعالى بصورة رسول ... وإشارة إلى قيام الحجة على الّذين كفروا بالدعوة الاسلاميّة من أهل الكتاب و المشركين إذبدا فيهم الإختلاف بعد أن اقيمت عليهم الحجّة القاطعة.

وفي ايراد الصّلة: «كفروا» فعلاً تنبيه إلى حدوث كفر أهل الكتاب بعد نبيّهم، وفي ايراد اليهود والنصارى بأهل الكتاب إشعار بعلّة مانسب إليهم من الوعد باتباع الحق، فانّ مناط ذلك وجدانهم له.

قوله تعالى: «من أهل الكتاب» بيان للذين كفروا، و تنبيه إلى أنّ الكفار على فريقين: طائفة منهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن يجري مجراهم كالمجوس، وطائفة آخرون منهم هم المشركون، وهم عبدة الأصنام والأوثان... من العرب و غيرهم.

وفي البيان تبعيض أيضاً إذ ليس كل أهل الكتاب كافرين لقوله تعالى: «منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون» آل عمران: ١١٠)، فليس المراد بالّذين كفروا هنا الكافرين على إطلاقهم، وإنّما هم الكافرون من أهل الكتاب- اليهود والنصارى و

من يجري مجراهم - وهم أكثر أهل الكتاب.

وقوله تعالى: «والمشركين» في إفراد المشركين بالذكر عن أهل الكتاب دلالة على أنّ أهل الكتاب ليسوا من المشركين للعطف الّذي يقتضي المغايرة، فالمشركون هم غير أهل الكتاب، وإنّما عبدة الأصنام والأوثان... وإن كان أهل الكتاب مشركين في عقيدتهم، إذ قال الله تعالى: «إتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلّا هو سبحانه عمّا يشركون» التوبة: ٣١) وقال: «و قالت اليهود عزيز ابن الله و قالت النصارى المسيح ابن الله التوبة : ٣٠) و في تقديم أهل الكتاب على المشركين في الذكر تنبيه إلى أنّ الكفر والعصيان، والعناد و الطغيان من أهل العلم و الكتاب أقبح من الجاهل و غير أهل الكتاب.

وقوله تعالى: « منفكين » إشارة إلى كمال و كادة و عدهم أي لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه، عازمين على إنجازه، ومنتظرين بوقوعه وحدوثه ، فيتّفقوا على الحق إذا جاءهم ، فاذا أتتهم البيّنة الّتى كانوا ينتظرون بمجيئها تقطع ما بينهم و انحلّت وحدتهم ، و أخذ كل ، الطريق الّذي يختاره . . .

قوله تعالى: «حتّى تأتيهم البينة» في التعبير عن إتيان البينة بصيغة المضارع باعتبار حال المحكيّ لا باعتبار حال الحكاية.

ولا يخفى على الأديب الأريب ماجاء في هذه الكريمة بصيغة الإتيان: «حتّى تأتيهم البيّنة» وفي الآية الرابعة بصيغة المجيء : «إلّا من بعد ماجائتهم البينة» من اللطافة في البيان فانّ قولك: جاء فلان كلام تامّ لايحتاج إلى صلة، وقولك: أتى فلان يقتضى مجيئه بشيء ، ولهذا يقال: جاء فلان نفسه، ولايقال: أتى فلان نفسه، فتدبّر جيداً واغتنم جداً.

٢- (رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة)

بيان من البيّنة الّتي تعرّفهم وجه الحق و تفسّره، والبيّنة هي: الحجّة الواضحة تمام الوضوح، وإطلاقها على محمد رسول‌الله الأعظم صلى الله عليه وآله كاطلاق النور و السراج عليه صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عزّ وجلّ: « يا أيّها النّبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً» الأحزاب: ٤٥-٤٦)

وفي التعبيرعن محمد رسول‌الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بالبيّنة ايذان بغاية ظهور أمره- مع أنّ البيّنة هي آيات‌الله جلّ وعلا- وإشارة إلى أنّ النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هو في ذاته بينة وهو بنفسه آية من آيات‌الله تعالى في كماله وأدبه وعظمة خلقه وحسن سيرته ... وإلى أنّ محمداً رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم هو ذلك الموعود في الكتابين، وما تقتضيه السنّة الإلهية من الهداية والبيان إذا أحاطت الفحشاء والعصيان، والشقاء والطغيان بالمجتمع الانساني.

قال‌الله عزّ وجل: وماكان الله ليضلّ قوماً بعد إذهداهم حتّى يبيّن لهم ما يتقون» التوبَة : ١١٥)

ولعظيم خلقه، و حسن سيرته، و كمال أدبه كان كثيرمن المشركين يلقون النّبي ّالكريم صلى الله عليه وآله وسلم لأوّل مرّة، فيؤمنون به قبل أن يستمعوا إلى آيات‌الله تعالى منه، وقبل أن يشهدوا وجه الاعجاز فيها ... وأنّه ليكفى أن يقول لهم: إنّ محمداً هو رسول‌الله الموعود صلى الله عليه وآله وسلم الذي ينتظره المجتمع البشري قبل رسالته، فيقرؤن آيات الصدق والحق والهداية والسعاده والسيادة والعظمة والكمال و الأدب ... في وجهه صلى الله عليه وآله وسلم وفي وقع كلماته على آذانهم ... وقد آمن المؤمنون الأوّلون، و لم يكن قد نزل من القرآن الكريم قدر يعرفون منه أحكام الديـن و مبادئه و أخلاقياته . . . بل إنّ ايمانهم كان إستجابة لما دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله لأنّه لايدعو- كما عرفوه وخبروه - إلّا إلى الخير والصواب، إلى الحق والرشاد، إلى العزة والفلاح، وإلى السعادة والصلاح ...

وقوله تعالى: «من الله» متعلّق بمضمر موصفة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم مؤكّد لما أفاده

التنوين من الفخامة الذاتيّة بالفخامة الاضافيّة أي رسول وأيّ رسول كائن من جانب الله جلّ وعلا.

وقوله تعالى: «يتلوا» صفة ثانية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو حال من ضمير متعلق الجار، وفي إيثار المضارع من عرض ماجاء به على الناس وإستمراره مالايخفى،

وقوله تعالى: «صحفاً مطهرة» جمع الصحف إمّا باعتبار تعدّد سور القرآن الكريم وآياتها النازلة على خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وإما باعتبار إشتماله لجميع الكتب السماوية النازلة على المرسلين كلهم عليهم السلام مضافاً إلى نزول مايحتاج إليه المجتمع الانساني في جميع شئون حياته إلى يوم القيامة، أو باعتبار أوراقه المكتوبة ...

و قد تكرّر في كلامه تعالى إطلاق الصحف على أجزاء الكتب السماويّة، ومنها القرآن الكريم.

قال الله عزّوجلّ: « كلا انّها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرّمة» عبس: ١١ ـ ١٤)

و المراد بكون الصحف مطهّرة: تقدّسها من قذارة الأوهام و الخرافات و الأباطيل من مداخل شياطين الانس و الجن فيها، و نقائها و صفاء آياتها من الخلط و الزيغ و التدليس و التحريف، و مبرّأها من النقائص و الشبهات، و تنزّهها من الكذب و الزور و النفاق و الضلالة و من كل سوء... فهي حق خالص و كمال مطلق وطاهر مقدس... وإنّما حصّنها الله جل وعلا من كل سوء قبل نزولها وبعده إلى يوم القيامة.

قال الله تعالى: «مرفوعة مطهّرة بأيدي سفرة كرام بررة» عبس: ١٤ـ١٦)

وقال: «إنّه لقرآن كريم في كتاب مكنون لايمسّه إلّا المطهّرون تنزيل من رب العالمين» الواقعة: ٧٧ـ ٨٠)

وقال: «إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون» الحجر: ٩)

٣ـ (فيها كتب قيمة)

صفة ثانية للصحف المطهّرة ، بياناً لها بأنّها هي الكتب الّتي نزلت على أنبياءالله ورسله عليهم السلام كصحف إبراهيم وموسى، وإنجيل عيسى وزبورداود عليهم السلام، وتقرير لما فيها من الشرح للطريق القويم الّذي لاعوج فيه لاشتماله على الحق و الصواب ، و الخير و الرشاد ، و هوحق ينطق بالحق ، و هو هداية يهدي الناس إلى الهدى ، و هو صواب يدعو البشريـة إلى الصواب . . . فيجب عليهم أن يسيروا فيه .

وانّ القرآن الكريم جمع ما تفرّق فيما أنزل الله جلّ وعلا من كتب على أنبيائه، فكان به تمام الله تعالى الّذي هو الاسلام كما يقول عزّ وجلّ: «انّ الدين عند الله الإسلام ـ و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه» آل عمران : ١٩ ـ ٨٥) و كون الصحف تحوى في كيانها الكتب مع أنّ العكس هو الصحيح كماهو في معهودنا إشارة إلى أنّ صحف القرآن الكريم هي بالنسبة إلى الكتب السماوية السابقة كتب . . . و أنّ الصحيفة أومجموعـة الصحف منه تعادل كتاباً مـن تلك الكتب إذ جمعت في كلماتها المعجزة ما تفرّق في هذه الكتب، وفي هذا ما يدلّ على قدرهذا القرآن العظيم، وأنّه كان لهذا جديراً أن ينزل في ليلة القدرالّتي هي ليلة الزمن كلّه كما أنّ هذا الكتاب هو شرع الله كلّه و كتب الله السماوية كلها ومازاد عليها ...

٤ـ (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الامن بعد ماجائتهم البينة)

مستأنف سيق لبيان غاية تشنيع أهل الكتاب خاصّة وتغليظ جناياتهم ... بيان أن ما نسب إليهم من الإنفكاك لم يكن لاشتباه مافي نفس الأمر بل كان بعد وضوح الحق وتبيّن الرشد و كشف الحال وإنقطاع الأعذار بالتمام، وهوالسرّ في وصفهم بايتاء الكتاب: «اوتوا الكتاب» المنبيء عن كمال تمكّنهم من مطالعته، و الاحاطة بما في تضاعيفه من الأحكام و الأخبار الّتي مـن جملتها نعوت محمّد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذكر هم فيما سبق بما هو جار مجرى إسم الجنس للطائفتين.

و لمّا كان أهل الكتاب و المشركون باعتبار إتفاقهم على رأي المذكور في حكم فريق واحد عبّر عمّا صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الإخبار بوقوعه بالإنفكاك، و عند بيان كيفيّة وقوعه بالتفرّق إعتباراً لاستقلال كل من فريقي أهل الكتاب و ايذاناً بأنّ انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الإختلاف القديم، أو انّ التفرّق نشأ عن أهل الكتاب وخاصّة أهل العلم منهم ينبيء عنه قوله تعالى: «اوتوا الكتاب» وكان المشركون يتبعونهم لكونهم من أهل الكتاب والعلم، ولهذا اكتفى بأهل الكتاب في الذكر.

و في الآية الكريمة بيان أيضاً لاخلافهم الوعد و تعكيسهم الأمر بجعلهم ماهو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبما وعدوه سبباً لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم عنه، وهذا بناء على تقدير أن يكون المراد بالتفرّق تفرّقهم عن الحق الّذي يستلزم للثبات على الباطل.

و قيل: إنّ الآية نعي على أهل الكتاب لأنّهم قد جاءهم ذلك ثم تنازعوا واختلفوا و كفروا بالرسالة المحمدية، ووقفوا من هذه الرسالة موقف المناوأة في حين أنّ ماجاءهم مثل هذه البيّنة لم يكن ليحتمل خلافاً ولانزاعاً، وانّ توجيه النعي إلى أهل الكتاب إشارة إلى مشهد جدليّ قام بين النّبيّ الكريم، و بين فريق من أهل الكتاب، و تعقيباً عليه، و لعلّ بعض المشركين كانوا طرفاً في المشهد أو لعلّ ذكرهم جاء إستطرادياً ليكون الكلام جامعاً للكافرين بالرسالة المحمدية، ولو سيّما أنّ المشركين كانوا يقولون: إنّه لوجائنا نذير أولوانزل إلينا كتاب بلغتنا لكنّا أهدى من أهل الكتاب على ماحكى عنهم في قوله تعالى: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم فلمّا جاءهم نذير مازادهم إلّا نفوراً» فاطر: ٤٢)

وقوله عزّ وجل: «أو تقولوا لو أنّا انزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم فقد جاءكم بيّنة من ربكم وهدى ورحمة» الأنعام: ١٥٧)

فاقتضت حكمة التنزيل شمولهم بالنعي لأنّهم كفروا بما كانوا يتمنّون مجيئه من الله تعالى من نذير و كتاب.

إن تسئل: لماذا جمع الله تعالى بين أهل الكتاب والمشركين في أوّل السورة ثم خصّ أهل الكتاب بالتفرّق دون غيرهم في هذه الآية وقد كانوا مجموعين مع الكافرين فيه؟

تجيب: لأنّ أهل الكتاب هم مظنون بهم بلم؟ فاذا تفرّقواهم وقد كانوا على علم به ﷺ لورود إسمه ﷺ في كتبهم -وقد كانواهم يعرفون الرسول ﷺ كما يعرفون أبناءهم- كان غيرهم ممن لاعلم ولا كتاب له أدخل في وصف التفرّق، فكان إنفكاكهم عما كانوا عليه أشدّ نكيراً عليهم من المشركين، و كان تفرّقهم من جهتين: جهة كتابهم، وجهة سنّة الهداية والبيان عند إشاعة الفحشاء وظهور الفساد، وإحاطة الشقاء على المجتمع البشري.

وقوله تعالى: «إلّا من بعد ما جائتهم البينة» إستثناء مفرّغ من أعمّ الأوقات، وفي الجملة إشارة إلى كفرهم برسول الله ﷺ و كتابه المتضمّن للدعوة الحقّة كما أنّ فيها إشارة إلى إختلافهم السابق على الدعوة الاسلاميّة، و قد أشار تعالى إليه في مواضع من كتابه:

منها قوله تعالى: «و ما اختلف فيه إلّا الذين اوتوه من بعد ما جائتهم البيّنات بغياً بينهم» البقرة: ٢١٣).

وقوله: «وما اختلف الّذين اوتوا الكتاب إلّا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم» آل عمران: ١٩) وغيرهما من الآيات القرآنية...

وفي الآية الكريمة تسلية للنّبيّ الكريم عن تفرّق القوم في شأنه ﷺ بأن لاتذهب نفسك عليهم حسرات، ولايكوننّ في صدرك حرج منهم، فانّ هذا شأنهم الّذي درجوا عليه، و ديدنهم و ديدن أسلافهم الّذين بدّلوا وافتروا على أنبيائهم، وتفرّقوا طرائق قدداً حتّى صار أهل كل مذهب يبطل ماعند غيره بغياً وعدواناً،

وقولاً بالتشهّي والهوى من غير علم، ولايكون تفرّقهم لقصور حجّتك أو خفاء شأنك عليهم، فهم إن يجحدوا بيّنتك فقد جحدوا بيّنة من قبلك، وإن أنكروا نبوتك فقد أنكروا آيات الله جل و علا بعد ما استيقنتها أنفسهم . . . و إذا كانت هذه حال أهل العلم والكتاب فما ظنك بالمشركين، وهم أعرق في الجهالة وأسلس مقادة للهوى.

٥ - (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة و ذلك دين القيمة)

بيان لدعوة الله تعالى، و تقرير واضح للدعـوة النبويّة، و حجّة جدليّة دامغة على الّذين يطلبون البرهان من النّبي الكريم ﷺ على صحّة دعوته، وتقرير بأنّها لاتتحمّل مكاباً ولا إختلافاً ، فدعوته هي إلى عبادة الله وحده والإخلاص له والصلاة إليه ومساعدة المحتاجين بالزكاة، ولايطلب البرهان على صحّة هذه الدعوة ويكفر بها إلّا سيّىء النيّة، خبيث الطوية، وهذا هو الدين المستقيم والطريق القويم، وتوبيخ عليهم على ما صاروا إليه من الأفعال، وعلى ما بلغوه من فساد العقل والضلال.

قوله تعالى : «و ما امروا إلّا ليعبدوا» جملة حاليّة مفيدة لغاية قبح ما فعلوا، فكيف تفرّقوا، و هم يدعون إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، ولذلك خلقهم الله تعالى : «وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون» الذاريات : ٥٦).

وقوله تعالى: «مخلصين له الدين» قيد لما كان يدعوهم النّبيّ الكريم ﷺ إليه، فما تضمّنت رسالة محمد ﷺ وماجاء به الكتب القيّمة إلّا أمرتهم بعبادة الله تعالى وحده بقيد الاخلاص في الدين، فلايشركوا به شيئاً، ولايتديّنوا بغير دينه الحق وهو الإسلام.

وقوله تعالى: «حنفاء» وصف للمخلصين على طريق الحال باعتبار إلتزامهم الإعتدال والتحرّز عن الإفراط والتفريط على ما أمرهم الله عزّ وجلّ به في الدين،

فانّ الحنف هو : الميل عن جانبي الإفراط والتفريط إلى حاقّ وسط الإعتدال ، ومن هنا سمّوا امة وسطاً .

قال الله تعالى: « وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس » البقرة : ١٤٣) .

وقوله تعالى: « ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » خصّ الصلاة والزكاة ـ بعد الدعوة إلى التوحيد والاخلاص ـ بالذكر لأنّهما أعظم أركان الدين الاسلامي ، وأنّ الصلاة وظيفة جسميّة فردية ، والزكاة وظيفة مالية إجتماعية بعد ما ذكر وظيفة روحية قلبية .

وقيل : إنّ ذكر الصلاة والزكاة بعد الدعوة إلى العبادة والاخلاص من قبيل ذكر الخاص بعد العام أو الجزء بعد الكل إهتماماً بأمره ، فالصلاة والزكاة من أركان الاسلام ، وهما التوجّه العبوديّ الخاص إلى الله تعالى وإنفاق المال في الله جلّ وعلا .

وقوله تعالى: « وذلك دين القيّمة » إشارة إلى ما امروا به من العبادة لله تعالى والاخلاص في الدين ، وإقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، وهذا هو الدين القيّم الذي لاعوج فيه ، ومعنى البعد فيها ـ الاشارة ـ إشعار بعلوّ رتبة المشار إليه وبعد منزلته .

وفي الجملة إشارة إلى عموم رسالة محمد ﷺ وشمول الدعوة الاسلامية لعامّة البشر ، وختميّة رسالة النبيّ الكريم ﷺ على الرسالات كلها لقيام هذا الدين بأمر المجتمع البشري وحفظه لمصالح حياتهم على ماتقتضيه الفطرة السليمة البشرية إلى يوم القيامة ، فلا كتاب سماوي بعد القرآن الكريم ، ونبي بعد محمد ﷺ ولا دين بعد الاسلام ، فعلى كل إنسان عاقل أن يؤمن بها في أي وقت ومكان كان ولا يكفر .

قال الله تعالى: « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها

لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم » الروم : ٣٠) .

٦ـ (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية)

تنديد بالكفار و وعيد و إنذار لهم ، تنديداً لاذعاً بالّذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، وبيان لعاقبة تفرّقهم ، وتقرير لجزاءهم في الآخرة بدخولهم في نار جهنم ، خالدين فيها، جزاء ما كسبت أيديهم ، جزاء جحدهم رسالة محمد ﷺ ، وجزاء إعراضهم عمادعا إليه النبيّ الكريم ﷺ وهدت إليه الفطرت ، فلذلك استحقّوا دخول النار ، ففي الآية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف إشعاراً بعليّة الوصف في الحكم مالايخفى .

و في ايراد الجملة الاسميّه ايذان بتحقّق مضمونها لامحالة ، و في ذكر «المشركين» رفع توهّم إختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب إختصاص مشاهدة شواهد النبوّة في الكتاب بهم ، فالوعيد والانذار يشمل لكلتا الطائفتين ، ويواجه للذين ظلّوا علي كفرهم من أهل الكتاب ، والّذين أقاموا على شركهم من المشركين بعد أن تبيّن لهم الرشد من الغيّ ، فهؤلاء و اولئك كلهم سيلقون في نار جهنم خالدين فيها .

قيل: قدّم في الوعيد أهل الكتاب على المشركين ، والسرّ فيه بعد ما مرّ أنّه ﷺ كان يقدّم حق الله على حق نفسه ، ولهذا حين كسروا رباعيته قال : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » وحيث فاتته صلاة العصر يوم الخندق قال : « ملأ الله بطونهم وقبورهم ناراً » فقال الله تعالى: « كما قدّمت حقّي على حقّك فأنا أيضاً اقدّم حقك على حقّي فمن ترك الصلاة طول عمره لم يكفر و من طعن فيك بوجه يكفر ثم ان أهل الكتاب طعنوا فيك فقدّمتهم في الوعيد على المشركين الذين طعنوا فيّ » .

و أيضاً المشركون رآوه صغيراً يتيماً فيما بينهم ، ثم إنّه بعد النبوّة سفه

أحلامهم و كسر أوثانهم ، وهذا أمر شاق يوجب العداوة الشديدة عند أهل الظاهر وأمّا أهل الكتاب فقد كانوا مقرّين بنبيّ آخر الزمان وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مثبتاً لنبيّهم و كتابهم ، فلم يوجب لهم ذلك عداوة شديدة ، فطعنهم في محمد صلى الله عليه وآله وسلم طعن في غير موقعه ، فاستحقّوا التقديم في الوعيد لذلك ، وكانوا شرّ البرية ، وهذه جملة يطول تفصيلها شرّ من السراق لأنّهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم شرّ من قطّاع الطريق لأنّهم قطعوا على سفلتهم طريق الحق ، وشرّ من الجهّال لأنّ العناد أقبح أنواع الكفر ، وفيه دلائل على أنّ وعيد علماء السوء أفظع .

وقوله تعالى: « اولئك هم شرّ البرية » إشارة إلى كلتا الطائفتين باعتبار إتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة من التفرّق بعد أن تبيّن لهم الرشد من الغيّ ، و معنى البعد في الاشارة للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر لبعد قلوبهم عن الحق بالكفر أي اولئك البعداء المذكورون « هم شر البرية » في حيّز تعليل لخلودهم في نار جهنم .

وتوصيفهم بشر البرية مستمدّ من موقفهم الجحودي الذي كشفوا به عن سوء نيتهم وخبث طويتهم لأنّهم الذين جحدوا بماجاءهم وكانوا هم يتمنّونه ويتوقعونه .

فهؤلاء واولئك « هم شرّ البرية » : شرّ الخلق، لأنّهم لم يؤمنوا وقد جاءتهم البيّنة التي جمعت البنيان كلّه ، واشتملت على الهدى كلّه ، فكانت آياتها قائمة بين الناس يلقونها في كلّ لحظة ، ويديرون عقولهم وقلوبهم إليها في كلّ زمان و مكان ، و لم تكن آياتها آيات عارضة ، تلقاها حواسّ من يشهدونها ساعة من نهار ثم تزول فلاترى أبد الدهر كما رآى الراؤن من آيات موسى وعيسى عليهما السلام ... وإنّما هي آيات تعايش الانسان وتصحبه ماشاء أن تصحبه وتعيش معه .

والحق حين تتّضح آياته هذا الوضوح المشرق ، و حين يتجلّى وجهه هذا التجلّي المبين ، يكون منكره ، والحائد عنه أشدّ الناس ضلالاً وأكثرهم عناداً ، وأبعدهم عن الخير وأقربهم إلى الشرّ ... « اولئك هم شرّ البريّة » و في الجملة

حكم آخر عليهم بأنّهم شرّ الخليقة على الإطلاق ، فانّ منكر الحق بعد معرفته ، وقيام الدليل عليه منكر لعقله ، جالب لنفسه إلى الدمار والوبال ، وفيها تأكيد أيضاً لفظاعة حالهم في الآخرة ، و قصر الشرّيّة في الكفار بسبب الكفر والتفرقة في الدين ، و انّ الشرارة ناشئة عن الكفر والتفرقة . و في الجملة قصر الشرّية في الكفار .

٧ - (ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك هم خير البرية)

تنويه و بشرى عظيمة للمؤمنين ، و وصف لهم بأنهم خير خلق الله تعالى مقابل وصف الكافرين بأنّهم شرّ الخليقة، وبيان لمحاسن أحوال المؤمنين الصّالحين إثر بيان سوء حال الكافرين جرياً على السنّة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب ، والوعيد بالوعد ، والإنذار بالبشرى .

وقوله تعالى: « و عملوا الصالحات » مقابلة الجمع بالجمع ، فلا مكلّف يأتي بجميع الصالحات بل لكلّ مكلّف حظّ ، فحظّ الغنيّ الاعطاء ، وحظّ الفقير الأخذ

وقوله تعالى: « اولئك هم خير البرية » في تقديم مدح المؤمنين بخير البرية و ذكر الجزاء : « جزاؤهم » المؤذن بكون ما منحوه تجاه ما وصفوا به ، وبيان كونه من « عند ربهم » مع تعرّض عنوان الربوبيّة المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم ، وجمع «جنات عدن» وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيماً و تأكيد الخلود : «خالدين فيها» بالأبدية : «أبداً» دلالة واضحة على غاية حسن حالهم.

وفي الجملة المشيرة من قصر الخيرية في الايمان و صالح العمل ما لايخفى ، وإن كانت وصفاً للمؤمنين والصالحين ولكن باعتبار الايمان وصالح العمل ، و انّ الخير ناش عن الايمان والعمل الصالح . ففي الآية الكريمة من تعليق الحكم على الوصف إشعاراً بعليّة الوصف في الحكم مالايخفى .

وقد جاء الحديث عن المؤمنين على طريق الإطلاق من دون قيد الاضافة إلى

أهل الكتاب أو المشركين، ولم يجيء النظم القرآني هكذا : « إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات من أهل الكتاب والمشركين » كماجاء في الآية السابقة : « انّ الّذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » لأنّ المؤمنين الصالحين داخلون في ساحة المؤمنين بشريعة الاسلام في جميع الأحوال والأزمان سواء أكان هذا الايمان عن دعوة رسول و كتاب أو عن دعوة العقل و إلهام الفطرة ، فالمؤمن بالله جلّ وعلا حيث كان ، وحيث كان مصدر ايمانه هو لاحق بهؤلاء المؤمنين و هم داخلون في خير الخليفة ، ويلاقون هذا الجزاء الّذي يجزى به المؤمنون .

و أمّا حصر الكافرين هنا في الذين كفروا من أهل الكتاب ، والمشركين من بعد ماجائتهم البينة ، فهو تشنيع على هذا الوجه الكريه الغليظ من وجوه الكفر في مواجهة هذا الصبح المشرق الّذي لاينكره إلّا مكابر معاند ، ولايكفر به إلّا من ختم الله على قلبه وسمعه ، وجعل على بصره غشاوة ، ومن هنا كانوا شر البرية على الإطلاق ، كما كان المؤمنون بشريعة الاسلام خير البرية على الإطلاق كذلك . وفي الجملة الأخيرة قصر الخيرية في المؤمنين الصالحين .

٨ - (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك لمن خشى ربه)

تقرير لما سيلقى المؤمنون الصالحون من جزاءهم الاخروي إثر بيان محاسن أحوالهم . . .

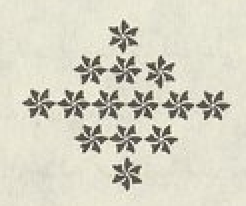
قوله تعالى: « جنات عدن » العدن: الإستقرار والثبات فجنّات عدن جنّات خلود ودوام و توصيفها بقوله : « خالدين فيها أبداً » تأكيد بمايدلّ عليه الاسم .

وقوله تعالى: « رضي الله عنهم » مستأنف سيق لبيان ما يتفضّل عليهم زيادة على ماذكر من جزاء أعمالهم ، وما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة .

وقوله تعالى: « و رضوا عنه » بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلاً و آجلاً ، وفي الجملتين إشارة إلى جزاءهم الروحي إثر بيان جزائهم المادّي .

و «ذلك» إشارة إلى ما ذكر من الجزاء و رضا الله تعالى عنهم، و رضاهم عنه جل و علا، و في تقديم رضا الله عزّ وجلّ عنهم على رضاهم عنه سبحانه ما لا يخفى.

وقوله تعالى: «لمن خشي ربه» في تعرّض عنوان الربوبيّة المعربة عن المالكيّة والتربيّة إشعار بعلة الخشية، و هي أنّ العلم بالله جل وعلا و معرفته حقاً يستتبع الخشية منه جلّ وعلا، والخشية منه تعالى تستتبع الايمان به سبحانه بمعنى الالتزام القلبي بربوبيته والوهيته ثم العمل الصالح، و في الجملة تحذير من الاغترار بالتربية، وتحذير من خشية غير الله جل وعلا، وتنفير عن إشراك غيره به سبحانه في جميع الأعمال كما أنّ فيها ترغيباً في تذكر الله تعالى و رهبته لدي كل عمل من أعمال البرّ حتّى يكون العمل له خالصاً إلى أنّ فيه ايماء إلى أنّ أداء بعض العبادات كالصّلاة والصّوم بحركات وسكنات مجردين عن الخشية لا يكفي في نيل ما أعد للمؤمنين الصالحين من الجزاء والرضوان لأنّ الخشية لم تحلّ قلوبهم، ولم تهذّب نفوسهم...



﴿الاعجاز﴾

قال الله عزّ وجلّ : « حتّى تأتيهم البيّنة ـ من بعد ما جائتهم البيّنة » البيّنة : ١ ـ ٤) .

كثيراً ما يسئل : أيكون القرآن الكريم بتمامه بيّنة ؟ أم تكون سورة منه أو آية منها كذلك؟ فيعجز الجن والانس عن اتيان مثلها في كلّ وقت ومكان ؟؟؟

تجيب : انّ القرآن الكريم كما يطلق على جميعه و على كل سورة من سوره ، وعلى كل آية من آيها ، بل على كل جملة منها فكذلك إطلاق إعجازه على تمامه وعلى كل سورة ، وآية، وجملة منه فيعجز عن إتيان مثله الجن والانس وإن كان بعضهم لبعض ظهيراً .

قال الله تعالى : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » الاسراء : ٨٨) .

وقال : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين » هود : ١٣) .

وقال : « و إن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداء كم من دون الله إن كنتم صادقين » البقرة : ٢٣) .

وقال : « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » الطور : ٣٤) .

ومن غير مراء : انّ القرآن الكريم خلق شريف كخلق الانسان له أجزاء وأعضاء كل جزء وعضو منه معجزة لن يستطيع أن يخلق مثله ، و إن تقدّم العلم

و رقت الأفكار ... فالعين عضو واللسان عضو ، والأنف عضو والاذن عضو واليد عضو والرجل عضو والأنامل عضو . . فلو اجتمعت الانس والجن أن يخلقوا عيناً ولساناً وأنفاً واذناً ويداً ورجلاً وأنامل . . . مثل عين الانسان . . لايأتون بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . فاذا أردت أن تعرف كون كل سورة من القرآن الكريم بيّنة مستقلة كجميعه ، فتدبّر فيما تنطوى هذه السورة مع قصرها بالنسبة إلى ما فيها من البيان . . .

و إذا أردت أن تعلم أنّ كل آية من هذا الكتاب السماوي بيّنة فتفكّر في مضامين آيات هذه السورة ومحتوياتها . . . وإذا أردت أن يطمئن قلبك انّ كل جملة من آياتها بيّنة فانظر بدقة وتدبّر في اسلوبها وسياقها ونظمها ونغمها . . . فاذاً تعترف عن علم أن لايمكن أن يؤدّي غرض جملة منها باسلوب غير اسلوبها المأتيّ المنظور فيه .

فجدير لنا أن نشير إلى الأوّل على طريق الاجمال ، فيظهره غيره فيه : و ذلك لو أنّ عقائد الاسلام و حكمه و معارفه النازلة في القرآن الكريم من الايمان بالله عزّ وجلّ وصفاته على حقيقتها وأقسامها، ومن ملائكته على طوائفها، ومن كتبه و رسله على تعدّدها و كثرتها، ومن خلق السموات والأرض ومابينهما، ومن اليوم الآخر من الموت إلى البعث والحساب والجزاء ، و دار الثواب والعقاب على طولها وعرضها ، ومن الولايات الالهيّة لأهلها من الأوصياء صراحاً أو تلويحاً كانت في ألف آية جمعت وحدها مرتبة في ثلاث سور أو أكثر مثلاً ككتب العقائد المدوّنة لدى المسلمين على تحقيقاتهم اللازمة . . . و لو أنّ عباداته الواجبة والمستحبّة على أقسامها مع بيان شروطها من الصلاة والصوم والحج والدعاء والأذكار ونحوها، وما إليها من الشرائط . . . و وضع كل واحد منها في بضع سور أيضاً ككتب الفقه المؤلّفة عند الفقهاء والمقلدين . . .

ولو أنّ آدابه وحكمه و فضائله و معارفه ومحاسنه . . . وما يقابلها من

رذيلة الأخلاق و محرّمات الأعمال افردت هي و ما يقتضيه الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، من المواعظ والنصائح والنذر والبشرى والأمثال الباعثة لشعوري الخوف والرجاء في عدّة من سور اخرى ككتب الأخلاق والآداب المؤلفة بأيدي علماء الاخلاق والآداب . . .

و لو أنّ قواعده التشريعية ، و أحكامه الشخصية والاجتماعية ، و مبانيه السياسيّة والمدنيّة ، و دساتيره الحربيّة مع حدودها وقيودها وعقوباتها التأديبيّة والجزائية ، رتّبت في عدّة سور خاصة بها كأسفار القوانين الوضعية عند الملوك والسلاطين مع نقصانها لنقصان واضعيها . . .

و لو أنّ قصص الأنبياء والمرسلين ، والصلحاء والمؤمنين ، وحكايات الفجّار والمستكبرين وأخبار الكفار والمستبدّين . . . ومافيها من العبر والمواعظ والسنن الالهيّة سردت في سور مرتّبة كدواوين التاريخ على تفصيلها . . .

و لو أنّ كل ما ذكر من مقاصد القرآن الكريم على طريقي التفصيل والاجمال ، وعلى سبيلي التصريح والتلويح . . . التي أرادالله جلّ وعلا بها إصلاح شؤون البشرية كلّها، جمع كل نوع منها كترتيب أسفار التوراة التاريخي لايعلم أحد مرتّبه ، لفقد القرآن الكريم بذلك أعظم مزايا هدايته المقصودة بالقصد الأوّل ، للغاية التي إنتهت إليها، وهو التعبّد به ، و إستفادة كل حافظ للقليل من سوره كثيراً من مسائل الايمان والفضائل والأحكام والمعارف والحكم المنبثّة في جميع السور . . .

فلولا القرآن المجيد كذلك لماوجد في سورة منه إلّا مقصد واحد من تلك المقاصد . . . وفي كل سورة منه حتى أقصرها توجد مسائل عديدة ومقاصد كثيرة من الهداية والرشاد والخير والصواب . . . فانظر إلى سورتي الفيل و قريش ، إذ ذكر فيهما مسئلتان تاريخيتان قدجعلتا بيّنة وحجّة واضحة على مشركي العرب ، فيما يجب عليهم من توحيد الله جلّ وعلا ، والعبادة له وحده بما منّ عليهم من

عناية بحفظ البيت الّذي هو مناط عزّهم وفخرهم وشرفهم وكرامتهم ومحلّ أمنهم وتأمين تجاراتهم وحياتهم ... ولفقد القرآن الكريم بذلك أخصّ أنواع إعجازه أيضاً، ولم يكن إذن بيّنة يدعو بها رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كافّة الناس إلى الله جلّ وعلا.

ومن هنا يعلم أنّ إعجازه لايقصر في مقاصده العالية، ومبانيه الرفيعة، ولا في بيان مايحتاج إليه المجتمع الانساني في جميع شئون حياتهم في الدنيا والآخرة، وعجز الجن والانس عن إتيان حديث مثله إلى يوم القيامة، فضلاً عن إتيان سورة أو عشر سور أو مثله بتمامه ... بل يكون إعجازه فيما سوى ذلك أيضاً من فوائد نظمه وسياقه واسلوبه الّذي أنزله به رب العالمين على خاتم الأنبياء والمرسلين نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو مزج تلك المقاصد كلّها بعضها ببعض، وتفريقها في السور الكثيرة: الطويلة منها، والقصيرة بالمناسبات المختلفة بعبارات بليغة، مؤثّرة في القلوب والأفكار، محرّكة للشعور والإدراك، ونافية للسامة والملل من المواظبة على ترتيلها بنغمات نظمه الخاص به الّتي تحدث في القلب وجدان الخشوع، وخشية الاجلال للرب المعبود والرجاء في رضوانه ورحمته ومغفرته، والخوف من غضبه وعقوبته وعذابه، والاعتبار بسننه في خلقه بما لامثيل ولانظير له في كلام البشر من خطابة وشعر ولا رجز وسجع ...

فبهذا الاسلوب الرفيع، والنظم البديع، والسياق العليّ، وبلاغة التعبير السنيع، لاتبلى جدته، ولاتخلقه كثرة الترديد، ولاتكرير التلاوة وإعادة التفكير ... وحكمة ذاك ذلك.

وغايته تعلم مما وقع بالفعل هاك بيانه إجمالاً، وهذا إعجازه في لغته واسلوبه يكون خارقة للمعهود من سنن المجتمع البشري، فبيّنة عليهم أنزلها الله تعالى على رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم بها إلى الله سبحانه وتوحيده ورحمته ومغفرته

و رضوانه ، و إلى العبادة له جلّ وعلا وحده والاخلاص في الدين : « وما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة و ذلك دين القيّمة » البيّنة : ٥) .

فلو كان القرآن الكريم باسلوب الكتب العلميّة والقوانين الوضعيّة الناقصة لما كان له من التأثير الّذي غيّر ما بأنفس العرب من الشرك والعناد ، فغيّروا به امم العجم فآمنوا وأصلحوا . . .

فانّ هذا القرآن بتمامه وبكل سورة من سوره وبكل آية من آياته، وبكل حديث من أحاديثه يؤثر بروعة بلاغته ، و دهشة نظمه و اسلوبه الجاذب لفهم دعوته والايمان به في العرب ، وبهذا التأثير هو الّذي أنطق الوليد بن المغيرة المخزومي بكلمته العالية في القرآن - لأبي جهل التي إعترف فيها - بأنّه الحق الّذي يعلو ولا يعلى عليه ، وهذا التأثير هو الّذي كان يجذب رؤوس اولئك الجاحدين المعاندين ليلاً لاستماع تلاوة محمد رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في بيته ، وفي فناء الكعبة على ما كان من نهيهم عنه ، ونأيهم عنه ، وتواصيهم وتقاسمهم لايسمعنّ له .

ثمّ كانوا يتسلّلون فرادى مستخفين ويتلاقون في الطريق متلاومين ، وبهذا التأثير هو الّذي حمل المشركين على صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقوّة عن تلاوة القرآن الكريم في البيت الحرام ، وفي أسواق الموسم ومجامعه ، وعلى تواصيهم بما حكاه الله تعالى عنهم في قوله جلّ وعلا : « وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلّكم تغلبون » فصلت : ٢٦) وقد أدرك هذا أحد فلاسفة فرانسة ، فذكر في كتاب له : « قول دعاة النصرانية » : إن محمداً لم يأت بآية على نبوته كالآيات الّتي أتى بها موسى و عيسى .

فقال في الرّدّ عليهم : « ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ القرآن خاشعاً اوهاً اواهاً متألّهاً ، فتفعل قرائته في جذب الناس إلى الايمان مالم يفعله جميع آيات الأنبياء السابقين » فلو كان القرآن الكريم ككتب القوانين المرتّبة ، و كتب الفنون

المبوّبة لما كان لقليله و كثيره من التأثير ما كان لسورة واحدة من التأثير.

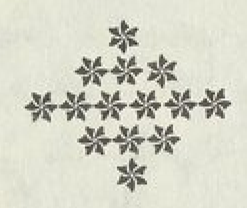
و انّ رؤساء قريش عرفوا من قوّة جذب النـاس إلى الاسلام بوقعه في أنفسهم مالم يعرفه غيرهم، وعرفوا أنّه ليس لجمهور العرب مثل مالهم من أسباب الجحود والمكابرة، فقال لهم عمّه ﷺ أبولهب من بدء الأمر: خذوا على يديه قبل أن تجتمع عليه العرب ففعلوا، فهل البيّنة إلّا ذلك.

و كان من ثبات محمد رسول الله ﷺ على بثّ الدعوة، وإحتمال الأذى ما أفضى بهم إلى الاضطهاد وأشدّ الايذاء له ﷺ و لمن يؤمن به، ثم إجماع الرأي على قتله حتّى ألجؤهم إلى الهجرة بعد الهجرة، ثم صاروا يقاتلونه في دار هجرته وما حولها، ولكنّ الله تعالى نصر رسوله ﷺ عليهم إلى أن اضطروا إلى عقد الصلح معه ﷺ في الحديبية سنة ستّ من الهجرة، و كان أهمّ شروط الصلح السماح للمؤمنين بمخالطة المشركين الّذي كان سبب سماعهم للقرآن المجيد، و دخولهم بتأثيره في دين الله أفواجاً، فكان إنتشار الإسلام في أربع سنين بالسلم والأمان اضعاف انتشاره في تسع عشرة سنة من أوّل الاسلام.

فلو كان القرآن الكريم ككتب القوانين والفنون لما كان لتلاوته كل ذلك التأثير في قلب الطباع وتغيير الأوضاع، و لم يكن بوحدته بيّنة إلهيّة يدعو بها محمد رسول الله ﷺ كافّة الناس إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، فاسلوب القرآن المجيد الّذي وصفنا من أعظم أنواع إعجازه اللغوي، وتأثيره الروحي، وقد بيّن أحد علماء الاجتماع في هذا العصر: ان تكرار الدعوات الدينية والسياسيّة والاجتماعيّة هي الّتي تثير الجماعات، وتدعهم إلى الإنهماك والتفاني فيها دعاً، وما كان محمد ﷺ ولا أحد من أهل عصره يعلمون هذا:

ولكنّ الله عزّ وجلّ يعلم من طباع الجماعات والأقوام والملل فوق مايعلمه حكماء عصرنا وسائر الأعصار، وإنّما القرآن الكريم كلامه تعالى أنزله على خاتم رسله محمد ﷺ ليدعو الناس كلّهم في كل وقت ومكان إلى خير وصواب، إلى هدى

و رشاد ، إلى حق وصلاح ، وإلى صدق وفلاح . . . وليس فيه من التكرار إلّا ماله أكبر الشأن في إنقلاب الأفكار ، ويقظة الشعور ، و تحريك العقول ، وتحويل ما في الأنفس من العقائد والاخلاق إلى خير منها ، وهو ما لايمكن إحداث الانقلاب الاصلاحي بدونه فتدبر في هذه السورة البيّنة جيداً و اغتنم جدّاً .



﴿التكرار﴾

واعلم أنّ السور التي يشتمل كل واحد منها على ثمان آيات خمس سور:

١ـ سورة «الإنشراح». ٢ـ سورة «التين». ٣ـ سورة «البيّنة». ٤ـ سورة «الزلزلة». ٥ـ سورة «التكاثر».

ونحن نشير في المقام إلى صيغ سبع لغات ـ أوردنا معانيها اللغويّة على سبيل الإستقصاء في بحث اللغة ـ جائت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنيّة:

١ـ جاءت كلمة (الفك) على صيغها في القرآن الكريم مرّتين: أحدهما ـ سورة البلد: ١٣) ثانيهما ـ سورة البيّنة: ١).

٢ـ « « (الإتيان) « « « نحو: ر٥٤٩ مرّة:

٣ـ « « (البيان وبين) « « « : ر٥٢٣ « :

٤ـ « « (الصحف) « « « : ٩ مرّات:

١ـ سورة البيّنة: ٢) ٢ـ سورة عبس: ١٣) ٣ـ سورة طه: ١٣٣) ٤ـ سورة النجم: ٣٦) ٥ و٦ـ سورة الأعلى: ١٨ و١٩) ٧ـ سورة التكوير: ١٠) ٨ـ سورة المدثر: ٥٢) ٩ـ سورة الزخرف: ٧١).

٥ـ « « (الطهارة) « « « : ر٣١ مرّة:

٦ـ « « (الجزاء) « « « : ر١١٨ « :

٧ـ « « (أبد) « « « : ر٢٨ « :

﴿ التناسب ﴾

واعلم أنّ البحث في المقام على جهات ثلاث:

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً.

ثانيها ـ التناسب بينها وما قبلها مصحفاً.

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها.

أما الاولى: فانها نزلت بعد سورة الطلاق، فلما أشار تعالى في ختام سورة «الطلاق» إلى نزول الذكر وتلاوة الرسول ﷺ آيات الله المبيّنة على المؤمنين لاخراجهم من الظلمات إلى النور، ومآل أمرهم إلى الجنّة والرزق الحسن وعلمه وقدرته جلّ وعلا على ذلك بقوله عزّ وجلّ: «الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبيّنات ليخرج الّذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ـ وانّ الله قد أحاط بكل شيء علماً» الطلاق: ١٠ـ١٢).

وأشار فيها أيضاً إلى مافيه حنيفيّة الدين الاسلامي بقوله عزّ وجل: «لا يكلّف الله نفساً إلّا ما آتاها» الطلاق: ٧).

أخذ في سورة «البينة» بذكر مقتضى الظرف لنزول الذكر، ومجيء الرسول الّذي كان الكافرون من أهل الكتاب والمشركين ينتظرونه، وانّ الملّة المسلمة هم حنفآء

وأما الثانية: فبوجوه: أحدها ـ انّ الله عزّ وجل لمّا نوّه في سورة «القدر» ليلة القدر المباركة الّتي أنزل فيها القرآن المجيد، فنالت بشرف نزوله فيها هذا

القدر العظيم الّذي إرتفعت به على الليالي كلّها بحيث لاتقاس بها ليلة ليست هي فيها فالتنويه بليلة القدر هو في الواقع تنويه بنفس القرآن الكريم، فانّ الاتصال به يكسب الشرف ويعلي القدر للأزمنة والأمكنة والأشخاص... جعل بعدها ـ سورة القدر ـ سورة البيّنة الّتي تحدّث عن هذا القرآن الكريم، وعن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الحامل لهذا الوحي السماوي، وعن موقف الكافرين من أهل الكتاب والمشركين من القرآن المجيد والرسول الداعي إلى الله تعالى بالقرآن الكريم، ومن هنا كان الجمع بين السورتين قائماً على هذا الترابط القويّ الّذي يجعل منهما وحدة واحدة.

ثانيها ـ انّ الله تعالى لما ذكر في سورة «القدر» نزول القرآن الكريم وفضل ليلة نزل فيها هذا الكتاب السماوي أشار في سورة «البيّنة» إلى مقتضى النزول، فهذه السورة كالتعليل لسابقتها، فكأنّه قيل: لماذا أنزلت القرآن؟ فقال: «إنّا أنزلناه» لأنّه «لم يكن الّذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين» قبل النزول و البعثة، والدعوة الاسلاميّة عما كانوا عليه من إنتظار مجييء النبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ونزول الوحي وقبول الدعوة إذا جاء، ففيها بيان لمقتضى الزمان لنزول الوحي الالهي لإحاطة الشقاء والفساد عليهم.

ثالثها ـ انّ الله عزّ وجلّ لمّا بيّن في سورة «القدر» انّ القرآن المجيد حجّة، بيّن في هذه السورة: أنّ الكفار قبله لم يخلوا قطّ من حجّة.

وأما الثالثة : فلمّا بدئت هذه السورة بما كان عليه أهل الكتاب والمشركون من إنتظار نزول الوحي السماوي الّذي يطهّرهم بطهارته الذاتيّة عن أدناس الشرك وأرجاس الشيطان، وعن الشقاء والفساد الّتي أحاطت بهم ، ويبيّن لهم ما فيه سعادتهم وعزتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، ذكرت انّهم لما جاءهم ما كانوا ينتظرونه تفرّقوا وتخلّفوا عن وحدتهم السابقة على مجييء البيّنة، والبعثة و الدعوة والقبول.

وقد قدّم أهل الكتاب على المشركين بالذّكر في الموردين فانّ أهل

الكتاب على ذلك كانت أعظم من جناية المشركين عليه، وكان تخلفهم عن ذلك من جهتين :

احداهما - من جهة كتابهم لأنّهم كانوا يعرفون محمداً رسول الله ﷺ كما يعرفون أبنائهم: «الّذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» البقرة: ١٤٦) وقد ذكرت صفاته و علائم رسالته في كتبهم وهم كانوا يستفتحون برسالته، ويقرّون بمبعثه، فلمّا جاءهم أنكروه مع العلم به: «وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يدي من التوراة ومبشّراً برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد فلمّا جاءهم بالبيّنات قالوا هذا سحر مبين» الصفّ: ٦) «ولمّا جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين» البقرة: ٨٩) «وما اختلف الّذين اوتوا الكتاب إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم» آل عمران: ١٩).

ثانيتهما - من جهة سنة الهداية والبيان عند إحاطة الشقاء والفساد وهي الّتي تقتضيها الفطرة البشرية، وكان المشركون يشاركون فيها أهل الكتاب.

ثم ذكرت اصول ما كان النّبيّ الكريم ﷺ يدعوهم إليه من الوظيفة الإعتقادية القلبية، والوظيفة العملية الفردية الجسمية، والوظيفة المالية الاجتماعيّة ولمّا تخلّفوا تجاه الوظائف الثلاثة وتفرّقوا أشار جلّ وعلا إلى مايؤول إليه تفرّقهم من دخول النار والخلود فيها باستحقاق لانّهم كانوا شر البرية.

ففي قوله تعالى: «وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة» اصول ثلاثة ثابتة.

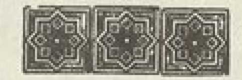
الاول : هو الايمان بالله جل وعلا وحده ايماناً خالصاً من كل شرك، مبرّأً من كلّ مالا يجمل لله سبحانه وتعالى التفرّد بالخلق والأمر والتدبير والعبادة له وحده.

الثاني : إقامة الصلاة الّتي هي مظهر الولاء لله عزوجل وآية الخضوع لجلاله وعظمته.

الثالث : ايتاء الزكاة التي هي أثر من آثار الايمان بالله تعالى الذي من شأنه أن يقيم المؤمنين بالله تعالى على التوادد والتراحم والتعاون والتعاطف فيما بينهم كما يقيمهم الولاء لله عزّ وجل والخضوع لجلاله وعظمته كياناً واحداً في محراب الصلاة له.

ثم أشار إلى الذين خضعوا وخشوا ربهم، وانقادوا تجاه الدعوة السماوية، و أجابوا نداء الحق، فآمنوا بالله تعالى وماجاءهم الرسول ﷺ وعملوا الصالحات، فاستحقوا بذلك إتصافهم بخير البرية، وإلى مايؤول أمرهم من دخول الجنة والتنعّم من نعيمها، والخلود المؤكد فيها، وأكبر من ذلك رضوان الله تعالى عنهم، ورضاهم عنه جلّ وعلا.

وقد قدّم الوعيد على الوعد في الذكر، فانّ الوعيد بمنزلة الاستعاذة قبل البسملة، وكالدعاء قبل البلاء، وكدفع المرض يعبّر عنه بالفارسي: «بهداشت» قبل الابتلاء به فيحتاج إلى العلاج يعبّر عنه فارسياً بـ«بهدارى» أو «مستشفى».



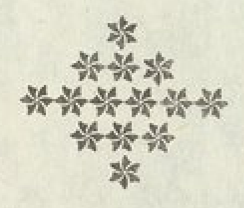
«الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه»

و لم أجد من الباحثين كلاماً يدلّ على أنّ في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً ، و أمّا التشابه فقد استصعب على بعض المفسّرين حلّ هذه الآية الكريمة : « لم يكن الّذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين منفكّين حتّى تأتيهم البيّنة » البيّنة : ١) فزعموا أنّ الله تعالى لم يبيّن انّهم منفكّون عن أيّ شيء إلّا أنّ الظاهر انّه يريد إنفكاكهم عن كفرهم ، ثم إنّه فسّر البيّنة بـ« رسول » و معلوم أنّ « حتّى » لانتهاء الغاية ، فالآية تقتضي انّهم صاروا منفكّين عن كفرهم عند إتيان الرسول، وهذا ينا في قوله تعالى: «وما تفرّق ...» الآية .

اجيب عنه : انّ هذه حكاية كلام الكفار و تقريره انّ الكفار من الفريقين : أهل الكتاب و عبدة الأصنام و الأوثان كانوا يقولون قبل مبعث النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم لاننفكّ عمّا نحن فيه من ديننا ، ولا نتركه حتّى يبعث النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم الموعود الّذي هو مكتوب في التوراة و الانجيل و هو محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم فحكى الله عزّ وجلّ ماكانوا يقولونه ثمّ قال : «وما تفرّق الّذين اوتوا الكتاب» يعني أنّهم كانوا يعدّون إجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ ما فرّقهم عن الحق ولا أقرّهم على الكفر إلّا مجييء الرسول صلّى الله عليه وآله.

ونظيره من كلام البشر أن يقول الفاسق لمن يعظه لست بممتنع ممّا أنا فيه من الأفعال القبيحة حتّى يرزقني الله تعالى الغنى فلمّا رزقه الغنى ازداد فسقاً، فيقول واعظه: لم تكن منفكاً عن الفسق حتّى توسر وما غمست رأسك في الفسق إلّا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخاً وإلزاماً لأنّ الّذي وقع كان خلاف ما ادّعى.

فعلى هذا وما سيأتي في التفسير و التأويل لاتنافي ولا تدافع بين الآيات والجمل...



﴿تحقيق فى الاقوال﴾

١- (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين منفكين حتى تأتيهم البينة)

في قوله تعالى: «من أهل الكتاب» أقوال: ١- قيل: هم اليهود والنصارى.وعن إبن عباس:أهل الكتاب هم اليهود الذين كانوا بيثرب وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع. ٢- قيل: أهل الكتاب كانوا مؤمنين ثم كفروا بعد أنبيائهم. ٣- قيل: ان الكفر هنا هو الكفر بالنبي ﷺ أى لم يكن الذين كفروا بمحمد ﷺ من اليهود والنصارى و الصابئين الذين هم أهل الكتاب. ٤-قيل: ليس المراد بالكافرين كلّهم على اطلاقهم، و إنّما هم الكافرون من اهل الكتاب. اليهود والنصارى ومن يجرى مجراهم من مجوس -وهم بعض من أهل الكتاب أو معظمهم الذين كفروا بمحمد ﷺ ودعوته لا كلّهم إذ آمن كثير منهم بعد ما جائتهم البينة.

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر السياق.

وفي «المشركين» أقوال: ١- عن إبن عباس: هم الذين كانوا بمكة وحولها، و المدينة و الذين حولها و هم مشركو قريش الذين كانوا يعبدون و الأصنام و الأوثان. ٢-قيل: هم طائفة من أهل الكتاب فان من اليهود من قال: عزيز ابن الله، ومن النصارى من قال: عيسى هو الله، ومنهم من قال: هو إبنه، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة. فالمشركون وصف أهل الكتاب أيضاً لأنهم لم ينتفعوا بكتابهم وتركوا التوحيد، فالنصارى مثلّثة ، وعامّة اليهود مشبّهة، والكل شرك وهو كقولك: جائني العقلاء و

الظرفاء وأنت تريد أقواماً بأعيانهم، تصفهم بالأمرين، وفائدة الواو: أنهم جامعون بين الوصفين ولذلك جاء أهل الكتاب وحدهم بالذكر في قوله تعالى: «وما تفرّق الذين اوتوا الكتاب» فالمعنى: من أهل الكتاب المشركين.

٣ـ قيل: المشركون هم الذين ولدوا على الفطرة فكفروا حين بلغوا فلهذا قال: «والمشركين» ٤ـ قيل: المشركين هم عبدة الأصنام والأوثان من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب. والمعنى: لم يكن المشركون ـ وهم الذين ليس لهم كتاب ـ منفكين. قيل: و فيه بعد لأن الظاهر من قوله: «حتى تأتيهم البينة رسول من الله» ان هذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وآله فيبعد أن يقال: لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم منفكين حتى يأتيهم محمد صلى الله عليه وآله إلا أن يقال: أراد لم يكن الذين كفروا الآن بمحمد وإن كانوا من قبل معظمين له فمنتهين عن هذا الكفر إلى أن يبعث الله محمداً إليهم و يبيّن لهم الآيات فحينئذ يؤمن قوله.

٥ـ قيل: المشركون هم مشركو العرب وعلى رأسهم مشركو قريش.

أقول: والرابع هو الأنسب بظاهر الاطلاق.

وفي «منفكين» أقوال: ١ـ عن إبن عباس ومجاهد وقتادة وعطاء والكلبي و الزجاج: أي لم يكونوا منتهين عن كفرهم وشركهم ولا مائلين عنهما حتّى يتبيّن لهم الحق وذلك ان الكفار من أهل الكتاب والمشركين من عبدة الأوثان والأصنام كانوا يقولون قبل بعثة محمد صلى الله عليه وآله: إنّنا لا ننفك عن ديننا، ولا نتركه حتى يبعث الله النبي الموعود المكتوب في التوراة والانجيل وما أخبر به أهل الكتاب المشركين به.

قيل: الانتهاء: بلوغ الغاية أي لم يكونوا ليبلغوا نهاية أعمارهم فيموتوا حتّى تأتيهم البيّنة فالانفكاك على هذا بمعنى الانتهاء. و المعنى: لم يكونوا منتهين عن كفرهم بالله و عبادتهم لغير الله حتّى يتبيّن لهم الحق.

٢ـ عن الأخفش: أي زائلين عن كفرهم. والمعنى: لم تكن مدتهم لتزول حتى يأتيهم النبي صلى الله عليه وآله والعرب تقول: ما انفككت أفعل كذا أي مازلت، وما انفكّ فلان

قائماًأى مازال قائماً. ٣. قيل:أى بارحين أى لم يكونوا ليبرحوا ويفارقوا الدنيا حتى تأتيهم البيّنة. وعن نفطويه :أى لم يكونوا مفارقين الدنيا حتى أتتهم البينة. ٤- عن الراغب: أى لم يكونوا متفرقين بل كانوا كلاهم على الضلالة. وقيل: ان الكافرين كانوا قبل البعثة منفكين عن التردد فى كفرهم بل كانوا جازمين به، معتقدين حقيقته، فاذا جاء هم الرّسول ﷺ زال عنهم ذلك الجزم بل بقوا شاكين متحيرين فى دينهم، و شاكين فيما كانوا يعتقدونه، وصاروا مضطربين فى الخواطر والأفكار فشكوا ما شكوا.

٥- عن إبن الأعرابى: أى لم يكونوا مستريحين حتى جائهم البيان فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به. وقيل: أى لم يكونوا غافلين عن ذكر محمد ﷺ بالمناقب والفضائل حتى جائتهم البينة، فلمّا جائتهم تفرّقوا فكفروا به. والآية فى معنى قوله تعالى: «وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به».

فما كانوا منفكين عما كانوا عليه من مجيىء الرسول من الله تعالى وإتفاقهم على إتباعه والايمان به والعزم على إنجاز وعده تعالى على ما في كتب سماوية، وخاصّة التوراة والانجيل بارسال رسول حتى ان اليهود والنصارى كانوا يستفتحون يقولون: اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبى المبعوث، ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظلّ بنبىّ يخرج بتصديق ما قلنا، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وأمّا من المشركين فباقتضاء سنّة الهداية والبيان عند إشاعة الفحشاء وإحاطة الفساد والشقاء على المجتمع الانسانى، وبما شاع ذلك من أهل الكتاب فكان المشركون يسئلون أهل الكتاب عن الرسول المخبر به فى كتابهم، فكانت كلتا الطائفين مجمعين منتظرين على البعثة والدعوة غير مفارقين عن القبول. ولا يبعد على هذا القول أن يكون بعضهم قد قال فى محمد ﷺ قولاً حسناً وآمن به لأن التفرّق يحصل بأن لا يكون الجميع باقين على حالهم الاولى، فاذا صار بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً على إختلاف طرق الكفر حصل التفرقة.

٦- عن إبن كيسان: أى لم يكن أهل الكتاب تاركين صفة محمد ﷺ فى كتابهم حتّى بعث فلمّا بعث حسدوه وجحدوه وهو كقوله: «فلمّا جاءهم ما عرفوا

كفروا به» البقرة : ٨٩) ولهذا قال: «وماتفرّق الذين اوتوا الكتاب» و على هذا فقوله : «المشركين» أى لم يكونوا يسيئون القول فى محمد صلى الله عليه وآله حتّى بعث فانهم كانوا يسمّونه الأمين حتى أتتهم البينة على لسانه وبعث إليهم فحينئذ عادوه.

٧ ـ قيل : أى هالكين من قولهم : انفك صلا المرأة عند الولادة و هو أن ينفصل فلا يلتئم ، فتهلك . و المعنى : لم يكونوا معذّبين و لا هالكين إلّا بعد قيام الحجّة عليهم بارسال الرسل وإنزال الكتاب. الانفكاك : الانفصال عن شدّة إتصال . و المعنى : منفصلين لشدّة إتصالهم على ما كانوا عليه من إنتظار مجيىء البيّنة».

٨ـ قيل : ان «حتّى» للمبالغة ، فيؤول المعنى إلى قولك مثلاً : «لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وإن جائتهم البيّنة».

أقول: والخامس هو الأنسب بظاهر السياق من غير تناف بينه و بين بعض الأقوال الاخر. وفى «البينة» أقوال: ١ـ عن إبن عباس ومقاتل: «البينة» محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى: أتاهم النبى الكريم صلى الله عليه وآله على أن اللفظ لفظ إستقبال والمعنى ماض. وقد سمّى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله بالبيّنة لأن وجوده كان بيّنة على رسالته، فان نهاية جدّه فى تقرير الرسالة تدلّ على كونه رسولاً من الله تعالى إذمن كان متصنعاً فى الرسالة، فلايتأتى منه ذلك الجدّ المتناهى وإتعاب النفس، وان كمال عقله و الأخلاق الفاضلة غيرالمتصنعة دليل آخر على صدق مدّعاه. وقيل: سمى النبى صلى الله عليه وآله بالبينة باعتبارنزولها إليه صلى الله عليه وآله .

والبينة: البيان المبين الذى يبيّن طريق الحق بما يتلوا من آيات الله على الناس. وان النبى صلى الله عليه وآله من مصاديق الحجة الواضحة القائمة على الناس التى تقتضى قيامها السنة الالهية الجارية فى عباده فقد كانت توجب مجيىء البيّنة إليهم كما أوجبته من قبل ماتفرّقوا فى دينهم.

إن الله تعالى قدبيّن لهم ضلالهم و شركهم بالوحى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم و

هذا إخبار من الله تعالى عن الكفار انهم لم ينتفعوا عن كفرهم و شركهم بالله عزّ وجل حتى أتاهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فبيّن لهم ضلالهم عن الحق، و دعاهم إلى الايمان. وقيل: معناه: لم يكونوا ليتركوا منفكّين من حجج الله حتى تأتيهم البيّنة التى تقوم بها الحجّة عليهم.

عن مجاهد وقتادة وإبن زيد: البينة: القرآن الكريم. ٣- قيل: البيّنة هى معجزات النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الظاهرة التى تجرى بيديه حسب الاقتضاء كانت بيّنة تدلّ على رسالته لابدّ وأن تكون لكل نبىّ ليتميّز بها المحق من المتصنع غير معجزته الخالدة وهى القرآن المجيد. ٤- قيل: البيّنة هى الملائكة. وعن أبى مسلم: البينة: مطلق الرسل وهم الملائكة أى رسل من السماء يتلون عليهم صفحاً كقوله: يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء و كقوله تعالى: «بل يريد كل امرىء منهم يؤتى صحفاً منشرة»

أقول: و الأول هو المروىّ و عليه جمهور المحققين، و هو المؤيد بظاهر السياق.

٢- (رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة)

فى «صحفاً» أقوال: ١- قيل: الصحف جمع الصحيفة و هى ظرف المكتوب، والمراد بها أجزاء القرآن النازلة، وقد تكرّر فى كلامه تعالى إطلاق الصحف على أجزاء الكتب السماوية، ومنها القرآن الكريم قال جلّ وعلا: «فى صحف مكرّمة مرفوعة مطهّرة بأيدى سفرة كرام بررة» عبس: ١٣ - ١٦) ٢ - قيل: الصحف: القراطيس التى يكتب فيها القرآن الكريم. ٣ - قيل: جمع الصحف باعتبار إشتمال القرآن الكريم لجميع الكتب السماوية النازلة على الأنبياء و المرسلين عليهم السلام مضافاً إلى ما يحتاج إليه المجتمع الأنسانى فى جميع شؤون حياته إلى يوم القيامة.

٤- قيل: اريد بالصحف سور القرآن الكريم و آياته، فان كل سورة منه

كتاب. ٥- قيل: اريد بالصحف الأحكام و الشرائع التى تضمنها كلام الله و التى يتبيّن بها الحق من الباطل. ٦- قيل: جمع الصحف باعتبار تعدد أوراقه ... ٧- قيل: اريد بالصحف ماتضمنه من المكتوب فيها. ٨- قيل: الصحف: اللوح المحفوظ. ٩- قيل: الصحف: كتب الأنبياء الماضين.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المحققين، و هو الأنسب لأنه متّسق مع ظروف نزول الآيات الكريمة، ولكن التعبير بالصحف تعبير مجازى لأن الوحى السماوى لم يكن يحمل إلى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً مكتوباً فى صحف، و إنّما كان يلقى مايحمله من وحى ربّانىّ عليه إلقاءاً، ولعلّ فى التعبير تلقيناً بوجوب تدوين ما يلقيه الوحى فى الصحف، أو إشارة إلى مصيره إلى ذلك، والمأثور المتواتر: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر بتدوين ما كان ينزل عليه الوحى من فصول القرآن الكريم فى صحف حين نزوله حيث يكون قد لمح ذلك التلقين وعمل به، و ليس بين هذا القول، وبين بعض الأقوال تناف فتأمّل جيداً.

وفى قوله تعالى: «مطهرة» أقوال: ١- عن إبن عباس: أى مطهّرة من الزور والشك والنفاق والضلالة. ٤- عن قتادة: أى مطهّرة من الباطل ٣- عن الحسن: أى مطهرة من كل دنس وعيب ونقص، ومطهرة من قذارة الباطل ولغو القول والريبة و التناقض ... ومطهرة من الكذب والشبهات، والكفر والضلالات ... ٤- عن السدى والجبائى: أى مصونة عن أن ينالها الكفار والمشركون، و لا أيديهم الأنجاس فلا ينبغى أن يمسّها إلّا المطهرون لأنها فى أيدى الملائكة فى أعزّ مكان. وعن الحسن أيضاً: يعنى الصحف المطهرة فى السماء لايمسّها إلّا الملائكة المطهرون من الأنجاس.

٥- عن الحسن أيضاً: أى مطهّرة من أن تنزّل على المشركين، ومطهرة من كل دنس فنزّهها عن ذلك، ومنزّهة عن مسّ الشياطين، ومطهرة عن أهل الخبائث لايمسّها إلّا المطهّرون من تلك الملائكة، ومن إليهم من أصحاب الطهارة. ٦- قيل: أى طاهراً مقدّساً من قذارة الباطل بمسّ الشياطين، وقد تكرّر منه تعالى أنه حق

مصون من مداخلة الشياطين وقال: «لا يمسّه إلّا المطهرون» الواقعة: ٧٩)

٧- قيل: الصحف المطهّرة هي التي عندالله في امّ الكتاب الذي منه نسخها أنزل على الأنبياء من الكتب كما قال: «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» ٨-قيل: مبرّأة من الضلال والشبهات، ومطهّرة من الخلط والزيغ والتدليس والتحريف. ٩- قيل: اى مطهّرة من النقائص ومسّ المحدث إيّاه ومطهّرة عن الذكر القبيح فان القرآن يذكر بأحسن الذكر ويثنى عليه أحسن الثناء. ١٠- قيل: أى مطهّرة من أن يمسّه من كان محدثاً. ١١- قيل:أى معظمة.

أقول: ولكل وجه،والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق.

٣- (فيها كتب قيمة)

في « كتب » أقوال: ١- قيل: اريد بالكتب الايات المكتوبة في الصحف. و المعنى: في هذه الصحف مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق. على أن الكتب جمع كتاب ومعناه المكتوب. وان المكتوب يطلق على اللوح و القرطاس و نحوهما المنقوشة فيه الألفاظ، وعلى نفس الألفاظ الّتي تحكى عنها النقوش، وربما يطلق على المعاني بما أنّها محكيّة بالألفاظ. ٢- قيل: الكتب هي القرآن الكريم، فجعله كتباً لأنه يشتمل على أنواع من البيان، وفنون من العلوم، كل نوع كتاب.

٣- عن السدي: أي فيها فرائض الله و أحكامه العادلة. فالمراد بالكتب هي الأحكام والقضايا التي جائت في القرآن الكريم. قيل: إن تسئل : ان الصحف هي الكتب، فكيف قال: في صحف فيها كتب؟ نجيب عنه:ان الكتاب يطلق على الحكم و القضاء يقال: كتب عليه كذا أي حكم أوقضى عليه أن يفعل كذا قال الله عزوجل: « كتب عليكم الصيام» البقرة: ١٨٣) وقال: « كتب الله لأغلبن» المجادلة : ٢١) أى حكم وقضى. فالمعنى: في هذه الصحف أحكام وقضايا وشرائع تضمّنها كلام الله تعالى يتعلق بالاعتقاد والعمل، ويتبيّن بها الحق من الباطل.

٤-قيل:الكتب هي سور القرآن الكريم فجمع الكتب باعتبار السور المتعددة

أو باعتبار تعدد الأوراق التي كتب عليها الايات والسور إذ كل ورقة مكتوبة يقال لها: صحيفة. وان كل سورة منه كتاب قديم. ٥ـ قيل: اريد بالكتب جميع الكتب السماوية النازلة على الأنبياء السابقين عليهم السلام. والمعنى: الكتب القيمة التي في هذه الصحف هي الكتب التي نزلت على أنبياء الله ورسله عليهم السلام كصحف إبراهيم وموسى وانجيل عيسى وزبور داود عليهم السلام. وان القرآن الكريم يشتمل على معاني الكتب المتقدمة فتاليها تالي الكتب القيمة كما قال: «مصدقاً لما بين يديه» فاذا كان مصدقاً لها كان تالياً لها.

٦ـ قيل: اريد بالكتب القرآن الكريم و الجمع باعتبار جامعيّة القرآن و إحتوائه لجميع ما في الكتب السماوية النازلة على الأنبياء والمرسلين عليهم السلام. والمعنى: في هذه الصحف التي هي القرآن كتب قيمة.

أقول: والخامس هو الأنسب بظاهر السياق من غير تناف بينه و بين الأقوال الاخر.

وفي «قيّمة» أقوال: ١ـ قيل: أي مستقيمة عادلة مستوية محكمة غير ذات عوج تبيّن الحق من الباطل من قول العرب: قام يقوم: إذا استوى و صحّ. ٢ـ قيل: أي قائمة مستقلة بالحجّة والدلالة وتقوم بأمر المجتمع الانساني وتحفظ لمصالحه. من قولهم: قام فلان بأمر كذا. ٣ـ قيل: أي المستقيمة على الطريق القويم الذي يجب على الناس كافة أن يسيروا فيه. ٤ـ قيل: أي لها شأن و عظمة ليست لسائر الكتب لسقوطها بعد مدّة وبقائها إلى يوم القيامة.

أقول: و لكل وجه من غير تناف بينها.

٤ـ (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جائتهم البينة)

في «وما تفرق» أقوال: ١ـ قيل: أي وما اختلف هؤلاء في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلّا من بعد ماجائتهم البشارة به صلى الله عليه وآله وسلم في كتبهم و على ألسنة رسلهم، فكانت الحجّة قائمة عليهم، فكذلك لايترك المشركون من غير حجّة تقوم عليهم. ٢ـ قيل: أي ولم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعثه الله عزّ وجلّ فلما بعث تفرّقوا في أمره واختلفوا فيه، فآمن به صلى الله عليه وآله وسلم بعضهم و كفر آخرون. ٣ـ قيل: ان من أوّل

السورة إلى قوله : «قيّمة» حكمها فيمن آمن من أهل الكتاب و المشركين ، و قوله : «وما تفرّق . . .» حكمه فيمن لم يؤمن من أهل الكتاب بعد قيام الحجج فالكلام موجّه إلى الكافرين من أهل الكتاب .

٤- قيل: ان قوله تعالى: «لم يكن الذين كفروا...» يشير إلى كفرهم بالنبي صلى الله عليه وآله و كتابه المتضمّن للدعوة الحقّة، وقوله جلّ وعلا: «وما تفرّق الذين اوتوا الكتاب» يشير إلى إختلافهم السابق على الدعوة الاسلامية . ٥ - قيل : إن الكلام موجّه إلى أهل الكتاب كلّهم لا إلى الكافرين منهم فحسب ، فأهل الكتاب جميعاً هم في هذا المقام فى مواجهة البينة ، و إن إختلف موقفهم منها ، فمنهم من آمن ومنهم من كفر. . . و هنا تفرّق أمرهم وأخلى الذين آمنوا منهم مكانهم فيهم. والمعنى: و ما تفرّق الذين اوتوا الكتاب فى الايمان به صلى الله عليه وآله و قبل مجيئه صلى الله عليه وآله وسلم كانوا مجتمعين على الايمان به إذا جائه فحسده من كفر به منهم، فالمراد بالتفرّق: تفرّقهم فرقاً فرقاً بأن آمن بعضهم وأنكر الآخرون.

أقول: وعلى الثانى جمهور المحققين، وفى معناه الخامس من الأقوال ..

وفى «الذين اوتوا الكتاب» أقوال: ١- قيل: هم اليهود والنصارى، وقد خصّ أهل الكتاب بالتفرّق دون المشركين، وإن كانوا مجموعين مع الكافرين لأن أهل الكتاب هم مظنون بهم ا «لم» ؟ فاذا تفرّقوا وهم يعلمون وعندهم الكتاب وقد كانوا يخبرون غيرهم بمجيئى النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم كان غيرهم ممن لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف. ٢- قيل: ان المشركين إنفكّوا و انفصلوا عن الكافرين من أهل الكتاب بعد أن جائتهم البينة إذ أنهم آمنوا بالله تعالى ودخلوا فى دين الله جميعاً بعد أن تلبّثوا على طريق العناد والضلال .

٣- قيل: ان الآية الكريمة تشمل لأهل الكتاب والمشركين كلّهم، ولذلك بدّل «أهل الكتاب» وهم فى عرف القرآن الكريم: اليهود والنصارى والصابئون والمجوس أو اليهود والنصارى - من «الذين اوتوا الكتاب» فالتعبيران متغايران،

فالذين اوتوا الكتاب أعم من أهل الكتاب، على أن عامّة البشر آتاهم الله كتاباً ثم اختلفوا فيه، فمنهم من نسى ما اوتيه ومنهم من أخذ به محر"فاً ومنهم من حفظه و آمن به إذ قال الله تعالى: «كان الناس امّة واحدة فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلّا الذين اوتوه من بعد ماجائتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه» البقرة: ٢١٣)

وقال: «تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض - ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ماجائتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن و منهم من كفر» البقرة: ٢٥٣) وقد أجاب عنه بعض المحققين بأجوبة:

منها: ان الآيتين الكريمتين استدل بهما على مدّعاه ليستا بصدد نزول الكتاب على الناس كلّهم و منهم المشركون قبل الرسالة الاسلامية، و ان المشركين و خاصّة مشركو العرب لم يرسل إليهم رسول ولا انزل عليهم كتاب قبل رسالة محمد ﷺ وقبل نزول القرآن الكريم، ومن هنا سمّوا بالاميين.

قال الله تعالى: «تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون» السجدة: ٢ و ٣)

و قال: «و ما آتيناهم من كتب يدرسونها و ما أرسلنا إليهم من قبلك من نذير» سبأ: ٤٤)

وقال: «تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون» يس: ٥و٦)

وقال: «هو الذى بعث فى الاميين رسولاً منهم» الجمعة: ٢)

وقال: «قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل» آل عمران: ٧٥)

ومنها: ان الامر عكس حيث ان «اوتوا الكتاب» أخص من «أهل الكتاب» حيث ان «اوتوا الكتاب» فى القرآن الكريم يواجه إلى العلماء من أهل الكتاب.

قال الله عزوجل: «وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم - ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم» آل عمران: ٢٠-٢٣)

٤- قيل: «الذين اوتوا الكتاب» هم المليّون ممن نزل إليهم كتاب سماوى، نسى أوحرف أو حفظ. ٥- قيل: هم علماء أهل الكتاب، فانهم منشأ الافتراق بين المجتمع الانسانى كما أنهم مجمع الاتفاق بينهم، ويعبّر عن الأولين بعلماء السوء الفجرة وعن الاخرين بالعلماء الصالحين والمتقين.

أقول: و الأخير هو الانسب باختلاف السياق فى التعبير بصيغة المضارع فى إتيان البينة أوّلاً، والماضى فى مجيئها ثانياً فراجع إلى البحث البيانى من هذا التفسير فتأمل ما بين التعبيرين من الفرق فاغتنم.

وفى «البينة» أقوال: ١- قيل: المعنى به محمد ﷺ ٢- قيل: البينة هى البيان الذى فى كتبهم أنه ﷺ نبى مرسل فالبينة هى التى ذكرت من قبل لأنهم كانوا من قبل النبوة يقولون: سيأتى النبى الموعود مفتخرين به فلما جاء كفروا به و هذا يخالف مافى كتابهم. ٣- قيل: هو القرآن الكريم الجائى به معجزة له ﷺ.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المفسرين.

٥-(وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفآء و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيمة)

فى «و ما امروا» أقوال: ١- قيل: أى وما امر أهل الكتاب فى التوراة و الانجيل و غيرهما من الكتب السماوية النازلة على الأنبياء و المرسلين عليهم السلام إلّا ليعبدوا الله... ٢- عن مقاتل: أى ولم يؤمر أهل الكتاب والمشركون فى الرسالة الاسلامية بلسان محمد ﷺ إلّا ليعبدوا الله... وهذا هو الدين الذى كلّفوا به فى كتبهم القيّمة وليس بأمر بدع، فدين الله واحد، وعليهم أن يدينوا به لأنه القيّم.

٣- قيل: أى ان الذين اوتوا الكتاب وهم علماء أهل الكتاب الذين دعوا

إلى الايمان بشريعة الاسلام لم يدعوا إلى أمر لايعرفونه، ولم يؤمروا بأمر لم تأمرهم به شريعتهم التى هم بها عالمون، انهم ماامروا إلّا ليعبدوا الله وحده لايعبدون إلهاً غيره.

أقول: والثالث هو الأنسب إن قلنا بوحدة السياق، وإلّا فالتعليم هو الأنسب بظاهر الاطلاق.

وفى قوله تعالى: « إلّا ليعبدوا الله » أقوال : ١- قيل أن ليوحّدوه و لا يشركوا به سبحانه شيئاً فى الخلق والتدبير والوجود. ٢- قيل : أى هم يأمرهم الله تعالى إلّا لأن يعبدوا الله وحده ولايشركون بعبادته أحداً وهذا مالاتختلف فيه ملّة ولايقع فيه تبدّل. ٣- قيل: أى إلّا ليعرفوه تعالى كقوله تعالى: «و ما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون» الذاريات: ٥٦)

أقول: ولكل وجه ولكن الأوجه هو الأول.

وفى قوله تعالى: «مخلصين له الدين» قولين: أحدهما - قيل: أى مخلصين له العبادة أى لايخلطون بعبادته عبادة ماسواه. ثانيهما -قيل: أى بأن يجعلوا دينهم خالصاً لله تعالى وحده فلا يتديّنوا بغير دينه، وان الاخلاص فى الدين غير الاخلاص فى العمل، وانهم امروا بكلا القسمين من الاخلاص فى الجملتين.

أقول: والثانى هو الأنسب بما إخترناه من قبل.

وفى قوله تعالى: «حنفاء» أقوال : ١ - قيل : أى مائلين عن الأديان كلها إلى الدين الاسلامى وهو دين إبراهيم عليه السلام مسلمين مؤمنين بالرسل كلهم عليهم السلام لقوله تعالى : « ثم أو حينا اليك أن اتبع ملّة إبراهيم حنيفاً » و كان إبن عباس يقول: حنفاء على دين إبراهيم عليه السلام من تحنّف إلى الاسلام أى مال إليه . حنفاء جمع حنيف من الحنف وهو الميل عن جانبى الافراط و التفريط إلى حاقّ وسط الاعتدال، وقد سمّى الله تعالى الاسلام ديناً حنيفاً لأنه يأمر فى جميع الامور بلزوم الاعتدال و التحرّز عن الافراط والتفريط. و المعنى : مائلين عن أىّ طريق غير طريق الله تعالى وهو دين الفطرة، والمتديّنين به هم امّة وسطاً.

٢-قيل: أى مستقيمين على دين إبراهيم عليه السلام وهو دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاذا جاء فكيف كفروا به. فان الحنف بمعنى الاستقامة. ٣- عن إبن عباس أيضاً.أى حجاجاً مسلمين غير مشركين. وعن عطية: إذا اجتمع الحنيف والمسلم كان معنى الحنيف الحاج، وإذا انفرد كان معناه المسلم. وعن سعيد بن جبير : لاتسمّى العرب حنيفاً إلّا من حجّ واختتن. ٤- قيل: آمنين بجميع الأنبياء و المرسلين، من دون استثناء أحد منهم: «لانفرّق بين أحد من رسله». ٥- قيل: أى جامعين لكل دين لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «بعثت بالحنيفية السمحة السهلة» .

٦- عن قتادة: الحنيفية: الختان وتحريم البنات والامهات والأخوات والعمات والخالات وإقامة المناسك. والحنفاء: مختونين و محرمين نكاح المحارم. ٧- قيل : الحنفاء: الذين يستقبلون القبلة بصلاتهم إذ يقولون فى تكبيرة الاحرام: «وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً»

أقول: وعلى الأوّل جمهور المحققين مع التلازم والتداخل فى الأقوال.

وفى قوله تعالى: «يقيموا الصلاة» أقوال: ١- قيل: أى أن يصلّوا. ٢- قيل: أى أن يداوموا على إقامة الصلاة . ٣- قيل: أى يقيموا بحدودها فى أوقاتها .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها بالإطلاق والتقييد.

وفى قوله تعالى: « و يؤتوا الزكاة » أقوال : ١ - قيل : أى يعطوها عند محلّها. ٢- قيل: أى يخرجوا ما فرض عليهم فى أموالهم من الزكاة. ٣- والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق .

وفى قوله تعالى: «وذلك دين القيّمة» أقوال: ١-قيل: أى ذلك الدين الذى امروا به هو الدين المستقيم الذى لازيغ فيه ولاميل عن الحق وإنّما هو حق يبيّن الحق من الباطل على إستواء وبرهان. ٢- عن إبن زيد و الزجاج: أى ذلك دين الملّة المستقيمة والشريعة القيّمة المعتدلة. و«القيّمة» نعت لموصوف محذوف أو يقال: دين الامّة القيمة بالحق أى القائمة بالحق. وقال الخليل: «القيّمة» جمع القيّم، والقيّم و

القائم واحد، وذلك دين القائمين لله تعالى بالتوحيد. ٣ـ عن محمد بن الأشعث الطالقاني: «القيّمة» هينها الكتب الّتي جرى ذكرها، و الدين مضاف إليها أي دين الكتب القيّمة، و لا يخفى على القارئ الخبير: ان كان المراد بالكتب القيّمة جميع الكتب السماوية من صحف آدم و من دونه من الأنبياء عليهم السلام، فالمعنى: ان هذا الذى امروا به و دعوا إليه فى الدعوة المحمدية هو الدّين الّذى كلّفوا به فى كتبهم القيّمة، و ليس بأمر بدع، فدين الله واحد، و عليهم أن يدينوبه لأنه القيّم.

وان كان المراد به ماكان يتلوه محمد رسول الله ﷺ من الكتب القيّمة الّتى فى الصحف المطهّرة فالمعنى: أنهم لم يؤمروا فى الدعوة الاسلامية إلّا بأحكام وقضايا هى القيمة الحافظة لمصالح المجتمع الانسانى فلايسعهم إلّا أن يؤمنوا بها و يتديّنوا.

٤ـ عن قتادة: أى ذلك دين القيمة هو الدّين الذى بعث الله تعالى به رسوله و شرع لنفسه ورضى به. ٥ـ قيل: أى ذلك الدين القيّم علي إضافة الموصوف إلى صفته للتلازم بينهما، فالدين الذى لايكون قيّماً بأمر الامّة ليس بدين فى الواقع. فالتاء فى «القيّمة» للمبالغة.

أقول: والأخير هو الأنسب بالبيان والمدح لهذا الدين من غير تناف بينه و بين أكثر الأقوال الاخر فتأمل جيّداً.

٦ـ (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية)

فى «شرّ البرية» أقوال: ١ـ قيل: هم شرّ البرية الذين كانوا فى زمن النبى الكريم ﷺ كما قال الله تعالى: «وأنى فضّلتكم على العالمين» البقرة: ٤٧) أى على عالمى زمانكم. ولايبعد أن يكون فى كفار الامم قبل هذا من هو شرّ منهم كفرعون ونمرود وقارون وعاقر ناقة صالح. ٢ـ قيل: هم شر الخليقة على الاطلاق، فى كل زمان قبل الاسلام وبعده إلى يوم القيامة. ٣ـ قيل: أى شر الأشرار وأقذر الأقذار

من زمن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة.

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق.

٧- (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية)

فى «اولئك هم خير البرية» أقوال: ١-قيل: أى هم خير الخليقة فى كل وقت ومكان قبل الرسالة الاسلامية إلى يوم القيامة. ٢- قيل: أى خير برية عصرهم. ٣- قيل: أى خير البرية فى زمن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

أقول: والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق وهو المؤيد بالآيات القرآنية و الروايات الواردة التى سيأتى ذكرها إن شاءالله تعالى.

٨- (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه)

فى قوله تعالى: «رضى الله عنهم» أقوال: ١- عن إبن عباس: أى رضى أعمالهم وماقدّموه من الطاعات. ٢- قيل: أى رضى الله تعالى عنهم إذ وحّدوه و نزّهوه عما لايليق به وأطاعوه والتزموا بحدود شريعته. ٣- قيل: ان الرضا من الله تعالى صفة فعل، ومصداقه الثواب الذى أعطاهموه جزاء لايمانهم وصالح أعمالهم. ٤- قيل: أى رضى الله تعالى عنهم بسبب ايمانهم وعبادتهم وإخلاصهم له الدين، وميلهم عن الأديان كلها إلى الاسلام من غير إفراط وتفريط فى الدين، وإقامتهم الصلاة وايتائهم الزكاة وعملهم الصالح على ان متعلّق الرضا هو العقيدة والقول والعمل، فالرضا بالعقيدة والقول والعمل سبب الرضا عن صاحبها. ٥- قيل أى ان الله تعالى يمدحهم ويعظمهم على الرضا عن الفاعل غير الرضا بفعله، ٦- قيل: ان متعلق الرضا هو الذات الذى ثبت له الايمان وصالح العمل.

أقول: ولكل وجه من غير تناف بين الأقوال مع التداخل والتلازم بينها.

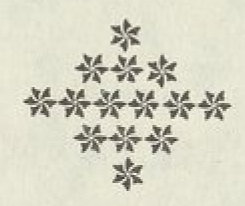
وفى قوله تعالى: «رضوا عنه» أقوال: ١- قيل: أى رضوا هم بثواب الله عزّ وجلّ، وماجازاهم من الثواب. ٢- قيل: أى رضوا عن الله عزّ وجلّ إذ فعل بهم

ما رجوا من رحمته وفضله. ٣ـ قيل: أي رضواهم عن الله تعالى بسبب رضاه تعالى عنهم فان رضوان الله أكبر من ثوابه.

أقول: وعلى الأوّل أكثر المفسرين وفي معناه الثاني، والثالث غير بعيد.

وفي قوله تعالى: «ذلك» أقوال: ١ـ أي ذلك الثواب والجزاء الحسن. ٢ـ قيل أي ذلك الجنة. ٣ـ قيل: أي ذلك الرضا.

أقول: الكلام هو الكلام فيما تقدّم.



﴿التفسير والتأويل﴾

١ - (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة)

لم يكن الذين كفروا بمحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد بعثته من أهل الكتاب، و وقفوا من هذه الرسالة موقف المناواة و هم جلّ اليهود والنصارى و أكثر من نزل إليهم الكتب السماوية من الامم السابقة، فان وحدة أهل الكتاب قبل الدعوة النبوية الاسلامية على مجيىء النبى الكريم صلى الله عليه وآله وإتفاقهم على قبول دعوته صلى الله عليه وآله بسبب إشاعة الفحشاء والفساد فى الأرض و ظهور الانحطاط و إحاطة الشقاء على المجتمع الانسانى لم تكن مختصّة باليهود والنصارى، وإن كانواهم بالنسبة إلى غيرهم من الامم قريبى العهد بكتاب سماوى وأكثرهم بالجزيرة العربية.

قال الله تعالى: «كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين و أنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه و ما اختلف فيه إلّا الذين اوتوه من بعد ماجائتهم البينات بغياً بينهم» البقرة: ٢١٣).

وما ورد: أن المراد بالكافرين هم المكذّبون، وبأهل الكتاب: الشيعة على زيادة «من» أى مكذّبوا الشيعة فمن باب التأويل.

وقوله تعالى: «والمشركين» وهم أصحاب الوثن وعبدة الصنم من العرب، وغيرهم، وهم الذين ليس لهم كتاب لعموم رسالة محمّد صلى الله عليه وآله و دعوته صلى الله عليه وآله المليّين من أهل الكتاب والاميّين من المشركين، فهم كافّة الناس يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وآله

إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، إلى الخير والصواب ، إلى الحق والرشاد ، وإلى السعادة والفلاح . . . بما أوحى الله تعالى إليه من القرآن المجيد .

قال الله تعالى: «وما أرسلناك إلّا كافّة للناس» سبأ : ٢٨) .

وقال : «وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين» الأنبياء : ١٠٧) .

وقال : «وأرسلناك للناس رسولاً» النساء : ٧٩) .

وقال : «قل يا أيها الناس إنّي رسول الله إليكم جميعاً» الأعراف : ١٥٨) .

وقال : «يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم - يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم و أنزلنا إليكم نوراً مبيناً» النساء: ١٧٠ - ١٧٤) .

وما ورد : ان المراد بالمشركين هم الفرقة المرجئة فمن باب التأويل .

وقوله تعالى: «منفكين» لم يكونوا هؤلاءِ ولا هؤلاءِ منقطعين عما تقتضى السّنّة الالهيّة والبيان ، كأن السنّة الالهيّة كانت قد أخذتهم ولم تكن تتركهم حتى تأتيهم الحجّة الواضحة الجديدة من الله عزّ و جلّ ، فلمّا أتتهم البيّنة تركتهم و شأنهم .

كما قال الله تعالى : «وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتّى يبيّن لهم ما يتّقون» التوبة : ١١٥) .

و ذلك ان أهل الكتاب من المليين والمشركين كانوا قبل الرسالة الاسلامية والنبوّة المحمّدية متفقين على كلمة واحدة غير مفارقين عنها ، و هى إنتظارهم لنزول الوحى السماوى على رسول لينجيهم من فساد الفحشاءِ وعذاب الشقاءِ التى أحاطت بالمجتمع الانسانى كلهم يوم ذاك على ما وعدهم الله عزّ وجلّ بذلك في كتبه السماوية فكان أهلها على إنجاز الوعد ، وقد كان المشركون على ذلك باقتضاءِ السنة الالهية : سنّة الهداية والبيان عندئذ .

قال الله تعالى : «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»

البقرة : ١٤٦) .

وقال : «ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء» يوسف : ١١١) .

وقال : «ان علينا للهدى» الليل : ١٢) .

وقال : «وعلى الله قصد السبيل» النحل : ٩) .

وقال : «يريد الله ليبيّن لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم و يتوب عليكم» النساء : ٢٦) .

وقال : «وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق» الأعراف : ٤٣) .

وقال : «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلّا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل» النساء : ١٦٥) .

وقال : «و إن من امّة إلّا خلا فيها نذير» فاطر : ٢٤) .

وقال : «و إن من قرية إلّا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذّبوها عذاباً شديداً» الاسراء : ٥٨) .

وقال : «وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولاً» الاسراء : ١٥) .

وقوله تعالى: «حتى تأتيهم البينة» حتى جاءهم محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ومعه البيّنة وهى القرآن الكريم يدعو بها كافّة الناس من المكّيين والاميين إلى الله جل وعلا وقد كانوا هم لها منتظرين من قبل بسبب إشاعة الفحشاء والفساد في الارض وظهور الانحطاط وإحاطة الشقاء عليهم ، فأنكروا و كذّبوا بها إلّا القليل منهم .

وقد سمّى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بالبيّنة لأن وجوده كان بينة على رسالته ، وانه هو الذى يبيّن طريق الحق والصواب ، طريق الخير والرشاد ، طريق الهدى والصلاح ، وطريق الفلاح والكمال للناس بما يتلوا عليهم من آيات الله البينات التى أنزلها الله جل وعلا عليه صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الله تعالى : «وقل إنّى أنا النذير المبين» الحجر : ٨٩) .

وقال : « إن هو إلّا نذير مبين » الاعراف : ١٨٤) .

وقال : « أنى لهم الذكرى وقدجاءهم رسول مبين » الدخان : ١٣) .

وقال : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما تخفون من الكتاب و يعفوا عن كثير قدجاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم - يا أهل الكتاب قدجاءكم رسولنا يبيّن لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير » المائدة : ١٥ - ١٩) .

و قال : « قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور » الطلاق: ١٠-١١) .

وقال : « يجادلونك فى الحق بعد ما تبيّن » الأنفال : ٦) .

وقال : « قل إنّي على بيّنة من ربى و كذّبتم به » الأنعام : ٥٧) .

٢ - (رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة)

رسول من قبل الله جل وعلا يقرأ على الناس فصولاً متعددة من القرآن الكريم وسوره وآيه على مكث كما أوحاه إليه ربّه ، وتلقّاه من رسول الوحي ، على ما هو عليه في صحف اللوح المحفوظ ، مطهّرة من قذارة الأوهام والأراجيف والخرافات والأباطيل ، ومداخل شياطين الانس والجنّ فيها ، مبرّأة من الشكوك والضلالات ، والاختلاف والشبهات ، منزّهة عن التدليس والتحريف والعوج ، مقدّسة من الكذب والزور والتناقض والجهالات ، و مطهّرة من مسّ غير المطهرين و ذلك إنّ الله جلّ وعلا ضمن بحفظه من كل مالايليق بشأن القرآن الكريم ، قبل إنزاله وبعده إلى يوم القيامة .

ان هذا القرآن الكريم هو الكتاب الذى تنطوى فصوله وسوره لجميع ما في الكتب السماوية النازلة على الأنبياء والمرسلين عليهم السلام كلهم مضافاً إلى ما يتضمن

لما يحتاج إليه المجتمع الانسانى في جميع شئون حياته إلى يوم القيامة من العلوم والمعارف الالهية والحكم والشريعة الربانية . . . ويدعو النبى الكريم صلى الله عليه وآله بهذا الوحى السماوى الناس كافّة إلى توحيد الكلمة و كلمة التوحيد ، إلى الخير والصواب ، وإلى الحق والكمال . . . وطهارة هذه الصحف : هى نقاء آيها ، وصفاء سورها ، و صيانة جملها من كل سوء ، فهى حق خالص ، و كمال مطلق ، و هذا القرآن المجيد هو الذى تنبعث منه أشعّة الحق والخير ، ونور الهدى والرشاد ... فلاينبغى أن يمسّه إلاّ المطهّرون بالطهارة النفسية والجسميّة من الحدث والخبث لئلّا يتأوّله خبيث على أغراضه الخبيثة ، و ألا يتهتّك هتّاك حرمته . . .

قال الله عزّ وجلّ : «تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين» السجدة ٢).

وقال : « و انك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » النمل : ٦) .

وقال : « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » البقرة : ٢) .

وقال : « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسّه إلاّ المطهّرون » الواقعة : ٧٧ ـ ٧٨) .

وقال : « كلّا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرّمة مرفوعة مطهّرة بأيدى سفرة كرام بررة » عبس : ١١ ـ ١٦) .

وقال : «.وما تنزّلت به الشياطين وما ينبغى لهم ومايستطيعون » الشعراء : ٢١٠ ـ ٢١١) .

وقال : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » النساء : ٨٢) .

وقال : « وانه لقول فصل وماهو بالهزل » الطارق : ١٤) .

وقال : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً » الكهف : ١) .

وقال : « وانه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل

من حكيم حميد » فصلت : ٤١ ـ ٤٢) .

وقال : « إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون » الحجر : ٩) .

٣ ـ (فيها كتب قيمة)

الكتب القيّمة الّتي في هذه الصحف هي الكتب التى نزلت على أنبياء الله و رسله كصحف إبراهيم وموسى كما قال : « ان هذا لفى الصحف الاولى صحف إبراهيم وموسى » الأعلى : ١٨ ـ ١٩) .

إن القرآن الكريم جمع ما تفرّق فيما أنزل الله عزّ وجلّ من كتب على أنبيائه و رسله عليهم السلام كصحف إبراهيم و توراة موسى و إنجيل عيسى و زبور داود عليهم السلام فكان به تمام دين الله الذى هو الاسلام كما يقول سبحانه : « إن الدين عندالله الاسلام » آل عمران : ١٩) .

والقيّمة هي المستقيمة على الحق ونهجه ، وهي التى لاعوج فيها لاشتمالها على الحق ولاخفاء فيها لأنها من عندالله جلّ وعلا .

والمراد بكونها قيّمة باعتبار قيامها بأمر المجتمع الانسانى، وحفظ مصالحهم ، وبيان مافيها كمالهم وفلاحهم وخيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : « و نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » النحل : ٨٩) .

وقال : « وما من غائبة في السماء والأرض إلّا في كتاب مبين » النمل: ٧٥) .

وقال : « و كل شيء أحصيناه في إمام مبين » يس: ١٢) .

وقال : « أولم تأتيهم بيّنة ما في الصحف الاولى » طه : ١٣٣) .

وقال : « و ما أرسلنا من قبلك إلّا رجالاً نوحى إليهم ـ بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم » النحل : ٤٣ ـ ٤٤) .

وقال: « يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم » النساء : ٢٦) .

وقال : « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً ممّا كنتم تخفون من الكتاب » المائدة : ١٥) .

وقال: «ولقد أنزلنا إليكم آيات مبيّنات ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم» النور: ٣٣).

وقال: «و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب» المائدة: ٤٨).

٤- (و ما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة)

وما تفرّق فرقاً فرقاً ولا اختلف علماء أهل الكتاب - من اليهود والنصارى ومن يجرى مجراهم من الصابئين والمجوس - إختلافاً إلّا من بعد ماجاءتهم البينة الواضحة، والمعنيّ به محمد رسول الله الخاتم ﷺ بالقرآن الكريم موافقاً لما في أيديهم من الكتاب بنعته و صفته...

و ذلك ان أهل الكتاب كافّة كانوا منتظرين بالبعثة المحمدية والدعوة الاسلامية والكتاب، وقدكان علمائهم خاصة متفقين على نبوة محمد ﷺ قبل بعثته لوجود النصّ عليه في التوراة والانجيل وغيرهما، فلمّا بعث إختلفوا فيه إختلافاً كثيراً وتفرّقوا فرقاً فرقاً، فمنهم من آمن به، ومنهم من جحد نبوته ﷺ و كفر به بغياً و حسداً.

قال الله تعالى: «و ما تفرّقوا إلّا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم - و ان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب» الشورى: ١٤).

وقال: «و ما اختلف الذين اوتوا الكتاب إلّا من بعد ماجاءهم العلم بغياً بينهم» آل عمران: ١٩).

وقال: «وإذقال عيسى بن مريم يابني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم مصدّقاً لما بين يدي من التوراة و مبشّراً برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين» الصف: ٦).

وقال: «والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزّل من ربك بالحق» الأنعام: ١١٤).

وقال : « و يرى الذين اوتوا العلم الذى انزل إليك من ربك هو الحق و يهدى إلى صراط العزيز ـ ولقد صدق عليهم إبليس ظنّه فاتبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين » سبأ : ٦ ـ ٢٠) .

وقال : « قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتّى تقيموا التوراة والانجيل و ما انزل إليكم من ربكم وليزيدنّ كثيراً منهم ما انزل إليك من ربك طغياناً و كفراً » المائدة : ٦٨) .

وقال : « ولمّا جاءهم رسول من عندالله مصدّق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب‌الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون ـ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون ـ وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم ـ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و ان فريقاً منهم ليكتمون الحق و هم يعلمون » البقرة : ١٠١و١٢١و١٤٤و١٤٦) .

وقال : « و كذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به ومايجحد بآياتنا إلّا الكافرون ـ بل هو آيات بيّنات في صدور الذين اوتوا العلم ومايجحد بآياتنا إلّا الظالمون » العنكبوت : ٤٧ـ٤٩) .

وقال : « ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة و يريدون أن تضلّوا السبيل ـ يا أيّها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بمانزّلنا مصدّقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت » النساء : ٤٤ ـ ٤٧) .

وقال : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه و هم يعلمون ـ بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون » البقرة : ٧٥ ـ ٨٨) .

٥ - (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيمة)

و لم يؤمر أهل الكتاب والمشركون في الدعوة المحمّدية التي كانوا هم ينتظرون بها، قد كانوا على وحدة القول بالقبول إذا جائت ، إلّا ليعبدوا الله جلّ وعلا وحده ، ولا يشركوا به شيئاً في الوجود والخلق ، ولا في التدبير والعبادة .

قال الله عزّ وجلّ : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألّا نعبد إلّا الله و لا نشرك به شيئاً و لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » آل عمران : ٦٤) .

و يحكي عن اليهود والنصارى ما دخلوا في دينهم من الشرك بقوله تعالى : « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله - إتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلّا هو سبحانه عمّا يشركون » التوبة : ٣٠ - ٣١) .

وقد وبّخ الله عزّ وجلّ النصارى على عبادتهم لغير الله تعالى بقوله سبحانه : « قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرّاً ولا نفعاً » المائدة : ٧٦) .

و قد أشار جلّ و علا إلى أن أهل الكتاب من الأمم السابقة كلهم كانوا مأمورين بالعبادة لله تعالى وحده بقوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحي إليه انه لا إله إلّا أنا فاعبدون » الأنبياء : ٢٥) وقوله : « وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألّا تعبدوا إلّا الله » الأحقاف : ٢١) .

وقد دعا النبي الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم المشركين إلى هذه العبادة في قوله جلّ وعلا : « ألا تعبدوا إلّا الله إنّني لكم منه نذير و بشير » هود : ٢) .

وقوله تعالى: « مخلصين له الدين » : جاعلين دينهم خالصاً لوجه الله وحده فلا يتدينّوا بغير دينه وهو الدين الاسلامي .

قال الله تعالى : « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين

ألا لله الدين الخالص- قل الله أعبد مخلصاً له ديني» الزمر: ٢ و٣ و١٤).

وقال: «ان الدين عندالله الاسلام - ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه» آل عمران: ١٩- ٨٥).

وقال: «هو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون» التوبة: ٣٣).

وقال: «ورضيت لكم الاسلام ديناً» المائدة : ٣).

وقوله تعالى: «حنفاء» : مائلين عن العقائد الزائغة، وعن الأديان كلها إلى دين الاسلام، مستقيمين على طريقه غير منحرفين عنه، وهو دين إبراهيم عليه السلام الذي أمر الله تعالى رسوله الخاتم صلى الله عليه وآله باتباعه وهو الدين الذي يأمر الناس في جميع شئون حياتهم مما يتعلق بالاعتقاد والعمل بلزوم الاعتدال والتحرّز عن الإفراط و التفريط وهو الدّين الّذي تقتضيه الفطرة الّتي فطر النّاس عليها، وامّة هذا الدين والمتديّنون به هم امّة وسطاً.

قال الله تعالى: «ثم أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين» النحل: ١٢٣).

وقال: «ماكان إبراهيم يهودياً ولانصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وماكان من المشركين ان أولى النّاس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين» آل عمران: ٦٧ و٦٨).

وقال: «ومن أحسن ديناً ممّن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملّة إبراهيم حنيفاً» النساء: ١٢٥).

وقال: «قل صدق الله فاتبعوا ملّة إبراهيم حنيفاًوماكان من المشركين» آل- عمران: ٩٥).

وقال: «وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول

شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس» الحج: ٧٨).

وقال: «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم» الروم: ٣٠).

وقال: «كذلك جعلنا كم امّة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» البقرة: ١٤٣).

وقوله تعالى: «ويقيموا الصلاة» وأن يقيموا الصلاة بحدودها ويداوموا على إقامتها فى أوقاتها... بعد ايمانهم بالله تعالى ورسوله ﷺ...

قال الله عزّ وجلّ: «قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة» إبراهيم: ٣١).

وقال: «قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ـ والذين هم على صلواتهم يحافظون» المؤمنون: ١و ٢ و ٣).

وقال: «الذين هم على صلاتهم دائمون» المعارج: ٢٣).

وقال: «وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفاً من الليل» هود: ١١٤).

وقال: «أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل» الاسراء: ٧٨).

وقوله تعالى: «ويؤتوا الزكاة» وأن يؤتوا ما وجب عليهم من زكاة أموالهم مستحقّيها.

قال الله تعالى: «وسيجنّبها الأتقى الّذى يؤتى ما له يتزكّى» الليل: ١٧ـ١٨).

وقال: «و الذين فى أموالهم حق معلوم للسائل و المحروم» المعارج: ٢٤ـ ٢٥).

وقال: «والذين هم للزكاة فاعلون» المؤمنون: ٤).

وقال: «و ما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون» الروم: ٣٩):

وقوله تعالى: «وذلك دين القيّمة» وذلك الدّين الذي تقدّم ذكره هو

الـدّين القيّم الّذى بعث الله تعالى به خـاتم رسله ﷺ وشرع لنفسه ورضى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» المائدة: ٣) وهذا هو الدين الحق المستقيم الّذى لاعوج فيه، وهذا هو الدين الكامل المستقلّ بنفسه، قائماً بأمر الناس، حافظاً لمصالح حياتهم كلهم، وهذا هو أصل الدين ونتائجه وثمراته كما يبيّنه بأوفى البيان قوله عزّ وجل: «قل إنّنى هـدانى ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيّماً ملّة إبراهيم حنيفاً» الانعام: ١٦١).

القيّم: السيّد وسائس الأمر، وقيّم القوم: الذى يقوّمهـم ويسوس أمرهم من غير توان، وفي الحديث: «ما أفلح قوم قيّمتهم إمراة» وقيّم المرأة: زوجها لانه يقوم بأمرها، وماتحتاج إليه قال الله عزّ وجل: «الرجال قوّامون على النساء» النساء: ٣٤) أى متكفّلون بامورهم ومعنيّون بشؤنهم.

فالمعنى: ان ذلك الّدين هو الذى يقوم بامور تتعلّق بعقائد الناس وأعمالهم، وما يتعلّق بامـور المجتمع الانسانى، و هـذا الدّين هو الّذى كان محمد رسول الله الأعظم ﷺ يدعو إليه كافّة الناس بما كان معه ﷺ من البيّنة والكتب القيّمـة فى الصحف المطهّرة، وفيه بيان لما يحتاج إليـه البشر فى كل وقت و مكان إلى يوم القيامة، وهذا هو دين التوحيد و الاخلاص، وهذا هو دين العقيدة و العمل، وهذا هو دين الرحمة و التعاون، و هذا هو دين الاتحـاد و الاخوة والكمال...

قال الله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله الّتى فطر الناس عليهـا لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ـ منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين» الروم: ٣٠-٣١).

٦ـ (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيهـا اولئك هم شر البرية)

ان الذين كفروا بالله جلّ وعلا ورسوله ﷺ وجحدوا نبوّته و أنكروا

الحقّ مع وضوحه بعد أن عرفوه كما يعرفون أبناءهم، وظلّوا على كفرهم و ماتوا عليه من اليهود والنصارى ومن يجرى مجراهم من أهل الكتاب، والذين أشركوا بالله سبحانه إلهاً آخر في الوجود والخلق والأمر والتدبير والعبادة، وأقاموا على شركهم وماتوا عليه من المشركين بعد أن جائتهم الحجّة الواضحة والدليل الظاهر والبرهان القاطع ، فهؤلاء وهؤلاء كلّهم سيلقون فى نار جهنّم، ما كثين فيها، لا يخرجون منها ولا يموتون فيها، اولئك كلّهم شرّ الخليقة على الاطلاق، فان منكر الحق بعد معرفته، وقيام الدليل القاطع عليه منكر لعقله، جالب لنفسه الدمار و الوبال، والعذاب والنار.

اولئك هم شر الخليقة فى كل وقت و مكان قبل الاسلام و بعد ظهوره إلى يوم القيامة لأنهم لم يؤمنوا بالله عزّ وجل و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و قد جائتهم البيّنة التى جمعت البنيان كلّه ، و اشتملت على الهدى جميعه ، فكانت آياتها قائمة بين الناس ، يلقونها فى كلّ لحظة ، و يديرون عقولهم و قلوبهم إليها فى كل زمان ومكان، ولم تكن آياتها آيات عارضة تلقاها حواسّ من يشهدونها ساعة من نهار ثم تزول فلا ترى أبد الدهر كما رأى الراؤن من آيات موسى وصالح وعيسى وغيرهم من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

وإنّما ماجاء به محمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم آيات تعايش الانسان وتصحبه ما شاء أن تصحبه وتعيش معه فى كل وقت ... والحق حين تتضح آياته هذا الوضوح المشرق، وحين يتجلى وجهه هذا التجلي المبين يكون منكره والحائد عنه أشدّ الناس ضلالاً وأكثرهم عناداً وأبعدهم عن الخير وأقربهم إلى الشر: «اولئك هم شر البريّة» هم شرّ دواب الارض.

فانظر إلى أهل الكتاب وخاصّة علماءهم كيف كانوا يتّخذون دينهم هزواً ولعباً ؟ كيف كانوا يسارعون فى الكفر و كتمان الحق ، وفى الاثم والعدوان و أكلهم السحت؟ كيف كانوا يزيدون على ذلك يوماً فيوماً؟ و كيف كانوا يوقدون

نار الحرب والاختلاف والفرقة بين الامم والأقوام ؟ و كيف يسعون في الأرض فساداً ويشيعون فيها الفحشاء ؟.

ثمّ انظر إلى عبدة الأصنام والأوثان، كيف كانوا يصرّون على الشرك والضلالة على الاستكبار والعداوة، على الطغيان واللجاجة، على الفساد والمعصية ، و على العناد والجناية ؟؟؟

قال الله تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا الذين اتّخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفّار أولياء و اتقوا الله إن كنتم مؤمنين و إذا ناديتم إلى الصلاة اتّخذوها هزواً و لعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ـ قل هل انبّئكم بشرّ من ذلك مثوبة عندالله من لعنه الله وغضب عليه و جعل منهم القردة و الخنازير وعبد الطاغوت اولئك شرّ مكاناً و أضلّ عن سواء السبيل ـ و ترى كثيراً منهم يسارعون فى الاثم و العدوان و أكلهم السحت ـ و قالت اليهود يد الله مغلولة ـ و ليزيدنّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً و كفراً ـ كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فساداً ـ لقد كفر الذين قالوا انّ الله هو المسيح ابن مريم ـ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ـ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلّوا من قبل وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل ـ لتجدنّ أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا» المائدة: ٥٧ـ٨٢).

و قال : «إنّ شرّ الدّواب عندالله الصّم البكم الذين لا يعقلون » الأنفال : ٢٢) .

وقال: «ان شرّ الدّواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كلّ مرّة وهم لا يتقون» الأنفال: ٥٥ـ٥٦).

٧ـ (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية)

ان الذين آمنوا بالله عزّ وجل وبرسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وبكتابه ، وعبدوا الله

جلّ وعلا مخلصين له الدين حنفاء وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وائتمروا بما امروا به، وانتهوا عما نهوا عنـه، وعملوا الصالحات اولئك هم خير الخليقة جميعاً على الاطلاق في كل وقت ومكان.

و ذلك ان الذين يؤمنون بالله تعالى و برسوله ﷺ و بكتابه و يعملون الصالحات في جميع الأحوال و الأزمان . . . هم داخلون في ساحـة المؤمنين بشريعة الاسلام ، سواء كان هذا الايمان عن دعوة النبـيّ الكريم ﷺ نفسه أو عن دعوة كتابه و أو صيائه و وارثي علمه صلوات الله عليهم أجمعين أو عن علماء دينـه ومروّجي أحكامه، ومبيّني حكمه و معارفه . . . فالمؤمن بالله عزّ وجل و برسوله ﷺ حيث كان وحيث كان مصدر ايمانه هولا حق بهؤ لاء المؤمنين الذين هم خير البرية.

قال الله تعالى: « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» آل عمران: ١١٠) .

وقد عبّر عن هذه الامة بامة وسط في قوله عزّ وجل: «و كذلك جعلنـا كم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» البقرة: ١٤٣).

إذ ألبسهم ايمانهم بالله جلّ و علا و أعمالهم الصالحة في ظلّ هذا الايمان لباس التقوى واليقين ، لباس الفلاح و الصلاح، لباس العزّة والسعـادة ، و لباس الكمال و السيادة ، فكانوا هم عباد الله تعالى وأهل ودّه: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً و إذا خاطبهم الجـاهلون قالوا سلامـاً ـ و الذين لا يشهـدون الزور و إذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً » الفرقان : ٦٣ـ٧٢) « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ـ الله نزّل أحسن الحـديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله » الزمر : ٢٢ـ٢٣) «ان الذين هم من خشية ربّهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لايشركون والذين يؤتون ما آتوا و

قلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون»
المؤمنون: ٥٧-٦١).

فالذين سطعت أشعّة الهدى في قلوبهم، فاهتدوا بها وآمنوا بالله جلّ و
علا، و الذين أضاء نور البيّنة في أفكارهم فاستبصروا و صدقوا برسوله ﷺ
و عملوا الأعمال الصالحة فتولّوا بأولياء الله عزّ وجل، و تبرّؤا من أعدائه، و
بذلوا النفس في سبيل الله و جهاد أعداءه و بذلوا نفيس المال في أعمال البرّ
وتعاونوا على البرّ و التقوى وأحسنوا معاملة خلقه تعالى بحسن أخلاقهم اولئك
هم خير الخليقة، لأنهم بمتابعة الهدى وإستضاءة نور البينة أدّوا حق العقل والتفكر
والشعور الانساني الذى شرّفهم الله عزّ وجل به، وبصالح أعمالهم حفظوا الفضيلة
التي جعلها الله تعالى قواماً للوجود الانساني والمجتمع البشرى.

٨ - (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك لمن خشي ربه)

جزاء هؤلاء خير البرية و ثوابهم يوم القيامة عند ربهم بساتين إقامة و
دوام، وجنّات خلود و إستقرار وثبات، تجرى من تحت أشجار جنات العدن و
غرفها الأنهار حال كونهم خالدين فيها في تلك الجنّات أبداً لا يظعنون ولا يموتون
كل ذلك جزاء بما كانوا يعملون.

قال الله تعالى: «اولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون»
الأحقاف: ١٤).

وقال: «اولئك المقرّبون في جنات النعيم - جزاء بما كانوا يعملون»
الواقعة: ١١-٢٤).

وقال: «ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله» النور: ٣٨).

وقال: «فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون»
سبأ: ٣٧).

وقوله تعالى : « جنّات عدن» العدن : الاقامة الطويلة، عدن بالمكان: إذا أقام به واستقر وثبت فيه، ومنه المعادن التي تستخرج من الأرض لاستقرارها فيها. وجنات عدن : بطنان الجنة أي وسطها، ومعدن الشيء : مركزه ومستقره فالمعنى : ان لهم في الجنات إستقراراً و إقامة طويلة وحياة أبدية على إطلاق الظرف على المظروف.

قال الله تعالى: «وان دار الآخرة هي دار القرار» غافر: ٣٩).

وقال: «أصحاب الجنّة خير مستقرّاً وأحسن مقيلاً» الفرقان: ٢٤).

وقال: «خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً» الفرقان: ٧٦).

وقال : « جنات عدن يدخلونها يحلّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن ان ربّنا الغفور شكور الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب» فاطر: ٣٣-٣٥).

وقال: «وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون» العنكبوت: ٦٤).

وقوله تعالى : «رضي الله عنهم» رضي الله تعالى عن هؤلاء المؤمنين بعبادتهم لله عزّ وجل وحده وإخلاصهم له جلّ وعلا الدين، و إقامتهم الصلاة ، و ايتائهم الزكاة، وصالح أعمالهم، فأدخلهم في جناته وأفاض عليهم من نعيمه ورضوان من الله أكبر وذلك الفوز العظيم .

قال الله تعالى: « لقد رضي الله عن المؤمنين» الفتح: ١٨).

وقال: «اولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم» المجادلة: ٢٢).

وقال: «وإن تشكروا يرضه لكم» الزمر: ٧).

وقال: «وأن أعمل صالحاً ترضاه» الأحقاف: ١٥).

وقال: «وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيّاً» مريم: ٥٥) .

و قال : « قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهـم جنّـات تجرى من تحتها الأنهـار خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك الفوزالعظيم» المائدة: ١١٩).

وقال: «وعدالله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتهاالأنهارخالدين فيها ومسا كن طيّبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبرذلك هوالفوزالعظيم» التوبة: ٧٢) .

وقوله تعالى: «ورضوا عنه» ورضى هؤلاء المؤمنون عن ربهم بمارضى عنهم، وما جزاهم الله عزّ وجل من الجنّة ونعيمها الجسمانية والروحانيـة، وما بلغوا من المطالب قاصيتها، وما ملكوا من المآرب ناصيتها، وما اتيح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فحمدوه وشكروا له هذا النعيم الذى هم فيه، وذلك الرضوان الّذى أحاط بهم.

قال الله تعالى: «فأمّا من اوتى كتابه بيمينه ـ فهـوفى عيشة راضية في جنات عالية» الحاقة: ١٩ـ٢٢).

وقال: «فأمّا من ثقلت موازينه فهوفي عيشة راضية» القارعة: ٦ و٧).

وقال: «وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية في جنّة عالية» الغاشية: ٨ـ١٠).

وقال: «يا أيتها النفس المطمئنّة إرجعى إلى ربك راضية مرضيّة فادخلى في عبادى وادخلي جنتي» الفجر: ٢٧ـ٣٠).

وقال: «ليدخلنّهم مدخلاً يرضونه» الحج: ٥٩).

وقال : «فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرّة أعين جزاء بمـا كانوا يعملون» السجدة: ١٧).

وقوله تعالى: «ذلك لمن خشى ربه» ذلك الرضوان والرضا من الله جلّ و علا، وتلك الجنّة ونعيمها والخلود فيهـا لمن خاف مقام ربه ، وخشى الرحمن بالغيب، وتناهى عن المعاصى، وفعل طاعاته وأدّى فرائضه، وجاء بقلب منيب، فان

الخشية هى مناط جميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدنيوية و الاخروية، وان العلم القرين بالعبودية يستتبع الخشية منه تعالى لا مطلق العلم، فالعالم الذى لم تهذّب نفسه، ولا يعمل بعلمه لا تحلّ الخشية قلبه.

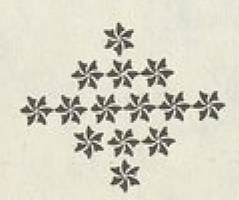
قال الله تعالى: «ولمن خاف مقام ربه جنتان - تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام» الرحمن: ٤٦ - إلى - ٧٨).

وقال: «وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فانّ الجنّة هى المأوى» النازعات: ٤٠ و٤١).

وقال: «إنما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفّيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور» فاطر: ٢٨-٣٠).

وقال: «وازلفت الجنّة للمتقين غير بعيد هذا ماتوعدون لكل أوّاب حفيظ - من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد» ق: ٣١-٣٥).

وقال: «ومن يطع الله ورسوله و يخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون» النور: ٥٢).



﴿جملة المعاني﴾

٦١٣١- (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة).

لم يكن الذين كفروا بمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد بعثته من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى و من يجرى مجراهم من الصابئين والمجوس ، والذين أشركوا بالله سبحانه من مشركي العرب وغيرهم، مفارقين عن كلمة واحدة، وهي الرسالة الجديدة ونزول الوحي السماوي على رسول جديد لاحاطة الشقوة و الفساد على المجتمع الانساني حتى تأتيهم البينة التي كانوا هم يجعلونها ميقاتاً لاجتماع الكلمة والاتفاق على قبول الحق، فجعلوها بعد اتيانها ميقاتاً للانفكاك و الافتراق وخلاف الوعد .

٦١٣٢- (رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة)

رسول من قبل الله عزّ وجل وهو محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ونفسه البيّنة، ومعه البيّنة وهي القرآن الكريم، يتلوا عليهم فصولاً متعددة من القرآن المجيد ، مطهرة من كل شيء لايليق بساحة قدسه، فيدعو بها كافة الناس إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة.

٦١٣٣- (فيها كتب قيمة)

في هذه الصحف كتب قيّمة نزلت من قبل على الأنبياء والمرسلين الماضين عليهم السلام، فالقرآن الكريم هو الجامع لها ولما يحتاج إليه الانسان في جميع شئون حياته إلى يوم القيامة.

٦١٣٤- (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جائتهم البينة)

و ما تفرّق فرقاً الذين آتاهم الله تعالى كتاباً سماوياً من الامم السابقة وعلى رأسهم علمائهم الذين هم منشأ الاتحاد والافتراق بين الامم في كل وقت و مكان، ولم يختلفوا إلّا من بعد ما جائتهم البيّنة الّتى بيّنها لهم محمد رسول الله ﷺ ودعاهم إليها.

٦١٣٥- (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيمة)

ولم يؤمر أهل الكتاب والمشركون إلّا ليعبدوا الله تعالى وحده، ولا يشركوا به سبحانه شيئاً، جاعلين دينهم خالصاً لوجه الله عزّ وجل، مائلين عن الأديان كلّها إلى الاسلام، وأن يقيموا الصلاة بحدودها ويداوموا على إقامتها في أوقاتها ... و أن يؤتوا زكاة أموالهم المفروضة مستحقيها، وذلك الدين الّذى تقدّم ذكره هو القيّمة، يقوم بأمر الناس، ويحفظ لمصالح حياتهم كلّها.

٦١٣٦- (ان الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية)

ان الذين كفروا بالله تعالى وجحدوا نبوّة محمد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى ومن يجرى مجراهم، والذين أشركوا بالله سبحانه إلهاً آخر، وأقاموا على الكفر والشرك هم جميعهم سيلقون في نار جهنم، ماكثين فيها، اولئك هم شرّ الخليقة على الاطلاق في كل وقت ومكان.

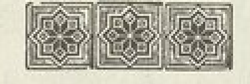
٦١٣٧- (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية)

انّ الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ وما جائهم به، وعملوا الصالحات، اولئك هم خير الخليقة جميعهم على الاطلاق في كل وقت وزمان.

٦١٣٨- (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين

فيها أبداً رضى الله عنهم و رضوا عنه ذلك لمن خشى ربه)

جزاء هـؤلاء خير البرية و ثوابهم يوم القيـامة عند ربهم جنّات خلود و إستقرار ، تجرى من تحت غرفها و أشجارها الأنهار حال كونهـم لا بثين في تلك الجنّات دائماً ، رضى الله تعالى عن هؤلاء المؤمنين باعتقـادهم الحق ، و صالح أعمالهم ، و رضى هؤلاء المؤمنون عن ربهم جلّ و علا بما رضى عنهم، وما جزاهم الله عزّ و جل من الجنّة و نعيمهـا ، ذلك الرضوان و الرضا من الله تعـالى لمن خاف مقام ربه .



﴿بحث روائى﴾

فى الكافى : باسناده عن أحمدبن محمّدبن أبى نصرقال: دفع إلىّ أبوالحسن عليه‌السلام مصحفاً، وقال:لاتنظر فيه ففتحته وقرأت فيه:«لم‌يكن الّذين كفروا» فوجدت فيها إسم‌سبعين‌رجلاً من قريش‌بأسمائهم وأسماءِ آبائهم قال: فبعث إلىّ إبعث إلىّ بالمصحف.

وفى تفسير النيسابورى : قال: ومعنا تلاوة الصحف: إملاؤه إيّاها و عن جعفرالصادق رضى‌الله عنه: أنه صلى‌الله‌عليه‌وآله كان يقرأ من الكتاب وإن‌كان لايكتب. قال: النيسابورى: ولعلّ هذا من معجزاته صلى‌الله‌عليه‌وآله.

وفى الاختصاص : باسناده عن محمّدبن سابق‌بن طلحة الأنصارى قال:كان‌مما قال‌هارون لابي‌الحسن حين ادخل‌عليه: ماهذه‌الدار؟ فقال: هذه دارالفاسقين، قال: «سأصرف عن آياتى الّذين يتكبّرون في الأرض بغيرالحق وإن يروا كل‌آيـة لا يؤمنوا بهاوإن‌يروا سبيل‌الرشدلايتخذوه سبيلاًوإن‌يروا سبيل‌الغىّ يتخذوه‌سبيلاً»

فقال‌له هارون:فدارمن هي؟ قال:هي‌لشيعتنا فترة ولغيرهم‌فتنة،قال: فما بال صاحب‌الـدارلا يأخذها؟ فقال: اخذت منه عامرة ولا يأخذها إلّا معمورة ، قال: فأين شيعتك ؟ فقرأ أبوالحسن عليه‌السلام : «لم يكن الذين كفروا من أهـل الكتاب و المشركين منفكّين‌حتّى تأتيهم‌البيّنة» قال: فقال‌لـه: فنحن كفّار؟ قال: لا ولكن كما قال‌الله : « الّذين بدّلوا نعمة‌الله كفراً وأحلّوا قومهم دارالبوار » فغضب عند ذلك وغلظ‌عليه.

و فی البرهان : عن جابر بن يزيد عن أبی جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجل: «لم يكن الّذين كفروا من أهل الكتاب» قال: هم مكذّبوا الشيعة لأن الكتاب هو الآيات، وأهل الكتاب الشيعة، قوله: «والمشركين منفكّين» يعنى المرجئة «حتّى تأتيهم البينة» قال: حتّى يتضح لهم الحق وقوله: «رسول من الله» يعنى محمداً صلى الله عليه وآله.

و فی تفسير القمی : في رواية أبی الجارود عن أبی جعفر عليه السلام قال: «البينة» محمد صلى الله عليه وآله.

وفی البرهـان : بالاسناد عن أبی بصير عن أبی عبدالله عليه السلام في قوله عزّ وجل: «ذلك دين القيّمة» قال: هو ذلك دين القائم عليه السلام.

و فيه : بالاسناد عن إبن عباس في قوله: «اولئك هم خير البرية» يريد خير الخلق «جزاؤهم عند ربهم جنّات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً» لا يصف الواصفون خير ما فيها «خالدين فيها أبداً رضى الله عنهم ورضوا عنه» يريد رضى أعمالهم ورضوا عنه بثواب الله «ذلك لمن خشى ربه» يريد لمن خاف وتناهى عن معاصى الله.

و فيه : قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: الله راض عن المؤمن في الدنيا والآخرة والمؤمن وإن كان راضياً عن الله فان في قلبه ما فيه لما يرى في هذه الدنيا من التمحيص فاذا عاين الثواب يوم القيامة رضى عن الله الحق حق الرضا وهو قوله: «رضوا عنه» وهو قوله: «رضوا عنه» وقوله: «ذلك لمن خشى ربه» أى أطاع ربّه.

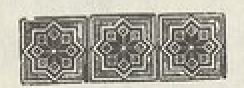


﴿ بحث فقهي ﴾

وقد استدلّ بقوله تعالى: « رسول من الله يتلوا صحفاً مطهّرة فيها كتب قيّمة » البيّنة: ٢-٣) على حجيّة ظواهر الكتاب بعد الفحص عن المخصّص أو المقيّد أو المبيّن أو المفسّر أو الناسخ، وعدم حجيّتها قبله.

وقد استدلّ بقوله عزّ وجل: «وما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين» البيّنة: ٥) علي وجوب النيّة في العبادات، فان الاخلاص من عمل القلب، وهو الذي يراد به وجه الله تعالى لا غيره.

وفي المجمع: واستدلّ بهذه الآية أيضاً على وجوب النيّة في الطهارة إذ أمر سبحانه بالعبادة على وجه الاخلاص، ولا يمكن الاخلاص إلّا بالنيّة والقربة و الطهارة عبادة فلا تجزى بغير نيّة .



﴿ بحث مذهبي ﴾

يظهر من قول الله عزّ و جلّ : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ـ ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين » البيّنة : ١-٦): أن أهل الكتاب ليسوا من المشركين المصطلحين في شيء ، بدلالة العطف على الذين أشركوا ، والعطف يقتضى المغايرة .

و تدلّ عليها آيات قرآنية :

منها : قوله تعالى : « ماكان إبراهيم يهودياً ولانصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً و ما كان من المشركين » آل عمران : ٦٧) .

و منها : قوله عزّ و جلّ : « إن الذين آمنوا والّذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا » الحج : ١٧) .

فالمشركون هم غير أهل الكتاب ، و إنّما هم عبدة الأصنام والأوثان ، بل كلّ من ليس له كتاب سماويّ فهو مشرك يحكم بنجاسته قال الله تعالى : « إنّما المشركون نجس » التوبة : ٢٨) .

و أمّا ماجاء في قوله سبحانه : « اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم و ما امروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلّا هو سبحانه عمايشركون » التوبة:٣١) فلادلالة فيه على أن أهل الكتاب مشركون كالمشركين، وإنّماهومبالغة ، و ذلك لمزيد إحترامهم لأحبارهم و رهبانهم ، وعظيم تقديرهم لهم ، ولدى الحقيقة لم يشركوا به كالمشركين المعروفين.

فبين الكفر والشرك عموم مطلق حيث ان كل شرك - يحكم على المشرك بالنجاسة - كفر وليس كل كفر شرك ، و قد أطلق على أصحاب التثليث بالكفر في قوله تعالى : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة و ما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم » المائدة : ٧٢).

و يستدل بهذه السورة كلّها على عموم الرسالة الاسلاميّة والدعوة المحمّدية صلى الله عليه وآله وسلم لكافة الناس من أهل الكتاب الذين يعبّر عنهم بالمكّيين ، وغيرهم الذين يعبّر عنهم بالامين لأن هذه الرسالة تنطوى لكل ما جاء في الكتب السماوية النازلة على الأنبياء والمرسلين الماضين جميعهم صلوات الله عليهم أجمعين ، و ما يحتاج إليه المجتمع الانسانى في جميع شئون حياته إلى يوم القيامة من الاعتقاد الحق و صالح الأعمال . . . ويستدلّ بها أيضاً على خاتميّتها على الأديان كلّها ، فان هذا الدين الاسلامى هو الدّين القيّم الذى يقوم بأمر المجتمع الانسانى في كل وقت و مكان و يحفظ لمصالحه و يضمن سعادته ، فلا دين بعد الاسلام ولا كتاب بعد القرآن الكريم ولا رسول ولا نبى بعد محمّد خاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم .

وعن الجبائى : أنه قال في قوله تعالى : « و ما تفرّق الذين اوتوا الكتاب إلّا من بعد ما جائتهم البينة » البينة : ٤) دلالة على أن الشقاوة والسعادة لم يثبتا في الأزل ولا في أصلاب الآباء . و زيّف بأن المراد ظهور التفرّق منهم لاحصوله في علم الله و هو ظاهر .

و قد استدل بقوله تعالى : « و ما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء . . . » البينة : ٥) من قال: إنّ الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والعمل ، بيانه : أن الله تعالى ذكر العبادة المقرونة بالاخلاص و هو التوحيد ثم عطف عليه إقامة الصلاة و ايتاء الزكاة ، ثم أشار إلى المجموع بقوله: «وذلك دين القيّمة» و ردّ بالمنع من أن المشار إليه هو المجموع و لم لا يجوز أن يكون إشارة إلى التوحيد فقط؟ سلّمنا لكن لم لا يجوز أن يراد بدين القيّمة الدين الكامل المستقلّ

بنفسه و هو أصل الدين و نتائجه و ثمراته ؟

أقول: ان الايمان هو إعتقاد بالجنان ، و إقرار باللسان ، وعمل بالأركان كما اشير إليها في هذه الآية الكريمة .

وفي قرب الاسناد: باسناده عن على بن أبيطالب عليه السلام قال : سئلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الايمان؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : يقين بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان .

و قد عرّف الله تعالى حقيقة الايمان في كتابه المجيد بمواضع عديدة :

منها: في قوله عزّ وجلّ : « قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الايمان في قلوبكم ـ إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون » الحجرات : ١٤ و ١٥) .

و قال : « إنّما المؤمنون الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً و على ربهم يتوكّلون الذين يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم و مغفرة و رزق كريم » الأنفال : ٢ ـ ٤) .

فى تفسير المجمع: قال النضر بن شميل : سئلت الخليل عن هذا ـ قوله تعالى ـ : « و ذلك دين القيّمة » ؟ فقال : القيّمة : جمع القيّم ، والقيّم والقائم واحد فالمراد و ذلك دين القائمين لله بالتوحيد ، وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر لأن فيها تصريحاً بأنه سبحانه إنّما خلق الخلق ليعبدوه .

أقول: وقد صرّح عزّ وجلّ انه تعالى خلق الجن والانس للعبادة في قوله سبحانه : « و ما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون » الذاريات : ٥٦) و قد كانت الانبياء والمرسلون كلهم عليهم السلام يدعون اممهم إليها .

قال الله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحى إليه أنه لا إله إلّا أنا فاعبدون » الأنبياء : ٢٥) .

وان العبادة لله تعالى وحده مما تقتضيه الفطرة التي فطر الناس عليها بلزوم الترابط بين الخالق والمخلوق بالعبادة، و ان الجن والانس ليسوا بمجبورين فيها مع كونها من مقتضيات الفطرة، و ان الكفر والشرار، والشقاء والفساد عوارض تعرض عليهم باتباع الهوى، فلو كانوا مجبورين في العبادة لن تعرض عليهم تلك الأضداد كما أنّهم لو كانوا مجبورين في الأضداد لكان أمرهم بالعبادة والاخبار من الله تعالى بأنّهم خلقوا للعبادة لغواً و عبثاً.

فهم في خيار بين الأضداد من الكفر والايمان، من الشرك والاخلاص، من الطغيان والانقياد، من الصلاح والفساد، من السعادة والشقاء، و من الفلاح والخسران...

فاذا عرض الكفر والشقاء والفساد... على المجتمع الانساني باتباعهم الهوى فعلى الله تعالى أن يرسل إليهم رسولاً معصوماً عليه السلام لازالة تلك العوارض، وتصقيل القلوب عنها، و ردّ الفطرة إلى مقتضياتها على اختلاف الظروف...

فالقول بخلق الكفر في الكفّار مردود بقوله جلّ و علا: «و ما امروا إلّا ليعبدوا الله...» البيّنة: ٥) و قوله تعالى: «و ما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون» الذاريات: ٥٦).

و قوله سبحانه: «و لا يرضى لعباده الكفر و إن تشكروا يرضه لكم» الزمر: ٧) و قوله تعالى: «قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد و ادعوه مخلصين له الدين» الاعراف: ٢٨ ـ ٢٩).

و موجب للغوية إرسال الرسل إلى الناس ليدعوا كلهم إلى العبادة لله تعالى وحده فالقائل بهذا القول السخيف هو الذى اتبع إبليس فقد صدّق ظنّه عليه.

قال الله تعالى: «و لقد صدّق عليهم ابليس ظنّه فاتبعوه» سبأ: ٢٠).

وقد استدل بعض المحققين: بقوله تعالى: «اولئك هم خير البرية»

البينة : ٧) على تفضيل بنی آدم على الملائكة .

وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ : أتعجبون من منزلة الملائكة من الله والذى نفسى بيده لمنزلة العبد المؤمن عندالله يوم القيامة أعظم من ذلك و قرأ هذه الآية .

و في اسرار الآيات قال صدر المتألهين في قوله تعالى : « اولئك هم شر البرية - اولئك هم خير البرية » البينة : ٦ و ٧) : ولا شبهة فى أن نفس من هو خير الخلايق لا تساوى في الحقيقة النوعية لنفس من هو شرّ الخلائق ، وما أشدّ في السخافة والبطلان قول من زعم أن نفس أفضل البرية خاتم الأنبياء ﷺ مع نفس أبى جهل متماثلان في تمام الحقيقة النوعية الانسانية ، وإنّما التخالف بينهما بواسطة عوارض وأحوال خارجة عن تمام الماهيّة النوعية ، وعن أصل الجوهر والذات .

و اعلم أن الله قد حكم بكفر من قال بأن نفس النبى ﷺ مماثلة لنفوس سائر البشر في قوله : « قالوا أبشر يهدوننا فكفروا و تولّوا » و قوله تعالى : « أبشراً منّا واحداً نتّبعه » و أما قوله تعالى : « قل إنّما أنا بشر مثلكم » فانما ذلك بحسب هذه النشأة الظاهرة . إنتهى كلامه .



«الاديان والعقائد قبل الاسلام»

قال الله عزّ وجلّ: «لم يكن الّذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتى تأتيهم البيّنة» البينة: ١).

و قد كان يوجد قبل البعثة المحمّدية ﷺ أديان كثيرة وعقايد مختلفة وآراء متضادّة، أشهرها ثلاثة: اليهود و النصارى و الوثنية، وإن كان المجوس والصابئة غير قليلين، ولما كانت الثلاثة في بلاد العرب قبل الاسلام ندير البحث حولها إجمالاً:

أما اليهود: فقد كانت من بين أتباع الأديان أشدّ الناس تمسّكاً بدينهم، و أكثرهم حقداً على مخالفي ملّتهم مع التحريف والدسّ في الدين و مسخهم وجهه، وتحليل بعض ما حرّم الله تعالى عليهم، و تحريم بعض ما حلّ لهم، وإدخال الشرك في الدين من كون عزير إبن الله سبحانه وان يدالله مغلولة، وقد توالت على ذلك الأزمان، و كلّما جاء جيل زاد ما وضعه من قبلهم حتّى خفيت معالم الحق وطمست أنوار اليقين.

و أما النصارى: فلم يكن لها أتباع كثيرون، وكان المتمذهبون بها لا يعرفون النصرانية إلّا معرفة سطحيّة، وكانت هذه الديانة تحتوى على كثير من الاسرار بحيث يتعذّر أن تسود على شعب حسى كثير الاستهزاء، ولم تكن في التحريف والدس وتبديل الشريعة وإدخال ما ليس منها من ضروب البدع ومسخ الوجه وذهاب حقيقته أقل ديانة من اليهود.

و أما الوثنيون : الذين كانوا هم السواد الأعظم من الامّة العربية، فقد مرنت نفوسهم على عبادة الأصنام والخضوع للأوثان، وأصبح من العسير تحويلهم عنها وقد كان لكل قبيل بل اسرة منهم آلهة خاصة:

فمنهم : من كان يميل إلى اليهودية كبعض قبايل اليمن، وتهوّد قوم من الأوس والخزرج لمجاورتهم خيبر وقريظة والنضير.

ومنهم : من كان يميل إلى النصرانيّة كالغسا سنة والتغلبين وكان بنجران بقايا من دين مسيح عليه السلام.

ومنهم: من كان يصبو إلى الصابئة، وتعتقد في الأنواء إعتقاد المنجّمين في السيّارات حتى لايتحرّك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلّا بنوء من الأنواء، و يقول: مطرنا بنوء كذا.

ومنهم: من كان يصبوا إلى الملائكة، فيعبدهم، بل كانوا يعبدون الجنّ و يعتقدون فيهم انهم بنات الله سبحانه إلّا أنهم كانوا مجتمعين في الاشراك و عدم الوحدانية لله سبحانه.

ومنهم: من أنكروا الخالق والبعث و الرسالة ، «وقالوا ماهي إلّا حياتنا الدنيا نموت ونحيى و ما يهلكنا إلّا الدهر» الجاثية : ٢٤) إشارة إلى الطبائع المحسوسة في العالم السفلى فقالوا: ان الطبع هوالمحيي، وان الدهر هو المفني و قصروا الحياة والموت على تركّب الطبائع المحسوسة في العالم السفلى، وتحللها فالجامع هو الطبع، والمهلك هو الدهر.

ومنهم: من أقرّوا بالخالق وإبتداء الخلق والابداع ، وأنكروا البعث و الاعادة وهم الذين أخبر عنهم القرآن الكريم: «وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم» فاستدلّ عليهم بالنشأة الاولى إذ إعترفوا بالخلق الأوّل فقال: «قل يحييها الّذى أنشأها أوّل مرّة» يس: ٧٨-٧٩).

ومنهم: من أقرّوا بالخالق وإبتداء الخلق ونوع من الاعادة، ولكنّهم

كانوا يعبدون الأصنام على أنها شفعاء هم عندالله في الدارالآخرة، فكانوا يحجّون إليها،وينحرونلها الهدايا ويقربون القرابين، ويتقرّبون إليها بالمناسكوالمشاعر ويحلون ويحرمون.

ومنهم: من يعتقدون بالتناسخ . فيقولون : إذا مات الانسان أو قتل إجتمع دم الدماغ و أجزاء بنيته ، فانتصب طيراً هامة ، فيرجع إلى رأس القبر كل مأة سنة ، فاذا مات أحد أقربائهم يذبحون على قبره ناقة أو يربطونها ، ثم يدعونها تموت جوعاً ، معتقدين ان الروح لما تنفصل عن الجسد تتشكل بهيئة طير يسمّونه الهامة أو الصدى ، و هي نوع من البوم ولا تبرح تطيربجانب القبر نائحة ساجعة ، تأتيه باخبار أولاده فاذا كان الفيد قد مات قتيلاً تصيح صداه قائلة : « اسقونى » و لا تزال تردد هذه اللفظة حتّى ينتقم له أهله من قاتله بسفك دمه.

ومنهم : من كانوا يعتقدون ان للكون إلهاً، وان عبادة الأصنام خرافة، و هم قليلون من بني عبدالمطلب والذين بقوا على دين إبراهيم عليه السلام من غيرإنحراف.

وان الذين كانوا يصدقون بوجود الله تعالى ويعتبرون الأصنام شفعاؤهم لديه فقد كانوا يحترمون كهّانهم وأصنامهم بعض الاحترام، ولكنّهم مع ذلك كانوا يقتلون الكهّان إذا لم تتحقق إخبارهم بالمغيبات أو لوعولوا على فضحهم عند الأصنام، وإن قربوا لها ظبية بعد أن نذروا لها نعجة ، وأما الّذين كانوا يعبدون الكوكب و خصوصاً الشمس فكنانة كانت تدين للقمر وللدبران، وبنولخم و جرهم كانوا يسجدون للمشترى و كان الأطفال من بني عقد يدينون لعطارد وبنى طيّ يدعون سهيلاً وكان بنوقيس عيلان يتوجهون للشعرى اليمانية.

و كان علمهم بماوراء الطبيعة على نسبة أفكارهم الدينية ، و كان أيسرما عندهم نصب الأصنام على هيأتها المخوفة، والاقتسام بالأزلام والخمر والميسر والدواب سعياً وراء الغارات والسلب والنهب، وأهون دم يراق عندهم دماء البشر ولاسيّما

من إخوانهم وأبناء جلدتهم حتّى أصبحوا والشغل الشاغل لهم الّذي كأنّهم لايعانون سواه ولا يمارسون غيره ولا تقوم مقوّماتهم الحيوية إلّا من ريعه هو الغزوات و الغارات، وسلب النفوس والأموال...

أما الفوضى عند أوباشهم في الأعراض وعدو بعض على حلايل غيره سرّاً أو إمتلاكها بالاستيلاء جهراً، وبيع ما أصابوه في الغزوات من البنين والبنات في سوق عكّاظ أو في غيره من أسواقهم، فغطّها بذلا ذلك واسترها بكل شراشرك، ولكن هلمّ الخطب في غلظة تلك القلوب التي هي أغلظ من أكباد آبالها، وأقسى من صخور جبالها تلك القلوب التي تئد بناتها، وتقتل من خشية إملاق أبناءها، وتدفن بأيديها افلاذ أكبادها، وقطع فؤادها أى همجيّة هذه؟!

هـذه كانت جمهرة أخلاق العرب و حالتهم الاجتماعيّة و الاقتصاديـة و الدينية، هذا والشريعتان: الموسويـة والعيسوية بين ظهرانيهم ، وخلال اطناب منازلهم لم تفدهم شيئاً من التهذيب، ولا حظّاً من التربية والتشذيب، وذلك لما عرض لهمـا من العوارض والتغيرات والتبدّلات والمسخ والنسخ الّذى لم يختصّ بفروعها وشراشرها، بل سرت إلى أصل جوهرها وروح حقيقتها، فلبسوها أهلوها لبس الفرو مقلوباً والرداء معكوساً.

فاذا أردت أن تعرف حقيقة ذلك فانظر إلى التوراة والانجيـل ولوا حقهما من نسبة المعاصى و الكبائر إلى كبار أنبيـاء الله جلّ وعلا وزعمـاء رسله كالزنا بالمحارم وشرب الخمر، وما إليهما مما تشمئزّ منه حتّى نفوس الرعاع المتهتّكين والعصاة المنهمكين وأهل الفجور، وانظر إلى زوال نقطة السبت إلى الأحد والختان إلى التغطيس والمعمـودية، وحرمة الخمر إلى الاباحة ، و ما إليها من التحليل و التحريم، مضافاً إلى خلوّهما عن النواميس والأحكام لكلّ الضروريات الاجتماعية والفردية الأخلاقية والاقتصادية والسياسيّة... فلا مواريث ولاجزائيات ولا عقود ولا معاملات ولا ولا...

وان اليهود كانت متشعبين بالاثرة الشعبية على مثال الصينيين واليابانيين، و المصريين لايرى منها لليوم خاصيّة التأثير على غيرهم إلّا بالخضوع لقوانين الامة التى يشتغلون تحت ظل حمايتها بالامور المالية، ولئن شوهد انهم ادخلوا إلى ملّتهم بعض العرب، فلم يكن ذلك إلّا نتيجة بسيطة لاشتراكهم في الأساطير التاريخية وهو إشتراك يدلّ على قرابة قريبة بين الامّتين تلك القرابة ، يستدلّ عليها أيضاً بتساويهم في حبّ الكسب والمادّية، وتآذيهم في الاستعداد لعدم الأنفة من سلوك أىّ طريق من الحيل والمكر لنيل المادّة، ولاينتظر أن يكون من نتيجة الاجتماع بهذه الاعتبارات أدنى ترق أدبى".

و أما المسيحيون فكانوا يفدون شيئاً فشيئاً إلى بلاد العرب هرباً من الاضطهادات الدينية التي كانت في مملكة الرومانيين، ولكن لم يكن في حالهم نور يلفت البصر تألقه، وفي حالة مسيحى الحبشة اليوم نموذج لذلك، فانه لايمكن أن يتحلّى الانسان بمدركات العقائد السامية من دين بمجرّد التسليم بنصّ تلك العقائد، وفي عهد هذه الأحوال الحالكة، وفي وسط هذا الجيل الشديد الوطأة بعث الله تعالى محمداً رسوله ﷺ على حين فترة من الرسل، وإنقطاع من الوحى، و أشهر الأديان والعقائد وأهلها على حال من الفرقة والانحلال : «هو الّذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون» الصف: ٩) أى الثابت المتحقق الّذى لاينسخه دين آخر ولايبطله شيء آخر وهو الّذى: «لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصلت: ٤٢).

وقد كانوا في حالة الانحطاط في جميع الروابط العمرانية، ولم تكن لها وحدة قوميّة ولاجامعة سياسيّة، ولارابطة وطنية ولا أصل من الاصول الّتى ترتكز عليها الميول والعواطف الانسانية، فتسموبها إلى الغايات الحيوية، فلما بعث الله تعالى محمداً رسوله ﷺ فجعل أن يدعو هؤلاء اليهود والنصارى والمشركين خاصّة، و عامّة البشر من الملّيين والامّيين كافّة من مختلفى القبائل و النزعات ومتنافرى

الأغراض والغـايات إلى أن يذروا الأديان المنسوخـة والعقائد البـاطلة و الآراء المتضادّة، وإلى أن يعبدوا لله وحده، وأن يخلصوا الدين لله تعـالى: «وما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفـاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة و ذلك دين القيّمة» البينة: ٥).

فقد أصبحت الدعوة الاسلامية في هذه الجهة على الضدّ من تلك فان أحـد أشهر الأديان كان على المادّية المحضة، وان أحداً منها كان على الروحانيّة المحضة، وقد ضاع بينهما حدّ الوسط والاعتدال الّذى هو خير الامور بل هو خير الخير كلّه، وهو الـدّين الخالص لله وهو الدين الحنيف وهو الدين القيّم الّذى جعـل الامّة الاسلامية امة موحدة الوجهـة، مشتركة الغاية ، ذات مقوّمات أدبيـة وروابط إجتماعية مودعاً فيها روحاً عالية تسمو بها إلى الغايات البعيدة، وجاعلاً لها دستوراً يقيّد حكومتها الرشيدة إلى أن يبسط ملكها، وتنتشر سطوتها والله تعالى هو المعين.



﴿الضرورة والرسالة﴾

كثيراً ما يسئل: هل كان بالامم حاجة إلي دين جديد؟ وان مجيىء الاسلام للناس كافّة وليس للعرب خاصّة يستدعى أن يكون بجميع امم الأرض حاجة إلى دين جديد، فكيف كان حال تلك الامم في عهد البعثة المحمّدية ﷺ؟ وماذا كان مبلغ تلك الحاجة منها إلى الدين؟ أو إلى أىّ حادث إجتماعى جلل؟

والجواب عن ذلك بالاجمال على لسان أحد الأجانب عن الدين من بحاثى الافرنج وهو (جول لابوم) الفرنسى في مقدّمة الفهرس الّذى وضعه للقرآن الكريم المترجم إلى اللغة الفرنسية بحثاً في هذا الموضوع نشير إلى بعض كلامه بعد ما ذكر التنازع والتآكل بين الممالك فقال: والخلاصة كان جوّ العالم الأرضى متلبداً بسحب الاضطرابات الوحشية في كلّ جهة، وكان إعتماد الناس على وسائل الشرّ أكثر من إعتمادهم على وسائل الخير، وكان أجمع الرؤساء للثقة والطاعة أشدّهم صيحة في أصلاء نيران الحروب والمعارك، ولم يكن يأخذ بعواطف القلوب، ولا يؤثر عليها تأثيراً حاداً، وإن كان وقتياً إلّا شيء واحد وهو الغنيمة وسلب الامم و الشعوب والمدائن والأعيان ورجال الحروب، وفقراء الحرائين وبسطاء المتسولين، و لولا شعاع ضئيل من الحكمة كان يتألق في بعض صوامع الكهنة، وبعض الجرائيم الفلسفية التى كانت بمعزل عن أعاصير تلك المشاغب وانتقلت من روح إلى روح اخرى بواسطة بعض أصحاب الجسارة من رسل الرقى في المستقبل لكانت البربرية أسرعت في خطاها مقودة بغطرسة زعماء البهيمية واستحالت وحشية محضة.

هذا وما ذكرناه سابقاً من الأديان والعقائد قبل الاسلام يرى القارىء: ان العالم الانساني كان بحاجة إلى حادث جلل يزعج الناس عمّا كانوا فيه، ويضطرهم إلى النظر والتفكير في أمر الخروج من المأزق الذى تورطوا به، ولله عزّ وجل في خلقه سنن لاتتبدّل ولاتتحوّل، فلا يتقادم العهد على دين، ويجمد منه الناس على شكل يمنع ترقيهم حتّى يبعث إليهم مايلفتهم إلى النظر، وينبههم إلى العبر ليجدوا مارث من تقاليدهم وفسد من أحوالهم ...

وقد جاء الاسلام فأحدث هذه النتيجة المطلوبة بما أقام من الدول وأسقط من الممالك وأصل من الاصول، وهدم من التقاليد، وناهيك به من انقلاب زعزع أركان دولتي الرومان والفرس، وهما دولتا العالم إذا ذاك في أعظم قاريته آسيا واروبا، وقد استتبع تزعزع أركانها ضعفاً سرى في مجموع تقاليدهما الرثة، فتخلصت امم من نير إستبدادهما، ويهيّأ مابقي منها للدخول في أدوار جديدة من الحياة، وتلا ذلك كله مانراه اليوم من النهضة المستمرّة في عالمي العلم والعمل.

فضرورة صالح المحيط من جهة، وضرورة صالح العالم من جهة اخرى يومئذ كان في حاجة إلى مجيىء الاسلام، إلى مجيىء الدعوة الجديدة وإلى مجيىء الرسالة الكاملة أن تضع شريعة الوسط والاعتدال، وتعود بالأطراف إلى الأوساط وبالانحرافات إلى الاستقامة المؤبّدة، فكانت ضرورة عامّة البشر في أشدّ الحاجة إلى شريعة تقول لكل واحد منهم: «إعمل لدنياك واعمل لآخرتك» وتقول: «لا تنس نصيبك من الدنيا» القصص: ٧٧).

الشريعة الوسطى بل المحيطة بأطراف الكمالات وأوساطها، وهى التى تقول: «ليس خير كم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه بل خير كم من أخذ حظّاً من هذه وحظّاً من هذه» وهى التي يقول قانونها المقدس ازرعوا: «وكلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده» الأنعام: ١٤١) وهى التى تقول في السعي: «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه» الملك: ١٥) وهى التى تقول في

حفظ الجامعة و درءِ الشرور: «وأعدّوا لهم ما استطعتم» الأنفال: ٦٠) ثم يحفظ روح الفضيلة في تعديل تلك التعاليم فيها.

وهي التي تدلّ على حقيقة الزهد بقوله تعالى: «لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم» الحديد: ٢٢) ثم يقول: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» الكهف: ٤٦) ولايدعها حتّى يتلافاها بقوله تعالى: «والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً» الكهف: ٤٦) «وماعندالله خير وأبقى» القصص: ٦٠) ويقول: «إمّا منّاً بعد وإمّا فداء» محمدﷺ: ٤) ثم يقول في الجزاء: «وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به» النحل: ١٢٦) دلالة على طريق العدل.

ثمّ يدلّ على طريق الفضل فيقول: «ولئن صبرتم لهو خير للصابرين» النحل: ١٢٦) يقول: «وجزاء سيّئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله» الشورى: ٤٠) وغيرها من الآيات القرآنية تصرح على حقيقة الاسلام والشريعة القيّمة و سطيّة الامة المسلمة.

فكانت ضرورة عامة البشر في أشدّ الحاجة إلى أن يضع الحكيم شريعة وسطاً و طريقاً جدداً جامعاً لطرفي العدل والفضل آخذاً باعنّة السعادتين ، و إصلاح النشأتين وتقويم اود الحياتين بحيث يتعادلان في العيار و يتساويات في الوزان ككفتّي الميزان، وهي الشريعة التي لها خاصية ليست لغيرها، ولها ميزة عن غيرها وهي التي تصلح أن تكون القانون الأبدى لصالح عامّة البشر في طوال الأعصار جيلاً بعد جيل، وقبيلاً بعد قبيل.

فلاتنسخ ولاتتبدّل ولا تحتاج إلى تكميل أو تسوية بعد كونها وسطى و مركزاً، فان الوسط خطّ واحد يستحيل أن يتكرّر والمركز نقطة يمتنع أن يتعدّد.

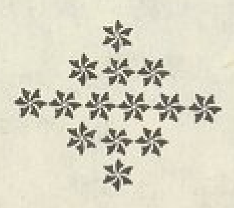
هذا شبلي شميل- وهومن تعلم ماهو و كيف هو من الدين يقول في مجموعته: «فلسفة النشوء والارتقاء» في التعاليق منها، والذيول ماحرفه: «شريعة موسى مادية عملية أيضاً ولكنّها غير مستوفاة وشريعة عيسى وإن كانت حكماً ومواعظ تعتبر

اصولاً كلية إلّا انها في جملتها نظرت إلى العالم الروحاني أكثر من الحياة الدنيا بخلاف شريعة محمّد صلى الله عليه وآله فانّها نظام إجتماعي عملي مادّي قانوني حقيقي».

وإنّي لست بصدد بيان جميع ما اعترف بذلك من غير المسلمين: ان النظر في جملة نواميس الأديان السابقة قبل الاسلام وشرائعها يهدى كل عاقل سليم القلب إلى أنّها كانت ناقصة ليس فيها سداد من عوز ولا دفع لحاجة ولا صلاح لفساد وكان المجتمع الانساني يومئذ في أشدّ الحاجة إلى الرسالة الجديدة من قبل الله تعالى لترتفع بها حوائجهم ويصلح بها المجتمع الانساني، فجاء الاسلام فلم يدع كثيراً ولا قليلاً ولم تهمل نقيراً ولا فتيلاً حتّى حلّ العقال وأرش الخدش ودية النطفة.

جاء الاسلام يدفع كل شقاء ويجلب لكل سعادة، جامع للعدل والزيادة، واقف على حدّ الوسط والمركز في كل سانحة ولامحة وغادية ورايحة: «وكذلك جعلناكم امة وسطاً» البقرة: ١٤٣).

وليست شريعة في العالم دون شريعة الاسلام بتلك السعة والاحاطة والجامعيّة وان الشريعة الاسلامية هي الشريعة الالهية والدين الأبدي القيّم، وانه ما من امة من الامم، ولا ملّة من الملل، ولا واحد من البشر أن يقيم برهاناً اليوم على صحّة ملّته أو عقيدته، ويسجّل دليلاً دليلاً على حقيقة معتقده إلّا المسلمين، وهم الذين أشار جل وعلا إليهم بقوله: «اولئك هم خير البرية» وهل البينة إلّا ذلك؟



﴿ عصر الجاهلية وانتظار الرسالة الجديدة ﴾

ولقد كانت الأرض في حاجة ماسّة قبل الاسلام إلى رسالة جديدة إذ عمّها الشقاء والفساد : فساد العقيدة و فساد العمل بحيث لا يرتجى لها صلاح و لا نجاة إلّا برسالة جديدة ، ومنهج جديد ، وحركة جديدة ، ولقدكان الكفر قد تطرق إلى عقائد أهلها جميعاً سواء أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية من قبل ثم حرّفوها و مزّقوها كل ممزّق ؛ أم المشركون في الجزيرة العربيّة و في خارجها سواء ؟؟؟

وان القرآن الكريم يحكى : انّ أهل الكتاب من المليّين ، وخاصّة اليهود والنصارى ، والمشركين من الامّيين و خاصّة مشركو الجزيرة العربيّة يتمنّون إنزال الكتاب السماوى و ينتظرون الرسالة الجديدة لكافة الناس ... والآيات الكريمة فيه كثيرة :

منها : قوله عزّ وجلّ : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكّين حتّى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفاً مطهّرة » البيّنة : ١-٢) .

لما كان بين اليهود والنصارى من خلاف و نزاع و تشاد بل و قتال ، قال الله تعالى حكاية عنهم : « و قالت اليهود ليست النصارى على شيء و قالت النصارى ليست اليهود على شيء » البقرة : ١١٣) .

و لما كان بين المشركين من خلاف في العقائد والأعمال ، و يرون اليهود والنصارى على خلاف آخر أشدّ من خلافهم حتّى لم يجدوا لدين اليهود والنصارى

يومئذ شأناً يلجأون إليه للخلاف الشديد بين الطائفتين كما صرّح تعالى بذلك في قوله عزّوجلّ : « و هذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه و اتقوا لعلّكم ترحمون أن تقولوا إنّما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنّا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لوأنّا انزل علينا الكتاب لكنّا أهدى منهم فقدجاء كم بيّنة من ربكم و هدى و رحمة فمن أظلم ممّن كذّب بآيات الله و صدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون » الأنعام : ١٥٥-١٥٧) .

حتّى أقسم المشركون ، و كانوا يتمنّون إنزال الكتاب بلغتهم و يتبعونه وكانوا أهدى الامم ، قال الله تعالى: « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم » فاطر : ٤٢) .

وقال : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جائتهم آية ليؤمننّ بها » الأنعام : ١٠٩) وغيرها من الآيات القرآنية . . .

فانّها تلهم ان المشركين كانوا يتمنّون إنزال الكتاب بلغتهم ، وتلهم بأنهم قد وصلوا إلى طور شعر وافيه بأن ما عليه العرب من عقائد وتقاليد دينية باطل وضلال فانفوا منها ونزّهوا أنفسهم عنها ، و انفوا من اليهودية والنصرانية و من يجرى مجراهم لما كان عليه أهلهم من نزاع و تهاتر ، فكانوا ينتظرون التوحيد الخالص، ويستفتحون عن أهل الكتاب بمجييء الرسول الجديد : « و كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » البقرة : ٨٩) لما كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم بمجييء النبي الامّيّ : « الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل » الاعراف : ١٥٧) .

و لما كانت اليهود والنصارى في الحجاز ومكّة يتحدثون عن نبي عربي امي يبعث و يذكرون صفاته التى يجدونها في التوراة والانجيل ، فكانواهم والعرب ينتظرون تحقّق ذلك ، و كانت كافة الناس تنتظر الرسالة الجديدة التى تنجيهم من الانحطاط والدمار والهلاك لاحاطة الشقاء والفساد عليهم .

ومن ثمّ إقتضت رحمة الله تعالى الواسعة بالبشرية إرسال رسول من عنده، وقد كانت الناس أجمعون غير منفكّة بمجيىء الرسول، بمجيىء الكتاب، وبمجيىء المصلح الذى يصلح عقائدهم، يصلح أقوالهم، يصلح أعمالهم، يصلح بيئاتهم و مجتمعهم، يصلح دنياهم، و يصلح آخرتهم.

فجائت الرسالة الاسلامية والدعوة المحمّدية صلى الله عليه وآله وسلم فى إبانها، وجاء هذا الرسول المنتظر فى وقته، جاء بكتاب لاتصلح الأرض وأهلها إلاّ به، ولاتتحوّل الأوهام والأباطيل والشر والفساد إلاّ ببعثة هذا الرسول، وبمجيىء هذا الكتاب، فكانت البشرية يومئذ على كلمة واحدة و هى مجيىء المنقذ الهادى، مجيىء القانون الالهى والدستور السماوى الذي يحكم على البشرية بالعدل والانصاف ويصلحها، فحينئذ أرسل الله عزّ وجلّ رسوله الخاتم محمّداً المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم و أتاه بكتاب قال: «حتّى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفاً مطهّرة فيها كتب قيّمة» البيّنة: ١ـ٣).

و لمّا جاءهم الرسول المنقذ الناجي، الرسول الهادي المصلح مع كونهم منتظرين إليه، وإن كانوا مختلفين فيما سوى ذلك، فقد انقسموا شعباً، وتحزّبوا أحزاباً و تشتّتوا طوائف... جاءهم الرسول المنقذ فناداهم: «و ما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء» البينة: ٥) دعاهم إلى كلمة التوحيد، و عبادة الله تعالى وحده، دعاهم إلى إخلاص الدين له تعالى و عقيدة خالصة، دعاهم إلى دين واحد و عقيدة واحدة، و دعاهم إلى كلمة التوحيد و توحيد الكلمة تتوالى بها الرسالات كلّها، و يتوافى عليها الرسل جميعهم، و دعاهم إلى دين لاغموض فيه ولا ضلال، دين لاتعقيد عقيدة فيه ولا كلفة فيه، دين لايدعو إلى تفرّق ولاخلاف ولا إلى تشعّب ولاتحزّب، و دين يدعو الناس كلّهم إلى كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة، إلى الخير والحق، إلى التعاون والاحسان، إلى الصدق والأمانة، إلى الكمال والسعادة، وإلى الصلاح والفلاح...

ثم دعاهم إلى الصلاة التى هى مظهر وحدة العقيدة ، وظيفة فردية ، ثم دعاهم إلى الزكاة التى هى مظهر الانسانية و وظيفة إجتماعية وقال : « و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيّمة » البيّنة : ٥) .

ولكن هؤلاء و هؤلاء نكثوا أيمانهم ، و خالفوا أقوالهم ، و دسّوا ما جاء فى كتابهم ، ومكروا على أنفسهم ، فوقفوا مواقف الظلم والعناد ، والبغى واللجاج ، ومواقف الاستكبار والفساد . . .

قال الله تعالى في أهل الكتاب : « و لمّا جاءهم رسول من عندالله مصدّق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لايعلمون » البقرة : ١٠١) .

وقال : « و ما تفرّق الذين اوتـوا الكتاب إلّا من بعد ما جائتهم البينة » البينة : ٤) .

وقال فى المشركين : « فلما جاءهم نذير ما زادهم إلّا نفوراً إستكباراً فى الأرض ومكر السيّىء » فاطر : ٤٢-٤٣) .

ثم بيّن جلّ وعلا سبب نقض أهل الكتاب وخاصّة علماءهم الميثاق ، و دسّهم ماجاء في كتابهم بعد ما تحقق ما انتظروه باتباعهم الشيطان و إشتراءهم الضلالة بالهدى والدنيا بالآخرة و إرادتهم البغى والفساد . . .

قال الله تعالى فيهم : « و إن منهم لفريقاً يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب و يقولون هو من عند الله و ما هو من عندالله ويقولون على الله الكذب و هم يعلمون » آل عمران : ٧٨) .

و قال : « و يرى الذين اوتـوا العلم الذى انزل إليـك من ربك هو الحق ـ و لقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتبعوه إلّا فـريقاً من المؤمنين » سبأ : ٦ ـ ٢٠) .

و قال : « و ما اختلف فيه إلّا الذين اوتوه من بعد ما جائتهم البينات بغياً

بينهم » البقرة : ٢١٣) و قال : « أفكلما جاء كم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم » البقرة : ٨٧) .

كما بيّن سبب نكث المشركين أيمانهم بعد ما كانواهم منتظرين و هو الاستكبار و اتباعهم أهوائهم بقوله تعالى : « إستكباراً في الأرض ومكر السّيىء » فاطر : ٤٣) .

قال الله تعالى : « ويل لكل ّ أفّاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم ّ يصر ّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشّره بعذاب أليم و إذا علم من آياتنا شيئاً إتّخذها هزواً » الجاثية : ٧ ـ ٩) .

وقال : « إلهكم إله واحد فالّذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون » النحل : ٢٢) .

فاستغربوا أن يكون النبي الّذي يجيىء ويبعث وينزل عليه الكتاب محمّداً ﷺ الذي لم يكن معدوداً من طبقة الزعماء فاستكبروا وقالوا : كان ينبغى أن ينزل الكتاب على عظيم من عظام مكّة أو الطائف كما صرّح تعالى بذلك حكاية عنهم في قوله عزّوجلّ : « وقالوا لولا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » الزخرف : ٣١) و في قوله تعالى : « ما سمعنا بهذا في الملّة الآخرة ان هذا إلّا اختلاق أانزل عليه الذكر من بيننا » ص : ٧ ـ ٨) .

وقال : « ولكن رحمة من ربّك لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير من قبلك ـ فلمّا جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى ـ فان لم يستجيبوا لك فاعلم إنّما يتّبعون أهواءهم » القصص : ٤٦ ـ ٥٠) .

واستكبروا ونسوا انه لم يكن لهم كيان ، ولا دور فى الأرض قبل الاسلام وهم كانوا فى اليمن تحت حكم الفرس أو الحبشة ، وكانت دولتهم حين تقوم هناك أحياناً تقوم تحت حماية الفرس ، وفى الشمال كانت الشام تحت حكم الروم إمّا مباشرة و إمّا بقيام حكومة عربية تحت حماية الرومان ، و لم ينسج إلّا قلب

الجزيرة من تحكّم الأجانب فيه ، ولكنه ظلّ في حالة بداوة أو في حالة تفكك لاتجعل منه قوّة حقيقية في ميدان القوى العالمية ، وكان يمكن أن تقوم الحروب بين القبائل أربعين سنة .

ولكن لم تكن هذه القبائل متفرّقة ولامجتمعة ذات وزن عند الدول القوية المجاورة . . . و لأوّل مرّة تاريخ العرب أصبح لهم دور عالمي يؤدونه و أصبحت لهم قوّة دولية يحسب لها حساب ، قوّة جارفة تكتسح الممالك ، وتحطم العروش وتتولى قيادة البشرية بعد أن تزيح القيادات الجاهلية المزيفة الضالة .

هذا تحت راية الاسلام و هم لها منتظرون .

وهو الذي هيّأ للعرب ، هذا لأوّل مرّة في تاريخهم و أنسيهم انهم عرب وأنسيهم نعرة الجنس، وأنسيهم عصبيّة العنصر و ذكّرهم انهم مسلمون ومسلمون فقط ، و أمرهم أن يرفعوا راية الاسلام وحدها ، و يحملوا عقيدة ضخمة قوية يهدونها إلى البشرية رحمة و برّاً بالبشرية ، و نهاهم عن أن يحملوا قوميّة و عنصرية و عصبية ، وأمرهم أن يحملوا فكرة سماوية يعلمون الناس بها لامذهباً أرضياً يخضعون الناس لسلطانه ، وأمرهم أن يخرجوا من أرضهم جهاداً فى سبيل الله تعالى وحده و لم يخرجوا ليؤسّسوا إمبراطورية عربيّة ، فيرتعون فى ظلّها ، ويشمخون ويتكبرون تحت حمايتها ، ويخرجون الناس من حكم الروم والفرس إلى حكم العرب و إلى حكمهم أنفسهم .

و أمرهم أن يقيموا وان يخرجوا الناس والبشرية من عبادة العباد جميعاً إلى عبادة الله تعالى وحده كما قال ربعى بن عامر رسول المسلمين فى مجلس يزدجرد : « الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده و من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام » .

و لقد كان بنو اميّة عليهم الهاوية أكثر بروزاً من بنى هاشم فى مكّة ، و كانت لهم قيادة الحرب ، فحسبوا حساب إستعلاء بنى هاشم عليهم إذا نجحت

دعوة النبي الهاشمي، فحفزهم ذلك إلى منا وأته، و لقد اثر عن عمرو بن هشام المخزومي الذى كنّى فى الاسلام بأبي جهل ان مثل هذا الحساب هو الذى جعله يقف موقف العداء والمناوأة الشديدة الّذى وقفه وهو أوّل من تعرّض على رسول الله ﷺ حينما رآه ﷺ يصلّى كما فى سورة العلق فى قوله تعالى: «أرأيت الّذى ينهى عبداً إذا صلّى» العلق: ٩ - ١٠).

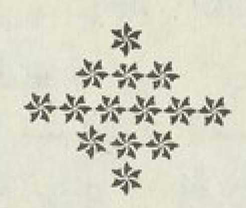
ثم يتعرّض عليه ﷺ الزعماء كما فى السور النازلة فى عهد مبكر من سورة المزمل والقلم والمدّثر إلى أن تعرض عليه ﷺ أبولهب و إمرأته اخت أبى سفيان لعنهم الله كما فى سورة المسد وكلّ هذا يفسّر ما كثرت حكايته فى القرآن الكريم من مواقف العناد والجدل والمكابرة والتأليب والتكذيب والأذى والتهم الباطلة الّتى وقفها الزعماء والنبهاء الّذين لم يكن أكثرهم إلّا أغبياء و ضعفاء الادراك على ما تلهمه نصوص القرآن المجيد، وما كثرت حكايته كذلك من الحملات الشديدة الّتى نزلت فيهم مما لاتكاد تخلو منه سورة مكّيّة.

و في القرآن الكريم إلى هذا آيات كثيرة تذكر ما كان من أثر تأليب الزعماءِ للسواد الأعظم ضدّ النبي ﷺ و دعوته حتّى جعلوهم ينقبضون عنه مما كان من أسباب حكاية تلك المواقف والحملات ... كقوله تعالى: «و قال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولابالذى بين يديه - يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنّا مؤمنين - إذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له أنداداً» سبأ: ٣١ - ٣٣).

وقوله: «ان الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لايجدون وليّاً و لا نصيراً يوم تقلّب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله و أطعنا الرسولا و قالوا ربّنا انا أطعنا سادتنا و كبرائنا فأضلّونا السبيلا ربّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً» الاحزاب: ٦٤ - ٦٨).

و لقد كانت هذه المواقف الاستكبارية الناكثة الماكرة المؤذية المكابرة

مما يجز في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يثير فيه الألم والحسرات كانوا يستكبرون على ما كانوا يعلمون هم و أهل الكتاب انه الحق ، و يكابرون فيه و يصدّون عنه ، وينقضون عهدهم وينكثون أيمانهم في صدده بباعث الحسد والبغي والكبر و قصد المكر والكيد . . .



﴿الرسالة الاسلامية و نجاة البشرية﴾

قال الله عزّ وجلّ: «هو الّذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون يا أيّها الّذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» الصفّ: ٩ ـ ١١).

وقال: «فهل ينتظرون إلّا مثل أيّام الّذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين ثم ننجّي رسلنا والّذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين قل يا أيّها النّاس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الّذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الّذي يتوفّاكم و امرت أن أكون من المؤمنين» يونس: ١٠٢ ـ ١٠٤).

في روضة الكافي: باسناده عن محمّد بن الحسين عن أبيه عن جدّه عن أبيه قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار ـ و هو موضع بين الكوفة و واسط ـ فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد فانّ الله تبارك و تعالى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق ليخرج عباده من عبادة عباده إلى عبادته و من عهود عباده إلى عهوده و من طاعة عباده إلى طاعته و من ولاية عباده إلى ولايته بشيراً و نذيراً و داعياً إلى الله باذنه و سراجاً منيراً عوداً و بدءاً و عذراً و نذراً بحكم قد فصّله وتفصيل قد أحكمه و فرقان قد فرّقه، و قرآن قد بيّنه ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه و ليقرّوا به إذ جحدوه و ليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلّى لهم سبحانه في كتابه من

غير أن يكونوا رأوه فأراهم حلمه ، كيف حلم؟ و أراهم عفوه كيف عفى؟ و أراهم قدرته كيف قدر؟ وخوّفهم من سطوته و كيف خلق ما خلق من الآيات؟ و كيف محق من محق من العصاة بالمثلات و احتصد من احتصد بالنقمات؟ و كيف رزق و هدى و أعطى ! و أراهم حكمه كيف حكم و صبر حتّى يسمع ما يسمع و يرى ؟ الحديث .

و في **نهج البلاغة** : قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام ـ في ذكر النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله ـ : « أرسله بالضياء وقدّمه في الاصطفاء فرتق به المفاتق و ساور به المغالب ، و ذلّل به الصعوبة وسهّل به الحزونة حتّى سرّح الضلال عن يمين و شمال » .

وفيه: قال الامام عليّ عليه السلام ـ في خطبة له ـ : « أرسله بوجوب الحجج ، و ظهور الفلج ، و ايضاح المنهج ، فبلّغ الرسالة صادعاً بها ، و حمل على المحجّة دالّاً عليها ، و أقام أعلام الاهتداء و منار الضياء ، و جعل أمراس الإسلام متينة وعرا الايمان وثيقة » .

جرت سنّة الله عزّ و جلّ في خلقه بأن يحيى عالم المادّة بالشمس التي هي تجري لمستقرّ لها وتدور على مدارها و كذلك جرت سنّته بأن يحيى عالم النفس و الروح الانساني بالرسالة فرعشات ـ أمواج ـ النور من الشمس خيرهاد للكون بكلام من النور فكذلك أشعّة الوحي من الرسول صلى الله عليه وآله خيرهاد لانسان الكون بنور من الكلام، فكلام الله الموحي إلى الرسول صلى الله عليه وآله هو القرآن الّذي عبّر عن نفسه بالنور كما أن رسوله صلى الله عليه وآله هو النور :

إذ قال الله تعالى: «يا أهل الكتاب قد جاء كم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاء كم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم» المائدة: ١٥ـ١٦) وقال: «يا أيّها الناس قد جاء كم برهان من

ربّكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً فأمّا الّذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً» النساء: ١٧٤ ـ ١٧٥)

وقال: «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظّلمات إلى النّور باذن ربّهم إلى صراط العزيز الحميد» إبراهيم: ١)

وقال: «الّذين يتّبعون الرسول النّبي الامّي ـ فالّذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النّور الّذي انزل معه اولئك هم المفلحون» الأعراف: ١٥٧)

وقال: «يا أيّها النّبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً» الأحزاب: ٤٦)

وقال: «أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربّه» الزمر: ٢٢)

فإن شئت أن تعرف كيفيّة كون القرآن الكريم نوراً يضيىء من وجود الرسول ﷺ الكون، فانظر إلى التاريخ تر أنّ العالم قبل الرسالة الاسلاميّة و الدعوة المحمّدية ﷺ كان شرقه وغربه قد استحال واستغيّر كونه إلى الفساد والفوضى، فحضارته تتحطم بالترف والرخاوة وسياسته تتحكّم بالغلول والأثرة وأخلاقه تتفكك بالسرف والشهوة وعقائده تتنزى بالجدل والتعصّب، ودماؤه تهدر بيد الظالمين لغير غرض سام، ولا مبدأ مقدّس وكانت شعوبه منذ طويل. قد فقدت مثلها العليا، فهي تعيش عيش الهمل السوائم على هذه الحالة، خرج محمّد رسول الله ﷺ برسالته الدينية والخلقية إلى هذا العالم المنقض والهيكل البالي.

وبيده هذا القرآن المجيد أو إن شئت قل بيده هذا القبس: قبس التوحيد المنير، فدعى إلى سنائه الشرق والغرب، فجدد أخلاقه على الفضيلة و طبع عقيدته على التسامح، ورفع مجتمعه على المحبّة والانس والاتحاد وصمد للجهاد والفتح في سبيل هذا المثل الأعلى لايطمح من دونه إلّا سلطان، ولا يطمع من ورائه إلى غرض حتّى هذب العالم و حرّر العقل والفكر ... و قال: «ولا تقف ما ليس لك به علم» الاسراء: ٣٩)

وقد خرج محمد رسول الله ﷺ برسالته في وقت كانت البشرية مضطهدة تحت نيران العبودية والرقيّة والإستبداد وعبادة الأوثان والأصنام وإرتكاب الفحشاء إلى حدّ بعيد وبلغت من التسافل أقصاه، ومن الإنحطاط نهاية. وقد كانت رسالة محمد ﷺ تحطيماً لطاغوت الشرك بالله سبحانه وطاغوت التعصّب الديني، وطاغوت التعصب الجنسي، وطاغوت التفرقة الاجتماعية، وطاغوت الظلم والبغي، وطاغوت المعصية والطغيان، وطاغوت الإستكبار والاستبداد، وطاغوت الرقي والعبودة لغير الله تعالى.

وقد كانت رسالة محمد ﷺ رسالة شاملة عامّة تجمع بين سعادة الفرد في دنياه وآخرته، رسالة روعي فيها الجانب الروحي، والجانب المادّي على ضوء العقل والمنطق، وقد كانت رسالة محمد ﷺ في صميمها حركة تحريرية من براثن الشرك والطبقية، والبغي والتفريق العنصري، وكل ما يلوث النفس الانسانية من شهوات ونزوات..

فجاء محمد رسول الله ﷺ يرى قبائل كانت متعادية متباغضة، سيوفها تنطف دماً، وقلوبها تلتهب حقداً لا يسكن لها جاش، ولا يهدأ لها روع فهي إمّا طالبة أو مطلوبة، ثمّ هي مع ذلك لاتدين لغير الوثنية، ولاتعرف شرعة غير شرعة الجاهلية لا نظام يحفظ جماعتها ولا كتاب يوجد وحدتها، ولاقانون يحسم تنازعها، ولا رئيس يأخذ بمقادتها فهي فوضي في العقائد فوضي في الأخلاق، فوضي في المعاش...

وقد جاء محمد رسول الله ﷺ في وقت كان الدين مجموعة تقاليد لا يدعمها برهان، ولا يسندها دليل، وقد انعزل العقل عن التفكير والتعمّق والتدبر والسؤال والاعتراض، وجاء في وقت كان شعار قادة الأديان في مشارق الأرض ومغاربها: «اطفىء مصباح عقلك واعتقد وأنت أعمى»

وبالاجمال جاء محمد رسول الله ﷺ وقد كانت الفوضي في السياسة والادارة والدين والأخلاق سائدة في الشرق والغرب كلّه، وكان أشرق يتطلب الخروج من هذه الفوضي والراحة من شرّها، فجاء محمد رسول الله ﷺ فينادى قومه تارة، وكافّة الناس تارة اخرى بقوله ﷺ: «قولوا لا إله إلّا الله تفلحوا» واصرفوا وجوهكم عن

الكواكب والأصنام والأرباب إلى الله تعالى وحده، وقد جاء ببيّنة في الفصاحة و البلاغة وحسن التنسيق كان الجن والانس عاجزين عن إتيان مثلها، وقدجاء ببيّنة تتضمّن عقيدة التوحيد الّتي تقبلها الفطرة الانسانية ، وتتضمّن آداباً و حكماً و شرائع وعلماً وتاريخاً وسياسة و خلقاً كريماً.

و لقد جاء محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببيّنة يدعو بها الناس كلّهم إلى الله عزّ وجلّ ويعرضها عليهم في جوار الكعبة، وفي الأسواق الشهيرة الّتي كانت تحجّ إليها العرب من كلّ فجّ، وقدكان يحضّ قومه صلى الله عليه وآله وسلم خاصّة، والناس كافّة على نشر الإسلام لنجاة البشرية أجمعين.

ولقدجاء محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرى كافة الناس ترسف في قيود الجاهليّة وتخوض في غمرة الوثنية، وتحترق في نيران التفرقة، وترتطم في أوحال الفوضى والهمجيّة، يراهم على تلك الحال، ثم عاد إليهم بعد نحو عشرين سنة برسالته، فيجد من بينهم امّة من الدّين على التوحيد الخالص، ومن الأخلاق على شرعة عجز عنها الحكماء وعلماء الأخلاق، ومن الوحدة على مثل حال الجسد الواحد إن اشتكى منه عضو أتداعى له سائره بالسهر والحمى، ومن الحكومة على الديموقراطية الخالصة التى ذهب اليونان و الروم والفرس، ولم يحقّقوا منها إلّا خيالاً على شدّة مابذلوه من المجهودات ...

ومن القانون على دستور ثابت متقن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن الاجتماع على مثل البنيان المرصوص يشدّ بعضهم بعضاً، فنصروه فتمكّنوا من نشر دينهم من السند والهند إلى المحيط الإتلانتيكي شرقاً وغرباً، ومن بحر خزر وآسيا الصغرى وبحر الروم وفرنسا إلى المحيط الهندي وأعالي السودان شمالاً وجنوباً.

كل هذا ليس بشيء إن كان شكلاً متحجّراً أوحالاً جامداً، ولكنّه يرى فوق ذلك إجتماعياً حيّاً متمتّعاً بروح قوية، روح تبعث للحركة والنموّ والترقي و التكامل، روح من تلك الأرواح الّتي هبطت على هذه الامّة، وهي الامّة المسلمة، فجعلتهم خلفاء الله في الأرض، وانّ تلك الروح روح جديدة، روح رحمة وهدى ونور، روح

تعليم وإرشاد وتخليص، روح تعاون وإحسان واخوة، روح صدق وصفاء ومحبّة، وروح أحيت امّة ميتة بالأمس حيّة بأعلا روح إجتماعية ظهرت في الأرض، وهي أعلا روح جمعت من الكمالات مالم تجمعه روح إجتماعية سواها.

وذلك أوّلاً: انّ كلّ روح إجتماعيّة سابقة كانت توهّم أهلها بأنهم خير الناس لالشيء إلّا لكونهم أبناء ذلك الأدب أو أحفاد ذلك اللجة أو سكّان تلك البقعة، ولكل الروح الاسلامية جائت بالمساواة. فاقنعت ذويها ان الناس كلّهم من آدم عليه السلام وآدم من تراب: «إنّ أكرمكم عندالله أتقاكم» الحجرات: ١٣) وانه لافضل لعربيّ على أعجميّ، ولا أبيض على أسود إلّا بالتقوى وصالح العمل، فتآخى بنوالإنسان لأوّل مرّة فوق سطح هذه الأرض.

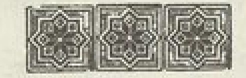
و ثانياً: انّ كل روح إجتماعيّة سابقة كانت توهّم ذويها بأنّهم السادة الأعلين، وسواهم العبيد الأذلون، وانّهم وبلادهم وأهلهم وأموالهم لم يخلقوا إلّا لخدمة شهواتهم ومطاومهم فكانوا يفتتحون البلاد ويدوخون الامم لا لإصلاحها بل لسلب وجودها، وإجتياح ثمراتها وإذلال قادتها وهتك أعراضها... وأمّا الروح الاسلامية، فكانت تدفع أهلها للفتح ـ و الفتح حاجة كل امّة نامية سنة الله تعالى في الأرض و لن تجد لسنة الله تبديلاً ـ و لكنّها لاتطلب بفتح بلادهم إذلالهم، و لا سلب أموالهم بل كانت تخيرهم بين الجزية و الاسلام، و الجزية ضريبة خفيفة لاتوازى عشر ما كان يتقاضاه رؤساؤها منها من قبل، وتحترم شيوخهم و شبابهم و كهانهم لاتمسّ من ذلك شيئاً.

وهذا الأدب لم يحدث في امّة قبل المسلمين، ولم يحصل بعدهم أيضاً فانّ الامم العصرية تدعى البلوغ إلى هذه الدرجة، ولكنّها متى حلت بلداً حلّ معها إنتهاك الأعراض و إشاعة المخزيات ...

و ثالثاً : انّ الأرواح الاجتماعية السابقة كانت لاتعتبر الأخلاق إلّا فيما بين آحادها، مكان يحرم على الرجل منهم أن يغش بنى جلدته، ولكن لاتحرم عليه أن

يغش سواهم، ولكن الروح الاسلاميّة تحرم الأخلاق الذميمة لذاتها بالنسبة لقوم دون قوم آخرين، وهذا أمر لا يوجد له مثيل، ولا في أرقى امم الأرض إلى اليوم.

انّ هذه الصفات الثلاثة المميّزة للروح الإجتماعية الإسلامية عن الأرواح الاجتماعية التي تقدمتها جعلتها عالماً وحدها يصح أن تسمّى رحمة ونوراً وبرهاناً مبيناً، يخرج كافة الناس من الظلمات إلى النور، من الضلالة إلى الهدى، ومن الحيرة إلى الرشاد وينجيهم من عذاب الشقاء والفساد في الدنيا، ومن نار جهنّم في الآخرة.



«الرسالة الاسلامية والنظام الاجتماعية»

انّ الله عزّ وجلّ قد هيّأ لهذا الانسان من يتصدّى إلى تكميله و تقريبه إلى الله تعالى ومعرفة الخالق وينجيه من ورطة الشقاء و الفساد العارضة، و تلك غاية الغايات . . .

فقد جاء في حديث قدسي انّه تعالى يقول : «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي اعرف» وفيه أيضاً يقول : «خلقت الأشياء لأجلك و قد خلقتك لأجلي» و من البيّن أنّ باب المعرفة هو العبادة فانّها بما فيمامن صالح العمل ، و تجنّب الحرام و تطهير النفس تصبح النفس قمينة أن تعرف خالقها كي تنال الحبّ الالهي و ذلك أسمى الغايات . . . ولذلك حصر الله عزّ و جلّ علّة خلق الجن والانس في العبادة ، وبدئت بها الرسالة والدعوة الاسلامية، فانّها سبيل معرفة الخالق ، و وسيلة التكامل الانساني في الحياة الدنيا إذ قال : «و ما خلقت الجن و الانس إلّا ليعبدون» الذاريات : ٥٦) و قال: «و ما امروا إلّا ليعبدوا الله» البيّنة : ٥)

ولكن الإسلام ليس مجرّد عقيدة على ماتوهّمه المعاند وزعمه المغرض،إنّما هو دين يبيّن كل مايحتاج إليه البشر ويتفكل به،انّه ليس مجرّد عقيدة، ولامجرّد تهذيب روحيّ، ولامجرّد تربية للفضائل. بل هو إلى جانب ذلك نظام إقتصاديّ عادل، نظام سياسيّ صدق، نظام إجتماعيّ متوازن، وتشريع مدنيّ وجنائيّ، وقانون دوليّ ،

وتوجيه فكريّ، وعمل عباديّ وقلبيّ وبدنيّ وماليّ وفرديّ وإجتماعيّ. وفيه ضمانة عيش كريم، وفيه تبيان كل شيء.

و ليس الاسلام مجرّد عبادات و صلوات و أذكار و تسبيحات ، و ليس القرآن الكريم لأجل التبرّك ودعوات نظرية إلى مكارم الأخلاق كما زعم أعداء الاسلام ، وأشاعوا ذلك بين الناس ليفتنوا بها المسلمين كافّة و شبانهم خاصّة أوّلا عن دينهم و هم لا يفتنون لو كانوا مسلمين فى الواقع ، و ليفتنوا غير المسلمين ثانياً لينفّروهم عن حقيقة الاسلام و هم لا ينفّرون لو كانوا محقّقين في الحقيقة، كل ذلك تنفيذاً لغرض الإستعمار الخبيث ، و إستعباد الناس و تحميقهم ثم إستثمارهم و إستغلالهم ، و إدخال الشبهات فى الأذهان . . . و هولاء الأعداء و المعاندون فصّلوا بين الإسلام و العلم و العمل على زعمهم ، و عموا عن مشاهدة التاريخ يشهد بقيام علماء فى الطّب و الفلك و الهندسة الطبيعة و الجغرافيا و الكيمياء . . . كلهم نبغوا فى ظلّ الاسلام وجمعوا بين العقيدة و العلم والعمل... فمن نظر إلى الاسلام بعين مفتوحة يجده عقيدة وعلماً وعملاً من غير إنفكاك بينها كيف لا و هو ينادى بأعلى صوته : « ليس للانسان إلّا ما سعى » النجم : ٣٩) و يقول : « لم تقولون ما لا تفعلون » الصف : ٢) ليس الاسلام دين شعار ، بل يقدّم العمل على الشعار ، و انّ كل شعار لا يكون مصدره العمل فهو مذموم فى الاسلام

وإن الاسلام هو الّذي جمع بين المادّي والروحي في فكرة واحدة، ونظام واحد وهو وحده يقدر أن يحلّ مشكلات العالم المادّي والرّوحي وهو الّذي جمع بينهما من غير إفراط وتفريط في أحدهما.

وهو ينادي بأعلى صوته: «ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ولا من ترك آخرته لدنياه بل خيركم من أخذ حظّاً من هذه وحظّاً من هذه».

وقال الله تعالى: «والأنعام خلقها لكم فيها دفء و منافع و منها تأكلون و لكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون - ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الأعناب و من كلّ الثمرات - وسخّر لكم الليل و النهار والشمس و القمر و النجوم - و ما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه - و هو الّذي سخّر البحر لتأكلوا منه لحماً طريّاً و تستخرجوا منه حلية تلبسونها - و إن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها» النحل: ٥- ١٨)

وقال: «يا أيّها الناس كلوا ممّا في الأرض حلالاً طيّباً» البقرة: ١٦٨)

وقال: «كلوا واشربوا ولاتسرفوا» الأعراف: ٣١)

و قال: «إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً» الكهف: ٧)

وقال: «يابني آدم خذوازينتكم عند كل مسجد- قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطيبات من الرزق» الأعراف: ٣١ - ٣٢)

ومنع الناس عن الإفراط والتفريط فقال: «ياأيّها الّذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله» المنافقون: ٩)

ومن جانب آخر منع الرهبانية، وقال: «ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» الحديد: ٢٧)

وقد وبّخ على من ساوى بين العلم والجهل بقوله تعالى: «هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون» الزمر: ٩)

وانّ العلم والثروة بلاعقيدة يوجبان هلاك الفرد أوّلاً وهلاك المجتمع الانساني ثانياً، وانّ العقيدة بلاعلم ومال لاصفاء لها.

فالعلم ريثما تقدّم إذا كان مجرّداً عن العقيدة فهومضلّ مهلك لأنّ العلم كائن متقلّب فهويثبت اليوم مانفاه بالأمس، وهوينفى غداً ما يثبت اليوم لذلك تجد من جرّد العلم عن العقيدة دائماً في قلق لا يستقرّون كما نرى اليوم الغرب في

غلق يفسد أعصاب الانسان، و يصيبه بمختلف الأمراض النفسية و العصبية من غير إستناد إلى قوّة تعالجها.

كل شيء من حول الغرب يتغيّر ، يتغيّر نظمه الإقتصادية ، يتغيّر نظمه السياسيّة ، تتغيّر علاقات الدول و الأفراد ، يتغيّر حقائق العلم ، و يتغيّر كل ذلك للفصل بين العلم و العقيدة ، و من هنا هبطوا عن مقام الانسانية و الرفعة ، و انحطّوا ما انحطّوا ، و تلوّنوا بوجهة الحيوانات ، و يعيشون كعيشها ، هبطوا عن الانسانية و الرفعة ، عن العزّة و السيادة ، عن الرأفة والودّ ، عن الرحمة و التعاون ، عن الصداقة و الأمانة ، و عن السعادة و الكمال ، و هبطوا عن الفطرة و العاطفة و الكرامة . . .

نعم ما قال من شاهد ذلك إذ ذهب إلى اوروبا فكتب لي سنة : (١٣٥٣ ه ش) : «ان في اوروبا كل شيء موجود إلّا الانسانية والغيرة والعاطفة والحياء» و انّ العقيدة إذا كانت مبنيّة على النفع الشخصي و هو الإستعمار و الإستثمار والتحميق والإستعباد لن تقدر على أن تسير البشرية إلى الخير والحق، و تحلّ مشكلتها و أن ترفع الظلم ، و أن تعالج كل ما تعاينه البشرية من الآلام ، بل نفس هذه العقيدة الخبيثة بذاتها منحرفة تستبدل شرّاً بشرّ ، و ظلماً بظلم ، و هبوطاً بهبوط ، و حبّاً بعداوة ، و أمانة بخيانة ، و عدلاً بظلم ليتحقّق هدفها الخبيث .

انّ الاسلام لم يكتف بأن يكون عقيدة روحية أومحاولة للتهذيب الخلقى أو دعوة للتجرد الفكري والتأمل في ملكوت الله تعالى، إنّما الاسلام دين عمليّ ينظر فى شئون الأرض ، فلا تفوته كبيرة و لا صغيرة فى علاقات الناس بعضهم ببعض سواء كانت سياسيّة أو إقتصادية أو إجتماعية إلّا إهتمّ بها ، و وضع لها تشريعاتها و تطبيقاتها ، و لكن في صورة فريدة تربط بين الفرد و المجتمع بين العقل و الوجدان بين العقيدة والعمل بين الأرض و السماء و بين الدنيا والآخرة

كلها في نظام . . .

انّ الاسلام مـا كان و لن يكون دعوة نظرية ، و إنّما كان و هو كائن نظاماً عملياً يعرف حاجات البشر ، و يعمل على تحقيقها و يسعى في سبيل تحقيق الحاجات إلى التوازن المطلق بقدر ما تطيقه طبائع البشر فيوازن أوّلاً في نفس الفرد بين حاجات الروح و حاجات العقل ، و حـاجات الجسد و لا يترك جانباً منها يطغى على جانب آخر ، فلا يكبت الطاقة الحيوية في سبيل الارتفاع بالروح، ولايبالغ في الاستجابة لشهوات الجسد إلى الحدّ الّذي يهبط بالانسان إلى مستوي الحيوان ، و يجمع بين ذلك كلّه في نظام واحد لا يمزق النفس الواحدة بين الشدّ و الجذب ، و لا يوجهها وجهات شتّى متناقضة ثم يوازن ثانياً بين مطالب الفرد و مطالب الجمع .

فلا يطغى فرد على فرد ولايطغى الفرد على المجتمع، ولاالمجتمع على الفرد، و لا طبقة علـى طبقة ، و لا امّة على امّة ، و إنما يقف الاسلام بين هـؤلاء جميعاً يحجز بينهم أن يتصادموا ، و يدعوهم جميعاً إلى التعاون في سبيل الخير الانساني، ثم يوازن في نظام المجتمع بين مختلف القوى، يوازن بين القوى المادّية والقوى الروحية، وبين العوامل الاقتصادية والعوامل الإنسانية ...

فلن يعترف كما تصنع الشيوعية الماكرة بأن العوامل الاقتصادية أوالقوى المادية هي وحدها المسيطرة على الانسان ، و لا يؤمن كما تصنع الدعوات الروحية المحضة أو المذاهب المثالية بأن العوامل الروحية أوالمثل العليات تستطيع وحدها أن تنظم حياة البشر.

انّ الاسلام هـو الدّين القيّم يقوم بجانبه الـروحي و بجانبه المادّي ، و يقول : إنّ هذه جميعاً عناصر مختلفة يتكوّن مـن مجموعها الانسان ، و انّ النظام الأفضل هو النظام الأشمل الّذي يستجيب لمطالب الروح و العقل و الجسد و المجتمع في توازن و إتّساق فقال : « و ما امروا إلّا ليعبدوا الله

مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيّمة » البيّنة : ٥) .

وانّ للاسلام فكرة إجتماعيّة، ونظرة سياسيّة، ونظاماً إقتصادياً قائماً بذاته، نظام لايبالغ في الفردية إلى الحدّ البغيض الّذي يقوم في الغرب ، و الّذي يعتبر الفرد هو الأساس، و هو الكائن المقدّس الّذي تصان حرّياته ، ولايجوز للمجتمع أن يقف فى سبيله ، فتنشأ هناك الرأسمالية القائمة على أساس حرّيّة الفرد فى إستغلال الآخرين .

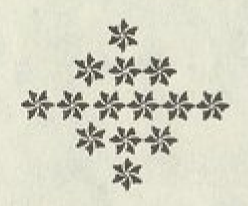
نظام لا يبالغ فى الاتجاه الجماعي الّذى يقوم فى شرق اوروبا ، ويعتبر المجتمع هو الأساس والفرد ذرّة تائهة لا كيان له بمفرده ولاوجود له إلّا في داخل القطيع، فالمجتمع وحده هو صاحب الحرّية، وهو صاحب السلطان، وليس للفرد أن يحتجّ عليه أو يطالبه بحقوقه ، وهناك تنشأ الشيوعية الماكرة القائمة على سلطان الدولة المطلق في تكييف حياة الأفراد ...

و انّ للاسلام نظاماً يعترف بالفرد ، و يعترف بالمجتمع و يوازن بينهما ، فيمنح الفرد قدراً من الحرية يحقّق به كيانه، ولا يطغى به على كيان الآخرين، ويمنح المجتمع سلسلة واسعة في تنظيم العلاقات الإجتماعية والإقتصادية والسياسيّة... كل ذلك على أساس الحبّ المتبادل بين الأفراد و الطوائف و القبائل و الطبقات، يتشكل منها المجتمع ، لا على أساس الحقد و الصراع الطبقي الّذي تقيم عليه الشيوعية الغدّارة .

وإنّما جاء الإسلام بهذا النظام الفريد فى وقت لم يكن العالم كلّه يقيم وزناً للعامل الاقتصادي أو يعرف شيئاً حقيقة عن العدالة الإجتماعيّة كما نفهمها اليوم، انّ تلك الامور و ما يحتاج إليه البشر فى مدى حياته قواعد الاسلام و أركانه، و هو الّذي يحيط بهذا المدى الواسع من حياة البشر فى حركاتهم و سكناتهم فى أفكارهم ومشاعرهم فى عقيدتهم وعملهم فى إقتصادياتهم وإجماعياتهم ، وفي نزعاتهم

الفطرية و أشواقهم الروحية . . .

و انّ الاسلام يضع لذلك كلّه نظاماً متوازناً فريداً فى التاريخ ، و هذا الدين لا يمكن أن تستنفد أغراضه لأنّ أغراضه هي الحياة كلّها مادامت الحياة و هو الدين القيّم الخالص .



«الاسلام والدين الخالص»

قال الله عزّ وجل: «و ما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء» البيّنة: ٥).

وقال: «إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبدالله مخلصاً له الدين ألا لله الدين الخالص» الزمر: ٢ ـ ٣).

وما وجد ولا يوجد في هذا الوجود إنسان كائناً حيّاً إلّا وقد أخذ أو يأخذ لنفسه ديناً حتّى في أظلم الأعصار و أوحش الظلمات، حقّاً كان أم باطلاً، صحيحاً وقع أم فاسداً؟ و كيف كان أو يكون؟ وفي أيّ حال؟؟؟!!!

فان الدّين هو طريق حياة الانسان بما أنّه إنسان لابدّ وأن يسلكه الانسان الحيّ في حياته، فلامحيص له عن سلوكه، فان سلك بما تقتضيه الفطرة البشرية مؤيّداً بالوحي السماوي بواسطة الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين فهو الدّين الحق، و إن سلك بما تهوى إليه النفس فهو اللهو واللعب، سواء كان ممتزجاً بالدين الحق أم كان من تلقاء النفس الأمّارة بالسوء فقط.

وما كان دين قبل الاسلام إلّا الدين الممتزج بالأوهام، والمختلط بالخرافات والأباطيل، وعليه المليّون من أهل الكتاب، والمتلقاة من النفس وعليها الأمّيّون من أصحاب الوثن و عبدة الصنم...

قال الله تعالى في أهل الكتاب: «يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا الّذين اتخذوا دينكم هزواً و لعباً من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء»

المائدة : ٥٧) .

وقال : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلّا الحق » النساء : ١٧١) .

وقال : « وغرّهم في دينهم ماكانوا يفترون » آل عمران : ٢٤) .

وقال : « قاتلوا الّذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر و لا يحرّمون ما حرّم الله و رسوله ولا يدينون دين الحق من الّذين اوتوا الكتاب حتّى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون » التوبة : ٢٩) .

وقال فيهم : « أفغير دين الله يبغون » آل عمران : ٨٣) .

و قال في فرعون : « و قال فرعون ذروني أقتل موسى و ليدع ربه إنّي أخاف أن يبدّل دينكم » غافر : ٢٦) .

و قال في عبدة الأصنام والأوثان من المشركين : « و ذر الّذين اتخذوا دينهم لعباً و لهواً و غرّتهم الحياة الدنيا ـ وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم و ليلبسوا عليهم دينهم » الأنعام : ٧٠ و ١٣٧) .

وقال: « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » الشورى: ٢١) .

وقال : « لكم دينكم ولي دين » الكافرون : ٦) .

فجاء الاسلام و كان يأمر كافّة الناس بالاخلاص في الدين ، و ينهاهم عن الأديان الّتي نشأت عن هوسات النفس البشرية أو امتزجت بما تهوى إليه النفس لا أثر لها إلّا الفتنة والشقاء ، وكان يحصر الدين في الاسلام بلا إسناد إلى غير الله تعالى ، وهو الدين الخالص .

قال الله عزّ وجلّ : « وقاتلوهم حتّى لاتكون فتنة ويكون الدين كلّه لله » الأنفال : ٣٩) .

وقال : « ألا لله الدين الخالص » الزمر : ٣) .

وقال : « هو الّذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون » التوبة : ٣٣) .

وقال : « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً » المائده : ٣) .

وقال : « انّ الديـن عندالله الاسلام ـ و من يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » آل عمران : ١٩ ـ ٨٥) .

انّ الدين الّذي لابدّ منه لاصلاح البشر لايمكن إلاّ أن يكون بوحي من عالم الغيب محيط على جميع الكون و ما فيه ، والانسان مقهـور بارادته ، و ما كان دين قبل بزوغ الاسلام ولا يكون بعده إلى يـوم القيامة خالصاً عن إختلاط الأوهام و إمتزاج الأباطيل ، ولم تدسّه فيه يد شياطين الجن والانس إلاّ الاسلام ، فجاء الاسلام ليخرج كافّة البشر من عبادة عبادالله إلى عبادته ، ومن عهود عباده إلى عهوده ، و من طاعة عباده إلى طاعته ، و من ولاية عباده إلى ولايته .

و بذلك حصل للعرب وجوه و قوّة و قيادة ، ولكن كلّها لله عزّوجلّ وفي سبيل الله وحده ، والدّين هوالدّين ، والطريق هوالطريق ، وهو في ضمانة الله تعالى لاتتغيّر ولاتتبدّل .

قال الله جلّ وعلا: « إنّانحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون » الحجر: ٩) بخلاف غيره من الأديان فانّها كانت موقتة فلم تضمن .

و لقد ظلّت للمسلمين قوّتهم وقيادتهم ما استقاموا على الطريقة ، و أثبتوا على الدين الخالص حتّى إذا انحرفوا عنها ، و ذكروا عنصريتهم و عصبيتهم ، و تركوا رايةالله تعالى ليرفعوا راية العصبيّة ، و راية الشخصية ، تركوا رايةالله عزّوجلّ فتركهم الله تعالى في ظلمات لا يبصرون .

و انّ الفكرة الوحيدة الّتي تقدّم بها المسلمون للبشرية كانت هي راية الاسلام ، والعقيدة الاسلامية ، والدين الخالص ، و هي الّتي رفعتهم إلـى مكان القيادة ، و إذا أراد المسلمون أن يعيشوا حياة لأنفسهم ، و أرادوا قـوّة و أرادوا قيادة فلابد أن يتركوا راية غيرالاسلام ، و في أمامهم الدين الخالص ، فيأخذوا رايته و استظلّوا بها تماماً والسلام .

«الرسالة الاسلامية و انقاذ البشرية»

من الانحطاط والهلاكة

قال الله عزّ وجلّ : «يا أيّها الّذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولاتموتنّ إلّا و أنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا و اذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً و كنتم على شفا حفرة من النّارفأنقذكم منها كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون و لتكن منكم امّة يدعون إلى الخيرويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم» آل عمران: ١٠٢ـ١٠٥).

ولئن استقصينا وبذلنا ما في وسعنا حول الأديان ... تاركين العنصرية و العصبية والأغراض الشخصية، فلا بدّ لنا من الإعتراف: أنّ اليوم ليس على وجه الأرض دين يستطيع أن ينقذ البشرمن الخرافة والضلالة، ويرفع عقله و روحه من التردّي والإنحطاط فيها كما لم يكن بالأمس إلّا الإسلام، سواءكانت الخرافة هي عبادة الأصنام وما إليها؟ أم عبادة العلم على الصورة الزرية الّتي يمارسها الغرب الّذين يفصلون بين العقيدة والعلم للاستعمار و تحميق الناس، واستعبادهم ويفرّقون بين حاجة الانسان إلى العلم وحاجته إلى الله تعالى.

فإنّ الاسلام بوحدته يستطيع أن يعيد الاستقرار إلى الكائن البشري

الّذي مزّقته عقائد الغرب الفاسدة و أوهام الشرق الواهية كما منحه أوّل مرّة، و انّ الاسلام وحده قادر على إنقاذ الانسان من تلك الخرافة والضلالة والشقاء والفساد والإنحطاط ... ويرد دوحة الأمن و السلام و يشعره بعطف الله تعالى عليه ورحمته...

وانّ كلّ معرفة يصل إليها أو خير يصيبه إنّما هو منحة من الله جلّ و علا يمنحها له وهو راض عنه مادام يستخدمها في خير المجموع ، وانّ الدين الاسلامي هو الّذي يستطيع أن ينقذ الانسان من الطغاة المستكبرين ، و الفجار المستبدين و الجبّارين من الملوك و الأباطرة و الأباترة والرأسماليين الغربيين و الشيوعيين الاشتراكيين الّذين يمتصّون دماء الكادحين، ويقهرونهم بذلّ الفقر و الحاجة، ومن الديكتاتوريين الّذين يحكمون على المجتمع بالحديد و النار والجساسة...

و انّ الّدين الاسلامي هو الّذي يقدر على أن ينقذ المجتمع الانساني من الجبابرة و الفراعنة في عالم الواقع لا في عالم الأحلام سواء كانت الجبابرة من الكفار المعاندين الّذين يعلنون عداوتهم على الاسلام ؟ أم الجبابرة من المسلمين الذين يكتمون عنادهم على الاسلام ، و لكن يمتصون دماء الاسلام بامتصاصهم دماء المسلمين ، و ينتهكون حرمات الاسلام بانتهاك حرمات المسلمين باسم الاسلام.

ولعمرى انه ليس في اليوم دين عزّة و منعة يأبى الخضوع للاستعمار و يستنكره إلّا الاسلام، وليس دين يقف الانسان تحت رايته، فيطهر الأرض من أدناس الاستثمار، ويخلص الانسان من قبضة الاستعباد الخبيث أرواحه وأمواله وأعراضه وعقائده وأفكاره إلّا الاسلام، ولا دين كامل يتكامل الانسان تحت رايته إلّا الاسلام، ولا دين أن يؤمن أهله، وأن يريح العالم من الخوف الدائم من الحرب والفزع المقلق للأعصاب إلّا الاسلام.

ليس دين يستطيع أن يفصم ربقة الرقيـة والعبودية لغير الله عزّ وجلّ عن عنق البشر إلّا الاسـلام ، ولا أن يعمل لخير الانسانية و إستعلائها و تقدّمها إلّا الاسلام ، ولا أن ينجى الانسان في إنطلاقه الجسدية الفارهة إلّا الاسلام ، و لا أن يرتفع الانسان عن محيط الحيوان و ينقذه من سلطان الشهوة إلّا الاسـلام ، ولا أن يذكر في عالم المبادىء و القيم العليا إلا الاسلام ، ولا أن ينقذ الانسان عن الهمجية و معاملتها إلّا الاسلام ، و لا أن يعرف البشر في مستواه النفسى و آفاقه البشرية إلّا الاسلام ، و لا أن ينقذ الانسان من العبودية للشهـوة و يطلق طاقته الحيوية التي آفاقها العليا لتنشر الخير وتصبح جديرة بما كرّمها الله جلّ وعلا إلّا الاسلام.

والناس هم الناس، والحاجة هي الحاجة سوى تغيّر أدوات المتاع...

فليس دين يقدر على أن يبدّل كل هذه الأمور إلى حياة رفيعة فاضلة ذاخرة بالنشاط و الحركة عاملة على الخير معمّرة للأرض ، دافعـة بالانسانية كلّها في الشرق والغرب إلى التقدم الفكري والروحي إلّا الاسلام ، ولا يقدر على الاصلاح العالمي إلّا الاسلام إذ في ظلّه وحده كلمة التوحيـد وتوحيد الكلمـة ، وفي ظلّه أمانة وعدل وخير، وفي ظلّه تقدّم وإرتقاء وسيادة، وفي ظلّه إنسانية وعاطفة وحياء، وفي ظلّه كرامة وشرف وفضيلة، وفي ظلّه صلاح و كمال وفلاح، وفي ظلّه هداية و صواب ونور...

وإنّ الاسلام هو مصدر النور يهدى به المجتمع الانساني إلى الكمال والفلاح و السعادة ...

قال الله عزّ وجل: «رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبيّنات ليخرج الّذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور» الطلاق: ١١) .

و قال : « كتاب أنزلناه إليك لتخرج النـاس من الظلمـات إلى النور » إبراهيم: ١) .

وقال: «أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه» الزمر: ٢٢).

وفي ظلّ الاسلام تحصل القوة المادّية والتقدّم العلمي والفكري، وإنّما كان أهله مثل أعلى في كلّ ميدان، إذ في ظلّ الاسلام وحده عوامل النماء والقوّة، و انّ الاسلام وحده يقدر على أن يرفع الانسان من حضيض الشهوة والانحطاط إلى مستوى الانسانية الكريمة الّتي تعمل في الأرض، وهي تتطلع للسماء.

انّ العالم بأحواله التي يعيش عليها اليوم لن يستغنى عن وحي الاسلام، و تنظيم الاسلام، وانّ العالم الّذي يصل فيه التعصّب العنصري إلى صورته الوحشيّة في الممالك المتمدّنة باصطلاح والمتوحّشة بواقع مازال يحتاج إلى وحى الاسلام الّذي سوّى قبل خمسة عشر قرناً في واقع الحياة لا في عالم المثل والأحلام بين الأسود والأبيض، بين العرب والعجم، بين السوقي والمدني... لا فضل لأحد منهم على آخر منهم إلّا بالتقوى، فنادى بأعلى صوته مخاطباً لكافّة الناس في كل وقت ومكان: «يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عندالله أتقاكم» الحجرات: ١٣).

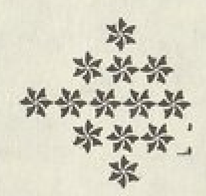
هذا هو أساس الاسلام، فلم يمنح العبيد السود المساواة في الانسانية فحسب، بل أرفع ما يطمح إليه مسلم، وهو ولاية أمر المسلمين يقول رسول الاسلام محمد المصطفى صلى الله عليه وآله: «إسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأنّ رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تعالى».

فالعالم الغارق في الاستعمار، والعالم الغريق في الاستعباد الّذي يصل الى درجة الوحشية ما يزال يحتاج الى وحي الاسلام الّذي حرّم الاستعمار بقصد الاستغلال، وعامل البلاد التي فتحها بقصد نشر الدعوة معاملة ماتزال في نظافتها وإرتفاعها قمّة لاتصل إليها أبصار الأقزام في اوربا، والعالم الغريق في مفاسد الرأسمالية مازال في حاجة ضرورية إلى نظام الاسلام الذي حرّم الربا والاحتكار وهما الركنان اللذان تقوم عليها الرأسمالية قبل القرن العشرين بأربعة عشر من

القرون، ووضع مكانهما القرض والتعاون.

وانّ العالم الّذي غشيته الشيوعيّة المادّية الملحدة مايزال يحتاج إلى نظام الاسلام الّذي يحقق أقصى حدّ للعدالة الاجتماعية، دون أن يحتاج إلى تخفيف المنابع الروحية في الانسان، ولا حصر عالمه في الميدان الضيق الّذي تدركه الحواس ودون أن يحتاج إلى فرض عقيدته على النّاس بالديكتاتورية، وإنّما يقول الاسلام: «لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ» البقرة: ٢٥٦).

والعالم المفزع من الحرب والقتال والنزاع ما يزال يحتاج إلى قيام الاسلام فانّ الاسلام وحده سبيل السلام لفترة طويلة من الزمان... وانه يقوم بأمر المجتمع الانساني ويحفظ لمصالح حياتهم...



«الاسلام والدين القيم»

ومن المعلوم البيّن : أنّ الاسلام هو الدين القيم الّذي بنت اصوله وفروعه ، وحكمه ومعارفه ، وجميع مبانيه و أحكامه . . . على ما تقتضيه الفطرة البشرية في كل وقت و مكان : « فأقم وجهك للدّين حنيفاً فطرت الله الّتي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم » الروم : ٣٠) لكماله في جميع الأعصار وقيامه على ما يحتاج إليه البشر في إختلاف الظروف من أمر دنياه وآخرته من غير توان و لا إعوجاج : « الحمدلله الّذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً قيّماً » الكهف: ١ـ٢) .

وما كان دين غير الاسلام على ذلك حتّى لو بقيت التوراة والانجيل والزبور والفرقان والصحائف من الكتب السماوية بدون دس ولا تحريف فيها لما كانت قيّمة في جميع الأعصار لنقصها عما يحتاج إليه المجتمع الانساني على إختلاف الظروف ، و إن كانت كاملة في عصرها ، وقد اعترف بذلك كثير من المحققين غير الاسلامي :

منهم: كارليل المؤرخ الانجليزي في كتابه : (الشجاعة والشجعان) إذ قال: « رجل بنى بيتاً حسن البنيان ، متين التركيب ، قائم الجدران ، منتظم الأركان ، ثم بقي البيت ألفاً ومأتي سنة لم ينهدم منه ركن ، ولم تسقط من أعلاه شرفة وهو لايزال يزداد جدة مهما تقادم عهده وبعد أمده ، فهل يبنيه دعي في البناء ـ الباني هو محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم والبيت هو الاسلام ، فاذا ثبتت لديك نبوّته صلّى الله عليه وآله وسلّم فاضرب بالشكوك عرض الحائط » .

و ذلك ان ّالله عزّ وجلّ ما أرسل رسولاً ، وما أنزل كتاباً ثم وعد رسوله ببقاء دينه ، وضمانة كتابه إلّا رسول الاسلام وهو محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وكتاب الاسلام وهو القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية لكماله وبقائه على كماله في كل وقت ومكان إلى يوم القيامة .

إذ قال : « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام ديناً » المائدة : ٣) .

وقال : « إنّ الدّين عندالله الاسلام ـ ومن يبتغ غيرالاسلام ديناً فلن يقبل منه » آل عمران : ١٩ـ٨٥) .

وقال : « إنّا نحن نزّلنا الذكر و إنّا له لحافظون » الحجر : ٩) .

وقال : « و انّه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » فصلت : ٤١ـ٤٢) .

و ما من امّة بعد نبيّهم إلّا وقد أضاعوا حظّاً عظيماً من كتب أنبيائهم و مواعظهم ، وحرّفوا الباقي منها ، فلم يقيموه على وجهه بما أنزله الله جلّ و علا على من أرسل به ، بل استبدلوا به تقاليد وضعها لهم الرؤساء و رجال الدّين بأهوائهم : « و انّ منهم لفريقاً يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عندالله وماهو من عندالله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » آل عمران : ٧٨) « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم و ويل لهم مما يكسبون » البقرة : ٧٩) « من الّذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه » النساء : ٤٦) « يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظّاً مماذ كّروا به » المائدة : ١٣) « انّ كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدّون عن سبيل الله » التوبة : ٣٤) فدخلوا في الأديان الشوائب والأوهام إلّا الاسلام .

ومن المعلوم لايمكن الانكار والاخفاء عند جميع علماء التاريخ ، ولاسيّما

تاريخ الأديان : انّه لا يوجد دين منقول عمّن جاء به من رسل الله و أنبيائه صلوات الله عليهم أجمعين نقلاً صحيحاً متواتراً بالقول والفعل ، متصل الأسانيد يوجب القطع على أنّه دين الله تعالى إلّا الاسلام .

كما أنّ فيلسوفاً هندياً درس تواريخ الأديان كلّها ، و بحث فيها بحث حكيم منصف لايريد إلّا إستبانة الحق ، وأطال البحث في النصرانية لما للدول المنسوبة إليها من الملك وسعة السلطان ، ونظر بعد ذلك كلّه في الاسلام فكانت غاية ذلك الدرس أن عرف بالبرهان : أنّ الاسلام هو الدّين الحق وهو الدّين القيّم ، و هو دين التكامل البشري بكل ما في التكامل من معنى سام رفيع تكامل في عالم النفس والروح لا في عالم المادّة فحسب ، فأسلم وألف كتاباً باللغة الانجليزية عنوانه : (لماذا أسلمت) وقد أظهر فيه مزايا الاسلام على الأديان كلّها ، وكان من أهمّها عنده : انّ الاسلام هو الدين الوحيد الذي له تاريخ ثابت محفوظ .

وكان من مثار العجب عنده أن ترضى اوربة لنفسها ديناً ترفع من تنسبه إليه عن مرتبة البشر فتجعله إلهاً وهي لاتعرف من تاريخه شيئاً يعتدّ به .

إنّ الله عزّ وجلّ أرسل خاتم رسله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى كافّة الناس ، و أنزل إليه كتاباً فيه تبيان كل شيء إذ قال : « يا أيّها الناس قد جائكم الرسول بالحق من ربّكم فآمنوا خيراً لكم » النساء : ١٧٠) .

وقال : « قل يا أيّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعا » الأعراف : ١٥٨) .

وقال : « وما أرسلناك إلّا كافّة للنّاس بشيراً و نذيراً » سبأ : ٢٨) .

وقال : « ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء » النحل : ٨٩) .

وقال : « هو الّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ ام الكتاب واخر متشابهات ـ ومايعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم » آل عمران : ٧) .

وقال : « إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ لتحكم بين الناس بما أراك الله » النساء : ١٠٥) .

إن الله جلّ و علا قد أنزل القرآن الكريم خاتم كتبه السماوية على محمد خاتم رسله صلى الله عليه وآله وسلم ليبيّن مايحتاج إليه الناس في كل وقت ومكان إلى يوم القيامة من امور الدين والدنيا مما يتعلق بالعقائد والآداب والسياسات والأحكام والنظام الاسروية والاجتماعية والحكومة . . .

فلايحتاج المجتمع الانساني بعد ظهور الدين الاسلامي إلى زيادة في الهداية الدينية المعنوية والدنيوية المادّية إلّا وقد بيّن في القرآن المجيد بصورة كليّة ، وفي الروايات الواردة عن طريق النّبيّ الكريم وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بصورة جزئية مبيّنة لتلك الكلية على سبيلي الاجمال والتفصيل ، وفتح باب الاجتهاد لمن اجتهد في فروع الدين ليستنبط جزئيات الفروع من الكلّيات ، و يستخرج من العلوم على قدر إستطاعتهم وبذل وسعهم ، ولم يحدّد بحدود معيّنة ولابزمان معيّن فيما يجوز الإجتهاد فيه لافيما سواه .

ولا كتاب من كتب الأديان و تاريخها إلّا أنّه محدود بحدّ معلوم و زمان معلوم كما أنّ اليهودية دين شعب نسبيّ أراد الله عزّ وجلّ تربيتهم بشريعة شديدة التضييق عليهم لتطهيرهم من الوثنية ، وعبادة البشر ليقيموا التوحيد في بلادمباركة إستحوذ عليها الشرّ ، و قد كان زمناً ما ثمّ فسدوا وصار أكثرهم عبدة العجل والوثنيين الماديين ، فبعث الله جلّ و علا إليهم المسيح بتعاليم شديدة المبالغة في الزهد و مقاومة المفاسد المادّية و كبح جماع الشهوات الحيوانية الجسدية .

فكان له من التأثير ماكان فيهم ، و في الروم و غيرهم زمناً ما ، ولكن غلا بعضهم في الزهد وعرض لهم فيه الغرور مع الجهل ، وعاد الأكثرون إلى الاسراف في الشهوات والعلوّ في الأرض ، و كان هذا بعد ذلك تمهيداً للدين القيّم التام الوسط الجامع بين المصالح المادية والمعنوية، والمزايا الروحية والجسمية بلاإفراط وتفريط في الطرفين ليكون عاماً للبشر إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

و هذه النصرانية التي يدّعى أهلها انها دين عام بالرغم ممّا في أناجيلها

من قول المسيح لهم انّه لم يرسل ولم يرسلهم إلّا إلى خراف بني إسرائيل الضالّة !
(متى ٥ : ١٧ لاتظنّوا اني جئت لانقض الناموس أو الأنبياء ماجئت لأنقض بل لأكمل . . .)

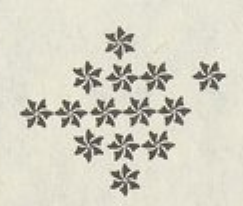
ونقلوا عنه أيضاً انّه مع هذا قال : (يوحنّا ١٦ : ١٢ : انّ لي اموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكنّكم لاتستطيعون أن تحتملوا الآن) .

وقال : (١٣ : وأمّا متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنّه لايتكلّم من نفسه بل كلّ ما يسمع يتكلّم به ويخبركم باموراً تية . . . »

هذا لايمكن تأويله إلّا بمحمّد خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله وسلّم الذي أخبرهم ، وأخبر غيرهم بكلّ شيء ممّا يتعلّق بأمر الدّين والدنيا وما يتعلّق بالعقائد والعمل . . . إذ قال جلّ وعلا : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » الأنعام : ٣٨) .

وإنّما كان يخبر عن الله تعالى لا من تلقاء نفسه قال عزّ وجلّ : « ومايَنطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى » النجم : ٣-٤) .

وأخبرهم وغيرهم بامور آتية كثيرة في ضمن الايات القرآنية التي تتجاوز ألف آية كما أخبر النبيّ الكريم وأهل بيته المعصومون في الأخبار الواردة عنهم عليهم السلام .



«الامام علي عليه السلام وشيعته هم خير البرية عند العامة»

قال الله عزّ وجل: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» البينة: ٧).

و قد أورد أعلام العامة روايات كثيرة بأسانيد عديدة في أسفارهم المعتبرة عندهم: انّ المعنيين بهؤلاءِ خير البرية هم مولى الموحّدين امام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب عليه السلام وشيعته نشير الى مايسعه المقام:

١ـ روى الطبري في تفسير (جامع البيان ج ٣٠ ص ١٤٦ ط الميمنيـة بمصر) باسناده عن أبي الجارود عن محمّد بن عليّ «اولئك هم خير البرية» فقال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله : أنت ياعليّ وشيعتك.

٢ـ روى الحاكم الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٦٠ ط بيروت) باسناده عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» هم أنت وشيعتك ياعليّ.

٣ـ وفيه أيضاً باسناده عن جابر عن أبي جعفر عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: هيا عليّ «الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» قال: هم أنت وشيعتك ترد عليّ أنت وشيعتك راضين مرضيين.

٤ـ وفيه باسناده عن خالد بن معدان عن معاذ في قوله تعالى: «انّ الّذين

آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» قال: هو عليّ بن أبيطالب ما يختلف فيها أحد.

٥ـ روى إبن الصباغ في (فصول المهمّة ص ١٠٥ ط النجف) عن إبن عباس لما نزلت هذه الآية: «انّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» قال ﷺ لعليّ: هو أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت و هم راضون مرضيّون و يأتي أعدائك غضاباً مقمحين.

رواه جماعة من أعلام العامة:

فمنهم: الشوكاني في تفسير (فتح القدير ج ٥ ص ٤٦٤ ط مصر).

ومنهم: الشبلنجي في (نور الأبصار ص ٧٠ و ١٠١).

ومنهم: إبن حجر في (الصواعق المحرقة ص ٩٦).

ومنهم: القندوزي في (ينابيع المودة ص٢٧٠ ط إسلامبول).

و منهم: الحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٥٧ ط بيروت) و فيه بعد ما ذكره إبن الصباغ المالكي: قال عليّ: يا رسول الله ومن عدوي؟ قال: من تبرّأ منك ولعنك ثمّ قال رسول الله: من قال: رحم الله علياً يرحمه الله.

رواه بعينه الحافظ الزرندي في (نظم درر السمطين).

٦ـ روى السيوطي الشافعي في تفسير (الدر المنثور ج ٦ ص ٣٧٩ ط مصر) أخرج إبن عساكر عن جابر بن عبدالله قال: كنا عند النّبي ﷺ فأقبل عليّ فقال النّبي ﷺ: والّذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة و نزلت: «انّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» فكان أصحاب النّبي ﷺ إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البرية.

رواه جماعة منهم:

الشوكاني في تفسير (فتح القدير ج ٥ ص ٤٦٤ ط مصر).

٧ـ روى الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٥٦ ط بيروت) باسناده عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ قال : سمعت علياً يقول : حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أنا مسنده إلى صدري فقال: يا عليّ أمّا تسمع قول الله عزّ وجلّ : « إنّ الّذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك هم خيرالبرية» هم أنت و شيعتك ، وموعدي و موعدكم الحوض إذا اجتمعت الامم للحساب تدعون غراء محجّلين.

رواه جماعة منهم:

١ـ السيوطي في (الدّرّ المنثور) .

٢ـ إبن عساكر في (تاريخه).

٣ـ الخوارزمي في (المناقب ص ١٨٦) .

٤ـ الكنجي في (الكفاية ص ١١٩).

٨ـ روى السيوطي في تفسير (الدرالمنثور) أخرج إبن مردويه عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله من أكرم الخلق على الله؟ قال: يا عائشة أما تقرئين: «انّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خيرالبرية » ؟

٩ـ روى الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ١١٨ ط الغرى) عن جابر بن عبدالله قال : كنّا عند النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل عليّ بن أبيطالب عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله وسلم : قد أتاكم أخي إلتفت إلى الكعبة ، فضربها بيده ثمّ قال : والّذي نفسي بيده ان هذا و شيعته هم الفائزون يوم القيامة ثمّ انه أوّلكم ايماناً و أوفاكم بعهد الله و أقومكم بأمر الله و أعدلكم في الرعية و أقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزيّة ، قال جابر : و نزلت : « انّ الّذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك هم خيرالبرية» قال: وكان أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل عليّ عليه السلام قالوا: قد جاء خيرالبرية .

رواه الخوارزمي في (مناقبه ص ٦٦) والحمويني في (فرائد السمطين).

١٠- روى الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص ١٥٩ ط المحمّدية بمصر) عن امّ سلمة قالت: كانت ليلتي وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عندي فأتته فاطمة، فتبعها عليّ رضي الله عنهما، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ أنت وأصحابك في الجنّة أنت وشيعتك في الجنّة.

١١- روى الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٥٩ ط بيروت) باسناده عن أبي برزة قال: تلا رسول الله: «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» وقال: هم أنت وشيعتك ياعليّ وميعاد ما بيني وبينك الحوض.

١٢- وفيه أيضاً باسناده عن إبن بريدة عن أبيه قال: تلا النبيّ هذه الآية: «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البريـة» فوضع يده على كتف عليّ وقال: هو أنت وشيعتك ياعليّ ترد أنت وشيعتك يوم القيامة رواءاً مرويّين و يرد عدوّك عطاشاً مقمحين.

١٣- وفيه أيضاً (ج ٢ ص ٣٦٣ المطبوع) باسناده عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: بينا رسول الله يوماً في مسجد المدينة و ذكر بعض أصحابه الجنّة، فقال رسول الله: إنّ لله لواءاً من نور وعموداً من زبرجد خلقها قبل أن يخلق السموات بألفي سنة، مكتوب على وراء ذلك اللواء: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله آل محمّد خير البريـة، صاحب اللواء إمام القوم، فقال عليّ: الحمد لله الذي هدانا بك و كرّمنا بك وشرّفنا، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ياعليّ أما علمت انّ من أحبّنا وانتحل محبّتنا أسكنه الله معنا، وتلا هذه الآية: «في مقعد صدق عند مليك مقتدر».

١٤- وفيـه أيضاً (ج ٢ ص ٣٦٤ المطبوع) باسناده عن عطيّة العوفي قال: دخلنا على جابر بن عبدالله الأنصاري وقد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، فقلنا له: أخبرنا عن عليّ فرفع حاجبيه بيده ثم قال: ذاك من خير البرية.

وقال أحمد بن حنبل - في الحديث: (٧٢) من باب فضائل عليّ عليه السلام من كتاب الفضائل -: حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن عطية بن سعد العوفي قال: دخلنـا

على جابر بن عبدالله وقد سقط حاجباه على عينيه، فسئلناه عن علي ٌفقلت: أخبرني عنه، قال: فرفع حاجبيه بيده فقال: ذاك من خير البشر.

وقال في الحديث (٢٦٨) منه: حديثا عبدالله، حدثنا الهيثم بن خلف، حدثنا عبدالملك إبن عبد ربه أبوإسحق، حدثنا معاوية بن عمار: عن أبي الزبير قال: قلت لجابر: كيف كان عليٌ فيكم؟ قال: ذاك من خير البشر، ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغضهم إيّاه.

١٥- روى الحاكم الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٦٥ ط بيروت) باسناده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: عليٌ خير البرية.

وقد أورد كثيرمن أعلام العامة روايات كثيرة باسانيد عديدة: انّ المراد بقوله تعالى: «اولئك هم خير البرية» عليٌ بن أبيطالب عليه السلام وشيعته:

فمنهم: محمّد صالح الكشفي الترمذي في (مناقب مرتضوي ص ٤٧ ط بمبئى).

ومنهم: الشوكاني في تفسير (فتح القدير ج ٥ ص ٤٦٤ ط مصر).

ومنهم: الشيخ الشبلنجي في (نورالأبصار ص ١٠٥ ط مصر).

ومنهم: الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٧٤ ط إسلامبول) وفي المناقب بسنده عن عامر بن وائلة قال: خطبنا عليٌ رضى الله عنه على منبر الكوفة، فقال: أيّها الناس سلوني سلوني فوالله لا تسئلوني عن آية من كتاب الله إلّا حدثتكم عنها متى نزلت بليل أو نهار؟ في مقام أومسير؟ في سهل أم في جبل؟ وفي من نزلت؟ في مؤمن أومنافق؟ وما عنى بها؟ أم عام أم خاصٌ؟ فقال إبن الكوا: أخبرني عن قوله تعالى: «الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية»؟ فقال: اولئك نحن وأتباعنا، وفي يوم القيامة غرٌاء محجّلين رواء مرويين يعرفون بسيماهم.

ومنهم: محمود الآلوسي في تفسير (روح المعاني ج ٣٠ ص ٢٠٧ ط مصر).

ومنهم: الاربلي في (كشف الغمّة ص ٨٨ ط طهران) في بيان ما نزل من القرآن في فضائل علي عليه السلام وغيرهم من أعلامهم.

ومنهم: روى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٤٧ ط إسلامبول) عن ام هاني بنت أبيطالب مرفوعاً: «أفضل البرية عندالله من نام في قبره ولم يشكّ في عليّ عليه السلام وذريته انهم خير البرية».

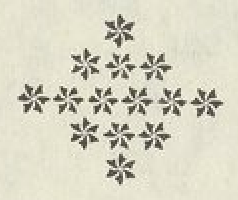
وفي (ينابيع المودة ص٢٧٠ ط اسلامبول) عن أبي رافع: انّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: ياعليّ أنت وشيعتك تردون عليّ الحوض رواء مرويين، مبيضّة وجوههم، و انّ عدوّك يردون على الحوض ظماء مقمحين. أخرجة الطبراني في الكبير.

وقد روى السيدبن طاووس قدّس سرّه في (الملاحم والفتن ص ٩٧) عن كتاب (الفتن) للسليلي من أعلام العامة في أخبار الرسول صلى الله عليه وآله بصفات الشيعة و مدحهم: «قال صلى الله عليه وآله: إنّهم - أي الشيعة - عند الناس كفّار وعندالله أبرار، وعند الناس كاذبون وعندالله صادقون، وعند الناس أرجاس وعندالله نظاف، وعندالناس ملاعين وعندالله بارّون، وعند الناس ظالمون وعندالله عادلون، فازوا بالايمان و خسر المنافقون».

وغيرهم من أعلام العامة تركنا ذكرهم للاختصار فذبذبة بعض المذبذبين منهم مردودة إليه بنفس ماورد عن طريقهم كذبذبة دروزة في تفسير (الحديث ج ٥ ص ٢٥٦ ط دارالاحياء الكتب العربية) إذ قال في قوله تعالى: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خيرالبرية): فانّ مفسّري الشيعة لم يمنعوا أنفسهم على رأيهم العجيب من رواية روايتين في صدد الآية السابقة متسقتين مع هواهم: أولاهما عن إبن عباس جاء فيها: (أنّ جملة هم خيرالبرية نزلت في عليّ بن أبيطالب عليه السلام و أهل بيته) و ثانيتهما عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ بن أبيطالب عليه السلام مرفوعة جاء فيها: (سمعت علياً يقول: قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى صدري فقال: يا عليّ ألم تسمع قول الله تعالى: «انّ

الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» هم شيعتك و موعدي و موعدكم الحوض إذا اجتمعت الأمم للحساب يدعون غراً محجلين) ومما يبرز الهوى الحزبي قوياً تعبير (شيعتك) إذ لم يكن لعلي في زمن النبي ما يصح أن يدعى شيعته. إنتهى كلامه.

أقول: فاحفظ أيها القارىء المنصف هذه الكلمة القارصة ثم اقرأ ما أوردنا آنفاً نبذة مما ورد عن طريق العامة بأسانيد عديدة ثم اقرأ ما سيأتي عن طريقهم من تعبير الشيعة بلسان النبي الكريم صلى الله عليه وآله ثم اقض ما أنت قاض.



﴿النبي الكريم صلى الله عليه وآله وتعبير الشيعة﴾

وقدوردت روايات كثيرة بأسانيد عديدة عن طريق العامّة في تعبير كلمة الشيعة من لسان النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله ترغيباً لامّته على إتباعهم لعليّ بن أبيطالب عليه السلام نشير إلى ما يسعه مقام الاختصار:

١ - روى إبن المغازلي الواسطي الشافعي في كتابه (مناقب أمير المؤمنين) باسناده الصحيحة عنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يدخل من أمّتي الجنّة سبعون ألفاً لاحساب عليهم ثمّ إلتفت إلى عليّ عليه السلام فقال: هم من شيعتك و أنت إمامهم.

٢ - روى الحمويني في (فرائد السمطين) باسناده الصحيحة عن الحرث و سعيد بن بشر عن عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انا واردكم على الحوض، و أنت يا عليّ الساقي، و الحسن الذايد، و الحسين الآمر، و عليّ بن الحسين الفارض، و محمد بن عليّ الناشر، و جعفر بن محمّد السابق، و موسى بن جعفر محصى المحبين و المبغضين و قامع المنافقين، و عليّ بن موسى معين المؤمنين، ومحمد بن عليّ منزل أهل الجنّة فى جنّاتهم، و عليّ بن محمد خطيب شيعته و مزوّجهم الحور العين، و الحسن بن عليّ سراج أهل الجنّة يستضيئون به، و الهادي شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن إلّا لمن يشاء و يرضى.

٣ - روى المؤيد الموفق بن أحمد أخطب خوارزم في (المناقب ص ٢٥٣ ط

تبريز) بالاسناد عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا كان يوم القيامة ينادون عليّ بن أبيطالب عليه السلام بسبعة أسماء: يا صديق، يا دال، يا عابد، ياهادي، يامهدي، ياعليّ مرأنت وشيعتك إلى الجنّة بغيرحساب.

٤- روى المحدّث الموصلي الحنفي في (درّ بحر المناقب ص ٦٢) مالفظه:

و عنه عليه السلام في قوله: «الحمد لله الّذي هدانا لهذا و ما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله» قال: إذا كان يوم القيامة دعا الله بالنبيّ و بعليّ، فيجلسان على كراسيّ الكرامة بين يدي العرش كلّما خرجت زمرة من شيعتهم رأتهم فيقولون: هذا النّبي و هذا الوصيّ، فيقول بعضهم لبعض: «الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله» بولايتهم و الأئمة من ولدهم عليهم السلام، فيؤ مربهم إلى الجنّة في مقالة شاهد و مشهود يعني بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و عليّ عليه السلام.

٥- وروى هذا المحدّث في (ص٧٨) من هذا الكتاب عن قتادة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: انّ النار إفتخرت على الجنّة، فقالت النّار: يسكنني الجبابرة و الملوك، و أنت يسكنك الفقراء و المساكين، فشكت الجنّة إلى ربها فأوحى الله إليها: اسكتي ازيّنك يوم القيامة بأربعة أركان: محمد سيّد الأنبياء، و عليّ سيّد الأوصياء، و الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة و شيعتهم في قصورك مع الحورالعين.

٦- وروى هذا المحدّث أيضاً في (ص ٦٥) من هذا الكتاب عن عباد بن ياسر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ليلة اسرى بي إلى السماء أوحى الله إليّ يا محمّد على من تخلّى امّتك؟ قال: اللهمّ عليك قال: صدقت انا خليفتك على الناس أجمعين يا محمّد قلت: لبّيك وسعديك يا رب قال: إنّي إصطفيتك برسالاتي وأنت أميني على وحيي، ثم خلقت من طينتك الصديق الأكبر خير الأوصياء جعلت له الحسن والحسين أنت يا محمّد و عليّ غصنها، و فاطمة ورقها، و الحسن والحسين ثمرها خلقتكم من

طين فى علّيين وجعلت شيعتكم من بقيّة طينتكم فلأجل ذلك قلوبهم وأجسادهم تهوى إليكم.

٧- روى إبن حجر العسقلاني في (لسان الميزان ج ٤ ص ٣٥٤) عن أبي إسحق السبيعي في علي عليه السلام وهو مثل علي "كشجرة أنا أصلها، وعلي" فرعها، والحسن والحسين ثمرها والشيعة ورقها.

ثم قال ماهذا لفظه: ونعم ما قيل:

يا حبّذا دوحة في الخلد نابتة — مامثلها نبتت في الخلد من شجر
المصطفى أصلها و الفرع فاطمة — و الهاشميان سبطاه لها ثمر
و الشيعة الورق الملتفّ بالثمر

٨ - روى المحدّث الحنفي الموصلي فى (درّ بحر المناقب ص ٧٨) باسناده عن ثمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان الله خلقني و علياً من شجرة واحدة فأنا أصلها وعلي" فرعها والحسن والحسين ثمرها وشيعتناورقها فمن تمسّك بهذه الشجرة دخل الجنّة وأمن من النار.

٩-روى الكنجي الشافعي فى (كفاية الطالب ص ٢٧٨ ط الغرى) باسناده عن عبدالرحمن بن عوف انّه قال: ألا تسئلوني قبل أن يشوب الأحاديث الأباطيل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا الشجرة و فاطمة فرعها و علي" لقاحها و الحسن و الحسين ثمرها وشيعتنا ورقها و الشجرة، أصلها في جنّة عدن، و الأصل و الفرع واللقاح والورق في الجنّة.

ثمّ قال الكنجي: وأنشدنا الشيخ أبو بكر بن فضل الله الحلبي الواعظ:

يا حبّذا دوحة في الخلد نابتة — مافي الجنان لها شبه من الشجر
المصطفى أصلها و الفرع فاطمة — ثمّ اللقاح علي" سيّد البشر
و الهاشميان سبطاها لها ثمر — والشيعة الورق الملتفّ بالثمر
هذا حديث رسول الله جاء به — أهل الرواية في العالى من الخبر

اني بحبّهم أرجو النجاة غـداً والفوز مع زمرة من أحسن الزمر

١٠ ـ روى إبن المغازلي الواسطي الشافعي في (المناقب) باسناده عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عليّ انّ شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيون و الدّيون، و وجوههم كالقمر في ليلة البدر وقد خرجت عنهم الشدائد و سهلت لهم الموارد و اعطوا الأمن و الأمان، و ارتفعت عنهم الأحزان يخاف الناس و لا يخافون، و يحزن الناس و لا يحزنون، سرّك فعالهم تتلألأ وجوههم نوراً على نوق بيض لها أجنحة قد ذلّلت من غير مهانة، و نجبت من غير رياضة أعناقها من ذهب أحمر ألين من الحرير لكرامتهم على الله عزّ و جلّ.

١١ ـ روى محمّد البصري الهندي في (إنتهاء الأفهام ص ١٩ ط لكهنو) عن عليّ عليه السلام عن النبّي صلى الله عليه وآله قال: توضع يوم القيامة منابر حول العرش لشيعتي وشيعة أهل بيتي المخلصين في ولايتنا و يقول الله تعالى: هلمّوا يا عبادي لأنشر عليكم كرامتي فقد اوذيتم في الدنيا.

١٢ ـ روى الحافظ إبن المغازلي الواسطي الشافعي في (المناقب) عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليّ ان الله غفر لك و لأهلك و لشيعتك و لمحبّي شيعتك و لمحبّي محبّي شيعتك فأبشر فانك الأنزع البطين، منزوع من الشرك، بطين من العلم.

رواه بعينه متناوسنداً جماعة من أعلام العامة:

١ـ خطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٢٣٤ ط تبريز)

٢ـ الحمويني في (فرائد السمطين)

٣ـ إبن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص ٩٦ ط الميمنية بمصر)

٤ـ الكشفي الترمذي في (المناقب المرتضوية ص ٩٩ ط بمبئى)

٥ـ المناوي في (كنوز الحقائق ص ٢٠٢ ط بولاق)

٦ـ البدخشى فى (مفتاح النجاة ص ٦١)

٧ـ القندوزي فى (ينابيع المودّة ص ٢٠٧ ط اسلامبول)

٨ـ الحضرمي فى (رشفة الصادي ص ٨١ ط مصر)

٩ـ الأمرتسري فى (أرجح المطالب ص ٤٧٥ ط لاهور)

١٠ـ الديلمى فى (الفردوس) وغيرهم تركنا ذكرهم للاختصار.

١٢ ـ روى الخطيب الخوارزمى فى (المناقب ص ٢٢٩ ط تبريز) باسناده عن إبن عباس عن النّبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: يدخل من امّتى الجنّة سبعون ألفاً بغير حساب، فقال علي عليه السلام: من هم يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: هم شيعتك يا علىّ و أنت إمامهم.

رواه جماعة من أعلام العامة:

١ـ إبن المغازلى الواسطى الشافعى فى (المناقب ص ١٧)

٢ـ إبن حسنويه الموصلى في (درّ بحر المناقب ص ١١٩) إلاّ أنّه ذكر بدل (بغير حساب) (لاحساب عليهم ولا عذاب).

٣ـ الأمر تسري في (أرجح المطالب ص ٥٢٩ ط لاهور) وغيرهم.

١٣ ـ روى الفقيه ابن المغازلى الشافعى فى (المناقب ص ١٨٧) باسناده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يدخل من امّتي الجنّة سبعون ألفاً لاحساب عليهم ثم إلتفت إلى علي عليه السلام فقال: هم من شيعتك وأنت إمامهم.

رواه بعينه سنداً ومتناً جماعة منهم:

١ـ إبن حجر العسقلاني فى (لسان الميزان ج ٤ ص ٣٥٩ ط حيدر آباد الدكن)

٢ ـ القندوزي في (ينابيع المودة ص ١٢٤ ط إسلامبول) إلاّ أنّه ذكر بدل (هم من شيعتك) (هم الّذين جاهدوا وإمامهم هذا)

٣ ـ الخطيب الخوارزمي فى (المناقب ص ٢٥٣ ط تبريز) مع إختلاف يسير فى المتن.

١٤ـ روى الگنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ١٧٩ ط الغرى) باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: في الفردوس لعيناً أحلى من الشهد و ألين من الزّبد و أبرد من الثلج و أطيب من المسك، فيها طينة خلقنا الله تعالى منها، و خلق منها شيعتنا، فمن لم يكن من تلك الطينة فليس منّا و لا من شيعتنا وهي الميثاق الّذي أخذ الله عزّ وجلّ عليه ولاية على بن أبيطالب عليه السلام.

رواه بعينه الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال ج ٢ ص ١٧٤ ط القاهرة)

وابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان ج ٤ ص ١٢٤ ط حيدر آباد الدكن)

١٥ـ روى الحافظ إبن عساكر الشافعي في (تاريخه) وفي (التهذيب ج ٦ ص ٦٧ الترقي بدمشق) بالاسناد عن جابر بن عبدالله قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه فسمعته وهو يقول: من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً قال: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و إن صام و صلّى و زعم أنّه مسلم؟ قال: إنّما إحتجز بذلك من سفك دمه، و ان يؤدّى الجزية عن يدوهو صاغر ثمّ قال إنّ الله علّمني أسماء امّتي كلّها كما علّم آدم الأسماء كلّها، ومثّل لي امّتي في الطين، فمرّ بي أصحاب الرايات فاستغفرت لعليّ و شيعته.

١٦ ـ روى القندوزي في (ينابيع المودّة ص ٢٥٧ ط إسلامبول) عن عليّ عليه السلام مرفوعاً: «لا تستخفوا بشيعة عليّ فانّ الرجل منهم ليشفع في مثل ربيعة و مضر»

رواه بعينه أبومحمّد الهندي في (إنتهاء الأفهام ص ١٩ ط لكنهو)

١٧ ـ روى إبن حجر الهيتمى في (الصواعق المحرقة ص ٦٦ ط الميمنية بمصر) ما لفظه:

روى عن طريق الديلمى انه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعلي أنت وشيعتك تردون على الحوض روّاء مرويين، مبيضّة وجوههم، وانّ أعدائكم يردون على الحوض ظماء مقمحين.

رواه جماعة منهم:

١- الترمذي الكشفي الحنفي في (المناقب المرتضوية ص ١٠١ ط بمبئي)

٢- المناوي في (كنوز الحقائق ص٢٠٣ ط بولاق)

٣- القندوزي في (ينابيع المودّة ص ١٨٢ط اسلامبول) و غيرهم تركناهم للاختصار.

١٨- روى القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٥٧ ط اسلامبول)

عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ بشّر شيعتك أنا الشفيع يوم القيامة وقتاً لاينفع مال ولابنون إلّا شفاعتي.

١٩- روى الحافظ إبن شيرويه الديلمي في (الفردوس) باسناده عن امّ سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عليّ و شيعته هم الفائزون يوم القيامة.

رواه جماعة منهم:

١- المناوي في (كنوز الحقائق ص ٩٨ ط بولاق)

٢- البدخشي في (مفتاح النجا ص ٦١)

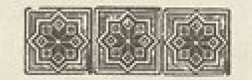
٣- القندوزي في (ينابيع المودّة ص ١٧٠ و٢٣٧ ط إسلامبول)

٢٠- روى المتّقي الهندي في (كنز العمّال ج٦ ص٢١٢ ط حيدر آباد الدكن)

عن عليّ عليه السلام انّه قال: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس إيّاي فقال: ياعليّ إنّ أوّل أربعة يدخلون الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا إلى أن قال: قال عليّ عليه السلام: فقلت: يارسول الله صلى الله عليه وآله فأين شيعتنا؟ فقال: شيعتكم من ورائكم.

و نختم البحث بكلام إبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص٢٢١-٢٢٦ ط دار الاحياء الكتب العربية) مالفظه: «والقول بالتفضيل-تفضيل عليّ بن أبيطالب عليه السلام على غيره من الصحابة والتابعين-قول قديم قدقال به كثير من الصحابة والتابعين، فمن الصحابة عمّار والمقداد وأبوذر وسلمان وجابر بن عبدالله وابيّ بن كعب وحذيفة و بريدة وأبو أيّوب، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف وأبو الهيثم بن التيهان، و

خزيمة بن ثابت، وأبو الطفيل عامر بن واثلة والعباس عبد المطلب وبنوه وبنو هاشم و بنو المطلب كافّة ـ وأمّا من قال بتفضيله ـ عليّ بن أبيطالب عليه السلام ـ على الناس كافّة من التابعين فخلق كثير كاويس القرني وزيد بن صوحان وصعصعة أخيه وجندب الخير و عبيدة السلماني وغيرهم ممّن لايحصى كثرة ولم تكن لفظة الشيعة تعرف في ذلك العصر إلّا لمن قال بتفضيله، ولم تكن مقالة الإمامية ومن نحا نحوهم من الطّاعنين فى إمامة السلف مشهورة حينئذ على هذا النحو من الإشتهار فكان القائلون بالتفضيل هم المسمّون الشيعة، وجميع ماورد من الآثار والأخبار في فضل الشيعة، وأنّهم موعودون بالجنّة، فهؤلاء هم المعنيّون به دون غيرهم، ولذلك قال أصحابنا المعتزلة فى كتبهم وتصانيفهم: نحن الشيعة حقاً فهذا القول هـو أقرب إلى السلامة و أشبه بالحق من القوانين المقتسمين طرفي الافراط والتفريط إن شاء الله» إنتهى كلامه.



«الشيعة و خير البرية»

ومن البيّن: أنّ الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقّة هم أتباع مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين عليّ بن أبيطالب وإحدى عشر إماماً من أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين في الدين وهؤلاء الشيعة هم الّذين إنقطعوا إلى أئمتهم في فروع الدين الاسلامي واصوله، وفنون الأخلاق والسلوك والآداب بخوعاً لامامتهم. وإقراراً بولايتهم وهم الّذين والوا أولياءهم، وعادوا أعداءهم، فكانوا بذلك لهم شيعة، وهم لهم ذريعة ووسيلة عندالله عزّ وجل فتمسّكوا بالثقلين كتاب الله تعالى وعترة نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم واعتصموا بحبليه، ودخلوا المدينة من بابها وركبوا سفينة النجاة، كلّ ذلك ما أمرهم الله جلّ وعلا ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم به في الكتاب والسنّة.

وقد وردت روايات كثيرة عن طريق أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين: انهم وشيعتهم هم خير البرية الّذين جاء ذكرهم في قوله تعالى: «انّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» البيّنة:٧) فنشير إلى نبذة منها:

فى أمالى الصدوق: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن النعمان بن سعد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال عليه السلام: أنا حجّة الله وأنا خليفة الله، أنا صراط الله، وأنا باب الله، وأنا خازن علم الله، وأنا المؤتمن على سرّ الله وأنا إمام البريّة بعد خير الخليقة محمد نبيّ الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم.

وفى الكافى: باسناده عن سليمان بن جعفر الجعفري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: في كلّ جناح هدهد مكتوب بالسريانيّة: «آل محمد خير البرية»

أقول: رواه الشهيد في اللمعة الدمشقية والحويزي في تفسير نور الثقلين.

وفي عيون الاخبار: باسناده عن سليمان بن جعفر عن الرضا عليه السلام قال: حدّثني أبي عن جدّي عن آبائه عن عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال: في جناح كل هدهد خلقه الله عزّ وجلّ مكتوب بالسريانية: آل محمّد خير البرية.

وفي الكافي: باسناده عن فضيل بن عثمان عن طاهر قال: كنت قاعداً عند أبي جعفر فأقبل جعفر عليه السلام فقال أبو جعفر عليه السلام: هذا خير البرية.

وفي روضة الكافي: باسناده عن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول لرجل من الشيعة: أنتم أهل الرضا عن الله جلّ ذكره برضاه عنكم، والملائكة إخوانكم في الخير فاذا اجتهدتم ادعوا، وإذا غفلتم اجهدوا، وأنتم خير البرية ديار كم لكم جنّة، وقبوركم لكم جنّة، للجنّة خلقتم، وفي الجنّة نعيمكم، وإلى الجنّة تصيرون ... الحديث.

وفي محاسن البرقي: عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: «انّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» قال: هم شيعتنا أهل البيت.

وفي أمالي المفيد: رحمة الله تعالى عليه باسناده عن سالم بن أبي الجعد قال: سئل جابر بن عبدالله الأنصاري وقد سقط حاجباه على عينيه، فقيل له: أخبرنا عن عليّ بن أبيطالب عليه السلام فرفع حاجبيه بيديه، ثمّ قال: ذاك خير البرية لا يبغضه إلّا منافق ولا يشك فيه إلّا كافر.

وفي روضة الواعظين: وقال الباقر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ مبتدئاً: «انّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» هم أنت و شيعتك، و ميعاد كم الحوض إذا حشر الناس جئت أنت وشيعتك شباعاً مرويين غرّاً محجلين.

وفي سعد السعود: للسيّد بن طاووس قدّس سرّه باسناده عن عامر بن واثلة قال: خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر بالكوفة وهو أجيرات مجصّص، فحمد الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله، وصلّى على نبيّه ثم قال: أيّها الناس سلوني فوالله لا تسئلوني عن آية من كتاب الله إلّا حدثتكم عنها متى نزلت بليل أو أنهار؟ (نهار خ) أو في مقام أو في سفر؟ ام في سهل أم في جبل؟ وفيمن نزلت؟ أفي مؤمن أو منافق؟ وما عنى بها؟ أخاص أم عامة، ولئن فقد تموني لا يحدثكم أحد حديثي، فقام إليه إبن الكوّا فلمّا

بصر به قال: بتعنت لا تسئل تعلّماً هات سل، فاذا سئلت فاعقل ما تسئل عنه فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: «الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» فسكت أمير المؤمنين فأعادها ثانية إبن الكوّا فسكت فأعادها الثالثة فقال عليّ عليه السلام ورفع صوته: ويحك يا بن الكوّا اولئك نحن و اتباعنا يوم القيامة غرّاً محجلين رواء مرويين يعرفون بسيماهم.

وفي تفسير البرهان: عن يزيد بن شراحيل كاتب عليّ عليه السلام قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مسنده إلى صدري وعائشة عن اذني، فاصغت عائشة لتسمع إلى مايقول فقال: أي أخي ألم تسمع قول الله عزّ وجلّ: «إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية»؟ أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا جئت الامم تدعون غرّاً محجلين شباعاً مرويين.

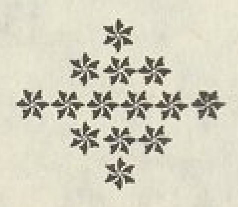
وفيه: بالاسناد عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه الّذي قبض فيه لفاطمة: يا بنية بأبي أنت وامّي أرسلني إلى بعلك فادعيه لي، فقالت فاطمة للحسن عليه السلام: إنطلق إلى أبيك فقل له: إنّ جدّي يدعوك فانطلق إليه الحسن فدعاه فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتّى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة عنده: وهي تقول: وا كرباه لكربك يا أبتاه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة عنده: لا كرب على أبيك بعد هذا اليوم يا فاطمة انّ النبيّ لا يشقّ عليه الجيب، ولا يخمش عليه الوجه، ولا يدعى عليه بالويل ولكن قولي كما قال أبوك على إبنه إبراهيم تدمع العين، وقد يوجع القلب، ولا نقول ما يسخط الرب وأنا بك يا إبراهيم لمحزون، ولو عاش إبراهيم لكان نبيّاً، ثم قال: يا عليّ أدن منّي فدنى منه فقال: ادخل اذنك في فمي ففعل فقال: يا أخي ألم تسمع قول الله عزّ وجلّ في كتابه: «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية»؟

قال: بلى يا رسول الله قال: هم أنت و شيعتك، تجيئون غرّاً محجّلين شباعي مرويين ألم تسمع قول الله عزّ وجلّ في كتابه: «انّ الذين كفروا من أهل الكتاب و

المشركين في نار جهنم خالدين فيها أبداً اولئك هم شرّ البرية»؟ قال: بلى يا رسول الله قال: هم أعداؤك وشيعتهم يجيئون يوم القيامة مسودّة وجوههم ظمآء مظمئين أشقياء معذبين كفار منافقين ذاك لك ولشيعتك وهذا لعدوّك وشيعتهم.

أقول: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ولو عاش إبراهيم لكان نبيّاً» تعليق على إمتناع عيش إبراهيم على إمتناع كونه نبيّاً إذ لا نبيّ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه تنبيه إلى أنّ الله تعالى قدّر موت إبراهيم وقضى عليه لحكم ومصالح فيمتنع أن يعيش بعده كما يمتنع أن يكون بعد نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيّ.

وفي البرهان: بالاسناد عن يحيى بن العلا الرازي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: دخل عليّ عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في بيت امّ سلمة، فلما رآه قال: كيف أنت يا عليّ إذا جمعت الامم ووضعت الموازين وبرز لعرض خلقه، ودعى الناس إلى مالا بدّ منه؟ قال: فدمعت عين أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما يبكيك يا عليّ؟ تدعى والله أنت وشيعتك غرّاً محجّلين رواء مرويين، مبيضّة وجوههم، ويدعى بعدوّك مسودّة وجوههم أشقياء معذبين أما سمعت إلى قول الله: «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية» أنت وشيعتك والّذين كفروا وكذّبوا بآياتنا اولئك هم شرّ البرية عدوّك يا عليّ.



﴿ عقائد الشيعة الامامية الاثنى عشرية الحقة ﴾

قبل عشرة قرون الى اليوم

وقد سبق منّا كلام حول الشيعة الاماميّة الاثنى عشرية الحقّة بمواضع من هذا التفسير على طريقي الاجمال والتفصيل، وجدير لنا في المقام أن نذكر ما جائت في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه من عقائد الشيعة الاماميّة الاثنى عشرية الحقّة على طريق الاختصار ففيه ما لفظه:

المجلس الثالث والتسعون:

يوم الجمعة الثاني عشر من شعبان من سنة ثمان و ستين و ثلاثمأة، و اجتمع في هذا اليوم إلى الشيخ الفقيه أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي رضوان الله تعالى عليه أهل مجلسه، والمشايخ فسئلوه أن يملي عليهم وصف دين الاماميّة على الايجاز و الاختصار فقال رضوان الله تعالى عليه:

« دين الاماميّة هو الاقرار بتوحيد الله تعالى ذكره ونفى التشبيه عنه، و تنزيهه عمّا لا يليق به، والاقرار بأنبياء الله ورسله وحججه و ملائكته و كتبه، و الاقرار بأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله هو سيّد الأنبياء و المرسلين، وأنّه أفضل منهم و من جميع الملائكة المقرّبين، و أنّه خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة، و أنّ جميع الأنبياء والمرسلين والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين أفضل من الملائكة، وأنهم معصومون مطهّرون من كلّ دنس و رجس لا يهمون

بذنب صغير ولا كبير ولا يرتكبونه ، وأنّهم أمان لاهل الأرض كما أنّ النّجوم أمان لأهل السّماء.

وأنّ الدعائم الّتي بنى الاسلام عليها خمس: الصلاة ، والزكاة، والصوم ، و الحج ، و ولايـة النّبيّ والأئمّة بعده وهم إثنا عشر إماماً : أوّلهـم أميرالمؤمنين عليّ بن أبيطالب ، ثم الحسن والحسين، ثم عليّ بن الحسين ، ثم البـاقر محمّد بن عليّ، ثم الصادق جعفربن محمّد، ثم الكاظم موسـى بن جعفر، ثم الرضا عليّ بن موسى، ثم الجواد محمّد بن عليّ، ثم الهـادي عليّ بن محمّد، ثم العسكري الحسن بن عليّ، ثم الحجّة بن الحسن بن عليّ عليهم السلام، والاقرار بأنّهم اولوا الأمر الّذين أمر الله عزّوجل بطاعتهم فقال : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسـول واولى الأمرمنكم» و أنّ طاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، ووليّهم وليّ الله، و عدوّهـم عدوّ الله عزّوجل، ومودّة ذرّيّة النّبي صلّى الله عليه وآله إذاكانوا على منهاج آبائهم الطاهرين فريضة واجبة في أعناق العباد إلى يوم القيامة، وهوأجر النبوّة لقول الله عزّوجل : «قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى».

والاقرار بأن الإسلام (والاقرار بالإسلام خ) هو الإقرار بالشهادتين، والايمان هوإقرار باللسان، وعقد بالقلب وعمل بالجوارح لايكون الايمان إلّا هكذا، ومن شهد الشهادتين فقد حقن ماله ودمه إلّا بحقّهما ، وحسابه على الله عزّوجـل ، و الاقرار بالمسئلة في القبر حين يدفن الميّت، وبمنكر ونكير، وبعذاب القبر، والإقرار بخلق الجنّة والنـار، وبمعراج النّبيّ صلّى الله عليه وآله إلى السماء السابعة ، ومنهـا إلى سدرة المنتهى ، و منها إلى حجب النور، و بمناجات الله عزّوجل إيّاه ، و أنّه عرج به بجسمه و روحه على الصحّة و الحقيقة لا على الرؤيا فى المنـام ، وأنّ ذلك لم يكن لأنّ الله عزّوجل فى مكان هناك لأنّه متعال عن المكان، ولكنه عزّوجل عرج به صلّى الله عليه وآله تشريفاً به وتعظيماً لمنزلته، وليريـه ملكوت السموات كما أراه ملكوت الأرض، ويشاهد مافيها من عظمة الله عزّوجل ، وليخبر امّته بما

شاهد فى العلوّ من الآيات والعلامات.

والاقرار بالحوض، والشفاعة للمذنبين من أصحاب الكبائر ـ مالم يصرّوا ـ، والإقرار بالصراط والحساب والميزان و اللوح والقلم والعرش والكرسى، والإقرار بأنّ الصلاة عمود الدين، وأنّها أوّل ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من الأعمال، و أوّل ما يسئل عنه العبد بعد المعرفة، فان قبلت قبل ما سواها، وإن ردّت ردّ ما سواها، وأنّ المفروضات من الصلوات فى اليوم والليلة خمس صلوات، وهى سبع عشر ركعة : الظهر أربع ركعات، العصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، و العشاء الآخرة أربع ركعات، والغداة ركعتان ، وأمّا النافلة فهى مثلا الفريضة: أربع و ثلاثون ركعة، ثمان ركعات قبل الظهر، وثمان بعدها قبل العصر، و أربع ركعات بعد المغرب ، و ركعتان من جلوس بعد العشاء الآخرة تحسبان بركعة وهى وتر لمن لم يلحق الوتر آخر الليل، وصلاة الليل ثمانى ركعات كل ركعتين بتسليمة، والشفع ركعتان بتسليمة، والوتر ركعة واحدة، ونافلة الغداة ركعتان ، فجملة الفرائض والنوافل فى اليوم والليلة إحدى وخمسون ركعة.

والأذان والإقامة مثنى مثنى وفرائض الصلاة سبع: الوقت والطهور، والتوجّه والقبلة، والركوع، والسجود، والدعاء والقنوت في كل صلاة فريضة ونافلة في الركعة الثانية قبل الركوع وبعد القراءة، ويجزى من القول في القنوت: «رب اغفر وارحم وتجاوز عمّا تعلم أنك أنت الأعزّ الأكرام» ويجزى فيه أيضاً ثلاث تسبيحات، وإن أحب المصلّى أن يذكر الأئمة عليهم السلام فى قنوته، ويصلّى عليهم، فيجملهم وتكبيرة الافتتاح واحدة، وسبع أفضل، ويجب الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة عند إفتتاح الفاتحة، وعند إفتتاح السّورة بعدها، وهى آية من القرآن ، و هى أقرب إلى إسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها.

ويستحبّ رفع اليدين فى كلّ تكبيرة فى الصلاة وهو زين للصلاة والقراءة فى الاولين من الفريضة: الحمد وسورة لاتكون من العزائم التي يسجد فيها وهى

سجدة لقمان، وحم السجدة، و النجم ، وسورة إقرأ باسم ربك، ولا تكن السورة أيضاً لا يلاف وألم تر كيف والضحى وألم نشرح لأن "لا يلاف وألم تر سورة واحدة والضحى و ألم نشرح سورة واحدة ، فلا يجوز التفرّد بواحدة منهما في ركعة فريضة، فمن أراد أن يقرأ بها في الفريضة فليقرأ لايلاف وألم تر كيف في ركعة، و الضحى وألم نشرح في ركعة، ولا يجوز القرآن بين سورتين في الفريضة، فأمّا في النافلة فلا بأس بأن يقرأ (يقرن) الرجل ماشاء ولا بأس بقرائة العزائم في النوافل لأنّه إنّما يكره ذلك في الفريضة.

ويجب أن يقرأ في صلاة الظهر يوم الجمعة سورة الجمعة والمنافقين، فبذلك جرت السنة والقول في الركوع والسجود ثلاث تسبيحات وخمس أحسن، وسبع أفضل ، وتسبيحة تامة تجزى في الركوع والسجود للمريض والمستعجل، ومن نقص من الثلث التسبيحات في ركوعه أوفي سجوده تسبيحه ، ولم يكن بمريض ولامستعجل فقد نقص ثلث صلاته، ومن ترك تسبيحتين فقد نقص ثلثي صلاته، ومن لم يسبح في ركوعه وسجوده فلاصلاة له إلّا أن يهلل أويكبر أو يصلّى على النبّى صلّى الله عليه وآله بعدد التسبيح، فانّ ذلك يجزيه، ويجزى في التشهد الشهادتان، فمازاد فتعبد والتسليم في الصلاة يجزى مرّة واحدة مستقبل القبلة، ويميل بعينه إلى يمينه، و من كان في جمع من أهل الخلاف سلم تسليمتين عن يمينه تسليمة، وعن يساره تسليمة كما يفعلون تقيّة.

وينبغي للمصلّى أن يسبح بتسبيح فاطمة الزهراء سلام الله عليها في دبر كل صلاة فريضة، وهى أربعون وثلاثون تكبيرة ، وثلاث وثلثون تسبيحة ، وثلاث و ثلاثون تحميدة فانّه من فعل ذلك بعد الفريضة قبل أن يثنى رجليه غفر الله له ثمّ يصلّى على النبّى والأئمّة ويدعو لنفسه بما أحبّ. ويسجد بعد فراغه من الدعاء سجدة الشكر يقول فيها ثلاث مرّات شكراً لله ولا يدعها إلّا إذا حضر مخالف للتقيّة ، ولا يجوز التكفير للصلاة ولا قول آمين بعد فاتحة الكتاب ولا

وضع الركبتين على الأرض في السّجود قبل اليدين، ولا يجوز السجود إلّا على الأرض أو على ما أنبتته الأرض إلّا ما اكل أو لبس، ولا بأس بالصلاة في شعر و وبر كلّما اكل لحمه، وما لا يؤكل فلا يجوز الصلاة في شعره و وبره إلّا ما خصّته الرخصة وهي الصلاة في السبخات والسمور والفنك والخز والاولى أن لا يصلّى فيها، ومن صلّى فيها جازت صلاته، وأمّا الثعالب فلا رخصة فيها إلّا في حال التقيّة والضّرورة.

والصلاة يقطعها الريح إذا خرج من المصلّي أو غيرها ممّا ينقض الوضوء أو يذكر انّه على غير وضوء أو وجد أذى أو ضرباناً لا يمكنه الصبر عليه، و رعف فخرج من أنفه دم كثير أو إلتفت حتّى يرى من خلفه، ولا يقطع صلاة المسلم شيء يمرّ بين يديه من كلب أو إمرأة أو حمار أو غير ذلك، ولا سهو في النافلة فمن سهى في نافلة، فليس عليه شيء فليبن على ما شاء، و إنّما السهو في الفريضة، فمن سهى في الأولين أعاد الصلاة، ومن شكّ في المغرب أعاد الصلاة، ومن شكّ في الغداة أعاد الصلاة، ومن شك في الثانية، والثانية أو في الثالثة والرابعة فليبن على الأكثر فاذا سلم اتم ماظنّ أنّه قد نقص، ولا تجب سجدتا السهو على المصلّي إلّا إذا قام في حال قعود أو قعد في حال قيام أو ترك التشهد أو لم يدر زاد في صلاته أم نقص منهما، وهما بعد التسليم في الزيادة والنقصان، ويقال فيها: بسم الله وبالله السلام عليك أيّها النّبيّ و رحمة الله وبركاته.

وأمّا سجدة العزائم فيقال فيها: لا إله إلّا الله حقّاً حقّاً لا إله إلّا الله ايماناً وتصديقاً لا إله إلّا الله عبودية و رقّاً سجدت لك يا ربّ تعبّداً و رقّاً لا مستنكفاً ولا مستكبراً بل أنا عبد ذليل خائف مستجير، ويكبر إذا رفع رأسه، ولا يقبل من صلاة العبد إلّا ما أقبل عليه منها بقلبه حتّى انّه ربّما قبل من صلاته ربعها أو ثلثها أو نصفها أو أقلّ من ذلك أو أكثر ولكنّ الله عزّ وجلّ يتمّها بالنوافل، و أولى الناس بالتقدّم في جماعة اقرأهم للقرآن، فان كانوا في القرآن سواء فاقدمهم هجرة فان كانوا في الهجرة سواء فاسنهم، فان كانوا في السن سواء فاصبحهم وجهاً، وصاحب

المسجد أولى بمسجده ومن صلّى بقوم وفيهم من هو أعلم منه لم يزل أمرهم إلى سفال إلى يوم القيامة .

والجماعة يوم الجمعة فريضة واجبة ، و في سائر الأيّام سنة من تـر كها رغبة عنها، وعن جماعة المسلمين من غير علّة ، فلاصلاة له ، و وضعت الجمعة عن تسعة عن الصغير والكبير والمجنون والمسافر والعبد والمرأة والمريض والأعمى ، ومن كان على رأس فرسخين ، وتفضل صلاة الرجل في جماعة على صلاة الرجل وحده خمسة وعشرين درجة في الجنّة ، وفرض السفر ركعتان إلّا المغرب، فانّ رسول الله ﷺ تركها على حالها في السفر والحضر ، ولا يصلّى في السفر من نوافل النهار شيء ولا يترك فيه من نوافل الليل شيء ، ولا يجوز صلاة الليل من أوّل الليل إلّا في السفر ، وإذا قضاها الانسان فهو أفضل له من أن يصلّيها في أوّل الليل .

وحدّ السفر الّذي يجب فيه التقصير في الصلاة والافطار في الصّوم ثمانية فراسخ ، فان كان سفر الرجل أربعة فراسخ ، ولم يرد الرجوع من يومه ، فهو بالخيار إن شاء أتمّ وإن شاء قصر، و إن أراد الرجوع من يومه ، فالتقصير عليه واجب ومن كان سفره معصية فعليه التمام في الصوم والصلاة ، والمتمّم في السفر كالمقصّر في الحضر ، والّذين يجب عليهم التمام في الصلاة والصوم في السفر المكاري والكرى والاشتقان وهو البريد والراعي والملّاح لأنّه عملهم ، وصاحب الصّيد إذا كان صيده بطراً و أشراً ، و إن كان صيده مما يعود به على عياله ، فعليه التقصير في الصّوم والصلاة ، وليس البرّ أن يصوم الرّجل في سفره تطوّعاً، ولايجوز للمفطر في السفر في شهر رمضان أن يجامع .

والصلاة ثلاثة أثلاث فثلث طهور وثلث ركوع وثلث سجود ولاصلوة إلّا بطهور والوضوء مرّة مرّة ، ومن توضّأ مرّتين فهو جائز إلّا انّه لايوجر عليه والماء كلّه طاهر حتّى يعلم أنّه قذر ولايفسد الماء إلّا ما كانت له نفس سائلة، ولا بأس بالوضوء بماء الورد والإغتسال به من الجنابة ـ على قول ـ ، وأمّا الماء الّذي تسخنه الشمس، فلابأس

بالوضوء وإنّما يكره الوضوء به وغسل الثياب والاغتسال لأنّه يورث البرص، والماء إذا كان قدر كرّ لم ينجّسه شيء، والكرّ ألف رطل ومأتا رطل بالمدني، وروى أنّ الكرّ هو ما يكون ثلاثة أشبار طولاً في ثلاثة أشبار عرضاً في ثلاثة أشبار عمقاً.

وماء البئر طهور كلّه ما لم يقع فيه شيء ينجّسه، وماء البحر طهور كلّه ولا ينقض الوضوء إلّا ما خرج من الطرفين من بول أو غائط أو ريح أو منيّ، والنوم إذا ذهب بالعقل، ولا يجوز المسح على العمامة، ولا على القلنسوة ولا يجوز المسح على الخفّين والجوربين إلّا من عدوّ يتّقى أو ثلج يخاف منه على الرجلين، فيقام الخفّان مقام الجبائر فيمسح عليهما، وروت عائشة عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: أشدّ الناس حسرة يوم القيامة من رآى وضوئه على جلد غيره وقالت عائشة: لئن أمسح على ظهر عير بالفلاة أحبّ إليّ من أن أمسح على خفّي، ومن لم يجد الماء فليتيمّم كما قال الله عزّ وجلّ: « فتيمّموا صعيداً طيّباً » والصّعيد: الموضع المرتفع والطيب الّذي ينحدر عنه الماء.

فاذا أراد الرجل أن يتيمّم ضرب بيديه على الأرض مرّة واحدة ثم ينفضهما فيمسح بهما وجهه، ثم يضرب بيده اليسرى الأرض، فيمسح بها يده اليمنى من المرفق إلى أطراف الأصابع ثم يضرب بيمينه الأرض، فيمسح بها يساره من المرفق إلى أطراف الأصابع، وقد روى أن يمسح الرجل جبينه وحاجبيه، ويمسح على ظهر كفّيه، وعليه مضى مشائخنا رضوان الله تعالى عليهم وما ينقض الوضوء ينقض التيمّم، والنظر إلى الماء ينقض التيمّم ومن تيمّم وصلّى ثمّ وجد الماء وهو في وقت الصلاة أو قد خرج الوقت فلا إعادة عليه لأنّ التيمّم أحد الطهورين، فليتوضّأ لصلوة اخرى ولا بأس أن يصلّي الرجل بوضوء واحد صلاة الليل والنهار كلّها مالم يحدث، وكذلك التيمّم مالم يحدث أو يصبّ ماء.

والغسل في سبعة عشر موطناً: غسل ليلة سبع عشرة من شهر رمضان، وليلة تسع عشرة، وليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وللعيدين، وعند دخول

الحرمين ، وعندالاحرام ، وغسل الزيارة ، وغسل الدخول إلى البيت، ويوم التروية ، ويوم عرفة وغسل الميّت ، وغسل من غسل ميّتاً أو كفنه أو مسّه بعد ما يبرد ، و غسل يوم الجمعة ، وغسل الكسوف إذا احترق القرص كلّه ، ولم يعلم به الرجل وغسل الجنابة فريضة ، و كذلك غسل الحيض لأنّ الصّادق عليه السلام قال: غسل الجنابة والحيض واحد و كلّ غسل فيه وضوءفي أوّله إلّا غسل الجنابة لأنّه فريضة ، وإذا اجتمع فرضان فأكبرهما يجزى عن أصغرهما .

و من أراد الغسل من الجنابة فليجتهد أن يبول ليخرج ما بقى في إحليله من المنى ثم يغسل يديه ثلاثاً من قبل أن يدخلهما الاناء ثم يستنجى وينقى فرجه ثم يضع على رأسه ثلث اكف من ماء ، ويميز الشعر بأنامله حتّى يبلغ الماء أصل الشعر كلّه ثم يتناول الاناء بيده ويصبّه على رأسه ، وبدنه مرّتين ويمرّ يده على بدنه كلّه ويخلل اذنيه باصبعيه ، و كلّما أصابه الماء فقد طهر وإذا ارتمس الجنب في الماء إرتماسة واحدة أجزأه ذلك من غسله ، و إن قام في المطر حتّى يغسله فقد أجزأه ذلك من غسله ، ومن أحبّ أن يتمضمض ويستنشق فى غسل الجنابة فليفعل ، وليس ذلك بواجب لأنّ الغسل على ما ظهر لاعلى ما بطن غير أنّه إذا أراد أن يأكل أو يشرب قبل الغسل لم يجز له إلّا أن يغسل يديه ، ويتمضمض ويستنشق فانّه إن أكل أو شرب قبل ذلك خيف عليه البرص ، وإذا عرق الجنب فى ثوبه وكانت الجنابة من حلال فحلال الصلاة فى الثوب ، وإن كانت من حرام فحرام الصلاة فيه .

و أقلّ الحيض ثلاثة أيّام و أكثرها عشرة أيام و أقلّ الطهر عشرة أيّام وأكثره لاحدّ له وأكثر أيّام النفساء الّتى تقعد فيهاعن الصلاة ثمانية عشر يوماً ، وتستظهر بيوم أو يومين إلّا أن تطهر قبل ذلك .

والزكاة على تسعة أشياء : الحنطة والشعير والتمر والزبيب والابل والبقر والغنم والذهب والفضّة، وعفى رسول الله صلى الله عليه وآله عمّا سوى ذلك، ولايجوزدفع الزكاة إلّا إلى أهل الولاية، ولايعطى من أهل الولاية الأبوان والولد والزوج والزوجة

والمملوك، وكل من يجبر الرجل على نفقته والخمس واجب في كل شيء بلغ قيمته دينارأمن الكنوز والمعادن والغوص والغنيمة، وهولله عزّ وجلّ ولرسوله ﷺ ولذي القربى من الأغنياء والفقراء واليتامى والمساكين وابن السبيل من أهل الدّين، وصيام السنة ثلاثة أيّام في كلّ شهر خميس في أوّله وأربعاء في وسطه وخميس في آخره وصيام شهر رمضان فريضة وهو بالرؤية، وليس بالرأي ولا بالتظنّي، ومن صام قبل الرؤية فهو مخالف لدين الإمامية، ولا تقبل شهادة النساء في الطلاق، ولا في رؤية الهلال.

والصّلاة في شهر رمضان كالصّلاة في غيره من الشهور فمن أحبّ أن يزيد فليصلّ كل ليلة عشرين ركعة: ثماني ركعات بين المغرب والعشاء الآخرة، واثنتى عشرة ركعة بعد العشاء الآخرة إلى أن يمضى عشرون ليلة من شهر رمضان ثمّ يصلّي كل ليلة ثلاثين ركعة: ثمان ركعات منها بين المغرب والعشاء و إثنتين وعشرين ركعة بعد العشاء الآخرة، ويقرأ في كل ركعة منها الحمد وما تيسّر من القرآن إلّا في ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين، فانّه يستحبّ احياؤهما، وان يصلّي الانسان في كل ليلة منهما مأة ركعة، يقرأ في كل ركعة الحمد مرّة وقل هوالله أحد عشر مرّات، ومن أحياهاتين الليلتين بمذاكرة العلم فهو أفضل.

وينبغي للرجل إذا كان ليلة الفطر أن يصلّى المغرب ثلثاً ثم يسجد ويقول في سجوده: ياذا الطول ياذا الحول يا مصطفى محمّد و ناصره صلّ على محمّد وآل محمّد و اغفرلى كل ذنب أذنبته ونسيته وهوعندك فى كتاب مبين ثم يقول مأة مرّة: أتوب إلى الله عزّ وجلّ، ويكبّر بعد المغرب والعشاء الآخرة وصلاة الغداة والعيد والظهر والعصر كما يكبّر أيّام التشريق ويقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلّا الله والله أكبر ولله الحمد الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا، ولايقول فيه و رزقنا من بهيمة الأنعام فانّ ذلك فى أيّام التشريق وزكاة الفطرة واجبة يجب على الرجل أن يخرجها عن نفسه عن كلّ من يعول من صغير و كبير وحرّ وعبد وذكر وانثى صاعاً من تمر أوصاعاً من برّ أوصاعاً من شعير، وأفضل ذلك التمر و الصّاع أربعة

أمداد والمد ّوزن مأتين وإثنين وتسعين درهماً و نصف يكون ذلك ألفاً ومأة وسبعين درهماً بالعراقي، ولابأس بأن يدفع قيمته ذهباً أوورقاً.

ولابأس بأن يدفع عن نفسه وعن من يعول إلى واحد ولا يجوز أن يدفعها يلزم واحداً إلى نفسين، ولابأس باخراج الفطرة في أو ّل يوم من شهر رمضان إلى آخره وهى زكاة إلى أن يصلّى العيد، فان أخرجها بعد الصّلاة فهى صدقة، وأفضل وقتها آخر يوم من شهر رمضان، ومن كان له مملوك مسلم أوذمّى فليدفع عنه فطرة، ومن ولد مولود يوم الفطر قبل الزوال فليدفع عنه الفطرة ، وان ولد بعد الزوال فلا فطرة عليه و كذلك إذا أسلم الرجل قبل الزوال وبعده، فعلى هذا والحاج على ثلاثة أوجه: قارن ومفرد ومتمتّع بالعمرة إلى الحج ّ، ولايجوز لأهل مكّة وحاضريها التمتّع بالعمرة إلى الحج ّ، وليس لهم إلّا القرآن والافراد لقول الله عز ّوجل: «ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام».

وحد ّ حاضر المسجد الحرام أهل مكّة وحواليها على ثمانية وأربعين ميلاً، و من كان خارجاً من هذا الحد ّ فلايحج إلّا متمتّعاً بالعمرة إلى الحج ّ، ولايقبل الله غيره، وأو ّل الاحرام المسلخ، و أوسطه غمرة ، وآخره ذات عرق ، و أو ّله أفضل ، فان ّ رسول الله ﷺ وقّت لأهل العراق العقيق، ووقّت لأهل الطائف قرن المنازل، ووقّت لأهل اليمن يلملم، ووقّت لأهل الشام المهيعة وهى الجحفة، ووقّت لأهل المدينة ذاالحليفة وهو مسجد الشجرة ولايجوز الاحرام قبل بلوغ الميقات، ولايجوز تأخيره عن الميقات إلّا لعلّة أو تقيّة، وفرائض الحج ّ سبعة: الاحرام والتلبيات الأربع وهى لبيك اللهم لبّيك لبيك لاشريك لك لبّيك ان ّالحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك و غير ذلك من التلبية سنّة ، و ينبغى للملبّى أن يكثر من قوله : لبيك ذا المعارج لبّيك فانّها تلبية النّبى ّ ﷺ.

والطواف بالبيت فريضة، والركعتان عند مقام إبراهيم عليه السلام فريضة، والسعى بين الصفا والمروة فريضة، والوقوف بعرفة فريضة، والوقوف بالمشعر فريضة، وهدى

التمتّع فريضة، وما سوى ذلك من مناسك الحجّ سنّة، و من أدرك يوم التروية عند زوال الشمس إلى الليل فقد أدرك المتعة، ومن أدرك يوم النحر مزدلفة ، و عليه خمسة من الناس فقد أدرك الحج ولا يجوز في الأضاحي من البدن إلّا الثنى وهوالّذي تمّ له خمس سنين، ودخل في السادسة. ويجزى في البقر والمعز الثنى و هوالّذي تمّ له سنة ودخل في الثانية، ويجزى من الضأن الجذع لستّة أشهر و لايجزى في الأضحية ذات عوار و يجزى البقرة عن خمسة نفر إذا كانوا من أهل بيت، والثورعن واحد والبدنة عن سبعة، و الجزورعن عشرة متفرّقين ، والكبش عن الرجل وعن أهل بيته ، و إذا عزت الأضاحي أجزأت شاة عن سبعين و يجعل الأضحية ثلاثة أثلاث: ثلث يؤكل وثلث يهدى وثلث يتصدّق به.

ولا يجوزصيام أيّام التشريق فانّها أيّام أكل وشرب وبعال، وجرت السنة في الافطار يوم النحر بعد الرجوع من الصلاة، وفي الفطر قبل الخروج إلى الصلاة والتكبير في أيّام التشريق بمنى في دبر خمس عشرة صلاة من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الغداة يوم الرابع، وبالأمصار في دبر عشر صلوات من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الغداة يوم الثالث، وتحلّ الفروج بثلاثة وجوه: نكاح بميراث ونكاح بلاميراث و نكاح بملك اليمين، ولاولاية لأحد على المرأة إلّا لأبيها مادامت بكراً، فاذا كانت ثيّباً فلا ولاية لأحد عليها ولا يزوّجها أبوها ولا غيره إلّا بمن ترضى بصداق مفروض، ولايقع الطلاق إلّا على الكتاب والسنّة، ولايمين في طلاق ولافي عتق ولاطلاق قبل نكاح ولاعتق قبل ملك، ولاعتق إلّا ما اريد به وجه الله عزّ وجلّ.

والوصية لاتجوز إلّا بالثلث ومن أوصى بأكثر من الثلث ردّ إلى الثلث، و ينبغي للمسلم أن يوصى لذوى قرابته ممن لايرث بشيء من ماله، قلّ أم كثر ومن لم يفعل ذلك، فقد ختم عمله بمعصية وسهام المواريث لاتعول على ستّة، ولايرث مع الولد والأبوين أحد إلّا زوج أوزوجة، والمسلم يرث الكافر ولايرث الكافر المسلم وإبن الملاعنة لايرثه أبوه ولا أحد من قبل أبيه، وترثه امّه، فان لم تكن له امّ

فاخواله وأقربائه من قبل امّه، ومتى أقرّ الملاعن بالولد بعد الملاعنة الحق به ولده ولم ترجع إليه إمرأته فان مات الأب ورثه الابن، وإن مات الابن لم يرثه الأب.

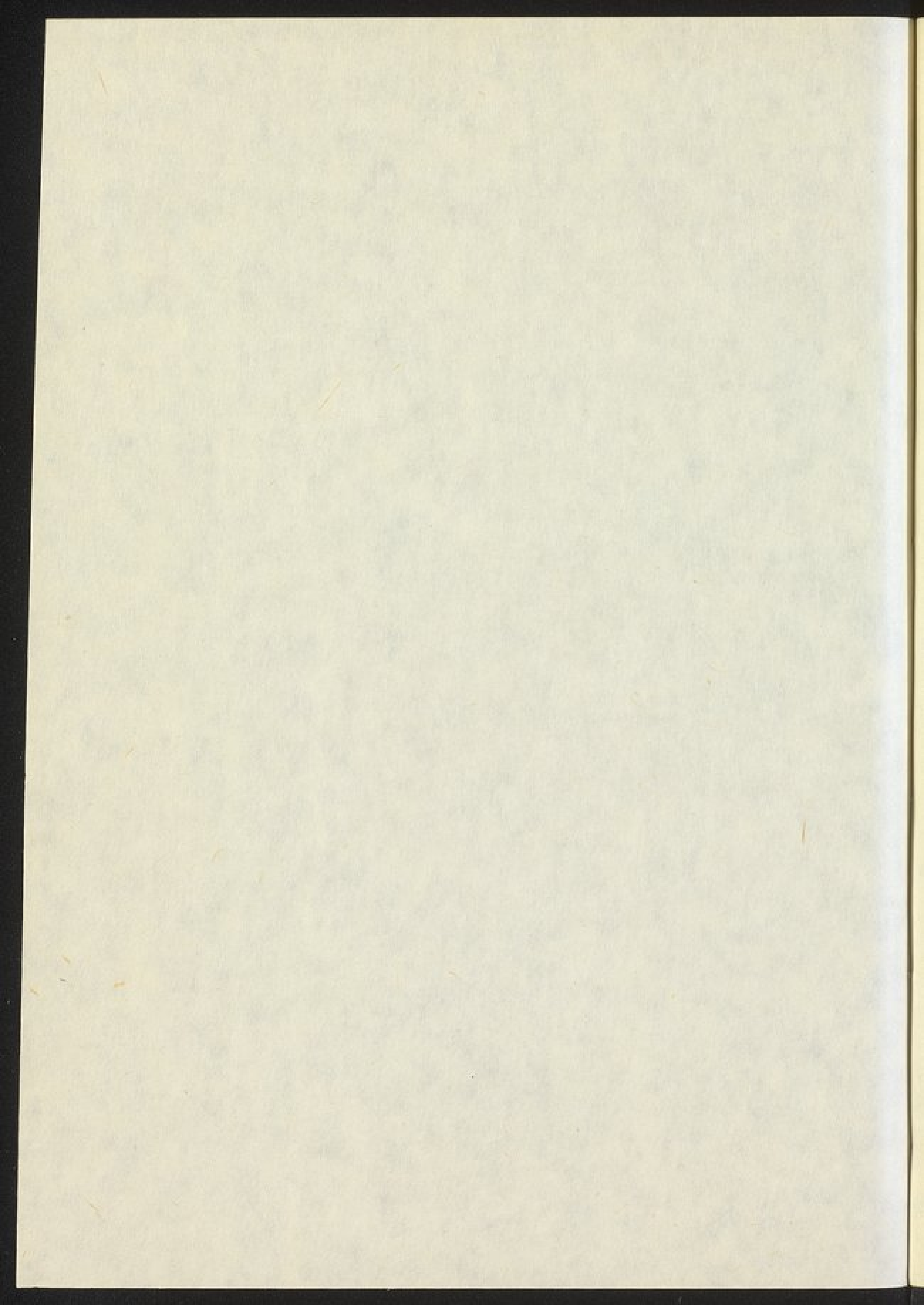
ومن شرائط دين الامامية: اليقين والإخلاص والتوكل والرضا والتسليم والورع والاجتهاد والزهد والعبادة والصدق والوفاء وأداء الأمانة إلى البرّ والفاجر، ولوالي قاتل الحسين عليه السلام والبرّ بالوالدين وإستعمال المروّة والصبر والشجاعة، وإجتناب المحارم وقطع الطمع عما في أيدي الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله بالنفس والمال على شرائطه، ومواساة الاخوان والمكافاة على الصنائع، وشكر المنعم والثناء على المحسن والقناعة وصلة الرحم، وبرّ الآباء والامّهات، وحسن المجاورة و الانصاف والايثار ومصاحبة الأخيار ومجانبة الأشرار ومعاشرة الناس بالجميل و التسليم على جميع النّاس مع الإعتقاد بأن سلام الله لا ينال الظالمين.

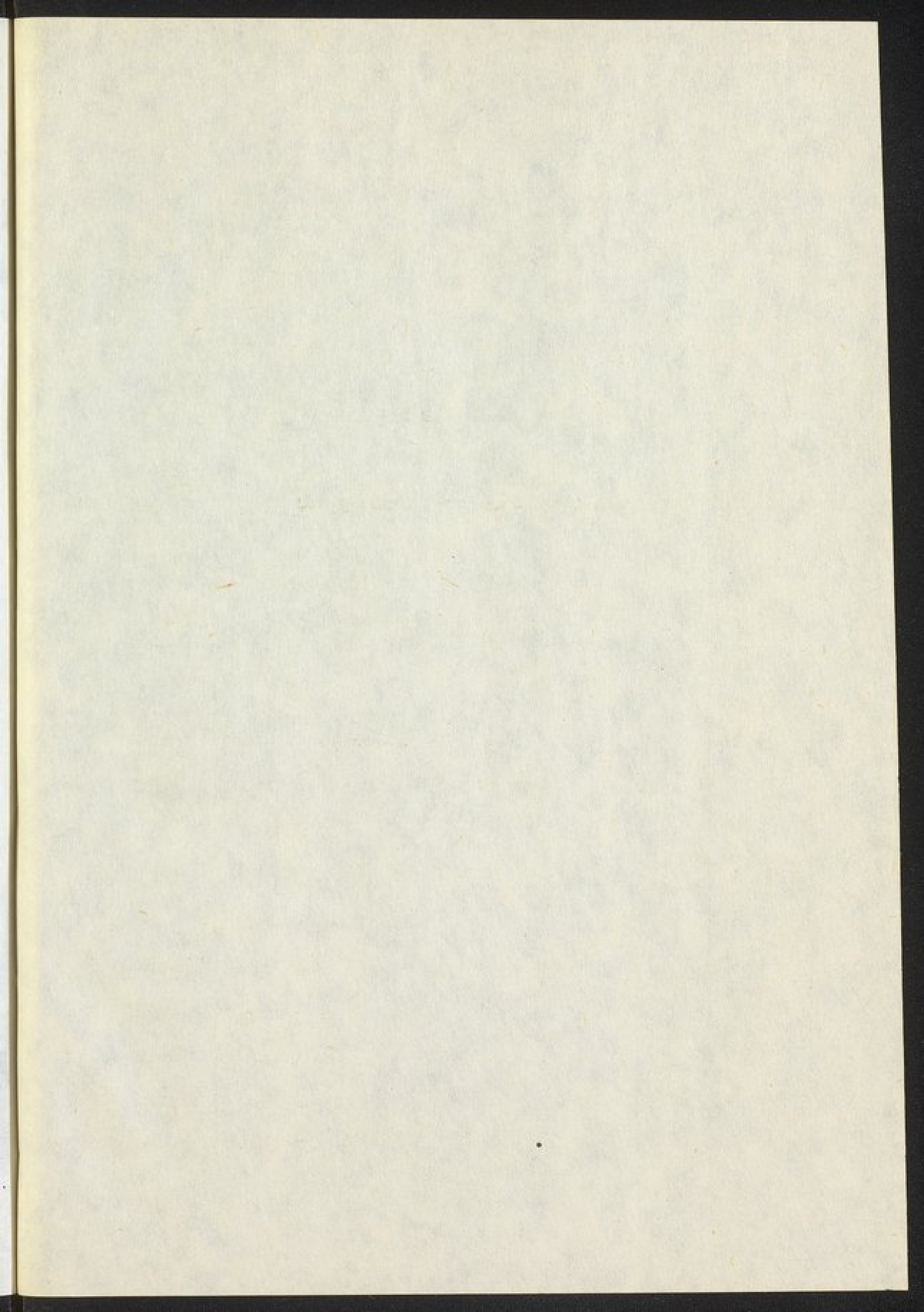
وإكرام المسلم ذي الشيبة وتوقير الكبير ورحمة الصغير وإكرام كريم كلّ قوم، والتواضع والتخشع و كثرة ذكر الله عزّ وجلّ وتلاوة القرآن والدعاء والاغضاء والاحتمال والمجاملة والتقيّة وحسن الصحابة و كظم الغيظ والتعطّف على الفقراء والمساكين ومشاركتهم في المعيشة، وتقوى الله في السرّ والعلانية والاحسان إلى النساء وما ملكت الأيمان وحفظ اللسان إلّا من خير وحسن الظنّ بالله عزّ و جلّ والندم على الذنب وإستعمال السخاء والجود والإعتراف بالتقصير وإستعمال جميع مكارم الأفعال والأخلاق للدين والدنيا، وإجتناب مذامّها في الجملة والتفصيل، وإجتناب الغضب والسخط والحميّة والعصبيّة والكبر والتجبّر وإحتقار الناس و الفخر و العجب.

والبذاء والفحش والبغي وقطيعة الرحم والحسد والحرص والشره والطمع والخرق والجهل والسفه والكذب والخيانة والفسق والفجور واليمين الكاذبة و كتمان الشهادة، والشهادة بالزور والغيبة والبهتان والسعاية والسّباب واللعان والطعان والمكر و

الخديعة والغدر والنكث والقتل بغير حق والظلم والفساوة والجفاء والنفاق والرياء والزنا واللواط والربا والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة، وعقوق الوالدين والإحتيال على الناس، وأكل مال اليتيم ظلماً وقذف المحصنة هذا ما اتفق إملائه على العجلة من وصف دين الامامية، وقال: سأملى شرح ذلك وتفسيره إذا سهل الله عزّ إسمه لى العود من مقصدي إلى نيسابور إن شاءالله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم كثيراً.

تمت سورة البينة و الحمدلله فى الاولى والاخرة
وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرة





فهرس ماجاء في تفسير سورة التين

يدور البحث حولها على فصلين:

الاول: في عناوين تفسير السورة و فيها ثمان عشرة بصيرة:

الفصل الثانی: فی مواضیع الحکم القرآنية والمعارف الاسلامية

المبحوث عنها فی سورة التين وفيه بصيرتان:

البصيرة الاولى: وفيها ثلاثة امور:

البصيرة الثانية:

فهرس ماجاء في تفسير سورة العلق

يدور البحث حولها على فصلين:

الاول: في عناوين تفسير السورة و فيها ثمان عشرة بصيرة:

الفصل الثاني: فى مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

المبحوث عنها فى سورة العلق وفيه ثلاث بصائر

البصيرة الاولى: وفيها خمسة وعشرون أمراً :

رقم الصفحة

البصيرة الثانية و فيها أربعة امور :

البصيرة الثالثة : و فيها ستة و عشرون أمراً :

فهرس ماجاء في تفسير سورة القدر

يدور البحث حولها على فصلين:

الاول: في عناوين تفسير السورة و فيها ثمان عشرة بصيرة:

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة القدر وفيه بصيرتان:

البصيرة الاولى: وفيها سبعة عشر أمراً:

البصيرة الثانية: وفيها أربعة امور:

فهرس ما جاء في تفسير سورة البينة

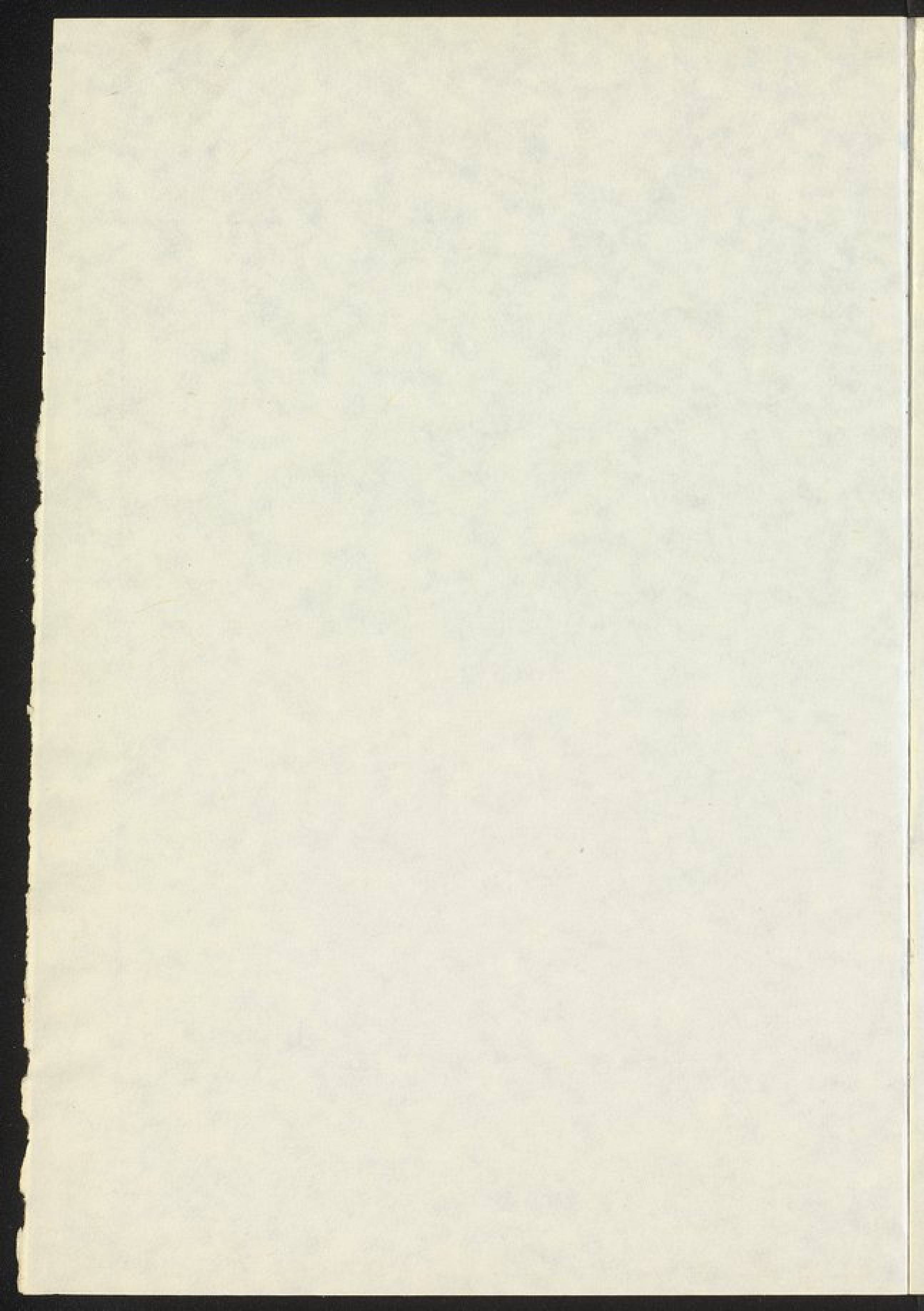
يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: في عناوين تفسير السورة و فيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة البيّنة وفيه بصيرتان:

البصيرة الاولى: وفيها ثمانية امور :

البصيرة الثانية:



[illegible]

